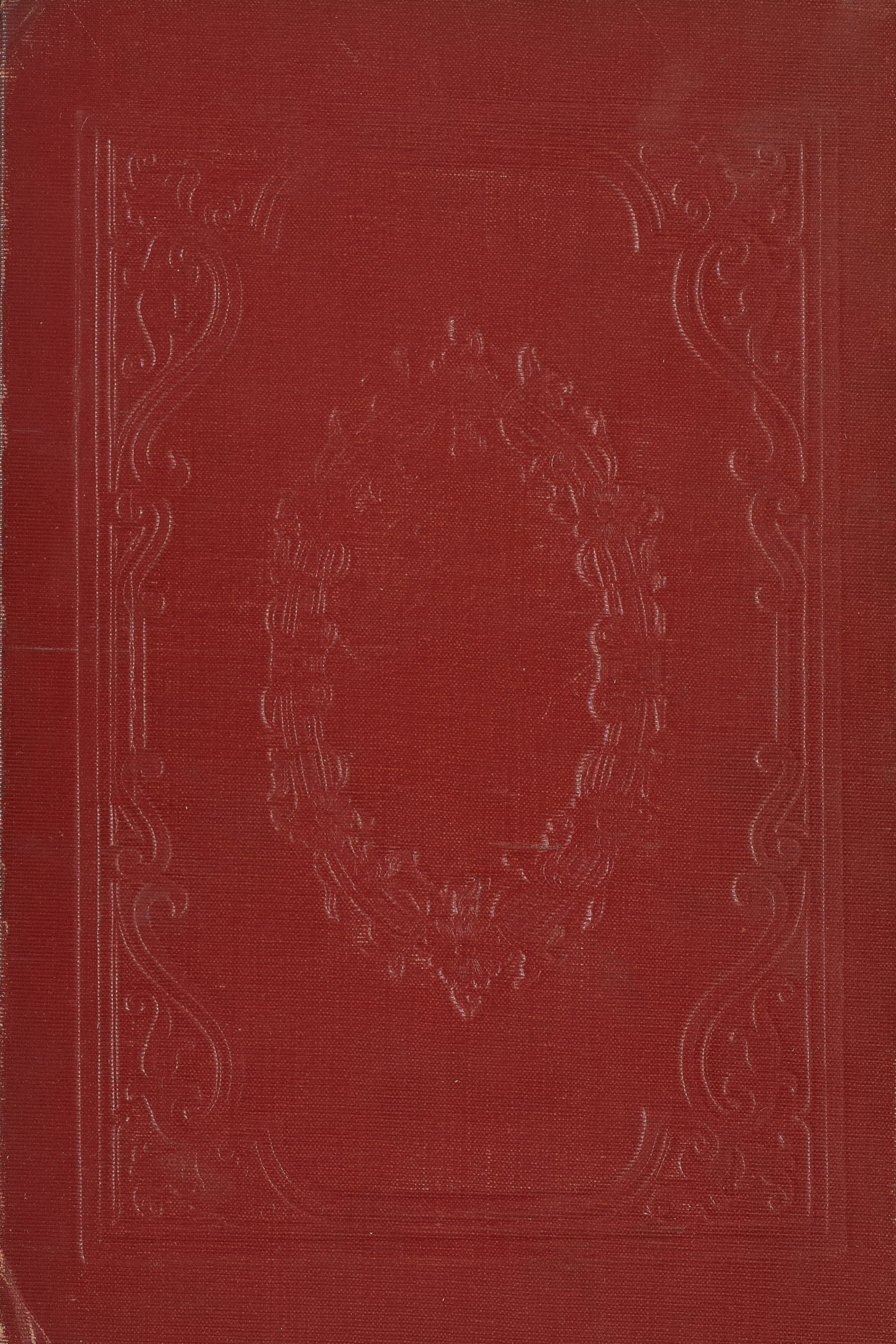
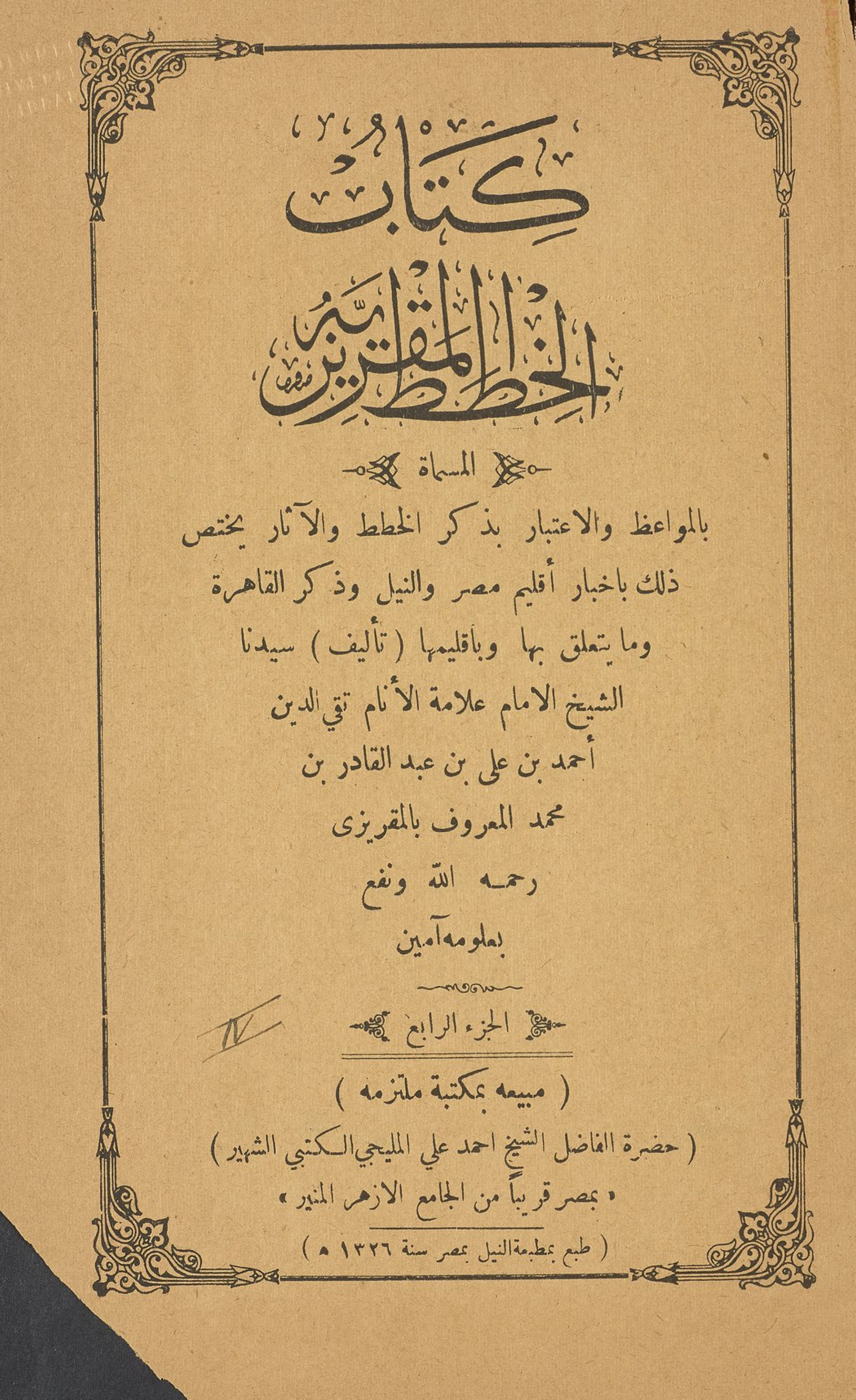




# كتاب

# الخطط المقريزية

المسماة

بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار يختص
ذلك باخبار أقليم مصر والنيل وذكر القاهرة
وما يتعلق بها وبأقليمها (تأليف) سيدنا
الشيخ الامام علامة الأنام تقي الدين
أحمد بن علي بن عبد القادر بن
محمد المعروف بالمقريزى
رحمه الله ونفع
بعلومه آمين

## الجزء الرابع

IV

(مبيعه بمكتبة ملتزمه)
(حضرة الفاضل الشيخ احمد علي المليجي الكتبي الشهير)
«بمصر قريباً من الجامع الازهر المنير»
(طبع بمطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٦ هـ)

# بسم الله الرحمن الرحيم

## ذكر المساجد الجامعة

اعلم أن أرض مصر لما فتحت فى سنة عشرين من الهجرة واختط الصحابة رضى الله عنهم فسطاط مصر كما تقدم لم يكن بالفسطاط غير مسجد واحد وهو الجامع الذى يقال له في مدينة مصر الجامع العتيق وجامع عمرو بن العاص وما برح الامر على هذا الى أن قدم عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من العراق في طلب مروان بن محمد في سنة ثلاث وثلاثين ومائة فنزل عسكره في شمالى الفسطاط وبنوا هناك الابنية فسمى ذلك الموضع بالعسكر وأقيمت هناك الجمعة في مسجد فصارت الجمعة تقام بمسجد عمرو بن العاص وبجامع العسكر الى أن بني الامير أحمد بن طولون جامعه على جبل يشكر في سنة تسع وخمسين ومائتين حين بني القطائع فتلاشي من حينئذ جامع العسكر وصارت الجمعة تقام بجامع عمرو وبجامع ابن طولون الى أن قدم جوهر القائد من بلاد القيروان بالمغرب ومعه عساكر مولاه المعز لدين الله أبي تميم معد فبنى القاهرة و بنى الجامع الذى يعرف بالجامع الازهر فى سنة ستين وثلثمائة فكانت الجمعة تقام في جامع عمرو وجامع ابن طولون والجامع الازهر وجامع القرافة الذى يعرف اليوم بجامع الاولياء ثم ان العزيز بالله أبا منصور نزار بن المعز لدين الله بنى فى ظاهر القاهرة من جهة باب الفتوح الجامع الذى يعرف اليوم بجامع الحاكم فى سنة ثمانين وثلثمائة واكمله ابنه الحاكم بأمر الله أبو على منصور وبنى جامع المقس وجامع راشدة فكانت الجمعة تقام فى هذه الجوامع كلها الى أن انقرضت دولة الخلفاء الفاطميين فى سنة سبع وستين وخمسمائة فبطلت الخطبة من الجامع الازهر واستمرت فيما عداه فلما كانت الدولة التركية حدث بالقاهرة والقرافة ومصر وما بين ذلك عدة جوامع اقيمت فيها الجمعة وما برح الامر يزداد حتى بلغ عدد المواضع التى تقام بها الجمعة فيما بين مسجد تبر خارج القاهرة من بحريها الى دير الطين قبلى مدينة مصر زيادة على مائة موضع وسيأتي من ذكر ذلك ما فيه كفاية ان شاء الله تعالى * وقد بلغت عدة المساجد التي تقام بها الجمعة مائة وثلاثين مسجدا ( منها ) بمدينة مصر جامع عمرو بن العاص والجامع الجديد والمدرسة المعزية وجامع ابن اللبان وجامع القراء وجامع تقى الثمار وجامع راشدة وجامع الفيلة

وجامع دير الطين وجامع بساتين الوزير ( ومنها ) بالقرافة جامع الاولياء وجامع الافرم وخانكاه بكتمر وجامع ابن عبد الظاهر وجامع الجوّاني وجامع الضراب وجامع قوصون وجامع الشافعي وجامع الديلمي وجامع محمود وجامع بقرب تربة الست ( ومنها ) بالروضة جامع المقياس وجامع عين وجامع الرئيس وجامع الاباريقي وجامع المقسى ( ومنها ) بالحسينية خارج القاهرة جامع أحمد الزاهد وجامع آل ملك وجامع كراى وجامع الكافورى بالقرب من السميساطية وجامع الخندق وجامع نائب الكرك وجامع سويقة الجيزة وجامع قيدار وجامع ابن شرف الدين وجامع الظاهر وجامع الحاج كمال التاجر تجدد هو وجامع سويقة الجيزة في أيام الظاهر برقوق ( ومنها ) خارج القاهرة مما يلى النيل . جامع كوم الريش جامع جزيرة الفيل . جامع أمين الدين بن تاج الدين موسى . جامع الفخر على النيل . جامع الاسيوطي . جامع الواسطي . جامع ابن بدر . جامع الخطيرى . جامع ابن غازى . جامع المقس جامع ابن التركماني . جامع بنت التركماني . جامع الطواشى . جامع باب الرخاء . جامع الزاهد جامع ميدان القمح . جامع صاروجا . جامع ابن زيد . جامع بركة الرطلي . جامع الكيمختي جامع باب الشعرية . جامع ابن مياله . جامع ابن المغربى . جامع العجمى بقنطرة الموسكي . الجامع المعلق بقنطرة الموسكى أيضاً . جامع الجاكي بسويقة الريش . جامع السروجي بسويقة الريش أيضاً . جامع البكجرى . جامع ابن حسون بالدكة . جامع ابن المغربي على الخليج جامع الطباخ بخط اللوق . جامع الست نصيرة بخط باب اللوق حيث كان الكوم لحفر فاذا بقبر عرف بالست نصيرة وعمل عليه مسجد وأقيمت به الجمعة فى أيام الظاهر برقوق جامع شاكر بجوار قنطرة قدادار عمر سنة ست وعشرين وثمانمائة . جامع غيط القاصد خلف قنطرة قدادار . جامع الجزيرة الوسطى . جامع كريم الدين بخط الزريبة . جامع ابن غلامها بخط الزريبة أيضا . الجامع الاخضر . جامع سويقة الموفق . جامع سلطان شاه بباب الخرق . جامع زين الدين الخشاب خارج باب اللوق كان زاوية للفقراء فأقيمت به الجمعة بعد سنة ثمانمائة . جامع منكلي بسويقة القيمري ( ومنها ) فيما بين القاهرة ومصر جامع بشتاك . جامع الاسماعيلي على البركة الناصرية . جامع الست مسكة . جامع آق سنقر بمجرى السقائين . جامع الشيخ محمد بن حسن الحنفى . جامع ست حدق بالمريس . جامع الطيبرسى . جامع الرحمة عمارة الصاحب أمين الدين عبد الله بن غنام . جامع منشأة المهراني جامع يونس بالسبع سقايات على البركة . جامع بركة الاستادار بحدرة ابن قميحة . جامع ابن طولون . جامع المشهد النفيسى . جامع البقلي بالقيبيات . جامع شيخو . جامع قانباى براس سويقة منعم . جامع الماس . جامع قوصون . جامع الصالح . مدرسة الناصر حسن بسوق الخيل . جامع الجاى . جامع الماردينى . جامع اصلم ( ومنها ) بقلعة الجبل الجامع

الناصرى. جامع التوبة. جامع الاصطبل. الجامع المؤيدى ( ومنها ) خارج القاهرة بالترب وما قرب من القلعة تربة جوشن وتربة الظاهر برقوق وتربة طشتمر حمص أخضر بالصحراء جامع الخضرى. جامع التوبة. الجامع المؤيدي ( ومنها ) بالقاهرة الجامع الازهر والجامع الحاكمي والجامع الاقمر ومدرسة الظاهر برقوق والمدرسة الصالحية والحجازية والمشهد الحسيني وجامع الفاكهاني والزمامية والصاحبية والبوبكرية والجامع المؤيدى والاشرفية وجامع الدوادارى قريبا من البرقية وجامع التوبة بالبرقية. مدرسة ابن البقرى والباسطية

* ( ذكر الجوامع ) *

علم انه لما اتصلت مباني القاهرة المعزية بمباني مدينة فسطاط مصر بحيث صارتا كأنهما مدينة واحدة واتخذ أهل القاهرة وأهل مصر القرافتين لدفن أمواتهم ذكرت ما في هذه المواضع الاربعة من المساجد الجامعة واضفت اليها ما في جزيرة فسطاط مصر التي يقال لها الروضة من الجوامع أيضاً فانها متنزه أهل البلدين وجمعت الى ذلك ما في ظواهر القاهرة ومصر من الجوامع مع التعريف بحال من أسسها وبالله التوفيق

* ( الجامع العتيق ) *

هذا الجامع بمدينة فسطاط مصر ويقال له تاج الجوامع وجامع عمرو بن العاص وهو أول مسجد أسس بديار مصر في الملة الاسلامية بعد الفتح ( خرّج ) الحافظ أبو القاسم بن عساكر من حديث معاوية بن قره قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من صلى صلاة مكتوبة في مسجد مصر من الامصار كانت له كحجة متقبلة فان صلى تطوعا كانت له كعمرة مبرورة وعن كعب من صلى في مسجد مصر من الامصار صلاة فريضة عدلت حجة متقبلة ومن صلى صلاة تطوع عدلت عمرة متقبلة فان أصيب في وجهه ذلك حرم لحمه ودمه على النار أن تطعمه وذنبه على من قتله * وأول مسجد بني في الاسلام مسجد قبا ثم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال هشام بن عمار حدثنا المغيرة بن المغيرة حدثنا يحيي بن عطاء الخراساني عن أبيه قال لما افتتح عمر البلدان كتب الى أبي موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد فاذا كان يوم الجمعة انضموا الى مسجد الجماعة وكتب الى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك وكتب الى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك وكتب الى أمراء أجناد الشام أن لا يتبددوا الى القرى وأن ينزلوا المدائن وأن يتخذوا فى كل مدينة مسجدا واحدا ولا تتخذ القبائل مساجد فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده * وقال أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب ابن حفص الكندى في كتاب أخبار مسجد أهل الراية الاعظم وأول أمره وبنائه وزيادة الامراء فيه وغيرهم ومجالس الحكام والفقهاء منه وغير ذلك قال هبيرة بن أبيض عن شيخه

ن قيسبة بن كلثوم التجيبي أحد بنى سوم سار من الشام الى مصر مع عمرو بن العاص فدخلها فى مائة راحلة وخمسين عبدا وثلاثين فرسا فلما أجمع المسلمون وعمرو بن العاص على حصار الحصن نظر قيسبة بن كلثوم فرأى جنانا تقرب من الحصن فعرج اليها في أهله وعبيده فنزل وضرب فيها فسطاطه وأقام فيها طول حصارهم الحصن حتى فتحه الله عليهم ثم خرج قيسبة مع عمرو الى الاسكندرية وخلف أهله فيها ثم فتح الله عليهم الاسكندرية وعاد قيسبة الى منزله هذا فنزله واختط عمرو بن العاص داره مقابل تلك الجنان التى نزلها قيسبة وتشاور المسلمون أين يكون المسجد الجامع فرأوا أن يكون منزل قيسبة فسأله عمرو فيه وقال انا أختط لك يا أبا عبد الرحمن حيث أحببت فقال قيسبة لقد علمتم يا معاشر المسلمين انى حزت هذا المنزل وملكته وانى أتصدق به على المسلمين وارتحل فنزل مع قومه بني سوم واختط فيهم فبنى مسجدا في سنة احدى وعشرين من الهجرة وفي ذلك يقول أبو قبان بن نعيم بن بدر التجيبى

وبابليون قد سعدنا بفتحها * وحزنا لعمر الله فيأ ومغنما
وقيسبة الخير بن كلثوم داره * اباح حماها للصلاة وسلما
فكل مصلّ فى فنانا صلاته * تعارف أهل المصر ماقلت فاعلما

( وقال ) أبو مصعب قيس بن سلمة الشاعر في قصيدته التي امتدح فيها عبد الرحمن بن قيسبة

وأبوك سلم داره وأباحها * لجباه قوم ركع وسجود

( وقال ) الليث بن سعد كان مسجدنا هذا حدائق وأعنابا * وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني ومن جملة مزارعها جامع مصر وقد بقى الى الآن من جملة الانشاب التي كانت في البستان في موضع الجامع شجرة زنزلخت وهى باقية الى الآن خلف المحراب الكبير والحائط الذى به المنبر ومن العلماء من قال ان هذه الشجرة باقية من عهد موسى عليه السلام وكان لها نظير شجرة أخرى في الوراقين احترقت في حريق مصر سنة أربع وستين وخمسمائة وظهر بالجامع العتيق بئر البستان التي كانت به وهي اليوم يستقى منها الناس الماء بموضع حلقة الفقيه ابن الجيزى المالكي * قال الكندى وقال يزيد بن أبي حبيب سمعت أشياخنا ممن حضر مسجد الفتح يقولون وقف على اقامة قبلة المسجد الجامع ثمانون رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم الزبير بن العوام والمقداد وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وفضالة بن عبيد وعقبة بن عامر رضى الله عنهم وفي رواية أسس مسجدنا هذا أربعة من الصحابة أبو ذر وأبو بصيرة ومحمئة بن جزء الزبيدى ونبيه بن صواب * وقال عبد الله بن أبي جعفر أقام محرابنا هذا عبادة بن الصامت ورافع بن مالك وهما نقيبان وقال داود بن عقبة ان عمرو بن العاص بعث ربيعة بن شرحبيل بن حسنة وعمرو بن

علقمة القرشي ثم العدوى يقيمان القبلة وقال لهما قوما اذا زالت الشمس أو قال
الشمس فاجعلاها على حاجبيكما ففعلا * وقال الليث ان عمرو بن العاص كان يمد الحبال حتى
اقيمت قبلة المسجد وقال عمرو بن العاص شرقوا القبلة تصيبوا الحرم قال فشرقت جدا
فلما كان قرة بن شريك تيامن بها قليلا وكان عمرو بن العاص اذا صلى في مسجد الجامع يصلى
ناحية الشرق الا الشيء اليسير وقال رجل من تجيب رأيت عمرو بن العاص دخل كنيسة
فصلى فيها ولم ينصرف عن قبلتهم الا قليلا وكان الليث وابن لهيعة اذا صليا تيامنا وكان عمر بن
مروان عم الخلفاء اذا صلى في المسجد الجامع تيامن وقال يزيد بن حبيب فى قوله تعالى
قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها هي قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم
التي نصبها الله عز وجل مقابل الميزاب وهى قبلة أهل مصر وأهل الغرب وكان يقرأها
فلنولينك قبلة نرضاها بالنون وقال هكذا أقرأناها أبو الخير * وقال الخليل بن عبد الله
الازدى حدثنى رجل من الانصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال ضع
القبلة وأنت تنظر الى الكعبة ثم قال بيده فأماط كل جبل بينه وبين الكعبة فوضع المسجد
وهو ينظر الى الكعبة وصارت قبلته الى الميزاب * وقال ابن لهيعة سمعت أشياخنا يقولون
لم يكن لمسجد عمرو بن العاص محراب مجوف ولا أدرى بناه مسلمة أو بناه عبد العزيز
* وأول من جعل المحراب قرة بن شريك * وقال الواقدى حدثنا محمد بن هلال قال أول
من أحدث المحراب المجوف عمر بن عبد العزيز ليالي بنى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر عمر بن شبية أن عثمان بن مظعون تفل في القبلة فأصبح مكتئبا فقالت له امرأته
مالى أراك مكتئبا قال لا شيء الا أنى تفلت في القبلة وأنا أصلي فعمدت الى القبلة فغسلتها ثم
عملت خلوقا فخلقتها فكانت أول من خلق القبلة * وقال أبو سعيد سلف الحميرى أدركت
مسجد عمرو بن العاص طوله خمسون ذراعا في عرض ثلاثين ذراعا وجعل الطريق يطيف
به من كل جهة وجعل له بابان يقابلان دار عمرو بن العاص وجعل له بابان في بحريه وبابان
في غربيه وكان الخارج اذا خرج من زقاق القناديل وجد ركن المسجد الشرقى محاذيا لركن
دار عمرو بن العاص الغربي وذلك قبل أن أخذ من دار عمرو بن العاص ما أخذ وكان
طوله من القبلة الى البحرى مثل طول دار عمرو بن العاص وكان سقفه مطاطأ جدا ولا صحن
له فاذا كان الصيف جلس الناس بفنائه من كل ناحية وبينه وبين دار عمرو سبع أذرع *
قلت وأول من جلس على منبر أو سرير ذى أعواد ربيعة بن محاسن وقال القضاعى فى
كتاب الخطط وكان عمرو بن العاص قد اتخذ منبرا فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى
الله عنه يعزم عليه في كسره ويقول أما يحسبك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقبيك
فكسره * قال مؤلفه رحمه الله وفى سنة احدى وستين ومائة أمر المهدى محمد بن أبي

جعفر المنصور بتقصير المنابر وجعلها بقدر منبر النبي صلى الله عليه وسلم قال القضاعى وأول من صلى عليه من الموتى داخل الجامع أبو الحسين سعيد بن عثمان صاحب الشرط في النصف من صفر وكانت وفاته فجأة فأخرج ضحوة يوم الاحد السادس عشر من صفر وصلى عليه خلف المقصورة وكبر عليه خمسا ولم يعلم أحد قبله صلى عليه فى الجامع * وذكر عمر بن شيبة فى تاريخ المدينة أن أول من عمل مقصورة بلبن عثمان بن عفان وكانت فيها كوي تنظر الناس منها الى الامام وأن عمر بن عبد العزيز عملها بالساج قال القضاعى ولم تكن الجمعة تقام في زمن عمرو بن العاص بشئ من أرض مصر الا في هذا الجامع قال أبو سعيد عبد الرحمن بن يونس جاء نفر من بحافق الى عمرو بن العاص فقالوا انا نكون في الريف أفنجمع في العيدين الفطر والاضحى ويؤمنا رجل منا قال نعم قالوا فالجمعة قال لا ولا يصلى الجمعة بالناس الا من أقام الحدود وآخذ بالذنوب وأعطى الحقوق * وأول من زاد في هذا الجامع مسلمة بن مخلد الانصارى سنة ثلاث وخمسين وهو يومئذ أمير مصر من قبل معاوية قال الكندى في كتاب أخبار مسجد أهل الراية ولما ضاق المسجد بأهله شكى ذلك الى مسلمة بن مخلد وهو الامير يومئذ فكتب فيه الى معاوية بن ابى سفيان فكتب اليه يأمره بالزيادة فيه فزاد فيه من شرقيه مما يلى دار عمرو بن العاص وزاد فيه من بحريه ولم يحدث فيه حدثا من القبلى ولا من الغربى وذلك في سنة ثلاث وخمسين وجعل له رحبة في البحرى منه كان الناس يصيفون فيها ولا طه بالنورة وزخرف جدرانه وسقوفه ولم يكن المسجد الذي لعمرو جعل فيه نورة ولا زخرف وامر بابتناء منار المسجد الذى في الفسطاط وأمر أن يؤذنوا في وقت واحد وأمر مؤذنى الجامع أن يؤذنوا للفجر إذا مضى نصف الليل فاذا فرغوا من أذانهم أذن كل مؤذن في الفسطاط فى وقت واحد قال ابن لهيعة فكان لاذانهم دوى شديد فقال عابد بن هشام الازدى ثم السلامانى لمسلمة بن مخلد

لقد مدت لمسلمة الليالى * على رغم العداة مع الامان
وساعده الزمان بكل سعد * وبلغه البعيد من الاماني
أمسلم فارتقى لا زلت تعلو * على الايام مسلم والزمان
لقد أحكمت مسجدنا فأضحى * كأحسن مايكون من المبانى
فتاه به البلاد وساكنوها * كما تاهت بزينتها الغوانى
وكم لك من مناقب صالحات * وأجدل بالصوامع للاذان
كان تجاوب الاصوات فيها * اذا ما الليل ألقى بالجران
كصوت الرعد خالطه دوى * وأرعب كل مختطف الجنان

وقيل ان معاوية أمره ببناء الصوامع للاذان قال وجعل مسلمة للمسجد الجامع أربع

صوامع فى أركانه الاربع وهو أول من جعلها فيه ولم تكن قبل ذلك قال وهو أول من
جعل فيه الحصر وانما كان قبل ذلك مفروشا بالحصباء وأمر أن لايضرب بناقوس عند
الاذان يعني الفجر وكان السلم الذى يصعد منه المؤذنون في الطريق حتى كان خالد بن سعيد
فحوله داخل المسجد * قال القاضى القضاعى ثم ان عبد العزيز بن مروان هدمه فى سنة
تسع وسبعين من الهجرة وهو يومئذ أمير مصر من قبل أخيه أمير المؤمنين عبد الملك بن
مروان وزاد فيه من ناحية الغرب وأدخل فيه الرحبة التي كانت في بحريه ولم يجد فى شرقيه
موضعا يوسعه به * وذكر أبو عمر الكندى فى كتاب الامراء أنه زاد فيه من جوانبه
كلها ويقال ان عبد العزيز بن مروان لما أكمل بناء المسجد خرج من دار الذهب عند
طلوع الفجر فدخل المسجد فرأى في أهله خفة فأمر بأخذ الابواب على من فيه ثم دعا بهم
رجلا رجلا فيقول للرجل ألك زوجة فيقول لا فيقول زوجوه ألك خادم فيقول لا فيقول
أخدموه أحججت فيقول لا فيقول أحجوه أعليك دين فيقول نعم فيقول اقضوا دينه فأقام
المسجد بعد ذلك دهرا عامرا ولم يزل الى اليوم وذكر أن عبد الله بن عبد الملك بن مروان
في ولايته على مصر من قبل أخيه الوليد أمر برفع سقف المسجد الجامع وكان مطاطأ
وذلك في سنة تسع وثمانين ثم ان قرة بن شريك العبسى هدمه مستهل سنة اثنتين وتسعين
بأمر الوليد بن عبد الملك وهو يومئذ أمير مصر من قبله وابتدأ في بنيانه فى شعبان من
السنة المذكورة وجعل على بنائه يحيى بن حنظلة مولى بنى عامر بن لؤى وكانوا يجمعون
الجمعة في قيسارية العسل حتى فرغ من بنائه وذلك في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين
ونصب المنبر الجديد فى سنة أربع وتسعين ونزع المنبر الذي كان فى المسجد وذكر أن عمرو
ابن العاص كان جعله فيه فلعله بعد وفاة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل هو منبر عبد
العزيز بن مروان وذكر أنه حمل اليه من بعض كنائس مصر وقيل ان زكريا بن برقنى
ملك النوبة أهداه الى عبد الله بن سعد بن أبي سرح وبعث معه نجاره حتى ركبه واسم هذا
النجار بقطر من أهل دندرة ولم يزل هذا المنبر في المسجد حتي زاد قرة بن شريك في
الجامع فنصب منبرا سواه على ماتقدم شرحه ولم يكن يخطب فى القرى الاعلى العصا الى أن
ولى عبد الملك بن موسى بن نصير اللخمي مصر من قبل مروان بن محمد فأمر باتخاذ
المنابر في القرى وذلك في سنة اثنتين وثلاثين ومائة وذكر أنه لايعرف منبرا أقدم منه يعني
من منبر قرة بن شريك بعد منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل كذلك الى أن قلع
وكسر فى أيام العزيز بالله بنظر الوزير يعقوب بن كلس فى يوم الخميس لعشر بقين من شهر
ربيع الاول سنة تسع وسبعين وثلثمائة وجعل مكانه منبر مذهب ثم اخرج هذا المنبر الي
الاسكندرية وجعل في جامع عمرو بها وانزل الى الجامع المنبر الكبير الذى هو به الآن

وذلك في أيام الحاكم بأمر الله في شهر ربيع الاول سنة خمس واربعمائة وصرف بنو عبد السميع عن الخطابة وجعلت خطابة الجامع العتيق لجعفر بن الحسن بن خداع الحسينى وجعل الى أخيه الخطابة بالجامع الازهر وصرف بنو عبد السميع بن عمر بن الحسين بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس من جميع المنابر بعد أن أقاموا هم وسلفهم فيها ستين سنة وفي شهر ربيع الاول من هذه السنة وجد المنبر الجديد الذى نصب في الجامع قد لطخ بعذرة فوكل به من يحفظه وعمل له غشاء من أدم مذهب في شعبان من هذه السنة وخطب عليه ابن خداع وهو مغشى وزيادة قرة من القبلي والشرقى وأخذ بعض دار عمرو وابنه عبد الله بن عمرو فأدخله في المسجد وأخذ منهما الطريق الذى بين المسجد وبينهما وعوض ولد عمرو ماهو فى أيديهم اليوم من الرباع وأمر قرة بعمل المحراب المجوف على ماتقدم شرحه وهو المحراب المعروف بعمرو لانه في سمت محراب المسجد القديم الذى بناه عمرو وكانت قبلة المسجد القديم عند العمد المذهبة في صف التوابيت اليوم وهي أربعة عمد اثنان في مقابلة اثنين وكان قرة أذهب رؤسها وكانت مجالس قيس ولم يكن فى المسجد عمد مذهبة غيرها وكانت قديما حلقة أهل المدينة ثم زوق اكثر العمد وطوق فى ايام الاخشيد سنة أربع وعشرين وثلثمائة ولم يكن للجامع أيام قرة بن شريك غير هذا المحراب فأما المحراب الاوسط الموجود اليوم فعرف بمحراب عمر بن مروان عم الخلفاء وهو أخو عبد الملك وعبد العزيز ولعله أحدثه في الجدار بعد قرة وقد ذكر قوم أن قرة عمل هذين المحرابين وصار للجامع أربعة أبواب وهي الابواب الموجودة في شرقيه الآن آخرها باب اسرائيل وهو باب النحاسين وفى غربيه أربعة أبواب شارعة في زقاق كان يعرف بزقاق البلاط وفى بحريه ثلاثة أبواب وبيت المال الذى فى علو الفوارة بالجامع بناه أسامة بن زيد التنوخى متولى الخراج بمصر سنة سبع وتسعين فى أيام سليمان بن عبد الملك وأمير مصر يومئذ عبد الملك ابن رفاعة الفهمي وكان مال المسلمين فيه وطرق المسجد فى ليلة سنة خمس واربعين ومائة فى ولاية يزيد بن حاتم المهلبي من قبل المنصور طرقه قوم ممن كان بايع على بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان أول علوى قدم مصر فنهبوا بيت المال ثم تضاربوا عليه بسيوفهم فلم يصل اليهم منه الا اليسير فأنفذ اليهم يزيد من قتل منهم جماعة وانهزموا وذكر أن هذا المكان تسور عليه لص فى امارة احمد بن طولون وسرق منه بدرتى دنانير فظفر به احمد بن طولون واصطنعه وعفا عنه * وفى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة أمر العزيز بالله بعمل الفوارة تحت قبة بيت المال فعملت وفرغ منها في شهر رجب سنة تسع وسبعين وثلثمائة ثم زاد فيه صالح بن على بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو يومئذ أمير مصر من قبل أبى العباس السفاح في مؤخره أربع أساطين

وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهو أول من ولى مصر لبنى العباس فيقال انه أدخل في الجامع دار الزبير بن العوام رضى الله عنه وكانت غربى دار النحاس وكان الزبير تخلى عنها ووهبها لمواليه لخصومة جرت بين غلمانه وغلمان عمرو بن العاص واختط الزبير فيما يلى الدار المعروفة به الآن ثم اشتري عبد العزيز بن مروان دار الزبير من مواليه فقسمها بين ابنه الاصبغ وأبى بكر فلما قدم صالح بن على أخذها عن أم عاصم بنت عاصم بن أبى بكر وعن طفل يتيم وهو حسان بن الاصبغ فادخلها في المسجد وباب الكحل من هذه الزيادة وهو الباب الخامس من أبواب الجامع الشرقية الآن وعمر صالح بن على أيضا مقدم المسجد الجامع عند الباب الاول موضع البلاطة الحمراء ثم زاد فيه موسى بن عيسى الهاشمي وهو يومئذ أمير مصر من قبل الرشيد في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة الرحبة التى فى مؤخره وهي نصف الرحبة المعروفة بأبى أيوب ولما ضاق الطريق بهذه الزيادة أخذ موسى ابن عيسى دار الربيع بن سليمان الزهري شركة بني مسكين بغير عوض للربيع ووسع بها الطريق وعوض بني مسكين ووصل عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب مولى خزاعة أميراً من قبل المأمون في شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة ومائتين وتوجه الى الاسكندرية مستهل صفر سنة اثنتي عشرة ومائتين ورجع الى الفسطاط فى جمادى الآخرة من السنة المذكورة وأمر بالزيادة فى المسجد الجامع فزيد فيه مثله من غربيه وعاد ابن طاهر الى بغداد لخمس بقين من رجب من السنة المذكورة وكانت زيادة ابن طاهر المحراب الكبير وما في غربيه الى حد زيادة الخازن فأدخل فيه الزقاق المعروف أولا بزقاق البلاط وقطعة كبيرة من دار الرمل ورحبة كانت بين يدى دار الرمل ودوراً ذكرها القضاعى *وذكر بعضهم أن موضع فسطاط عمرو بن العاص حيث المحراب والمنبر قال وكان الذى تمم زيادة عبد الله بن طاهر بعد مسيره الى بغداد عيسي بن يزيد الجلودى وتكامل ذرع الجامع سوى الزيادتين مائة وتسعين ذراعا بذراع العمل طولا فى مائة وخمسين ذراعا عرضا ويقال ان ذرع جامع بن طولون مثل ذلك سوى الرواق المحيط بجوانبه الثلاثة * ونصب عبد الله بن طاهر اللوح الاخضر فلما احترق الجامع احترق ذلك اللوح فجعل احمد بن محمد العجيفى هذا اللوح مكان ذلك وهو هذا اللوح الاخضر الباقى الى اليوم ورحبة الحارث هى الرحبة البحرية من زيادة الخازن وكانت رحبة يتبايع الناس فيها يوم الجمعة وذكر أبو عمر الكندى فى كتاب الموالى أن أبا عمرو الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف مولى محمد بن ريان بن عبد العزيز بن مروان لما ولى القضاء من قبل المتوكل على الله فى سنة سبع وثلاثين ومائتين امر ببناء هذه الرحبة ليتسع الناس بها وحول سلم المؤذنين الى غربى المسجد وكان عند باب اسرائيل وبلط زيادة بن طاهر وأصلح بنيان السقف وبني

سقاية في الحذائين وأمر ببناء الرحبة الملاصقة لدار الضرب ليتسع الناس بها وزيادة أبي أيوب احمد بن محمد بن شجاع ابن أخت أبي الوزير أحمد بن خالد صاحب الخراج في ايام المعتصم كان أبو أيوب هذا أحد عمال الخراج زمن احمد بن طولون وزيادته في بقية الرحبة المعروفة برحبة أبي أيوب * والمحراب المنسوب الى أبي أيوب هو الغربي من هذه الزيادة عند شباك الحذائين وكان بناؤه في سنة ثمان وخمسين ومائتين ويقال ان أبا أيوب مات في سجن احمد بن طولون بعد أن نكبه واصطفى أمواله وذلك في سنة ست وستين ومائتين وأدخل أبو أيوب في هذه الزيادة أماكن ذكرها * قال وكان قد وقع في مؤخر المسجد الجامع حريق فعمر وزيدت هذه الزيادة في أيام احمد بن طولون ووقع في الجامع في ليلة الجمعة لتسع خلون من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين حريق اخذ من بعد ثلاث حنايا من باب اسرائيل الى رحبة الحارث بن مسكين فهلك فيه اكثر زيادة عبد الله بن طاهر والرواق الذى عليه اللوح الاخضر فأمر خمارويه بن احمد بن طولون بعمارته على يد احمد بن محمد العجيفي فأعيد على ما كان عليه وأنفق فيه ستة آلاف وأربعمائة دينار وكتب اسم خمارويه في دائر الرواق الذى عليه اللوح الاخضر وهي موجودة الآن وكانت عمارته في السنة المذكورة * وأمر عيسى النوشزى في ولايته الثانية على مصر في سنة أربع وتسعين ومائتين باغلاق المسجد الجامع فيما بين الصلوات فكان يفتح للصلاة فقط واقام على ذلك اياما فضج أهل المسجد ففتح لهم * وزاد أبو حفص العباسي في أيام نظره في قضاء مصر خلافة لاخيه محمد الغرفة التي يؤذن فيها المؤذنون في السطح وكانت ولايته في رجب من سنة ست وثلاثين وثلثمائة وكان امام مصر والحرمين واليه اقامة الحج ولم يزل قاضيا بمصر خلافة لاخيه الى أن صرف من القضاء بالخصيبي في ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وثلثمائة وتوفي في سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة بعد قدومه من الحج ثم زاد فيه أبو بكر محمد بن عبد الله الخازن رواقا واحدا من دار الضرب وهو الرواق ذو المحراب والشباكين المتصل برحبة الحارث ومقداره تسع اذرع وكان ابتداء ذلك في رجب سنة سبع وخمسين وثلثمائة ومات قبل تمام هذه الزيادة وتممها ابنه على ابن محمد وفرغت في العشر الأخر من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة * وزاد فيه الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس بأمر العزيز بالله الفوارة التي تحت قبة بيت المال وهو أول من عمل فيه فوارة وزاد فيه أيضا سقائف الخشب المحيطة بها على يد المعروف بالمقدسي الاطروش متولي مسجد بيت المقدس وذلك في سنة ثمان وسبعين وثلثمائة ونصب فيها حباب الرخام التي للماء * وفي سنة سبع وثمانين وثلثمائة جدد بياض المسجد الجامع وقلع شئ كثير من الفسفساء الذي كان في اروقته وبيض مواضعه ونقشت خمسة ألواح وذهبت ونصبت على ابوابه الخمسة الشرقية وهي التي عليها الآن وكان ذلك على يد برجوان الخادم وكان

اسمه ثابتا فى الالواح فقلع بعد قتله * وقال المسبحى فى تاريخه وفى سنة ثلاث وأربعمائة انزل من القصر الى الجامع العتيق بألف ومائتين وثمانيـة وتسعين مصحفا مابين ختمات وربعات فيها ماهو مكتوب كله بالذهب ومكن الناس من القراءة فيها وأنزل اليه أيضا تنور من فضة عمله الحاكم بأمر الله برسم الجامع فيه مائة ألف درهم فضة فاجتمع النـاس وعلق بالجامع بعد ان قلعت عتبتا الباب حتى أدخل به وكان من اجتماع الناس لذلك ماتجاوز الوصف * قال القضاعى وأمر الحاكم بأمر الله بعمل الرواقين اللذين في صحن المسجد الجامع وقلع عمد الخشب وجسر الخشب التى كان هناك وذلك في شعبان سنة ست وأربعمائة وكانت العمد والجسر قد نصبها أبو أيوب احمد بن محمد بن شجاع فى سنة سبع وخمسين ومائتين زمن احمد بن طولون لان الحر اشتد على الناس فشكوا ذلك الى ابن طولون فأمر بنصب عمد الخشب وجعل عليها الستائر فى السنة المذكورة وكان الحاكم قد أمر بأن تدهن هذه العمد الخشب بدهن أحمر وأخضر فلم يثبت عليها ثم أمر بقلعها وجعلها بين الرواقين * وأول ماعملت المقاصير فى الجوامع فى ايام معاوية بن أبى سفيان سنة أربع وأربعين ولعل قرة بن شريك لما بني الجامع بمصر عمل المقصورة * وفى سنة احدى وستين ومائة أمر المهدى بنزع المقاصير من مساجد الامصار وبتقصير المنابر فجعلت على مقدار منبر رسول الله صـلي الله عليه وسلم ثم أعيدت بعد ذلك * ولما ولى مصر موسى بن أبي العباس من أهل الشاش من قبل أبى جعفر اشناس أمر المعتصم أن يخرج المؤذنون الى خارج المقصورة وهو أول من أخرجهم وكانوا قبل ذلك يؤذنون داخلها ثم أمر الامام المستنصر بالله بن الظاهر بعمل الحجر المقابل للمحراب وبالزيادة في المقصورة في شرقيها وغربيها حتي اتصلت بالحـذائين من جانبيها وبعمل منطقة فضة في صدر المحراب الـكبير اثبت عليها اسم أمير المؤمنين وجعل لعمودى المحراب أطواق فضة وجرى ذلك على يد عبد الله بن محمـد بن عبدون فى شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة * قال مؤلفه رحمه الله ولم تزل هذه المنطقة الفضة الى أن استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على مملكة مصر بعد موت الخليفة العاضد لدين الله فى محرم سنة سبع وستين وخمسمائة فقلع مناطق الفضة من الجوامع بالقاهرة ومن جامع عمرو بن العاص بمصر وذلك في حادى عشر شهر ربيع الاول من السنة المذكورة * قال القضاعي وفى شهر رمضان من سنة أربعين وأربعمائة جـددت الخزانة التى فى ظهر دار الضرب فى طريق الشرطة مقابلة لظهر المحراب الـكبير وفى شعبان من سنة احـدى وأربعين وأربعمائة أذهب بقية الجدار القبلي حتى اتصل الاذهاب من جدار زيادة الخازن الى المنبر وجري ذلك على يد القاضى أبي عبد الله أحمد بن محمد بن يحيي بن أبي زكريا * وفي شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة عملت لموقف الامام في زمن الصيف

مقصورة خشب ومحراب ساج منقوش بعمودى صندل وتقلع هذه المقصورة في الشتاء اذا صلى الامام في المقصورة الكبيرة * وفي شعبان سنة أربع وأربعين وأربعمائة زيد في الخزانة مجلس من دار الضرب وطريق المستحم وزخرف هذا المجلس وحسن وجعل فيه محراب ورخم بالرخام الذى قلع من المحراب الكبير حين نصب عبد الله بن محمد بن عبدون منطقة الفضة في صدر المحراب الكبير وجرت هذه الزيادة على يد القاضى أبي عبد الله احمد بن محمد بن يحيى * وفي ذي الحجة من سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة عمر القاضى أبو عبد الله احمد بن محمد بن أبى زكريا غرفة المؤذنين بالسطح وحسنها وجعل لها روشنا على صحن الجامع وجعل بعدها ممرقا ينزل منه الى بيت المال وجعل للسطح مطلعا من الخزانة المستجدة فى ظهر المحراب الكبير وجعل له مطلعا آخر من الديوان الذي فى رحبة أبي أيوب * وفي شعبان من سنة خمس وأربعين وأربعمائة بنيت المئذنة التى فيما بين مئذنة عرفة والمئذنة الكبيرة على يد القاضى أبى عبد الله احمد بن أبي زكريا انتهى ماذكره القضاعى * وفى سنة أربع وستين وخمسمائة تمكن الفرنج من ديار مصر وحكموا في القاهرة حكما جائرا وركبوا المسلمين بالاذي العظيم وتيقنوا أنه لاحامي للبلاد من اجل ضعف الدولة وانكشفت لهم عورات الناس فجمع مرى ملك الفرنج بالساحل جموعه واستجدقوماقوّى بهم عساكره وسار الى القاهرة من بلبيس بعد أن أخذها وقتل كثيرا من أهلها فأمر شاور بن مجير السعدى وهو يومئذ مستول على ديار مصر وزارة للعاضد باحراق مدينة مصر فخرج الناس اليوم التاسع من صفر من السنة المذكورة عشرون ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل مضرمة بالنيران وفرقت فيها ونزل مرى بجموع الفرنج على بركة الحبش فلما رأي دخان الحريق تحول من بركة الحبش ونزل على القاهرة مما يلى باب البرقية وقاتل اهل القاهرة وقد انحشر الناس فيها واستمرت النار في مصر أربعة وخمسين يوما والنهابة تهدم مابها من المباني وتحفر لاخذ الخبايا الى أن بلغ مرى قدوم اسد الدين شيركوه بعسكر من جهة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام فرحل في سابع شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة وتراجع المصريون شيئاً بعد شىء الى مصر وتشعث الجامع فلما استبد السلطان صلاح الدين بمملكة مصر بعد موت العاضد جدد الجامع العتيق بمصر في سنة ثمان وستين وخمسمائة وأعاد صدر الجامع والمحراب الكبير ورخمه ورسم عليه اسمه وجعل في سقاية قاعة الخطابة قصبة الى السطح يرتفق بها أهل السطح وعمر المنظرة التي تحت المئذنة الكبيرة وجعل لها سقاية وعمر في كتف دار عمرو الصغرى البحرى مما يلى الغربي قصبة أخرى الى محاذاة السطح وجعل لها ممشاة من السطح اليها يرتفق بها أهل السطح وعمر غرفة الساعات وحررت فلم تزل مستمرة الى اثناء أيام الملك المعز عز الدين أيبك التركماني أول من ملك

من المماليك وجدد بياض الجامع وأزال شعثه وجلى عمده وأصلح رخامه حتى صار جميعه مفروشا بالرخام وليس فى سائر أرضه شيء بغير رخام حتى تحت الحصر * ولما تقلد قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن الاعز أبى القاسم خلف بن رشيد الدين محمود بن بدر المعروف بابن بنت الاعز العلائى الشافعي قضاء القضاة بالديار المصرية ونظر الاحباس فى ولايته الثانية أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى كشف الجامع بنفسه فوجد مؤخره قد مال الى بحريه ووجد سوره البحرى قد مال وانقلب علوه عن سمت سفله ورأى في سطح الجامع غرفاً كثيرة محدثة وبعضها مزخرف فهدم الجميع ولم يدع بالسطح سوى غرفة المؤذنين القديمة وثلاث خزائن لرؤساء المؤذنين لاغير وجمع أرباب الخبرة فاتفق الرأى على ابطال جريان الماء الى فوارة الفسقية وكان الماء يصل اليها من بحر النيل فأمر بابطاله لما كان فيه من الضرر على جدر الجامع وعمر بغلات بالزيادة البحرية تشد جدار الجامع البحري وزاد فى عمد الزيادة ماقوى به البغلات المذكورة وسد شباكين كانا فى الجدار المذكور ليتقوى بذلك وانفق المصروف على ذلك من مال الاحباس وخشى أن يتداعى الجامع كله الى السقوط فحدث الصاحب الوزير بهاء الدين على بن محمد بن سليم ابن حنا في مفاوضة السلطان فى عمارة ذلك من بيت المال فاجتمعا معا بالسلطان الملك الظاهر بيبرس وسألاه في ذلك فرسم بعمارة الجامع فهدم الجدار البحرى من مقدم الجامع وهو الجدار الذى فيه اللوح الاخضر وحط اللوح وأزيلت العمد والقواصر العشر وعمر الجدار المذكور وأعيدت العمد والقواصر كما كانت وزيد في العمد أربعة قرن بها أربعة مما هو تحت اللوح الاخضر والصف الثانى منه وفصل اللوح الاخضر أجزاء وجدد غيره وأذهب وكتب عليه اسم السلطان الملك الظاهر وجليت العمد كلها وبيض الجامع بأسره وذلك في شهر رجب سنة ست وستين وستمائة وصلى فيه شهر رمضان بعد فراغه ولم تتعطل الصلاة فيه لاجل العمارة * ولما كان فى شهور سنة سبع وثمانين وستمائة شكا قاضى القضاة تقى الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن بنت الاعز للسلطان الملك المنصور قلاون سوء حال جامع عمرو بمصر وسوء حال الجامع الازهر بالقاهرة وأن الاحباس على أسوأ الاحوال وأن مجد الدين بن الحباب أخرب هذه الجهة لما كان يحدث فيها وتقرب بجزيرة الفيل الوقف الصلاحي على مدرسة الشافعية الى الامير علم الدين الشجاعى وذكر له بأن فى أطيانها زيادة فقاسوا ماتجدد بها من الرمال وجعلوه للوقف وأقطعوا الاطيان القديمة الجارية فى الوقف وتقرب أيضاً اليه بأن فى الاحباس زيادة من جملتها بالاعمال الغربية مامبلغه في السنة ثلاثون ألف درهم وأن ذلك لجهة عمارة الجامعين وسأل السلطان في اعادة ذلك وابطال ماقطع منه فلم يجب الى ذلك وأمر الامير حسام الدين طرنطاي بعمارة

الجامع الازهر والامير عز الدين الافرم بعمارة جامع عمرو فحضر الافرم الى الجامع بمصر ورسم على مباشرى الاحباس وكشف المساجد لغرض كان في نفسه وبيض الجـامع وجرد نصف العمد التى فيه فصار العمود نصفه الاسفل أبيض وباقيه بحاله ودهن واجهة غرفة الساعات بالسيلقون وأجرى الماء من البئر التى بزقاق الاقفال الى فسقية الجامع ورمى ما كان بالزيادات من الاتربة و بطر العوام به فيما فعله بالجامع فصاروا يقولون نقل الديماس من البحر الى الجامع لكونه دهن الغرفة بالسيلقون وألبس العواميد للشيخ العريان لكونه جرد نصفها التحتانى فصار أبيض الاسفل اسمر الاعلى كما كان الشيخ العريان فان نصفه الاسفل كان مستورا بمئزر أبيض وأعلاه عريان ولم يفعل بالجامع سوى ماذكر * ولما حدثت الزلزلة في سنة اثنتين وسبعمائة تشعث الجامع فاتفق الاميران بيبرس الجاشنكير وهو يومئذ أستادار الملك الناصر محمد بن قلاون والامير سلار وهو نائب السلطنة واليهما تدبير الدولة على عمارة الجامعين بمصر والقاهرة فتولى الامير ركن الدين بيبرس عمارة الجامع الحاكمي بالقاهرة وتولى الامير سلار عمارة جامع عمرو بمصر فاعتمد سلار على كاتبه بدر الدين بن خطاب فهدم الحد البحرى من سلم السطح الى باب الزيادة البحرية والشرقيـة وأعاده على ما كان عليه وعمل بابين جديدين للزيادة البحرية والغربية وأضاف الى كل عمود من الصف الاخير المقابل للجدار الذى هدمه عموداً آخر تقوية له وجرد عمد الجامع كلها وبيض الجامع بأسره وزاد في سقف الزيادة الغربية رواقين وبلط سفل ماأسقف منها وخرب بظاهر مصر وبالقرافتين عدة مساجد وأخذ عمدها ليرخم بها صحن الجامع وقلع من رخام الجامع الذى كان تحت الحصر كثيرا من الالواح الطوال ورص الجميع عند باب الجامع المعروف بباب الشرابيين فنقل من هناك الى حيث شاء ولم يعمل منه في صحن الجامع شيء البتة وكان فيما نقل من ألواح الرخام ماطوله أربعة أذرع في عرض ذراع وسدس ذهب بجميع ذلك * ولما ولى علاء الدين بن مروانة نيابة دار العدل قسم جامعى مصر والقاهرة فجعل جامع القاهرة مع نبيه الدين بن السعرتى وجامع عمرو مع بهاء الدين بن السكرى فسقفت الزيادة البحرية الشرقية وكانت قد جعلت حاصلا للحصر وجعل لها درابزين بين البابين يمنع الجانبين من المار من باب الجامع الى باب الزيادة المسلوك منه الى سوق النحاسين وبلط أرضها ورقع بعض رخام صحن الجامع وبلط بعض المجازات وعمل عضائد أعتاب تحوز الصحن عن مواضع الصلاة * ولما كان فى شهور سنة ست وتسعين وستمائة اشترى الصاحب تاج الدين دارا بسوق الاكفانيين وهدمها وجعل مكانها سقاية كبيرة ورفعها الى محاذاة سطح الجامع وجعل لها ممشى يتوصل اليها من سطح الجامع وعمل فى أعلاها أربعة بيوت يرتفق بهم في الخلاء ومكانا برسم ازيار الماء العذب وهدم سقاية

الغرفة التي تحت المئذنة المعروفة بالمنظرة وبناها برجا كبيرا من الارض الى العلو حيث كان أولا وجعل بأعلى هذا البرج بيتا مرتفقا يختص بالغرفة المذكورة كما كان أولا وبيتا ثانيا من خارج الغرفة يرتفق به من هو خارج الغرفة ممن يقرب منها وعمر القاضي صدر الدين ابو عبد الله محمد بن البارنباري سقاية في ركن دار عمرو البحرى الغربى من داره الصغري بعد ما كانت قد تهدمت فأعادها كأحسن ما كانت ثم ان الجامع تشعث ومالت قواصره ولم يبق الا أن يسقط واهل الدولة بعد موت الملك الظاهر برقوق في شغل من اللهو عن عمل ذلك فانتدب الرئيس برهان الدين ابراهيم بن عمر بن على المحلي رئيس التجار يومئذ بديار مصر لعمارة الجامع بنفسه وذويه وهدم صدر الجامع بأسره فيما بين المحراب الكبير الى الصحن طولا وعرضا وأزال اللوح الاخضر وأعاد البناء كما كان أولا وجدد لوحا أخضر بدل الاول ونصبه كما كان وهو الموجود الآن وجرد العمد كلها وتتبع جدر الجامع فرم شعثها كله وأصلح من رخام الصحن ما كان قد فسد ومن السقوف ما كان قد وهي وبيض الجامع كله فجاء كما كان وعاد جديدا بعد ما كاد أن يسقط لولا أقام الله عز وجل هذا الرجل مع ماعرف من شحه وكثرة ضنته بالمال حتي عمره فشكر الله سعيه وبيض محياه وكان انتهاء هذا العمل فى سنة أربع وثمانمائة ولم يتعطل منه صلاة جمعة ولا جماعة في مدة عمارته * قال ابن المتوج ان ذرع هذا الجامع اثنان واربعون ألف ذراع بذراع البز المصري القديم وهو ذراع الحصر المستمر الى الآن فمن ذلك مقدمه ثلاثة عشر ألف ذراع وأربعمائة وخمسة وعشرون ذراعا ومؤخره مثل ذلك وصحنه سبعة آلاف وخمسمائة ذراع وكل من جانبيه الشرقى والغربى ثلاثة آلاف وثمانمائة وخمسة وعشرون ذارعا وذرعه كله بذراع العمل ثمانية وعشرون ألف ذراع وعدد أبوابه ثلاثة عشر بابا منها فى القبلي باب الزيز لحته الذي يدخل منه الخطيب كان به شجرة زيز لحت عظيمة قطعت في سنة ست وستين وسبعمائة وفي البحري ثلاثة ابواب وفى الشرقي خمسة وفي الغربي أربعة وعدد عمده ثلثمائة وثمانية وسبعون عمودا وعدد مآذنه خمس وبه ثلاث زيادات فالبحرية الشرقية كانت لجلوس قاضي القضاة بها فى كل اسبوع يومين وكان بهذا الجامع القصص * قال القضاعى روى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لم يقص في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبي بكر ولا عمر ولا عثمان رضى الله عنهم وانما كان القصص فى زمن معاوية رضى الله عنه * وذكر عمر بن شيبة قال قيل للحسن متى أحدث القصص قال فى خلافة عثمان بن عفان قيل من أول من قص قال تميم الدارى * وذكر عن ابن شهاب قال أول من قص فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تميم الدارى استأذن عمر أن يذكر الناس فأبى عليه حتى كان آخر ولايته فاذن له أن يذكر في يوم الجمعة قبل أن يخرج عمر فاستأذن تميم عثمان بن عفان رضي الله عنه في ذلك

فأذن له أن يذكر يومين في الجمعة فكان تميم يفعل ذلك * وروى ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عليا رضى الله عنه قنت فدعا على قوم من أهل حربه فبلغ ذلك معاوية فأمر رجلا يقص بعد الصبح وبعد المغرب يدعو له ولاهل الشام قال يزيد وكان ذلك أول القصص * وروي عن عبد الله بن مغفل قال أمنا على رضى الله عنه في المغرب فلما رفع رأسه من الركعة الثالثة ذكر معاوية أولا وعمرو بن العاص ثانيا وأبا الاعور يعني السلمى ثالثا وكان أبو موسى الرابع * وقال الليث بن سعد هما قصصان قصص العامة وقصص الخاصة فأما قصص العامة فهو الذى يجتمع اليه النفر من الناس يعظهم ويذكرهم فذلك مكروه لمن فعله ولمن استمعه وأما قصص الخاصة فهو الذى جعله معاوية ولى رجلا على القصص فاذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عز وجل وحمده ومجده وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا للخليفة ولاهل ولايته ولحشمه وجنوده ودعا على أهل حربه وعلى المشركين كافة * ويقال ان أول من قص بمصر سليمان بن عتر التجيبي في سنة ثمان وثلاثين وجمع له القضاء الى القصص ثم عزل عن القضاء وأفرد بالقصص وكانت ولايته على القصص والقضاء سبعا وثلاثين سنة منها سنتان قبل القضاء ويقال انه كان يختم القرآن في كل ليلة ثلاث مرات وكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ويسجد في المفصل ويسلم تسليمة واحدة ويقرأ في الركعة الاولى بالبقرة وفى الثانية بقل هو الله أحد ويرفع يديه فى القصص اذا دعا وكان عبد الملك بن مروان شكا الى العلماء ما انتشر عليه من أمور رعيته وتخوفه من كل وجه فأشار عليه أبو حبيب الحمصى القاضي بأن يستنصر عليهم برفع يديه الى الله تعالى فكان عبد الملك يدعو ويرفع يديه وكتب بذلك الى القصاص فكانوا يرفعون أيديهم بالغداة والعشي * وفى هذا الجامع مصحف اسماء وهو الذى تجاه المحراب الكبير * قال القضاعى كان السبب في كتب هذا المصحف أن الحجاج بن يوسف الثقفى كتب مصاحف وبعث بها الى الامصار ووجه الى مصر بمصحف منها فغضب عبد العزيز بن مروان من ذلك وكان الوالى يومئذ من قبل أخيه عبد الملك وقال يبعث الى جند أنا فيه بمصحف فأمر فكتب له هذا المصحف الذى فى المسجد الجامع اليوم فلما فرغ منه قال من وجد فيه حرفا خطأ فله رأس أحمر وثلاثون دينارا فتداوله القراء فأتى رجل من قراء الكوفة اسمه زرعة بن سهل الثقفى فقرأه تهجيا ثم جاء الى عبد العزيز بن مروان فقال له انى قد وجدت في المصحف حرفا خطأ فقال مصحفى قال نعم فنظر فاذا فيه ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة فاذا هى مكتوبة نجمة قد قدمت الجيم قبل العين فأمر بالمصحف فأصلح ما كان فيه وأبدلت الورقة ثم أمر له بثلاثين دينارا وبرأس أحمر ولما فرغ من هذا المصحف كان يحمل الى المسجد الجامع غداة كل جمعة من دار عبد العزيز فيقرأ فيه ثم يقص ثم يرد الى موضعه فكان أول من قرأ فيه عبد الرحمن بن حجيرة الخولانى لانه كان يتولى

القصص والقضاء يومئذ وذلك في سنة ست وسبعين ثم تولى بعده القصص أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني وكان قاضيا بالاسكندرية قبل ذلك ثم توفي عبد العزيز فى سنة ست وثمانين فبيع هـذا المصحف في ميراثه فاشتراه ابنه أبو بكر بألف دينار ثم توفي أبو بكر فاشترته أسماء ابنة أبي بكر بن عبد العزيز بسبعمائة دينار فأمكنت الناس منـه وشهرته فنسب اليها فلما توفيت أسماء اشتراه أخوها الحكم بن عبد العزيز بن مروان من ميراثها بخمسمائة دينار فأشار عليه توبة بن نمر الحضرمى القاضى وهو متولى القصص يومئذ بالمسجد الجامع بعد عقبة بن مسلم الهمدانى واليه القضاء وذلك في سنة ثمان عشرة ومائة بجمله في المسجد الجامع وأجرى على الذى يقرأ فيه ثلاثة دنانير في كل شهر من غلة الاصطبل فكان توبة أول من قرأ فيه بعد أن أقر في الجامع وتولى القصص بعد توبة أبو اسماعيل خير بن نعيم الحضرمي القاضي في سنة عشرين ومائة وجمع له القضاء والقصص فكان يقرأ فى المصحف قائما ثم يقص وهو جالس فهو أول من قرأ فى المصحف قائما ولم تزل الأئمة يقرؤن في المسجد الجامع في هذا المصحف فى كل يوم جمعة الى أن ولى القصص أبو رجب العلاء بن عاصم الخولانى فى سنة اثنتين وثمانين ومائة فقرأ فيه يوم الاثنين وكان قد جعل المطلب الخزاعى أمير مصر من قبل المأمون رزق أبي رجب العلاء عشرة دنانير على القصص وهو أول من سلم فى الجامع تسليمتين بكتاب ورد من المأمون يأمر فيه بذلك وصلى خلفه محمد بن ادريس الشافعى حين قدم الى مصر فقال هكذا تكون الصلاة ماصليت خلف احد أتم صلاة من أبى رجب ولا أحسن * ولما ولى القصص حسن بن الربيع بن سليمان من قبل عنبسة بن اسحاق أمير مصر من قبل المتوكل في سنة أربعين ومائتين امر أن تترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة فتركها الناس وأمر أن تصلى التراويح خمس تراويح وكانت تصلي قبل ذلك ست تراويح وزاد فى قراءة المصحف يوما فكان يقرأ يوم الاثنين ويوم الخميس ويوم الجمعة * ولما ولى حمزة بن أيوب ابن ابراهيم الهاشمى القصص بكتاب من المكتفى فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين صلى في مؤخر المسجد حين نكس وأمر أن يحمل اليه المصحف ليقرأ فيه فقيل له انه لم يحمل المصحف الى أحد قبلك فلو قمت وقرأت فيه فى مكانه فقال لا افعل ولـكن ائتونى به فان القرآن علينا انزل والينا اتي فأتي به فقرأ فيه فى المؤخر وهو أول من قرأ في المصحف فى المؤخر ولم يقرأ في المصحف بعد ذلك فى المؤخر الى أن تولى أبو بكر محمد بن الحسن السوسى الصلاة والقصص في اليوم العشرين من شعبان سـنة ثلاث وأربعمائة فنصب المصحف فى مؤخر الجامع حيال الفوارة وقرأ فيه أيام نكس الجامع فاستمر الامر على ذلك الى الآن * ولما تولى القصص أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلم الملطى فى سنة احدي وثلثمائة عزم على القراءة فى المصحف في كل يوم فتكلم على بن قديد فى ذلك ومع منه وقال أعزم على أن يخلق المصحف

ويقطعه ايرى عبد العزيز بن مران حيا فيكتب له مثله فرجع الى القراءة ثلاثة ايام * وكان قد حضر الى مصر رجل من أهل العراق وأحضر مصحفا ذكر أنه مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه وانه الذي كان بين يديه يوم الدار وكان فيه أثر الدم وذكر أنه استخرج من خزائن المقتدر ودفع المصحف الى عبد الله بن شعيب المعروف بابن بنت وليد القاضي فأخذه أبو بكر الخازن وجعله فى الجامع وشهره وجعل عليه خشباً منقوشاً وكان الامام يقرأ فيه يوما وفى مصحف أسماء يوما ولم يزل على ذلك الى أن رفع هذا المصحف واقتصر على القراءة فى مصحف أسماء وذلك في أيام العزيز بالله لخمس خلون من المحرم سنة ثمان وسبعين وثلثمائة * وقد أنكر قوم أن يكون هذا المصحف مصحف عثمان رضى الله عنه لان نقله لم يصح ولم يثبت بحكاية رجل واحد * ورأيت أنا هذا المصحف وعلى ظهره مانسخته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين هذا المصحف الجامع لكتاب الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه حمله المبارك مسعود بن سعد الهيتى لجماعة المسلمين القراء للقرآن التالين له المتقربين الى الله جل ذكره بقراءته والمتعلمين له ليكون محفوظاً أبداً ماتقى ورقه ولم يذهب اسمه ابتغاء ثواب الله عز وجل ورجاء غفرانه وجعله عدة ليوم فقره وفاقته وحاجته اليه أناله الله ذلك برأفته وجعل ثوابه بينه وبين جماعة من نظر فيه وقد درس مابعد هذا الكلام من ظهر المصحف والمندرس يشبه أن يكون وتبصر في ورقه وقصد بايداعه فسطاط مصر في المسجد الجامع جامع المسلمين العتيق ليحفظ حفظ مثله مع سائر مصاحف المسلمين فرحم الله من حفظه ومن قرأ فيه ومن عنى به وكان ذلك في يوم الثلاثاء مستهل ذى القعدة سنة سبع وأربعين وثلثمائة وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى آله وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل * قال ابن المتوج ودليل بطلان ماقاله هذا المعترض ظهور التعصب على عثمان رضى الله عنه من تجيب وخافهم أن الناس قد جربوا هذا المصحف وهو الذى على الكرسى الغربي من مصحف أسماء انه مافتح قط الا وحدث حادث في الوجود لتحقيق ماحدث أولا والله أعلم * ( قال القضاعى ذكر المواضع المعروفة بالبركة من الجامع يستحب الصلاة والدعاء عندها ) * منها البلاطة التي خلف الباب الاول في مجلس بن عبد الحكم * ومنها باب البرادع روى عن رجل من صلحاء المصريين يقال له أبو هارون الخرقى قال رأيت الله عز وجل فى منامى فقلت له يارب انت تراني وتسمع كلامي قال نعم ثم قال أتريد أن أريك بابا من ابواب الجنة قلت نعم يارب فأشار الى باب أصحاب البرادع أو الباب الاقصي مما يلي رحبة حارث وكان أبو هارون هذا يصلى الظهر والعصر فيما بينهما * وقال ابن المتوج وعند المحراب الصغير الذى في جدار الجامع الغربى ظاهر المقصورة فيما بين بابى الزيادة الغربية الدعاء عنده مستجاب قال ومن ذلك باب مقصورة عرفة * ومنها عند

خرزة البئر التى بالجامع * ومنها قبال اللوح الاخضر * ومنها زاوية فاطمة ويقال انها فاطمة ابنة عفان لما وصى والدها أن تترك لله في الجامع فتركت في هذا المكان فعرف بها *ومنها سطح الجامع والطواف به سبع مرات يبدأ بالاولى من باب الخزانة الاولى التى يستقبلها الداخل من باب السطح وهو يتلو الى أن يصل الى زاوية السطح التى عند المئذنة المعروفة بعرفة يقف عندها ثم يدعو بما أراد ثم يمر وهو يتلو الى أن يصل الى الركن الشرقى عند المئذنة المشهورة بالكبيرة ثم يدعو بما أراد ويمر الى الركن البحرى الشرقى فيقف محاذيا لغرفة المؤذنين ويدعو ثم يمر وهو يتلو الى المكان الذى ابتدأ منه يفعل ذلك سبع مرات فان حاجته تقضي * قال القضاعى ولم يكن الناس يصلون بالجامع بمصر صلاة العيد حتى كانت سنة ست ويقال سنة ثمان وثلثمائة فصلى فيه رجل يعرف بعلى بن احمد بن عبد الملك الفهمى يعرف بابن أبي شيخة صلاة الفطر ويقال انه خطب من دفتر نظرا وحفظ عنه اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مشركون فقال بعض الشعراء

وقام في العيد لنا خاطب * يحرض الناس على الكفر

وتوفى سنة تسع وثلثمائة * ( وبالجامع زوايا يدرس فيها الفقه ) * منها زاوية الامام الشافعى رضى الله عنه يقال انه درس بها الشافعي فعرفت به وعليها أرض بناحية سندبيس وقفها السلطان الملك العزيز عثمان ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ولم يزل يتولى تدريسها أعيان الفقهاء وجلة العلماء * ومنها الزاوية المجدية بصدر الجامع فيما بين المحراب الكبير ومحراب الخمس داخل المقصورة الوسطى بجوار المحراب الكبير رتبها مجد الدين أبو الاشبال الحارث بن مهذب الدين أبي المحاسن مهلب بن حسن بن بركات بن على بن غياث المهلبى الازدى البهنسى الشافعى وزير الملك الاشرف موسى بن العادل أبي بكر ابن أيوب بحران وقرر في تدريسها قريبه قاضى القضاة وجيه الدين عبد الوهاب البهنسى وعمل على هذه الزاوية عدة أوقاف بمصر والقاهرة ويعد تدريسها من المناصب الجليلة وتوفي المجد في صفر سنة ثمان وعشرين وستمائة بدمشق عن ثلاث وستين سنة * ومنها الزاوية الصاحبية حول عرفة رتبها الصاحب تاج الدين محمد بن فخر الدين محمد بن بهاء الدين بن حنا وجعل لها مدرسين أحدهما مالكى والآخر شافعي وجعل عليها وقفا بظاهر القاهرة بخط البراذعيين * ومنها الزاوية الكمالية بالمقصورة المجاورة لباب الجامع الذى يدخل اليه من سوق الغزل رتبها كمال الدين السمنودى وعليها فندق بمصر موقوف عليها * ومنها الزاوية التاجية أمام المحراب الخشب رتبها تاج الدين السطحي وجعل عليها دورا بمصر موقوفة عليها * ومنها الزاوية المعينية في الجانب الشرقى من الجامع رتبها معين الدين الدهروطى وعليها وقف بمصر * ومنها الزاوية العلائية تنسب لعلاء الدين الضرير وهى في صحن الجامع

وهي لقراءة ميعاد * ومنها الزاوية الزينية رتبها الصاحب زين الدين لقراءة ميعاد أيضا ذكر ذلك ابن المتوج * واخبرني المقرى الاديب المؤرخ الضابط شهاب الدين احمد بن عبد الله ابن الحسن الاوحدى رحمه الله قال أخبرنى المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات قال أخبرنى العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى أنه أدرك بجامع عمرو ابن العاص بمصر قبل الوباء الكائن في سنة تسع وأربعين وسبعمائة بضعا وأربعين حلقة لاقراء العلم لاتكاد تبرح منه * قال ابن المأمون حدثنى القاضى المكين بن حيدرة وهو من أعيان الشهود بمصر أن من جملة الخدم التى كانت بيد والده مشارفة الجامع العتيق وان القومة باجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود عنده الى أن يعملوا ثمانية عشر ألف فتيلة وأن المطلق برسمه خاصة في كل ليلة برسم وقوده أحد عشر قنطارا ونصف زيتاً طيباً

*(ذكر المحاريب التى بديار مصر وسبب اختلافها وتعيين الصواب فيها وتبيين الخطأ منها)*

* اعلم أن محاريب ديار مصر التى يستقبلها المسلمون في صلواتهم أربعة محاريب * أحدها محراب الصحابة رضى الله عنهم الذى أسسوه فى البلاد التى استوطنوها والبلاد التى كثر ممرهم بها من اقليم مصر وهو محراب المسجد الجامع بمصر المعروف بجامع عمرو ومحراب المسجد الجامع بالجيزة وبمدينة بلبيس وبالاسكندرية وقوص واسوان وهذه المحاريب المذكورة على سمت واحد غير أن محاريب ثغر اسوان أشد تشريقا من غيرها وذلك أن اسوان مع مكة شرفها الله تعالى في الاقليم الثانى وهو الحد الغربى من مكة بغير ميل الى الشمال ومحراب بلبيس مغرب قليلا * والمحراب الثانى محراب مسجد أحمد بن طولون وهو منحرف عن سمت محراب الصحابة وقد ذكر في سبب انحرافه أقوال * منها أن أحمد بن طولون لما عزم على بناء هذا المسجد بعث الى محراب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ سمته فاذا هو مائل عن خط سمت القبلة المستخرج بالصناعة نحو العشر درج الى جهة الجنوب فوضع حينئذ محراب مسجده هذا مائلا عن خط سمت القبلة الى جهة الجنوب بنحو ذلك اقتداء منه بمحراب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه وخط له المحراب فلما أصبح وجد النمل قد أطاف بالمكان الذى خطه له رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقيل غير ذلك وانت ان صعدت الى سطح جامع ابن طولون رأيت محرابه مائلا عن محراب جامع عمرو بن العاص الى الجنوب ورأيت محراب المدارس التى حدثت الى جانبه قد انحرفت عن محرابه الى جهة الشرق وصار محراب جامع عمرو فيما بين محراب ابن طولون والمحاريب الاخر وقد عقد مجلس بجامع ابن طولون فى ولاية قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن محمد بن جماعة حضره علماء الميقات منهم الشيخ تقى الدين محمد بن محمد بن موسى الغزولى

والشيخ أبو الطاهر محمد بن محمد ونظروا فى محرابه فأجمعوا على انه منحرف عن خط سمت القبلة الى جهة الجنوب مغربا بقدر أربع عشرة درجة وكتب بذلك محضر وأثبت على ابن جماعة * والمحراب الثالث محراب جامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر وما في سمته من بقية محاريب القاهرة وهى محاريب يشهد الامتحان بتقدم واضعها فى معرفة استخراج القبلة فانها على خط سمت القبلة من غير ميل عنه ولا انحراف البتة * والمحراب الرابع محاريب المساجد التي في قرى بلاد الساحل فانها تخالف محاريب الصحابة الا أن محراب جامع منية غمر قريب من سمت محاريب الصحابة فان الوزير أبا عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالمأمون البطائحى وزير الخليفة الآمر بأحكام الله أبى على منصور بن المستعلي بالله أنشأ جامعا بمنية زفتا في سنة ست عشرة وخمسمائة فجعل محرابه على سمت المحاريب الصحيحة * وفي قرافة مصر بجوار مسجد الفتح عدة مساجد تخالف محاريب الصحابة مخالفة فاحشة وكذلك بمدينة مصر الفسطاط غير مسجد على هذا الحكم * فأما محاريب الصحابة التى بفسطاط مصر والاسكندرية فان سمتها يقابل مشرق الشتاء وهو مطالع برج العقرب مع ميل قليل الى ناحية الجنوب ومحاريب مساجد القرى وما حول مسجد الفتح بالقرافة فانها تستقبل خط نصف النهار الذى يقال له خط الزوال وتميل عنه الى جهة المغرب وهذا الاختلاف بين هذين المحرابين اختلاف فاحش يفضى الى ابطال الصلاة * وقد قال ابن عبد الحكم قبلة أهل مصر أن يكون القطب الشمالى على الكتف الايسر وهذا سمت محاريب الصحابة قال واذا طلعت منازل العقرب وتكملت صورته فمحا ذاته سمت القبلة لديار مصر وبرقة وافريقية وما والاها وفي الفرقدين والقطب الشمالى كفاية للمستدلين فانهم ان كانوا مستقبلين فى مسيرهم من الجنوب جهة الشمال استقبلوا القطب والفرقدين وان كانوا سائرين الى الجنوب من الشمال استدبروها وان كانوا سائرين الى الشرق من المغرب جعلوها على الاذن اليسرى وان كانوا سائرين من الشرق الى المغرب جعلوها على الاذن اليمنى وان كان مسيرهم الى النكباء التي بين الجنوب والصبا جعلوها على الكتف الايسر وان كان مسيرهم الى النكباء التي بين الجنوب والدبور جعلوها على الكتف الايمن وان كان مسيرهم الى النكباء التي بين الشمال والدبور جعلوها على الحاجب الايمن وان كان مسيرهم الي النكباء التى بين الشمال والصبا جعلوها على الحاجب الايسر *واذا عرف ذلك فانه يستحيل تصويب محرابين مختلفين فى قطر واحد اذا زاد اختلافهما على مقدار مايتسامح به في التيامن والتياسر وبيان ذلك أن كل قطر من اقطار الارض كبلاد الشام وديار مصر ونحوهما من الاقطار قطعة من الارض واقعة في مقابلة جزء من الكعبة والكعبة تكون في جهة من جهات ذلك القطر فاذا اختلف محرابان فى قطر واحد فانا نتيقن أن أحدهما صواب والآخر خطأ الا أن يكون القطر قريبا

من مكة وخطته التي هو محدود بها متسعة اتساعا كثيرا يزيد على الجزء الذى يخصه لو وزعت الكعبة أجزاء متماثلة فانه حينئذ يجوز التيامن والتياسر في محاريبه وذلك مثل بلاد البجة فانها على الساحل الغربي من بحر القلزم ومكة واقعة في شرقيها ليس بينهما الا مسافة البحر فقط وما بين جدة ومكة من البر وخطة بلاد البجة مع ذلك واسعة مستطيلة على الساحل أولها عيذاب وهى محاذية لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتميل عنها في الجنوب ميلا قليلا والمدينة شامية عن مكة بنحو عشرة أيام وآخر بلاد البجة من ناحية الجنوب سواكن وهى مائلة في ناحية الجنوب عن مكة ميلا كثيراً وهذا المقدار من طول بلاد البجة يزيد على الجزء الذى يخص هذه الخطة من الارض لو وزعت الارض أجزاء متساوية الى الكعبة فيتعين والحالة هذه التيامن أو التياسر فى طرفي هذه البلاد لطالب جهة الكعبة * وأما اذا بعد القطر عن الكعبة بعدا كثيرا فانه لا يضر اتساع خطته ولا يحتاج فيه الى تيامن ولا تياسر لاتساع الجزء الذى يخصه من الارض فان كل قطر منها له جزء يخصه من الكعبة من أجل أن الكعبة من البلاد المعمورة كالكرة من الدائرة فالاقطار كلها في استقبال الكعبة محيطة بها كاحاطة الدائرة بمركزها وكل قطر فانه يتوجه الى الكعبة في جزء يخصه والاجزاء المنقسمة اذا قدرت الارض كالدائرة فانها تتسع عند المحيط وتتضايق عند المركز فاذا كان القطر بعيدا عن الكعبة فانه يقع في متسع الحد ولا يحتاج فيه الى تيامن ولا تياسر بخلاف ما اذا قرب القطر من الكعبة فانه يقع فى متضايق الجزء ويحتاج عند ذلك الى تيامن أو تياسر فان فرضنا أن الواجب اصابة عين الكعبة في استقبال الصلاة لمن بعد عن مكة وقد علمت ما فى هذه المسألة من الاختلاف بين العلماء فانه لا يتسامح في اختلاف المحاريب بأكثر من قدر التيامن والتياسر الذى لا يخرج عن حد الجهة فلو زاد الاختلاف حكم ببطلان أحد المحاربين ولا بد اللهم الا أن يكونا فى قطرين بعيدين بعضهما من بعض وليسا على خط واحد من مسامتة الكعبة وذلك كبلاد الشام وديار مصر فان البلاد الشامية لها جانبان وخطها متسعة مستطيلة فى شمال مكة وتمتد اكثر من الجزء الخاص بها بالنسبة الى مقدار بعدها عن الكعبة وفى هذين القطرين يجرى ماتقدم ذكره في أرض البجة الا أن التيامن والتياسر ظهوره في البلاد الشامية اقل من ظهوره في أرض البجة من أجل بعد البلاد الشامية عن الكعبة وقرب أرض البجة وذلك أن البلاد الشامية وقعت في متسع الجزء الخاص بها فلم يظهر أثر التيامن والتياسر ظهورا كثيرا كظهوره فى أرض البجة لان البلاد الشامية لها جانب شرقي وجانب غربي ووسط فجانبها الغربى هو أرض بيت المقدس وفلسطين الى العريش أول حد مصر وهذا الجانب من البلاد الشامية يقابل الكعبة على حد مهب النكباء التي بين الجنوب والصبا وأما جانب البلاد الشامية الشرقي فانه ما كان

مشرقا عن مدينة دمشق الى حلب والفرات وما يسامت ذلك من بلاد الساحل وهذه الجهة تقابل الكعبة مشرقا عن أوسط مهب الجنوب قليلا وأما وسط بلاد الشام فانها دمشق وما قاربها وتقابل الكعبة على وسط مهب الجنوب وهذا هو سمت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ميل يسير عنه الى ناحية المشرق * وأما مصر فانها تقابل الكعبة فيما بين الصبا ومهب النكباء التي بين الصبا والجنوب ولذلك لما اختلف هذان القطران أعني مصر والشام في محاذاة الكعبة اختلفت محاريبهما وعلى ذلك وضع الصحابة رضى الله عنهم محاريب الشام ومصر على اختلاف السمتين فأما مصر بعينها وضواحيها وما هو في حدها أو على سمتها أو في البلاد الشامية وما في حدها أو على سمتها فانه لايجوز فيها تصويب محرابين مختلفين اختلافا بينا فان تباعد القطر عن القطر بمسافة قريبة أو بعيدة وكان القطران على سمت واحد في محاذاة الكعبة لم يضر حينئذ تباعدهما ولا تختلف محاريبهما بل تكون محاريب كل قطر منهما على حد واحد وسمت واحد وذلك كمصر وبرقة وافريقية وصقلية والاندلس فان هذه البلاد وان تباعد بعضها عن بعض فانها كلها تقابل الكعبة على حد واحد وسمتها جميعها سمت مصر من غير اختلاف البتة وقد تبين بما تقرر حال الاقطار المختلفة من الكعبة في وقوعها منها * وأما اختلاف محاريب مصر فان له أسبابا أحدها حمل كثير من الناس قوله صلى الله عليه وسلم الذى رواه الحافظ أبو عيسى الترمذي من حديث أبي هريرة رضى عنه مابين المشرق والمغرب قبلة على العموم وهذا الحديث قد روى موقوفا على عمر وعثمان وعلى وابن عباس ومحمد ابن الحنيفة رضى الله عنهم وروى عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا قال احمد بن حنبل هذا في كل البلدان قال هذا المشرق وهذا المغرب وما بينهما قبلة قيل له فصلاة من صلى بينهما جائزة قال نعم وينبغي أن يتحرى الوسط وقال احمد بن خالد قول عمر مابين المشرق والمغرب قبلة قاله بالمدينة فمن كانت قبلته مثل قبلة المدينة فهو في سعة مما بين المشرق والمغرب ولسائر البلدان من السعة في القبلة مثل ذلك بين الجنوب والشمال وقال أبو عمر بن عبد البر لاخلاف بين أهل العلم فيه * قال مؤلفه رحمه الله اذا تأملت وجدت هذا الحديث يختص بأهل الشام والمدينة وما على سمت تلك البلاد شمالا وجنوبا فقط والدليل على ذلك أنه يلزم من حمله على العموم ابطال التوجه الى الكعبة في بعض الاقطار والله سبحانه قد افترض على الكافة أن يتوجهوا الى الكعبة في الصلاة حيثما كانوا بقوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وقد عرفت ان كنت تمهرت في معرفة البلدان وحدود الاقاليم أن الناس في توجههم الى الكعبة كالدائرة حول المركز فمن كان في الجهة الغربية من الكعبة فان جهة قبلة صلاته الى المشرق ومن كان في الجهة الشرقية من الكعبة فانه يستقبل في صلاته جهة المغرب

ومن كان فى الجهة الشمالية من الكعبة فانه يتوجه في صلاته الى جهة الجنوب ومن كان في الجهة الجنوبية من الكعبة كانت صلاته الى جهة الشمال ومن كان من الكعبة فيما بين المشرق والجنوب فان قبلته فيما بين الشمال والمغرب ومن كان من الكعبة فيما بين الجنوب والمغرب فان قبلتـه فيما بين الشمال والمشرق ومن كان من الكعبة فيما بين المشرق والشمال فقبلته فيما بين الجنوب والمغرب ومن كان من الكعبة فيما بين الشمال والمغرب فقبلته فيما بين الجنوب والمشرق * فقد ظهر مايلزم من القول بعموم هذا الحديث من خروج أهل المشرق الساكنين به وأهل المغرب أيضاً عن التوجه الى الكعبة في الصلاة عينا وجهة لأن من كان مسكنه من البلاد ماهو في أقصى المشرق من الكعبة لو جعل المشرق عن يساره والمغرب عن يمينه لكان انما يستقبل حينئذ جنوب أرضه ولم يستقبل قط عين الكعبة ولا جهتها فوجب ولا بد حمل الحديث على أنه خاص بأهل المدينة والشام وما على سمت ذلك من البلاد بدليل ان المدينة النبوية واقعة بين مكة وبين أوسط الشام على خط مستقيم والجانب الغربي من بلاد الشام التي هي أرض المقدس وفلسطين يكون عن يمين من يستقبل بالمدينة الكعبة والجانب الشرقي الذى هو حمص وحلب وما والى ذلك واقع عن يسار من استقبل الكعبة بالمدينة والمدينة واقعـة في أوسط جهة الشام على جهـة مستقيمة بحيث لو خرج خط من الكعبة ومر على استقامة الى المدينة النبوية لنفذ منها الى أوسط جهة الشام سواء وكذلك لو خرج خط من مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجه على استقامة لوقع فيما بين الميزاب من الكعبة وبين الركن الشامى فلو فرضنا أن هذا الخط خرق الموضع الذى وقع فيه من الكعبة ومر لنفذ الى بيت المقدس على استواء من غير ميل ولا انحراف البتة وصار موقع هذا الخط فيما بين نكباء الشمال والدبور وبين القطب الشمالى وهو الى القطب الشمالى اقرب وأميل ومقابلته مابين أوسط الجنوب ونكباء الصبا والجنوب وهو الى الجنوب اقرب والمدينة النبوية مشرقة عن هذا السمت ومغربة عن سمت الجانب الآخر من بلاد الشام وهو الجانب الغربي تغريباً يسيرا فمن يستقبل مكة بالمدينة يصير المشرق عن يساره والمغرب عن يمينه وما بينهما فهو قبلته وتكون حينئذ الشام بأسرها وجملة بلادها خلفه فالمدينة على هـذا في أوسط جهات البلاد الشامية ويشهد بصدق ذلك مارويناه من طريق مسلم رحمه الله عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال رقيت على بيت أختى حفصة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا لحاجته مستقبل الشام مستدبر القبلة وله أيضا من حديث ابن عمر بينا الناس في صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستدار الى الكعبة فهذا أعزك الله أوضح دليل أن المدينة بين مكة والشام على حد واحد وأنها في أوسط جهة بلاد الشام فمن استقبل بالمدينة الكعبة

فقد استدبر الشام ومن استدبر بالمدينة الكعبة فقد استقبل الشام ويكون حينئذ الجانب الغربي من بلاد الشام وما على سمته من البلاد جهة القبلة عندهم أن يجعل الواقف مشرق الصيف عن يساره ومغرب الشتاء عن يمينه فيكون مابين ذلك قبلته وتكون قبلة الجانب الشرقي من بلاد الشام وما على سمت ذلك من البلدان أن يجعل المصلى مغرب الصيف عن يمينه ومشرق الشتاء عن يساره وما بينهما قبلته ويكون أوسط البلاد الشامية التي هى حد المدينة النبوية قبلة المصلى بها أن يجعل مشرق الاعتدال عن يساره ومغرب الاعتدال عن يمينه وما بينهما قبلة له فهذا أوضح استدلال على أن الحديث خاص بأهل المدينة وما على سمتها من البلاد الشامية وما وراءها من البلدان المسامتة لها وهكذا أهل اليمن وما على سمت اليمن من البلاد فان القبلة واقعة فيما هنالك بين المشرق والمغرب لكن على عكس وقوعها في البلاد الشامية فانه تصير مشارق الكواكب في البلاد الشامية التى على يسار المصلى واقعة عن يمين المصلى في بلاد اليمن وكذلك كل ما كان من المغارب عن يمين المصلى بالشام فانه ينقلب عن يسار المصلى باليمن وكل من قام ببلاد اليمن مستقبلا الكعبة فانه يتوجه الى بلاد الشام فيما بين المشرق والمغرب وهذه الاقطار سكانها هم المخاطبون بهذا الحديث وحكمه لازم لهم وهو خاص بهم دون من سواهم من أهل الاقطار الأخر ومن أجل حمل هذا الحديث على العموم كان السبب في اختلاف محاريب مصر * ( السبب الثاني ) في اختلاف محاريب مصر أن الديار المصرية لما افتتحها المسلمون كانت خاصة بالقبط والروم مشحونة بهم ونزل الصحابة رضى الله عنهم من أرض مصر في موضع الفسطاط الذى يعرف اليوم بمدينة مصر وبالاسكندرية وتركوا سائر قرى مصر بأيدى القبط كما تقدم في موضعه من هذا الكتاب ولم يسكن أحد من المسلمين بالقرى وانما كانت رابطة تخرج الي الصعيد حتى اذا جاء أوان الربيع انتشر الاتباع في القري لرعى الدواب ومعهم طوائف من السادات ومع ذلك فكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينهى الجند عن الزرع ويبعث الى أمراء الاجناد باعطاء الرعية أعطياتهم وأرزاق عيالهم وينهاهم عن الزرع * روى الامام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر من طريق ابن وهب عن حيوة ابن شريح عن بكر بن عمرو عن عبد الله بن هبيرة أن عمر بن الخطاب أمر بمناديه أن يخرج الى أمراء الاجناد يتقدمون الى الرعية أن عطاءهم قائم وأن ارزاق عيالهم سابل فلا يزرعون ولا يزارعون * قال ابن وهب واخبرنى شريك بن عبد الرحمن المرادى قال بلغنا أن شريك بن سمى الغطفاني أتي الى عمرو بن العاص فقال انكم لاتعطونا مايحسبنا افتأذن لى بالزرع فقال له عمرو ماأقدر على ذلك فزرع شريك من غير اذن عمرو فلما بلغ ذلك عمرا كتب الى عمر بن الخطاب يخبره أن شريك بن سمى الغطفاني حرث بأرض مصر

فكتب اليه عمر أن ابعث الىّ به فلما انتهى كتاب عمر الى عمرو أقرأه شريكا فقال شريك لعمرو قتلتني ياعمرو فقال عمرو ماأنا بالذى قتلتك أنت صنعت هذا بنفسك فقال له اذا كان هذا من رأيك فائذن لى بالخروج من غير كتاب ولك على عهد الله أن أجعل يدى فى يده فاذن له بالخروج فلما وقف على عمر قال تؤمنني يا أمير المومنين قال ومن أى الاجناد أنت قال من جند مصر قال فلعلك شريك بن سمى الغطفاني قال نعم يا أمير المؤمنين قال لأجعلنك نكالا لمن خلفك قال أو تقبل منى ماقبل الله تعالى من العباد قال وتفعل قال نعم فكتب الى عمرو بن العاص ان شريك بن سمى جاءنى تائبا فقبلت منه * قال وحدثنا عبد الله بن صالح ابن عبد الرحمن بن شريح عن أبي قبيل قال كان الناس يجتمعون بالفسطاط اذا قفلوا فاذا حضر مرافق الريف خطب عمرو بن العاص الناس فقال قد حضر مرافق الريف وبيعكم فانصرفوا فاذا حمض اللبن واشتد العود وكثر الذباب فحيّ على فسطاطكم ولا أعلمن ماجاء أحد قد أسمن نفسه وأهزل جواده * وقال ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال كان عمرو يقول للناس اذا قفلوا من غزوهم انه قد حضر الربيع فمن أحب منكم أن يخرج بفرسه يربعه فليفعل ولا أعلمن ماجاء أحد قد أسمن نفسه وأهزل فرسه فاذا حمض اللبن وكثر الذباب ولوى العود فارجعوا الى قيروانكم * وعن ابن لهيعة عن الاسود بن مالك الحميرى عن بحير بن ذاخر المعافري قال رحت أنا ووالدى الى صلاة الجمعة تهجيرا وذلك بعد حميم النصارى بأيام يسيرة فأطلنا الركوع اذ أقبل رجال بأيديهم السياط يزجرون الناس فذعرت فقلت ياأبت من هؤلاء فقال يابني هؤلاء الشرط فأقام المؤذنون الصلاة فقام عمرو بن العاص على المنبر فرأيت رجلا ربعة قصير القامة وافر الهامة أدعج أبلج عليه ثياب موشاة كأن به العقبان تأتلق عليه حلة وعمامة وجبة فحمد الله وأثنى عليه حمدا موجزا وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ووعظ الناس وأمرهم ونهاهم فسمعته يحض على الزكاة وصلة الارحام ويأمر بالاقتصاد وينهى عن الفضول وكثرة العيال واخفاض الحال في ذلك فقال يامعشر الناس اياكم وخلالا اربعا فانها تدعو الى النصب بعد الراحة والى الضيق بعد السعة والى الذلة بعد العزة اياكم وكثرة العيال واخفاض الحال وتضييع المال والقيل بعد القال في غير درك ولا نوال ثم انه لابد من فراغ يؤول اليه المرء في توديع جسمه والتدبير لشانه وتخليته بين نفسه وبين شهواتها ومن صار الى ذلك فليأخذ بالقصد والنصيب الاقل ولا يضيع المرء فى فراغه نصيب العلم من نفسه فيحوز من الخير عاطلا وعن حلال الله وحرامه غافلا يامعشر الناس انه قد تدلت الجوزاء وذكت الشعرى وأقلعت السماء وارتفع الوباء وقل الندى وطاب المرعى ووضعت الحوامل ودرجت السخائل وعلى الراعى بحسن رعيته حسن النظر فحيّ لكم على بركة الله تعالى الى ريفكم فنالوا من خيره ولبنه وخرافه وصيده واربعوا خيلكم

وأسمنوها وصونوها واكرموها فانها جنتكم من عدوكم وبها مغانمكم وأنفالكم واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا واياكم والمومسات المعسولات فانهن يفسدن الدين ويقصرن الهمم حدثني عمر أمير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم فيكم صهرا وذمة فكفوا ايديكم وعفوا فروجكم وغضوا أبصاركم ولا اعلمن ماأتى رجل قد اسمن جسمه وأهزل فرسه واعلموا أني معترض الخيل كاعتراض الرجال فمن اهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك واعلموا انكم في رباط الى يوم القيامة لكثرة الاعداء حولكم وتشوف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية وحدثنى عمر أمير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أُجناد الارض فقال له أبو بكر رضى الله عنه ولم يارسول الله قال لانهم وأزواجهم في رباط الى يوم القيامة فاحمدوا الله معشر الناس على ماأولاكم فتمتعوا في ريفكم ماطاب لكم فاذا يبس العود وسخن الماء وكثر الذباب وحمض اللبن وصوح البقل وانقطع الورد من الشجر فحي الى فسطاطكم على بركة الله ولا يقد من أحد منكم ذو عيال الا ومعه تحفة لعياله على ماأطاق من سعته أو عسرته أقول قولى هذا وأستحفظ الله عليكم قال فحفظت ذلك عنه فقال والدى بعد انصرافنا الى المنزل لما حكيت له خطبته انه يابنى يحذر الناس اذا انصرفوا اليه على الرباط كما حذرهم على الريف والدعة * قال وكان اذا جاء وقت الربيع كتب لكل قوم بربيعهم ولبنهم الي حيث أحبوا وكانت القرى التى يأخذ فيها معظمهم منوف وسمنود واهناس وطحا وكان أهل الراية متفرقين فكان آل عمرو بن العاص وآل عبد الله بن سعد يأخذون في منوف ووسيم وكانت هذيل تأخذ في ببا وبوصير وكانت عدوان تأخذ في بوصير وقرى عك والذى يأخذ فيه معظمهم بوصير ومنوف وسنديبس واتريب وكانت بلى تأخذ في منف وطرانية وكانت فهم تأخذ في اتريب وعين شمس ومنوف وكانت مهرة تأخذ في مناوتمي وبسطة ووسيم وكانت لخم تأخذ فى الفيوم وطرانية وقربيط وكانت جذام تأخذ في قربيط وطرانية وكانت حضرموت تأخذ في ببا وعين شمس واتريب وكانت مراد تأخذ فى منف والفيوم ومعهم عبس بن زوف وكانت حمير تأخذ فى بوصير وقرى اهناس وكانت خولان تأخذ فى قرى اهناس والقيس والبهنسا وآل وعلة يأخذون فى سفط من بوصير وآل ابرهة يأخذون في منف وغفار وأسلم يأخذون مع وائل من جذام وسعد في بسطة وقربيط وطرانية وآل يسار بن ضبة في اتريب وكانت المعافر تأخذ في اتريب وسخا ومنوف وكانت طائفة من تجيب ومراد يأخذون باليدقون وكان بعض هذه القبائل ربما جاور بعضا في الربيع ولا يوقف فى معرفة ذلك على أحد الا

أن معظم القبائل كانوا يأخذون حيث وصفنا وكان يكتب لهم بالربيع فيربعون ما أقاموا وباللبن وكان لغفار وليث أيضاً مربع باتريب قال واقامت مدلج بخربتا فاتخذوها منزلا وكان معهم نفر من حمير حالفوهم فيها فهي منازلهم ورجعت خشين وطائفة من لخم وجذام فنزلوا أكناف صان وابليل وطرانية ولم تكن قيس بالحوف الشرقي قديما وانما انزلهم به ابن الحبحاب وذلك انه وفد الى هشام بن عبد الملك فأمر له بفريضة خمسة آلاف رجل فجعل ابن الحبحاب الفريضة في قيس وقدم بهم فأنزلهم الحوف الشرقي بمصر فانظر أعزك الله ما كان عليه الصحابة وتابعوهم عند فتح مصر من قلة السكنى بالريف ومع ذلك فكانت القرى كلها في جميع الاقليم أعلاه وأسفله مملوءة بالقبط والروم ولم ينتشر الاسلام في قرى مصر الا بعد المائة من تاريخ الهجرة عند ماأنزل عبيد الله بن الحبحاب مولى سلول قيسا بالحوف الشرقي فلما كان فى المائة الثانية من سني الهجرة كثر انتشار المسلمين بقرى مصر ونواحيها وما برحت القبط تنقض وتحارب المسلمين الى مابعد المائتين من سني الهجرة *قال أبو عمر ومحمد بن يوسف الكندى في كتاب أمراء مصر وفي امرة الحر بن يوسف أمير مصر كتب عبيد الله بن الحبحاب صاحب خراج مصر الى هشام بن عبد الملك بان ارض مصر تحتمل الزيادة فزاد على كل دينار قيراطا فنقضت كورة تنو وتمى وقربيط وطرانية وعامة الحوف الشرقى فبعث اليهم الحر بأهل الديوان فحاربوهم فقتل منهم خلق كثير وذلك أول نقض القبط بمصر وكان نقضهم فى سنة تسع ومائة ورابط الحر بن يوسف بدمياط ثلاثة اشهر ثم نقض أهل الصعيد وحارب القبط عمالهم فى سنة احدى وعشرين ومائة فبعث اليهم حنظلة بن صفوان أمير مصر أهل الديوان فقتلوا من القبط ناسا كثيرا فظفر بهم وخرج بحنس وهو رجل من القبط من سمنود فبعث اليه عبد الملك بن مروان موسى بن نصير أمير مصر فقتل بحنس فى كثير من اصحابه وذلك فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة وخالفت القبط أيضاً برشيد فبعث اليهم مروان ابن محمد الحمار لما دخل مصر فارا من بني العباس عثمان بن أبي سبعة فهزمهم وخرج القبط على يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة أمير مصر بناحية سخا ونابذوا العمال وأخرجوهم في سنة خمسين ومائة وصاروا الى شبراسنباط وانضم اليهم أهل البشرود والاوسية والنخوم فاتي الخبر يزيد بن حاتم فعقد لنصر بن حبيب المهلبي على أهل الديوان ووجوه أهل مصر فخرجوا اليهم ولقيهم القبط وقتلوا من المسلمين فألقى المسلمون النار في عسكر القبط وانصرف العسكر الى مصر منهزما *وفي ولاية موسى بن على بن رباح على مصر خرج القبط ببلهيت فى سنة ست وخمسين ومائة فخرج اليهم عسكر فهزمهم ثم نقضت القبط في جمادى الاولى سنة ست عشرة ومائتين مع من نقض من أهل اسفل الارض من العرب وأخرجوا العمال وخلعوا الطاعة لسوء سيرة العمال فيهم فكانت بينهم وبين الجيوش حروب امتدت الى أن قدم الخليفة

عبد الله أمير المؤمنين المأمون الى مصر لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فعقد على جيش بعث به الى الصعيد وارتحل هو الى سخا وأوقع الافشين بالقبط فى ناحية البشرود حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين فحكم بقتل الرجال وبيع النساء والاطفال فبيعوا وسبي أكثرهم وتتبع كل من يوما أليه بخلاف فقتل ناسا كثيرا ورجع الى الفسطاط في صفر ومضى الى حلوان وعاد لثمان عشرة خلت من صفر فكان مقامه بالفسطاط وسخا وحلوان تسعة وأربعين يوما * فانظر أعزك الله كيف كانت اقامة الصحابة انما هي بالفسطاط والاسكندرية وانه لم يكن لهم كثير اقامة بالقرى وان النصارى كانوا متمكنين من القرى والمسلمون بها قليل وانهم لم ينتشروا بالنواحى الا بعد عصر الصحابة والتابعين يتبين لك انهم لم يؤسسوا فى القرى والنواحي مساجد وتفطن لشئ آخر وهو أن القبط ما برحوا كما تقدم يثبتون لمحاربة المسلمين دالة منهم بما هم عليه من القوة والكثرة فلما أوقع بهم المأمون الوقعة التى قلنا غلب المسلمون على أماكنهم من القرى لما قتلوا منهم وسبوا وجعلوا عدة من كنائس النصارى مساجد وكنائس النصارى مؤسسة على استقبال المشرق واستدبار المغرب زعما منهم انهم أمروا باستقبال مشرق الاعتدال وأنه الجنة لطلوع الشمس منه فجعل المسلمون أبواب الكنائس محاريب عند ما غلبوا عليها وصيروها مساجد فجاءت موازيه لخط نصف النهار وصارت منحرفة عن محاريب الصحابة انحرافا كثيرا يحكم بخطئها وبعدها عن الصواب كما تقدم * (السبب الثالث) تساهل كثير من الناس فى معرفة أدلة القبلة حتى انك لتجد كثيرا من الفقهاء لا يعرفون منازل القمر صورة وحسابا وقد علم من له ممارسة بالرياضيات أن بمنازل القمر يعرف وقت السحر وانتقال الفجر فى المنازل وناهيك بما يترتب على معرفة ذلك من أحكام الصلاة والصيام وهذه المنازل التي للقمر من بعض ما يستدل به على القبلة والطرقات وهي من مبادى العلم وقد جهلوه فمن اعوزه الادني فحري به أن يجهل ما هو أعلى منه وأدق * (السبب الرابع) الاعتذار بنجم سهيل فان كثيرا ما يقع الاعتذار عن مخالفة محاريب المتأخرين بأنها بنيت على مقابلة سهيل ومن هنا يقع الخطأ فان هذا أمر يحتاج فيه الى تحرير وهو أن دائرة سهيل مطلعها جنوب مشرق الشتاء قليلا وتوسطها فى أوسط الجنوب وغروبها يميل عن اوسط الجنوب قليلا فلعل من تقدم من السلف أمر ببناء المساجد في القرى على مقابلة مطالع سهيل ومطلعه فى سمت قبلة مصر تقريبا فجهل من قام بأمر البنيان فرق ما بين مطالع سهيل وتوسطه وغروبه وتساهل فوضع المحراب على مقابلة توسط سهيل وهو أوسط الجنوب فجاء المحراب حينئذ منحرفا عن السمت الصحيح انحرافا لا يسوغ التوجه اليه البتة * (السبب الخامس) أن المحاريب الفاسدة بديار مصر أكثرها فى البلاد الشمالية التي تعرف بالوجه البحري والذى يظهر أن الغلط دخل على من وضعها من جهة ظنه أن هذه البلاد لها حكم بلاد الشام وذلك أن بلاد مصر التى فى

الساحل كثيرة الشبه ببلاد الشام في كثرة أمطارها وشدة بردها وحسن فواكهها فاستطرد الشبه حتي في المحاريب ووضعها على سمت المحاريب الشامية فجاء شيأ خطأ وبيان ذلك أن هذه البلاد ليست بشمالية عن الشام حتى يكون حكمها في استقبال الكعبة كالحكم في البلاد الشامية بل هى مغربة عن الجانب الغربى من الشام بعدة أيام وسمتاهما مختلفان فى استقبال الكعبة لاختلاف القطرين فان الجانب الغربى من الشام كما تقدم يقابل ميزاب الكعبة على خط مستقيم وهو حيث مهب النكباء التى بين الشمال والدبور ووسط الشام كدمشق وما والاها شمال مكة من غير ميل وهم يستقبلون أوسط الجنوب في صلاتهم بحيث يكون القطب الشمالى المسمى بالجدي وراء ظهورهم والمدينة النبوية بين هذا الحد من الشام وبين مكة مشرقة عن هذا الحد قليلا فاذا كانت مصر مغربة عن الجانب الغربى من الشام بأيام عديدة تعين ووجب أن تكون محاريبها ولابد مائلة الى جهة المشرق بقدر بعد مصر وتغريبها عن أوسط الشام وهذا أمر يدركه الحس ويشهد لصحته العيان وعلى ذلك اسس الصحابة رضى الله عنهم المحاريب بدمشق وبيت المقدس مستقبلة ناحية الجنوب وأسسوا المحاريب بمصر مستقبلة المشرق مع ميل يسير عنه الى ناحية الجنوب * فرض رحمك الله نفسك في التمييز وعود نظرك التأمل وأربأ بنفسك أن تقاد كما تقاد البهيمة بتقليدك من لا يؤمن عليه الخطأ فقد نهجت لك السبيل في هذه المسألة وألنت لك من القول وقربت لك حتى كأنك تماين الاقطار وكيف موقعها من مكة * ولى هنا مزيد بيان فيه الفرق بين اصابة العين واصابة الجهة وهو أن المكلف لو وقف وفرضنا انه خرج خط مستقيم من بين عينيه ومر حتي اتصل بجدار الكعبة من غير ميل عنها الى جهة من الجهات فانه لابد أن ينكشف لبصره مدى عن يمينه وشماله لا ينتهى بصره الى غيره ان كان لا ينحرف عن مقابلته فلو فرضنا امتداد خطين من كلا عينى الواقف بحيث يلتقيان فى باطن الرأس على زاوية مثلثة ويتصلان بما انتهى اليه البصر من كلا الجانبين لكان ذلك شكلا مثلثا بقسمة الخط الخارج من بين العينين الى الكعبة بنصفين حتي يصير ذلك الشكل بين مثلثين متساويين فالخط الخارج من بين عيني مستقبل الكعبة الذى فرق بين الزاويتين هو مقابلة العين التي اشترط الشافعى رحمه الله وجوب استقباله من الكعبة عند الصلاة ومنتهى ما يكشف بصر المستقبل من الجانبين هو حد مقابلة الجهة التى قال جماعة من علماء الشريعة بصحة استقباله في الصلاة والخطان الخارجان من العينين الى طرفيه هما آخر الجهة من اليمين والشمال فمهما وقعت صلاة المستقبل على الخط الفاصل بين الزاويتين كان قد استقبل عن الكعبة ومهما وقعت صلاته منحرفة عن يمين الخط أو يساره بحيث لا يخرج استقباله عن منتهى حد الزاويتين المحدودتين بما يكشف بصره من الجانبين فانه مستقبل جهة الكعبة وان خرج استقباله عن حد الزاويتين من

أحد الجانبين فانه يخرج في استقباله عن حد جهة الكعبة وهذا الحد في الجهة يتسع ببعد المدى ويضيق بقربه فأقصي ماينتهى اليه اتساعه ربع دائرة الافق وذلك أن الجهات المعتبرة فى الاستقبال اربع المشرق والمغرب والجنوب والشمال فمن استقبل جهة من هذه الجهات كان أقصى ما ينتهى اليه سعة تلك الجهة ربع دائرة الافق وان انكشف لبصره اكثر من ذلك فلا عبرة به من اجل ضرورة تساوي الجهات فانا لوفرضنا انسانا وقف في مركز دائرة واستقبل جزأ من محيط الدائرة لكانت كل جهة من جهاته الاربع التى هى وراءه وأمامه ويمينه وشماله تقابل ربعا من أرباع الدائرة فتبين بما قلنا أن أقصى ماينتهى اليه اتساع الجهة قدر ربع دائرة الافق فأى جزء من أجزاء دائرة الافق قصده الواقف بالاستقبال في بلد من البلدان كانت جهة ذلك الجزء المستقبل ربع دائرة الافق وكان الخط الخارج من بين عينى الواقف الى وسط تلك الجهة هو مقابلة العين ومنتهى الربع من جانبيه يمنة ويسرة هو منتهى الجهة التي قد استقبلها فما خرج من محاريب بلد من البلدان عن حد جهة الكعبة لا تصح الصلاة لذلك المحراب بوجه من الوجوه وما وقع في جهة الكعبة صحت الصلاة اليه عند من يرى أن الفرض في استقبال الكعبة اصابة جهتها وما وقع فى مقابلة عين الكعبة فهو الاسد الافضل الاولى عند الجمهور * وان أنصفت علمت أنه مهما وقع الاستقبال في مقابلة جهة الكعبة فانه يكون سديدا وأقرب منه الى الصواب ما وقع قريبا من مقابلة العين يمنة أو يسرة بخلاف ما وقع بعيدا عن مقابلة العين فانه بعيد من الصواب ولعله هو الذى يجرى فيه الخلاف بين علماء الشريعة والله اعلم * وحيث تقرر الحكم الشرعى بالادلة السمعية والبراهين العقلية فى هذه المسألة فاعلم أن المحاريب المخالفة لمحاريب الصحابة التى بقرافة مصر وبالوجه البحرى من ديار مصر واقعة في آخر جهة الكعبة من مصر وخارجة عن حد الجهة وهي مع ذلك في مقابلة مابين البجة والنوبة لا فى مقابلة الكعبة فانها منصوبة على موازاة خط نصف النهار ومحاريب الصحابة علي موازاة مشرق الشتاء تجاه مطالع العقرب مع ميل يسير عنها الى ناحية الجنوب فاذا جعلنا مشرق الشتاء المذكور مقابلة عين الكعبة لاهل مصر وفرضنا جهة ذلك الجزء ربع دائرة الافق صار سمت المحاريب التى هى موازية لخط نصف النهار خارجا عن جهة الكعبة والذى يستقبلها فى الصلاة يصلى الى غير شطر المسجد الحرام وهو خطر عظيم فاحذره * واعلم أن صعيد مصر واقع فى جنوب مدينة مصر وقوص واقعة فى شرقي الصعيد وفيما بين مهب ريح الجنوب والصبا من ديار مصر فالمتوجه من مدينة قوص الى عيذاب يستقبل مشرق الشتاء سواء الي أن يصل الى عيذاب ولايزال كذلك اذا سار من عيذاب حتي ينتهى فى البحر الى جدة فاذا سار من جدة في البر استقبل المشرق كذلك حتى يحل بمكة فاذا عاد من مكة استقبل المغرب فاعرف من هذا

أن مكة واقعة فى النصف الشرقى من الربع الجنوبى بالنسبة الى أرض مصر وهذا هو سمت محاريب الصحابة التي بديار مصر والاسكندرية وهو الذي يجب أن يكون سمت جميع محاريب اقليم مصر *( برهان آخر ) وهو أن من سار من مكة يريد مصر على الجادة فانه يستقبل مابين القطب الشمالى الذى هو الجدى وبين مغرب الصيف مدة يومين وبعض اليوم الثالث وفي هذه المدة يكون مهب النكباء التي بين الشمال والمغرب تلقاء وجهه ثم يستقبل بعد ذلك في مدة ثلاثة أيام أوسط الشمال بحيث يبقى الجدى تلقاء وجهه الى أن يصل الى بدر فاذا سار من بدر الى المدينة النبوية صار مشرق الصيف تلقاء وجهه تارة ومشرق الاعتدال تارة الى أن ينتهى الى المدينة فاذا رجع من المدينة الى الصفراء استقبل مغرب الشتاء الى أن يعدل الى ينبع فيصير تارة يسير شمالا وتارة يسير مغربا ويكون ينبع من مكة على حد النكباء التي بين الشمال ومغرب الصيف فاذا سار من ينبع استقبل مابين الجدى ومغرب الثريا وهو مغرب الصيف وهبت النكباء تلقاء وجهه الى أن يصل الى مدين فاذا سار من مدين استقبل تارة الشمال وأخرى مغرب الصيف حتى يدخل ايلة ومن ايلة لايزال يستقبل مغرب الاعتدال تارة ويميل عنه الى جهة الجنوب مع استقبال مغرب الشتاء أخرى الى أن يصل الى القاهرة ومصر فلو فرضنا خطا خرج من محاريب مصر الصحيحة التى وضعها الصحابة ومر على استقامة من غير ميل ولا انحراف لاتصل بالكعبة ولصق بها *واعلم أن أهل مصر والاسكندرية وبلاد الصعيد وأسفل الارض وبرقة وافريقية وطرابلس المغرب وصقلية والاندلس وسواحل المغرب الى السوس الاقصى والبحر المحيط وما على سمت هذه البلاد يستقبلون فى صلاتهم من الكعبة مابين الركن الغربي الى الميزاب فمن أراد أن يستقبل الكعبة في شيء من هذه البلاد فليجعل بنات نعش اذا غربت خلف كتفه الايسر واذا طلعت على صدغه الايسر ويكون الجدى على أذنه اليسرى ومشرق الشمس تلقاء وجهه أوريح الشمال خلف أذنه اليسرى أوريح الدبور خلف كتفه الايمن أوريح الجنوب التي تهب من ناحية الصعيد على عينه اليمنى فانه حينئذ يستقبل من الكعبة سمت محاريب الصحابة الذين أمرنا الله باتباع سبيلهم ونهانا عن مخالفتهم بقوله عز وجل ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدي ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ألهمنا الله بمنه اتباع طريقهم وصيرنا بكرمه من حزبهم وفريقهم انه على كل شئ قدير

### *( جامع العسكر )*

هذا الجامع بظاهر مصر وهو حيث الفضاء الذى هو اليوم فيما بين جامع احمد بن طولون وكوم الجارح بظاهر مدينة مصر وكان الى جانب الشرطة والدار التى يسكنها امراء مصر ومن هذه الدار الى الجامع باب وكان يجمع فيه الجمعة وفيه منبر ومقصورة وهذا الجامع

بناه الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس في ولايته امارة مصر ملاصقا لشرطة العسكر التي كان يقال لها الشرطة العليا في سنة تسع وستين ومائة فكانوا يجمعون فيه وكانت ولاية الفضل امارة مصر من قبل المهدى محمد بن أبي جعفر المنصور على الصلاة والخراج فدخلها سلخ المحرم سنة تسع وستين ومائة في عسكر من الجند عظيم أتى بهم من الشام ومصر تضطرم لما كان في الحوف ولخروج دحية بن مصعب بن الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان فقام في ذلك وجهز الجنود حتى أسر دحية وضرب عنقه في جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكان يقول أنا أولى الناس بولاية مصر لقيامي في أمر دحية وقد عجز عنه غيرى حتي كفيت أهل مصر أمره فعزله موسي الهادى لما استخلف بعد موت أبيه المهدى بعد ماأقره فندم الفضل على قتله دحية وأظهر توبة وسار الى بغداد فمات عن خمسين سنة في سنة اثنتين وسبعين ومائة ولم يزل الجامع بالعسكر الى أن ولى عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب مولى خزاعة على صلات مصر وخراجها من قبل عبد الله أمير المؤمنين المأمون في ربيع الاول سنة احدي عشرة ومائتين فزاد في عمارته وكان الناس يصلون فيه الجمعة قبل بناء جامع احمد بن طولون ولم يزل هذا الجامع الى مابعد الخمسمائة من سني الهجرة قال ابن المأمون في تاريخه من حوادث سنة سبع عشرة وخمسمائة وكان يطلق في الاربع ليالى الوقود وهي مستهل رجب ونصفه ومستهل شعبان ونصفه برسم الجوامع الستة الازهر والانور والاقمر بالقاهرة والطولوني والعتيق بمصر وجامع القرافة والمشاهد التي تتضمن الاعضاء الشريفة وبعض المساجد التي يكون لاربابها وجاهة جملة كثيرة من الزيت الطيب ويختص بجامع راشدة وجامع ساحل الغلة بمصر والجامع بالمقس يسير ويعني بجامع ساحل الغلة جامع العسكر فان العسكر حينئذ كان قد خرب وحملت انقاضه وصار الجامع بساحل مصر وهو الساحل القديم المذكور في موضعه من هذا الكتاب

## * ( ذكر العسكر ) *

كان مكان العسكر في صدر الاسلام يعرف بعد الفتح بالحمراء القصوي وهي كما تقدم خطة بني الازرق وخطة بني روبيل وخطة بني يشكر بن جزيلة من لخم ثم دثرت هذه الحمراء وصارت صحراء فلما زالت دولة بني أمية ودخلت المسودة الى مصر في طلب مروان ابن محمد الجعدى في سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهي خراب فضاء يعرف بعضه بجبل يشكر نزل صالح بن علي بن عبد الله بن عباس وأبو عون عبد الملك بن يزيد بعسكرهما في هذا الفضاء وأمر عبد الملك أبو عون اصحابه بالبناء فيه فبنوا وسمى من يومئذ بالعسكر وصار امراء مصر اذا قدموا ينزلون فيه من بعد أبي عون وقال الناس من عهده كنا بالعسكر خرجنا الى العسكر وكنت في العسكر فصارت مدينة الفسطاط والعسكر ونزل الامراء من

عهد أبي عون بالعسكر فلما ولى يزيد بن حاتم امارة مصر وقام على بن محمد بن عبد الله بن حسن وطرق المسجد كتب أبو جعفر المنصور الى يزيد بن حاتم يأمره أن يتحول من العسكر الى الفسطاط وأن يجعل الديوان في كنائس القصر وذلك فى سنة ست وأربعين ومائة الى أن قدم الامير أبو العباس أحمد بن طولون من العراق أميرا على مصر فنزل بالعسكر بدار الامارة التي بناها صالح بن على بعد هزيمة مروان وقتله وكان لها باب الى الجامع الذى بالعسكر وكان الامراء ينزلون بهذه الدار الى أن نزلها أحمد بن طولون ثم تحول منها الى القطائع وجعلها أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون عند امارته على مصر ديوانا للخراج ثم فرقت حجرا حجرا بعد دخول محمد بن سليمان الكاتب الى مصر وزوال دولة بنى طولون وسكن محمد بن سليمان أيضا بدار في العسكر عند المصلى القديم ونزلها الامراء من بعده الى أن ولى الاخشيد محمد بن طفج فنزل بالعسكر أيضا ولما بنى احمد بن طولون القطائع اتصلت مبانيها بالعسكر وبنى الجامع على جبل يشكر فعمر ماهنالك عمارة عظيمة بحيث كانت هناك دار على بركة قارون أنفق عليها كافور الاخشيدى مائة ألف دينار وسكنها وكان هناك مارستان احمد بن طولون أنفق عليه وعلى مستغله ستين ألف دينار * وقدمت عساكر المعز لدين الله مع كاتبه وغلامه جوهر القائد في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة والعسكر عامر غير أنه منذ بنى احمد بن طولون القطائع هجر اسم العسكر وصار يقال مدينة الفسطاط والقطائع فلما خرب محمد بن سليمان الكاتب قصر ابن طولون وميدانه كما ذكر فى موضعه من هذا الكتاب صارت القطائع فيها المساكن الجليلة حيث كان العسكر وأنزل المعز لدين الله عمه أبا على فى دار الامارة فلم يزل أهلها بها الى أن خربت القطائع فى الغلاء الكائن بمصر فى خلافة المستنصر أعوام بضع وخمسين وأربعمائة فيقال انه كان هنالك ماينيف على مائة ألف دار ولا ينكر ذلك فانظر مابين سفح الجبل حيث القلعة الآن وبين ساحل مصر القديم الذى يعرف اليوم بالكبارة وما بين كوم الجارح من مصر وقناطر السباع فهناك كانت القطائع والعسكر ويخص العسكر من ذلك مابين قناطر السباع وحدرة ابن قميحة الى كوم الجارح حيث الفضاء الذى يتوسط فيما بين قنطرة السد وباب المجدم من جهة القرافة فهناك كان العسكر ولما استولى الخراب فى المحنة زمن المستنصر أمر الوزير الناصر للدين عبد الرحمن البازورى ببناء حائط يستر الخراب اذا توجه الخليفة الى مصر فيما بين العسكر والقطائع وبين الطريق وأمر فبنى حائط آخر عند جامع ابن طولون فلما كان في خلافة الآمر بأحكام الله أبي على منصور بن المستعلى بالله أمر وزيره أبو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالمأمون البطائحي فنودي مدة ثلاثة أيام في القاهرة ومصر بأن من كان له دار فى الخراب أو مكان يعمره ومن عجز عن عمارته يبيعه أو يؤجره من غير نقل شئ من أنقاضه

ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له ولا حكر يلزمه وأباح تعمير جميع ذلك بغير طلب حق فعمر الناس ما كان منه مما يلي القاهرة من حيث مشهد السيدة نفيسة الى ظاهر باب زويلة ونقلت أنقاض العسكر فصار الفضاء الذى يوصل اليه من مشهد السيدة نفيسة ومن الجامع الطولوني ومن قنطرة السد ويسلك فيه الى حيث كوم الجارح والعامر الآن من العسكر جبل يشكر الذى فيه جامع ابن طولون وماحوله الى قناطر السباع كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى

## *( جامع ابن طولون )*

هذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر قال ابن عبد الظاهر وهو مكان مشهور باجابة الدعاء وقيل ان موسى عليه السلام ناجي ربه عليه بكلمات * وابتدأ في بناء هذا الجامع الامير أبو العباس احمد بن طولون بعد بناء القطائع في سنة ثلاث وستين ومائتين * قال جامع السيرة الطولونية كان احمد بن طولون يصلى الجمعة فى المسجد القديم الملاصق للشرطة فلما ضاق عليه بني الجامع الجديد مما أفاء الله عليه من المال الذى وجده فوق الجبل فى الموضع المعروف بتنور فرعون ومنه بنى العين فلما أراد بناء الجامع قدر له ثلثمائة عمود فقيل له ماتجدها أو تنفذ الي الكنائس في الارياف والضياع الخراب فتحمل ذلك فأنكر ذلك ولم يختره وتعذب قلبه بالفكر في أمره وبلغ النصرانى الذى تولى له بناء العين وكان قد غضب عليه وضربه ورماه فى المطبق الخبر فكتب اليه يقول أنا ابنيه لك كما تحب وتختار بلا عمد الا عمودى القبلة فأحضره وقد طال شعره حتي نزل على وجهه فقال له ويحك ماتقول في بناء الجامع فقال أنا أصوره للامير حتى يراه عيانا بلا عمد الا عمودي القبلة فأمر بأن تحضر له الجلود فأحضرت وصوره له فأعجبه واستحسنه وأطلقه وخلع عليه وأطلق له للنفقة عليه مائة ألف دينار فقال له أنفق وما احتجت اليه بعد ذلك اطلقناه لك فوضع النصرانى يده في البناء في الموضع الذى هو فيه وهو جبل يشكر فكان ينشر منه ويعمل الجير ويبنى الى أن فرغ من جميعه وبيضه وخلقه وعلق فيه القناديل بالسلاسل الحسان الطوال وفرش فيه الحصر وحمل اليه صناديق المصاحف ونقل اليه القراء والفقهاء وصلى فيه بكار بن قتيبة القاضى وعمل الربيع بن سليمان بابا فيما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من بني لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بني الله له بيتا في الجنة فلما كان أول جمعة صلاها فيه أحمد بن طولون وفرغت الصلاة جلس محمد بن الربيع خارج المقصورة وقام المستملي وفتح باب المقصورة وجلس أحمد بن طولون ولم ينصرف والغلمان قيام وسائر الحجاب حتي فرغ المجلس فلما فرغ المجلس خرج اليه غلام بكيس فيه ألف دينار وقال يقول لك الامير نفعك الله بما علمك وهذه لابى طاهر يعني ابنه وتصدق احمد بن طولون بصدقات عظيمة فيه وعمل

طعاما عظيما للفقراء والمساكين وكان يوما عظيما حسنا * وراح أحمد بن طولون ونزل فى الدار التى عملها فيه للامارة وقد فرشت وعلقت وحملت اليها الآلات والاوانى وصناديق الاشربة وماشاكلها فنزل بها أحمد وجدد طهره وغير ثيابه وخرج من بابها الى المقصورة فركع وسجد شكرا لله تعالى على ماعانه عليه من ذلك ويسره له فلما أراد الانصراف خرج من المقصورة حتى أشرف على الفوارة وخرج الى باب الريح فصعد النصرانى الذى بنى الجامع ووقف الى جانب المركب النحاس وصاح يا أحمد بن طولون يا أمير الامان عبدك يريد الجائزة ويسأل الامان أن لايجرى عليه مثل ماجرى في المرة الاولى فقال له احمد بن طولون انزل فقد امنك الله ولك الجائزة فنزل وخلع عليه وأمر له بعشرة آلاف دينار وأجرى عليه الرزق الواسع الى أن مات * وراح أحمد بن طولون فى يوم الجمعة الى الجامع فلما رقى الخطيب المنبر وخطب وهو أبو يعقوب البلخي دعا للمعتمد ولولده ونسى أن يدعو لاحمد بن طولون ونزل عن المنبر فأشار أحمد الى نسيم الخادم أن اضربه خمسمائة سوط فذكر الخطيب سهوه وهو على مراقى المنبر فعاد وقال الحمد لله وصلى الله على محمد ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما اللهم وأصلح الامير أبا العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين وزاد في الشكر والدعاء له بقدر الخطبة ثم نزل فنظر أحمد الى نسيم أن اجعلها دنانير ووقف الخطيب على ما كان منه فحمد الله تعالى على سلامته وهنأه الناس بالسلامة * ورأى أحمد بن طولون الصناع يبنون في الجامع عند العشاء وكان في شهر رمضان فقال متى يشتري هؤلاء الضعفاء افطارا لعيالهم وأولادهم اصرفوهم العصر فصارت سنة الى اليوم بمصر فلما فرغ شهر رمضان قيل له قد انقضى شهر رمضان فيعودون الى رسمهم فقال قد بلغنى دعاؤهم وقد تبركت به وليس هذا مما يوفر العمل علينا وفرغ منه في شهر رمضان سنة خمس وستين ومائتين وتقرب الناس الى ابن طولون بالصلاة فيه وألزم أولادهم كلهم صلاة الجمعة في فوارة الجامع ثم يخرجون بعد الصلاة الى مجلس الربيع بن سليمان ليكتبوا العلم مع كل واحد منهم وراق وعدة غلمان * وبلغت النفقة على هذا الجامع في بنائه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار * ويقال ان احمد بن طولون رأى في منامه كأن الله تعالى قد تجلى ووقع نوره على المدينة التى حول الجامع الا الجامع فانه لم يقع عليه من النور شئ فتألم وقال والله مابنيته الا لله خالصاً ومن المال الحلال الذى لاشبهة فيه فقال له معبر حاذق هذا الجامع يبقى ويخرب كل ماحوله لان الله تعالى قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا فكل شيء يقع عليه جلال الله عز وجل لايثبت وقد صح تعبير هذه الرؤيا فان جميع ماحول الجامع خرب دهرا طويلا كما تقدم في موضعه من هذا الكتاب وبقي الجامع عامرا ثم عادت العمارة لما حوله كما هي الآن * قال القضاعي رحمه الله وذكر أن السبب في بنائه

أن أهل مصر شكوا اليه ضيق الجامع يوم الجمعة من جنده وسودانه فأمر بانشاء المسجد الجامع بجبل يشكر بن جديلة من لخم فابتدأ بنيانه في سنة ثلاث وستين ومائتين وفرغ منه سنة خمس وستين ومائتين وقيل ان احمد بن طولون قال أريد أن أبني بناء ان احترقت مصر بقى وان غرقت بقى فقيل له يبني بالجير والرماد والآجر الاحمر القوى النار الى السقف ولا يجعل فيه أساطين رخام فانه لاصبر لها علي النار فبناه هذا البناء وعمل في مؤخره ميضأة وخزانة شراب فيها جميع الشرابات والادوية وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة وبناه على بناء جامع سامرا وكذلك المنارة وعلق فيه سلاسل النحاس المفرغة والقناديل المحكمة وفرشه بالحصر العبدانية والسامانية *(حديث الكنز ) * قال جامع السيرة لما ورد على احمد بن طولون كتاب المعتمد بما استدعاه من ورد الخراج بمصر اليه وزاده المعتمد مع ماطلب الثغور الشامية رغب بنفسه عن المعادن ومرافقها فأمر بتركها وكتب باسقاطها في سائر الاعمال ومنع المتقبلين من الفسخ على المزارعين وخطر الارتفاق علي العمال وكان قبل اسقاط المرافق بمصر قد شاور عبد الله بن دسومة في ذلك وهو يومئذ أمين على أبي أيوب متولى الخراج فقال ان أمنني الامير تكلمت بما عندى فقال له قد أمنك الله عز وجل فقال أيها الاميران الدنيا والآخرة ضرتان والحازم من لم يخلط احداهما مع الاخرى والمفرط من خاط بينهما فيتلف أعماله ويبطل سعيه وافعال الامير أيده الله الخير وتوكله توكل الزهاد وليس مثله من ركب خطة لم يحكمها ولو كنا نثق بالنصر دائما طول العمر لما كان شيء عندنا آثر من التضييق على انفسنا في العاجل بعمارة الآجل ولكن الانسان قصير العمر كثير المصائب مدفوع الى الآفات وترك الانسان ماقد أمكنه وصار في يده تضييع ولعل الذى حماه نفسه يكون سعادة لمن يأتى من بعده فيعود ذلك توسعة لغيره بما حرمه هو ويجتمع للامير أيده الله بما قد عزم علي اسقاطه من المرافق في السنة بمصر دون غيرها مئة ألف دينار وان فسخ ضياع الامراء والمتقبلين فى هذه السنة لانها سنة ظمأ توجب الفسخ زاد مال البلد وتوفر توفرا عظيما ينضاف الى مال المرافق فيضبط به الامير ايده الله أمر دنياه وهذه طريقة امور الدنيا وأحكام امور الرياسة والسياسة وكل ما عدل الامير ايده الله اليه من امر غير هذا فهو مفسد لدنياه وهذا رأيي والامير أيده الله على ماعساه يراه فقال له ننظر في هذا ان شاء الله وشغل قلبه كلامه فبات تلك الليلة بعد أن مضى أكثر الليل يفكر في كلام ابن دسومة فرأى في منامه رجلا من اخوانه الزهاد بطرسوس وهو يقول له ليس ماأشار به عليك من استشرته في أمر الارتفاق والفسخ برأى تحمد عاقبته فلا تقبله ومن ترك شيئاً لله عز وجل عوضه الله عنه فأمض ما كنت عزمت عليه فلما اصبح أنفذ الكتب الى سائر الاعمال بذلك وتقدم به في سائر الدواوين

بامضائه ودعا بابن دسومة فعرفه بذلك فقال له قد اشار عليك رجلان الواحد في اليقظة والآخر ميت في النوم وانت الى الحى اقرب وبضمانه أوثق فقال دعنا من هذا فلست أقبل منك وركب في غد ذلك اليوم الى نحو الصعيد فلما امعن في الصحراء ساخت في الارض يد فرس بعض غلمانه وهو رمل فسقط الغلام في الرمل فاذا بفتق ففتح فأصيب فيه من المال ما كان مقداره ألف ألف دينار وهو الكنز الذى شاع خبره وكتب به الى العراق احمد ابن طولون يخبر المعتمد به ويستأذنه فيما يصرفه فيه من وجوه البر وغيرها فبني منه المارستان ثم اصاب بعده في الجبل مالا عظيما فبني منه الجامع ووقف جميع مابقى من المال فى الصدقات وكانت صدقاته ومعروفه لاتحصي كثرة * ولما انصرف من الصحراء وحمل المال أحضر ابن دسومة وأراه المال وقال له بئس الصاحب والمستشار انت هذا أول بركة مشورة الميت في النوم ولولا أنني امنتك لضربت عنقك وتغير عليه وسقط محله عنده ورفع اليه بعد ذلك انه قد أجحف بالناس وألزمهم اشياء ضجوا منها فقبض عليه وأخذ ماله وحبسه فمات في حبسه وكان ابن دسومة واسع الحيلة بخيل الكف زاهدا في شكر الشاكرين لايهش الى شيء من أعمال البر وكان احمد بن طولون من أهل القرآن اذا جرت منه اساءة استغفر وتضرع * وقال ابن عبد الظاهر سمعت غير واحد يقول انه لما فرغ احمد بن طولون من بناء هذا الجامع أسر للناس بسماع مايقوله الناس فيه من العيوب فقال رجل محرابه صغير وقال آخر مافيه عمود وقال آخر ليست له ميضأة فجمع الناس وقال أما المحراب فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خطه لى فأصبحت فرأيت النمل قد أطافت بالمكان الذى خطه لى وأما العمد فاني بنيت هذا الجامع من مال حلال وهو الكنز وما كنت لاشوبه بغيره وهذه العمد اما أن تكون من مسجد أو كنيسة فنزهته عنها وأما الميضأة فانى نظرت فوجدت مايكون بها من النجاسات فطهرته منها وهاأنا أبنيها خلفه ثم أمر ببنائها * وقيل انه لما فرغ من بنائه رأى في منامه كأن نارا نزلت من السماء فأخذت الجامع دون ماحوله فلما اصبح قص رؤياه فقيل له أبشر بقبول الجامع لان النار كانت في الزمان الماضى اذا قبل الله قربانا نزلت نار من السماء أخذته ودليله قصة قابيل وهابيل * قال ورأيت من يقول انه عمل به منطقة دائرة بجميعه من عنبر ولم أر مصنفا ذكره الا انه مستفاض من الافواه والنقلة وسمعت من يقول انه عمر ماحوله حتي كان خلفه مسطبة ذراع في ذراع أجرتها في كل يوم اثنا عشر درهما في بكرة النهار لشخص يبيع الغزل ويشتريه والظهر لخباز والعصر لشيخ يبيع الحمص والفول * وقيل عن احمد بن طولون انه كان لايعبث بشيء قط فاتفق انه أخذ درجا ابيض بيده وأخرجه ومده واستيقظ لنفسه وعلم أنه قد فطن به وأخذ عليه لكونه لم تكن تلك عادته فطلب المعمار على الجامع وقال تبنى المنارة التي للتأذين هكذا فبنيت على

تلك الصورة والعامة يقولون ان العشاري الذى على المنارة المذكورة يدور مع الشمس وليس صحيحاً وانما يدور مع دوران الرياح وكان الملك الكامل قد اعتني بوقودها ليلة النصف من شعبان ثم ابطلها وقال المسبحى ان الحاكم انزل الى جامع ابن طولون ثمانمائة مصحف وأربعة عشر مصحفا * وفى سنة ست وسبعين وثلثمائة في ليلة الخميس لعشر خلون من جمادى الاولى احترقت الفوارة التي كانت بجامع ابن طولون فلم يبق منها شيء وكانت في وسط صحنه قبة مشبكة من جميع جوانبها وهى مذهبة على عشر عمد رخام وستة عشر عمود رخام في جوانبها مفروشة كلها بالرخام وتحت القبة قصعة رخام فسحتها أربعة اذرع في وسطها فوّارة تفور بالماء وفي وسطها قبة مزوّقة يؤذن فيها وفي أخرى على سامها وفى السطح علامات الزوال والسطح بدرابزين ساج فاحترق جميع هذا في ساعة واحدة * وفى المحرم سنة خمس وثمانين وثلثمائة أمر العزيز بالله بن المعز ببناء فوّارة عوضا عن التي احترقت فعمل ذلك على يد راشد الحنفى وتولى عمارتها ابن الرومية وابن البناء وماتت أم العزيز في سلخ ذى القعدة من السنة والله أعلم * ( تجديد الجامع ) * وكان من خبر جامع ابن طولون أنه لما كان غلاء مصر في زمان المستنصر وخربت القطائع والعسكر عدم الساكن هناك وصار ماحول الجامع خرابا وتوالت الايام على ذلك وتشعث الجامع وخرب اكثره وصار أخيرا ينزل فيه المغاربة بأباعرها ومتاعها عند ماتمرّ بمصر أيام الحج فهيأ الله جل جلاله لعمارة هذا الجامع أن كان بين الملك الاشرف خليل بن قلاون وبين الامير بيدر امور موحشة تزايدت وتأكدت الى أن جمع بيدر من يثق به وقتل الاشرف بناحية تروجه في سنة ثلاث وتسعين وستمائة كما سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر مدرسته وكان ممن وافق الامير بيدرا على قتل الاشرف الامير حسام الدين لاجين المنصورى والامير قراسنقر فلما قتل بيدر فى محاربة مماليك الاشرف له فرّ لاجين وقراسنقر من المعركة فاختفى لاجين بالجامع الطولونى وقراسنقر في داره بالقاهرة وصار لاجين يتردد بمفرده من غير أحد معه في الجامع وهو حينئذ خراب لاساكن فيه وأعطى الله عهدا ان سلمه الله من هذه المحنة ومكنه من الارض أن يجدد عمارة هذا الجامع ويجعل له مايقوم به ثم انه خرج منه في خفية الى القرافة فأقام بها مدة وراسل قراسنقر فتحيل في لحاقه به وعملا أعمالا الى أن اجتمعا بالامير زين الدين كتبغا المنصورى وهو اذ ذاك نائب السلطنة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاون والقائم بأمور الدولة كلها فأحضرهما الى مجلس السلطان بقلعة الجبل بعد أن أتقن أمرهما مع الامراء ومماليك السلطان فخلع عليهما وصار كل منهما الى داره وهو آمن فلم تطل ايام الملك الناصر في هذه الولاية حتى خلعه الامير كتبغا وجلس على تخت الملك وتلقب بالملك العادل فجعل لاجين نائب السلطنة بديار مصر وجرت أمور اقتضت قيام لاجين على كتبغا وهم بطريق

الشام ففر كتبغا الى دمشق واستولى لاجين على دست المملكة وسار الى مصر وجلس على سرير الملك بقلعة الجبل وتلقب بالملك المنصور في المحرم من سنة ست وتسعين وستمائة فأقام قراسنقر في نيابة السلطنة بديار مصر وأخرج الناصر محمد بن قلاون من قلعة الجبل الى كرك الشوبك فجعله فى قلعتها وأعانه اهل الشام على كتبغا حتي قبض عليه وجعله نائب حماه فأقام بها مدة سنين بعد سلطنة مصر والشام وخلع على الامير علم الدين سنجر الدواداري واقامه فى نيابة دار العدل وجعل اليه شراء الاوقاف على الجامع الطولوني وصرف اليه كل مايحتاج اليه في العمارة واكد عليه في أن لايسخر فيه فاعلا ولا صانعا وأن لايقيم مستحثا للصناع ولا يشترى لعمارته شيئاً مما يحتاج اليه من سائر الاصناف الا بالقيمة التامة وأن يكون ماينفق على ذلك من ماله وأشهد عليه بوكالته فابتاع منية اندونة من أراضى الجيزة وعرفت هذه القرية باندونة كاتب بمصر كان نصرانياً في زمن احمد بن طولون وممن نكبه وأخذ منه خمسين ألف دينار واشترى أيضا ساحة بجوار جامع أحمد بن طولون مما كان في القديم عامرا ثم خرب وحكرها وعمر الجامع وأزال كل ما كان فيه من تخريب وبلطه وبيضه ورتب فيه دروسا لالقاء الفقه على المذاهب الاربعة التي عمل أهل مصر عليها الآن ودرسا يلقى فيه تفسير القرآن الكريم ودرسا لحديث النبي صلي الله عليه وسلم ودرسا للطب وقرر للخطيب معلوما وجعل له اماما راتبا ومؤذنين وفراشين وقومة وعمل بجواره مكتبا لاقراء ايتام المسلمين كتاب الله عز وجل وغير ذلك من أنواع القربات ووجوه البر فبلغت النفقة على عمارة الجامع وثمن مستغلاته عشرين ألف دينار فلما شاء الله سبحانه أن يهلك لاجين زين له سوء عمله عزل الامير قراسنقر من نيابة السلطنة فعزله وولي مملوكه منكوتمر وكان عسوفا عجولا حادا ولاجين مع ذلك يركن اليه ويعول فى جميع أموره عليه ولايخالف قوله ولا ينقض فعله فشرع منكوتمر في تأخير أمراء الدولة من الصالحية والمنصورية وامجل في اظهار التهجم لهم والاعلان بما يريده من القبض عليهم واقامة أمراء غيرهم فتوحشت القلوب منه وتمالأت على بغضه ومشى القوم بعضهم الى بعض وكاتبوا اخوانهم من أهل البلاد الشامية حتى تم لهم مايريدون فواعد جماعة منهم اخوانهم على قتل السلطان لاجين ونائبه منكوتمر فما هو الى أن صلي السلطان العشاء الآخرة من ليلة الجمعة العاشر من شهر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وستمائة واذا بالامير كرجي وكان ممن هو قائم بين يديه تقدم ليصلح الشمعة فضربه بسيف قد أخفاه معه أطار به زنده وانقض عليه البقية ممن واعدوهم بالسيوف والخناجر فقطعوه قطعا وهو يقول الله الله وخرجوا من فورهم الى باب القلة من قلعة الجبل فاذا بالامير طفجي قد جلس في انتظارهم ومعه عدة من الامراء وكانوا اذ ذاك يبيتون بالقلعة دائما فأمروا باحضار منكوتمر من دار النيابة بالقلعة وقتلوه بعد مضي

نصف ساعة من قتل أستاذه الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري رحمه الله فلقد كان مشكور السيرة * وفي سنة سبع وستين وسبعمائة جدد الامير يلبغا العمري الخاصكي درسا بجامع ابن طولون فيه سبعة مدرسين للحنفية وقرر لكل فقيه من الطلبة فى الشهر أربعين درهما وأردب قمح فانتقل جماعة من الشافعية الى مذهب الحنفية * وأول من ولى نظره بعد تجديده الامير علم الدين سنجر الجاولى وهو اذ ذاك دوادار السلطان الملك المنصور لاجين ثم ولى نظره قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ثم من بعده الامير مكين في ايام الناصر محمد بن قلاون فجدد في أوقافه طاحونا وفرنا وحوانيت فلما مات وليه قاضى القضاة عز الدين بن جماعة ثم ولاه الناصر للقاضى كريم الدين الكبير فجدد فيه مئذنتين فلما نكبه السلطان عاد نظره الى قاضى القضاة الشافعي وما برح الى ايام الناصر حسن بن محمد ابن قلاون فولاه للامير صرغتمش وتوفر في مدة نظره من مال الوقف مائة ألف درهم فضة وقبض عليه وهي حاصلة فباشره قاضى القضاة الى ايام الاشرف شعبان بن حسين ففوض نظره الى الامير الجاى اليوسفى الى أن غرق فتحدث فيه قاضى القضاة الشافعي الى أن فوض الملك الظاهر برقوق نظره الى الامير قطلوبغا الصفوى في العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة وكان الامير منطاش مدة تحكمه في الدولة فوضه الى المذكور في أواخر شوال سنة احدى وتسعين وسبعمائة ثم عاد نظره الى القضاة بعد الصفوى وهو بايديهم الى اليوم * وفى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة جدد الرواق البحرى الملاصق للمئذنة الحاج عبيد بن محمد بن عبد الهادى الهويدى البازدار مقدم الدولة * وجدد ميضأة بجانب الميضأة القديمة وكان عبيد هذا بازدارا ثم ترقى حتى صار مقدم الدولة فى شهر ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ثم ترك زى المقدمين وتزيا بزى الامراء وحاز نعمة جليلة وسعادة طائلة حتى مات يوم السبت رابع عشر صفر سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة

## * ( ذكر دار الامارة ) *

وكان بجوار الجامع الطولونى دار أنشأها الامير احمد بن طولون عند ما بنى الجامع وجعلها في الجهة القبلية ولها باب من جدار الجامع يخرج منه الى المقصورة بجوار المحراب والمنبر وجعل فى هذه الدار جميع مايحتاج اليه من الفرش والستور والآلات فكان ينزل بها اذا راح الى صلاة الجمعة فانها كانت تجاه القصر والميدان فيجلس فيها ويجدد وضوءه ويغير ثيابه وكان يقال لها دار الامارة وموضعها الآن سوق الجامع حيث البزازين وغيرهم ولم تزل هذه الدار باقية الى أن قدم الامام المعز لدين الله أبو تميم معد من بلاد المغرب فكان يستخرج فيها أموال الخراج * قال الفقيه الحسن بن ابراهيم بن زولاق في كتاب سيرة المعز ولست عشرة بقيت من المحرم يعني من سنة ثلاث وستين وثلثمائة قلد المعز لدين الله الخراج وجميع

وجوه الاعمال والحسبة والسواحل والاعشار والجوالى والاحباس والمواريث والشرطيين وجميع ماينضاف الى ذلك وما يطرأ فى مصر وسائر الاعمال أبا الفرج يعقوب بن يوسف ابن كلس وعسلوج بن الحسن وكتب لهما سجلا بذلك قرئ يوم الجمعة على منبر جامع احمد ابن طولون وجلسا غد هذا اليوم في دار الامارة في جامع احمد بن طولون للنداء على الضياع وسائر وجوه الاعمال ثم لخربت هذه الدار فيما خرب من القطائع والعسكر وصار موضعها ساحة الى أن حكرها الدويداري عند تجديد عمارة الجامع كما تقدم وقد ذكر بناء القيسارية في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر الاسواق

* ( ذكر الاذان بمصر وما كان فيه من الاختلاف ) *

اعلم أن أول من أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق رضى الله عنهما بالمدينة الشريفة وفى الاسفار وكان ابن أم مكتوم واسمه عمرو بن قيس ابن شريح من بنى عامر بن لؤي وقيل اسمه عبد الله وأمه أم مكتوم واسمها عاتكة بنت عبد الله بن عنكنة من بني مخزوم ربما أذن بالمدينة وأذن أبو محذورة واسمه أوس وقيل سمرة ابن معير بن لوذان بن ربيعة بن معير بن عريج بن سعد بن جمح وكان استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يؤذن مع بلال فأذن له وكان يؤذن فى المسجد الحرام وأقام بمكة ومات بها ولم يأت المدينة * قال ابن الكلبي كان أبو محذورة لايؤذن للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة الا فى الفجر ولم يهاجر وأقام بمكة * وقال ابن جريج علم النبى صلي الله عليه وسلم أبا محذورة الاذان بالجعرانة حين قسم غنائم حنين ثم جعله مؤذنا فى المسجد الحرام * وقال الشعبى أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلال وأبو محذورة وابن أم مكتوم وقد جاء أن عثمان بن عفان رضى الله عنه كان يؤذن بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المنبر وقال محمد بن سعد عن الشعبى كان لرسول الله صلي الله عليه وسلم ثلاثة مؤذنين بلال وأبو محذورة وعمرو بن أم مكتوم فاذا غاب بلال أذن أبو محذورة واذا غاب أبو محذورة أذن ابن أم مكتوم * قلت لعل هذا كان بمكة * وذكر ابن سعد أن بلالا أذن بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم لابى بكر رضي الله عنه وأن عمر رضى الله عنه أراده أن يؤذن له فأبى عليه فقال له الى من ترى أن اجعل النداء فقال الى سعد القرظ فانه قد أذن لرسول الله صلي الله عليه وسلم فدعاه عمر رضى الله عنه فجعل النداء اليه والى عقبه من بعده وقد ذكر أن سعد القرظ كان يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء * وذكر أبو داود في مراسيله والدار قطنى فى سننه قال بكير بن عبد الله الاشج كانت مساجد المدينة تسعة سوى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يصلون بأذان بلال رضى الله عنه * وقد كان عند فتح مصر الاذان انما هو بالمسجد الجامع المعروف بجامع عمرو وبه صلاة الناس بأسرهم وكان من هدى الصحابة

والتابعين رضى الله عنهم المحافظة على الجماعة وتشديد النكير على من تخلف عن صلاة الجماعة * قال أبو عمرو الكندى فى ذكر من عرف على المؤذنين بجامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر وكان أول من عرف على المؤذنين أبو مسلم سالم بن عامر بن عبد المرادى وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أذن لعمر بن الخطاب سار الى مصر مع عمرو بن العاص يؤذن له حتى افتتحت مصر فأقام على الاذان وضم اليه عمرو بن العاص تسعة رجال يؤذنون هو عاشرهم وكان الاذان فى ولده حتى انقرضوا * قال أبو الخير حدثنى أبو مسلم وكان مؤذنا لعمرو بن العاص أن الاذان كان أوله لااله الا الله وآخره لااله الا الله وكان أبو مسلم يوصى بذلك حتى مات ويقول هكذا كان الاذان * ثم عرف عليهم أخوه شرحبيل ابن عامر وكانت له صحبة وفى عرافته زاد مسلمة بن مخلد في المسجد الجامع وجعل له المنار ولم يكن قبل ذلك وكان شرحبيل أول من رقى منارة مصر للاذان وان مسلمة بن مخلد اعتكف فى منارة الجامع فسمع أصوات النواقيس عالية بالفسطاط فدعا شرحبيل بن عامر فأخبره بما ساءه من ذلك فقال شرحبيل فانى أمدد بالاذان من نصف الليل الى قرب الفجر فانههم أيها الامير أن ينقسوا اذا أذنت فنهاهم مسلمة عن ضرب النواقيس وقت الاذان ومدد شرحبيل ومطط اكثر الليل الى أن مات شرحبيل سنة خمس وستين * وذكر عن عثمان رضى الله عنه انه أول من رزق المؤذنين فلما كثرت مساجد الخطبة أمر مسلمة بن مخلد الانصارى فى امارته على مصر ببناء المنار في جميع المساجد خلا مساجد تجيب وخولان فكانوا يؤذنون في الجامع أولا فاذا فرغوا أذن كل مؤذن في الفسطاط في وقت واحد فكان لاذانهم دوى شديد * وكان الاذان أولا بمصر كأذان أهل المدينة وهو الله اكبر الله اكبر وباقيه كما هو اليوم فلم يزل الامر بمصر على ذلك فى جامع عمرو بالفسطاط وفي جامع العسكر وفى جامع أحمد بن طولون وبقية المساجد الى أن قدم القائد جوهر بجيوش المعز لدين الله وبني القاهرة فلما كان فى يوم الجمعة الثامن من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وثلثمائة صلى القائد جوهر الجمعة في جامع أحمد بن طولون وخطب به عبد السميع بن عمر العباسى بقلنسوة وسبنى وطيلسان دبسى وأذن المؤذنون حي على خير العمل وهو أول ما أذن به بمصر وصلى به عبد السميع الجمعة فقرأ سورة الجمعة واذا جاءك المنافقون وقنت فى الركعة الثانية وانحط الى السجود ونسى الركوع فصاح به على بن الوليد قاضى عسكر جوهر بطلت الصلاة أعد ظهرا أربع ركعات ثم أذن بحي على خير العمل في سائر مساجد العسكر الى حدود مسجد عبد الله وأنكر جوهر على عبد السميع أنه لم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة ولا قرأها في الخطبة فأنكره جوهر ومنعه من ذلك * ولا ربع بقين من جمادى الاولى المذكور أذن في الجامع العتيق بحي على خير العمل وجهروا في الجامع بالبسملة فى الصلاة

فلم يزل الامر على ذلك طول مدة الخلفاء الفاطميين الا أن الحاكم بأمر الله فى سنة أربعمائة أمر بجمع مؤذنى القصر وسائر الجوامع وحضر قاضى القضاة مالك بن سعيد الفارقى وقرأ أبو على العباسى سجلا فيه الامر بترك حي على خير العمل فى الاذان وأن يقال فى صلاة الصبح الصلاة خير من النوم وأن يكون ذلك من مؤذني القصر عند قولهم السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله فامتثل ذلك ثم عاد المؤذنون الى قول حي على خير العمل في ربيع الآخر سنة احدى وأربعمائة ومنع في سنة خمس وأربعمائة مؤذني جامع القاهرة ومؤذنى القصر من قولهم بعد الاذان السلام على أمير المؤمنين وأمرهم أن يقولوا بعد الاذان الصلاة رحمك الله * ( ولهذا الفعل اصل ) * قال الواقدى كان بلال رضى الله عنه يقف على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول السلام عليك يارسول الله وربما قال السلام عليك بأبي انت وأمي يارسول الله حي على الصلاة حي على الصلاة السلام عليك يارسول الله * قال البلادرى وقال غيره كان يقول السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته حي على الصلاة حي على الفلاح الصلاة يارسول الله فلما ولى أبو بكر رضى الله عنه الخلافة كان سعد القرظ يقف على بابه فيقول السلام عليك ياخليفة رسول الله ورحمة الله وبركاته حي على الصلاة حي على الفلاح الصلاة ياخليفة رسول الله فلمااستخلف عمر رضى الله عنه كان سعد يقف على بابه فيقول السلام عليك ياخليفة خليفة رسول الله ورحمة الله حي على الصلاة حي على الفلاح الصلاة ياخليفة خليفة رسول الله فلما قال عمر رضي الله عنه للناس انتم المؤمنون وأنا اميركم فدعى أمير المؤمنين استطالة لقول القائل ياخليفة خليفةرسول الله ولمن بعده خليفة خليفة خليفة رسول الله كان المؤذن يقول السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته حى على الصلاة حى على الفلاح الصلاة ياأمير المؤمنين ثم ان عمر رضى الله عنه أمر المؤذن فزاد فيها رحمك الله ويقال ان عثمان رضى الله عنه زادها وما زال المؤذنون اذا أذنوا سلموا على الخلفاء وأمراء الاعمال ثم يقيمون الصلاة بعدالسلام فيخرج الخليفة أو الامير فيصلي بالناس هكذا كان العمل مدة أيام بني أمية ثم مدة خلافة بني العباس ايام كانت الخلفاء وأمراء الاعمال تصلى بالناس * فلما استولى العجم وترك خلفاء بني العباس الصلاة بالناس ترك ذلك كما ترك غيره من سنن الاسلام ولم يكن احد من الخلفاء الفاطميين يصلى بالناس الصلوات الخمس في كل يوم فسلم المؤذنون فى ايامهم على الخليفة بعد الاذان للفجر فوق المنارات فلما انقضت أيامهم وغير السلطان صلاح الدين رسومهم لم يجاسر المؤذنون على السلام عليه احتراما للخليفة العباسى ببغداد فجعلوا عوض السلام على الخليفة السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمر ذلك قبل الاذان للفجر فى كل ليلة بمصر والشام والحجاز وزيد فيه بأمر المحتسب صلاح الدين عبد الله البرلسى الصلاة والسلام عليك

يارسول الله وكان ذلك بعد سنة ستين وسبعمائة فاستمر ذلك ولما تغلب أبو على بن كتيفات ابن الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى على رتبة الوزارة في أيام الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد ابن الامير أبي القاسم محمد بن المستنصر بالله في سادس عشر ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة وسجن الحافظ وقيده واستولى على سائر ما في القصر من الاموال والذخائر وحملها الى دار الوزارة وكان اماميا متشددا في ذلك خالف ما عليه الدولة من مذهب الاسماعيلية وأظهر الدعاء للامام المنتظر وأزال من الاذان حي على خير العمل وقولهم محمد وعلى خير البشر وأسقط ذكر اسماعيل بن جعفر الذى تنتسب اليه الاسماعيلية فلما قتل في سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة عاد الامر الى الخليفة الحافظ وأعيد الى الاذان ما كان أسقط منه * وأول من قال في الاذان بالليل محمد وعلى خير البشر الحسين المعروف بأمير كابن شكنبه ويقال اشكنبه وهو اسم اعجمى معناه الكرش وهو على بن محمد بن علي بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكان أول تأذينه بذلك في أيام سيف الدولة بن حمدان بحلب في سنة سبع وأربعين وثلثمائة قاله الشريف محمد بن اسعد الجوانى النسابة ولم يزل الاذان بحلب يزاد فيه حي على خير العمل ومحمد وعلى خير البشر الى أيام نور الدين محمود فلما فتح المدرسة الكبيرة المعروفة بالحلاوية استدعى أبا الحسن على بن الحسن بن محمد البلخي الحنفى اليها فجاء ومعه جماعة من الفقهاء وألقى بها الدروس فلما سمع الاذان أمر الفقهاء فصعدوا المنارة وقت الاذان وقال لهم مروهم يؤذنوا الاذان المشروع ومن امتنع كبوه علي رأسه فصعدوا وفعلوا ما أمرهم به واستمر الامر علي ذلك * وأما مصر فلم يزل الاذان بها علي مذهب القوم الى أن استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بسلطنة ديار مصر وأزال الدولة الفاطمية في سنة سبع وستين وخمسمائة وكان ينتحل مذهب الامام الشافعي رضى الله عنه وعقيدة الشيخ أبي الحسن الاشعرى رحمه الله فأبطل من الاذان قول حي علي خير العمل وصار يؤذن في سائر اقليم مصر والشام بأذان أهل مكة وفيه تربيع التكبير وترجيع الشهادتين فاستمر الامر علي ذلك الى أن بنت الاتراك المدارس بديار مصر وانتشر مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه فى مصر فصار يؤذن فى بعض المدارس التى للحنفية بأذان أهل الكوفة وتقام الصلاة أيضا على رأيهم وما عدا ذلك فعلي ماقلنا الا انه في ليلة الجمعة اذا فرغ المؤذنون من التأذين سلموا على رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو شيء أحدثه محتسب القاهرة صلاح الدين عبد الله ابن عبد الله البرلسى بعد سنة ستين وسبعمائة فاستمر الى أن كان فى شعبان سنة احدى وتسعين وسبعمائة ومتولى الامر بديار مصر الامير منطاش القائم بدولة الملك الصالح المنصور أمير حاج المعروف بحاجي بن شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون فسمع بعض الفقراء الخلاطين سلام المؤذنين على رسول

الله صلي الله عليه وسلم فى ليلة جمعة وقد استحسن ذلك طائفة من اخوانه فقال لهم أتحبون أن يكون هذا السلام فى كل أذان قالوا نعم فبات تلك الليلة وأصبح متواجدا يزعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه وانه أمره أن يذهب الى المحتسب ويبلغه عنه أن يأمر المؤذنين بالسلام على رسول الله صلي الله عليه وسلم في كل أذان فمضى الى محتسب القاهرة وهو يومئذ نجم الدين محمد الطنبدى وكان شيخا جهولا . وبأهانا مهولا . سئ السيرة في الحسبة والقضاء . متهافتا على الدرهم ولو قاده الى البلاء . لايحتشم من أخذ البرطيل والرشوة . ولا يراعى في مؤمن الا ولا ذمة . قد ضرى على الآثام . وتجسد من أكل الحرام . يرى أن العلم ارخاء العذبة ولبس الجبة . ويحسب أن رضا الله سبحانه في ضرب العباد بالدرة وولاية الحسبة . لم تحمد الناس قط أياديه . ولا شكرت أبدا مساعيه . بل جهالاته شائعه . وقبائح أفعاله ذائعة . أشخص غير مرة الى مجلس المظالم وأوقف مع من أوقف للمحاكمة بين يدى السلطان من اجل عيوب فوادح . حقق فيها شكاته عليه القوادح . وما زال في السيرة مذموما . ومن العامة والخاصة ملوما . وقال له رسول الله يأمرك أن تتقدم لسائر المؤذنين بأن يزيدوا في كل أذان قولهم الصلاة والسلام عليك يارسول الله كما يفعل فى ليالى الجمع فأعجب الجاهل هذا القول وجهل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايأمر بعد وفاته الا بما يوافق ماشرعه الله على لسانه في حياته وقد نهى الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز عن الزيادة فيما شرعه حيث يقول أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحدثات الامور فأمر بذلك في شعبان من السنة المذكورة وتمت هذه البدعة واستمرت الى يومنا هذا في جميع ديار مصر وبلاد الشام وصارت العامة وأهل الجهالة ترى أن ذلك من جملة الاذان الذى لايحل تركه وأدى ذلك الى أن زاد بعض أهل الالحاد في الاذان ببعض القرى السلام بعد الاذان على شخص من المعتقدين الذين ماتوا فلا حول ولا قوة الا بالله وانا لله وانا اليه راجعون * وأما التسبيح في الليل على المآذن فانه لم يكن من فعل سلف الامة وأول ماعرف من ذلك أن موسي بن عمران صلوات الله عليه لما كان ببنى اسرائيل في التيه بعد غرق فرعون وقومه اتخذ بوقين من فضة مع رجلين من بنى اسرائيل ينفخان فيهما وقت الرحيل ووقت النزول وفى أيام الاعياد وعند ثلث الليل الاخير من كل ليلة فتقوم عند ذلك طائفة من بنى لاوى سبط موسى عليه السلام ويقولون نشيدا منزلا بالوحى فيه تخويف وتحذير وتعظيم لله تعالى وتنزيه له تعالى الى وقت طلوع الفجر واستمر الحال على هذا كل ليلة مدة حياة موسي عليه السلام وبعده أيام يوشع بن نون ومن قام في بنى اسرائيل من القضاة الى أن قام بأمرهم داود عليه السلام وشرع في عمارة بيت المقدس فرتب في كل ليلة عدة من بني لاوى يقومون عند ثلث الليل الآخر فمنهم من يضرب بالآلات كالعود والسنطير والبربط

والدف والمزمار ونحو ذلك ومنهم من يرفع عقيرته بالنشائد المنزلة بالوحي على نبي الله موسى عليه السلام والنشائد المنزلة بالوحي على داود عليه السلام ويقال ان عدد بني لاوى هذا كان ثمانية وثلاثين ألف رجل قد ذكر تفصيلهم في كتاب الزبور فاذا قام هؤلاء ببيت المقدس قام في كل محلة من محال بيت المقدس رجال يرفعون أصواتهم بذكر الله سبحانه من غير آلات فان الآلات كانت مما يختص ببيت المقدس فقط وقد نهوا عن ضربها في غير البيت فيتسامع من قرية بيت المقدس فيقوم في كل قرية رجال يرفعون أصواتهم بذكر الله تعالى حتى يعم الصوت بالذكر جميع قرى بني اسرائيل ومدنهم وما زال الامر على ذلك في كل ليلة الى ان خرب بخت نصر بيت المقدس وجلا بني اسرائيل الى بابل فبطل هذا العمل وغيره من بلاد بني اسرائيل مدة جلائهم في بابل سبعين سنة فلما عاد بنو اسرائيل من بابل وعمروا البيت العمارة الثانية أقاموا شرائعهم وعاد قيام بني لاوى بالبيت في الليل وقيام أهل محال القدس وأهل القرى والمدن على ما كان العمل عليه أيام عمارة البيت الاولى واستمر ذلك الى أن خرب القدس بعد قتل نبي الله يحيي بن زكريا وقيام اليهود على روح الله ورسوله عيسي ابن مريم صلوات الله عليهم على يد طيطش فبطلت شرائع بني اسرائيل من حينئذ وبطل هذا القيام فيما بطل من بلاد بني اسرائيل * ( وأما في الملة الاسلامية ) * فكان ابتداء هذا العمل بمصر وسببه أن مسلمة بن مخلد أمير مصر بني منارا الجامع عمرو بن العاص واعتكف فيه فسمع أصوات النواقيس عالية فشكا ذلك الى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين فقال انى أمدد الاذان من نصف الليل الى قرب الفجر فانههم أيها الامير أن ينقسوا اذا أذنت فنهاهم مسلمة عن ضرب النواقيس وقت الاذان ومدد شرحبيل ومطط أكثر الليل ثم ان الامير أبا العباس أحمد بن طولون كان قد جعل في حجرة تقرب منه رجالا تعرف بالمكبرين عدتهم اثنا عشر رجلا يبيت في هذه الحجرة كل ليلة أربعة يجعلون الليل بينهم عقبا فكانوا يكبرون ويسبحون ويحمدون الله سبحانه في كل وقت ويقرأون القرآن بألحان ويتوسلون ويقولون قصائد زهدية ويؤذنون في اوقات الاذان وجعل لهم أرزاقا واسعة تجرى عليهم فلما مات أحمد بن طولون وقام من بعده ابنه أبو الجيش خمارويه أقرهم بحالهم وأجراهم على رسمهم مع ابيه ومن حينئذ اتخذ الناس قيام المؤذنين في الليل على المآذن وصار يعرف ذلك بالتسبيح فلما ولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سلطنة مصر وولى القضاء صدر الدين عبد الملك بن درباس الهدباني الماراني الشافعي كان من رأيه ورأى السلطان اعتقاد مذهب الشيخ أبي الحسن الاشعرى في الاصول فحمل الناس الى اليوم على اعتقاده حتي يكفر من خالفه وتقدم الامر الى المؤذنين أن يعلنوا في وقت التسبيح على المآذن بالليل بذكر العقيدة التي تعرف بالمرشدة فواظب المؤذنون على ذكرها في كل ليلة بسائر جوامع مصر والقاهرة الى

وقتنا هذا * ومما أحدث أيضا التذكير في يوم الجمعة من أثناء النهار بأنواع من الذكر على المآذن ليتهيأ الناس لصلاة الجمعة وكان ذلك بعد السبعمائة من سني الهجرة قال ابن كثير رحمه الله في يوم الجمعة سادس ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وسبعمائة رسم بأن يذكر بالصلاة يوم الجمعة في سائر مآذن دمشق كما يذكر في مآذن الجامع الاموى ففعل ذلك

* ( الجامع الازهر ) *

هذا الجامع أول مسجد أسس بالقاهرة والذى أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلى مولى الامام أبي تميم معد الخليفة أمير المؤمنين المعز لدين الله لما اختط القاهرة وشرع في بناء هذا الجامع فى يوم السبت لست بقين من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وثلثمائة وكمل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة احدى وستين وثلثمائة وجمع فيه وكتب بدائر القبة التي فى الرواق الاول وهي على يمنة المحراب والمنبر مانصه بعد البسملة مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وابنائه الاكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلى وذلك في سنة ستين وثلثمائة * وأول جمعة جمعت فيه في شهر رمضان لسبع خلون منه سنة احدى وستين وثلثمائة ثم ان العزيز بالله أبا منصور نزار بن المعز لدين الله جدد فيه أشياء وفى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة سأل الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس الخليفة العزيز بالله في صلة رزق جماعة من الفقهاء فأطلق لهم مايكفى كل واحد منهم من الرزق الناض وأمر لهم بشراء دار وبنائها فبنيت بجانب الجامع الازهر فاذا كان يوم الجمعة حضروا الى الجامع وتحلقوا فيه بعد الصلاة الى أن تصلى العصر وكان لهم أيضاً من مال الوزير صلة في كل سنة وكانت عدتهم خمسة وثلاثين رجلا وخلع عليهم العزيز يوم عيد الفطر وحملهم على بغلات ويقال ان بهذا الجامع طلسما فلا يسكنه عصفور ولا يفرخ به وكذا سائر الطيور من الحمام واليمام وغيره وهو صورة ثلاثة طيور منقوشة كل صورة على رأس عمود فمنها صورتان في مقدم الجامع بالرواق الخامس منهما صورة فى الجهة الغربية في العمود وصورة في أحد العمودين اللذين على يسار من استقبل سدة المؤذنين والصورة الاخرى في الصحن فى الاعمدة القبلية مما يلى الشرقية ثم ان الحاكم بامر الله جدده ووقف على الجامع الازهر وجامع المقس والجامع الحاكمى ودار العلم بالقاهرة رباعا بمصر وضمن ذلك كتابا نسخته * هذا كتاب أشهد قاضي القضاة مالك بن سعيد بن مالك الفارقي على جميع مانسب اليه مما ذكر ووصف فيه من حضر من الشهود في مجلس حكمه وقضائه بفسطاط مصر في شهر رمضان سنة أربعمائة أشهدهم وهو يومئذ قاضى عبد الله ووليه المنصور أبي على الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ابن الامام العزيز بالله صلوات الله عليهما على القاهرة المعزية ومصر والاسكندرية والحرمين

حرسهما الله وأجناد الشام والرقة والرحبة ونواحي المغرب وسائر أعمالهن وما فتحه الله ويفتحه لامير المؤمنين من بلاد الشرق والغرب بمحضر رجل متكلم انه صحت عنده معرفة المواضع الكاملة والحصص الشائعة التى يذكر جميع ذلك ويحدد في هذا الكتاب وانها كانت من أملاك الحاكم الى أن حبسها على الجامع الازهر بالقاهرة المحروسة والجامع براشدة والجامع بالمقس اللذين أمر بانشائهما وتأسيس بنائهما وعلى دار الحكمة بالقاهرة المحروسة التي وقفها والكتب التي فيها قبل تاريخ هذا الكتاب منها مايخص الجامع الازهر والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة مشاعا جميع ذلك غير مقسوم ومنها مايخص الجامع بالمقس على شرائط يجرى ذكرها فمن ذلك ماتصدق به على الجامع الازهر بالقاهرة المحروسة والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة جميع الدار المعروفة بدار الضرب وجميع القيسارية المعروفة بقيسارية الصوف وجميع الدار المعروفة بدار الخرق الجديدة الذي كله بفسطاط مصر ومن ذلك ماتصدق به على جامع المقس جميع أربعة الحوانيت والمنازل التي علوها والمخزنين الذى ذلك كله بفسطاط مصر بالراية في جانب الغرب من الدار المعروفة كانت بدار الخرق وهاتان الداران المعروفتان بدار الخرق في الموضع المعروف بحمام الفار ومن ذلك جميع الحصص الشائعة من أربعة الحوانيت المتلاصقة التي بفسطاط مصر بالراية أيضاً بالموضع المعروف بحمام الفار وتعرف هذه الحوانيت بحصص القيسى بحدود ذلك كله وأرضه وبنائه وسفله وعلوه وغرفه ومرتفقاته وحوانيته وساحاته وطرقه وممراته ومجارى مياهه وكل حق هو له داخل فيه وخارج عنه وجعل ذلك كله صدقة موقوفة محرمة محبسة بتة بتلة لايجوز بيعها ولا هبتها ولا تمليكها باقية على شروطها جارية على سبلها المعروفة في هذا الكتاب لايوهنها تقادم السنين ولا تغير بحدوث حدث ولا يستثني فيها ولا يتأول ولا يستفتي بتجدد تحبيسها مدى الاوقات وتستمر شروطها على اختلاف الحالات حتي يرث الله الارض والسموات على أن يؤجر ذلك في كل عصر من ينتهى اليه ولايتها ويرجع اليه أمرها بعد مراقبة الله واجتلاب مايوفر منفعتها من اشهارها عند ذوى الرغبة في اجارة أمثالها فيبتدأ من ذلك بعمارة ذلك على حسب المصلحة وبقاء العين ومرمته من غير اجحاف بما حبس ذلك عليه وما فضل كان مقسوما على ستين سهما فمن ذلك للجامع الازهر بالقاهرة المحروسة المذكور فى هذا الاشهاد الخمس والثمن ونصف السدس ونصف التسع يصرف ذلك فيما فيه عمارة له ومصلحة وهو من العين المعزى الوازن ألف دينار واحدة وسبعة وستون ديناراً ونصف دينار وثمن دينار من ذلك للخطيب بهذا الجامع أربعة وثمانون ديناراً ومن ذلك لثمن ألف ذراع حصر عبدانية تكون عدة له بحيث لاينقطع من حصره عند الحاجة الى ذلك ومن ذلك لثمن ثلاثة عشر ألف ذراع حصر مظفورة

لكسوة هذا الجامع في كل سنة عند الحاجة اليها مائة دينار واحدة وثمانية دنانير ومن ذلك لثمن ثلاثة قناطير زجاج وفراخها اثنا عشر دينارا ونصف وربع دينار ومن ذلك لثمن عود هندى للبخور في شهر رمضان وأيام الجمع مع ثمن الكافور والمسك وأجرة الصانع خمسة عشر ديناراً ومن ذلك لنصف قنطار شمع بالفلفلي سبعة دنانير ومن ذلك لكنس هذا الجامع ونقل التراب وخياطة الحصر وثمن الخيط وأجرة الخياطة خمسة دنانير ومن ذلك لثمن مشاقة لسرج القناديل عن خمسة وعشرين رطلا بالرطل الفلفلي دينار واحد ومن ذلك لثمن فحم للبخور عن قنطار واحد بالفلفلي نصف دينار ومن ذلك لثمن أردبين ملحا للقناديل ربع دينار ومن ذلك ماقدر لمؤنة النحاس والسلاسل والتنانير والقباب التى فوق سطح الجامع أربعة وعشرون دينارا ومن ذلك لثمن سلب ليف وأربعة أحبل وست دلاء أدم نصف دينار ومن ذلك لثمن قنطارين خرقا لمسح القناديل نصف دينار ومن ذلك لثمن عشر قفاف للخدمة وعشرة ارطال قنب لتعليق القناديل ولثمن مائتى مكنسة لكنس هذا الجامع دينار واحد وربع دينار ومن ذلك لثمن ازيار فخار تنصب على المصنع ويصب فيها الماء مع أجرة حملها ثلاثة دنانير ومن ذلك لثمن زيت وقود هذا الجامع راتب السنة ألف رطل ومائتا رطل مع أجرة الحمل سبعة وثلاثون دينارا ونصف ومن ذلك لارزاق المصلين يعنى الأئمة وهم ثلاثة وأربعة قومة وخمسة عشر مؤذنا خمسمائة دينار وستة وخمسون دينارا ونصف منها للمصلين لكل رجل منهم ديناران وثلثا دينار وثمن دينار فى كل شهر من شهور السنة والمؤذنون والقومة لكل رجل منهم ديناران فى كل شهر ومن ذلك للمشرف على هذا الجامع فى كل سنة أربعة وعشرون دينارا ومن ذلك الكنس المصنع بهذا الجامع ونقل مايخرج منه من الطين والوسخ دينار واحد ومن ذلك لمرمة مايحتاج اليه فى هذا الجامع في سطحه واترابه وحياطته وغير ذلك مما قدر لكل سنة ستون دينارا ومن ذلك لثمن مائة وثمانين حمل تبن ونصف حمل جارية لعلف رأسى بقر للمصنع الذي لهذا الجامع ثمانية دنانير ونصف وثلث دينار ومن ذلك للتبن لمخزن يوضع فيه بالقاهرة أربعة دنانير ومن ذلك لثمن فدانين قرط لتربيع رأسى البقر المذكورين فى السنة سبعة دنانير ومن ذلك لاجرة متولى العلف وأجرة السقاء والحبال والقواديس وما يجرى مجري ذلك خمسة عشر دينارا ونصف ومن ذلك لاجرة قيم الميضأة ان عملت بهذا الجامع اثنا عشر ديناراً والى هنا انقضى حديث الجامع الازهر وأخذ في ذكر جامع راشدة ودار العلم وجامع المقس ثم ذكر أن تنانير الفضة ثلاثة تنانير وتسعة وثلاثون قنديلا فضة فللجامع الأزهر تنوران وسبعة وعشرون قنديلا ومنها لجامع راشدة تنور واثنا عشر قنديلا وشرط أن تعلق فى شهر رمضان وتعاد الى مكان جرت عادتها أن تحفظ به وشرط شروطا كثيرة في الاوقاف منها

أنه اذا فضل شيء واجتمع يشتري به ملك فان عاز شيئاً واستهدم ولم يف الريع بعمارته بيع وعمر به وأشياء كثيرة وحبس فيه أيضاً عدة آدر وقياسر لافائدة في ذكرها فانها مما خربت بمصر * قال ابن عبد الظاهر عن هذا الكتاب ورأيت منه نسخة وانتقلت الى قاضى القضاة تقى الدين ابن رزين وكان بصدر هذا الجامع في محرابه منطقة فضة كما كان فى محراب جامع عمرو بن العاص بمصر قلع ذلك صلاح الدين يوسف بن أيوب في حادى عشر ربيع الاول سنة تسع وستين وخمسمائة لانه كان فيها انتهاء خلفاء الفاطميين فجاء وزنها خمسة آلاف درهم نقرة وقلع أيضا المناطق من بقية الجوامع * ثم ان المستنصر جدد هذا الجامع أيضاً وجدده الحافظ لدين الله وأنشأ فيه مقصورة لطيفة تجاور الباب الغربي الذى فى مقدم الجامع بداخل الرواقات عرفت بمقصورة فاطمة من أجل أن فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها رؤيت بها في المنام ثم انه جدد في أيام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى * قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر في كتاب سيرة الملك الظاهر لما كان يوم الجمعة الثامن عشر من ربيع الأول سنة خمس وستين وستمائة اقيمت الجمعة بالجامع الازهر بالقاهرة وسبب ذلك أن الامير عز الدين ايدمر الحلى كان جار هذا الجامع من مدة سنين فرعى وفقه الله حرمة الجار ورأى أن يكون كما هو جاره فى دار الدنيا انه غدا يكون ثوابه جاره في تلك الدار ورسم بالنظر في أمره وانتزع له أشياء مغصوبة كان شئ منها فى ايدى جماعة وحاط أموره حتي جمع له شيأ صالحا وجرى الحديث في ذلك فتبرع الامير عز الدين له بجملة مستكثرة من المال الجزيل وأطلق له من السلطان جملة من المال وشرع فى عمارته فعمر الواهى من أركانه وجدرانه وبيضه وأصلح سقوفه وبلطه وفرشه وكساه حتى عاد حرما في وسط المدينة واستجد به مقصورة حسنة وأثر فيه آثارا صالحة يثيبه الله عليها وعمل الامير بيلبك الخازندار فيه مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الامام الشافعى رحمه الله ورتب في هذه المقصورة محدثا يسمع الحديث النبوى والرقائق ووقف على ذلك الاوقاف الدارة ورتب به سبعة لقراءة القرآن ورتب به مدرسا أثابه الله على ذلك ولما تكمل تجديده تحدث في اقامة جمعة فيه فنودى في المدينة بذلك واستخدم له الفقيه زين الدين خطيبا واقيمت الجمعة فيه في اليوم المذكور وحضر الاتابك فارس الدين والصاحب بهاء الدين على بن حنا وولده الصاحب فخر الدين محمد وجماعة من الامراء والكبراء وأصناف العالم على اختلافهم وكان يوم جمعة مشهودا ولما فرغ من الجمعة جلس الامير عز الدين الحلى والاتابك والصاحب وقرئ القرآن ودعى للسلطان وقام الامير عز الدين ودخل الى داره ودخل معه الامراء فقدم لهم كل ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين وانفصلوا وكان قد جرى الحديث في أمر جواز الجمعة فى الجامع وما ورد فيه من اقاويل العلماء وكتب فيها فتيا أخذ فيها خطوط العلماء بجواز الجمعة في هذا الجامع واقامتها فكتب

جماعة خطوطهم فيها واقيمت صلاة الجمعة به واستمرت ووجد الناس به رفقا وراحة لقربه من الحارات البعيدة من الجامع الحاكمى * قال وكان سقف هذا الجامع قد بني قصيرا فزيد فيه بعد ذلك وعلى ذراعا واستمرت الخطبة فيه حتى بني الجامع الحاكمى فانتقلت الخطبة اليه فان الخليفة كان يخطب فيه خطبة وفي الجامع الازهر خطبة وفي جامع ابن طولون خطبة وفي جامع مصر خطبة وانقطعت الخطبة من الجامع الازهر لما استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالسلطنة فانه قلد وظيفة القضاء لقاضى القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس فعمل بمقتضى مذهبه وهو امتناع اقامة الخطبتين للجمعة في بلد واحد كما هو مذهب الامام الشافعى فأبطل الخطبة من الجامع الازهر وأقر الخطبة بالجامع الحاكمى من اجل انه أوسع فلم يزل الجامع الازهر معطلا من اقامة الجمعة فيه مائة عام من حين استولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى أن اعيدت الخطبة فى أيام الملك الظاهر بيبرس كما تقدم ذكره ثم لما كانت الزلزلة بديار مصر في ذى الحجة سنة اثنتين وسبعمائة سقط الجامع الازهر والجامع الحاكمي وجامع مصر وغيره فتقاسم أمراء الدولة عمارة الجوامع فتولى الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عمارة الجامع الحاكمى وتولى الامير سلار عمارة الجامع الازهر وتولى الامير سيف الدين بكتمر الجوكندار عمارة جامع الصالح فجددوا مبانيها واعادوا ما تهدم منها * ثم جددت عمارة الجامع الازهر على يد القاضي نجم الدين محمد بن حسين بن على الاسعردى محتسب القاهرة فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة * ثم جددت عمارته في سنة احدى وستين وسبعمائة عندما سكن الامير الطواشى سعد الدين بشير الجامدار الناصري فى دار الامير فخر الدين أبان الزاهدى الصالحى النجمى بخط الابارين بجوار الجامع الازهر بعد ماهدمها وعمرها داره التي تعرف هناك الى اليوم بدار بشير الجامدار فأحب لقربه من الجامع أن يؤثر فيه أثرا صالحا فاستأذن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون فى عمارة الجامع وكان اثيرا عنده خصيصا به فأذن له فى ذلك وكان قد استجد بالجامع عدة مقاصير ووضعت فيه صناديق وخزائن حتي ضيقته فأخرج الصناديق والخزائن ونزع تلك المقاصير وتتبع جدرانه وسقوفه بالاصلاح حتى عادت كأنها جديدة وبيض الجامع كله وبلطه ومنع الناس من المرور فيه ورتب فيه مصحفا وجعل له قارئا وأنشأ على باب الجامع القبلى حانوتا لتسبيل الماء العذب في كل يوم وعمل فوقه مكتب سبيل لاقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز ورتب للفقراء المجاورين طعاما يطبخ كل يوم وانزل اليه قدورا من نحاس جعلها فيه ورتب فيه درسا للفقهاء من الحنفية يجلس مدرسهم لالقاء الفقه فى المحراب الكبير ووقف على ذلك أوقافا جليلة باقية الى يومنا هذا ومؤذنو الجامع يدعون فى كل جمعة وبعد كل صلاة للسلطان حسن الى هذا الوقت الذى نحن فيه * وفى سنة أربع وثمانين وسبعمائة ولى الامير

الطواشى بهادر المقدم على المماليك السلطانية نظر الجامع الازهر فتنجز مرسوم السلطان الملك الظاهر برقوق بأن من مات من مجاورى الجامع الازهر عن غير وارث شرعى وترك موجودا فانه يأخذه المجاورون بالجامع ونقش ذلك على حجر عند الباب الكبير البحري * وفى سنة ثمانمائة هدمت منارة الجامع وكانت قصيرة وعمرت أطول منها فبلغت النفقة عليها من مال السلطان خمسة عشر ألف درهم نقرة وكملت فى ربيع الآخر من السنة المذكورة فعلقت القناديل فيها ليلة الجمعة من هذا الشهر وأوقدت حتى اشتعل الضوء من أعلاها الى أسفلها واجتمع القراء والوعاظ بالجامع وتلوا ختمة شريفة ودعوا للسلطان فلم تزل هذه المئذنة الى شوال سنة سبع عشرة وثمانمائه فهدمت لميل ظهر فيها وعمل بدلها منارة من حجر على باب الجامع البحرى بعد ماهدم الباب وأعيد بناؤه بالحجر وركبت المنارة فوق عقده وأخذ الحجر لها من مدرسة الملك الاشرف خليل التى كانت تجاه قلعة الجبل وهدمها الملك الناصر فرج بن برقوق وقام بعمارة ذلك الامير تاج الدين التاج الشوبكي والى القاهرة ومحتسبها الى أن تمت في جمادي الآخرة سنة ثمان عشرة وثمانمائة فلم تقم غير قليل ومالت حتى كادت تسقط فهدمت فى صفر سنة سبع وعشرين وأعيدت وفى شوال منها ابتدئ بعمل الصهريج الذي بوسط الجامع فوجد هناك آثار فسقية ماء ووجد أيضا رمم أموات وتم بناؤه فى ربيع الاول وعمل بأعلاه مكان مرتفع له قبة يسبل فيه الماء وغرس بصحن الجامع أربع شجرات فلم تفلح وماتت ولم يكن لهذا الجامع ميضاة عند مابنى ثم عملت ميضأته حيث المدرسة الاقبغاوية الى أن بني الامير أقبغا عبد الواحد مدرسته المعروفة بالمدرسة الاقبغاوية هناك وأما هذه الميضأة التى بالجامع الآن فان الامير بدر الدين جنكل بن البابا بناها ثم زيد فيها بعد سنة عشر وثمانمائة ميضأة المدرسة الاقبغاوية * وفى سنة ثمان عشرة وثمانمائة ولى نظر هذا الجامع الامير سودوب القاضى حاجب الحجاب فجرت في أيام نظره حوادث لم يتفق مثلها وذلك أنه لم يزل في هذا الجامع منذ بني عدّة من الفقراء يلازمون الاقامة فيه وبلغت عدّتهم في هذه الايام سبعمائة وخمسين رجلا مابين عجم وزيالعة ومن أهل ريف مصر ومغاربة ولكل طائفة رواق يعرف بهم فلا يزال الجامع عامرا بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه والاشتغال بأنواع العلوم الفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ وحلق الذكر فيجد الانسان اذا دخل هذا الجامع من الانس بالله والارتياح وترويح النفس مالا يجده فى غيره وصار أرباب الاموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البرّ من الذهب والفضة والفلوس اعانة للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى وكلّ قليل تحمل اليهم أنواع الاطعمة والخبز والحلاوات لاسيما في المواسم فأمر فى جمادى الاولى من هذه السنة باخراج المجاورين من الجامع ومنعهم من الاقامة فيه واخراج ماكان لهم فيه من صناديق

وخزائن وكراسي المصاحف زعما منه أن هذا العمل مما يثاب عليه، وما كان الامن أعظم الذنوب وأكثرها ضرراً فانه حل بالفقراء بلاء كبير من تشتت شملهم وتعذر الاماكن عليهم فساروا فى القرى وتبذلوا بعد الصيانة وفقد من الجامع أكثر ما كان فيه من تلاوة القرآن ودراسة العلم وذكر الله ثم لم يرضه ذلك حتى زاد فى التعدى وأشاع أن أناسا يبيتون بالجامع ويفعلون فيه منكرات وكانت العادة قد جرت بمبيت كثير من الناس في الجامع مابين تاجر وفقيه وجندى وغيرهم منهم من يقصد بمبيته البركة ومنهم من لايجد مكانا يأويه ومنهم من يستروح بمبيته هناك خصوصاً فى ليالى الصيف وليالى شهر رمضان فانه يمتلئ صحنه وأكثر رواقاته فلما كانت ليلة الاحد الحادى عشر من جمادى الآخرة طرق الامير سودوب الجامع بعد العشاء الآخرة والوقت صيف وقبض على جماعة وضربهم في الجامع وكان قد جاء معه من الاعوان والغلمان وغوغاء العامة ومن يريد النهب جماعة فحل بمن كان في الجامع انواع البلاء ووقع فيهم النهب فأخذت فرشهم وعمائمهم وفتشت أوساطهم وسلبوا ما كان مربوطا عليها من ذهب وفضة وعمل ثوبا أسود للمنبر وعلمين مزوقين بلغت النفقة على ذلك خمسة عشر ألف درهم على مابلغني فعاجل الله الامير سودوب وقبض عليه السلطان في شهر رمضان وسجنه بدمشق

*( جامع الحاكم )*

هذا الجامع بني خارج باب الفتوح أحد أبواب القاهرة وأول من أسسه أمير المؤمنين العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد وخطب فيه وصلى بالناس الجمعة ثم أكمله ابنه الحاكم بامر الله فلما وسع أمير الجيوش بدر الجمالى القاهرة وجعل أبوابها حيث هي اليوم صار جامع الحاكم داخل القاهرة وكان يعرف أولا بجامع الخطبة ويعرف اليوم بجامع الحاكم ويقال له الجامع الانور * قال الامير مختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن احمد المسبحى في تاريخ مصر وفيه يعني شهر رمضان سنة ثمانين وثلثمائة خط أساس الجامع الجديد بالقاهرة مما يلى باب الفتوح من خارجه وبدئ بالبناء فيه وتحلق فيه الفقهاء الذين يتحلقون في جامع القاهرة يعني الجامع الازهر وخطب فيه العزيز بالله * وقال في حوادث سنة احدى وثمانين وثلثمائة لاربع خلون من شهر رمضان صلى العزيز بالله في جامعه صلاة الجمعة وخطب وكان فى مسيره بين يديه أكثر من ثلاثة آلاف وعليه طيلسان وبيده القضيب وفى رجله الحذاء وركب لصلاة الجمعة في رمضان سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة الى جامعه ومعه ابنه منصور فحملت المظلة على منصور وسار العزيز بغير مظلة * وقال في حوادث سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وأمر الحاكم بامر الله ان يتم بناء الجامع الذى كان الوزير يعقوب بن كلس بدأ في بنيانه عند باب الفتوح فقدر للنفقة عليه أربعون الف دينار فابتدئ في العمل فيه

وفي صفر سنة احدى وأربعمائة زيد فى منارة جامع باب الفتوح وعمل لها أركان طول كل ركن مائة ذراع وفي سنة ثلاث وأربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بعمل تقدير ما يحتاج اليه جامع باب الفتوح من الحصر والقناديل والسلاسل فكان تكسير ماذرع للحصر ستة وثلاثين الف ذراع فبلغت النفقة على ذلك خمسة آلاف دينار * قال وتم بناء الجامع الجديد بباب الفتوح وعلق على سائر أبوابه ستور ديبقية عملت له وعلق فيه تنانير فضة عدتها أربع وكثير من قناديل فضة وفرش جميعه بالحصر التي عملت له ونصب فيه المنبر وتكامل فرشه وتعليقه وأذن في ليلة الجمعة سادس شهر رمضان سنة ثلاث وأربعمائة لمن بات فى الجامع الازهر أن يمضوا اليه فمضوا وصار الناس طول ليلتهم يمشون من كل واحد من الجامعين الى الآخر بغير مانع لهم ولا اعتراض من أحد من عسس القصر ولا أصحاب الطوف الى الصبح وصلى فيه الحاكم بأمر الله بالناس صلاة الجمعة وهى أول صلاة أقيمت فيه بعد فراغه * وفى ذى القعدة سنة أربع وأربعمائة حبس الحاكم عدة قياسر وأملاك على الجامع الحاكمي بباب الفتوح * قال ابن عبد الظاهر وعلى باب الجامع الحاكمي مكتوب انه أمر بعمله الحاكم أبو على المنصور في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وعلى منبره مكتوب انه أمر بعمل هذا المنبر للجامع الحاكمي المنشأ بظاهر باب الفتوح فى سنة ثلاث وأربعمائة ورأيت فى سيرة الحاكم وفى يوم الجمعة أقيمت الجمعة فى الجامع الذي كان الوزير أنشأه بباب الفتوح * ورأيت فى سيرة الوزير المذكور فى يوم الاحد عاشر رمضان سنة تسع وسبعين وثلثمائة خط أساس الجامع الجديد بالقاهرة خارج الطابية مما يلى باب الفتوح قال وكان هذا الجامع خارج القاهرة فجدد بعد ذلك باب الفتوح وعلى البدنة التي تجاور باب الفتوح وبعض البرج مكتوب ان ذلك بنى سنة ثلاثين وأربعمائة في زمن المستنصر بالله ووزارة أمير الجيوش(٣) فيكون بينهما سبع وثمانون سنة قال والفسقية وسط الجامع بناها الصاحب عبد الله بن على بن شكر وأجرى الماء اليها وأزالها القاضي تاج الدين بن شكر وهو قاضى القضاة فى سنة ستين وستمائة والزيادة التي الي جانبه قيل انها بناء ولده الظاهر على ولم يكملها وكان قد حبس فيها الفرنج فعملوا فيها كنائس هدمها الملك الناصر صلاح الدين وكان قد تغلب عليها وبنيت اصطبلات وبلغنى أنها كانت في الايام المتقدمة قد جعلت اهراء للغلال فلما كان فى الايام الصالحية ووزارة معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ للملك الصالح أيوب ولد الكامل ثبت عند الحاكم أنها من الجامع وأن بها محراباً فانتزعت واخرج الخيل منها وبني فيها ماهو الآن في الايام المعزية على يد الركن الصيرفى" ولم يسقف ثم جدد هذا الجامع فى سنة ثلاث وسبعمائة وذلك انه لما كان يوم الخميس ثالث عشري ذى الحجة سنة اثنتين وسبعمائة تزلزلت أرض مصر

(٣) (قوله فيكون بينهما الخ) هكذا في نسخ الاصل وفيه نظر اه

والقاهرة واعمالهما ورجف كل ماعليهما واهتز وسمع للحيطان قعقعة وللسقوف قرقعة ومارت الاض بما عليها وخرجت عن مكانها وتخيل الناس أن السماء قد انطبقت على الارض فهربوا من اماكنهم وخرجوا عن مساكنهم وبرزت النساء حاسرات وكثر الصراخ والعويل وانتشرت الخلائق فلم يقدر أحد على السكون والقرار لكثرة ماسقط من الحيطان وخر من السقوف والمآذن وغير ذلك من الابنية وفاض ماء النيل فيضا غير المعتاد وألقى ما كان عليه من المراكب التي بالساحل قدر رمية سهم وانحسر عنها فصارت على الارض بغير ماء واجتمع العالم في الصحراء خارج القاهرة وباتوا ظاهر باب البحر بحرمهم وأولادهم في الخيم وخلت المدينة وتشعثت جميع البيوت حتي لم يسلم ولا بيت من سقوط أو تسقط أو ميل وقام الناس في الجوامع يبتهلون ويسألون الله سبحانه طول يوم الخميس وليلة الجمعة ويوم الجمعة فكان مما تهدم في هذه الزلزلة الجامع الحاكمى فانه سقط كثير من البدنات التي فيه وخرب أعالى المئذنتين وتشعثت سقوفه وجدرانه فانتدب لذلك الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ونزل اليه ومعه القضاة والامراء فكشفه بنفسه وأمر برم ماتهدم منه واعادة ماسقط من البدنات فأعيدت وفى كل بدنة منها طاق وأقام سقوف الجامع وبيضه حتي عاد جديدا وجعل له عدة أوقاف بناحية الجيزة وفي الصعيد وفي الاسكندرية تغل كل سنة شيئا كثيرا ورتب فيه دروسا أربعة لاقراء الفقه على مذاهب الائمة الاربعة ودرسا لاقراء الحديث النبوى وجعل لكل درس مدرسا وعدة كثيرة من الطلبة فرتب في تدريس الشافعية قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى وفي تدريس الحنفية قاضي القضاة شمس الدين احمد السروجي الحنفى وفى تدريس المالكية قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى وفي تدريس الحنابلة قاضى القضاة شرف الدين الجوانى وفي درس الحديث الشيخ سعد الدين مسعودا الحارثي وفي درس النحو الشيخ أثير الدين أباحيان وفي درس القراآت السبع الشيخ نور الدين الشطنوفى وفي التصدير لافادة العلوم علاء الدين على بن اسماعيل القونوى وفي مشيخة الميعاد المجد عيسي بن الخشاب وعمل فيه خزانة كتب جليلة وجعل فيه عدة متصدرين لتلقين القرآن الكريم وعدة قراء يتناوبون قراءة القرآن ومعلما يقرئ أيتام المسلمين كتاب الله عز وجل وحفر فيه صهريجا بصحن الجامع ليملأ في كل سنة من ماء النيل ويسبل منه الماء فى كل يوم ويستقى منه الناس يوم الجمعة وأجرى على جميع من قرره فيه معاليم داره وهذه الاوقاف باقية الى اليوم الا أن أحوالها اختلت كما اختل غيرها فكان ماانفق عليه زيادة على أربعين ألف دينار * وجرى في بنائه لهذا الجامع أمر يتعجب منه وهو ماحدثني به شيخنا الشيخ المعروف المسند المعمر أبو عبد الله محمد بن ضرغام بن شكر المقرى بمكة في سنة سبع وثمانين وسبعمائة قال أخبرنى من حضر عمارة الامير بيبرس للجامع الحاكمى عند سقوطه

في سنة الزنزلة انه لما شرع البناة في ترميم ماوهى من المئذنة التي هى من جهة باب الفتوح ظهر لهم صندوق في تضاعيف البنيان فاخرجه الموكل بالعمارة وفتحه فاذافيه قطن ملفوف على كف انسان بزنده وعليه أسطر مكتوبة لم يدر ماهي والكف طرية كانها قريبة عهد بالقطع ثم رأيت هذه الحكاية بخط مؤلف السيرة الناصرية موسى بن محمد بن يحيي أحد مقدمى الحلقة ثم جدد هذا الجامع وباط جميعه في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون في ولايته الثانية على يد الشيخ قطب الدين محمد الهرماس في سنة ستين وسبعمائة ووقف قطعة أرض على الهرماس وأولاده وعلى زيادة في معلوم الامام بالجامع وعلى مايحتاج اليه فى زيت الوقود ومرمة في سقفه وجدرانه وجري في عمارة الجامع على يد الهرماس ماحدثني به الشيخ المعمر شمس الدين محمد بن على امام الجامع الطيبرسى بشاطئ النيل قال أخبرنى محمد بن عمر البوصيرى قال حدثنا قطب الدين محمد الهرماس أنه رأى بالجامع الحاكمي حجرا ظهر من مكان قد سقط منقوش عليه هذه الابيات الخمسة

ان الذي أسررت مكنون اسمه * وكتمته كيما افوز بوصله
مال له جذر تساوي في الهجا * طرفاه يضرب بعضه فى مثله
فيصير ذاك المال الا انه * في النصف منه تصاب أحرف كله
واذا نطقت بربعه متكلما * من بعد أوله نطقت بكله
لانقط فيه اذا تكامل عده * فيصير منقوطا بجملة شكله

قال وهذه الابيات لغزفى الحجر المكرم * وقال العلامة شمس الدين محمد بن النقاش فى كتاب العبر فى أخبار من مضى وغبر وفى هذه السنة يعنى سنة احدى وستين وسبعمائة صودر الهرماس وهدمت داره التي بناها أمام الجامع الحاكمى وضرب ونفى هو وولده فلما كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرون من ذى القعدة استفتى السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون فى وقف حصة طندتا وهى الارض التي كان قد سأله الهرماس ان يقفها على مصالح الجامع الحاكمي فعين له خمسمائة وستين فدانا من طين طندتا وطلب الموقعين وأمرهم أن يكتبوا صورة وقفها ويحضروه ليشهدوا عليه به وكان قد تقرر من شروطه في أوقافه ماقيل انه رواية عن أبي حنيفة رحمة الله تعالى عليه من أن للواقف أن يشترط فى وقفه التغيير والزيادة والنقص وغير ذلك فأحضر الكركي الموقع اليه الكتاب مطويا فقرأ منه طرته وخطبته وأوله ثم طواه وأعاده اليه مطويا وقال اشهدوا بما فيه دون قراءة وتأمل فشهدوا هم بالتفصيل الذى كتبوه وقرروه مع الهرماس ولما اطلع السلطان على ذلك بعد نفى الهرماس طلب الكركي وسأله عن هذه الواقعة فأجاب بما قد ذكرنا والله أعلم بصحة ذلك غير أن المعلوم المقرر أن السلطان ماقصد الا مصالح الجامع ثم سأله ازدمر الخازندار

هل وقفت حصة لطيفة على اولاد الهرماس فانه قد ذكر ذلك فقال نعم أنا وقفت عليهم
جزأ يسيرا لم أعلم مقداره وأما التفصيل المذكور فى كتاب الوقف فلم أحققه ولم أطلع عليه
فاستفتي المفتين فى هذه الواقعة فاما المفتون كابن عقيل وابن السبكي والبلقيني والبسطامى
والهندى وابن شيخ الجبل والبغدادي ونحوهم فأجابوا ببطلان الحكم المترتب على هذه
الشهادة الباطلة وبطلان التنفيذ وكان الحنفى حكم والبقية نفذوا وأما الحنفى فقال ان الوقف
اذا صدر صحيحاً على الاوضاع الشرعية فانه لايبطل بما قاله الشاهد وهو جواب عن نفس
الواقعة وأما الشافعى فكتب مامضمونه ان الحنفى ان اقتضي مذهبه بطلان ماصححه أولا
نفذ بطلانه وحاصل ذلك أن القضاة أجابوا بالصحة والمفتين أجابوا بالبطلان فطلب السلطان
المفتين والقضاة فلم يحضر من الحكام غير نائب الشافعي وهو تاج الدين محمد بن اسحاق
ابن المناوى والقضاة الثلاثة الشافعى والحنفى والحنبلى وجدوا مرضى لم يمكنهم الحضور الى
سرياقوس فان السلطان كان قد سرح اليها على العادة في كل سنة فجمعهم السلطان فى برج
من القصر الذى بميدان سرياقوس عشاء الآخرة وذكر لهم القضية وسألهم عن حكم الله
تعالى فى الواقعة فأجاب الجميع بالبطلان غير المناوى فانه قال مذهب أبي حنيفة أن الشهادة
الباطلة اذا اتصل بها الحكم صح ولزم فصرخت عليه المفتون شافعيهم وحنفيهم أما شافعيهم
فانه قال ليس هذا مذهبك ولا مذهب الجمهور ولا هو الراجح فى الدليل والنظر وقال له
ابن عقيل هذا مما ينقض به الحكم لو حكم به حاكم وادعى قيام الاجماع على ذلك وقال له
سراج الدين البلقيني ليس هذا مذهب أبى حنيفة ومذهبه في العقود والفسوخ ماذكرت
من أن حكم الحاكم يكون هو المعتمد فى التحليل والتحريم وأما الاوقاف ونحوها فحكم
الحاكم فيها لاأثر له كمذهب الشافعى وادعوا أن الاجماع قائم علي ذلك وقاموا علي المناوى
في ذلك قومة عظيمة فقال نحن نحكم بالظاهر فقالوا له مالم يظهر الباطن بخلافه فقال قال
النبي صلي الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر قالوا هذا الحديث كذب على النبى صلى الله عليه
وسلم وانما الحديث الصحيح حديث انما أنا بشر ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من
بعض الحديث قال المناوى الاحكام ماهي بالفتاوى قالوا له فبماذا تكون أفى الوجود حكم شرعى
بغير فتوي من الله ورسوله وكان قد قال فى مجلس ابن الدريهم القائم على نفيس اليهودى
المدعو برأس الجالوت بين اليهود لايلتفت لقول المفتين فقيل له فى هذا المجلس هاأنت قد
قلت مرتين ان المفتين لايعتبر قولهم وان الفتاوى لايعتد بها وقد أخطأت فى ذلك أشد
الخطأ وأنبأت عن غاية الجهل فان منصب الفتوى أول من قام به رب العالمين اذ قال في
فى كتابه المبين يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة وقال يوسف عليه السلام قضي الامر
الذى فيه تستفتيان وقال النبى صلي الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها قد أفتانى الله ربي

فيما استفتيته وكل حكم جاء علي سؤال سائل تكفل ببيانه قرآن أو سنة فهو فتوى والقائم به مفت فكيف تقول لايلتفت الى الفتوي أو الى المفتين فقال سراج الدين الهندى وغيره هذا كفر ومذهب أبي حنيفة أن من استخف بالفتوى أو المفتين فهو كافر فاستدرك نفسه بعد ذلك وقال لم أرد الا أن الفتوى اذا خالفت المذهب فهي باطلة قالوا له وأخطأت في ذلك أيضا لان الفتوى قد تخالف المذهب المعين ولاتخالف الحق في نفس الامر قال فأردت بالفتوي التي تخالف الحق قالوا فأطلقت في موضع التقييد وذلك خطأ فقال السلطان حينئذ فاذاقدر هذا وادعيت أن الفتوى لاأثر لها فتبطل المفتين والفتوى من الوجود فتلكأ وحاروقال كيف أعمل في هـذا فتبين لبعض الحاضرين انه استشكل المسألة ولم يتبين له وجهها فقال لاشك أن مولانا السلطان لم ينكر صدور الوقف وانما انكر المصارف وأن تكون الجهة التي عينها هي هرماس وشهوده وقضاته وللسلطان أن يحكم فيها بعلمه ويبطل ماقرروه من عند أنفسهم قال كيف يحكم لنفسه قيل له ليس هذا حكما لنفسه لانه مقر بأصل الوقف وهو للمستحقين ليس له فيه شيء وانما بطل وصف الوقف وهو المصرف الذي قرر على غير جهة الوقف وله ان يوقع الشهادة على نفسه بحكم أن مصرف هذا الوقف الجهة الفلانية دون الفلانية ولم يزالوا يذكرون له أوجها تبين بطلان الوقف اما بأصله أو بوصفه الى أن قال يبطل بوصفه دون أصله وأذعن لذلك بعد اتعاب من العلماء وازعاج شديد من السلطان في بيان وجوه ذكروها تبين وجه الحق وانه انما وقفه على مصالح الجامع المذكور وهذا مما لايشك فيه عاقل ولا يرتاب فالتفت بعد ذلك وقال للحاضرين كيف نعمل في ابطاله فقالوا بما قررناه من اشهاد السلطان على نفسه بتفصيل صحيح وانه لم يزل كذلك منذ صدر منه الوقف الى هذا الحد وغير ذلك من الوجوه فجعل يوهم السلطان أن الشهود الذين شهدوا في هذا الوقف متي بطل هـذا الوقف ثبت عليهم التساهل وجرحوا بذلك وقدح ذلك فى عدالتهـم ومتي جرحوا الآ ن لزم بطلان شهادتهم في الاوقاف المتقدمة على هـذا التاريخ وخيل بذلك للسلطان حتي ذكر له اجماع المسلمين على أن جرح الشاهد لاينعطف على ما مضى من شهاداته السالفة ولو كفر والعياذ بالله . وهذا ممالا خلاف فيه ثم استقر رأيه على أن يبطله بشاهدين يشهدان أن السلطان لما صدر منه هذا الوقف كان قد اشترط لنفسه التغيير والتبديل والزيادة والنقص وقام على ذلك * قال مؤلفه رحمه الله انظر تثبت القضاة وقايس بين هذه الواقعـة وماكان من تثبت القاضى تاج الدين المناوى وهو يومئذ خليفة الحكم ومصادمته الجبال وبين ما ستقف عليه من التساهل والتناقض فى خبر أوقاف مدرسة جمال الدين يوسف الاستادار وميز بعقلك فرق ما بين القضيتين وهـذه الارض التى ذكرت هي الآ ن بيد أولاد الهرماس بحكم الكتاب الذى حاول السلطان نقضه

فلم يوافق المناوى والجامع الآن متهـدم وسقوفه كلها ما من زمن الا ويسقط منها الشيء بعد الشيء فلا يعاد وكانت ميضأة هذا الجامع صغيرة بجوار ميضأته الآن فيما بينها وبين باب الجامع وموضعها الآن مخزن تعلوه طبقة عمرها شخص من الباعـة يعرف بابن كرسون المراحلى وهذه الميضأة الموجودة الآن أحدثت وأنشأ الفسقيـة التى فيها ابن كرسون في أعوام بضع وثمانين وسبعمائة وبيض مئذنتي الجامع واستجد المئذنة التي بأعلى الباب المجاور للمنبر رجل من الباعة وكملت في جمادي الآخرة سنة سبع وعشرين وثمانمائة وخرق سقف الجامع حتي صـار المؤذنون ينزلون من السـطح الى الدكة التى يكبرون فوقها وراء الامام

*( هيئة صلاة الجمعة في أيام الخلفاء الفاطميين )* قال المسيحي وفي يوم الجمعة غرة رمضان سنة ثمانين وثلثمائة ركب العزيز بالله الى جامع القاهرة بالمظلة المذهبة وبين يديه نحو خمسـة آلاف ماش وبيده القضيب وعليه الطيلسان والسيف فخطب وصلى صلاة الجمعة وانصرف فأخذ رقاع المتظلمين بيـده وقرأ منها عدة فى الطريق وكان يوما عظيما ذكرته الشعراء *

قال ابن الطوير اذا انقضى ركوب أول شهر رمضان استراح في أول جمعة فاذا كانت الثانية ركب الخليفة الى الجامع الانور الـكبير في هيئة المواسم بالمظلة وما تقدم ذكره من الآلات ولباسه فيه ثياب الحرير البيض توقيرا للصلاة من الذهب والمنديل والطيلسان المقور الشعري فيدخل من باب الخطابة والوزير معه بعد أن يتقـدمه فى أوائل النهار صاحب بيت المال وهو المقدم ذكره في الاستاذين وبين يديه الفرش المختصة بالخليفة اذا صار اليه في هـذا اليوم وهو محمول بأيدى الفراشين المميزين وهو ملفوف فى العراضى الديبقيـة فيفرش في المحراب ثلاث طراحات اما سامان أوديبقى ابيض أحسن مايكون من صنفهما كل منهمـا منقوش بالحمرة فتجعـل الطراحات متطابقات ويعلق ستران يمنة ويسرة وفي الستر الايمن كتابة مرقومة بالحرير الاحمر واضحة منقوطة أولها البسملة والفاتحة وسورة الجمعة وفى الستر الايسر مثل ذلك وسورة اذا جاءك المنافقون قد أسبلا وفرشا في التعليق بجانبى المحراب لاصقين بجسمه ثم يصعد قاضى القضاة المنبر وفي يده مدخنة لطيفة خيزران يحضرها اليـه صاحب بيت المال فيها جمرات ويجعل فيها ندّ مثلث لايشم مثله الا هناك فيبخر الذروة التي عليهـا الغشاء كالقبة لجلوس الخليفة للخطابة ويكرر ذلك ثلاث دفعات فيأتى الخليفة فى هيئة موقرة من الطبـل والبوق وحوالى ركابه خارج أصحاب الركاب القراء وهم قراء الحضرة من الجانبين يطربون بالقراءة نوبة بعـد نوبة يستفتحون بذلك من ركوبه من الكرسى على ما تقدم طول طريقـه الى قاعة الخطابة من الجامع ثم تحفظ المقصورة من خارجها بترتيب أصحاب الباب واسفهسلار العساكر ومن داخلها الى آخرها صبيان الخاص وغيرهم ممن يجرى مجراهم ومن داخلها من باب خروجه الى المنبر واحد فواحد فيجلس في القاعة وان احتاج

الى تجديد وضوء فعل والوزير في مكان آخر فاذا أذن بالجمعة دخل اليه قاضى القضاة فقال له السلام على أمير المؤمنين الشريف القاضى ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمك الله فيخرج ماشيا وحواليه الاستاذون المحنكون والوزير وراءه ومن يليهم من الخواص وبأيديهم الاسلحة من صبيان الخاص وهم أمراء وعليهم هذا الاسم فيصعد المنبر الى أن يصل الى الذروة تحت تلك القبة المبخرة فاذا استوى جالسا والوزير على باب المنبر ووجهه اليه فيشير اليه بالصعود فيصعد الى أن يصل اليه فيقبل يديه ورجليه بحيث يراه الناس ثم يزرر عليه تلك القبة لانها كالهودج ثم ينزل مستقبلا فيقف ضابطا لباب المنبر فان لم يكن ثم وزير صاحب سيف زرر عليه قاضى القضاة كذلك ووقف صاحب الباب ضابطا للمنبر فيخطب خطبة قصيرة من مسطور يحضر اليه من ديوان الانشاء يقرأ فيها آية من القرآن الكريم ولقد سمعته مرة في خطابته بالجامع الازهر وقد قرأ فى خطبته رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي الآية ثم يصلى على أبيه وجده يعنى بهما محمدا صلى الله عليه وسلم وعليّ بن أبي طالب رضى الله عنه ويعظ الناس وعظا بليغا قليل اللفظ وتشتمل الخطبة على الفاظ جزلة ويذكر من سلف من آبائه حتي يصل الى نفسه فقال وأنا اسمعه اللهم وأنا عبدك وابن عبدك لاأملك لنفسي ضرا ولا نفعا ويتوسل بدعوات فخمة تليق بمثله ويدعو للوزير ان كان وللجيوش بالنصر والتأليف وللعساكر بالظفر وعلى الكافرين والمخالفين بالهلاك والقهر ثم يختم بقوله اذكروا الله يذكركم فيطلع اليه من زرر عليه ويفك ذلك التزرير وينزل القهقرى وسبب التزرير عليهم قراءتهم من مسطور لاكعادة الخطباء فينزل الخليفة ويصير على تلك الطراحات الثلاث في المحراب وحده اماما ويقف الوزير وقاضى القضاة صفا ومن ورائهما الاستاذون المحنكون والامراء المطوقون وأرباب الرتب من اصحاب السيوف والاقلام والمؤذنون وقوف وظهورهم الى المقصورة لحفظه فاذا سمع الوزير الخليفة أسمع القاضى فأسمع القاضى المؤذنين وأسمع المؤذنون الناس هذا والجامع مشحون بالعالم للصلاة وراءه فيقرأ ماهو مكتوب فى الستر الايمن فى الركعة الاولى وفي الركعة الثانية ما هو مكتوب في الستر الايسر وذلك على طريق التذكار خيفة الارتجاج فاذا فرغ خرج الناس وركبوا أولا فأولا وعاد طالبا القصر والوزير وراءه وضربت البوقات والطبول فى العود فاذا أتت الجمعة الثانية ركب الى الجامع الازهر من القشاشين على المنوال الذى ذكرناه والقالب الذى وصفناه فاذا كانت الجمعة الثالثة أعلم بركوبه الى مصر للخطابة فى جامعها فيزين له من باب القصر أهل القاهرة الى جامع ابن طولون ويزين له أهل مصر من جامع ابن طولون الى الجامع بمصر يرتب ذلك والى مصر كل أهل معيشة فى مكان فيظهر المختار من الآلات والستور المثمنات ويهتمون بذلك ثلاثة أيام بلياليهن والوالى مارّ وعائد بينهم وقد ندب

من يحفظ الناس ومتاعهم فيركب يوم الجمعة المذكور شاقا لذلك كله علي الشارع الاعظم الى مسجد عبدالله الخراب اليوم الى دار الانماط الى الجامع بمصر فيدخل اليه من المعونة ومنها باب متصل بقاعة الخطيب بالزى الذى تقدم ذكره فى خطبة الجامعين بالقاهرة وعلي ترتيبهما فاذا قضى الصلاة عاد الى القاهرة من طريقه بعينها شاقا بالزينة الى أن يصل الى القصر ويعطى أرباب المساجد التي يمر عليها كل واحد دينارا* وقال ابن المأمون ووصل من الطراز الكسوة المختصة بغرة شهر رمضان وجمعتيه برسم الخليفة للغرة بدلة كبيرة موكبية مكملة مذهبة وبرسم الجامع الازهر للجمعة الاولى من الشهر بدلة موكبية حرير مكملة منديلها وطيلسانها بياض وبرسم الجامع الانور للجمعة الثانية بدلة منديلها وطيلسانها شعرى وماهو برسم أخى الخليفة للغرة خاصة بدلة مذهبة وبرسم أربع جهات للخليفة أربع حلل مذهبات وبرسم الوزير للغرة خاصة مذهبة مكملة موكبية وبرسم الجمعتين بدلتان حريريتان ولم يكن لغير الخليفة وأخيه والوزير في ذلك شئ فنذكره

## *( جامع راشدة )*

هذا الجامع عرف بجامع راشدة لانه في خطة راشدة قال القضاعى خطة راشدة بن أدوب ابن جديلة من لخم هى متاخمة للخطة التي قبلها الى الدير المعروف كان بأبى تكموس ثم هدم وهو الجامع الكبير الذى براشدة وقد دثرت هذه الخطة ومنها المقبرة المعروفة بمقبرة راشدة والجنان التي كانت تعرف بكهمس بن معمر ثم عرفت بالماردانى وهى اليوم تعرف بالامير تميم * وقال المسيحى في حوادث سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وابتدئ بناء جامع راشدة في سابع عشر ربيع الآخر وكان مكانه كنيسة حولها مقابر لليهود والنصاري فبني بالطوب ثم هدم وزيد فيه وبني بالحجر وأقيمت به الجمعة وقال في سنة خمس وتسعين وثلثمائة وفيه يعني شهر رمضان فرش جامع راشدة وتكامل فرشه وتعليق قناديله وما يحتاج اليه وركب الحاكم بأمر الله عشية يوم الجمعة الخامس عشر منه وأشرف عليه وقال في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وفيه يعنى شهر رمضان صلي الحاكم بجامعه الذى أنشأه براشدة صلاة الجمعة وخطب وفي شهر رمضان سنة أربعمائة أنزل بقناديل وتنور من فضة زنتها ألوف كثيرة فعلقت بجامع راشدة وفي سنة احدى وأربعمائة هدم وابتدئ في عمارته من صفر وفى شهر رمضان سنة ثلاث واربعمائة صلى الحاكم فى جامع راشدة صلاة الجمعة وعليه عمامة بغير جوهر وسيف محلى بفضة بيضاء دقيقة والناس يمشون ركابه من غير أن يمنع أحد منه وكان يأخذ قصصهم ويقف ويقوفاطويلا لكل منهم واتفق يوم الجمعة حادى عشر جمادي الآخرة سنة أربع عشرة وأربعمائة أن خطب فيه خطيبان معا على المنبر وذلك أن أباطالب على بن عبد السميع العباسي استقر في خطابته باذن قاضى القضاة أبي العباس أحمد بن محمد بن العوام بعد

سفر العفيف البخارى الى الشام فتوصل ابن عصفورة الى أن خرج له أمر أمير المؤمنين الظاهر لاعز ازدين الله أبي الحسن على بن الحاكم بأمر الله أن يخطب فصعدا جميعا المنبر ووقف أحدهما دون الآخر وخطبا معا ثم بعد ذلك استقر أبو طالب خطيبا وأن يكون ابن عصفورة يخلفه وقال ابن المتوج هذا الجامع فيما بين دير الطين والفسطاط وهو مشهور الآن بجامع راشدة وليس بصحيح وانما جامع راشدة كان جامعا قديم البناء بجوار هذا الجامع عمر فى زمن الفتح عمرته راشدة وهى قبيلة من القبائل كقبيلة تجيب ومهرة نزلت فى هذا المكان وعمروا فيه جامعا كبيرا أدركت أنا بعضه ومحرابه وكان فيه نخل كثير من نخل المقل ومن جملة مارأيت فيه نخلة من المقل عددت لها سبعة رؤس مفرعة منها فذاك الجامع هو المعروف بجامع راشدة وأما هذا الموجود الآن فمن عمارة الحاكم ولم يكن فى بناء الجوامع أحسن من بنائه وقيل عمرته حظية الخليفة وكان اسمها راشدة وليس بصحيح والاول هو الصحيح وفيه الآن نخل وسدر وبئر وساقية رجل وهو مكان خلوة وانقطاع ومحل عبادة وفراغ من تعلقات الدنيا * قال مؤلفه هذا وهم من ابن المتوج في موضعين *( أولهما) أن راشدة عمرت هذا الجامع فى زمن فتح مصر وهذا قول لم يقله أحد من مؤرخي مصر فهذا الكندى ثم القضاعى وعليهما يعول فى معرفة خطط مصر ومن قبلهما ابن عبد الحكم لم يقل أحد منهم ان راشدة عمرت زمن الفتح مسجدا ولا يعرف من هذا السلف رحمهم الله في جند من أجناد الامصار التي فتحتها الصحابة رضى الله عنهم انهم أقاموا خطبتين في مسجد واحد وقد حكينا ماتقدم عن المسيحى وهو مشاهد مانقله من بناء الجامع المذكور في موضع الكنيسة بأمر الحاكم بأمر الله وتغييره لبنائه غير مرة وتبعه القضاعى على ذلك وقد عد القضاعى والكندى في كتابيهما المذكور فيهما خطط مصر ما كان بمصر من مساجد الخطبة القديمة والمحدثة وذكرا مساجد راشدة ولم يذكرا فيها جامعا اختطته راشدة وذكرا هذا الدير وعين القضاعي اسمه هدم وبنى في مكانه جامع راشدة وناهيك بهما معرفة لآثار مصر وخططها * ( والوهم الثانى ) * الاستدلال على الوهم الاول بمشاهدة بقايا مسجد قديم ولا ادرى كيف يستدل بذلك فمن أنكر أن يكون قد كان هناك مسجد بل المدعي انه كان لراشدة مساجد لكن كونها اختطت جامعا هذا غير صحيح وقال ابن أبى طي في أخبار سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة في كتابه تاريخ حلب كانت النصاري اليعقوبية قد شرعوا فى انشاء كنيسة كانت قد اندرست لهم بظاهر مصر فى الموضع المعروف براشدة فثار قوم من المسلمين وهدموا مابني النصاري وأنهى الى الحاكم ذلك وقيل له ان النصارى ابتدأوا بناءها وقال النصارى انها كانت قبل الاسلام فأمر الحاكم الحسين بن جوهر بالنظر في حال الفريقين فمال فى الحكم مع النصارى وتبين للحاكم ذلك فأمر ان تبنى تلك الكنيسة مسجدا جامعا فبني في أسرع وقت وهو جامع راشدة

وراشدة اسم للكنيسة وكان بجواره كنيستان احداهما لليعقوبية والاخرى للنسطورية فهدمتا أيضا وبنيتا مسجدين وكان في حارة الروم بالقاهرة آدر للروم وكنيستان لهم فهدمتا وجعلتا مسجدين أيضا وحول الروم الى الموضع المعروف بالحمراء وأسس الروم ثلاث كنائس عوضا عما هدم لهم وهذا أيضا مصرح بأن جامع راشدة أسسه الحاكم وفيه وهم لكونه جعل راشدة اسما للكنيسة وانما راشدة اسم لقبيلة من العرب نزلوا عند الفتح هناك فعرفت تلك البقاع بخطة راشدة وقد جدد جامع راشدة مرارا وأدركته عامرا تقام فيه الجمعة ويمتلئ بالناس لكثرة من حوله من السكان وانما تعطل من اقامة الجمعة بعد حوادث سنة ست وثمانمائة وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة راشدة بطن من لخم وهم ولد راشدة بن الحارث بن أد بن جديلة من لخم بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد وقيل راشدة بن أدوب ويقال لراشدة خالفة ولهم خطة بمصر بالجبل المعروف بالرصد المطل على بركة الحبش وقد دثرت الخطة ولم يبق في موضعها الا الجامع الحاكمى المعروف بجامع راشدة

* ( جامع المقس ) *

هذا الجامع أنشأه الحاكم بأمر الله على شاطئ النيل بالمقس في ( ٣ ) لان المقس كان خطة كبيرة وهى بلد قديم من قبل الفتح كما تقدم ذكر ذلك فى هذا الكتاب وقال في الكتاب الذى تضمن وقف الحاكم بأمر الله الاماكن بمصر على الجوامع كما ذكر في خبر الجامع الازهر مانصه ويكون جميع مابقى مما تصدق به على هذه المواضع يصرف في جميع مايحتاج اليه فى جامع المقس المذكور من عمارته ومن ثمن الحصر العبدانية والمظفورة وثمن العود للبخور وغيره على ماشرح من الوظائف في الذى تقدم وكان لهذا الجامع نخل كثير فى الدولة الفاطمية ويركب الخليفة الى منظرة كانت بجانبه عند عرض الاسطول فيجلس بها لمشاهدة ذلك كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر المناظر وفى سنة سبع وثمانين وخمسمائة انشقت زربية من هذا الجامع في شهر رمضان لكثرة زيادة ماء النيل وخيف على الجامع السقوط فأمر بعمارتها * ولما بني السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب هذا السور الذى على القاهرة وأراد أن يوصله بسور مصر من خارج باب البحر الى الكوم الاحمر حيث منشأة المهرانى اليوم وكان المتولى لعمارة ذلك الامير بهاء الدين قراقوش الاسدي أنشأ بجوار جامع المقس برجا كبيرا عرف بقلعة المقس في مكان المنظرة التى كانت للخلفاء فلما كان في سنة سبعين وسبعمائة جدد بناء هذا الجامع الوزير الصاحب شمس الدين عبد الله المقسى وهدم القلعة وجعل مكانها جنينة واتهمه الناس بأنه وجد هنالك مالا كثيرا وأنه عمر منه الجامع المذكور فصار العامة اليوم يقولون جامع المقسي ويظن من لا علم عنده أن هذا الجامع من انشائه وليس كذلك بل انما جدده وبيضه وقد انحسر ماء النيل عن تجاه هذا

الجامع كما ذكر في خبر بولاق والمقس وصار هذا الجامع اليوم على حافة الخليج الناصرى وأدركنا ماحوله في غاية العمارة وقد تلاشت المساكن التي هناك وبها الى اليوم بقية يسيرة ونظر هذا الجامع اليوم بيد أولاد الوزير المقسى فانه جدده وجعل عليه أوقافا لمدرس وخطيب وقومة ومؤذنين وغير ذلك وقال جامع السيرة الصلاحية وهذا المقسم على شاطئ النيل يزار وهناك مسجد يتبرك به الابرار وهو المكان الذى قسمت فيه الغنيمة عند استيلاء الصحابة رضى الله عنهم على مصر فلما أمر السلطان صلاح الدين بادارة السور على مصر والقاهرة تولى ذلك بهاء الدين قراقوش وجعل نهايته التي تلي القاهرة عند المقس وبنى فيه برجا يشرف على النيل وبنى مسجده جامعا واتصلت العمارة منه الى البلد وصار تقام فيه الجمع والجماعات

* (العزيز بالله) * أبو النصر نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معد ولد بالمهدية من بلاد أفريقية في يوم الخميس الرابع عشر من المحرم سنة أربع وأربعين وثلثمائة وقدم مع أبيه الى القاهرة وولى العهد فلما مات المعز لدين الله أقيم من بعده في الخلافة يوم الرابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة فأذعن له سائر عساكر أبيه واجتمعوا عليه وسير بذهب الى بلاد المغرب فرق في الناس وأقر يوسف بن ملكين على ولاية أفريقية وخطب له بمكة ووافى الشام عسكر القرامطة فصاروا مع افتكين التركي وقوى بهم وساروا الى الرملة وقاتلوا عساكر العزيز بيافا فبعث العزيز جوهرا القائد بعساكر كثيرة وملك الرملة وحاصر دمشق مدة ثم رحل عنها بغير طائل فأدركه القرامطة وقاتلوه بالرملة وعسقلان نحو سبعة عشر شهرا ثم خلص من تحت سيوف افتكين وسار الى العزيز فوافاه وقد برز من القاهرة فسار معه ودخل العزيز الى الرملة وأسر أفتكين في المحرم سنة ثمان وستين وثلثمائة فأحسن اليه وأكرمه اكراما زائدا فكتب اليه الشريف أبو اسماعيل ابراهيم الرئيس يقول يامولانا لقد استحق هذا الكافر كل عذاب والعجب من الاحسان اليه فلما لقيه قال ياابراهيم قرأت كتابك في أمر أفتكين وأنا أخبرك اعلم أنا قد وعدناه الاحسان والولاية فلما قبل وجاء الينا نصب فازاته وخيامه حذاءنا وأردنا منه الانصراف فلج وقاتل فلما ولى منهزما وسرت الى فازاته ودخلتها سجدت لله شكرا وسألته أن يفتح لى بالظفر به فجيء به بعد ساعة أسيرا أترى يليق بي غير الوفاء ولما وصل العزيز الى القاهرة اصطنع افتكين وواصله بالعطايا والخلع حتى قال لقد احتشمت من ركوبي مع الخليفة مولانا العزيز بالله ونظرى اليه بما غمرني من فضله واحسانه فلما بلغ العزيز ذلك قال لعمه حيدرة ياعم أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرة وأرى عليهم الذهب والفضة والجواهر ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار وأن يكون ذلك كله من عندى ومات بمدينة بلبيس من مرض طويل بالقولنج والحصاة في اليوم الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة فحمل الى

القاهرة ودفن بتربة القصر مع آبائه وكانت مدة خلافته بعد أبيه المعز احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفاً ومات وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية اشهر وأربعة عشر يوما وكان نقش خاتمه بنصر العزيز الجبار ينتصر الامام نزار ولما مات وحضر الناس الى القصر للتعزية الحموا عن أن يوردوا فى ذلك المقام شيئاً ومكثوا مطرقين لاينبسون فقام صبى من أولاد الامراء الـكنانيين وفتح باب التعزية وأنشد

انظر الى العلياء كيف تضام * ومآتم الاحساب كيف تقام

خبرني ركب الركاب ولم يدع * للسفر وجه ترحل فأقاموا

فاستحسن الناس ايراده وكأنه طرق لهم كيف يوردون المراثى فنهض الشعراء والخطباء حينئذ وعزوا وأنشد كل واحد ماعمل في التعزية وخلف من الاولاد ابنه المنصور وولي الخلافة من بعده وابنة تدعى سيدة الملك وكان أسمر طوالا اصهب الشعر أعين اشهل عريض المنكبين شجاعا كريما حسن العفو والقدرة لايعرف سفك الدماء البتة مع حسن الخلق والقرب من الناس والمعرفة بالخيل وجوارح الطير وكان محبا للصيد مغرى به حريصا على صيد السباع ووزر له يعقوب بن كلس اثنتى عشرة سنة وشهرين وتسعة عشر يوما ثم من بعده على بن عمر العداس سنة واحدة ثم أبو الفضل جعفر بن الفرات سنة ثم أبو عبد الله الحسين بن الحسن البازيار سنة وثلاثة أشهر ثم أبو محمد بن عمار شهرين ثم الفضل بن صالح الوزيرى أياما ثم عيسي بن نسطورس سنة وعشرة أشهر وكانت قضاته أبو طاهر محمد بن أحمد ثم أبو الحسن على بن النعمان ثم أبو عبد الله محمد بن النعمان وخرج الى السفر أولا في صفر سنة سبع وستين وعاد من العباسية وخرج ثانيا وظفر بأفتكين وخرج ثالثا في صفر سنة اثنتين وسبعين ورجع بعد شهر الى قصره بالقاهرة وخرج رابعا في ربيع الاول سنة أربع وستين فنزل منية الاصبغ وعاد بعد ثمانية أشهر واثنى عشر يوما وخرج خامسا في عاشر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين فأقام مبرزا اربعة عشر شهرا وعشرين يوما ومات في هذه الخرجة ببلبيس * وهو أول من اتخذ من أهل بيته وزيرا أثبت اسمه على الطرز وقرن اسمه باسمه وأول من لبس منهم الخفين والمنطقة وأول من اتخذ منهم الاتراك واصطنعهم وجعل منهم القواد وأول من رمى منهـم بالنشاب وأول من ركب منهم بالذؤابة الطويلة والحنك وضرب بالصوالجة ولعب بالرمح وأول من عمل مائدة في الشرطة السفلى في شهر رمضان يفطر عليها أهل الجامع العتيق وأقام طعاما في جامع القاهرة لمن يحضر في رجب وشعبان ورمضان واتخذ الحمير لركوبه اياها وكانت أمه أم ولد اسمها درزارة وكان يضرب بأيامه المثل في الحسن فانها كانت كلها أعيادا وأعراسا لـكثرة كرمه ومحبته للعفو واستعماله لذلك ولا أعلم له بمصر من الآثار غير تأسيس الجامع الحاكمي وما عدا ذلك فذهب اسمه ومحى رسمه

* ( الحـاكم بأمر الله ) * أبو علي منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معد ولد بالقصر من القاهرة المعزية ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول سنة خمس وسبعين وثلثمائة في الساعة التاسعة والطالع من برج السرطان سبع وعشرون درجة وسلم عليه بالخلافة فى مدينة بلبيس بعد الظهر من يوم الثلاثاء عشرى شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة وسار الى القاهرة فى يوم الاربعاء بسائر أهل الدولة والعزيز فى قبـة على ناقة بين يديه وعلى الحاكم دراعة مصمت وعمامة فيها الجوهر وبيده رمح وقد تقلد السيف ولم يفقد من جميع ما كان مع العساكر شئ ودخل القصر قبل صلاة المغرب وأخذ فى جهاز أبيه العزيز بالله ودفنه ثم بكر سائر أهل الدولة الى القصر يوم الخميس وقد نصب للحاكم سرير من ذهب عليه مرتبة مذهبة في الايوان الكبير وخرج من قصره راكبا وعليه معممة الجوهر والناس وقوف في صحن الايوان فقبلوا له الارض ومشوا بين يديه حتي جلس على السرير فوقف من رسمه الوقوف وجلس من له عادة أن يجلس وسلم الجميع عليه بالامامة واللقب الذى اختير له وهو الحاكم بأمر الله وكان سنه يومئذ احدى عشرة سنة وخمسة أشهر وستة أيام فجعل أبا محمد الحسن بن عمار الـكندى واسطة ولقب بأمين الدولة وأسقط مكوسا كانت بالساحل ورد الى الحسين بن جوهر القائد البريد والانشاء فكان يخلفه ابن سورين وأقر عيسى بن نسطورس على ديوان الخاص وقلد سليمان بن جعفر بن فلاح الشام فخرج يجو تكين من دمشق وسار منها لمدافعة سليمان بن جعفر بن فلاح فبلغ الرملة وانضم اليه ابن الجراح الطائي فى كثير من العرب وواقع ابن فلاح فانهزم وفر ثم أسر فحمل الى القاهرة وأكرم واختلف أهل الدولة على ابن عمار ووقعت حروب آلت الى صرفـه عن الوساطة وله فى النظر أحد عشر شهرا غير خمسة أيام فلزم داره وأطلقت له رسوم وجرايات وأقيم الطواشي برجوان الصقلي مكانه في الوساطة لثلاث بقين من رمضان سنة سبع وثمانين وثلثمائة فجعل كاتبه فهد بن ابراهيم يوقع عنه ولقبه بالرئيس وصرف سليمان بن فلاح عن الشام بجيش بن الصمصامة وقلد فحل بن اسماعيل الـكتامي مدينة صور وقلد يانس الخادم برقة وميسورا الخادم طرابلس ويمنا الخادم غزة وعسقلان فواقع جيش الروم علي فامية وقتل منهم خمسة آلاف رجل وغزا الى أن دخل مرعش وقلد وظيفة قضاء القضاة أبا عبد الله الحسين بن علي بن النعمان فى صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة بعد موت قاضى القضاة محمد بن النعمان وقتل الاستاذ برجوان لاربع بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمـانين وثلثمائة وله في النظر سـنتان وثمانية أشهر غـير يوم واحـد وورد النظر في أمور الناس وتدبير المملكة والتوقيعات الى الحسين بن جوهر ولقب بقائد القواد فخلفه الرئيس بن فهد واتخذ الحاكم مجلسا في الليل يحضر فيه عدة من أعيان الدولة ثم أبطـله ومات جيش بن

الصمصامة في ربيع الآخر سنة تسعين وثلثمائة فوصل ابنه بتركته الى القاهرة ومعه درج بخط أبيه فيه وصية وثبت بما خلفه مفصلا وأن ذلك جميعه لامير المؤمنين الحاكم بأمر الله لايستحق أحد من أولاده منه درهما وكان مبلغ ذلك نحو المائتى ألف دينار مابين عين ومتاع ودواب قد أوقف جميع ذلك تحت القصر فأخذ الحاكم الدرج ونظره ثم أعاده الى أولاد جيش وخلع عليهم وقال لهم بحضرة وجوه الدولة قد وقفت على وصية أبيكم رحمه الله وما وصى به من عين ومتاع فخذوه هنيئا مباركا لكم فيه فانصرفوا بجميع التركة وولى دمشق فحل بن تميم ومات بعد شهور فولى عليّ بن فلاح ورد النظر فى المظالم لعبد العزيز بن محمد بن النعمان ومنع الناس كافة من مخاطبة أحد أو مكاتبته بسيدنا ومولانا الا أمير المؤمنين وحده وأبيح دم من خالف ذلك وفي شوال قتل ابن عمار * وفي سنة احدى وتسعين واصل الحاكم الركوب فى الليل كل ليلة فكان يشق الشوارع والازقة وبالغ الناس فى الوقود والزينة وأنفقوا الاموال الكثيرة في المآكل والمشارب والغناء واللهو وكثر تفرجهم على ذلك حتى خرجوا فيه عن الحد فمنع النساء من الخروج فى الليل ثم منع الرجال من الجلوس في الحوانيت * وفي رمضان سنة اثنتين وتسعين قلد تموصلت بن بكار دمشق عوضا عن ابن فلاح وابتدأ فى عمارة جامع راشدة فى سنة ثلاث وتسعين وقتل فهد بن ابراهيم وله منذ نظر في الرياسة خمس سنين وتسعة أشهر واثنا عشر يوما في ثامن جمادى الآخرة منها واقيم في مكانه عليّ بن عمر العداس وسار الامير ماروح لامارة طبرية ووقع الشروع في اتمام الجامع خارج باب الفتوح وقطع الحاكم الركوب في الليل ومات تموصلت فولى دمشق بعده مفلح اللحيانى الخادم وقتل عليّ بن عمر العداس والاستاذ زيدان الصقلى وعدة كثيرة من الناس وقلد امارة برقة صندل الاسود في المحرم سنة أربع وتسعين وصرف الحسين بن النعمان عن القضاء فى رمضان منها وكانت مدة نظره فى القضاء خمس سنين وستة اشهر وثلاثة وعشرين يوما واليه كانت الدعوة أيضا فيقال له قاضى القضاة وداعي الدعاة وقلد عبد العزيز بن محمد بن النعمان وظيفة القضاء والدعوة مع مابيده من النظر فى المظالم * وفى سنة خمس وتسعين أمر النصارى واليهود بشد الزنار ولبس الغيار ومنع الناس من أكل الملوخية والجرجير والتوكلية والدلينس وذبح الابقار السليمة من العاهة الا في أيام الاضحية ومنع من بيع الفقاع وعمله البتة وأن لايدخل أحد الحمام الا بمئزر وأن لاتكشف امرأة وجهها في طريق ولا خلف جنازة ولا تتبرج ولا يباع شيء من السمك بغير قشر ولا يصطاده أحد من الصيادين وتتبع الناس فى ذلك كله وشدد فيه وضرب جماعة بسبب مخالفتهم ما أمروا به ونهوا عنه مما ذكر وخرجت العساكر لقتال بني قرة أهل البحيرة وكتب على أبواب المساجد وعلى الجوامع بمصر وعلى أبواب الحوانيت والحجر والمقابر سب السلف

ولعنهم واكره الناس على نقش ذلك وكتابتـه بالاصباغ في سائر المواضع واقبل الناس من سائر النواحي فدخلوا فى الدعوة وجعل لهم يومان فى الاسبوع وكثر الازدحام ومات فيـه جماعة ومنع الناس من الخروج بعد المغرب فى الطرقات وأن لايظهر أحد بها لبيع ولاشراء نخلت الطرق من المارة وكسرت أوانى الخمور وأريقت من سائر الاماكن واشتـد خوف الناس بأسرهم وقويت الشناعات وزاد الاضطراب فاجتمع كثير من الكتاب وغيرهم تحت القصر وضجوا يسألون العفو فكتب عدة أمانات لجميع الطوائف من أهل الدولة وغيرهم من الباعة والرعية وأمر بقتل الـكلاب فقتل منها مالايحصر حتي فقـدت وفتحت دار الحـكمة بالقاهرة وحمل اليها الكتب ودخل اليها الناس فاشتدالطلب على الركابية المستخدمين في الركاب وقتل منهم كثير ثم عفى عنهم وكتب لهم أمان ومنع الناس كافة من الدخول من باب القاهرة ومنع الناس من المشى ملاصق القصر وقتل قاضى القضاة حسين بن النعمان وأحرق بالنار وقتل عدداً كثيراً من الناس ضربت أعناقهم * وفي سنة ست وتسعين خرج أبو ركوة يدعو الى نفسه وادعى أنه من بنى أميـة فقام بأمره بنوقرة لـكثرة ما أوقع بهم الحاكم وبايعوه واستجاب له لواتة ومزاتة وزنادة وأخذ برقة وهزم جيوش الحاكم غير مرة وغنم ما معهم نخرج لقتاله القائد فضل بن صالح فى ربيع الاول وواقعه فانهزم منـه فضل واشتد الاضطراب بمصر وتزايدت الاسعار واشتد الاستعداد لمحاربة أبي ركوة ونزلت العسـاكر بالجيزة وسار أبو ركوة فواقعه القائد فضل وقتل عدة ممن معه فعظم الامر واشتد الخوف وخرج الناس فباتوا بالشوارع خوفا من هجوم عساكر أبي ركوةواستمرت الحروب فانهزم أبو ركوة فى ثالث ذى الحجة الى الفيوم وتبعه القائد فضل بعد أن بعث الى القاهرة بستة آلاف رأس ومائة أسير الى أن قبض عليه ببلاد النوبة وأحضر الى القاهرة فقتل بهاوخلع على القائد فضل وسيرت البشائر بقتله الى الاعمال * وفى سنة سبع وتسعين أمر بمحو سب السلف فمحى سائر ما كتب من ذلك وغلت الاسعار لنقص ماء النيـل فانه بلغ ستة عشر أصبعا من سبعة عشر ذراعا ثم نقص ومات يجوتكين في ذى الحجة واشتد الغلاء في سـنة ثمان وتسعين وولى عليّ بن فلاح دمشق وقبض جميع ما هو محبس على الـكنائس وجعل في الديوان وأحرق عدة صلبان على باب الجامع بمصر وكتب الى سائر الاعمال بذلك * وفي سادس عشر رجب قرر مالك بن سعيد الفارقى في وظيفة قضاء القضاة وتسـلم كتب الدعوة التى تقرأ بالقصر على الاولياء وصرف عبـد العزيز بن النعمان عن ذلك وصرف قائد القواد الحسين بن جوهر عما كان يليه من النظر في سابع شعبان وقرر مكانه صالح بن عليّ الروذبادى وقرر في ديوان الشام مكانه أبو عبد الله الموصلى الكاتب وأمر حسين بن جوهر وعبد العزيز بلزوم دورهما ومنعا من الركوب وسائر أولادهما ثم عفا عنهما بعـد أيام

وأمرا بالركوب وتوقفت زيادة النيل فاستسقى الناس مرتين وأمر بابطال عدة مكوس وتعذر وجود الخبز لغلائه وقلته وفتح الخليج في رابع توت والماء على خمسة عشر ذراعا فاشتد الغلاء * وفي تاسع المحرم وهو نصف توت نقص ماء النيل ولم يوف ستة عشر ذراعا فمنع الناس من التظاهر بالغناء ومن ركوب البحر للتفرج ومنع من بيع المسكرات ومنع الناس كافة من الخروج قبل الفجر وبعد العشاء الي الطرقات واشتد الامر على السكافة لشدة ماداخلهم من الخوف مع شدة الغلاء وتزايد الامراض في الناس والموت * فلما كان في رجب انحلت الاسعار وقرئ سجل فيه يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون ولا يعارض أهل الرؤية فيماهم عليه صائمون ومفطرون وصلاة الخمسين للذى جاءهم فيهايصلون وصلاة الضحى وصلاة التراويح لامانع لهم عنها ولاهم منها يدفعون يخمس في التكبير على الجنائز المخمسون ولا يمنع من التربيع عليها المربعون يؤذن بحي على خير العمل المؤذنون ولا يؤذى من بها لايؤذنون لايسب أحد من السلف ولا يحتسب على الواصف فيهم بما وصف والحالف منهم بما حلف لكل مسلم مجتهد فى دينه اجتهاده * ولقب صالح بن على الروذبادي بثقة ثقات السيف والقلم وأعيد القاضى عبد العزيز بن النعمان الى النظر فى المظالم وتزايدت الامراض وكثر الموت وعزت الادوية وأعيدت المكوس التى رفعت وهدمت كنائس كانت بطريق المقس وهدمت كنيسة كانت بحارة الروم من القاهرة ونهب مافيها وقتل كثير من الخدام ومن الكتاب ومن الصقالبة بعد ماقطعت أيدى بعضهم من الكتاب بالشطور على الخشبة من وسط الذراع وقتل القائد فضل بن صالح فى ذى القعدة وفي حادى عشر صفر صرف صالح بن على الروذبادى وقرر مكانه ابن عبدون النصرانى الكاتب فوقع عن الحاكم ونظر وكتب بهدم كنيسة قمامة وجدد ديوان يقال له الديوان المفرد برسم من يقبض ماله من المقتولين وغيرهم وكثرت الامراض وعزت الادوية وشهر جماعة وجد عندهم فقاع وملوخية ودلينس وضربوا وهدم دائر القصر واشتد الامر على النصارى واليهود فى الزامهم لبس الغيار وكتب ابطال أخذ الخمس والنجاوى والفطرة وفر الحسين بن جوهر وأولاده وعبد العزيز بن النعمان وفر أبو القاسم الحسين بن المغربى وكتب عدة أمانات لعدة طوائف من شدة خوفهم وقطعت قراءة مجالس الحكمة بالقصر ووقع التشديد في المنع من المسكرات وقتل كثير من الكتاب والخدام والفراشين وقتل صالح بن على الروذبادى فى شوال * وفي رابع المحرم سنة احدى وأربعمائة صرف الكافي بن عبدون عن النظر والتوقيع وقرر بدله أحمد بن محمد القشوري الكاتب فى الوساطة والسفارة وحضر الحسين بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان الى القاهرة فأكرما ثم صرف ابن القشورى بعد عشرة أيام من استقراره وضربت عنقه وقرر بدله زرعة بن عيسى بن نسطورس الكاتب النصرانى ولقب

بالشافعي ومنع الناس من الركوب في المراكب في الخليج وسدت أبواب الدور التى على الخليج والطاقات المطلة عليه وأضيف الى قاضي القضاة مالك بن سعيد النظر فى المظالم وأعيدت مجالس الحكمة وأخذ مال النجوى وقتل ابن عبدون وأخذ ماله وضرب جماعة وشهروا من اجل بيعهم الملوخية والسمك الذى لاقشر له وبسبب بيع النبيذ وقتل الحسين بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان في ثانى عشر جمادى الآخرة سنة احدى وأربعمائة وأحيط بأموالهما وابطلت عدة مكوس ومنع الناس من الغناء واللهو ومن بيع المغنيات ومن الاجتماع بالصحراء * وفي هذه السنة خلع حسان بن مفرج بن دغفل بن الجراح طاعة الحاكم وأقام أبا الفتوح حسين بن جعفر الحسنى أمير مكة خليفة وبايعه ودعا الناس الى طاعته ومبايعته وقاتل عساكر الحاكم * وفى سنة اثنتين وأربعمائة منع من بيع الزبيب وكوتب بالمنع من حمله وألقى في بحر النيل منه شئ كثير وأحرق شئ كثير ومنع النساء من زيارة القبور فلم ير فى الاعياد بالمقابر امرأة واحدة ومنع من الاجتماع على شاطئ النيل للتفرج ومنع من بيع العنب الا أربعة ارطال فما دونها ومنع من عصره وطرح كثير منه وديس في الطرقات وغرق كثير منه فى النيل ومنع من حمله وقطعت كروم الجيزة كلها وسير الى الجهات بذلك * وفى سنة ثلاث وأربعمائة نزع السعر وازدحم الناس على الخبز وفي ثانى ربيع الاول منها هلك عيسى بن نسطورس فأمر النصارى بلبس السواد وتعليق صلبان الخشب فى أعناقهم وأن يكون الصليب ذراعا فى مثله وزنته خمسة أرطال وأن يكون مكشوفا بحيث يراه الناس ومنعوا من ركوب الخيل وأن يكون ركوبهم البغال والحمير بسروج الخشب والسيور السود بغير حلية وأن يشدوا الزنانير ولا يستخدموا مسلما ولا يشتروا عبدا ولا أمة وتتبعت آثارهم فى ذلك فأسلم منهم عدة وقرر حسين بن طاهر الوزان في الوساطة والتوقيع عن الحاكم في تاسع عشرى ربيع الاول منها ولقب أمين الامناء ونقش الحاكم على خاتمه بنصر الله العظيم الولى ينتصر الامام أبو على وضرب جماعة بسبب اللعب بالشطرنج وهدمت الكنائس وأخذ جميع مافيها وما لها من الرباع وكتب بذلك الى الاعمال فهدمت بها وفيها لحق أبو الفتح بمكة ودعا للحاكم وضرب السكة باسمه وأمر الحاكم أن لايقبل أحد له الارض ولا يقبل ركابه ولا يده عند السلام عليه في المواكب فان الانحناء الى الارض لمخلوق من صنيع الروم وأن لايزاد على قولهم السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ولا يصلي أحد عليه في مكاتبة ولا مخاطبة ويقتصر فى مكاتبته على سلام الله وتحياته ونوامى بركاته على أمير المؤمنين ويدعى له بما يتفق من الدعاء لاغير فلم يقل الخطباء يوم الجمعة سوى اللهم صل على محمد المصطفى وسلم على أمير المؤمنين على المرتضي اللهم وسلم على أمراء المؤمنين آباء أمير المؤمنين اللهم اجعل أفضل سلامك على عبدك وخليفتك ومنع من ضرب الطبول والابواق حول القصر فصاروا

يطوفون بغير طبل ولا بوق وكثرت انعامات الحاكم فتوقف أمين الامناء حسين بن طاهر الوزان في امضائها فكتب اليه الحاكم بخطه بعد البسملة الحمد لله كما هو أهله

اصبحت لا أرجو ولا أتقي * الا الهي وله الفضل

جدى نبي وامامى أبى * ودينى الاخلاص والعدل

المال مال الله عز وجل والخلق عباد الله ونحن أمناؤه في الارض أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام * وركب الحاكم يوم عيد الفطر الى المصلي بغير زينة ولا جنائب ولا أبهة سوى عشرة افراس تقاد بسروج ولجم محلاة بفضة بيضاء خفيفة وبنود ساذجة ومظلة بيضاء بغير ذهب عليه بياض بغير طرز ولا ذهب ولا جوهر فى عمامته ولم يفرش المنبر ومنع الناس من سب السلف وضرب في ذلك وشهر وصلي صلاة عيد النحر كما صلى صلاة عيد الفطر من غير أبهة ونحر عنه عبد الرحيم بن الياس بن أحمد بن المهدي واكثر الحاكم من الركوب الى الصحراء بحذاء فى رجله وفوطة على رأسه * وفي سنة أربع وأربعمائة ألزم اليهود أن يكون فى أعناقهم جرس اذا دخلوا الحمام وأن يكون في أعناق النصارى صلبان ومنع الناس من الكلام فى النجوم وأقيم المنجمون من الطرقات وطلبوا فتغيبوا ونفوا وكثرت هبات الحاكم وصدقاته وعتقه وأمر اليهود والنصاري بالخروج من مصر الى بلاد الروم وغيرها وأقيم عبد الرحيم بن الياس ولى العهد وأمر أن يقال فى السلام عليه السلام علي ابن عم أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين وصار يجلس بمكان في القصر وصار الحاكم يركب بدراعة صوف بيضاء ويتعمم بفوطة وفي رجله حذاء عربي بقبالين وعبدالرحيم يتولى النظر في أمور الدولة كلها وأفرط الحاكم فى العطاء ورد ما كان أخذ من الضياع والاملاك الى أربابها وفي ربيع الآخر أمر بقطع يدي أبى القاسم الجرجانى وكان يكتب للقائد غين ثم قطع يد غين فصار مقطوع اليدين وبعث اليه الحاكم بعد قطع يديه بالف من الذهب والثياب ثم بعد ذلك أمر بقطع لسانه فقطع وأبطل عدة مكوس وقتل الكلاب كلها واكثر من الركوب في الليل ومنع النساء من المشى فى الطرقات فلم تر امرأة فى طريق البتة وأغلقت حماماتهن ومنع الاساكفة من عمل خفافهن وتعطلت حوانيتهم واشتدت الاشاعة بوقوع السيف في الناس فتهاربوا وغلقت الاسواق فلم يبع شئ ودعي لعبد الرحيم بن الياس على المنابر وضربت السكة باسمه بولاية العهد وفي سنة خمس وأربعمائة قتل مالك بن سعيد الفارقي فى ربيع الآخر وكانت مدة نظره في قضاء القضاة ست سنين وتسعة اشهر وعشرة أيام وبلغ اقطاعه في السنة خمسة عشر ألف دينار وتزايد ركوب الحاكم حتى كان يركب في كل يوم عدة مرات واشترى الحمير وركبها بدل الخيل * وفى جمادى الآخرة منها قتل الحسين ابن طاهر الوزان فكانت مدة نظره فى الوساطة سنتين وشهرين وعشرين يوما فأمر أصحاب

الدواوين بلزوم دواوينهم وصار الحاكم يركب حمارا بشاشية مكشوفة بغير عمامة ثم أقام عبد الرحيم بن أبي السيد الكاتب وأخاه أبا عبد الله الحسين فى الوساطة والسفارة وأقر فى وظيفة قضاء القضاة أحمد بن محمد بن أبي العوام وخرج الحاكم عن الحد في العطاء حتى اقطع نواتية المراكب والمشاعلية وبني قرة فما اقطع الاسكندرية والبحيرة ونواحيهما وقتل ابني ابى السيد فكانت مدة نظرهما اثنين وستين يوما وقلد الوساطة فضل بن جعفر بن الفرات ثم قتله في اليوم الخامس من ولايته وغلب بنو قرة على الاسكندرية وأعمالها وأكثر الحاكم من الركوب فركب في يوم ست مرات مرة على فرس ومرة على حمار ومرة فى محفة تحمل على الاعناق ومرة في عشارى في النيل بغير عمامة واكثر من اقطاع الجند والعبيد الاقطاعات وأقام ذا الرياستين قطب الدولة أبا الحسن علىّ بن جعفر بن فلاح في الوساطة والسفارة وولى عبد الرحيم بن الياس دمشق فسار اليها في جمادى الآخرة سنة تسع وأربعمائة فأقام فيها شهرين ثم هجم عليه قوم فقتلوا جماعة ممن عنده وأخذوه في صندوق وحملوه الى مصر ثم أعيد الى دمشق فأقام بها الى ليلة عيد الفطر وأخرج منها * فلما كان لليلتين بقيتا من شوال سنة عشر وأربعمائة فقد الحاكم وقيل ان أخته قتلته وليس بصحيح وكان عمره ستا وثلاثين سنة وسبعة أشهر وكانت مدة خلافته خمسا وعشرين سنة وشهرا وكان جوادا سفاكا للدماء قتل عددا لايحصى وكانت سيرته من أعجب السير وخطب له على منابر مصر والشام وافريقية والحجاز وكان يشتغل بعلوم الاوائل وينظر في النجوم وعمل رصدا واتخذ بيتا فى المقطم ينقطع فيه عن الناس لذلك ويقال انه كان يعتريه جفاف في دماغه فلذلك كثر تناقضه وما أحسن ماقال فيه بعضهم كانت أفعاله لاتعلل ٭ وأحلام وساوسه لاتؤول وقال المسبحي وفى محرم سنة خمس عشرة وأربعمائة قبض على رجل من بنى حسين ثار بالصعيد الاعلى فأقر بأنه قتل الحاكم بأمر الله في جملة أربعة أنفس تفرقوا فى البلاد وأظهر قطعة من جلدة رأس الحاكم وقطعة من الفوطة التي كانت عليه فقيل له لم قتلته فقال غيرة لله وللاسلام فقيل له كيف قتلته فأخرج سكيناً ضرب بها فؤاده فقتل نفسه وقال هكذا قتلته فقطع رأسه وأنفذ به الى الحضرة مع ماوجد معه وهذا هو الصحيح فى خبر قتل الحاكم لاما تحكيه المشارقة في كتبهم من أن أخته قتلته

*( جامع الفيلة )*

هذا الجامع بسطح الجرف المطل على بركة الحبش المعروف الآن بالرصد بناه الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى فى شعبان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وبلغت النفقة على بنائه ستة آلاف دينار وانما قيل له جامع الفيلة لان فى قبلته تسع قباب فى أعلاه ذات قناطر اذا رآها الانسان من بعيد شبهها بعدرعين على فيلة كالتي كانت تعمل فى المواكب أيام

الاعياد وعليها السرير وفوقها المدرعون أيام الخلفاء ولما كمل أقام فى خطابته الشريف الزكي أمين الدولة أبا جعفر محمد بن محمد بن هبة الله بن على الحسيني الافطسى النسابة الكاتب الشاعر الطرابلسى بعد صرفه من قضاء الغربية فلما رقى المنبر أول خطبة أقيمت في هذا الجامع قال بسم الله الحمد لله وارتج عليه فلم يدر مايقول وكان هناك الشيخ أبو القاسم على ابن منجب بن الصيرفى الكاتب وولده مختص الدولة أبو المجد وأبو عبدالله بن بركات النحوي ووجوه الدولة فلما اضجر من حضر نزل عن المنبر وقد حم فتقدم قيم الجامع وصلى ومضى الشريف الى داره فاعتل ومات وكان قد ولى قضاء عسقلان وغيرها ثم قدم الى مصر فولى الحكم بالمحلة وولى ديوان الاحباس وكان أحد الاعيان الادباء العارفين بالنسب ومن الشعراء المجيدين والنحاة اللغويين ولد بطرابلس الشام فى سنة اثنتين وستين وأربعمائة وقدم الى القاهرة في سنة احدي وخمسمائة ومدح الافضل ومات في سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة وخمسمائة وقد ترشح للنقابة بمصر ولم ينلها مع تطلعه اليها وذيل كتاب أبى الغنائم الزيدي النسابة ومن شعره بديها وقد نام مع جاريته على سطوح فطلع القمر عليهما فارتاعا من كشف الجيران عليهما

ولما تلاقينا وغاب رقيبنا * ورمت التشكي في خلو وفي سر
بدا ضوء بدر فافترقنا لضوئه * فيامن رأى بدراً نم على بدر

وأهل المطالب يذكرون أن الافضل وجد بموضع الصهريج مطلبا نختم عليه أشهراً الى أن نقله وعمله صهريجا وبني عليه هذا المسجد وهذا الشرف الذى عليه جامع الفيلة منظرة فى غاية الحسن لان فى قبليه بركة الحبش وبستان الوزير المغربي والعدوية ودير النسطورية وبئر أبي سلامة وهى بئر مدورة برسم الغنم وبئر النعش كان يستقى منها اصحاب الزوايا وهي بجوار عفصة الصغرى وهى بئر أبي موسى بن أبى خليد وسميت بئر النعش لانها على هيئة النعش وماؤها يهضم الطعام وهو أصح الامواه وشرقى هذا الجبل جبل المقطم والجبانة والمغافر والقرافة وآخر الاكحول وريحان ورعين والكلاع والاكسوع وغربى هذا الجبل المعشوق والنيل وبستان اليهودى الى القبلة وطموه والاهرام وراشدة وبحرى هذا الجبل بستان الامير تميم وقنطرة خليج بني وائل ودير المعدلين وعقبة يحصب ومحرس قسطنطين والشرف وغير ذلك وهذا الجامع لاتقام فيه اليوم جمعة ولا جماعة لخراب ماحوله من القرافة وراشدة وينزل فيه أحيانا طائفة من العرب بابلهم يقال لهم المسلمية وعما قليل يدثر كما دثر غيره

* ( جامع المقياس ) *

هذا الجامع بجوار مقياس النيل من جزيرة الفسطاط أنشأه ( ٣ )

* ( الجامع الاقمر ) *

قال ابن عبد الظاهر كان مكانه علافون والحوض مكان المنظرة فتحدث الخليفة الآمر مع الوزير المأمون بن البطايحي في انشائه جامعا فلم يترك قدام القصر دكانا وبني تحت الجامع المذكور في أيامه دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح لامن صوب القصر وكمل الجامع المذكور فى أيامه وذلك فى سنة تسع عشرة وخمسمائة وذكر أن اسم الآمر والمأمون عليه وقال غيره واشترى له حمام شمول ودار النحاس بمصر وحبسهما على سدنته ووقود مصابيحه ومن يتولى أمره ويؤذن فيه وما زال اسم المأمون والآمر على لوح فوق المحراب وفيه تجديد الملك الظاهر بيبرس للجامع المذكور ولم تكن فيه خطبة لكنه يعرف بالجامع الاقمر فلما كان في شهر رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة جدده الامير الوزير المشير الاستادار يلبغا بن عبدالله السالمي أحد المماليك الظاهرية وأنشأ بظاهر بابه البحرى حوانيت يعلوها طباق وجدد فى صحن الجامع بركة لطيفة يصل اليها الماء من ساقية وجعلها مرتفعة ينزل منها الماء الى من يتوضأ من بزابيز نحاس ونصب فيه منبرا فكانت أول جمعة جمعت فيه رابع شهر رمضان من السنة المذكورة وخطب فيه شهاب الدين أحمد بن موسى الحلبى أحد نواب القضاة الحنفية وارتج عليه واستمر الى أن مات في سابع عشرى شهر ربيع الاول سنة احدى وثمانمائة وبني على يمنة المحراب البحرى مئذنة وبيض الجامع كله ودهن صدره بلازورد وذهب فقلت له قد أعجبني ماصنعت بهذا الجامع ماخلا تجديد الخطبة فيه وعمل بركة الماء فان الخطبة غير محتاج اليها هاهنا لقرب الخطب من هـذا الجامع وبركة الماء تضيق الصحن وقد أنشأت ميضأة بجوار بابه الذى من جهـة الركن المخلق فاحتج لعمل المنبر بأن ابن الطوير قال في كتاب نزهة المقلتين في أخبار الدولتين عند ذكر جلوس الخليفـة فى المواليد الستة ويقدم خطيب الجامع الازهر فيخطب كذلك ثم يحضر خطيب الجامع الاقمر فيخطب كذلك قال فهـذا أمر قد كان فى الدولة الفاطمية وما أنا بالذي أحـدثته وأما البركة ففيها عون على الصلاة لقربها من المصلين وجعل فوق المحراب لوحا مكتوبا فيه ما كان فيه أولا وذكر فيه تجديده لهذا الجامع ورسم فيه نعوته وألقابه وجدد أيضاً حوض هـذا الجامع الذى تشرب منه الدواب وهو فى ظهر الجامع تجاه الركن المخلق وبئر هذا الجامع قديمة قبل الملة الاسلامية كانت فى دير من ديارات النصارى بهذا الموضع فلما قـدم القائد جوهر بجيوش المعز لدين الله في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة أدخل هـذا الدير فى القصر وهو موضع الركن المخلق تجاه الحوض المذكور وجعل هـذه البئر مما ينتفع به في القصر وهي تعرف ببئر العظام وذلك أن جوهرا نقل من الدير المذكور عظاما كانت فيه من رمم قوم يقـال انهم من الحواريين فسميت بئر العظام والعامـة تقول الى اليوم بئر المعظمـة وهى بئر كبيرة في غاية السعة وأول ماأعرف من اضافها الى الجامـع الاقمر أن العماد الدمياطى ركب على

فوهتها هذه المحال التي بها الآن وهي من جيد المحال وكان تركيبها بعد السبعمائة في أيام قاضى القضاة عز الدين عبدالعزيز بن جماعة الشافعي وبهذا الجامع درس من قديم الزمان ولم تزل مئذنته التي جددها السالمي والبركة الى سنة خمس عشرة وثمانمائة فولى نظر الجامع بعض الفقهاء فرأى هدم المئذنة من أجل ميل حدث بها فهدمها وأبطل الماء من البركة لافساد الماء بمروره جدار الجامع القبلي والخطبة قائمة به الى الآن * ( الآمر بأحكام الله )* أبو على المنصور بن المستعلى بالله أبى القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله أبى الحسن على بن الحاكم بأمر الله أبى على منصور ولد يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم سنة تسعين وأربعمائة وبويع له بالخلافة يوم مات أبوه وهو طفل له من العمر خمس سنين وأشهر وأيام في يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة خمس وتسعين أحضره الافضل بن أمير الجيوش وبايع له ونصبه مكان أبيه ونعته بالآمر باحكام الله وركب الافضل فرسا وجعل فى السرج شيئاً وأركبه عليه لينمو شخص الآمر وصار ظهره فى حجر الافضل فلم يزل تحت حجره حتى قتل الافضل ليلة عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسمائة فاستوزر بعده القائد أبا عبد الله محمد بن فاتك البطايحى ولقبه بالمأمون فقام بأمر دولته الى أن قبض عليه في ليلة السبت رابع شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة فتفرغ الآمر لنفسه ولم يبق له ضد ولا مزاحم وبقى بغير وزير وأقام صاحبى ديوان أحدهما جعفر بن عبد المنعم والآخر سامرى يقال له أبو يعقوب ابراهيم ومعهما مستوف يعرف بابن أبي نجاح كان راهبا ثم تحكم هذا الراهب فى الناس وتمكن من الدواوين فابتدأ فى مطالبة النصارى وحقق في جهاتهم الاموال وحملها أولا فأولا ثم أخذ في مصادرة بقية المباشرين والمعاملين والضمناء والعمال وزاد الى أن عم ضرره جميع الرؤساء والقضاة والكتاب والسوقة بحيث لم يخل أحد من ضرره فلما تفاقم أمره قبض عليه الآمر وضرب بالنعال حتي مات بالشرطة فجر الى كرسى الجسر وسمر على لوح وطرح فى النيل وحذف حتى خرج الى البحر الملح فلما كان يوم الثلاثاء رابع عشر ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة وثب جماعة على الآمر وقتلوه كما ذكر عند خبر الهودج وكان كريما سمحا الى الغاية كثير النزهة محبا للمال والزينة وكانت أيامه كلها لهوا وعيشة راضية لكثرة عطائه وعطاء حواشيه بحيث لم يوجد بمصر والقاهرة اذ ذاك من يشكو زمانه البتة الى أن نكد بالراهب على الناس فقبحت سيرته وكثر ظلمه واغتصابه للاموال * وفي أيامه ملك الفرنج كثيرا من المعاقل والحصون بسواحل الشام فملكت عكا في شعبان سنة سبع وتسعين وغزة فى رجب سنة اثنتين وخمسمائة وطرابلس في ذى الحجة منها وبانياس وجبيل وقلعة تبنين فيها أيضاً وملكوا صور في سنة ثمان عشرة وخمسمائة وكثرت المرافعات في أيامه وأحدثت رسوم لم تكن وعمر

الهودج بالروضة ودكة ببركة الحبش وعمر تنيس ودمياط وجدد قصر القرافة وكانت نفسه تحدثه بالسفر والغارة الى بغداد ومن شعره فى ذلك

دع اللوم عنى لست منى بموثق * فلا بد لى من صدمة المتحقق
وأسقى جيادى من فرات ودجلة * واجمع شمل الدين بعد التفرق

وقال

أما والذي حجت الى ركن بيته * جراثيم ركبان مقلدة شهبا
لاقتحمن الحرب حتى يقال لى * ملكت زمام الحرب فاعتزل الحربا
وينزل روح الله عيسى بن مريم * فيرضى بنا صحبا ونرضى به صحبا

وكان أسمر شديد السمرة يحفظ القرآن ويكتب خطا ضعيفا وهو الذى جدد رسوم الدولة واعاد اليها بهجتها بعد ماكان الافضل أبطل ذلك ونقل الدواوين والاسمطة من القصر بالقاهرة الى دار الملك بمصر كما ذكر هناك وقضاته ابن ذكا النابلسى ثم نعمة الله ابن بشير ثم الرشيد محمد بن قاسم الصقلي ثم الجليس بن نعمة الله بن بشير النابلسى ثم صرفه ثانيا بمسلم بن الرسعنى وعزله بأبى الحجاج يوسف بن أيوب المغربي ثم مات فولى محمد بن هبة الله بن ميسر وكتاب انشائه سنا الملك أبو محمد الزبيدى الحسني والشيخ أبو الحسن ابن أبى أسامة وتاج الرياسة أبو القاسم بن الصيرفي وابن أبي الدم اليهودى وكان نقش خاتمه الامام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين ووقع في آخر أيامه غلاء قلق الناس منه وكان جريأ على سفك الدماء وارتكاب المحظورات واستحسان القبائح وقتل وعمره أربع وثلاثون سنة وتسعة أشهر وعشرون يوما منها مدة خلافته تسع وعشرون سنة وثمانية أشهر ونصف وما زال محجورا عليه حتي قتل الافضل وكان يركب للنزهة دائما عندما استبد في يومي السبت والثلاثاء ويتحول في أيام النيل بحرمه الى اللؤلؤة على الخليج واختص بغلاميه برغش وهزار الملوك * ( يلبغا السالمى ) * أبو المعالى عبد الله الامير سيف الدين الحنفى الصوفي الظاهرى كان اسمه في بلاده يوسف وهو حر الاصل وآباؤه مسلمون فلما جلب من بلاد المشرق سمى يلبغا وقيل له السالمى نسبة الى سالم تاجره الذى جلبه فترقي في خدم السلطان الملك الظاهر برقوق الى أن ولاه نظر خانقاه الصلاح سعيد السعداء فى ثامن عشر جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وسبعمائة فأخرج كتاب الوقف وقصد أن يعمل بشرط الواقف وأخرج منها جماعة من بياض الناس فجرت أمور ذكرت فى خبر الخانقاه * وفي سابع عشرى صفر سنة ثمانمائة انعم عليه الملك الظاهر بامرة عشرة عوضا عن الامير بهادر فطيلس ثم نقله الى امرة طبلخاناه ثم جعله ناظرا على الخانقاه الشيخونية بالصليبة في تاسع شعبان سنة احدى وثمانمائة فعسف بمباشريها وأراد حملهم على مر الحق فنفرت منه القلوب ولما مرض الظاهر جعله أحد الاوصياء على

تركته فقام بتحليف المماليك السلطانية للملك الناصر فرج بن برقوق والانفاق عليهم بحضرة الناصر فأنفق عليهم كل دينار من حساب أربعة وعشرين درهما ولما انقضت النفقة نودى في البلد أن صرف كل دينار ثلاثون درهما ومن امتنع نهب ماله وعوقب فحصل للناس من ذلك شدة وكان قد كثر القبض على الامراء بعد موت الظاهر فتحدث مع الامير الكبير ايتمش القائم بتدبير دولة الناصر فرج بعد موت أبيه فى أن يكون على كل أمير من المقدمين خمسون ألف درهم وعلى كل أمير من الطبلخاناه عشرون ألف درهم وعلى كل أمير عشرة خمسة آلاف درهم وعلى كل أمير خمسة ألفا درهم وخمسمائة درهم فرسم بذلك وعمل به مدة أيام الناصر وحصل به رفق للامراء ومباشريهم ثم خلع عليه واستقر استادار السلطان عوضا عن الامير الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج الملكي يوم الاثنين ثالث عشر ذى القعدة من السنة المذكورة فأبطل تعريف منية بني خصيب وضمان العرصة وأخصاص الكيالين وكتب بذلك مرسوما سلطانيا وبعث الى والى الاشمونين وأبطل وفر الشون السلطانية وما كان مقررا على البردداد وهو في الشهر سبعة آلاف درهم وما كان مقررا على مقدم المستخرج وهو فى الشهر ثلاثة آلاف درهم وكانت سماسرة الغلال تأخذ ممن يشترى شيئاً من الغلة على كل اردب درهمين سمسرة وكيالة ولواحة وأمانة فألزمهم أن لا يأخذوا عن كل أردب سوى نصف درهم وهدد على ذلك بالغرامة والعقوبة وركب في صفر سنة ثلاث وثمانمائة الى ناحية المنية وشبرا الخيمة من الضواحي بالقاهرة وكسر منها ماينيف على أربعين ألف جرة خمر وخرب بها كنيسة كانت للنصارى وحمل عدة جرار فكسرها تحت قلعة الجبل وعلي باب زويلة وشدد على النصارى فلم يمكنه أمراء الدولة من حملهم علي الصغار والمذلة في ملبسهم وأمر فضرب الذهب كل دينار زنته مثقال واحد وأراد بذلك ابطال ماحدث من المعاملة بالذهب الافرنجى فضرب ذلك وتعامل الناس به مدة وصار يقال دينار سالمى الى أن ضرب الناصر فرج دنانير وسماها الناصرية وصار يحكم فى الاحكام الشرعية فقلق منه أمراء الدولة وقاموا في ذلك فمنع من الحكم الا فيما يتعلق بالديوان المفرد وغيره مما هو من لوازم الاستادار وأخذ في مخاشنة الامراء عند ماعاد الناصر فرج وقد انهزم من تيمورلنك وشرع فى اقامة شعار المملكة والنفقة علي العساكر التي رجعت منهزمة فأخذ من بلاد الامراء وبلاد السلطان عن كل ألف دينار فرسا أو خمسمائة درهم ثمنها وجبي من أملاك القاهرة ومصر وظواهرهما أجرة شهر وأخذ من الرزق عن كل فدان عشرة دراهم وعن الفدان من القصب المزروع والقلقاس والنيلة نحو مائة درهم وجبى من البساتين عن كل فدان مائة درهم وقام بنفسه وكبس الحواصل ليلا ونهارا ومعه جماعة من الفقهاء وغيرهم وأخذ مما فيها من الذهب والفضة والفلوس نصف مايجد سواء كان صاحب المال غائباً أو حاضراً فعم ذلك أموال

التجار والايتام وغيرهم من سائر من وجد له مال وأخذ ماكان في الجوامع والمدارس وغيرها من الحواصل فشمل الناس من ذلك ضرر عظيم وصار يؤخذ من كل مائة درهم ثلاثة دراهم عن أجرة صرف وستة دراهم عن أجرة الرسول وعشرة دراهم عن أجرة نقيب فنفرت منه القلوب وانطلقت الالسن بذمه والدعاء عليه وعرض مع ذلك الجند وألزم من له قدرة على السفر بالتجهز للسفر الى الشام لقتال تيمورلنك ومن وجده عاجزاً عن السفر ألزمه بحمل نصف متحصل اقطاعه فقبض عليه في يوم الاثنين رابع عشر رجب سنة ثلاث وثمانمائة وسلم للقاضي سعد الدين ابراهيم بن غراب وقرر مكانه فى الاستادارية فلم يزل الى يوم عيد الفطر من السنة المذكورة فأمر باطلاقه بعد أن حصر وأهين اهانة كبيرة ثم قبض عليه وضرب ضربا مبرحا حتي أشفى على الموت وأطلق فى نصف ذى القعدة وهو مريض فأخرج الى دمياط وأقام بها مدة ثم أحضر الى القاهرة وقلد وظيفة الوزارة فى سنة خمس وثمانمائة وجعل مشيرا فأبطل مكوس البحيرة وهو مايؤخذ على مايذبح من البقر والغنم واستعمل في أموره العسف وترك مداراة الامراء واستعجل فقبض عليه وعوقب وسجن الى أن أخرج فى رمضان سنة سبع وثمانمائة وقلد وظيفة الاشارة وكانت للامير جمال الدين يوسف الاستادار فلم يترك عادته فى الاعجاب برأيه والاستبداد بالامور واستعجال الاشياء قبل أوانها فقبض عليه فى ذى الحجة منها وسلم للامير جمال الدين يوسف فعاقبه وبعث به الى الاسكندرية فسجن بها الى أن سعي جمال الدين فى قتله بمال بذله للناصر فيه حتي أذن له فى ذلك فقتل خنقا عصر يوم الجمعة وهو صائم السابع عشر من جمادى الآخرة سنة احدى عشرة وثمانمائة رحمه الله وكان كثير النسك من الصلاة والصوم والصدقة لايخل بشئ من نوافل العبادات ولا يترك قيام الليل سفرا ولا حضراً ولا يصلى قط الا بوضوء جديد وكلما أحدث توضأ واذا توضأ صلي ركعتين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويخرج في كثرة الصداقات عن الحد ويقرأ في كل ثلاثة أيام ختمة ولايترك أولاده فى حال من الاحوال مع المرؤة والهمة وسمع كثيرا من الحديث وقرأ بنفسه على المشايخ وكتب الخط المليح وقرأ القرا آت السبع وعرف التصوف والفقه والحساب والنجوم الا انه كان متهوراً في أخذ الاموال عسوفا لجوجا مصمما لاينقاد الى أحد ويستبد برأيه فيغلط غلطات لاتحتمل ويستخف بغيره ويعجب بنفسه ويريد أن يجعل غاية الامور بدايتها فلذلك لم يتم له أمر

*( جامع الظافر )*

هذا الجامع بالقاهرة في وسط السوق الذى كان يعرف قديما بسوق السراجيين ويعرف اليوم بسوق الشوايين كان يقال له الجامع الافخر ويقال له اليوم جامع الفاكهيين وهو من المساجد الفاطمية عمره الخليفة الظافر بنصر الله أبو المنصور اسماعيل بن الحافظ لدين الله

أبي الميمون عبد المجيد بن الآمر بأحكام الله منصور ووقف حوانيته على سدنته ومن يقرأ فيه * قال ابن عبدالظاهر بناه الظافر وكان قبل ذلك زريبة تعرف بدار الكباش وبناه في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وسبب بنائه أن خادما رأى من مشرف عال ذباحا وقدأخذ رأسين من الغنم فذبح أحدهما ورمى سكينته ومضى ليقضي حاجته فأتى رأس الغنم الآخر وأخذ السكين بفمه ورماها في البالوعة فجاء الجزار يطوف على السكين فلم يجدهاوأما الخادم فانه استصرخ وخلصه منه وطولع بهذه القضية أهل القصر فأمروا بعمله جامعا ويسمى الجامع الاخروبه حلقة تدريس وفقهاء ومتصدرون للقرآن وأول ما أقيمت به الجمعة في (٣)

* ( جامع الصالح ) *

هذا الجامع من المواضع التي عمرت في زمن الخلفاء الفاطميين وهو خارج باب زويلة * قال ابن عبد الظاهر كان الصالح طلائع بن رزيك لما خيف على مشهد الامام الحسين رضى الله عنه اذ كان بعسقلان من هجمة الفرنج وعزم علي نقله قد بني هذا الجامع ليدفنه به فلما فرغ منه لم يمكنه الخليفة من ذلك وقال لايكون الا داخل القصور الزاهرة وبني المشهد الموجود الآن ودفن به وتم الجامع المذكور واستمر جلوس زين الدين الواعظ به وحضور الصالح اليه فيقال ان الصالح لما حضرته الوفاة جمع أهله وأولاده وقال لهم في جملة وصيته ماندمت قط في شئ عملته الا في ثلاثة الاول بنائى هذا الجامع علي باب القاهرة فانه صار عونا لها والثاني توليتي لشاور الصعيد الاعلى والثالث خروجي الى بلبيس بالعساكر وانفاقي الاموال الجمة ولم أتم بهم الى الشام وافتح بيت المقدس واستأصل ساقة الفرنج وكان قد أنفق في العساكر في تلك الدفعة مائة ألف دينار وبني في الجامع المذكور صهريجا عظيما وجعل ساقية على الخليج قريب باب الخرق تملأ الصهريج المذكور أيام النيل وجعل المجاري اليه وأقيمت الجمعة فيه في الايام المعزية في سنة بضع وخمسين وستمائة بحضور رسول بغداد الشيخ نجم الدين عبد الله البادرائى وخطب به أصيل الدين أبو بكر الاسعردى وهي الى الآن ولما حدثت الزلزلة سنة اثنتين وسبعمائة تهدم فعمر على يد الامير سيف الدين بكتمر الجوكندار * ( طلائع بن رزيك ) * أبو الغارات الملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين قدم في أول أمره الى زيارة مشهد الامام على بن أبي طالب رضى الله عنه بأرض النجف من العراق في جماعة من الفقراء وكان من الشيعة الامامية وامام مشهد على رضى الله عنه يومئذ السيد ابن معصوم فزار طلائع وأصحابه وباتوا هنالك فرأى ابن معصوم في منامه على ابن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول له قد ورد عليك الليلة أربعون فقيرا من جملتهم رجل يقال له طلائع بن رزيك من اكبر محبينا قل له اذهب فقد وليناك مصر فلما اصبح أمر أن ينادى من فيكم طلائع بن رزيك فليقم الى السيد ابن معصوم فجاء طلائع وسلم عليه فقص

عليه مارأي فسار حينئذ الى مصر وترقى فى الخدم حتي ولى منية بنى خصيب فلما قتل نصر ابن عباس الخليفة الظافر بعث نساء القصر الى طلائع يستغثن به فى الاخذ بثار الظافر وجعلن في طي الكتب شعور النساء فجمع طلائع عند ماوردت عليه الكتب الناس وسار يريد القاهرة لمحاربة الوزير عباس فعند ماقرب من البلد فر عباس ودخل طلائع الى القاهرة فخلع عليه خلع الوزارة ونعت بالملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين فباشر البلاد أحسن مباشرة واستبد بالامر لصغر سن الخليفة الفائز بنصر الله الى أن مات فأقام من بعده عبد الله بن محمد ولقبه بالعاضد لدين الله وبايع له وكان صغيرا لم يبلغ الحلم فقويت حرمة طلائع وازداد تمكنه من الدولة فثقل على أهل القصر لكثرة تضيقه عليهم واستبداده بالامر دونهم فوقف له رجال بدهاليز القصر وضربوه حتي سقط على الارض على وجهه وحمل جريحا لايعي الى داره فمات يوم الاثنين تاسع عشر شهر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة وكان شجاعا كريما جوادا فاضلا محبا لاهل الادب جيد الشعر رجل وقته فضلا وعقلا وسياسة وتدبيرا وكان مهابا فى شكله عظيما في سطوته وجمع اموالا عظيمة وكان محافظا على الصلوات فرائضها ونوافلها شديد المغالاة في التشيع صنف كتابا سماه الاعتماد فى الرد على أهل العناد جمع له الفقهاء وناظرهم عليه وهو يتضمن امامة على بن أبى طالب رضى الله عنه والكلام على الاحاديث الواردة فى ذلك وله شعر كثير يشتمل على مجلدين فى كل فن فمنه في اعتقاده

يا أمة سلكت ضلالا بينا * حتي استوى اقرارها وجحودها
ملتم الى أن المعاصى لم يكن * الا بتقدير الاله وجودها
لو صح ذا كان الاله بزعمكم * منع الشريعة أن تقام حدودها
حاشا وكلا أن يكون الهنا * ينهى عن الفحشاء ثم يريدها

وله قصيدة سماها الجوهرية في الرد على القدرية وجدد الجامع الذى بالقرافة الكبرى ووقف ناحية بلقس على أن يكون ثلثاها على الاشرف من بني حسن وبنى حسين ابني على بن أبى طالب رضي الله عنهم وسبع قراريط منها على أشراف المدينة النبوية وجعل فيها قيراطا على بني معصوم امام مشهد على رضى الله عنه ولما ولى الوزارة مال على المستخدمين بالدولة وعلى الامراء واظهر مذهب الامامية وهو مخالف لمذهب القوم وباع ولايات الاعمال للامراء بأسعار مقررة وجعل مدة كل متول ستة اشهر فتضرر الناس من كثرة تردد الولاة على البلاد وتعبوا من ذلك وكان له مجلس في الليل يحضره أهل العلم ويدونون شعره ولم يترك مدة أيامه غزو الفرنج وتسيير الجيوش لقتالهم في البر والبحر وكان يخرج البعوث في كل سنة مرارا وكان يحمل في كل عام الى أهل الحرمين مكة والمدينة من الاشراف سائر مايحتاجون اليه من الكسوة وغيرها حتي يحمل اليهم ألواح الصبيان التي يكتب فيها والاقلام والمداد

وآلات النساء ويحمل كل سنة الى العلويين الذين بالمشاهد جملا كبيرة وكان أهل العلم يغدون اليه من سائر البلاد فلا يخيب أمل قاصد منهم * ولما كان في الليلة التي قتل صبيحتها قال في هذه الليلة ضرب في مثلها أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه وأمر بقربة ممتلئة فاغتسل وصلى على رأى الامامية مائة وعشرين ركعة أحيي بها ليله وخرج ليركب فعثر وسقطت عمامته عن رأسه وتشوشت فقعد في دهليز دار الوزارة وأمر باحضار ابن الضيف وكان يتعمم للخلفاء والوزراء وله على ذلك الجارى الثقيل فلما أخذ في اصلاح العمامة قال رجل للصالح نعيذ بالله مولانا ويكفيه هذا الذى جرى أمرا يتطير منه فان رأى مولانا أن يؤخر الركوب فعل فقال الطيرة من الشيطان ليس الى تأخير الركوب سبيل وركب فكان من ضربه ما كان وعاد محمولا فمات منها كما تقدم

* ( ذكر الاحباس وما كان يعمل فيها ) *

اعلم أن الاحباس في القديم لم تكن تعرف الا في الرباع وما يجرى مجراها من المباني وكلها كانت علي جهات بر فأما المسجد الجامع العتيق بمصر فكان يلي امامته في الصلوات الخمس والخطابة فيه يوم الجمعة والصلاة بالناس صلاة الجمعة أمير البلد فتارة يجمع للامير بين الصلاة والخراج وتارة يفرد الخراج عن الامير فيكون الامير اليه أمر الصلاة بالناس والحرب ولآخر أمر الخراج وهو دون مرتبة أمير الصلاة والحرب وكان الامير يستخلف عنه في الصلاة صاحب الشرطة اذا شغله أمر ولم يزل الامر على ذلك الى أن ولى مصر عنبسة بن اسحاق بن شمر من قبل المستنصر بن المتوكل على الصلاة والخراج فقدمها لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين وأقام الى مستهل رجب سنة اثنتين وأربعين ومائتين وصرف فكان آخر من ولى مصر من العرب وآخر أمير صلى بالناس في المسجد الجامع وصار يصلى بالناس رجل يرزق من بيت المال وكذلك المؤذنون ونحوهم وأما الاراضى فلم يكن سلف الامة من الصحابة والتابعين يتعرضون لها وانما حدث ذلك بعد عصرهم حتي ان أحمد بن طولون لما بنى الجامع والمارستان والسقاية وحبس على ذلك الاحباس الكثيرة لم يكن فيها سوى الرباع ونحوها بمصر ولم يتعرض الى شئ من أراضي مصر البتة وحبس أبو بكر محمد بن على المارداني بركة الحبش وسيوط وغيرهما على الحرمين وعلى جهات بر وحبس غيره أيضا فلما قدمت الدولة الفاطمية من المغرب الى مصر بطل تحبيس البلاد وصار قاضى القضاة يتولى أمر الاحباس من الرباع واليه أمر الجوامع والمشاهد وصار للاحباس ديوان مفرد وأول ماقدم المعز أمر في ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وثلثمائة بحمل مال الاحباس من المودع الى بيت المال الذى لوجوه البر وطولب أصحاب الاحباس بالشرائط ليحملوا عليها وما يجب لهم فيها وللنصف من شعبان ضمن الاحباس

محمد بن القاضى أبى الطاهر محمد بن أحمد بألف ألف وخمسمائة ألف درهم فى كل سنة يدفع الى المستحقين حقوقهم و يحمل مابقى الى بيت المال* وقال ابن الطوير الخدمة في ديوان الاحباس وهو أوفر الدواوين مباشرة ولا يخدم فيه الا أعيان كتاب المسلمين من الشهود المعدلين بحكم أنها معاملة دينية وفيها عدة مدبرين ينوبون عن أرباب هذه الخدم فى ايجاب أرزاقهم من ديوان الرواتب ويجزون لهم الخروج باطلاق أرزاقهم ولا يوجب لاحد من هؤلاء خرج الا بعد حضور ورقة التعريف من جهة مشارف الجوامع والمساجد باستمرار خدمته ذلك الشهر جميعه ومن تأخر تعريفه تأخر الايجاب له وان تمادى ذلك استبدل به أو توفر مابإسمه لمصلحة أخرى خلا جواري المشاهد فانها لاتوفر لكنها تنقل من مقصر الى ملازم وكان يطلق لكل مشهد خمسون درهما في الشهر برسم الماء لزوارها ويجرى من معاملة سواقى السبيل بالقرافة والنفقة عليها من ارتفاع فلا تخلو المصانع ولا الاحواض من الماء أبداً ولا يعترض أحد من الانتفاع به وكان فيه كاتبان ومعينان * وقال المسبحى في حوادث سنة ثلاث وأربعمائة وأمر الحاكم بأمر الله باثبات المساجد التي لاغلة لها ولا أحد يقوم بها وماله منها غلة لاتقوم بما يحتاج اليه فاثبت فى عمل ورفع الى الحاكم بأمر الله فكانت عدة المساجد على الشرح المذكور ثمانمائة وثلاثين مسجدا ومبلغ ماتحتاج اليه من النفقة في كل شهر تسعة آلاف ومائتان وعشرون درهما على ان لكل مسجد فى كل شهر اثنى عشر درهما وقال في حوادث سنة خمس وأربعمائة وقرئ يوم الجمعة ثامن عشرى صفر سجل بتحبيس عدة ضياع وهى اطفيح وصول وطوخ وست ضياع أخر وعدة قياسر وغيرها على القراء والفقهاء والمؤذنين بالجوامع وعلى المصانع والقوام بها ونفقة المارستانات وأرزاق المستخدمين فيها وثمن الاكفان * وقال الشريف بن أسعد الجوانى كان القضاة بمصر اذا بقى لشهر رمضان ثلاثة أيام طافوا يوما على المساجد والمشاهد بمصر والقاهرة يبدؤن بجامع المقس ثم القاهرة ثم المشاهد ثم القرافة ثم جامع مصر ثم مشهد الرأس لنظر حصر ذلك وقناديله وعمارته وما تشعث منه ومازال الامر على ذلك الى أن زالت الدولة الفاطمية فلما استقرت دولة بني أيوب أضيفت الاحباس أيضاً الى القاضى ثم تفرقت جهات الاحباس في الدولة التركية وصارت الى يومنا هذا ثلاث جهات * الاولى تعرف بالاحباس ويلي هذه الجهة دوادار السلطان وهو أحد الامراء ومعه ناظر الاحباس ولا يكون الا من أعيان الرؤساء وبهذه الجهة ديوان فيه عدة كتاب ومدبر واكثر ما فى ديوان الاحباس الرزق الاحباسية وهى أراض من أعمال مصر على المساجد والزوايا للقيام بمصالحها وعلى غير ذلك من جهات البر وبلغت الرزق الاحباسية في سنة أربعين وسبعمائة عند ماحررها النشو ناظر الخاص في أيام الملك الناصر محمد بن قلاون مائة الف وثلاثين الف فدان عمل النشو بها أوراقا

وحدث السلطان فى اخراجها عمن هى باسمه وقال جميع هذه الرزق أخرجها الدواوين بالبراطيل والتقرب الى الامراء والحكام واكثرها بأيدى أناس من فقهاء الارياف لايدرون الفقه يسمون أنفسهم الخطباء ولا يعرفون كيف يخطبون ولا يقرؤن القرآن وكثير منها بأسماء مساجد وزوايا معطلة وخراب وحسن له أن يقيم شادا وديوانا يسير في النواحي وينظر في المساجد التي هى عامرة ويصرف لها من رزقها النصف وما عدا ذلك يجري فى ديوان السلطان فعاجله الله وقبض عليه قبل عمل شيء من ذلك * الجهة الثانية تعرف بالاوقاف الحكمية بمصر والقاهرة ويلي هذه الجهة قاضى القضاة الشافعى وفيهاما حبس من الرباع على الحرمين وعلى الصدقات والاسرى وأنواع القرب ويقال لمن يتولى هذه الجهة ناظر الاوقاف فتارة ينفرد بنظر أوقاف مصر والقاهرة رجل واحد من أعيان نواب القاضى وتارة ينفرد بأوقاف القاهرة ناظر من الاعيان ويلي نظر أوقاف مصر آخر ولكل من أوقاف البلدين ديوان فيه كتاب وجباة وكانت جهة عامرة يحصل منها أموال جمة فيصرف منها لاهل الحرمين أموال عظيمة في كل سنة تحمل من مصر اليهم مع من يثق به قاضى القضاة وتفرق هناك صررا ويصرف منها أيضاً بمصر والقاهرة لطلبة العلم ولاهل الستر وللفقراء شيء كثير الا انها اختلت وتلاشت في زمننا هذا وعما قليل ان دام مانحن فيه لم يبق لها أثر البتة وسبب ذلك انه ولى قضاء الحنفية كمال الدين عمر بن العديم في أيام الملك الناصر فرج وولاية الامير جمال الدين يوسف تدبير الامور والمملكة فتظاهرا معا على اتلاف الاوقاف فكان جمال الدين اذا أراد أخذ وقف من الاوقاف أقام شاهدين يشهدان بأن هذا المكان يضر بالجار والمار وأن الحظ فيه أن يستبدل به غيره فيحكم له قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم باستبدال ذلك وشره جمال الدين في هذا الفعل كما شره فى غيره فحكم له المذكور باستبدال القصور العامرة والدور الجليلة بهذه الطريقة والناس على دين ملكهم فصار كل من يريد بيع وقف أو شراء وقف سعى عند القاضى المذكور بجاه أو مال فيحكم له بما يريد من ذلك واستدرج غيره من القضاة الى نوع آخر وهو أن تقام شهود القيمة فيشهدون بأن هذا الوقف ضار بالجار والمار وأن الحظ والمصلحة في بيعه انقاضا فيحكم قاض شافعي المذهب ببيع تلك الانقاض واستمر الامر على هذا الى وقتنا هذا الذي نحن فيه ثم زاد بعض سفهاء قضاة زمننا في المعنى وحكم ببيع المساجد الجامعة اذا خرب ما حولها وأخذ ذرية واقفها ثمن أنقاضها وحكم آخر منهم ببيع الوقف ودفع الثمن لمستحقه من غير شراء بدل فامتدت الايدي لبيع الاوقاف حتى تلف بذلك سائر ماكان في قرافتي مصر من الترب وجميع ماكان من الدور الجليلة والمساكن الانيقة بمصر الفسطاط ومنشأة المهرانى ومنشأة الكتاب وزريبة قوصون وحكر ابن الاثير وسويقة الموفق وما كان فى

المحكورة من ذلك وما كان بالجوانية والعطوفية وغيرها من حارات القاهرة وغيرها فكان ما ذكر أحد أسباب الخراب كما هو مذكور في موضعه من هذا الكتاب * الجهة الثالثة الاوقاف الاهلية وهى التي لها ناظر خاص اما من أولاد الواقف أو من ولاة السلطان أو القاضي وفي هذه الجهة الخوانك والمدارس والجوامع والترب وكان متحصلها قد خرج عن الحد في الكثرة لما حدث في الدولة التركية من بناء المدارس والجوامع والترب وغيرها وصاروا يفردون أراضى من أعمال مصر والشامات وفيها بلاد مقررة ويقيمون صورة يملكونها بها ويجعلونها وقفا على مصارف كما يريدون فلما استبد الامير برقوق بأمر بلاد مصر قبل أن يتلقب باسم السلطنة هم بارتجاع هذه البلاد وعقد مجلسا فيه شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء وغيره فلم يتهيأ له ذلك فلما جلس على تخت الملك صار امراؤه يستأجرون هذه النواحي من جهات الاوقاف ويؤجرونها للفلاحين بأزيد مما استأجروا فلما مات الظاهر فحش الامر في ذلك واستولى أهل الدولة على جميع الاراضى الموقوفة بمصر والشامات وصار أجودهم من يدفع فيها لمن يستحق ريعها عشر مايحصل له والا فكثير منهم لايدفع شيئاً البتة لاسيما ما كان من ذلك في بلاد الشام فانه استهلك وأخذ ولذلك كان أسوأ الناس حالا فى هذه المحن التى حدثت منذ سنة ست وثمانمائة الفقهاء لخراب الموقوف عليهم وبيعه واستيلاء أهل الدولة على الاراضى

* ( الجامع بجوار تربة الشافعى بالقرافة ) *

هذا الجامع كان مسجدا صغيرا فلما كثر الناس بالقرافة الصغرى عند ماعمر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب المدرسة بجوار قبر الامام الشافعي رضى الله عنه وجعل لها مدرساً وطلبة زاد الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب في المسجد المذكور ونصب به منبرا وخطب فيه وصليت الجمعة به في سنة سبع وستمائة

* ( جامع محمود بالقرافة ) *

هذا المسجد قديم والخطبة فيه متجددة وينسب لمحمود بن سالم بن مالك الطويل من أجناد السرى بن الحكم أمير مصر بعد سنة مائتين من الهجرة قال القضاعى المسجد المعروف بمحمود يقال ان محمودا هذا كان رجلا جنديا من جند السرى بن الحكم أمير مصر وانه هو الذى بنى هذا المسجد وذلك أن السرى بن الحكم ركب يوما فعارضه رجل فى طريقه فكلمه ووعظه بما غاظه فالتفت عن يمينه فرأى محموداً فأمره بضرب عنق الرجل ففعل فلما رجع محمود الى منزله تفكر وندم وقال رجل يتكلم بموعظة بحق فيقتل بيدي وأنا طائع غير مكره على ذلك فهلا امتنعت وكثر أسفه وبكاؤه وآلى على نفسه أن يخرج من الجندية ولا يعود

فيها ولم ينم ليلته من الغم والندم فلما اصبح غدا الى السرى فقال له انى لم انم فى هذه الليلة على قتل الرجل وأنا اشهد الله عز وجل وأشهدك أنى لا أعود في الجندية فاسقط اسمى منهم وان أردت نعمتي فهى بين يديك وخرج من بين يديه وحسنت توبته وأقبل على العبادة واتخذ المسجد المعروف بمسجد محمود وأقام فيه * وقال ابن المتوج المسجد الجامع المشهور بسفح المقطم هذا الجامع من مساجد الخطبة وهو بسفح الجبل المقطم بالقرافة الصغرى وأول من خطب فيه السيد الشريف شهاب الدين الحسين بن محمد قاضي العسكر والمدرس بالمدرسة الناصرية الصلاحية بجوار جامع عمرو وبه عرفت بالشريفية وسفير الخلافة المعظمة وتوفي فى شوال سنة خمس وخمسين وستمائة وكان أيضاً نقيب الاشراف

* ( جامع الروضة بقلعة جزيرة الفسطاط ) *

قال ابن المتوج هذا الجامع عمره السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب وكان أمام بابه كنيسة تعرف بابن لقلق بترك اليعاقبة وكان بها بئر مالحة وذلك مما عد من عجائب مصر أن في وسط النيل جزيرة بوسطها بئر مالحة وهذه البئر التي رأيتها كانت قبالة باب المسجد الجامع وانما ردمت بعد ذلك وهذا الجامع لم يزل بيد بني الرداد ولهم نواب عنهم فيه ثم لما كانت أيام السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودى هدم هذا الجامع في شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ووسعه بدور كانت الى جانبه وشرع فى عمارته فمات قبل الفراغ منه

* ( جامع غين بالروضة ) *

قال ابن المتوج المسجد الجامع بروضة مصر يعرف بجامع غين وهو القديم ولم تزل الخطبة قائمة فيه الى أن عمر جامع المقياس فبطلت الخطبة منه ولم تزل الخطبة بطالة منه الى الدولة الظاهرية فكثرت عمائر الناس حوله فى الروضة وقل الناس فى القلعة وصاروا يجدون مشقة في مشيهم من أوائل الروضة وعمر الصاحب محي الدين أحمد ولد الصاحب بهاء الدين على بن حنا داره على خوخة الفقيه نصر قبالة هذا الجامع فحسن له اقامة الجمعة في هذا الجامع لقربه منه ومن الناس فتحدث مع والده فشاور السلطان الملك الظاهر بيبرس فوقع منه بموقع لكثرة ركوبه بحر النيل واعتنائه بعمارة الشواني ولعبها فى البحر ونظره الى كثرة الخلائق بالروضة ورسم باقامة الخطبة فيه مع بقاء الخطبة بجامع القلعة لقوة نيته في عمارتها على ما كانت عليه فأقيمت الخطبة به في سنة ستين وستمائة وولى خطابته أقضى القضاة جمال الدين بن الغفارى وكان ينوب بالجيزة في الحكم ثم ناب فى الحكم بمصر عن قاضي القضاة وجيه الدين البهنسى وكان امامه في حال عطلته من الخطبة فلما أقيمت فيه الخطبة أضيفت اليه الخطابة فيه مع الامامة * غين أحد خدام الخليفة الحاكم بأمر الله خلع عليه في تاسع ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة وقلده سيفا وأعطاه سجلا قرئ فاذا فيه انه لقب

بقائد القواد وأمر أن يكتب بذلك ويكاتب به وركب وبين يديه عشرة أفراس بسروجها ولجمها وفي ذى القعدة من السنة المذكورة أنفذ اليه الحاكم خمسة آلاف دينار وخمسة وعشرين فرسا بسروجها ولجمها وقلده الشرطتين والحسبة بالقاهرة ومصر والجيزة والنظر فى أمور الجميع وأموالهم وأحوالهم كلها وكتب له سجلا بذلك قرئ بالجامع العتيق فنزل الى الجامع ومعه سائر العسكر والخلع عليه وحمل على فرسين وكان فى سجله مراعاة أمر النبيذ وغيره من المسكرات وتتبع ذلك والتشديد فيه وفى المنع من عمل الفقاع وبيعه ومن اكل الملوخيا والسمك الذى لاقشر له والمنع من الملاهى كلها والتقدم بمنع النساء من حضور الجنائز والمنع من بيع العسل وأن لايتجاوز فى بيعه أكثر من ثلاثة أرطال لمن لايسبق اليه ظنه أن يتخذ منه مسكرا فاستمر ذلك الى غرة صفر سنة أربع وأربعمائة فصرف عن الشرطتين والحسبة بمظفر الصقلي فلما كان يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الآخر منها أمر بقطع يدى كاتبه أبي القاسم على بن أحمد الجرجانى فقطعتا جميعا وذلك انه كان يكتب عند السيدة الشريفة أخت الحاكم فانتقل من خدمتها الى خدمة غين خوفا على نفسه من خدمتها فسخطت لذلك فبعث اليها يستعطفها ويذكر في رقعته شيئاً وقفت عليه فارتابت منه فظنت أن ذلك حيلة عليها وانفذت الرقعة فى طي رقعتها الى الحاكم فلما وقف عليها اشتد غضبه وأمر بقطع يديه جميعا فقطعتا وقيل بل كان غين هو الذى يوصل رقاع عقيل صاحب الخبر الى الحاكم فى كل يوم فيأخذها من عقيل وهى مختومة بخاتمه ويدفعها لكاتبه أبي القاسم الجرجاني حتي يخلوله وجه الحاكم فيأخذها حينئذ من كاتبه ويوقفه عليها وكان الجرجاني يفك الختم ويقرأ الرقاع فلما كان في يوم من الايام فك رقعة فوجد فيها طعنا على غين أستاذه وقد ذكر فيها بسوء فقطع ذلك الموضع واصلحه وأعاد ختم الرقعة فبلغ ذلك عقيلا صاحب الخبر فبعث الى الحاكم يستأذنه في الاجتماع به خلوة في أمر مهم فأذن له وحدثه بالخبر فأمر حينئذ بقطع يدى الجرجاني فقطعتا ثم بعد قطع يديه بخمسة عشر يوماً فى ثالث جمادى الاولى قطعت يد غين الاخرى وكان قد أمر بقطع يده قبل ذلك بثلاث سنين وشهر فصار مقطوع اليدين معا ولما قطعت يده حملت فى طبق الى الحاكم فبعث اليه بالاطباء ووصله بألوف من الذهب وعدة من اسفاط ثياب وعاده جميع أهل الدولة فلما كان ثالث عشره أمر بقطع لسانه فقطع وحمل الى الحاكم فسير اليه الاطباء ومات بعد ذلك

* ( جامع الافرم ) *

قال ابن المتوج هذا الجامع بسفح الرصد عمره الامير عز الدين ايبك بن عبد الله المعروف بالافرم أمير جاندار الملكى الصالحى النجمى في شهور سنة ثلاث وستين وستمائة لما عمر المنظرة هناك وعمر بجوارها رباطاً للفقراء وقررهم عدة تنعقد بهم الجمعة وقرر اقامتهم

فيه ليلا ونهارا وقرر كفايتهم واعانتهم علي الاقامة وعمر لهم هذا الجامع يستغنون به عن السعى الى غيره وذكر أن الافرم أيضاً عمر مسجداً بجسر الشعيبية فى شعبان سنة ثلاث وتسعين وستمائة جامعا هدم فيه عدة مساجد

* ( الجامع بمنشأة المهراني ) *

قال ابن المتوج والسبب فى عمارة هذا الجامع ان القاضى الفاضل كان له بستان عظيم فيما بين ميدان اللوق وبستان الخشاب الذي أكله البحر وكان يمير مصر والقاهرة من ثماره وأعنابه ولم تزل الباعة ينادون على العنب رحم الله الفاضل ياعنب الى مدة سنين عديدة بعد أن اكله البحر وكان قد عمر الى جانبه جامعا وبني حوله فسميت بمنشأة الفاضل وكان خطيبه أخا الفقيه موفق الدين بن المهدوى الديباجي العثماني وكان قد عمر بجواره دارا وبستانا وغرس فيه أشجاراً حسنة ودفع اليه فيه ألف دينار مصرية في أول الدولة الظاهرية وكان الصرف قد بلغ في ذلك الوقت كل دينار ثمانية وعشرين درهما ونصف درهم نقرة فاستولى البحر على الجامع والدار والمنشأة وقطع جميع ذلك حتي لم يبق له أثر وكان خطيبه موفق الدين يسكن بجوار الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن حنا ويتردد اليه والى والده محيي الدين فوقف وضرع اليهما وقال اكون غلام هذا الباب ويخرب جامعى فرحمه الصاحب وقال السمع والطاعة يدبر الله ثم فكر في هذه البقعة التي فيها هذا الجامع الآن وكانت تعرف بالكوم الاحمر مرصدة لعمل أقمنة الطوب الآجرية سميت بالكوم الاحمر وكان الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن حنا قد عمر منظرة قبالة هذا الكوم وهي التى صارت دار ابن صاحب الموصل وكان فخر الدين كثير الاقامة فيها مدة الايام المعزية فقلق من دخان الاقمنة التي على الكوم الاحمر وشكا ذلك لوالده ولصهره الوزير شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى فأمرا بتقويمه فقوم مابين بستان الحلي وبحر النيل وابتاعه الصاحب بهاء الدين فلما مات ولده فخر الدين وتحدث مع الملك الظاهر بيبرس في عمارة جامع هناك ملكه هذه القطعة من الارض فعمر السلطان بها هذا الجامع ووقف عليه بقية هذه الارض المذكورة فى شهر رمضان سنة احدى وسبعين وستمائة وجعل النظر فيه لاولاده وذريته ثم من بعدهم لقاضي القضاة الحنفي وأول من خطب فيه الفقيه موفق الدين محمد بن أبي بكر المهدوي العثمانى الديباجي الى أن توفى يوم الاربعاء ثالث عشر شوال سنة خمس وثمانين وستمائة وقد تعطلت اقامة الجمعة من هذا الجامع لخراب ماحوله وقلة الساكنين هناك بعد أن كانت تلك الخطة فى غاية العمارة وكان صاحبنا شمس الدين محمد بن الصاحب قد عزم على نقل هذا الجامع من مكانه فاخترمته المنية قبل ذلك

## * ( جامع دير الطين ) *

قال ابن المتوج هذا الجامع بدير الطين فى الجانب الشرقي عمره الصاحب تاج الدين بن الصاحب فخر الدين ولد الصاحب بهاء الدين المشهور بابن حنا في المحرم سنة اثنتين وسبعين وستمائة وذلك انه لما عمر بستان المعشوق ومناظره وكثرت اقامته بها وبعد عليه الجامع وكان جامع دير الطين ضيقا لا يسع الناس فعمر هذا الجامع وعمر فوقه طبقة يصلى فيها ويعتكف اذا شاء ويخلو بنفسه فيها وكان ماء النيل فى زمنه يصل الى جدار هذا الجامع وولى خطابته للفقيه جمال الدين محمد ابن الماشطة ومنعه من لبس السواد لاداء الخطبة فاستمر الى حين وفاته في عاشر رجب سنة تسع وسبعمائة وأول خطبة أقيمت فيه يوم الجمعة سابع صفر سنة اثنتين وسبعين وستمائة وقد ذكرت ترجمة الصاحب تاج الدين عند ذكر رباط الآثار من هذا الكتاب * ( محمد ابن على بن محمد بن سليم بن حنا ) * أبو عبد الله الوزير الصاحب فخر الدين ابن الوزير الصاحب بهاء الدين ولد في سنة اثنتين وعشرين وستمائة وتزوج بابنة الوزير الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى وناب عن والده فى الوزارة وولى ديوان الاحباس ووزارة الصحبة في ايام الظاهر بيبرس وسمع الحديث بالقاهرة ودمشق وحدث وله شعر جيد ودرس بمدرسة أبيه الصاحب بهاء الدين التى كانت في زقاق القناديل بمصر وكان محبا لاهل الخير والصلاح مؤثرا لهم متفقدا لاحوالهم وعمر رباطا حسنا بالقرافة الكبرى رتب فيه جماعة من الفقراء ومن غريب مايتعظ به الاريب أن الوزير الصاحب زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن الزبير الذى كان بنو حنا يعادونه وعنه اخذوا الوزارة مات في ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وستمائة بالسجن فأخرج كما تخرج الاموات الطرحاء على الطرقات من الغرباء ولم يشيع جنازته أحد من الناس مراعاة للصاحب بن حنا وكان فخر الدين هذا يتنزه فى أيام الربيع بمنية القائد وقد نصبت له الخيام وأقيمت المطابخ وبين يديه المطربون فدخل عليه البشير بموت الوزير يعقوب بن الزبير وانه أخرج الى المقابر من غير أن يشيع جنازته أحد من الناس فسر بذلك ولم يتمالك نفسه وأمر المطربين فغنوه ثم قام على رجليه ورقص وهو وسائر من حضره وأظهر من الفرح والخلاعة ماخرج به عن الحد وخلع على البشير بموت المذكور خلعا سنية فلم يمض على ذلك سوى اقل من أربعة اشهر ومات فى حادى عشرى شعبان من السنة المذكورة ففجع به أبوه وكانت له جنازة عظيمة ولما دلى فى لحده قام شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى صاحب البردة في ذلك الجمع الموفور بتربة ابن حنا من القرافة وانشد

نم هنيأ محمد بن على * بجميل قدمت بين يديكا
لم تزل عوننا على الدهر حتي * غلبتنا يد المنون عليكا

انت أحسنت فى الحياة الينا * أحسن الله فى الممات اليكا

فتباكي الناس وكان لها محل كبير ممن حضر رحمة الله عليهم أجمعين * وفى هذا الجامع يقول السراج الوراق

بنيتم على تقوي من الله مسجدا * وخير مبانى العابدين المساجد
فقل في طراز معلم فوق بركة * على حسنها الزاهي لها البحر حاسد
لها حلل حسني ولكن طرازها * من الجامع المعمور بالله واحد
هو الجامع الاحسان والحسن الذى * أقر له زيد وعمرو وخالد
وقد صافحت شهب الدجي شرفاته * فما هى بين الشهب الافراقد
وقد أرشد الضلال عالى مناره * فلا حائر عنه ولا عنه حائد
ونالت نواقيس الديارات وجمة * وخوف فلم يمدد اليهن ساعد
فتبكي عليهن البطاريق في الدجى * وهن لديهم ملقيات كواسد
بذا قضت الايام مابين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

## * ( جامع الظاهر ) *

هذا الجامع خارج القاهرة وكان موضعه ميدانا فأنشأه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقارى جامعا * قال جامع السيرة الظاهرية وفي ربيع الآخر يعني سنة خمس وستين وستمائة اهتم السلطان بعمارة جامع بالحسينية وسير الاتابك فارس الدين اقطاى المستعرب والصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا وجماعة من المهندسين لكشف مكان يليق أن يعمل جامعا فتوجهوا لذلك واتفقوا على مناخ الجمال السلطانية فقال السلطان لا والله لاجعلت الجامع مكان الجمال وأولى ماجعلته ميدانى الذي ألعب فيه بالكرة وهو نزهتي فلما كان يوم الخميس ثامن شهر ربيع الآخر ركب السلطان وصحبته خواصه والوزير الصاحب بهاء الدين على بن حنا والقضاة ونزل الى ميدان قراقوش وتحدث فى أمره وقاسه ورتب أموره وأمور بنائه ورسم بأن يكون بقية الميدان وقفا على الجامع يحكر ورسم بين يديه هيئة الجامع وأشار أن يكون بابه مثل باب المدرسة الظاهرية وأن يكون على محرابه قبة على قدر قبة الشافعى رحمة الله عليه وكتب في وقته الكتب الى البلاد باحضار عمد رخام من سائر البلاد وكتب باحضار الجمال والجواميس والابقار والدواب من سائر الولايات وكتب باحضار الآلات من الحديد والاخشاب النقية برسم الابواب والسقوف وغيرها ثم توجه لزيارة الشيخ الصالح خضر بالمكان الذى أنشأه له وصلى الظهر هناك ثم توجه الى المدرسة بالقاهرة فدخلها والفقهاء والقراء على حالهم وجلس بينهم ثم تحدث وقال هذا مكان قد جعلته لله عز وجل وخرجت عنه وقفا لله اذا مت لاتدفنونى هنا ولا تغيروا معالم هذا المكان فقد خرجت عنه

لله تعالى ثم قام من ايوان الحنفية وجلس بالمحراب في ايوان الشافعية وتحدث وسمع القرآن والدعاء
ورأى جميع الاماكن ودخل الى قاعة ولده الملك السعيد المبنية قريبا منها ثم ركب الى قلعة الجبل
وولى عدة مشدين على عمارة الجامع وكان الى جانب الميدان قاعة ومنظرة عظيمة بناها
السلطان الملك الظاهر فلما رسم ببناء الجامع طلبها الامير سيف الدين قشتمر العجمى من
السلطان فقال الارض قد خرجت عنها لهذا الجامع فاستأجرها من ديوانه والبناء والاصناف
وهبتك اياها وشرع فى العمارة فى منتصف جمادى الآخرة منها وفي أول جمادى الآخرة
سنة ست وستين وستمائة سار السلطان من ديار مصر يريد بلاد الشام فنزل على مدينة يافا
وتسلمها من الفرنج بأمان في يوم الاربعاء العشرين من جمادى الآخرة المذكور وسير أهلها
فتفرقوا فى البلاد وشرع في هدمها وقسم أبراجها على الامراء فابتدأ فى ذلك من ثاني عشريه
وقاسوا شدة في هدمها لحصانتها وقوة بنائها لاسيما القلعة فانها كانت حصينة عالية الارتفاع
ولها أساسات الى الارض الحقيقية وباشر السلطان الهدم بنفسه وبخواصه ومماليكه حتى غلمان
البيوتات التي له وكان ابتداء هدم القلعة في سابع عشريه ونقضت من أعلاها ونظفت زلاقتها
واستمر الاجناد فى كذلك ليلا ونهارا وأخذ من أخشابها جملة ومن ألواح الرخام التي وجدت
فيها ووسق منها مركبا من المراكب التي وجدت فى يافا وسيرها الى القاهرة ورسم بأن يعمل
من ذلك الخشب مقصورة في الجامع الظاهري بالميدان من الحسينية والرخام يعمل بالمحراب
فاستعمل كذلك ولما عاد السلطان الى مصر في حادى عشرى ذى الحجة منها وقد فتح في
هذه السفرة يافا وطرابلس وانطاكية وغيرها أقام الى أن أهلت سنة سبع وستين وستمائة
فلما كملت عمارة الجامع في شوال منها ركب السلطان ونزل الى الجامع وشاهده فرآه في غاية
ما يكون من الحسن وأعجبه نجازه في أقرب وقت ومدة مع علو الهمة فخلع على مباشريه
وكان الذى تولى بناءه الصاحب بهاء الدين بن حنا والامير علم الدين سنجر السروري متولى
القاهرة وزار الشيخ خضرا وعاد الى قلعته وفي شوال منها تمت عمارة الجامع الظاهرى ورتب
به خطيبا حنفى المذهب ووقف عليه حكر ما بقى من أرض الميدان ونزل السلطان اليه ورتب
أوقافه ونظر في أموره * ( بيبرس ) الملك الظاهر ركن الدين البندقدارى أحد المماليك
البحرية الذين اختص بهم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد بن
العادل أبي بكر بن أيوب وأسكنهم قلعة الروضة كان أولا من مماليك الامير علاء الدين
أيدكين البندقدارى فلما سخط عليه الملك الصالح أخذ مماليكه ومنهم الامير بيبرس هذا وذلك
في سنة أربع وأربعين وستمائة وقدمه على طائفة من الجمدارية وما زال يترقى فى الخدم الى
أن قتل المعز أيبك التركمانى الفارس أقطاى الجمدار فى شعبان سنة اثنتين وخمسين وستمائة
وكانت البحرية قد انحازت اليه فركبوا في نحو السبعمائة فلما ألقيت اليهم رأس أقطاى تفرقوا

واتفقوا على الخروج الى الشام وكانت أعيانهم يومئذ بيبرس البندقداري وقلاون الالفي وسنقر الاشقر وبيسري وترامق وتنكز فساروا الى الملك الناصر صاحب الشام ولم يزل بيبرس ببلاد الشام الى أن قتل المعز أيبك وقام من بعده ابنه المنصور علي وقبض عليه نائبه الامير سيف الدين قطز وجلس على تخت المملكة وتلقب بالملك المظفر فقدم عليه بيبرس فأمره المظفر قطز ولما خرج قطز الى ملاقاة التتار وكان من نصرته عليهم ما كان رحل الى دمشق فوشى اليه بان الامير بيبرس قد تنكر له وتغير عليه وانه عازم على القيام بالحرب فأسرع قطز بالخروج من دمشق الى جهة مصر وهو مضمر لبيبرس السوء وعلم بذلك خواصه فبلغ ذلك بيبرس فاستوحش من قطز وأخذ كل منهما يحترس من الآخر على نفسه وينتظر الفرصة فبادر بيبرس وواعد الاميرسيف الدين بلبان الرشيدي والامير سيف الدين بيدغان الركني المعروف بسم الموت والامير سيف الدين بلبان الهاروني والامير بدر الدين آنص الاصبهاني فلما قربوا في مسيرهم من القصر بين الصالحية والسعيدية عند القرين انحرف قطز عن الدرب للصيد فلما قضى منه وطره وعادوالامير بيبرس يسايره هو وأصحابه طلب بيبرس منه امرأة من سبي التتار فأنعم عليه بهافتقدم ليقبل يده وكانت اشارة بينه وبين أصحابه فعند مارأوا بيبرس قد قبض على يد السلطان المظفر قطز بادر الامير بكتوت الجوكندار وضربه بسيف على عاتقه أبانه واختطفه الامير آنص والقاه عن فرسه الى الارض ورماه بهادر المغربي بسهم فقتله وذلك يوم السبت خامس عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة ومضوا الى الدهليز للمشورة فوقع الاتفاق على الامير بيبرس فتقدم اليه أقطاي المستعرب الجمدار المعروف بالاتابك وبايعه وحلف له ثم بقية الامراء وتلقب بالملك الظاهر وذلك بمنزلة القصير فلما تمت البيعة وحلف الامراء كلهم قال له الامير اقطاي المستعرب ياخوند لايتم لك أمر الا بعد دخولك الى القاهرة وطلوعك الى القلعة فركب من وقته ومعه الامير قلاون والامير بلبان الرشيدي والامير بيليك الخازندار وجماعة يريدون قلعة الجبل فلقيهم في طريقهم الامير عز الدين أيدمر الحلي نائب الغيبة عن المظفر قطز وقد خرج لتلقيه فأخبروه بما جري وحلفوه فتقدمهم الى القلعة ووقف على بابها حتى وصلوا في الليل فدخلوا اليها وكانت القاهرة قد زينت لقدوم السلطان الملك المظفر قطز وفرح الناس بكسر التتار وعود السلطان فما راعهم وقد طلع النهار الا والمشاعلي ينادي معاشر الناس ترحموا على الملك المظفر وادعوا لسلطانكم الملك الظاهر بيبرس فدخل على الناس من ذلك غم شديد ووجل عظيم خوفا من عود البحرية الى ما كانوا عليه من الجور والفساد وظلم الناس * فأول مابدأ به الظاهر أنه أبطل ماكان قطز أحدثه من المظالم عند سفره وهو تصقيع الاملاك وتقويمها وأخذ زكاة ثمنها في كل سنة وجباية دينار من كل انسان وأخذ ثلث الترك الاهلية فبلغ ذلك في السنة

ستمائة الف دينار وكتب بذلك مسموحا قرئ على المنابر في صبيحة دخوله الي القلعة وهو يوم الاحد سادس عشر ذى القعدة المذكور وجلس بالايوان وحلف العساكر واستناب الامير بدر الدين بيلبك الخازندار بالديار المصرية واستقر الامير فارس الدين اقطاى المستعرب أتابكا على عادته والامير جمال الدين أقوش التجيبى أستادارا والامير عز الدين أيبك الافرم الصالحي أمير جاندار والامير لاجين الدرفيل وبلبان الرومى دوادارية والامير بهاء الدين يعقوب الشهر زورى أميراخور على عادته وبهاء الدين علي بن حنا وزيرا والامير ركن الدين التاجي الركني والامير سيف الدين بكجري حجابا ورسم باحضار البحرية الذين تفرقوا في البلاد بطالين وسير الكتب الى الاقطار بما تجدد له من النعم ودعاهم الى الطاعة فأذعنوا له وانقادوا اليه وكان الامير علم الدين سنجر الحلبى نائب دمشق لما قتل قطز جمع الناس وحلفهم وتلقب بالملك المجاهد وثار علاء الدين الملقب بالملك السعيد ابن صاحب الموصل في حلب وظلم أهلها وأخذ منهم خمسين ألف دينار فقام عليه جماعة ومقدمهم الامير حسام الدين لاجين العزيزى وقبضوا عليه فسير الظاهر الى لاجين بنيابة حلب * فلما دخلت سنة تسع وخمسين قبض الظاهر على جماعة من الامراء المعزية منهم الامير سنجر الغتمى والامير بهادر المعزى والشجاع بكتوت ووصل الى السلطان الامام أبو العباس أحمد ابن الخليفة الظاهر العباسى من بغداد فى تاسع رجب فتلقاه السلطان في عساكره وبالغ فى اكرامه وأنزله بالقلعة وحضر سائر الامراء والمقدمين والقضاة وأهل العلم والمشايخ بقاعة الاعمدة من القلعة بين يدى أبى العباس فتأدب السلطان الظاهر ولم يجلس على مرتبة ولا فوق كرسى وحضر العربان الذين قدموا من العراق وخادم من طواشية بغداد وشهدوا بأن العباس أحمد ولد الخليفة الظاهر ابن الخليفة الناصر وشهد معهم بالاستفاضة الامير جمال الدين يحيي نائب الحكم بمصر وعلم الدين بن رشيق وصدر الدين موهوب الجزرى ونجيب الدين الحراني وسديد الزمنتي نائب الحكم بالقاهرة عند قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الشافعي وأسجل على نفسه بثبوت نسب أبى العباس أحمد وهو قائم على قدميه ولقب بالامام المستنصر بالله وبايعه الظاهر على كتاب الله وسنة نبيه والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله وأخذ أموال الله بحقها وصرفها في مستحقها فلما تمت البيعة قلد المستنصر بالله السلطان الملك الظاهر أمر البلاد الاسلامية وماسيفتحه الله على يديه من بلاد الكفار وبايع الناس المستنصر على طبقاتهم وكتب الى الاطراف بأخذ البيعة له واقامة الخطبة باسمه على المنابر ونقشت السكة في ديار مصر باسمه واسم الملك الظاهر معا * فلما كان يوم الجمعة سابع عشر رجب خطب الخليفة بالناس في جامع القلعة وركب السلطان فى يوم الاثنين رابع شعبان الى خيمة ضربت له بالبستان الكبير

ظاهر القاهرة وأفيضت عليه الخلع الخليفية وهى جبة سوداء وعمامة بنفسجية وطوق من ذهب وقلد بسيف عربي وجلس مجلسا عاما حضره الخليفة والوزير وسائر القضاة والامراء والشهود وصعد القاضى فخر الدين بن لقمان كاتب السر منبرا نصب له وقرأ تقليد السلطان المملكة وهو بخطه من انشائه ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق ودخل من باب النصر وشق القاهرة وقد زينت له وحمل الصاحب بهاء الدين بن حنا التقليد على رأسه قدام السلطان والامراء مشاة بين يديه وكان يوما مشهودا وأخذ السلطان فى تجهيز الخليفة ليسير الى بغداد فرتب له الطواشي بهاء الدين صندلا الصالحى شرابيا والامير سابق الدين بوزبا الصيرفى أتابكا والامير جعفرا أستادارا والامير فتح الدين بن الشهاب أحمد أمير جاندار والامير ناصر الدين بن صيرم خازندار والامير سيف الدين بلبان الشمسي وفارس الدين أحمد بن أزدمر اليغمورى دوادارية والقاضى كمال الدين محمد السنجارى وزيرا وشرف الدين أبا حامد كاتبا وعين له خزانة وسلاحخاناه ومماليك عدتهم نحو الاربعين منهم سلاحدارية وجمدارية وزردكاشية ورمحدارية وجعل له طشطخاناه وفراشخاناه وشرابخاناه واماما ومؤذنا وسائر أرباب الوظائف واستخدم له خمسمائة فارس وكتب لمن قدم معه من العراق باقطاعات وأذن له في الركوب والحركة حيث اختار وحضر الملك الصالح اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وأخوه الملك المجاهد سيف الدين اسحاق صاحب الجزيرة وأخوهما المظفر فاكرمهم السلطان وأقرهم على ما بأيديهم وكتب لهم تقاليد وجهزهم فى خدمة الخليفة وسار الخليفة في سادس شوال والسلطان فى خدمته الى دمشق فنزل السلطان فى القلعة ونزل الخليفة في التربة الناصرية بجبل الصالحية وبلغت نفقة السلطان على الخليفة ألف ألف وستين ألف دينار وخرج من دمشق فى ثالث عشر ذى القعدة ومعه الامير بلبان الرشيدي والامير سنقر الرومى وطائفة من العسكر وأوصاهما السلطان أن يكونا في خدمة الخليفة حتي يصل الى الفرات فاذا عبر الفرات أقاما بمن معهما من العسكر بالبر الغربي من جهات حلب لانتظار ما يتجدد من أمر الخليفة بحيث ان احتاج اليهم ساروا اليه فسار الى الرحبة وتركه أولاد صاحب الموصل وانصرفوا الى بلادهم وسار الى مشهد على فوجد الامام الحاكم بأمر الله قد جمع سبعمائة فارس من التركمان وهو علي عانة ففارقه التركمان وصار الحاكم الى المستنصر طائعاً له فأكرمه وأنزله معه وسارا الى عانة ورحلا الى الحديثة وخرجا منها الى هيت وكانت له حروب مع التتار فى ثالث محرم سنة ستين وستمائة قتل فيها أكثر أصحابه وفر الحاكم وجماعة من الاجناد وفقد المستنصر فلم يوقف له على خبر فحضر الحاكم الى قلعة الجبل وبايعه السلطان والناس واستمر بديار مصر في مناظر الكبش وهو جد الخلفاء الموجودين اليوم * وفى سنة ست وستين قرر الظاهر بديار مصر أربعة قضاة وهم شافعي

ومالكي وحنفي وحنبلي فاستمر الامر على ذلك الى اليوم وحدث غلاء شديد بمصر وعدمت الغلة فجمع السلطان الفقراء وعدهم وأخذ لنفسه خمسمائة فقير يمونهم ولابنه السعيد بركة خان خمسمائة فقير وللنائب بيلبك الخازندار ثلثمائة فقير وفرق الباقي علي سائر الامراء ورسم لكل انسان في اليوم برطلى خبز فلم ير بعد ذلك في البلد أحد من الفقراء يسأل * وفي ثالث شوال سنة اثنتين وستين أركب السلطان ابنه السعيد بركة بشعار السلطنة ومشى قدامه وشق القاهرة والكل مشاة بين يديه من باب النصر الى قلعة الجبل وزينت البلد وفيها رتب السلطان لعب القبق بميدان العيد خارج باب النصر وختن الملك السعيد ومعه ألف وستمائة وخمسة وأربعون صبيا من أولاد الناس سوى أولاد الامراء والاجناد وأمر لكل صغير منهم بكسوة على قدره ومائة درهم ورأس من الغنم فكان مهما عظيما وأبطل ضمان المزروجهاته وأمر بحرق النصارى فى سنة ثلاث وستين فتشفع فيهم على أن يحملوا خمسين ألف دينار فتركوا * وفى سنة أربع وستين افتتح قلعة صفد وجهز العساكر الى سيس ومقدمهم الامير قلاون الالفى فحصر مدينة ابناس وعدة قلاع * وفي سنة خمس وستين أبطل ضمان الحشيش من ديار مصر وفتح يافا والشقيف وانطاكية * وفى سنة سبع وستين حج فسار على غزة الى الكرك ومنها الى المدينة النبوية وغسل الكعبة بماء الورد بيده ورجع الى دمشق فأراق جميع الخمور وقدم الى مصر في سنة ثمان وستين * وفى سنة سبعين خرج الى دمشق * وفى سنة احدى وسبعين خرج من دمشق سائقا الى مصر ومعه بيسرى وأقوش الرومى وجرسك الخازندار وسنقر الالفى فوصل الى قلعة الجبل وعاد الى دمشق فكانت مدة غيبته أحد عشر يوما ولم يعلم بغيبته من فى دمشق حتي حضر ثم خرج سائقاً من دمشق يريد كبس التتار فخاض الفرات وقدامه قلاون وبيسرى وأوقع بالتتار على حين غفلة وقتل منهم شيئا كثيرا وساق خلفهم بيسرى الى سروج وتسلم السلطان البيرة * ووقع بمصر في سنة اثنتين وسبعين وباء هلك به خلق كثير * وفى سنة ثلاث وسبعين غزا السلطان سيس وافتتح قلاعا عديدة * وفى سنة أربع وسبعين تزوج السعيد بن السلطان بابنة الامير قلاون وخرج العسكر الى بلاد النوبة فواقع ملكهم وقتل منهم كثيرا وفر باقيهم وفي سنة خمس وسبعين سار السلطان لحرب التتار فواقعهم على الابلستين وقد انضم اليهم الروم فانهزموا وقتل منهم كثير وتسلم السلطان قيسارية ونزل فيها بدار السلطان ثم خرج الى دمشق فوعك بها من اسهال وحمي مات منها يوم الخميس تاسع عشري محرم سنة ست وسبعين وستمائة وعمره نحو من سبع وخمسين سنة ومدة ملكه سبع عشرة سنة وشهران * وكان ملكا جليلا عسوفا عجولا كثير المصادرات لرعيته ودواوينه سريع الحركة فارسا مقداما وترك من الذكور ثلاثة السعيد محمد بركة خان وملك بعده وسلامش وملك أيضا

والمسعود خضر ومن البنات سبع بنات وكان طويلا مليح الشكل وفتح الله على يديه مما كان مع الفرنج قيسارية وارسوف وصفد وطبرية ويافا والشقيف وانطاكية وبقراص والقصير وحصن الاكراد والقرين وحصن عكا وصافيتا ومرقية وحلبا وناصف الفرنج على المرقب وبانياس وانطرسوس وأخذ من صاحب سيس دربساك ودركوس وتلميش وكفردين ورعبان ومرزبان وكينوك وأدنة والمصيصة وصار اليه من البلاد التي كانت مع المسلمين دمشق وبعلبك وعجلون وبصرى وصرخد والصلت وحمص وتدمر والرحبة وتل ناشر وصهيون وبلاطيس وقلعة الكهف والقدموس والعليقة والخوابي والرصافة ومصياف والقليعة والكرك والشوبك وفتح بلاد النوبة وبرقة وعمر الحرم النبوي وقبة الصخرة ببيت المقدس وزاد في أوقاف الخليل عليه السلام وعمر قناطر شبرامنت بالجيزية وسور الاسكندرية ومنار رشيد وردم فم بحر دمياط ووعر طريقه وعمر الشواني وعمر قلعة دمشق وقلعة الصبيبة وقلعة بعلبك وقلعة الصلت وقلعة صرخد وقلعة عجلون وقلعة بصري وقلعة شيزر وقلعة حمص وعمر المدرسة بين القصرين بالقاهرة والجامع الكبير بالحسينية خارج القاهرة وحفر خليج الاسكندرية القديم وباشره بنفسه وعمر هناك قرية سماها الظاهرية وحفر بحر أشموم طناح على يد الامير بلبان الرشيدى وجدد الجامع الازهر بالقاهرة وأعاد اليه الخطبة وعمر بلد السعيدية من الشرقية بديار مصر وعمر القصر الابلق بدمشق وغير ذلك * ولما مات كتم موته الامير بدر الدين بيليك الخازندار عن العسكر وجعله في تابوت وعلقه ببيت من قلعة دمشق واظهر أنه مريض ورتب الاطباء يحضرون على العادة وأخذ العساكر والخزائن ومعه محفة محمولة في الموكب محترمة وأوهم الناس أن السلطان فيها وهو مريض فلم يجسر أحد أن يتفوه بموت السلطان وسار الى أن وصل الي قلعة الجبل بمصر وأشيع موته رحمه الله تعالى

## * ( جامع ابن اللبان ) *

هذا الجامع بجسر الشعيبية المعروف بجسر الافرم عمره الامير عز الدين أيبك الافرم فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة * قال ابن المتوج وكان سبب عمارته انه لما كثرت الخلائق في خطة هذا الجامع قصد الافرم أن يجعل خطبة في المسجد المعروف بمسجد الجلالة الذى ببركة الشقاف ظاهر سور الفسطاط المستجد وأن يزيد فيه ويعمره كما يختار فمنعه الفقيه مؤتمن الدين الحارث بن مسكين ورده عن غرضه فحسن له الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا عمارة هذا الجامع فى هذه البقعة لقربه منه فعمره في شعبان سنة ثلاث وتسعين وستمائة لكنه هدم بسببه عدة مساجد وعرف هذا الجامع في زمننا هذا بالشيخ محمد بن اللبان الشافعى لاقامته فيه وأدركناه

عامرا وقد انقطعت منه فى هذه المحن اقامة الجمعة والجماعة لخراب ماحوله وبعد البحر عنه

* ( الجامع الطيبرسى ) *

هذا الجامع عمره الامير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش بشاطئ النيل فى أرض بستان الخشاب وعمر بجواره خانقاه في جمادى الاولى سنة سبع وسبعمائة وكان من أحسن متنزهات مصر واعمرها وقد خرب ماحوله من الحوادث والمحن التى بعد سنة ست وثمانمائة بعد ما كانت العمارة منه متصلة الى الجامع الجديد بمصر ومنه الى الجامع الخطيرى ببولاق ويركب الناس المراكب للفرجة من هذا الجامع الى الجامعين المذكورين مصعدين ومنحدرين في النيل ويجتمع بهذا الجامع الناس للنزهـة فتمر به أوقات ومسرات لايمكن وصفها وقد خرب هـذا الجامع وأقفر من المساكن وصار مخوفا بعد ماكان ملهي وملعبا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولطيبرس هذا المدرسة الطيبرسية بجوار الجامع الازهر من القاهرة

* ( الجامع الجديد الناصري ) *

هذا الجامع بشاطئ النيل من ساحل مصر الجديد عمره القاضى فخر الدين محمـد بن فضل الله ناظر الجيش باسم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون وكان الشروع فيـه يوم التاسع من المحرم سنة احدي عشرة وسبعمائة وانتهت عمارته في ثامن صفر سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وأقيم في خطابته قاضى القضاة بدر الدين محمد بن ابراهيم بن جماعة الشافعي ورتب في امامته الفقيه تاج الدين بن مرهف فأول ماصلى فيه صلاة الظهر من يوم الخميس ثامن صفر المذكور وأقيمت فيه الجمعة يوم الجمعة تاسع صفر وخطب عن قاضى القضاة بدر الدين ابنه جمال الدين ولهذا الجامع أربعة أبواب وفيه مائة وسبعة وثلاثون عمودا منها عشرة من صوان في غاية السمك والطول وجملة ذرعه أحد عشر ألف ذراع وخمسمائة ذراع بذراع العمل من ذلك طوله من قبليه الى بحريه مائة وعشرون ذراعا وعرضه من شرقيـه الى غربيه مائة ذراع وفيه ستة عشر شباكا من حديد وهو يشرف من قبليه على بستان العالمة وينظر من بحريه بحر النيل وكان موضع هذا الجامع في القديم غامرا بماء النيل ثم انحسر عنه النيل وصار رملة فى زمن الملك الصالح نجم الدين أيوب يمرغ النـاس فيهـا دوابهم أيام احتراق النيل فلما عمر الملك الصالح قلعة الروضة وحفر البحر طرح الرمل في هذا الموضع فشرع الناس فى العمارة على الساحل وكان موضع هذا الجامع شونة وقد ذكر خبر ذلك عند ذكر الساحل الجديد بمصر فانظره وما برح هذا الجامع من أحسن متنزهـات مصر الى أن خرب ماحوله وفيه الى الآن بقية وهو عامر * ( محمد بن قلاون ) السلطان الملك الناصر أبو الفتح ناصر الدين ابن الملك المنصور كان يلقب بحرفوش وأمه أشلون ابنـة شنكاي ولد يوم السبت النصف من المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة بقلعة الجبل من ديار

مصر وولى الملك ثلاث مرات الاولى بعد مقتل أخيه الملك الاشرف خليل بن قلاون فى رابع عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة وعمره تسع سنين تنقص يوما واحدا فأقام فى الملك سنة الا ثلاثة أيام وخلع بمملوك أبيه كتبغا المنصورى يوم الاربعاء حادي عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة وأعيد الى المملكة ثانياً بعد قتل الملك المنصور لاجين يوم الاثنين سادس جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وستمائة فأقام عشر سنين وخمسة أشهر وستة عشر يوما وعزل نفسه وسار الى الكرك فولى الملك من بعده الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وتلقب بالملك المظفر في يوم السبت ثالث عشرى شوال سنة ثمان وسبعمائة ثم حضر من الكرك الى الشام وجمع العساكر فخامر على بيبرس معظم جيش مصر وانحل أمره فترك الملك فى يوم الثلاثاء سادس عشر شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة وطلع الملك الناصر الى قلعة الجبل يوم عيد الفطر من السنة المذكورة واستولى على ممالك مصر والشام والحجاز فأقام في الملك من غير منازع له فيه الى أن مات بقلعة الجبل فى ليلة الخميس الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة وعمره سبع وخمسون سنة وأحد عشر شهرا وخمسة أيام وله في ولايته الثالثة مدة اثنتين وثلاثين سنة وشهرين وعشرين يوما وجملة اقامته في الملك عن المدد الثلاث ثلاث وأربعون سنة وثمانية أشهر وتسعة أيام ولما مات ترك ليلته ومن الغد حتى تم الامر لابنه أبى بكر المنصور في يوم الخميس المذكور ثم أخذ فى جهازه فوضع في محفة بعد العشاء الآخرة بساعة وحمل على بغلين وأنزل من القلعة الى الاصطبل السلطاني وسار به الامير ركن الدين بيبرس الاحمدى أمير جاندار والامير نجم الدين أيوب والى القاهرة والامير قطلوبغا الذهبى وعلم دار خوطا جار الدوادار وعبروا به الى القاهرة من باب النصر وقد غلقت الحوانيت كلها ومنع الناس من الوقوف للنظر اليه وقدام المحفة شمعة واحدة في يد علمدار فلما دخلوا به من باب النصر كان قدامه مسرجة فى يد شاب وشمعة واحدة وعبروا به المدرسة المنصورية بين القصرين ليدفن عند أبيه الملك المنصور قلاون وكان الامير علم الدين سنجر الجاولى ناظر المارستان قد جلس ومعه القضاة الاربعة وشيخ الشيوخ ركن الدين شيخ خانقاه سرياقوس والشيخ ركن الدين عمر ابن الشيخ ابراهيم الجعبرى فحطت المحفة وأخرج منها فوضع بجانب الفسقية التي بالقبة وأمر ابن أبى الظاهر مغسل الاموات بتغسيله فقال هذا ملك ولا أنفرد بتغسيله الا أن يقوم أحد منكم ويجرده على الدكة فاني أخشى أن يقال كان معه فص أو خاتم أو في عنقه خرزة فقام قطلوبغا الذهبي وعلمدار وجرداه مع الغاسل من ثيابه فكان على رأسه قبع أبيض من قطن ثيابه وعلى بدنه بغلطاق صدر أبيض وسراويل فنزعا وترك القميص عليه وغسل به ووجد في رجله الموجوعة بخشان مفتوحان فغسل من فوق القميص وكفن في نصفية وعملت له أخرى طراحة ومخدة ووضع

في تابوت من خشب وصلي عليه قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن محمد بن جماعة الشافعي
بمن حضر وأنزل الى قبر ابيه في سحلية من خشب قد ربطت بحبل ونزل معه الى القبر الغاسل
والامير سنجر الجاولي ودفع الى الغاسل ثلثمائة درهم فباع ما نابه من الثياب بثلاثة عشر درهما سوى
القبع فانه فقد وذكر الغاسل انه كان محنكا بخرقة معقـدة بثلاث عقد فسبحان من لايحول
ولا يزول هذا ملك اعظم المعمور من الارض مات غريبا وغسل طريحا ودفن وحيدا ان في
ذلك لعبرة لاولى الالباب * ( وفي ليلة السبت ) قرأ القراء عند القبر بالقبة القرآن وحضر
بعض الامراء وترك من الاولاد اثني عشر ولدا ذكرا وهم أحمد وهو أسنهم وكان بالكرك
وأبو بكر وتسلطن من بعده وشقيقه رمضـان ويوسف واسماعيل وتسلطن أيضا وشعبـان
وتسلطن وحسين وكجك وتسلطن وأمير حاج وحسن ويدعي قمارى وتسلطن وصالح وتسلطن
ومحمد وترك من البنات ثمانيـا متزوجات سوى من خلف من الصغار وخلف من الزوجات
جاريته طغاى وابنة الامير تنكز نائب الشام ومات وليس له نائب بديار مصر ولا وزير ولا
حاجب متصرف سوى أن برسيغا الحاجب تحكم في متعلقات أمور الاقطاعات وليس معـه
عصا الحجوبية وبدر الدين بكتاش نقيب الجيوش وأقبغا عبد الواحد أستادار السلطـان
ومقدم المماليك وبيبرس الاحمدى أمير جاندار ونجم الدين أيوب والى القاهرة وجمال الدين
جمال الـكفاه ناظر الجيوش والموفق ناظر الدولة وصارم الدين أزبك شاد الدواوين وعز
الدين عبد العزيز بن جماعة قاضي القضاة بديار مصر ونائب دمشق الامير ألطنبغا ونائب (٣)
الامير طشتمر حمص أخضر ونائب طرابلس الحاج أرقطاى ونائب صفد الامير أصلم ونائب
غزة الامـير آق سنقر السـلاري وصاحب حماه الملك الافضل ناصر الدين محمد بن المؤيد
اسماعيل والامراء مقدمو الالوف بديار مصر يوم وفاته خمسة وعشرون أميرا وهم بدر الدين
جنكلى ابن البابا والحاج آل ملك وبيبرس الاحمدي وعلم الدين سنجر الجاولى وسيف الدين
كوكاى ونجم الدين محمود وزير بغداد هؤلاء برانية كبار والباقي ممـاليكه وخواصه وهم
ولده الامير أبو بكر والامير قوصون والامير بشتاك وطقزدمر وأقبغا عبد الواحد الاستادار
وايدغمش أميراخور وقطلوبغا الفخري ويلبغا اليحياوى وملـكتمر الحجازي وألطنبغـا
المارداني وبهادر الناصرى واق سنقر الناصرى وقاري الـكبير وقمارى أمير شكار وطرغاى
وأرتبغا أمير جاندار وبرسيغا الحاجب وبلدغي ابن العجوز أمير سلاح وبيغرا * وكـان
السلطان أبيض اللون قد وخطه الشيب وفي عينيه حول وبرجله اليمني ريح شوكة تنغص عليه
أحيانا وتؤلمه وكان لايكاد يمس بهـا الارض ولا يمشى الا متكئا على أحد أو متوكئا على
شئ ولا يصل الى الارض الا أطراف أصابعه وكان شديد البأس جيد الرأى يتولى الامور
بنفسه ويجود لخواصه وكان مهابا عند أهل مملكته بحيث ان الامراء اذا كانوا عنده بالخدمة

لايجسر أحد أن يكلم آخر كلمة واحدة ولا يلتفت بعضهم الى بعض خوفا منه ولا يمكن واحدا منهم أن يذهب الى بيت أحد البتة لافي وليمة ولا غيرها فان فعل أحد منهم شيئا من ذلك قبض عليه وأخرجه من يومه منفيا وكان مسددا عارفا بأمور رعيته وأحوال مملكته وأبطل نيابة السلطنة من ديار مصر من سنة سبع وعشرين وسبعمائة وأبطل الوزارة وصار يحدث بنفسه في الجليل من الامور والحقير ويستجلب خاطر كل أحد من صغير وكبير لاسيما حواشيه فلذلك عظمت حاشية المملكة وأتباع السلطنة وتخولوا في النعم الجزيلة حتى الخولة والكلابزية والاسرى من الارمن والفرنج وأعطى البازدارية الاخباز فى الحلقة فمنهم من كان اقطاعه الالف دينار فى السنة وزوج عدة منهم بجواريه وأفنى خلقا كثيرا من الامراء بلغ عددهم نحو المائتى أمير وكان اذا كبر أحد من أمرائه قبض عليه وسلبه نعمته وأقام بدله صغيرا من مماليكه الى أن يكبر فيمسكه ويقيم غيره ليأمن بذلك شرهم وكان كثير التخيل حازما حتى انه اذا تخيل من ابنه قتله وفى آخر أيامه شره فى جمع المال فصادر كثيرا من الدواوين والولاة وغيرهم ورمى البضائع على التجار حتى خاف كل من له مال وكان مخادعا كثير الحيل لايقف عند قول ولا يوف بعهد ولا يبر في يمين وكان محبا للعمارة عمر عدة أماكن منها جامع قلعة الجبل وهدمه مرتين وعمر القصر الابلق بالقلعة ومعظم الاماكن التى بالقلعة وعمر المجرى الذى ينقل الماء عليه من بحر النيل الى القلعة على السور وعمر الميدان تحت القلعة ومناظر الميدان على النيل وعمر قناطر السباع على الخليج ومناظر سرياقوس والخانقاه بسرياقوس وحفر الخليج الناصرى بظاهر القاهرة وعمر الجامع الجديد على شاطئ النيل بظاهر مصر وجدد جامع الفيلة الذى بالرصد والمدرسة الناصرية بين القصرين من القاهرة وغير ذلك مما يرد فى موضعه من هذا الكتاب وما زال يعمر منذ عاد الى ولاية الملك في المرة الثالثة الى أن مات وبلغ مصروف العمارة في كل يوم من أيامه سبعة آلاف درهم فضة عنها ثلثمائة وخمسون دينارا سوى من يسخره من المقيدين وغيرهم في عمل مايعمره وحفر عدة من الخلجانات والترع وأقام الجسور بالبلاد حتي انه كان ينصرف من الاخباز علي ذلك ربع متحصل الاقطاعات وحفر خليج الاسكندرية وبحر المحلة مرتين وبحر اللبيني بالجيزة وعمل جسر شيبين وعمل جسر اجباس بالشرقية والقليوبية مدة ثلاث سنين متوالية فلم ينجع فأنشأه بنيانا بالطوب والجير وأنفق فيه أموالا عظيمة وراك ديار مصر وبلاد الشام وعرض الجيش بعد حضوره في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وقطع ثمانمائة من الجند ثم قطع في مرة أخرى ثلاثة وأربعين جنديا في سنة احدى وأربعين وسبعمائة ثم قطع خمسة وستين أيضاً في رمضان سنة احدى وأربعين وسبعمائة قبل وفاته بشهرين وفتح من البلاد جزيرة أرواد في سنة اثنتين وسبعمائة وفتح ملطية

فى سنة خمس عشرة وسبعمائة وفتح أناس في ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وخربها ثم عمرها الارمن فأرسل اليها جيشا فأخذها ومعها عـدة بلاد من بلاد الارمن في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وأقام بها نائبا من أمراء حلب وعمر قلعة جعبر بعد أن دثرت وضربت السكة باسمه فى شوال سنة احدى وأربعين وسبعمائة قبل موته تولى ذلك الشيخ حسن بن حسين بحضور الامير شهاب الدين أحمد قريب السلطان وقد توجـه من مصر بهذا السبب وخطب له أيضاً فى أرتنا ببلاد الروم وضربت السكة باسمه وكذلك بلاد ابن قرمان وجبـال الاكراد وكثير من بلاد الشرق وكان من الذكاء المفرط على جانب عظيم يعرف مماليك أبيه ومماليك الامراء بأسمائهم ووقائعهم وله معرفة تامـة بالخيل وقيمها مع الحشمة والسيادة لم يعرف عنه قطانه شتم أحدا من خلق الله ولا سفه عليه ولا كلمه بكلمة سيئة وكان يدعو الامراء أرباب الاشغال بألقابهم وكانت همته علية وسياسته جيدة وحرمته عظيمة الى الغاية ومعرفته بمهادنة الملوك لا مرمي وراءها يبذل فى ذلك من الاموال مالا يوصف كثرة فكان كتابه ينفـذ أمره فى سائر أقطار الارض كلها وهو مع ماذكرنا مؤيد فى كل أموره مظفر في جميع أحواله مسعود في سائر حركاته ماعانده أحد أو أضمر له سوأ الا وندم على ذلك أو هلك واشتهر فى حياته بديار مصر انه ان وقعت قطرة من دمه على الارض لايطلع نيل مصر مدة سبع سنين فمتعه الله من الدنيا بالسعادة العظيمة في المدة الطويلة مع كثرة الطمأنينة والامن وسعة الاموال واقتنى كل حسن ومستحسن من الخيل والغلمان والجوارى وساعده الوقت فى كل مايحب ويختار الى أن أتاه الموت

*( الجامع بالمشهد النفيسى )*

قال ابن المتوج هـذا الجامع أمر بانشائه الملك الناصر محمد بن قلاون فعمر فى شهور سنة أربع عشرة وسبعمائة وولى خطابتـه علاء الدين بن نصر الله بن الجوهرى شاهد الخزانة السلطانية وأول خطبتـه فيه يوم الجمعة ثامن صفر من السـنة المذكورة وحضر أمير المؤمنين المستكفى بالله أبو الربيع سليمان وولده وابن عمه والامير كهرداش متولى شد العمائر السلطانية وعمارة هذا الجامع ورواقاته والفسقية المستجدة وقيل ان جميع المصروف على هذا الجامع من حاصل المشهد النفيسى وما يدخل اليه من النذور ومن الفتوح

*( جامع الامير حسين )*

هذا الجامع كان موضعه بستانا بجوار غيط العدة أنشأه الامير حسين بن أبي بكر بن اسماعيل بن حيدر بك مشرف الرومى قدم مع أبيـه من بلاد الروم الى ديار مصر في سنة خمس وسبعين وستمائة وتخصص بالامير حسام الدين لاجين المنصوري قبل سلطنتـه فكانت له منه مكانة مكينة وصار أمير شكار وكان فيه بر وله صدقة وعنده تفقد لاصحابه

وأنشأ أيضاً القنطرة المعروفة بقنطرة الامير حسين على خليج القاهرة وفتح الخوخة فى سور القاهرة بجوار الوزيرية وجرى عليه من أجل فتحها ماقدذكر عند ذكرها فى الخوخ من هذا الكتاب وتوفي في سابع المحرم سنة تسع وعشرين وسبعمائة ودفن بهذا الجامع

*( جامع الماس )*

هذا الجامع بالشارع خارج باب زويلة بناه الامير سيف الدين الماس الحاجب وكمل فى سنة ثلاثين وسبعمائة وكان الماس أحد مماليك الناصر محمد بن قلاون فرقاه الى أن صار من أكبر الامراء ولما أخرج الامير أرغون الى نيابة حلب وبقى منصب النيابة شاغرا عظمت منزلة الماس وصار فى منزلة النيابة الا انه لم يسم بالنائب ويركب الامراء الاكابر والاصاغر في خدمته ويجلس في باب القلة من قلعة الجبل فى منزلة النائب والحجاب وقوف بين يديه ومابرح على ذلك حتى توجه السلطان الى الحجاز في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة فتركه في القلعة هو والامير جمال الدين أقوش نائب الكرك والامير أقبغا عبد الواحد والامير طشتمر حمص أخضر هؤلاء الاربعة لاغير وبقية الامراء اما معه في الحجاز واما في اقطاعاتهم وأمرهم أن لايدخلوا القاهرة حتى يحضر من الحجاز فلما قدم من الحجاز نقم عليه وأمسكه في صفر سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وكان لغضب السلطان عليه أسباب منها انه لما اقام في غيبة السلطان بالقلعة كان يراسل الامير جمال الدين أقوش نائب الكرك ويوادده وبدت منه في مدة الغيبة أمور فاحشة من معاشرة الشباب ومن كلام فى حق السلطان فوشى به أقبغا وكان مع ذلك قد كثر ماله وزادت سعادته فهوى شابا من ابناء الحسينية يعرف بعمير وكان ينزل اليه ويجمع الاويراتية ويحضر الشباب ويشرب فحرك ذلك عليه ماكان ساكنا ويقال ان السلطان لما مات الامير بكتمر الساقى وجدفى تركته جزدان فيه جواب الماس الى بكتمر الساقى انني حافظ القلعة الى أن يرد على منك مااعتمده فلما وقف السلطان على ذلك أمر النشو بن هلال الدولة وشاهد الخزانة بايقاع الحوطة على موجده فوجدا له ستمائة ألف درهم فضة ومائة ألف درهم فلوسا وأربعة آلاف دينار ذهبا وثلاثين حياصة ذهبا كاملة بكفتياتها وخلعها وجواهر وتحفا وأقام الماس أقبغا عبد الواحد ثلاثة أيام وقتل خنقا بمحبسه فى الثانى عشر من صفر سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وحمل من القلعة الى جامعه فدفن به وأخذ جميع ماكان فى داره من الرخام فقلع منها وكان رخاما فاخرا الى الغاية وكان اسمر طوالا غتميا لايفهم شيئاً بالعربى سادجا يجلس في بيته فوق لباد على مااعتاده وبهذا الجامع رخام كثير نقله من جزائر البحر وبلاد الشام والروم

*( جامع قوصون )*

هذا الجامع بالشارع خارج باب زويلة ابتدأ عمارته الامير قوصون في سنة ثلاثين

وسبعمائة وكان موضعه دارا بجوار حارة المصامدة من جانبها الغربي تعرف بدار أقوش نميله ثم عرفت بدار الامير جمال الدين قتال السبع الموصلى فأخذها من ولده وهدمها وتولي بناءه شاد العمائر واستعمل فيه الاسرى وكان قد حضر من بلاد توريز بناء فبنى مئذنتى هذا الجامع على مثال المئذنة التى عملها خواجا على شاه وزير السلطان أبى سعيد في جانبه بمدينة توريز وأول خطبة أقيمت فيه يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ثلاثين وسبعمائة وخطب يومئذ قاضى القضاة جلال الدين القزويني بحضور السلطان ولما انقضت صلاة الجمعة أركبه الملك الناصر بغلة بخلعة سنية ثم منعه السلطان الملك الناصر أن يستقر فى خطابته فولى فخر الدين شكر * (قوصون) الامير الكبير سيف الدين حضر من بلاد بركة الى مصر صحبة خوند ابنة أزبك امرأة الملك الناصر محمد بن قلاون في ثالث عشرى ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة ومعه قليل عصى وطسما ونحو ذلك مما قيمته خمسمائة درهم ليتجر فيه فطاف بذلك في أسواق القاهرة وتحت القلعة وفي داخل قلعة الجبل فاتفق فى بعض الايام انه دخل الى الاصطبل السلطاني ليبيع مامعه فأحبه بعض الاوشاقية وكان صبيا جميلا طويلا له من العمر مايقارب الثمانى عشرة سنة فصار يتردد الى الاوشاقى الى أن رآه السلطان فوقع منه بموقع فسأل عنه فعرف بأنه يحضر ليبيع مامعه وان بعض الاوشاقية تولع به فأمر باحضاره اليه وابتاع منه نفسه ليصير من جملة المماليك السلطانية فنزله من جملة السقاة وشغف به وأحبه حبا كثيرا فأسلمه للامير بكتمر الساقى وجعله أمير عشرة ثم اعطاه امرة طبلخاناه ثم جعله أمير مائة مقدم ألف ورقاه حتي بلغه أعلى المراتب فأرسل الى البلاد وأحضر اخوته سوسون وغيره من أقاربه وامر الجميع واختص به السلطان بحيث لم ينل أحد عنده مانا له وزوجه بابنته وتزوج السلطان أخته فلما احتضر السلطان جعله وصيا على أولاده وعهد لابنه أبي بكر فأقيم في الملك من بعده وأخذ قوصون في أسباب السلطنة وخلع أبا بكر المنصور بعد شهرين وأخرجه الى مدينة قوص ببلاد الصعيد ثم قتله وأقام كجك ابن السلطان وله من العمر خمس سنين ولقبه بالملك الاشرف وتقلد نيابة السلطنة بديار مصر فأمر من حاشيته وأقاربه ستين أميرا واكثر من العطاء وبذل الاموال والانعام فصار أمر الدولة كله بيده هذا وأحمد ابن السلطان الملك الناصر مقيم بمدينة الكرك فخافه قوصون وأخذ في التدبير عليه فلم يتم له ماأراد من ذلك وحرك على نفسه ما كان ساكنا فطلب أحمد الملك لنفسه وكاتب الامراء والنواب بالمملكة الشامية والمصرية فأذعنوا اليه وكان بمصر من الامراء الامير أيدغمش والامير آل ملك وقمارى والماردانى وغيرهم فتخيل قوصون منهم وأخذ في أسباب القبض عليهم فعلموا بذلك وخافوا الفوت فركبوا لحربه وحصروه بقلعة الجبل حتى قبضوا عليه في ليلة الاربعاء آخر شهر رجب سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ونهبت داره وسائر دور

حواشيه وأسبابه وحمل الى الاسكندرية صحبة الامير قبلاى فقتل بها وكان كريما يفرق في كل سنة للاضحية ألف رأس غنما وثلثمائة بقرة ويفرق ثلاثين حياصة ذهبا ويفرق كل سنة عدة أملاك فيها مايبلغ ثمنه ثلاثين ألف درهم وله من الآثار بديار مصر سوى هذا الجامع الخانقاه بباب القرافة والجامع تجاهها وداره التي بالرميلة تحت القلعة تجاه باب السلسلة وحكر قوصون

* ( جامع الماردانى ) *

هذا الجامع بجوار خط التبانة خارج باب زويلة كان مكانه أولا مقابر أهل القاهرة ثم عمر أماكن فلما كان في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة أخذت الاماكن من أربابها وتولى شراءها النشو فلم ينصف فى أثمانها وهدمت وبني مكانها هذا الجامع فبلغ مصروفه زيادة على ثلثمائة ألف درهم عنها نحو خمسة عشر ألف دينار سوى ماحمل اليه من الاخشاب والرخام وغيره من جهة السلطنة وأخذ ما كان في جامع راشدة من العمد فعملت فيه وجاء من أحسن الجوامع وأول خطبة أقيمت فيه يوم الجمعة رابع عشرى رمضان سنة أربعين وسبعمائة وخطب فيه الشيخ ركن الدين عمر بن ابراهيم الجعبرى ولم يتناول معلوما * ( ألطنبغا الماردانى الساقي ) أمره الملك الناصر محمد بن قلاون وقدمه وزوجه ابنته فلما مات السلطان وتولى بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر ذكر أنه وشي بأمره الى الامير قوصون وقال قد عزم على امساكك فتحيل قوصون وخلع أبا بكر وقتله بقوص هذا مع أن ألطنبغا كان قد عظم عند المنصور اكثر مما كان عند ابيه فلما أقيم الاشرف كجك وماج الناس وحضر الامير قطلوبغا من الشام وشغب الامراء على قوصون كان ألطنبغا أصل ذلك كله ثم نزل الى الامير ايدغمش أميرا خور واتفق معه على ان يقبض على قوصون وطلع الى قوصون وشاغله وخذله عن الحركة طول الليل والامراء الكبار المشايخ عنده وما زال يساهره حتى نام وكان من قيام الامراء وركوبهم عليه ما كان الى أن أمسك وأخرج الي الاسكندرية ولما قدم ألطنبغا نائب الشام وأقام تقدم الماردانى وقبض على سيفه ولم يجسر غيره على ذلك فقويت بهذه الحركات نفسه وصار يقف فوق التمرتاشى وهو اغاته فشق ذلك عليه وكتم في نفسه الى أن ملك الصالح اسماعيل فتمكن حينئذ التمرتاشى وصار الامر له وعمل على الماردانى فلم يشعر بنفسه الا وقد أخرج على خمسة أرؤس من خيل البريد الى نيابة حماه في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وأربعين فسار اليها وبقى فيها نحو شهرين الى أن مات أيدغمش نائب الشام ونقل طقزدمر من نيابة حلب الى نيابة دمشق فنقل الماردانى من نيابة حماه الى نيابة حلب وسار اليها فى أول رجب من السنة المذكورة وجاء الامير يلبغا اليحياوي الى نيابة حماه فأقام الماردانى يسيرا في حلب ومرض ومات مستهل صفر سنة أربع وأربعين وسبعمائة وكان شابا طويلا رقيقا حلو الصورة لطيفا معشق الخطرة كريما صائب الحدس عاقلا

الى دمشق لما توجه الطنبغا الى حلب ليطرد طشتمر نائب حلب فاجتمع به وقوى عزمه وقال له توجه أنت الى دمشق واملكها وأنا أحفظ لك غزة وقام فى هذه الواقعة قياما عظيما وأمسك الدروب فلم يحضر أحد من الشام أو مصر من البريد وغيره الا وقبض عليه وحمل الى الكرك وحلف الناس للناصر أحمد وقام بأمره ظاهرا وباطنا ثم جاء الى الفخرى وهو على خان لاجين وقوى عزمه وعضده وما زال عنده بدمشق الى أن جاء الطنبغا من حلب والتقوا وهرب الطنبغا فاتبعه اق سنقر الى غزة وأقام بها ووصلت العساكر الشامية الى مصر فلما أمسك الناصر أحمد طشتمر النائب وتوجه به الى الكرك أعطى نيابة ديار مصر لاق سنقر فباشر النيابة وأحمد فى الكرك الى أن ملك الملك الصالح اسماعيل بن محمد فأقره على النيابة وسار فيها سيرة مشكورة فكان لايمنع أحداشيئا طلبه كائنا من كان ولايرد سائلا يسأل ولو كان ذلك غير ممكن فارتزق الناس في أيامه واتسعت أحوالهم وتقدم من كان متأخرا حتي كان الناس يطلبون مالا حاجة لهم به ثم ان الصالح أمسكه هو وبيغرا أمير جاندار وأولاجا الحاجب وقراجا الحاجب من أجل أنهم نسبوا الى الممالأة والمداجاة مع الناصر أحمد وذلك يوم الخميس رابع المحرم سنة أربع وأربعين وسبعمائة وكان ذلك آخر العهد به واستقر بعده في النيابة الحاج آل ملك ثم أفرج عن بيغرا وأولاجا وقراجا في شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة

* ( جامع آل ملك ) *

هذا الجامع في الحسينية خارج باب النصر أنشأه الامير سيف الدين الحاج آل ملك وكمل وأقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة تاسع جمادي الاولى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وهو من الجوامع المليحة وكانت خطته عامرة بالمساكن وقد خربت * ( آل ملك ) الامير سيف الدين أصله مما أخذ فى أيام الملك الظاهر من كسب الابلستين لما دخل الى بلاد الروم في سنة ست وسبعين وستمائة وصار الى الامير سيف الدين قلاون وهو أمير قبل سلطنته فأعطاه لابنه الامير على وما زال يترقي في الخدم الى أن صار من كبار الامراء المشايخ رؤس المشورة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاون وكان لما خلع الناصر وتسلطن بيبرس يتردد بينهما من مصر الى الكرك فأعجب الناصر عقله وتأنيه وسير من الكرك يقول للمظفر لايعود يجئ الى رسولا غير هذا فلما قدم الناصر الى مصر عظمه ولم يزل كبيرا موقرا مبجلا فلما ولى الناصر أحمد السلطنة أخرجه الى نيابة حماه فأقام بها الى أن تولى الصالح اسماعيل فأقدمه الى مصر وأقام بها على حاله الى أن أمسك الامير اق سنقر السلاري نائب السلطنة بديار مصر فولاه النيابة مكانه فشدد فى الخمر الى الغاية وحد شاربها وهدم خزانة البنود وأراق خمورها وبني بها مسجدا وحكرها للناس فسكنت الى اليوم كما تقدم ذكره وأمسك الزمام

زمانا وكان يجلس للحكم فى الشباك بدار النيابة من قلعة الجبل طول نهاره لايمل ذلك ولا يسأم وتروح أرباب الوظائف ولا يبقي عنده الا النقباء البطالة وكان له فى قلوب الناس مهابة وحرمة الى أن تولى الكامل شعبان فأخرجه أول سلطنته الى دمشق نائبا بها عوضا عن الامير طقزدمر فلما كان فى أول الطريق حضر اليه من أخذه وتوجه به الى صفد نائبا بها فدخلها آخر ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وسبعمائة ثم سأل الحضور الي مصر فرسم له بذلك فلما توجه ووصل الى غزة أمسكه نائبها ووجهه الى الاسكندرية في سنة سبع وأربعين فخنق بها وكان خيرا فيه دين وعبادة يميل الى أهل الخير والصلاح وتعتقد بركته وخرج له أحمد بن أيبك الدمياطي مشيخة وحدث بها وقرئت عليه مرات وهو جالس فى شباك النيابة بقلعة الجبل وعمر هذا الجامع ودارا مليحة عند المشهد الحسيني من القاهرة ومدرسة بالقرب منها وكان بركة من أحسن مايكون وخيله مشهورة موصوفة وكان يقول كل أمير لايقوم رمحه ويسكب الذهب الى أن يساوى السنان ماهو أمير رحمة الله عليه

* ( جامع الفخر ) *

في ثلاثة مواضع فى بولاق خارج القاهرة وفى الروضة تجاه مدينة مصر وفي جزيرة الفيل على النيل مابين بولاق ومنية السيرج * أما جامع الفخر بناحية بولاق فانه موجود تقام فيه الجمعة الى اليوم وكان أولا عند ابتداء بنائه يعرف موضعه بخط خص الكيالة وهو مكان كان يؤخذ فيه مكس الغلال المبتاعة وقد ذكر ذلك عند ذكر أقسام مال مصر من هذا الكتاب * وجامع الروضة باق تقام فيه الجمعة * وأما الجامع بجزيرة الفيل فانه كان باقياً الى نحو سنة تسعين وسبعمائة وصليت فيه الجمعة غير مرة ثم خرب وموضعه باق بجوار دار تشرف على النيل تعرف بدار الامير شهاب الدين أحمد بن عمر بن قطينة قريباً من الدار الحجازية ( والفخر ) هذا هو محمد بن فضل الله القاضي فخر الدين ناظر الجيش المعروف بالفخر كان فى نصرانيته متألهاً ثم أكره على الاسلام فامتنع وهم بقتل نفسه وتغيب أياما ثم أسلم وحسن اسلامه وأبعد النصارى ولم يقرب أحداً منهم وحج غير مرة وتصدق في آخر عمره مدة فى كل شهر بثلاثة آلاف درهم نقرة وبنى عدة مساجد بديار مصر وأنشأ عدة أحواض ماء للسبيل في الطرقات وبني مارستانا بمدينة الرملة ومارستانا بمدينة بلبيس وفعل أنواعا من الخير وكان حنفى المذهب وزار القدس عدة مرار وأحرم مرة من القدس بالحج وسار الى مكة محرما وكان اذا خدمه أحد مرة واحدة صار صاحبه طول عمره وكان كثير الاحسان لايزال فى قضاء حوائج الناس مع عصبية شديدة لاصحابه وانتفع به خلق كثير لوجاهته عند السلطان واقدامه عليه بحيث لم يكن لاحد من أمراء الدولة عند الملك الناصر محمد بن قلاون ماله من الاقدام ولقد قال السلطان مرة للجندى

طلب منه اقطاعا لاتطول والله لو أنك ابن قلاون ماأعطاك القاضي فخر الدين حيزا يغل أكثر من ثلاثة آلاف درهم وقال له السلطان في يوم من الايام وهو بدار العدل يافخر الدين تلك القضية طلعت فاشوش فقال له ماقلت لك انها عجوز نحس يريد بذلك بنت كوكاى امرأة السلطان عند ما ادعت انها حبلى وله من الاخبار كثير وكان أولا كاتب المماليك السلطانية ثم صار من كتابة المماليك الى وظيفة نظر الجيش ونال من الوجاهة مالم ينله غيره في زمانه وكان الامير أرغون نائب السلطنة بديار مصر يكرهه واذا جلس للحكم يعرض عنه ويدير كتفه الى وجه الفخر فعمل عليه الفخر حتي سار للحج فقال للسلطان ياخوند مايقتل الملوك الا النواب بيدراقتل أخاك الملك الاشرف ولاجين قتل بسبب نائبه منكوتمر وخيل للسلطان الى أن أمر بمسير الامير أرغون من طريق الحجاز الى نيابة حلب وحسن للسلطان أن لايستوزرأحدا بعد الامير الجمالى فلم يول أحدا بعده الوزارةوصارت المملكة كلها من أحوال الجيوش وأمور الاموال وغيرها متعلقة بالفخر الى أن غضب عليه السلطان ونكبه وصادره على أربعمائة ألف درهم نقرة وولى وظيفة نظر الشيخ قطب الدين موسى ابن شيخ السلامية ثم رضى عن الفخر وأمر باعادة ماأخذ منه من المال اليه وهو أربعمائة ألف درهم نقرة فامتنع وقال أنا خرجت عنها للسلطان فلبين بها جامعا وبنى بها الجامع الناصري المعروف الآن بالجامع الجديد خارج مدينة مصر بموردة الحلفاء وزار مرة القدس وعبر كنيسة قمامة فسمع وهو يقول عند مارأى الضوء بها ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وباشر آخر عمره بغير معلوم وكان لايأخذ من ديوان السلطان معلوما سوى كماجة ويقول اتبرك بها ولما مات في رابع عشر رجب سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وله من العمر ماينيف على سبعين سنة وترك موجودا عظيما الى الغاية قال السلطان امنه الله خمس عشرة سنة مايدعنى أعمل ما أريد وأوصى للسلطان بمبلغ أربعمائة ألف درهم نقرة فأخذ من تركته أكثر من ألف ألف درهم نقرة ومن حين مات الفخر كثر تسلط السلطان الملك الناصر وأخذه أموال الناس والى الفخر تنسب قنطرة الفخر التي على فم الخليج الناصرى المجاور لميدان السلطان بموردة الجبس وقنطرة الفخر التي على الخليج المجاور للخليج الناصرى وأدركت ولده فقيرا يتكفف الناس بعد مال لا يحد كثرة

*( جامع نائب الكرك )*

هذا الجامع بظاهر الحسينية مما يلي الخليج كان عامرا وعمر ماحوله عمارة كبيرة ثم خرب بخراب ماحوله من عهد الحوادث في سنة ست وثمانمائة عمره الامير جمال الدين أقوش المعروف بنائب الكرك وقد تقدم ذكره عند ذكر الدور من هذا الكتاب

*( جامع الخطيري ببولاق )*

هذا الجامع موضعه الآن بناحية بولاق خارج القاهرة كان موضعه قديما مغمورا بماء النيل الى نحو سنة سبعمائة فلما انحسر ماء النيل عن ساحل المقس صارما قدام المقس رمالا لايعلوها ماء النيل الا أيام الزيادة ثم صارت بحيث لايعلوها الماء البتة فزرع موضع هذا الجامع بعد سنة سبعمائة وصار منتزها يجتمع عنده الناس ثم بنى هناك شرف الدين بن زنبور ساقية وعمر بجوارها رجل يعرف بالحاج محمد بن عز الفراش دارا تشرف على النيل وتردد اليها فلما مات أخذها شخص يقال له تاج الدين بن الازرق ناظر الجهات وسكنها فعرفت بدار الفاسقين لكثرة مايجرى فيها من أنواع المحرمات فاتفق أن النشوناظر الخاص قبض على ابن الازرق وصادره فباع هذه الدار في جملة ماباعه من موجوده فاشتراها منه الامير عز الدين أيدمر الخطيرى وهدمها وبنى مكانها هذا الجامع وسماه جامع التوبة وبالغ في عمارته وتأنق في رخامه فجاء من أجل جوامع مصر وأحسنها وعمل له منبرا من رخام فى غاية الحسن وركب فيه عدة شبابيك من حديد تشرف على النيل الاعظم وجعل فيه خزانة كتب جليلة نفيسة ورتب فيه درسا للفقهاء الشافعية ووقف عليه عدة أوقاف منها داره العظيمة التي هى في الدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس وكان جملة ماأنفق في هذا الجامع أربعمائة ألف درهم نقرة وكملت عمارته في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وأقيمت به الجمعة فى يوم الجمعة عشرى جمادى الآخرة فلما خلص ابن الازرق من المصادرة حضر الى الامير الخطيري وادعى انه باع داره وهو مكره فدفع اليه ثمنها مرة ثانية ثم ان البحر قوى على هذا الجامع وهدمه فأعاد بناءه بجملة كثيرة من المال ورمى قدام زريبته ألف مركب مملوءة بالحجارة ثم انهدم بعد موته وأعيدت زريبته * (أيدمر الخطيرى) الامير عز الدين مملوك شرف الدين أوحد بن الخطيرى الامير مسعود بن خطير انتقل الى الملك الناصر محمد بن قلاون فرقاه حتى صار أحد أمراء الالوف بعد ماحبسه بعد مجيئه من الكرك الى مصر مدة ثم أطلقه وعظم مقداره الى أن بقى يجلس رأس الميسرة ومعه امرة مائة وعشرين فارسا وكان لايمكنه السلطان من المبيت في داره بالقاهرة فينزل اليها بكرة ويطلع الى القلعة بعد العصر كذا أبدا فكانوا يرون ذلك تعظيما له وكان منور الشيبة كريما يحب التزوج الكثير والفخر بحيث انه لما زوج السلطان ابنته بالامير قوصون ضرب دينارين وزنهما أربعمائة مثقال ذهبا وعشرة آلاف درهم فضة برسم نقوط امرأته فى العرس اذا طلعت الى زفاف ابنة السلطان على قوصون وقيل له مرة هذا السكر الذى يعمل فى الطعام مايضر أن يعمل غير مكرر فقال لايعمل الا مكررا فانه يبقى في نفسى انه غير مكرر وكان لايلبس قباء مطرزا ولا مصقولا ولا يدع أحدا عنده يلبس ذلك وكان يخرج الزكاة وانشأ بجانب هذا

الجامع ربعا كبيرا تنافس الناس فى سكناه ولم يزل على حاله حتى مات يوم الثلاثاء مستهل شهر رجب سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ودفن بتربته خارج باب النصر ولم يزل هذا الجامع مجمعا يقصده سائر الناس للتنزه فيه على النيل ويرغب كل أحد فى السكنى بجواره وبلغت الاماكن التى بجواره من الاسواق والدور الغاية فى العمارة حتى صار ذلك الخط أعمر أخطاط مصر وأحسنها فلما كانت سنة ست وثمانمائة انحسر ماء النيل عما تجاه جامع الخطيري وصار رملة لايعلوها الماء الا فى أيام الزيادة وتكاثر الرمل تحت شبابيك الجامع وقربت من الارض بعد ماكان الماء تحته لايكاد يدرك قراره وهو الآن عامر الا ان الاجتماعات التي كانت فيه قبل انحسار النيل عما قبالته قلت واتضع حال مايجاوره من السوق والدور ولله عاقبة الامور

* (جامع قيدان) *

هذا الجامع خارج القاهرة على جانب الخليج الشرقى ظاهر باب الفتوح مما يلى قناطر الاوز تجاه ارض البعل كان مسجدا قديم البناء فجدده الطواشى بهاء الدين قراقوش الاسدى في محرم سنة سبع وتسعين وخمسمائة وجدد حوض السبيل الذى فيه ثم ان الامير مظفر الدين قيدان الرومي عمل به منبرا لاقامة الخطبة يوم الجمعة وكان عامرا بعمارة ماحوله فلما حدث الغلاء في سنة ست وسبعين وسبعمائة أيام الملك الاشرف شعبان بن حسين خرب كثير من تلك النواحي وبيعت أنقاضها وكانت الغرقة ايضا فصار مابين القنطرة الجديدة المجاورة لسوق جامع الظاهر وبين قناطر الاوز المقابلة لارض البعل يبابا لاعامر له ولا ساكن فيه وخرب ايضا ماوراء ذلك من شرقيه الى جامع نائب الكرك وتعطل هذا الجامع ولم يبق منه غير جدر آيلة الى العدم ثم جدده مقدم بعض المماليك السلطانية فى حدود الثلاثين والثمانمائة ثم وسع فيه الشيخ احمد بن محمد الانصارى العقاد الشهير بالازرارى ومات فى ثاني عشر ربيع الاول سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة

* (جامع الست حدق) *

هذا الجامع بخط المريس فى جانب الخليج الكبير مما يلى الغرب بالقرب من قنطرة السد التي خارج مدينة مصر أنشأته الست حدق دادة الملك الناصر محمد بن قلاون وأقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة لعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة والى حدق هذه ينسب حكر الست حدق الذى ذكر عند ذكر الاحكار من هذا الكتاب

* (جامع ابن غازى) *

هذا الجامع خارج باب البحر من القاهرة بطريق بولاق انشأه نجم الدين بن غازي دلال المماليك واقيمت فيه الخطبة فى يوم الجمعة ثانى عشر جمادى الاولى سنة احدى وأربعين

وسبعمائة والى اليوم تقام فيه الجمعة وبقية الايام لايزال مغلق الابواب لقلة السكان حوله

* ( جامع التركمانى ) *

هذا الجامع فى المقس وهو من الجوامع المليحة البناء انشأه الامير بدر الدين محمد التركماني وكان ماحوله عامرا عمارة زائدة ثم تلاشي من الوقت الذى كان فيه الغلاء زمن الملك الاشرف شعبان بن حسين. وما برح حاله يختل الى أن كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة فخرب معظم ماهنا لك وفيه الى اليوم بقايا عامرة لاسيما بجوار هذا الجامع * ( التركمانى ) محمد وينعت بالامير بدر الدين محمد ابن الامير فخر الدين عيسى التركمانى كان أولا شادا ثم ترقى في الخدم حتي ولى الجيزة وتقدم في الدولة الناصرية فولاه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون شادّ الدواوين والدولة حينئذ ليس فيها وزير فاستقل بتدبير الدولة مدة أعوام وكان يلي نظر الدولة تلك الايام كريم الدين الصغير فغص به ومازال يدبر عليه حتى اخرجه السلطان من ديار مصر وعمله شاد الدواوين بطرابلس فأقام هناك مدة سنتين ثم عاد الى القاهرة بشفاعة تنكز نائب الشام وولى كشف الوجه البحرى مدة ثم اعطي امرة طبلخاناه وأعطى لى امرة عشرة وولده ابراهيم أيضا امرة عشرة وكان مهابا صاحب حرمة باسطة وكلمة ومات عن سعادة طائلة بالمقس فى ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وهو أمير

* ( جامع شيخو ) *

هذا الجامع بسويقة منعم فيما بين الصليبة والرميلة تحت قلعة الجبل انشأه الامير الكبير سيف الدين شيخو الناصرى رأس نوبة الامراء في سنة ست وخمسين وسبعمائة ورفق بالناس في العمل فيه وأعطاهم أجورهم وجعل فيه خطبة وعشرين صوفيا وأقام الشيخ اكمل الدين محمد بن محمود الرومى الحنفى شيخهم ثم لما عمر الخانقاه تجاه الجامع نقل حضور الاكمل والصوفية اليها وزاد عدتهم وهذا الجامع من اجل جوامع ديار مصر * ( شيخو ) الامير الكبير سيف الدين أحد مماليك الناصر محمد بن قلاون حظي عند الملك المظفر حاجي بن محمد بن قلاون وزادت وجاهته حتي شفع في الامراء وأخرجهم من سجن الاسكندرية ثم انه استقر في أول دولة الملك الناصر حسن أحد أمراء المشورة وفى آخر الامر كانت القصص تقرأ عليه بحضرة السلطان في ايام الخدمة وصار زمام الدولة بيده فساسها أحسن سياسة بسكون وعدم شر وكان يمنع كل حزب من الوثوب على الآخر فعظم شأنه الى أن رسم السلطان بامساك الامير يلبغا روس نائب السلطنة بديار مصر وهو مسافر بالحجاز وكان شيخو قد خرج متصيدا الى ناحية طنان بالغربية فلما كان يوم السبت رابع عشرى شوال سنة احدى وخمسين وسبعمائة امسك السلطان الامير منجك الوزير وحلف الامراء لنفسه وكتب تقليد شيخو بنيابة طرابلس وجهزه اليه مع الامير سيف الدين طينال الجاشنكير فسار اليه وسفره

من بر افوصل الى دمشق ليلة الثلاثاء رابع ذي القعدة فظهر مرسوم السلطان باقامة شيخو في دمشق على اقطاع الامير بيلبك السالمي وتجهيز بيلبك الى القاهرة فخرج بيلبك من دمشق وأقام شيخو على اقطاعه بها فما وصل بيلبك الى القاهرة الا وقد وصل الى دمشق مرسوم بامساك شيخو وتجهيزه الى السلطان وتقييد مماليكه واعتقالهم بقلعة دمشق فأمسك وجهز مقيدا فلما وصل الى قطيا توجهوا به الى الاسكندرية فلم يزل معتقلا بها الى أن خلع السلطان الملك الناصر حسن وتولى أخوه الملك الصالح صالح فأفرج عن شيخو ومنجك الوزير وعدة من الامراء فوصلوا الى القاهرة في رابع شهر رجب سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة وانزل في الاشرفية بقلعة الجبل واستمر على عادته وخرج مع الملك الصالح الى الشام في واقعة يلبغا روس وتوجه الى حلب هو والامير طازوارغون الكاملي خلف يلبغا روس وعاد مع السلطان الى القاهرة وصمم حتي امسك يلبغا روس ومن معه من الامراء بعد ماوصلوا الى بلاد الروم وحزت رؤسهم وأمسك أيضا ابن دلغار واحضر الى القاهرة ووسط وعلق على باب زويلة ثم خرج بنفسه في طلب الاحدب الذى خرج بالصعيد وتجاوز في قوص وأمسك عدة كثيرة ووسطهم حتي سكنت الفتن بأرض مصر وذلك في آخر اربع وخمسين وأول سنة خمس وخمسين ثم خلع الملك الصالح وأقام بدله الملك الناصر ح في ثاني شوال واخرج الامير طاز من مصر الى حلب نائبا بها ومعه اخوته وصارت الامور كلها راجعة اليه وزادت عظمته وكثرت أمواله واملاكه ومستأجراته حتي كاد يكاثر أمواج البحر بما ملك وقيل له قارون عصره وعزيز مصره وأنشأ خلقا كثيرا فقوى بذلك حزبه وجعل في كل مملكة من جهته عدة امراء وصارت نوابه بالشام وفي كل مدينة امراء كبار وخدموه حتي قيل كان يدخل كل يوم ديوانه من اقطاعه واملاكه ومستأجراته بالشام وديار مصر مبلغ مائتي ألف درهم نقرة واكثر وهذا شئ لم يسمع بمثله في الدولة التركية وذلك سوى الانعامات السلطانية والتقادم التي ترد اليه من الشام ومصر وما كان يأخذ من البراطيل على ولاية الاعمال وجامعه هذا وخانقاهه التى بخط الصليبة لم يعمر مثلهما قبلهما ولا عمل في الدولة التركية مثل أوقافهما وحسن ترتيب المعاليم بهما ولم يزل على حاله الى أن كان يوم الخميس ثامن شعبان سنة ثمان وخمسين وسبعمائة فخرج عليه شخص من المماليك السلطانية المرتجعة عن الامير منجك الوزير يقال له باي فجاء وهو جالس بدار العدل وضربه بالسيف في وجهه وفي يده فارتجت القلعة كلها وكثر هرج الناس حتى مات من الناس جماعة من الزحمة وركب من الامراء الكبار عشرة وهم بالسلاح عليهم الى قبة النصر خارج القاهرة ثم أمسك باي فجاء وقرر فلم يعترف بشئ على أحد وقال أنا قدمت اليه قصة لينقلني من الجامكية الى الاقطاع فما قضى شغلي فأخذت في نفسي من ذلك فسجن مدة ثم سمر وطيف به الشوارع وبقي شيخو

عليلا من تلك الجراحة لم يركب الى أن مات ليلة الجمعة سادس عشرى ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ودفن بالخانقاه الشيخونية وقبره بها يقرأ عنده القرآن دائما

*( جامع الجاكي )*

هذا الجامع كان بدرب الجاكي عند سويقة الريش من الحكر في بر الخليج الغربى أصله مسجد من مساجد الحكر ثم زاد فيه الامير بدر الدين محمد بن ابراهيم المهمندار وجعله جامعا وأقام فيه منبرا في سنة ثلاث عشرة وسبعمائة فصار أهل الحكر يصلون فيه الجمعة الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة فخرب الحكر وبيعت أنقاض معظم الدور التي هناك وتعطل هذا الجامع من ذكر الله واقامة الصلاة لخراب ماحوله فحكم بعض قضاة الحنفية ببيع هذا الجامع فاشتراه شخص من الوعاظ يعرف بالشيخ أحمد الواعظ الزاهد صاحب جامع الزاهد بخط المقس وهدمه وأخذ أنقاضه فعملها في جامعه الذى بالمقس في أول سنة سبع عشرة وثمانمائة

*( جامع التوبة )*

هذا الجامع بجوار باب البرقية في خط بين السورين كان موضعه مساكن أهل الفساد وأصحاب الرأى فلما انشأ الامير الوزير علاء الدين مغلطاى الجمالى خانقاهه المعروفة بالجمالية قريبا من خزانة البنود بالقاهرة كره مجاورة هذه الاماكن لداره وخانقاهه فأخذها وهدمها وبني هذا الجامع في مكانها وسماه جامع التوبة فعرف بذلك الى اليوم وهو الآن تقام فيه الجمعة غير أنه لايزال طول الايام مغلق الابواب لخلوه من ساكن وقد خرب كثير مما يجاوره وهناك بقايا من أماكن

*( جامع صاروجا )*

هذا الجامع مطل على الخليج الناصرى بالقرب من بركة الحاجب التى تعرف ببركة الرطلى كان خطة تعرف بجامع العرب فأنشأ بها هذا الجامع ناصر الدين محمد أخو الامير صاروجا نقيب الجيش بعد سنة ثلاثين وسبعمائة وكانت تلك الخطة قد عمرت عمارة زائدة وأدركت منها بقية جيدة الى أن دثرت فصارت كيمانا وتقام الجمعة الى اليوم في هذا الجامع أيام النيل

*( جامع الطباخ )*

هذا الجامع خارج القاهرة بخط باب اللوق بجوار بركة الشقاف كان موضعه وموضع بركة الشقاف من جملة الزهري أنشأه الامير جمال الدين أقوش وجدده الحاج على الطباخ في المطبخ السلطانى أيام الملك الناصر محمد بن قلاون ولم يكن له وقف فقام بمصالحه من ماله مدة ثم انه صودر في سنة ست وأربعين وسبعمائة فتعطل مدة نزول الشدة بالطباخ ولم تقم

فيه تلك المدة الصلاة * (على بن الطباخ) نشأ بمصر وخدم الملك الناصر محمد بن قلاون وهو بمدينة الكرك فلما قدم الى مصر جمله خوان سلار وسلمه المطبخ السلطاني فكثر ماله لطول مدته وكثرة تمكنه ولم يتفق لاحد من نظرائه مااتفق له من السعادة الطائلة وذلك أن الافراح وما كان يصنع من المهمات والاعراس ونحوها مما كان يعمل في الدور السلطانية وعند الامراء والمماليك والحواشي مع كثرة ذلك في طول تلك الاعوام كانت كلها انما يتولى أمرها هو بمفرده فمما اتفق له في عمل مهم ابن بكتمر الساقي على ابنة الامير تنكز نائب الشام أن السلطان الملك الناصر استدعاه آخر النهار الذى عمل فيه المهم المذكور وقال له ياحاج على اعمل لي الساعة لوناً من طعام الفلاحين وهو خروف رميس يكون ملهوج فولى ووجهه معبس فصاح به السلطان ويلك مالك معبس الوجه فقال كيف ماعبس وقد حرمتني الساعة عشرين ألف درهم نقرة فقال كيف حرمتك قال قد تجمع عندى رؤس غنم وبقر وأكارع وكروش وأعضاد وسقط دجاج وأوز وغير ذلك مما سرقته من المهم وأريد أقعد وأبيعه وقد قلت لى اطبخ وبينما افرغ من الطبيخ تلف الجميع فتبسم السلطان وقال له رح اطبخ وضمان الذي ذكرت على وأمر باحضار والى القاهرة ومصر فلما حضر ألزمهما بطلب أرباب الزفر الى القلعة وتفرقة ماناب الطباخ من المهم عليهم واستخراج ثمنه فللحال حضر المذكورون وبيع عليهم ذلك فبلغ ثمنه ثلاثة وعشرين ألف درهم نقرة وهذا مهم واحد من ألوف مع الذى كان له من المعالم والجرايات ومنافع المطبخ ويقال انه كان يحصل له من المطبخ السلطاني في كل يوم على الدوام والاستمرار مبلغ خمسمائة درهم نقرة ولولده أحمد مبلغ ثلثمائة درهم نقرة فلما تحدث النشو في الدولة خرّج عليه تخاريج وأغرى به السلطان فلم يسمع فيه كلاما وما زال على حاله الى أن مات الملك الناصر وقام من بعده أولاده الملك المنصور أبو بكر والملك الاشرف كجك والملك الناصر أحمد والملك الصالح اسماعيل والملك الكامل شعبان فصادره في سنة ست وأربعين وسبعمائة وأخذ منه مالا كثيراً ومما وجد له خمس وعشرون دارا مشرفة على النيل وغيره فتفرقت حواشى الملك الكامل املاكه فأخذت أم السلطان ملكه الذى كان على البحر وكانت دارا عظيمة جدا وأخذت انقاض داره التي بالمحمودية من القاهرة وأقيم عوضه بالمطبخ السلطانى وضرب ابنه أحمد

## * (جامع الاسيوطى) *

هذا الجامع بطرف جزيرة الفيل مما يلي ناحية بولاق كان موضعه في القديم غامرا بماء النيل فلما انحسر عن جزيرة الفيل وعمرت ناحية بولاق أنشأ هذا الجامع القاضى شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عمر السيوطي ناظر بيت المال ومات في سنة تسع وأربعين وسبعمائة ثم جدد عمارته بعد ماتهدم وزاد فيه ناصر الدين محمد بن محمد بن عثمان بن محمد المعروف

بابن البارزى الحموى كاتب السر وأجرى فيه الماء وأقام فيه الخطبة يوم الجمعة سادس عشرى جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة فجاء في أحسن هندام وأبدع زي وصلى فيه السلطان الملك المؤيد شيخ الجمعة في أول جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة

*(جامع الملك الناصر حسن)*

هذا الجامع يعرف بمدرسة السلطان حسن وهو تجاه قلعة الجبل فيما بين القلعة وبركة الفيل وكان موضعه بيت الامير يلبغا اليحياوي الذى تقدم ذكره عند ذكر الدور وابتدأ السلطان عمارته في سنة سبع وخمسين وسبعمائة وأوسع دوره وعمله في أكبر قالب وأحسن هندام وأضخم شكل فلا يعرف في بلاد الاسلام معبد من معابد المسلمين يحكى هذا الجامع أقامت العمارة فيه مدة ثلاث سنين لاتبطل يوما واحدا وارصد لمصروفها في كل يوم عشرون ألف درهم عنها نحو ألف مثقال ذهباً * ولقد أخبرني الطواشي مقبل الشامى انه سمع السلطان حسنا يقول انصرف على القالب الذى بني عليه عقد الايوان الكبير مائة ألف درهم نقرة وهذا القالب مما رمى على الكيمان بعد فراغ العقد المذكور قال وسمعت السلطان يقول لولا أن يقال ملك مصر عجز عن اتمام بناء بناه لتركت بناء هذا الجامع من كثرة ماصرف عليه وفي هذا الجامع عجائب من البنيان منها أن ذرع ايوانه الكبير خمسة وستون ذراعا في مثلها ويقال انه أكبر من إيوان كسرى الذى بالمدائن من العراق بخمسة أذرع ومنها القبة العظيمة التي لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها ومنها المنبر الرخام الذى لانظير له ومنها البوابة العظيمة ومنها المدارس الاربع التى بدور قاعة الجامع الى غير ذلك وكان السلطان قد عزم على أن يبني أربع مناير يؤذن عليها فتمت ثلاث مناير الى أن كان يوم السبت سادس شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وسبعمائة فسقطت المنارة التي على الباب فهلك تحتها نحو ثلثمائة نفس من الايتام الذين كانوا قد رتبوا بمكتب السبيل الذى هناك ومن غير الايتام وسلم من الايتام ستة أطفال فأبطل السلطان بناء هذه المنارة وبناء نظيرتها وتأخر هناك منارتان هما قائمتان الى اليوم ولما سقطت المنارة المذكورة لهجت عامة مصر والقاهرة بأن ذلك منذر بزوال الدولة فقال الشيخ بهاء الدين أبو حامد أحمد بن على بن محمد السبكى في سقوطها

أبشر فسعدك ياسلطان مصر أتى * بشيره بمقال سار كالمثل
ان المنارة لم تسقط لمنقصة * لكن لسر خفى قد تبين لى
من تحتها قرئ القرآن فاستمعت * فالوجد في الحال أداها الى الميل
لو أنزل الله قرآنا على جبل * تصدعت رأسه من شدة الوجل
تلك الحجارة لم تنقض بل هبطت * من خشية الله لا للضعف والخلل

وغاب سلطانها فاستوحشت ورمت * بنفسها لجوى في القلب مشتعل
فالحمد لله حظ العين زال بما * قد كان قدره الرحمن في الازل
لايعتري البؤس بعد اليوم مدرسة * شيدت بنيانها بالعلم والعمل
ودمت حتي ترى الدنيا بها امتلأت * علماً فليس بمصر غير مشتغل

فاتفق قتل السلطان بعد سقوط المنارة بثلاثة وثلاثين يوما ومات السلطان قبل أن يتم رخام هذا الجامع فأتمه من بعده الطواشى بشير الجمدار وكان قد جعل السلطان على هذا الجامع أوقافا عظيمة جدا فلم يترك منها الا شىء يسير وأقطع أكثر البلاد التى وقفت عليه بديار مصر والشام لجماعة من الامراء وغيرهم وصار هذا الجامع ضداً لقلعة الجبل فلما تكون فتنة بين أهل الدولة الا ويصعد عدة من الامراء وغيرهم الى أعلاه ويصير الرمى منه على القلعة فلم يحتمل ذلك الملك الظاهر برقوق وأمر فهدمت الدرج التي كان يصعد منها الى المنارتين والبيوت التى كان يسكنها الفقهاء ويتوصل من هذه الدرج الى السطح الذى كان يرمي منه على القلعة وهدمت البسطة العظيمة والدرج التي كانت بجانبى هذه البسطة التى كانت قدام باب الجامع حتى لايمكن الصعود الى الجامع وسد من وراء الباب النحاس الذى لم يعمل فيما عهد باب مثله وفتح شباك من شبابيك أحد مدارس هذا الجامع ليتوصل منه الى داخل الجامع عوضاً عن الباب المسدود فصار هذا الجامع تجاه باب القلعة المعروف بباب السلسلة وامتنع صعود المؤذنين الى المنارتين وبقى الاذان على درج هذا الباب وكان ابتداء هدم ماذكر فى يوم الاحد ثامن صفر سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ثم لما شرع السلطان الملك المؤيد شيخ في عمارة الجامع بجوار باب زويلة اشترى هذا الباب النحاس والتنور النحاس الذى كان معلقا هناك بخمسمائة دينار ونقلا في يوم الخميس سابع عشري شوال سنة تسع عشرة وثمانمائة فركب الباب على البوابة وعلق التنور تجاه المحراب فلما كان في يوم الخميس تاسع شهر رمضان سنة خمس وعشرين وثمانمائة أعيد الاذان في المئذنتين كما كان وأعيد بناء الدرج والبسطة وركب باب بدل الباب الذى أخذه المؤيد واستمر الامر على ذلك *( الملك الناصر أبو المعالى الحسن بن محمد بن قلاون ) * جلس على تخت الملك وعمره ثلاث عشرة سنة في يوم الثلاثاء رابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بعد أخيه الملك المظفر حاجي وأركب من باب الستارة بقلعة الجبل وعليه شعار السلطنة وفى ركابه الامراء الى أن نزل بالايوان السلطاني ومدبرو الدولة يومئذ الامير يلبغاروس والامير ألجيبغا المظفرى والامير شيخو والامير طاز وأحمد شادالشرابخاناه وأرغون الاسماعيلي فخلع على يلبغاروس واستقر في نيابة السلطنة بديار مصر عوضا عن الحاج ارقطاى وقرر أرقطاى في نيابة السلطنة بحلب وخلع على الامير سيف الدين منجك اليوسفى واستقر في

الوزارة والاستادارية وقرر الامير أرغون شاه في نيابة السلطنة بدمشق فلما دخلت سنة تسع وأربعين كثر انكشاف الاراضى من ماء النيل بالبر الشرقى فيما يلى بولاق الى مصر فاهتم الامراء بسد البحر مما يلي الجيزة وفوض ذلك للامير منجك فجمع مالا كثيرا وأنفقه على ذلك فلم يفد فقبض على منجك فى ربيع الاول وحدث الوباء العظيم في هذه السنة وأخرج أحمد شاد الشرابخاناه لنيابة صفد والجيبغا لنيابة طرابلس فاستمر الجيبغا بها الى شهر ربيع الاول سنة خمسين فركب الى دمشق وقتل أرغون شاه بغير مرسوم فأنكر عليه وأمسك وقتل بدمشق * وفي سنة احدى وخمسين سار من دمشق عسكر عدته أربعة آلاف فارس ومن حلب الفا فارس الى مدينة سنجار ومعهم عدة كثيرة من التركمان فحصروها مدة حتى طلب أهلها الامان ثم عادوا وترشد السلطان واستبد بأمره وقبض على منجك ويلبغاروس وقبض بمكة على الملك المجاهد صاحب اليمن وقيد وحمل الى القاهرة فأطلق ثم سجن بقلعة الكرك فلما كان يوم الاحد سابع عشر جمادى الآخرة ركب الامراء على السلطان وهم طاز وأخوته ويلبغا الشمسى وبيغوا ووقفوا تحت القلعة وصعد الامير طاز وهو لابس الى القلعة في عدة وافرة وقبض على السلطان وسجنه بالدور فكانت مدة ولايته ثلاث سنين وتسعة أشهر وأقيم بدله أخوه الملك الصالح صالح فأقام السلطان حسن مجمعا على الاشتغال بالعلم وكتب بخطه نسخة من كتاب دلائل النبوة للبيهقى الى يوم الاثنين ثانى شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة فأقامه الامير شيخو العمري فى السلطنة وقبض على الصالح وكانت مدة سجنه ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما فرسم بامساك الامير طاز واخراجه لنيابة حلب * وفى ربيع الاول سنة سبع وخمسين هبت ريح عاصفة من ناحية الغرب من أول النهار الى آخر الليل اصفر منها الجو ثم احمر ثم اسود فتلف منها شئ كثير * وفي شعبان سنة تسع وخمسين ضرب الامير شيخو بعض المماليك بسيف فلم يزل عليلا حتي مات * وفى سنة تسع وخمسين كان ضرب الفلوس الجدد فعمل كل فلس زنة مثقال وقبض على الامير طاز نائب حلب وسجن بالاسكندرية وقرر مكانه فى نيابة حلب الامير منجك اليوسفى وأمسك الامير صرغتمش في شهر رمضان منها وكانت حرب بين مماليكه ومماليك السلطان انتصر فيها المماليك السلطانية وقبض على عدة أمراء فأنعم السلطان على مملوكه يلبغا العمري الخاصكي بتقدمة ألف عوضا عن تنكربغا الماردانى أمير مجلس بحكم وفاته * وفى سنة ستين فرّ منجك من حلب فلم يوقف له على خبر فأقر على نيابة حلب الامير بيدمر الخوارزمي وسار لغزو سيس فأخذ أدنه بأمان وأخذ طرسوس والمصيصة وعدة بلاد وأقام بها نوابا وعاد فلما كانت سنة اثنتين وستين عدى السلطان الى بر الجيزة وأقام بناحية كوم برا مدة طويلة لوباء كان بالقاهرة فتنكر الحال بينه وبين الامير يلبغا الى ليلة

الاربعاء تاسع جمادى الاولى فركب السلطان في جماعة ليكبس على الامير يلبغا وكان قد أحس بذلك وخرج عن الخيام وكمن بمكان وهو لابس في جماعة فلم يظفر السلطان به ورجع فثار به يلبغا فانكسر بمن معه وفر يريد قلعة الجبل فتبعه يلبغا وقد انضم اليه جمع كثير ودخل السلطان الى القلعة فلم يثبت وركب معه أيدمر الدوادار ليتوجه الى بلاد الشام ونزل الى بيت الامير شرف الدين موسى بن الازكشي أمير حاجب فبعث في الحال الى الامير يلبغا يعلمه بمجئ السلطان اليه فبعث من قبضه هو والامير أيدمر ومن حينئذ لم يوقف له على خبر البتة مع كثرة فحص اتباعه وحواشيه عن قبره ومآل اليه امره فكانت مدة ولايته هذه الثانية ست سنين وسبعة أشهر وأياما وكان ملكا حازما مهابا شجاعا صاحب حرمة وافرة وكلمة نافذة ودين متين حلف غير مرة انه مالاط ولا شرب خمرا ولازنى الا انه كان يبخل ويعجب بالنساء ولا يكاد يصبر عنهن ويبالغ في اعطائهن المال وعادى فى دولته أقباط مصر وقصد اجتثاث أصلهم وكره المماليك وشرع في اقامة أولاد الناس أمراء وترك عشرة بنين وست بنات وكان أشقر أنمش وقتل وله من العمر بضع وعشرون سنة ولم يكن قبله ولا بعده في الدولة التركية مثله

*( جامع القرافة )*

هذا الجامع يعرف الآن بجامع الاولياء وهو بالقرافة الكبرى وكان موضعه يعرف في القديم عند فتح مصر بخطة المغافر وهو مسجد بني عبد الله بن مانع بن مورع يعرف بمسجد القبة * قال القضاعى كان القراء يحضرون فيه ثم بني عليه المسجد الجامع الجديد بنته السيدة المعزية في سنة ست وستين وثلثمائة وهى أم العزيز بالله نزار ولد المعز لدين الله أم ولد من العرب يقال لها تغريد وتدعى درزان وبنته على يد الحسن بن عبد العزيز الفارسى المحتسب فى شهر رمضان من السنة المذكورة وهو على نحو بناء الجامع الازهر بالقاهرة وكان بهذا الجامع بستان لطيف في غربيه وصهريج وبابه الذى يدخل منه ذو المصاطب الكبير الاوسط تحت المنار العالى الذى عليه مصفح بالحديد الى حضرة المحراب والمقصورة من عدة أبواب وعدتها أربعة عشر بابا مربعة مطوبة الابواب قدام كل باب قنطرة قوس على عمودى رخام ثلاثة صفوف وهو منكدج مزوق باللازورد والزنجفر والزنجار وأنواع الاصباغ وفيه مواضع مدهونة والسقوف مزوقة ملونة كلها والحنايا والعقود التي على العمد مزوقة بأنواع الاصباغ من صنعة البصريين و بني المعلم المزوقين شيوخ الكتامى والنازوك وكان قبالة الباب السابع من هذه الابواب قنطرة قوس مزوقة في منحني حافتيها شاذروان مدرج بدرج وآلات سود وبيض وحمر وخضر وزرق وصفر اذا تطلع اليها من وقف فى سهم قوسها شائلا رأسه اليها ظن أن المدرج المزوق كأنه خشب كالمقرنص واذا أتى الى أحد قطرى

القوس نصف الدائرة ووقف عند أول القوس منها ورفع رأسه رأى ذلك الذى توهمه مسطحا لانتوفيه وهذه من أنخر الصنائع عند المزوقين وكانت هذه القنطرة من صنعة بني المعلم وكان الصناع يأتون اليها ليعملوا مثلها فما يقدرون وقد جرى مثل ذلك للقصير وابن عزيز في أيام البازورى سيد الوزراء الحسن بن علي بن عبد الرحمن وكان كثيرا ما يحرض بينهما ويغرى بعضهما على بعض لانه كان أحب ماليه كتاب مصور أو النظر الى صورة أو تزويق ولما استدعى ابن عزيز من العراق فأفسده وكان قد أتي به في محاربة القصير لان القصير كان يشتط فى أجرته ويلحقه عجب في صنعته وهو حقيق بذلك لانه في عمل الصورة كابن مقلة فى الخط وابن عزيز كابن البواب وقد أمعن شرح ذلك في الكتاب المؤلف فيه وهو طبقات المصورين المنعوت بضوء النبراس وأنس الجلاس فى أخبار المزوقين من الناس وكان البازوري قد أحضر بمجلسه القصير وابن عزيز فقال ابن عزيز أنا أصور صورة اذا رآها الناظر ظن انها خارجة من الحائط فقال القصير لكن أنا أصورها فاذا نظرها الناظر ظن انها داخلة فى الحائط فقالوا هذا أعجب فأمرهما أن يصنعا ماوعدا به فصور اصورة راقصتين فى صورة حنيتين مدهونتين متقابلتين هذه ترى كأنها داخلة فى الحائط وتلك ترى كأنها خارجة من الحائط فصور القصير راقصة بثياب بيض في صورة حنية دهنها اسود كأنها داخلة فى صورة الحنية وصور ابن عزيز راقصة بثياب حمر فى صورة حنية صفراء كأنها بارزة من الحنية فاستحسن البازورى ذلك وخلع عليهما ووهبهما كثيرا من الذهب * وكان بدار النعمان بالقرافة من عمل الكتامى صورة يوسف عليه السلام فى الجب وهو عريان والجب كله أسود اذا نظره الانسان ظن أن جسمه باب من دهن لون الجب وكان هذا الجامع من محاسن البناء وكان بنو الجوهرى يعظون بهذا الجامع على كرسى فى الثلاثة أشهر فتمر لهم مجالس مبجلة تروق وتشوق ويقوم خادمهم زهر البان وهو شيخ كبير ومعه زنجلة اذا توسط أحدهم في الوعظ ويقول

وتصدقى لاتأمني أن تسألي * فاذا سألت عرفت ذل السائل

ويدور على الرجال والنساء فيلقى له فى الزنجلة مايسره الله تعالى فاذا فرغ من التطواف وضع الزنجلة أمام الشيخ فاذا فرغ من وعظه فرق على الفقراء ماقسم لهم وأخذ الشيخ ماقسم له وهو الباقي ونزل عن الكرسى وكان جماعة من الرؤساء يلزمون النوم بهذا الجامع ويجلسون به في ليالى الصيف للحديث فى القمر فى صحنه وفى الشتاء ينامون عند المنبر وكان يحصل لقيمه القاضى أبي حفص الاشربة والحلوي وغير ذلك * قال الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة حدثني الامير أبو على تاج الملك جوهر المعروف بالشمس الجيوشى قال اجتمعنا ليلة جمعة جماعة من الامراء بنو معز الدولة وصالح وحاتم وراجح وأولادهم

وغلمانهم وجماعة ممن يلوذ بنا كابن الموفق والقاضى ابن داود وأبى المجد بن الصيرفى وأبى الفصل روزة وأبى الحسن الرضيع فعملنا سماطا وجلسنا واستدعينا بمن في الجامع وأبى حفص فأكلنا ورفعنا الباقى الى بيت الشيخ أبي حفص قيم الجامع ثم تحدثنا ونمناوكانت ليلة باردة فنمناعند المنبر واذا انسان نصف الليل ممن نام فى هـذا الجامع من عابرى السبيل قد قام قائما وهو يلطم على رأسه ويصيح وامالاه وامالاه فقلنا له ويلك ماشأنك وما الذى دهاك ومن سرقك وما سرق لك فقال ياسيدي أنا رجل من أهل طرا يقال لى أبو كريت الحاوى أمسى على الليل ونمت عندكم وأكلت من خيركم وسع الله عليكم ولى جمعة أجمع فى ساقي من نواحي طرا والحى الـكبير والجبل كل غريبة من الحيات والافاعى مالم يقدر عليه قط حاو غيرى وقد انفتحت الساعـة السلة وخرجت الافاعى وأنا نائم لم اشعر فقلت له ايش تقول فقال اى والله ياللنجدات فقلنا ياعدو الله اهلـكتنا ومعنا صبيان وأطفال ثم انا نبهنا الناس وهربنا الى المنبر وطلعنا وازدحمنا فيه ومنا من طلع على قواعد العمد فتسلق وبقى واقفا وأخذ ذلك الحاوى يحسس وفى يده كنف الحيـات ويقول قبضت الرقطاء ثم يفتح السلة ويضع فيها ثم يقول قبضت أم قرنين ويفتح ويضع فيهاويقول قبضت الفلانى والفلانية من الثعابين والحيات وهي معه بأسماء ويقول أبو تليس وأبو زعير ونحن نقول ايه الى أن قال بس انزلوا مابقى على همماتقى يهمكم كبير شئ قلنا كيف قال مابقى الاالبتراء وأم رأسين انزلوا فما عليكم منهما قلنا كذا عليك لعنة الله ياعدو الله لانزلنا للصبح فالمغرور من تغره وصحنا بالقاضى أبى حفص القيم فاوقد الشمعة ولبس صباغات الخطيب خوفا على رجليه وجاء فنزلنا في الضوء وطلعنا المئذنة فنمنا الى بكرة وتفرق شملنا بعـد تلك الليلة وجمع القاضى القيم عيـاله ثاني يوم وأدخلوا عصيا تحت المنبر وسعفا وشالوا الحصر فلم يظهرلهم شئ وبلغ الحديث والى القرافة ابن شعلة الـكتامى فأخذ الحاوى فـلم يزل به حتي جمع ماقدر عليه وقال ماأخليه الا الى السلطان وكان الوزير اذ ذاك يانس الارمني * وهذه القضية تشبه قضية جرت لجعفر بن الفضل بن الفرات وزير مصر المعروف بابن حزابةوذلك انه كان يهوى النظر الى الحيات والافاعي والعقارب وأم أربعة وأربعين ومايجرى هذا المجرى من الحشرات وكان في داره قاعة لطيفة مرخمة فيها سلال الحيات ولها قيم فراش حاو من الحواة ومعه مستخدمون برسم الخدمة ونقل السلال وحطها وكان كل حاو في مصر وأعمالها يصيد مايقدر عليه من الحيات ويتباهون في ذوات العجب من أجناسها وفي الـكبار وفي الغريبة المنظر وكان الوزير يثيبهم على ذلك أو في ثواب ويبذل لهم الجمل حتي يجتهدوا في تحصيلها وكان له وقت يجلس فيه على دكة مرتفعة ويدخـل المستخدمون والحواة فيخرجون مافي السلال ويطرحونه على ذلك الرخام ويحرشون بين الهوام وهو يتعجب من ذلك ويستحسنه

فلما كان ذات يوم انفذ رقعة الى الشيخ الجليل ابن المدبر الكاتب وكان من أعيان كتاب أيامه وديوانه وكان عزيزا عنده وكان يسكن الى جوار دار ابن الفرات يقول له فيها نشعر الشيخ الجليل أدام الله سلامته انه لما كان البارحة عرض علينا الحواة الحشرات الجارى بها العادات انساب الى داره منها الحية البتراء وذات القرنين والعقربان الكبير وأبو صوفة وما حصلوا لنا الا بعد عناء ومشقة وبجملة بذلناها للحواة ونحن نأمر الشيخ وفقه الله بالتقدم الى حاشيته وصبيته بصون ماوجد منها الى أن تنفذ الحواة لاخذها وردها الى سللها فلما وقف ابن المدبر على الرقعة قلبها وكتب فى ذيلها أتانى أمر سيدنا الوزير خلد الله نعمته وحرس مدته بما أشار اليه فى أمر الحشرات والذي يعتمد عليه في ذلك أن الطلاق يلزمه ثلاثا ان بات هو وأحد من أهله في الدار والسلام * وفي سنة ست عشرة وخمسمائة أمر الوزير أبو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالاجل المأمون البطايحي وكيله أبا البركات محمد بن عثمان برم شعث هذا الجامع وأن يعمر بجانبه طاحونا للسبيل ويبتاع لها الدواب ويتخير من الصالحين الساكنين بالقرافة من يجعله امينا عليها ويطلق له مايكفيه مع علف الدواب وجميع المؤن ويشترط عليه أن يواسي بين الضعفاء ويحمل عنهم كلفة طحن أقواتهم ويؤدى الامانة فيها ولم يزل هذا الجامع على عمارته الى أن احترق في السنة التي احترق فيها جامع عمرو بن العاص سنة أربع وستين وخمسمائة عند نزول مرى ملك الفرنج على القاهرة وحصارها كما تقدم ذكره عند ذكر خراب الفسطاط من هذا الكتاب وكان الذي تولى احراق هذا الجامع ابن سماقة باشارة الاستاذ مؤتمن الخلافة جوهر وهو الذى أمر المذكور بحريق جامع عمرو بمصر وسئل عن ذلك فقال لئلا يخطب فيه لبني العباس ولم يبق من هذا الجامع بعد حريقه سوى المحراب الاخضر وكان مؤذن هذا الجامع في أيام المستنصر ابن بقاء المحدث ابن بنت عبد الغنى بن سعيد الحافظ ثم جددت عمارة هذا الجامع فى أيام المستنصر بعد حريقه وأدركته لما كانت القرافة الكبرى عامرة بسكنى السودان التكاررة وهو مقصود للبركة فلما كانت الحوادث والمحن فى سنة ست وثمانمائة قل الساكن بالقرافة وصار هذا الجامع طول الايام مغلوقا وربما أقيمت فيه الجمعة

## * ( جامع الجيزة ) *

بناه محمد بن عبد الله الخازن في المحرم سنة خمسين وثلثمائة بأمر الامير على بن عبد الله بن الاخشيد فتقدم كافور الى الخازن ببنائه فانه كان قد هدمه النيل وسقط في سنة أربعين وثلثمائة وعمل له مستغلا وكان الناس قبل ذلك بالجيزة يصلون الجمعة فى مسجد جامع همدان وهو مسجد مزاحف بن عامر بن بكتل وقيل ان عقبة بن عامر في امرته على مصر أمرهم أن يجمعوا فيه قال التيمى وشارف بناء جامع الجيزة مع أبى بكر الخازن أبو الحسن بن

جعفر الطحاوى واحتاجوا الى عمد للجامع فمضى الخازن في الليل الى كنيسة بأعمال الجيزة فقلع عمدها ونصب بدلها أركانا وحمل العمد الى الجامع فترك أبو الحسن ابن الطحاوى الصلاة فيه مذ ذاك تورعا * قال التميمي وقد كان يعني ابن الطحاوى يصلي في جامع الفسطاط القديم وبعض عمده أو أكثرها ورخامه من كنائس الاسكندرية وأرياف مصر وبعضه بناء قرة ابن شريك عامل الوليد بن عبد الملك

* ( جامع منجك ) *

هذا الجامع يعرف موضعه بالثغرة تحت قلعة الجبل خارج باب الوزير أنشأه الامير سيف الدين منجك اليوسفي في مدة وزارته بديار مصر في سنة احدى وخمسين وسبعمائة وصنع فيه صهريجاً فصار يعرف الى اليوم بصهريج منجك ورتب فيه صوفية وقرر لهم في كل يوم طعاما ولحماً وخبزاً وفي كل شهر معلوما وجعل فيه منبرا ورتب فيه خطيبا يصلي بالناس فيه صلاة الجمعة وجعل على هذا الموضع عدة أوقاف منها ناحية بلقينة بالغربية وكانت مرصدة برسم الحاشية فقومت بخمسة وعشرين ألف دينار فاشتراها من بيت المال وجعلها وقفا على هذا المكان * ( منجك ) الامير سيف الدين اليوسفي لما امتنع أحمد ابن الملك الناصر محمد بن قلاون بالكرك وقام في مملكة مصر بعده أخوه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل وكان من محاصرته بالكرك ما كان الى أن أخذ فتوجه اليه وقطع رأسه وأحضرها الى مصر وكان حينئذ أحد السلاحدارية فأعطى امرة بديار مصر وتنقل في الدول الى أن كانت سلطنة الملك المظفر حاجي ابن الملك الناصر محمد بن قلاون فأخرجه من مصر الى دمشق وجعله حاجبا بها موضع ابن طغريل فلما قتل الملك المظفر وأقيم بعده أخوه الملك الناصر حسن أقيم الامير سيف الدين يلبغاروس في نيابة السلطنة بديار مصر وكان أخا منجك فاستدعاه من دمشق وحضر الى القاهرة في ثامن شوال سنة ثمان وأربعين وسبعمائة فرسم له بامرة تقدمة ألف وخلع عليه خلع الوزارة فاستقر وزيرا وأستادارا وخرج في دست الوزارة والامراء في خدمته من القصر الى قاعة الصاحب بالقلعة فجلس بالشباك ونفذ أمور الدولة ثم اجتمع الامراء وقرأ عليهم أوراقا تتضمن ماعلى الدولة من المصروف ووفر من جامكية المماليك مبلغ ستين ألف درهم في الشهر وقطع كثيرا من جوامك الخدم والجواري والبيوتات السلطانية ونقص رواتب الدور من زوجات السلطان وجواريه وقطع رواتب الاغاني وعرض الاسطبل السلطاني وقطع منه عدة أميراخورية وسراخورية وسواس وغلمان ووفر من راتب الشعير نحو الخمسين أردبا في كل يوم وقطع جميع الكلابزية وكانوا خمسين جوقة وأبقى منهم جوقتين ووفر جماعة من الاسري والعتالين والمستخدمين في العمائر وأبطل العمارة من بيت السلطان وكانت الحوائجخاناه تحتاج في كل يوم الى أحد وعشرين ألف

درهم نقرة فاقتطع منها مبلغ ثلاثة آلاف درهم وبقي مصروفها في اليوم ثمانيـة عشر ألف درهم نقرة وشرع ينكت على الدواوين ويحط على القاضي موفق الدين ناظر الدولة وعلى القاضي علم الدين بن زنبور ناظر الخواص ورسم أن لا يستقر في المعاملات سوى شـاهد واحد وعامل وشاد بغير معلوم وأغاظ على الـكتاب والدواوين وهددهم وتوعدهم فخافوه واجتمع بعضهم ببعض واشتوروا في أمرهم واتفقوا على مال يتوزعونه بينهم على قدر حال كل منهم وحملوه الى منجك سرا فلم يمض من استقراره في الوزارة شهر حتى صار الكتاب وأرباب الدواوين أحباءه وأخلاءه وتمكنوا منه أعظم ما كانوا قبل وزارته وحسنوا له أخذ الاموال فطلب ولاة الاقاليم وقبض على أقبغا والى الغربية والزمه بحمل خمسمائة ألف درهم نقرة وولى عوضه الامير استدمر القلنجي ثم صرفه وولى بدله قطليجا مملوك بكتمر واستقر باستدمر القلنجي في ولاية القاهرة وأضاف له التحدث في الجهات وولى البحرية لرجل من جهته وولى قوص لآخر واوقع الحوطة على موجود اسماعيل الواقدي متولى قوص وأخذ جميع خواصه وولى طغاي كشف الوجه القبلى عوضاً عن علاء الدين علي بن الـكوراني وولى ابن المزوق قوص وأعمالها وولى مجد الدين موسى الهدباني الاشمونين عوضا عن ابن الازكشي وتسامعت الولاة وأرباب الاعمال بأن الوزير فتح باب الاخذ على الولايات فهرع الناس اليه من جهات مصر والشام وحلب وقصدوا بابه ورتب عنده جماعـة برسم قضـاء الاشغال فأتاهم أصحاب الاشغال والحوائج وكان السلطان صغيرا حظه من السلطنة أن يجلس بالايوان يومين في الاسبوع ويجتمع أهل الحل والعقد مع سائر الامراء فيه فاذا انقضت خدمة الايوان خرج الامير منكليبغا الفخرى والامير بيغرا والامير يلبغـا تتر والجـدى وارلان وغيرهم من الامراء ويدخل الى القصر الامير يلبغا روس نائب السلطنة والامير سيف الدين منجك الوزير والامير سيف الدين شيخو العمرى والامير الجيبغا المظفري والامير طيبرق ويتفق الحال بينهم على مايرونه هذا والوزير أخو النائب متمكن تمكنا زائدا وقدم من دمشق جماعة للسعى عند الوزير في وظائف منهم ابن السلعوس وصلاح الدين بن المؤيد وابن الاجل وابن عبد الحق وتحدثوا مع ابن الاطروش محتسب القاهرة في أغراضهم فسعى لهم حتى تقرروا فيما عينوا ولما دخلت سنة تسع واربعين عرف الوزير السلطان والامراء انه لما ولى الوزارة لم يجد في الاهراء ولا في بيت المال شيئاً وسأل أن يكون هـذا بمحضر من الحـكام فرسم للقضاة بكشف ذلك فركبوا الى الاهراء بمصر والى بيت المال بقلعة الجبل وقد حضر الدواوين وسائر المباشرين وأشهدوا عليهم أن الامير منجك لما باشر الوزارة لم يكن بالاهراء ولا ببيت المال قدح غلة ولا دينار ولا درهم وقرئت المحاضر على السلطان والامراء فلما كان بعد ذلك توقف أمر الدولة على الوزير فشكا الى الامراء من كثرة الرواتب فاتفق الرأى علي قطع

نحو ستين سواقا فقطعهم ووفر لحومهم وعليقهم وسائر ما باسمهم من الكساوى وغيرها وقطع من العرب الركابة والنجابة ومن أرباب الوظائف في بيت السلطان ومن الكتاب والمباشرين ما جملته في اليوم أحد عشر ألف درهم وفتح باب المقايضات باقطاعات الاجناد وباب النزول عن الاقطاعات بالمال فحصل من ذلك مالا كثيراً وحكم على أخيه نائب السلطنة بسبب ذلك وصار الجندى يبيع اقطاعه لكل من أراد سواء كان المنزول له جنديا أو عاميا وبلغ ثمن الاقطاع من عشرين ألف درهم الى مادونها وأخذ يسعى أن تضاف وظيفة نظر الخاص الى الوزارة واكثر من الحط على ناظر الخاص فاحترس ابن زنبور منه وشرع في ابعاده مرة بعد مرة مع الامير شيخو فمنع شيخو منجك من التحدث في الخاص وخرج عليه فشق ذلك على منجك وافترقا عن غير رضا فتغير يلبغا روس النائب على شيخو رعاية لاخيه وسأل أن يعفى من النيابة ويعفى منجك من الوزارة واستقراره في الاستادارية والتحدث في عمل حفر البحر وأن يستقر أستدمر العمرى المعروف برسلان بصل في الوزارة فطلب وكان قد حضر من الكشف وألبس خلع الوزارة في يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول وكان منجك قد عزل من الوزارة في ثالث ربيع الاول المذكور وتولى أمر شد البحر فجبى من الاجناد من كل مائة دينار درهما ومن التجار والمتعيشين فى مصر والقاهرة من كل واحد عشرة دراهم الى خمسة دراهم الى درهم ومن أصحاب الاملاك والدور في مصر والقاهرة علي كل قاعة ثلاثة دراهم وعلى كل طبقة درهمين وعلى كل مخزن أو اصطبل درهما وجعل المستخرج في خان مسرور بالقاهرة والمشد على المستخرج الامير بيلك فجبى مال كبير وأما استدمر فان أحوال الدولة توقفت في أيامه فسأل في الاعفاء فأعفى وأعيد منجك الى الوزارة بعد أربعين يوما وقد تمنع تمنعاً كبيراً ولما عاد الى الوزارة فتح باب الولايات بالمال فقصده الناس وسعوا عنده فولى وعزل وأخذ في ذلك مالا كثيرا فيقال انه أخذ من الامير مازان لما نقله من المنوفية الى الغربية ومن ابن الغساني لما نقله من الاشمونين الى البهنساوية ومن ابن سلمان لما ولاه منوف ستة آلاف دينار ووفر اقطاع شاد الدواوين وجعله باسم المماليك السلطانية ووفر جوامكهم ورواتبهم وشرع أوباش الناس فى السعي عنده فى الوظائف والمباشرات بمال وأتوه من البلاد فقضى أشغالهم ولم يرد أحداً طلب شيئاً ووقع فى أيامه الفناء العظم فانحلت اقطاعات كثيرة فاقتضى رأى الوزير أن يوفر الجوامك والرواتب التى للحاشية وكتب لسائر أرباب الوظائف وأصحاب الاشغال والمماليك السلطانية مثالات بقدر جوامك كل منهم وكذلك لارباب الصدقات فأخذ جماعة من الاقباط ومن الكتاب ومن الموقعين اقطاعات في نظير جوامكهم وتوفر فى الدولة مال كبير عن الجوامك والرواتب * ولما دخلت سنة خمسين رسم الامير منجك الوزير لمتولى

القاهرة بطلب أصحاب الارباع وكتابة جميع أملاك الحارات والازقة وسائر أخطاط مصر والقاهرة ومعرفة أسماء سكانها والفحص عن أربابها ليعرف من توفر عنه ملك بموته في الفناء فطلبوا الجميع وأمعنوا في النظر فكان يوجد فى الحارة الواحدة والزقاق الواحد ما يزيد على عشرين دارا خالية لايعرف أربابها فختموا على ماوجدوه من ذلك ومن الفنادق والخانات والمخازن حتى يحضر أربابها * وفي شعبان عزل ولاة الاعمال وأحضرهم الى القاهرة وولى غيرهم وأضاف الى كل وال كشف الجسور التى فى عمله وضمن الناس سائر جهات القاهرة ومصر بحيث انه لايتحدث أحد معه من المقدمين والدواوين والشادين وزاد في المعاملات ثلثمائة ألف درهم وخلع عليه ونودى له بمصر والقاهرة فاشتد ظلمه وعسفه وكثرت حوادثه * فلما كانت ليالى عيد الفطر عرف الوزير الامراء أن سماط العيد ينصرف عليه جملة ولا ينتفع به أحد فأبطله ولم يعمل تلك السنة * وفى ذي القعدة توقف حال الدولة ووقف مماليك السلطان وسائر المعاملين والحوائجكاشية وانزعج السلطان والامراء بسبب ذلك على الوزير فاحتج بكثرة الكلف وطلب الموفق ناظر الدولة فقال ان الانعامات قد كثرت والكلف تزايدت وقد كانت الحوائجخاناه في أيام الملك الناصر محمد ابن قلاون في اليوم ينصرف فيها مبلغ ثلاثة عشر ألف درهم واليوم ينصرف فيها اثنان وعشرون ألف درهم فكتبت أوراق بمتحصل الدولة ومصروفها وبمتحصل الخاص ومصروفه فجاءت أوراق الدولة ومتحصلها عشرة آلاف ألف درهم وكلفها أربعة عشر ألف ألف درهم وستمائة ألف درهم ووجد الانعام من الخاص والجيش بما خرج من البلاد زيادة على اقطاعات الامراء فكان زيادة على عشرين ألف دينار سوى جملة من الغلال وان الذي استجد على الدولة من حين وفاة الملك الناصر فى ذى الحجة سنة احدى وأربعين الى مستهل المحرم سنة خمسين وسبعمائة وكانت جملة الانعامات والاقطاعات بنواحي الصعيد والفيوم وبلاد الملك والوجه البحري وماأعطى من الرزق للخدام والجوارى سبعمائة ألف ألف وألف ألف وستمائة ألف معينة بأسماء أربابها من أمير وخادم وجارية وكانت النساء قد أسرفن فى عمل القمصان والبغالطيق حتى كان يفضل من القميص كثير على الارض وسعة الكم ثلاثة أذرع ويسمينه البهطلة وكان يغرم على القميص ألف درهم وأكثر وبلغ ازار المرأة الى ألف درهم وبلغ الخف والسرموزة الى خمسمائة درهم وما دونها الى مائة درهم فأمر الوزير منجك بقطع أكمام النساء وأخرق بهن وأمر الوالى بتتبع ذلك ونودي بمنع النساء من عمل ذلك وقبض على جماعة منهن وركب على سور القاهرة صور نساء عليهن تلك القمصان بهيئة نساء قد قتلن عقوبة على ذلك فانكففن عن لبسها ومنع الاساكفة من عمل الاخفاف المثمنة ونودى في القياسر من باع ازار حرير ماله للسلطان فنودى على ازار ثمنه سبعمائة

وعشرون درهما فبلغ ثمانين درهما ولم يجسر أحـد أن يشتريه وبالغ الوزير فى الفحص عن ذلك حتى كشف دكاكين غسالى الثياب وقطع ماوجد من ذلك فامتنع النساء من لبس ما أحدثنه من تلك المنكرات ولما عظم ضرر الفار أيضاً من كثرة شكاية الناس فيه فلم يسمع فيه الوزير قولا وقام فى أمره الامير مغلطاي أميراخور فاستوحش منه الوزير واتفق انه كان قد حج محمد بن يوسف مقدم الدولة في محمل كبير بلغ عليق جماله فى اليوم مائتي عليقة ولما قدم في المحرم مع الحاج اهدى للنائب وللوزير وللامير طاز وللامير صرغتمش هـدايا جليلة ولم يهد للامير شيخو ولا للامير مغلطاى شيئاً ثم لما عاب عليه الناس ذلك اهدى بعد عدة أيام للامير شيخو هدية فردها عليه ثم انه أنكر على الوزير في مجلس السلطان مايفعله ولاة البر وما عليه مقدم الدولة من كثرة المال وأغلظ في القول فرسم بعزل الولاة والقبض على المقدم محمد بن يوسف وابن عمه المقدم أحمد بن زيد فلم يسع الوزير غير السكوت * فلما كان في رابع عشرى شوال سنة احدى وخمسين قبض على الوزير منجك وقيـد ووقعت الحوطة على سائر حواصله فوجدت له زردخاناه حمل خمسين جملا ولم يظهر من النقد كثير مال فأمر بعقوبته فلما خوف أقر بصندوق فيه جوهر وقال سائر ماكان يحصل لى من النقد كنت اشترى به أملاكا وضياعا وأصناف المتاجر فاحيط بسائر أمواله وحمـل الى الاسكندرية مقيـدا واستقر الامير بلبان السنانى نائب البيرة أستادارا عوض منجك بعد حضوره منها وأضيفت الوزارة الى القاضى علم الدين بن زنبور ناظر الخاص فلم يزل منجك مسجونا بالاسكندرية الى أن خلع الملك الناصر حسن وأقيم بدله في المملكة اخوه الملك الصالح صالح فأمر بالافراج عن الامير شيخو والامـير منجك فحضرا الى القاهرة فى رجب سنة اثنين وخمسين ولما استقر الامير منجك بالقاهرة بعث اليه الامير شيخو خمس رؤس خيل وألفى دينار وبعث اليه جميع الامراء بالتقادم وأقام بطالا يجلس على حصـير فوقه ثوب سرج عتيق وكلما أتاه أحد من الامراء يبكى ويتوجع ويقول أخـذ جميع مالى حتي صرت على الحصير ثم كتب فتوى تتضمن أن رجلا مسجونا في قيد هدد بالقتل ان لم يبع أملاكه وانه خشى على نفسه القتل فوكل في بيعها فكتب له الفقهاء لايصح بيع المكره ودار على الامراء ومازال بهم حتى تحـدثوا له مع السلطـان في رد أملاكه عليـه فعـارضهم الامير صرغتمش ثم رضي ان يرد عليـه من أملاكه ما أنعم به السلطـان على مماليكه فاسترد عـدة أمـلاك وأقام الى أن قام يلبغـاروس بحلب فاختفى منجك وطلب فلم يوجد وأطلق النداء عليه بالقاهرة ومصر وهدد من أخفاه وألزم عربان العائد باقتفاء أثره فلم يوقف له على خبر وكبس عليه عدة أماكن بالقاهرة ومصر وفتش عليه حتي في داخل الصهريج الذى بجامعه فأعي أمره وأدرك السلطان السفر لحرب يلبغا روس

فشرع في ذلك الى يوم الخميس رابع شعبان فخرج الامير طاز بمن معه * وفي يوم الاثنين سابعه عرض الامير شيخو والامير صرغتمش اطلابهما وقد وصل الامير طاز الى بلبيس فحضر اليه من أخبره أنه رأى بعض أصحاب منجك فسير اليه وأحضره وفتشه فوجد معه كتاب منجك الى أخيه يلبغا روس وفيه انه مختف عند الحسام الصفدى استاداره فبعث الكتاب الي الامير شيخو فوافاه والاطلاب خارجة فاستدعى بالحسام وسأله فأنكر فعاقبه الامير صرغتمش فلم يعترف فركب الى بيت الحسام بجوار الجامع الازهر وهجمه فاذا بمنجك ومعه مملوك فكتفه وساربه مشهورا بين الناس وقد هرعوا من كل مكان الى القلعة فسجن بالاسكندرية الى أن شفع فيه الامير شيخو فأفرج عنه فى ربيع الاول سنة خمس وخمسين ورسم أن يتوجه الى صفد بطالا فسار اليها من غير أن يعبر الى القاهرة فلما خلع الملك الصالح صالح وأعيد السلطان حسن في شوال منها نقل منجك من صفد وأنعم عليه بنيابة طرابلس عوضا عن ايتمش الناصرى فسار اليها وأقام بها الى أن قبض على الامير طاز نائب حلب في سنة تسع وخمسين فولى منجك عوضا عنه ولم يزل بحلب الى أن فر منها في سنة ستين فلم يعرف له خبر وعوقب بسببه خلق كثير ثم قبض عليه بدمشق فى سنة احدى وستين فحمل الى مصر وعليه بشت صوف عسلى وعلى رأسه مئزر صوف فلم يؤاخذه السلطان واعطاه امرة طبلخاناه ببلاد الشام وجعله طرخانا يقيم حيث شاء من البلاد الاسلامية وكتب له بذلك فلما قتل السلطان حسن وأقيم من بعده في المملكة الملك المنصور محمد بن المظفر حاجى في جمادي الاولى سنة اثنتين وستين خامر الامير بيدمر نائب الشام على الامير يلبغا العمرى القائم بتدبير دولة الملك المنصور ووافقه جماعة من الامراء منهم الامير منجك فخرج الامير يلبغا بالمنصور والعساكر من قلعة الجبل الى البلاد الشامية فوافي دمشق ومشى الناس بينه وبين الامير بيدمر حتى تم الصلح وحلف الامير يلبغا انه لايؤذي بيدمر ولا منجك فنزلا من قلعة دمشق وقيدهما وبعث بهما الى الاسكندرية فسجنا بها الى أن خلع الامير يلبغا المنصور وأقام بدله الملك الاشرف شعبان بن حسين وقتل الامير يلبغا فأفرج الملك الاشرف عن منجك وولاه نيابة السلطنة بدمشق عوضا عن الامير على الماردانى في جمادي الاولى سنة تسع وستين فلم يزل في نيابة دمشق الى أن حضر الى السلطان زائرا فى سنة سبعين بتقادم كثيرة جليلة وعاد الى دمشق وأقام بها الى أن استدعاه السلطان في سنة خمس وسبعين الى مصر وفوض اليه نيابة السلطنة بديار مصر وعمله اتابك العساكر وجعل تدبير المملكة اليه وأن يخرج الامهات للبلاد الشامية وأن يولى ولاة اقاليم مصر والكشاف ويخرج الاقطاعات بمصر من عبرة ستمائة دينار الى مادونها وكانت عادة النواب قبله أن لايخرج من الاقطاعات الا ماعبرته أربعمائة دينار فما دونها فعمل النيابة على قالب جائر وحرمة وافرة

الى أن مات حتف أنفه في يوم الخميس التاسع والعشرين من ذى الحجة سنة ست وسبعين وسبعمائة وله من العمر نيف وستون سنة وشهد جنازته سائر الاعيان ودفن بتربته المجاورة لجامعه هذا وله سوي الجامع المذكور من الآثار بديار مصر خان منجك في القاهرة ودار منجك برأس سويقة العزى بالقرب من مدرسة السلطان حسن وله بالبلاد الشامية عدة آثار من خانات وغيرها رحمه الله

* ( الجامع الاخضر ) *

هذا الجامع خارج القاهرة بخط فم الخور عرف بذلك لان بابه وقبته فيهما نقوش وكتابات خضر والذي أنشأه خازندار الامير شيخو واسمه ( ٣ )

* ( جامع البكجري ) *

هذا الجامع بحكر البكجرى قريبا من الدكة تعطلت الصلاة فيه منذ خربت تلك الجهات

* ( جامع السروجي ) *

هذا الجامع بحكر ( ٣ )

* ( جامع كرجي ) *

هذا الجامع بحكر أقوش

* ( جامع الفاخرى ) *

هذا الجامع بسويقة الخادم الطواشى شهاب الدين فاخر المنصورى مقدم المماليك السلطانية ومات في سابع ذى الحجة سنة سبع وثمانمائة وكان ذامهابة واخلاق حسنة مع سطوة شديدة ولهم بلبان الفاخري الامير سيف الدين نقيب الجيوش مات فى سنة سبع وتسعين وستمائة وولى نقابة الجيش بعد طيبرس الوزيرى وكان جوادا عارفا بأمر الاجناد خيرا كثير الترف

* ( جامع ابن عبد الظاهر ) *

هذا الجامع بالقرافة الصغرى قبلي قبر الليث بن سعد كان موضعه يعرف بالخندق أنشأه القاضى فتح الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر الجذامى السعدى الروحي من ولد روح بن زنباع الجذامى بجوار قبر أبيه وأول ماأقيمت به الخطبة فى يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة وكان يوما مشهودا لكثرة من حضر من الاعيان * ولد بالقاهرة في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة وسمع من ابن الجميزى وغيره وحدث وكتب في الانشاء وساد فى دولة المنصور قلاون بعقله ورأيه وهمته وتقدم على والده القاضى محيي الدين وهو ماهر في الانشاء والكتابة بحيث كان من جملة من يصرفهم بأمره ونهيه وكان الملك المنصور يعتمد عليه ويثق به ولما ولى القاضى فخر الدين ابن لقمان الوزارة قال له الملك المنصور من يلي عوضك كتابة السر فقال القاضى فتح الدين

ابن عبد الظاهر فولاه كتابة السر عوضا عن ابن لقمان وتمكن من السلطان وحظي عنده حتي أن الوزير فخر الدين بن لقمان ناول السلطان كتابا فأحضر ابن عبد الظاهر لقراءته على عادته فلما أخذ الكتاب من السلطان أمر الوزير أن يتأخر حتي يقرأه فتأخر الوزير ثم ان ابن لقمان صرف عن الوزارة وأعيد الى ديوان الانشاء فتأدب معه فلما ولى وزارة الملك الاشرف خليل بن قلاون شمس الدين بن السلعوس قال لفتح الدين اعرض على كل يوم ماتكتبه فقال لاسبيل لك الى ذلك ولا يطلع على أسرار السلطان الا هو فان اخترتم والا عينوا عوضى فلما بلغ السلطان ذلك قال صدق ولم يزل على حاله الى أن مات وأبوه حي بدمشق فى النصف من شهر رمضان سنة احدى وتسعين وسبعمائة فوجد فى تركته قصيدة مرثية قد عملها في رفيقه تاج الدين أحمد بن سعيد بن محمد بن الاثير لما مرض وطال مرضه فاتفق أن عوفي ابن الاثير ولم يتأخر ابن عبد الظاهر بعد عافيته سوى ليال يسيرة ومرض ومات فرثاه ابن الاثير بعد موته وولى وظيفة كتابة السر عوضاً عنه ولم يكن ابن عبد الظاهر مجيدا في صناعة الانشاء الا انه دبر الديوان وباشره أحسن مباشرة ومن شعره

ان شئت تنظرنى وتنظر حالتي * فانظر اذا هب النسيم قبولا
فتراه مثلى رقة ولطافة * ولاجل قلبك لا أقول عليلا
فهو الرسول اليك منى ليتني * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

ولم يزل هذا الجامع عامرا الى أن حدثت المحن في سنة ست وثمانمائة واختلت القرافة لخراب ماحوله وهو اليوم قائم على أصوله

*( جامع بساتين الوزير التي على بركة الحبش )*

*( جامع الخندق )*

هذا الجامع بناحية الخندق خارج القاهرة ولم يزل عامرا بعمارة الخندق فلما خربت مساكن الخندق تلاشي أمره ونقلت منه الجمعة وبقى معطلا الى شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة فأخذ الامير طوغان الحسني الدوادار عمده الرخام وسقوفه وترك جدرانه ومنارته وهى باقية وعما قليل تدثر كما دثر غيرها مما حولها

*( جامع جزيرة الفيل )* ( ٣ )

*( جامع الطواشى )*

هذا الجامع خارج القاهرة فيما بين باب الشعرية وباب البحر أنشأه الطواشى جوهر السحرتى اللالا وهو من خدام الملك الناصر محمد بن قلاون ثم انه تأمر في تاسع عشرى شهر رجب سنة خمس وأربعين وسبعمائة

*( جامع كراى )*

هذا الجامع بالريدانية خارج القاهرة عمره الامير سيف الدين كراى المنصوري في سنة احدى وسبعمائة لكثرة ماكان هناك من السكان فلما خربت تلك الاماكن تعطل هذا الجامع وهو الآن قائم وجميع ماحوله دائر وعما قليل يدثر

*( جامع القلعة )*

هذا الجامع بقلعة الجبل أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة ثمان عشرة وسبعمائة وكان أولا مكانه جامع قديم وبجواره المطبخ السلطاني والحوائجخاناه والطشتخاناه والفراشخاناه فهدم الجميع وأدخلها في هذا الجامع وعمره أحسن عمارة وعمل فيه من الرخام الفاخر الملون شيئاً كثيرا وعمر فيه قبة جليلة وجعل عليه مقصورة من حديد بديعة الصنعة وفى صدر الجامع مقصورة من حديد أيضاً برسم صلاة السلطان فلما تم بناؤه جلس فيه السلطان بنفسه واستدعى جميع المؤذنين بالقاهرة ومصر وسائر الخطباء والقراء وأمر الخطباء فخطب كل منهم بين يديه وقام المؤذنون فأذنوا وقرأ القراء فاختار الخطيب جمال الدين محمد بن محمد بن الحسن القسطلاني خطيب جامع عمرو وجعله خطيبا بهذا الجامع واختار عشرين مؤذنا رتبهم فيه وجعل به قراء ودرساً وقارئ مصحف وجعل له من الاوقاف ما يفضل عن مصارفه فجاء من أجل جوامع مصر وأعظمها وبه الى اليوم يصلي سلطان مصر صلاة الجمعة والذى يخطب فيه ويصلي بالناس الجمعة قاضى القضاة الشافعي

*( جامع قوصون )*

هذا الجامع داخل باب القرافة تجاه خانقاه قوصون أنشأه الامير سيف الدين قوصون وعمر بجانبه حماما فعمرت تلك الجهة من القرافة بجماعة الخانقاه والجامع وهو باق الى يومنا

*( جامع كوم الريش )*

هذا الجامع عمارة دولات شاه

*( جامع الجزيرة الوسطى )*

أنشأه الطواشي مثقال خادم تذكار ابنة الملك الظاهر بيبرس وهو عامر الى يومنا هذا

*( جامع ابن صارم )*

هذا الجامع بخط بولاق خارج القاهرة أنشأه محمد بن صارم شيخ بولاق فيما بين بولاق وباب البحر

*( جامع الكيمختي )*

هذا الجامع يعرف اليوم بجامع الجنينة وهو بجانب موضع الكيمخت على شاطئ الخليج

من جملة أرض الطبالة كان موضعه دارا اشتراها معلم الكيمخت وكان يعرف بالحموي وعملها جامعا فضمن المعلم بعده رجل يعرف بالرومى فوقف عليه مواضع وجدد له مئذنة في جمادى الاولى سنة اثنتين وثمانمائة ووسع في الجامع قطعة كانت منشراً وكان قبل ذلك قد جدد عمارته شخص يعرف بالفقيه زين الدين ريحان بعد سنة تسعين وسبعمائة وعمر بجانبه مساكن وهو الآن عامر بعمارة ماحوله

*( جامع الست مسكة )*

هذا الجامع بالقرب من قنطرة أق سنقر التي على الخليج الكبير خارج القاهرة أنشأته الست مسكة جارية الملك الناصر محمد بن قلاون وأقيمت فيه الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة احدى وأربعين وسبعمائة وقد ذكرت مسكة هذه عند ذكر الاحكار

*( جامع ابن الفلك )*

هذا الجامع بسويقة الجميزة من الحسينية خارج القاهرة أنشأه مظفر الدين بن الفلك (٣)

*( جامع التكرورى )*

هذا الجامع فى ناحية بولاق التكرورى وهذه الناحية من جملة قرى الجيزة كانت تعرف بمنية بولاق ثم عرفت ببولاق التكرورى فانه كان نزل بها الشيخ أبو محمد يوسف بن عبد الله التكرورى وكان يعتقد فيه الخير وجربت بركة دعائه وحكيت عنه كرامات كثيرة منها ان امرأة خرجت من مدينة مصر تريد البحر فأخذ السودان ابنها وساروا به فى مركب وفتحوا القلع فجرت السفينة وتعلقت المرأة بالشيخ تستغيث به فخرج من مكانه حتى وقف على شاطئ النيل ودعا الله سبحانه وتعالى فسكن الريح ووقفت السفينة عن السير فنادى من في المركب يطلب منهم الصبى فدفعوه اليه وناوله لامه وكان بمصر رجل دباغ أتاه عفص فأخذه منه أصحاب السلطان فأتى الى الشيخ وشكا اليه ضرورته فدعا ربه فرد الله عليه عفصه بسؤال أصحاب السلطان له فى ذلك وكان يقال له لم لاتسكن المدينة فيقول اني أشم رائحة كريهة اذا دخلتها ويقال انه كان في خلافة العزيز بن المعز وان الشريف محمد بن أسعد الجواني جمع له جزأ فى مناقبه ولما مات بنى عليه قبة وعمل بجانبه جامع جدده ووسعه الامير محسن الشهابى مقدم المماليك وولى تقدمة المماليك عوضاً عن الطواشي عنبر السحرتي أول صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ومات في (٣) ثم ان النيل مال على ناحية بولاق هذه فيما بعد سنة تسعين وسبعمائة وأخذ منها قطعة عظيمة كانت كلها مساكن فخاف أهل البلد أن يأخذ ضريح الشيخ والجامع لقربهما منه فنقلوا الضريح والجامع الى داخل البلد وهو باق الى يومنا هذا

*( جامع البرقية )*

هذا الجامع بالقرب من باب البرقية بالقاهرة عمره الامير مغلطاى الفخري أخو الامير الماس الحاجب وكمل في المحرم سنة ثلاثين وسبعمائة وكان ظالما عسوفا متكبرا جبارا قبض عليه مع أخيه الماس في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وقتل معه

*( جامع الحرانى )*

هذا الجامع بالقرافة الصغرى في بحرى الشافعى عمره ناصر الدين بن الحرانى الشرايشى في سنة تسع وعشرين وسبعمائة

*( جامع بركة )*

هذا الجامع بالقرب من جامع ابن طولون يعرف خطه بحدرة ابن قميحة عمره شخص من الجند يعرف ببركة كان يباشر أستادارية الامراء ومات بعد سنة احدى وثمانمائة

*( جامع بركة الرطلى )*

هذا الجامع كان يعرف موضعه ببركة الفول من جملة أرض الطبالة فلما عمرت بركة الرطلي كما تقدم ذكره أنشئ هذا الجامع وكان ضيقا قصير السقف وفيه قبة تحتها قبر زار وهو قبر الشيخ خليل بن عبد ربه خادم الشيخ عبد العال وتوفى في المحرم سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة فلما سكن الوزير الصاحب سعد الدين ابراهيم بن بركة البشيرى بجوار هذا الجامع هدمه ووسع فيه وبناه هذا البناء في سنة أربع عشرة وثمانمائة * وولد البشيرى في سابع ذي القعدة سنة ست وستين وسبعمائة وتنقل فى الخدم الديوانية حتي ولى نظر الدولة الى أن قتل الامير جمال الدين يوسف الاستادار فاستقر بعده في الوزارة بسفارة فتح الدين فتح الله بن كاتب السر في يوم الثلاثاء رابع عشر جمادي الاولى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة فباشر الوزارة بضبط جيد لمعرفته الحساب والكتابة الا انها كانت أيام محن احتاج فيها الى وضع يده وأخذ الاموال بأنواع الظلم فلما قتل الملك الناصر فرج واستبد الملك المؤيد شيخ صرفه عن الوزارة فى يوم الخميس خامس جمادى الاولى سنة ست عشرة وثمانمائة ودفن بالقرافة وهذا الجامع عامر بعمارة ماحوله

*( جامع الضوة )*

هذا الجامع فيما بين الطبلخاناه السلطانية وباب القلعة المعروف بباب المدرج على رأس الضوة أنشأه الامير الكبير شيخ المحمودى لما قدم من دمشق بعد قتل الملك الناصر فرج واقامة الخليفة أمير المؤمنين المستعين بالله العباسي ابن محمد فى سنة خمس عشرة وثمانمائة وسكن بالاصطبل السلطاني فشرع في بناء دار يسكنها فلما استبد بسلطنة مصر وتلقب بالملك المؤيد استغنى عن هذه الدار وكانت لم تكمل فعملها جامعا وخانقاه وصارت الجمعة تقام به

*( جامع الحوش )*

هذا الجامع في داخل قلعة الجبل بالحوش السلطانى أنشأه السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق في سنة اثنتى عشرة وثمانمائة فصار يصلي فيه الخدام وأولاد الملوك من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاون الى أن قتل الناصر فرج

*( جامع الاصطبل )*

هذا الجامع فى الاصطبل السلطانى من قلعة الجبل عمره ( ٣ )

*( جامع ابن التركمانى )*

هذا الجامع بالمقس خارج القاهرة

*( جامع ٣ )*

هذا الجامع بخط السبع سقايات فيما بين القاهرة ومصر يطل على بركة قارون أنشأه ( ٣ )

*( جامع الباسطي )*

هذا الجامع في بولاق خارج القاهرة أدركت موضعه وهو مطل على النيل طول السنة أنشأه شخص من عرض الفقهاء يعرف ٣ في سنة سبع عشرة وثمانمائة

* ( جامع الحنفى ) *

هذا الجامع خارج القاهرة أنشأه الشيخ شمس الدين محمد بن حسن بن على الحنفى فى سنة سبع عشرة وثمانمائة

* ( جامع ابن الرفعة ) *

هذا الجامع خارج القاهرة بحكر الزهري أنشأه الشيخ فخر الدين عبد المحسن بن الرفعة ابن أبي المجد العدوي

* ( جامع الاسماعيلى ) *

أنشأه الامير أرغون الاسماعيلى على البركة الناصرية في شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة

* ( جامع الزاهد ) *

هذا الجامع بخط المقس خارج القاهرة كان موضعه كوم تراب فنقله الشيخ المعتقد أحمد ابن ( ٣ ) المعروف بالزاهد وأنشأ موضعه هذا الجامع فكمل فى شهر رمضان سنة ثمان عشرة وثمانمائة وهدم بسببه عدة مساجد قد خرب ماحولها وبني بأنقاضها هذا الجامع وكان ساكنا مشهوراً بالخير يعظ الناس بالجامع الازهر وغيره ولطائفة من الناس فيه عقيدة حسنة ولم يسمع عنه الاخير مات يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الاول سنة تسع عشرة وثمانمائة أيام الطاعون ودفن بجامعه

* ( جامع ابن المغربي ) *

هذا الجامع بالقرب من بركة قرموط مطل على الخليج الناصرى أنشأه صلاح الدين يوسف بن المغربى رئيس الاطباء بديار مصر وبنى بجانبه قبة دفن فيها وعمل به درسا وقراء ومنبرا يخطب عليه في يوم الجمعة وكان عامرا بعمارة ماحوله فلما خرب خط بركة قرموط تعطل وهو آيل الى أن ينقض ويباع كما بيعت أنقاض غيره

* ( جامع الفخرى ) *

هذا الجامع بجوار دار الذهب التى عرفت بدار بهادر الاعسر المجاورة لقبو الذهب من خط بين السورين فيما بين الخوخة وباب سعادة ويتوصل اليه أيضاً من درب المداس المجاور لحارة الوزيرية أنشأه الامير فخر الدين عبد الغني ابن الامير تاج الدين عبد الرزاق ابن أبى الفرج الاستادار في سنة احدى وعشرين وثمانمائة وخطب فيه يوم الجمعة ثامن عشرى شعبان من السنة المذكورة وعمل فيه عدة دروس وأول من خطب فيه الشيخ ناصر الدين محمد بن عبد الوهاب بن محمد البارنبارى الشافعى ثم تركه تنزهاً عنه وفى يوم الاحد ثامن شهر رمضان جلس فيه الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الدائم البرماوى الشافعي للتدريس وأضيف اليه مشيخة التصوف وقرر قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى المقدسى الحنفى في تدريس الحنفية وفى تدريس المالكية قاضي القضاة جمال الدين عبد الله بن مقداد المالكي وحضر البرماوى وظيفة التصوف بعد عصر يومه فمات الامير فخر الدين في نصف شوال منها ولم يكمل فدفن هناك

* ( الجامع المؤيدى ) *

هذا الجامع بجوار باب زويلة من داخله كان موضعه خزانة شمائل حيث يسجن أرباب الجرائم وقيسارية سنقر الاشقر ودرب الصفيرة وقيسارية بهاء الدين ارسلان أنشأه السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى الظاهري فهو الجامع الجامع لمحاسن البنيان الشاهد بفخامة أركانه وضخامة بنيانه أن منشئه سيد ملوك الزمان يحتقر الناظر له عند مشاهدته عرش بلقيس وايوان كسرى أنو شروان ويستصغر من تأمل بديع اسطوانه الخورنق وقصر غمدان ويعجب من عرف أوليته من تبديل الابدال وتنقل الامور من حال الى حال بينا هو سجن تزهق فيه النفوس ويضام المجهود اذ صار مدارس آيات وموضع عبادات ومحل سجود فالله يعمره ببقاء منشيه ويعلى كلمة الايمان بدوام ملك بانيه

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
أو ماترى الهرمين قد بقيا وكم * ملك محاه حوادث الازمان
ان البناء اذا تعاظم قدره * أضحي يدل على عظم الشان

وأول مابتدئ به فى أمر هـذا الجامع أن رسم فى رابع شهر ربيع الاول سـنة ثمان عشرة وثمانمائة بانتقال سكان قيسارية سنقر الاشقر التي كانت تجاه قيسارية الفاضل ثم نزل جماعة من أرباب الدولة في خامسه من قلعة الجبل وابتدئ فى الهدم فى القيسارية المذكورة وما يجاورها فهدمت الدور التي كانت هناك في درب الصفيرة وهدمت خزانة شمائل فوجد بها من رمم القتلى ورؤسهم شيء كثير وافرد لنقل ماخرج من التراب عدة من الجمال والحمير بلغت علائقهم في كل يوم خمسمائة عليقة * وكان السبب في اختيار هذا المكان دون غيره أن السلطان حبس في خزانة شمائل هذه أيام تغلب الامير منطاش وقبضه على المماليك الظاهرية فقاسى في ليلة من البق والبراغيث شدائد فنذر لله تعالى ان تيسر له ملك مصر أن يجعل هذه البقعة مسجدا لله عز وجل ومدرسة لاهل العلم فاختار لذلك هـذه البقعة وفاء لنذره * وفى رابع جمادى الآخرة كان ابتداء حفر الاساس وفي خامس صفر سـنة تسع عشرة وثمانمائة وقع الشروع فى البناء واستقر فيه بضع وثلاثون بناء ومائة فاعل ووفيت لهم ولمباشريهم أجورهم من غير أن يكلف أحد فى العمل فوق طاقته ولا سخر فيه أحد بالقهر فاستمر العمل الى يوم الخميس سابع عشر ربيع الاول فأشهد عليه السلطان أنه وقف هذا مسجدا لله تعالى ووقف عليه عدة مواضع بديار مصر وبلاد الشام وتردد ركوب السلطان الى هذه العمارة عدة مرار * وفى شعبان طلبت عمد الرخام وألواح الرخام لهذا الجامع فأخذت من الدور والمساجد وغيرها وفى يوم الخميس سابع عشرى شوال نقل باب مدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاون والتنور النحاس المكفت الى هذه العمارة وقد اشتراهما السلطان بخمسمائة دينار وهذا الباب هو الذى عمل لهذا الجامع وهـذا التنور هو التنور المعلق تجاه المحراب وكان الملك الظاهر برقوق قد سد باب مدرسة السلطان حسن وقطع البسطة التى كانت قدامه كما تقدم فبقى مصراعا الباب والسد من ورائهما حتي نقلا مع التنور الذى كان معلقاً هناك * وفى ثامن عشريه دفنت ابنة صغيرة للسلطان فى موضع القبة الغربية من هذا الجامع وهي ثانى ميت دفن بها وانعقدت جملة ماصرف في هذه العمارة الى سلخ ذى الحجة سنة تسع عشرة على أربعين ألف دينار ثم نزل السلطـان فى عشري المحرم الى هذه العمارة ودخل خزانة الكتب التى عملت هناك وقد حمل اليها كتبا كثيرة فى أنواع العلوم كانت بقلعة الجبل وقدم له ناصر الدين محمد البارزى كاتب السر خمسمائة مجلد قيمتها ألف دينار فاقر ذلك بالخزانة وأنعم على ابن البارزي بأن يكون خطيبا وخازن الكتب هو ومن بعده من ذريته * وفى سابع عشر شهر ربيع الآخر منها سقط عشرة من الفعلة مات منهم أربعة وحمل ستة بأسوا حال * وفى يوم الجمعة ثانى جمادى الاولى أقيمت الجمعة به ولم يكمل منه سوى الايوان القبلي وخطب وصلي بالناس عز الدين عبد السلام المقدسي

أحد نواب القضاة الشافعية نيابة عن ابن البارزى كاتب السر * وفى يوم السبت خامس شهر رمضان منها ابتدئ بهدم ملك بجوار ربع الملك الظاهر بيبرس مما اشتراه الامير فخر الدين عبد الغني بن أبي الفرج الاستادار ليعمل ميضأة واستمر العمل هناك ولازم الامير فخر الدين الاقامة بنفسه واستعمل مماليكه والزامه فيه وجدد فى العمل كل يوم فكملت فى سلخه بعد خمسة وعشرين يوما ووقع الشروع فى بناء حوانيت على بابها من جهة تحت الربع ويعلوها طباق وبلغت النفقة على الجامع الى أخريات شهر رمضان هذا سوى عمارة الامير فخر الدين المذكور زيادة على سبعين ألف دينار وتردد السلطان الى النظر فى هذا الجامع غير مرة* فلما كان فى اثناء شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين ظهر بالمئذنة التى أنشئت على بدنة باب زويلة التى تلي الجامع اعوجاج الى جهة دار التفاح فكتب محضر بجماعة المهندسين أنها مستحقة الهدم وعرض على السلطان فرسم بهدمها فوقع الشروع فى الهدم يوم الثلاثاء رابع عشريه واستمر فى كل يوم فسقط يوم الخميس سادس عشريه منها حجر هدم ملكا تجاه باب زويلة هلك تحته رجل فغلق باب زويلة خوفا على المارة من يوم السبت الى آخر يوم الجمعة سادس عشرى جمادى الاولى مدة ثلاثين يوما ولم يعهد وقوع مثل هذا قط منذ بنيت القاهرة * وقال أدباء العصر فى سقوط المنارة المذكورة شعرا كثيرا منه ماقاله حافظ الوقت شهاب الدين أحمد بن على بن حجر الشافعى رحمه الله

لجامع مولانا المؤيد رونق * منارته تزهو من الحسن والزين
تقول وقد مالت عليهم تمهلوا * فليس على جسمى أضر من العين

فتحدث الناس أنه فى قوله بالعين قصد التورية لتخدم فى العين التي تصيب الاشياء فتتلفها وفي الشيخ بدر الدين محمود العينتابي فانه يقال له العيني أيضاً

فقال المذكور يعارضه

منارة كعروس الحسن اذ جليت * وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط * ماأوجب الهدم الا خسة الحجر

يعرض بالشهاب ابن حجر وكل منهما لم يصب الغرض فان العيني بدر الدين محمودا ناظر الاحباس والشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر كل منهما ليس له في المئذنة تعلق حتى تخدم التورية وأقعد منهما بالتورية من قال

على البرج من باب زويلة أسست * منارة بيت الله والمعهد المنجي
فأخلى بها البرج اللعين أمالها * الا فاصرخوا ياقوم باللعن للبرج

وذلك أن الذى ولى تدبير أمر الجامع المؤيدى هذا وولى نظر عمارته بهاء الدين محمد ابن البرجي فخدمت التورية في البرجي كما ترى وتداول هذا الناس فقال آخر

عتبنا على ميل المنار زويلة * وقلنا تركت الناس بالميل في هرج
فقال قريني برج نحس أمالني * فلا بارك الرحمن في ذلك البرج

وقال الاديب شمس الدين محمد بن أحمد بن كمال الجوجري أحد الشهود

منارة لثواب الله قد بنيت * فكيف هدت فقالوا نوضح الخبرا
أصابت العين أحجارا بها انفلقت * ونظرة العين قالوا تفلق الحجرا

وقال آخر

منارة قد هدمت بالقضا * والناس في هرج وفي رهج
أمالها البرج فمالت به * فلعنة الله على البرج

وفي ثالث جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين استقر الشيخ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر في تدريس الشافعية والشيخ يحيي بن محمد بن أحمد العجيسي البجائي المغربي في تدريس المالكية وعز الدين عبد العزيز بن علي بن الفخر البغدادي في تدريس الحنابلة وخلع عليهم بحضرة السلطان فدرس ابن حجر بالمحراب في يوم الخميس ثالث عشره ونزل السلطان وأقبل ليحضر عنده وهو في القاء الدرس ومنعه من القيام له فلم يقم واستمر فيما هو بصدده وجلس السلطان عنده مليا ثم درس يحيي المغربي في يوم الخميس خامس عشره ودرس فيه أيضاً الفخر البغدادي وحضر معهما قضاة القضاة والمشايخ * وفي سابع عشره استقر بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العينتابي ناظر الاحباس في تدريس الحديث النبوي واستقر شمس الدين محمد بن يحيي في تدريس القراآت السبع * وفي يوم الجمعة حادي عشري شوال منها نزل السلطان الى هذا الجامع وقد تقدم الى المباشرين من أمسه بتهيئة السماط العظيم للمدة فيه والسكر الكثير لتملأ البركة التي بالصحن من السكر المذاب والحلوى الكثيرة فهيئ ذلك كله وجلس السلطان بكرة النهار بالقرب من البركة في الصحن على تخت واستعرض الفقهاء فقرر من وقع اختياره عليه في الدروس ومد السماط العظيم بأنواع المطاعم وملئت البركة بالسكر المذاب فأكل الناس ونهبوا وارتووا من السكر المذاب وحملوا منه ومن الحلوي ماقدروا عليه ثم طلب قاضي القضاة شمس الدين محمد بن سعد الديري الحنفي وخلع عليه كاملية صوف بفرو سمور واستقر في مشيخة التصوف وتدريس الحنفية وجلس بالمحراب والسلطان عن يمينه ويليه ابنه المقام الصارمي ابراهيم وعن يساره قضاة القضاة ومشايخ العلم وحضر أمراء الدولة ومباشروها فألقي درسا مفيدا الى أن قرب وقت الصلاة فدعا بفض المجلس ثم حضرت الصلاة فصعد ناصر الدين محمد بن البارزي كاتب السر المنبر فخطب وصلى ثم خلع عليه واستقر خطيبا وخازن الكتب وخلع على شهاب الدين أحمد الاذرعي الامام واستقر في امامة الخمس وركب السلطان وكان يوما مشهودا

ولما مات المقام الصارمي ابراهيم ابن السلطان دفن بالقبة الشرقية ونزل السلطان حتي شهد دفنه في يوم الجمعة ثاني عشري جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وأقام حتى صلى به الخطيب أحمد البارزي كاتب السر صلاة الجمعة بعدما خطب خطبة بليغة ثم عاد الى القلعة وأقام القراء على قبره يقرأون القرآن أسبوعا والامراء وسائر أهل الدولة يترددون اليه وكانت ليالى مشهودة *وفي يوم السبت آخره استقر في نظر الجامع المذكور الامير مقبل الدوادار وكاتب السر ابن البارزي فنزلا اليه جميعا وتفقدا أحواله ونظرا في أموره فلما مات ابن البارزي فى ثامن شوال منها انفرد الامير مقبل بالتحدث الى أن مات السلطان في يوم الاثنين ثامن المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة فدفن بالقبة الشرقية ولم تكن عمرت فشرع في عمارتها حتى كملت فى شهر ذي القعدة منها وكذلك الدرج التي يصعد منها الى باب هذا الجامع من داخل باب زويلة لم تعمل الا فى شهر رمضان منها وبقيت بقايا كثيرة من حقوق هذا الجامع لم تعمل منها القبة التي تقابل القبة المدفون تحتها السلطان والبيوت المعدة لسكن الصوفية وغير ذلك فأفرد لعمارتها نحو من عشرين ألف دينار واستقر نظر هذا الجامع بعد موت السلطان بيد كاتب السر

## * ( الجامع الاشرفي ) *

هذا الجامع فيما بين المدرسة السيوفية وقيسارية العنبر كان موضعه حوانيت تعلوها رباع ومن ورائها ساحات كانت قياسر بعضها وقف على المدرسة القطبية فابتدأ الهدم فيها بعد ما استبدلت بغيرها أول شهر رجب سنة ست وعشرين وثمانمائة وبني مكانها فلما عمر الايوان القبلي أقيمت به الجمعة في سابع جمادى الاولى سنة سبع وعشرين وخطب به الحموى الواعظ وقد ولي الخطابة المذكورة

## * ( الجامع الباسطي ) *

هذا الجامع بخط الكافوري من القاهرة كان موضعه من جملة أراضى البستان ثم صار مما اختط كما تقدم ذكره فأنشأه القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل بن ابراهيم الدمشقي ناظر الجيوش في سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة ولم يسخر أحدا فى عمله بل وفى لهم أجورهم حتي كمل فى أحسن هندام وأكيس قالب وأبدع زي ترتاح النفوس لرؤيته وتبتهج عند مشاهدته فهو الجامع الزاهر والمعبد الباهي الباهر ابتدئ فيه باقامة الجمعة في يوم الجمعة الثاني من صفر سنة ثلاث وعشرين ورتب في خطابته فتح الدين أحمد بن محمد ابن النقاش أحد شهود الحوانيت وموقعي القضاة ثم رتب به صوفية وولى مشيخة التصوف عز الدين عبد السلام بن داود بن عثمان المقدسى الشافعي أحد نواب الحكم فكان ابتداء حضورهم بعد عصر يوم السبت أول شهر رجب منها وأجرى للفقراء الصوفية الخبز في كل

يوم والمعلوم في كل شهر وبنى لهم مساكن وحفر صهريجاً يملأ من ماء النيل ويسبل في كل يوم فعم نفعه وكثر خيره * ثم تجدد في بولاق جامع ابن الجابى وجامع ابن السنيتي وتجدد في مصر جامع الحسنات بخط دار النحاس وفي حكر الصبان الجامع المعروف بالمستجد وبجامع الفتح وفي حارة الفقراء جامع عبد اللطيف الطواشى الساقي * وتجدد فى خارج القاهرة بسويقة صفية جامع ابن درهم ونصف وفى خط معدية فريج جامع كزل بغا وفي رأس درب النيدى جامع حارس الطير وفي سويقة عصفور جامع القاضى أمين الدين بجانب زاوية الفقيه المعتقد أبى عبد الله محمد الفارقاني بني في سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة وبخط البراذعيين ورأس حارة الحرمين جامع الحاج محمد المعروف بالمسكين مهتار ناظر الخاص * وتجدد في المراغة جامع الشيخ أبى بكر المعرّف بناه الحاج أحمد القماح وأقيمت خطبة بخانكاه الامير جاني بك الاشرفي خارج باب زويلة وتوفى يوم الخميس سابع عشرى ربيع الاول سنة احدى وثلاثين وثمانمائة وبخط باب اللوق جامع مقدم السقائين قريباً من جامع الست نصرة وبخط تحت الربع خارج باب زويلة جامع * وتجدد بالصحراء قريباً من تربة الظاهر برقوق خطبة في تربة السلطان الملك الاشرف برسباى الدقماقي * وتجدد فى آخر سويقة أمير الجيوش بالقاهرة جامع أنشاه الفقير المعتقد محمد الغمري وأقيمت به الجمعة في يوم الجمعة رابع ذى الحجة سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة قبل أن يكمل * وتجدد فى زاوية الشيخ أبى العباس البصير التي عند قنطرة الحرق خطبة * وتجدد في حدرة الكماجيين من أراضى اللوق خطبة بزاوية مطلة على غيط العدة * وتجدد بالصحراء خطبة فى تربة الامير مشير الدولة كافور الزمام وتوفي في خامس عشر ربيع الآخر سنة ثلاثين وثمانمائة * وتجدد بخط الكافورى خطبة أحدثها بنو وفاء في جامع لطيف جداً * وتجدد بمدرسة ابن البقرى من القاهرة أيضاً خطبة في أيام المؤيد شيخ * وتجدد بحارة الديلم خطبة فى مدرسة أنشأها الطواشى مشير الدولة المذكور * وتجدد عند قنطرة قدادار خطبة أنشأها شاكر البناء وخطبة بالقرب منها فى جامع أنشأه الحاج ابراهيم البرددار الشهير بالحمصانى أحد الفقراء الاحمدية السطوحية فى حدود الثلاثين والثمانمائة

*( ذكر مذاهب أهل مصر ونحلهم منذ افتتح عمرو بن العاص رضى الله عنه أرض مصر الى أن صاروا الى اعتقاد مذاهب الائمة رحمهم الله تعالى وما كان من الاحداث فى ذلك )*

اعلم أن الله عز وجل لما بعث نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا الى كافة الناس جميعاً عربهم وعجمهم وهم كلهم أهل شرك وعبادة لغير الله تعالى الا بقايا من أهل الكتاب كان من أمره صلى الله عليه وسلم مع قريش ما كان حتي هاجر من مكة الى المدينة فكانت الصحابة رضوان الله عليهم حوله صلى الله عليه وسلم يجتمعون اليه في كل وقت مع ما كانوا

فيه من ضنك المعيشة وقلة القوت فمنهم من كان يحترف فى الاسواق ومنهم من كان يقوم على نخله ويحضر رسول الله صلي الله عليه وسلم فى كل وقت ومنهم طائفة عند ماتجد أدني فراغ مما هم بسبيله من طلب القوت فاذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسألة أو حكم بحكم أو أمر بشئ أو فعل شيئاً وعاه من حضر عنده من الصحابة وفات من غاب عنه علم ذلك ألا ترى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد خفى عليه ماعمله حمل بن مالك بن النابغة رجل من الاعراب من هذيل في دية الجنين وخفى عليه * وكان يفتى فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله ابن مسعود وأبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وأبو موسى الاشعرى وسلمان الفارسى رضى الله عنهم * فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر الصديق رضى الله عنه تفرقت الصحابة رضى الله عنهم فمنهم من خرج لقتال مسيلمة وأهل الردة ومنهم من خرج لقتال أهل الشام ومنهم من خرج لقتال أهل العراق وبقى من الصحابة بالمدينة مع أبي بكر رضى الله عنه عدة فكانت القضية اذا نزلت بأبى بكر رضى الله عنه قضى فيها بما عنده من العلم بكتاب الله أو سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم فان لم يكن عنده فيها علم من كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل من بحضرته من الصحابة رضى الله عنهم عن ذلك فان وجد عندهم علما من ذلك رجع اليه والا اجتهد في الحكم * ولما مات أبو بكر وولى أمر الامة من بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتحت الامصار وزاد تفرق الصحابة رضى الله عنهم فيما افتتحوه من الاقطار فكانت الحكومة تنزل بالمدينة أو غيرها من البلاد فان كان عند الصحابة الحاضرين لها فى ذلك أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم به والا اجتهد أمير تلك البلدة فى ذلك وقد يكون في تلك القضية حكم عن النبى صلى الله عليه وسلم موجود عند صاحب آخر وقد حضر المدنى مالم يحضر المصرى وحضر المصري مالم يحضر الشامي وحضر الشامى مالم يحضر البصرى وحضر البصرى مالم يحضر الكوفى وحضر الكوفي مالم يحضر المدني كل هذا موجود فى الآثار وفيما علم من مغيب بعض الصحابة عن مجلس النبى صلي الله عليه وسلم فى بعض الاوقات وحضور غيره ثم مغيب الذى حضر أمس وحضور الذى غاب فيدرى كل واحد منهم ماحضر ويفوته ماغاب عنه فمضى الصحابة رضى الله عنهم على ماذكرنا ثم خلف بعدهم التابعون الآخذون عنهم وكل طبقة من التابعين فى البلاد التى تقدم ذكرها فانما تفقهوا مع من كان عندهم من الصحابة فكانوا لايتعدون فتاويهم الا اليسير مما بلغهم عن غير من كان فى بلادهم من الصحابة رضى الله عنهم كاتباع أهل المدينة فى الاكثر فتاوى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما واتباع أهل الكوفة في الاكثر فتاوى

عبد الله بن مسعود رضى الله عنه واتباع أهل مكة فى الاكثر فتاوى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما واتباع أهل مصر في الاكثر فتاوى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ثم أتي من بعد التابعين رضي الله عنهم فقهاء الامصار كأبي حنيفة وسفيان وابن أبى ليلي بالكوفة وابن جريج بمكة ومالك وابن الماجشون بالمدينة وعثمان البتي وسوار بالبصرة والاوزاعي بالشام والليث بن سعد بمصر فجروا على تلك الطريق من أخذ كل واحد منهم عن التابعين من أهل بلده فيما كان عندهم واجتهادهم فيما لم يجدوا عندهم وهو موجود عند غيرهم * ( وأما مذاهب أهل مصر ) * فقال أبو سعيد بن يونس ان عبيد بن مخمر المغافرى يكنى أبا أمية رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شهد فتح مصر روى عنه أبو قبيل يقال انه كان أول من أقرأ القرآن بمصر * وذكر أبو عمرو الكندي أن أبا ميسرة عبد الرحمن بن ميسرة مولى الملامس الحضرمى كان فقيها عفيفاً شريفا ولد سنة عشر ومائة وكان أول الناس اقراء بمصر بحرف نافع قبل الخمسين ومائة وتوفى سنة ثمان وثمانين ومائة وذكر عن أبي قبيل وغيره أن يزيد بن أبى حبيب أول من نشر العلم بمصر فى الحلال والحرام وفي رواية ابن يونس ومسائل الفقه وكانوا قبل ذلك انما يحدثون فى الفتن والترغيب * وعن عون بن سليمان الحضرمى قال كان عمر بن عبد العزيز قد جعل الفتيا بمصر الى ثلاثة رجال رجلان من الموالي ورجل من العرب فأما العربي فجعفر بن ربيعة وأما الموليان فيزيد ابن أبى حبيب وعبد الله بن أبى جعفر فكان العرب انكروا ذلك فقال عمر بن عبد العزيز ماذنبي ان كانت الموالى تسمو بأنفسها صعدا وانتم لاتسمون وعن ابن أبى قديد كانت البيعة اذا جاءت للخليفة أول من يبايع عبد الله بن أبى جعفر ويزيد بن أبى حبيب ثم الناس بعد * وقال أبو سعيد بن يونس في تاريخ مصر عن حيوة بن شريح قال دخلت على حسين ابن شفى بن مانع الاصبحى وهو يقول فعل الله بفلان فقلت ماله فقال عمد الى كتابين كان شفى سمعهما من عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أحدهما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كذا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا والآخر مايكون من الاحداث الى يوم القيامة فأخذهما فرمى بهما بين الخولة والرباب قال أبو سعيد بن يونس يعني بقوله الخولة والرباب مركبين كبيرين من سفن الجسر كانا يكونان عند رأس الجسر مما يلي الفسطاط يجوز من تحتهما لكبرهما المراكب * وذكر أبو عمرو الكندى أن أبا سعيد عثمان بن عتيق مولى غافق أول من رحل من اهل مصر الي العراق في طلب الحديث توفى سنة أربع وثمانين ومائة انتهى * وكان حال أهل الاسلام من أهل مصر وغيرها من الامصار في أحكام الشريعة على ماتقدم ذكره ثم كثر الترحل الى الآفاق وتداخل الناس والتقوا وانتدب أقوام لجمع الحديث النبوى وتقييده فكان أول من دون العلم محمد ابن شهاب الزهرى وكان أول من صنف وبوب سعيد بن عروبة والربيع

ابن صبيح بالبصرة ومعمر بن راشد باليمن وابن جريج بمكة ثم سفيان الثوري بالكوفة وحماد ابن سلمة بالبصرة والوليد بن مسلم بالشام وجرير بن عبد الحميد بالري وعبد الله بن المبارك بمرو وخراسان وهشيم بن بشير بواسط وتفرد بالكوفة أبو بكر بن أبي شيبة بتكثير الابواب وجودة التصنيف وحسن التأليف فوصلت أحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم من البلاد البعيدة الى من لم تكن عنده وقامت الحجة على من بلغه شئ منها وجمعت الاحاديث المبينة لصحة أحد التأويلات المتأولة من الاحاديث وعرف الصحيح من السقيم وزيف الاجتهاد المؤدى الى خلاف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ترك عمله وسقط العذر عمن خالف مابلغه من السنن ببلوغه اليه وقيام الحجة عليه وعلى هذا الطريق كان الصحابة رضى الله عنهم وكثير من التابعين يرحلون في طلب الحديث الواحد الايام الكثيرة يعرف ذلك من نظر في كتب الحديث وعرف سير الصحابة والتابعين * فلما قام هارون الرشيدى الخلافة وولى القضاء أبا يوسف يعقوب بن ابراهيم أحد أصحاب أبى حنيفة رحمه الله تعالى بعد سنة سبعين ومائة فلم يقلد ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر الا من أشار به القاضى أبو يوسف رحمه الله واعتنى به وكذلك لما قام بالاندلس الحكم المرتضى بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بعد أبيه وتلقب بالمنتصر في سنة ثمانين ومائة اختص يحيي بن يحيي بن كثير الاندلسي وكان قد حج وسمع الموطأ من مالك الا أبوابا وحمل عن ابن وهب وعن ابن القاسم وغيره علما كثيراً وعاد الى الاندلس فنال من الرياسة والحرمة مالم ينله غيره وعادت الفتيا اليه وانتهى السلطان والعامة الى بابه فلم يقلد في سائر أعمال الاندلس قاض الا باشارته واعتنائه فصاروا على رأي مالك بعد ما كانوا على رأى الاوزاعى وقد كان مذهب الامام مالك أدخله الى الاندلس زياد بن عبد الرحمن الذى يقال له بسطور قبل يحيي بن يحيي وهو أول من أدخل مذهب مالك الاندلس وكانت أفريقية الغالب عليها السنن والآثار الى أن قدم عبد الله بن فروج أبو محمد الفارسى بمذهب أبى حنيفة ثم غلب أسد بن الفرات بن سنان قاضى أفريقية بمذهب أبى حنيفة ثم لما ولى سحنون بن سعيد التنوخى قضاء أفريقية بعد ذلك نشر فيهم مذهب مالك وصار القضاء في أصحاب سحنون دولا يتصاولون على الدنيا تصاول الفحول على الشول الى أن تولى القضاء بها بنو هاشم وكانوا مالكية فتوارثوا القضاء كما تتوارث الضياع ثم ان المعز بن باديس حمل جميع أهل أفريقية على التمسك بمذهب مالك وترك ماعداه من المذاهب فرجع أهل أفريقية وأهل الاندلس كلهم الى مذهب مالك الى اليوم رغبة فيما عند السلطان وحرصا على طلب الدنيا اذ كان القضاء والافتاء في جميع تلك المدن وسائر القرى لا يكون الا لمن تسمى بالفقه على مذهب مالك فاضطرت العامة الى أحكامهم وفتاواهم ففشا هذا المذهب

هناك فشوا طبق تلك الاقطار كما فشا مذهب أبي حنيفة ببلاد المشرق حيث ان أبا حامد الاسفرايني لما تمكن من الدولة في أيام الخليفة القادر بالله أبي العباس أحمد قرر معه استخلاف أبي العباس أحمد بن محمد البارزى الشافعي عن أبي محمد بن الاكفاني الحنفي قاضي بغداد فأجيب اليه بغير رضا الاكفاني وكتب أبو حامد الى السلطان محمود بن سبكتكين وأهل خراسان أن الخليفة نقل القضاء عن الحنفية الى الشافعية فاشتهر ذلك بخراسان وصار أهل بغداد حزبين وقدم بعد ذلك أبو العلاء صاعد بن محمد قاضي نيسابور ورئيس الحنفية بخراسان فأتاه الحنفية فثارت بينهم وبين أصحاب أبي حامد فتنة ارتفع أمرها الى السلطان فجمع الخليفة القادر الاشراف والقضاة وأخرج اليهم رسالة تتضمن ان الاسفرايني أدخل على أمير المؤمنين مداخل أوهمه فيها النصح والشفقة والامانة وكانت على أصول الدخل والخيانة فلما تبين له أمره ووضح عنده خبث اعتقاده فيما سأل فيه من تقليد البارزى الحكم بالحضرة من الفساد والفتنة والعدول بأمير المؤمنين عما كان عليه أسلافه من ايثار الحنفية وتقليدهم واستعمالهم صرف البارزى وأعاد الامر الى حقه وأجراه على قديم رسمه وحمل الحنفيين على ما كانوا عليه من العناية والكرامة والحرمة والاعزاز وتقدم اليهم بأن لا يلقوا أبا حامد ولا يقضوا له حقا ولا يردوا عليه سلاما وخلع على أبي محمد الاكفاني وانقطع أبو حامد عن دار الخلافة وظهر التسخط عليه والانحراف عنه وذلك في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة واتصل ببلاد الشام ومصر * (أول من قدم بعلم مالك) الى مصر عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيي مولى جمح وكان فقيها روى عنه الليث وابن وهب ورشيد بن سعد وتوفي بالاسكندرية سنة ثلاث وستين ومائة ثم نشره بمصر عبد الرحمن ابن القاسم فاشتهر مذهب مالك بمصر أكثر من مذهب أبي حنيفة لتوفر أصحاب مالك بمصر ولم يكن مذهب أبي حنيفة رحمه الله يعرف بمصر * قال ابن يونس وقدم اسماعيل بن اليسع الكوفي قاضيا بعد ابن لهيعة وكان من خير قضاتنا غير انه كان يذهب الى قول أبي حنيفة ولم يكن أهل مصر يعرفون مذهب أبي حنيفة وكان مذهبه ابطال الاحباس فثقل أمره على أهل مصر وسئموه ولم يزل مذهب مالك مشتهرا بمصر حتى قدم الشافعي محمد بن ادريس الى مصر مع عبد الله بن العباس بن موسي بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس في سنة ثمان وتسعين ومائة فصحبه من أهل مصر جماعة من أعيانها كبني عبد الحكم والربيع بن سليمان وأبي ابراهيم اسماعيل بن يحيي المزني وأبي يعقوب يوسف بن يحيي البويطي وكتبوا عن الشافعي ما ألفه وعملوا بما ذهب اليه ولم يزل أمر مذهبه يقوي بمصر وذكره ينتشر * قال أبو عمرو الكندى في كتاب أمراء مصر ولم يزل أهل مصر على الجهر بالبسملة في الجامع العتيق الى سنة ثلاث وخمسين ومائتين قال ومنع أرجون صاحب شرطة

مزاحم ابن خاقان أمير مصر من الجهر بالبسملة في الصلوات بالمسجد الجامع وأمر الحسين ابن الربيع امام المسجد الجامع بتركها وذلك فى رجب سنة ثلاث وستين ومائتين ولم يزل أهل مصر على الجهر بها في المسجد الجامع منذ الاسلام الى أن منع منها أرجون قال وأمر أن تصلي التراويح في شهر رمضان خمس تراويح ولم يزل أهل مصر يصلون ست تراويح حتي جعلها أرجون خمسا فى شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين ومنع من التثويب وأمر بالاذان يوم الجمعة في مؤخر المسجد وأمر بالتغليس بصلاة الصبح وذلك انهم أسفروا بها ومازال مذهب مالك ومذهب الشافعى رحمهما الله تعالى يعمل بهما أهل مصر ويولى القضاء من كان يذهب اليهما أو الى مذهب أبى حنيفة رحمه الله الى أن قدم القائد جوهر من بلاد أفريقية فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة بجيوش مولاه المعز لدين الله أبي تميم معد وبني مدينة القاهرة فمن حينئذ فشا بديار مصر مذهب الشيعة وعمل به في القضاء والفتيا وأنكر ماخالفه ولم يبق مذهب سواه وقد كان التشيع بأرض مصر معروفا قبل ذلك * قال أبو عمرو الكندى في كتاب الموالى عن عبد الله بن لهيعة انه قال قال يزيد بن أبي حبيب نشأت بمصر وهي علوية فقلبتها عثمانية * وكان ابتداء التشيع في الاسلام أن رجلا من اليهود فى خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه أسلم فقيل له عبد الله بن سبا وعرف بابن السوداء وصار ينتقل من الحجاز الى أمصار المسلمين يريد اضلالهم فلم يطق ذلك فرجع الى كيد الاسلام وأهله ونزل البصرة في سنة ثلاث وثلاثين فجعل يطرح على أهلها مسائل ولا يصرح فأقبل عليه جماعة ومالوا اليه وأعجبوا بقوله فبلغ ذلك عبد الله بن عامر وهو يومئذ على البصرة فأرسل اليه فلما حضر عنده سأله ماأنت فقال رجل من أهل الكتاب رغبت في الاسلام وفي جوارك فقال ماشئ بلغني عنك اخرج عني فخرج حتي نزل الكوفة فأخرج منها فسار الى مصر واستقر بها وقال في الناس العجب ممن يصدق أن عيسي يرجع ويكذب أن محمدا يرجع وتحدث فى الرجعة حتى قبلت منه فقال بعد ذلك انه كان لكل نبى وصى وعلي بن أبي طالب وصى محمد صلى الله عليه وسلم فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن علي بن أبي طالب وصيه في الخلافة على أمته واعلموا أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق فانهضوا فى هذا الامر وابدؤا بالطعن على أمرائكم فأظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا به الناس وبث دعاته وكاتب من مال اليه من أهل الامصار وكاتبوه ودعوا فى السر الى ما عليه رأيهم وصاروا يكتبون الى الامصار كتبا يضعونها في عيب ولاتهم فيكتب أهل كل مصر منهم الى أهل المصر الآخر بما يضعون حتي ملوا بذلك الارض اذاعة وجاء الى أهل المدينة من جميع الامصار فأتوا عثمان رضى الله عنه فى سنة خمس وثلاثين وأعلموه ماأرسل به أهل الامصار من شكوى عمالهم فبعث محمد بن مسلمة الى الكوفة وأسامة بن

زيد الى البصرة وعمار بن ياسر الى مصر وعبد الله بن عمر الى الشام لكشف سير العمال فرجعوا الى عثمان الاعمارا وقالوا ماأنكرنا شيأ وتأخر عمار فورد الخبر الى المدينة بأنه قد استماله عبد الله ابن السوداء في جماعة فأمر عثمان عماله أن يوافوه بالموسم فقدموا عليه واستشاروه فكل أشار برأى ثم قدم المدينة بعد الموسم فكان بينه وبين علي بن أبي طالب كلام فيه بعض الجفاء بسبب اعطائه أقاربه ورفعه لهم على من سواهم وكان المنحرفون عن عثمان قد تواعدوا يوما يخرجون فيه بأمصارهم اذا سار عنها الامراء فلم يتهيأ لهم الوثوب وعند مارجع الامراء من الموسم تكاتب المخالفون في القدوم الى المدينة لينظروا فيما يريدون وكان امير مصر من قبل عثمان رضى الله عنه عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى فلما خرج في شهر رجب من مصر فى سنة خمس وثلاثين استخلف بعده عقبة بن عامر الجهني في قول الليث بن سعد وقال يزيد بن أبي حبيب بل استخلف على مصر السائب بن هشام العامرى وجعل على الخراج سليم بن عتر التجيبى فانتزى محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف في شوال من السنة المذكورة وأخرج عقبة بن عامر من الفسطاط ودعا الى خلع عثمان رضى الله عنه واسعر البلاد وحرض على عثمان بكل شئ يقدر عليه فكان يكتب الكتب على لسان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأخذ الرواحل فيضمرها ويجعل رجالا على ظهور البيوت ووجوههم الى وجه الشمس لتلوح وجوههم تلويح المسافر ثم يأمرهم أن يخرجوا الى طريق المدينة بمصر ثم يرسلون رسلا يخبرون بهم الناس ليلقوهم وقد أمرهم اذا لقيهم الناس أن يقولوا ليس عندنا خبر الخبر في الكتب فيجيء رسول أولئك الذين دس فيذكر مكانهم فيتلقاهم ابن أبي حذيفة والناس يقولون نتلقى رسل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا القوهم قالوا لهم ما الخبر قالوا لاخبر عندنا عليكم بالمسجد ليقرأ عليكم كتاب أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فيجتمع الناس في المسجد اجتماعا ليس فيه تقصير ثم يقوم القارئ بالكتاب فيقول انا نشكو الى الله واليكم ماعمل فى الاسلام وما صنع في الاسلام فيقوم اولئك الشيوخ من نواحي المسجد بالبكاء فيبكون ثم ينزل عن المنبر ويتفرق الناس بما قرئ عليهم فلما رأت ذلك شيعة عثمان رضي الله عنه اعتزلوا محمد بن أبى حذيفة ونابذوه وهم معاوية بن حديج وخارجة بن حذافة وبسر بن ارطاة ومسلمة بن مخلد وعمرو بن قحزم الخولانى ومقسم بن بجرة وحمزة بن سرح بن كلال وأبو الكنود سعد بن مالك الازدى وخالد بن ثابت الفهمى في جمع كثير وبعثوا سلمة بن مخرمة التجيبي الى عثمان ليخبره بأمرهم وبصنيع ابن أبي حذيفة فبعث عثمان رضى الله عنه سعد بن أبي وقاص ليصلح أمرهم فبلغ ذلك ابن أبى حذيفة فخطب الناس وقال ألا ان الكذا والكذا قد بعث اليكم سعد بن مالك ليفل جماعتكم ويشتت كلمتكم ويوقع التجادل بينكم فانفروا اليه

فخرج منهم مائة أو نحوها وقد ضرب فسطاطه وهو قائل فقلبوا عليه فسطاطه وشجوه وسبوه فركب راحلته وعاد راجعا من حيث جاء وقال ضربكم الله بالذل والفرقة وشتت أمركم وجعل بأسكم بينكم ولا رضاكم بأمير ولا أرضاه عنكم * واقبل عبد الله بن سعد حتي بلغ جسر القلزم فاذا بخيل لابن أبي حذيفة فمنعوه أن يدخل فقال ويلكم دعوني أدخل على جندى فأعلمهم بما جئت به فاني قدجئتهم بخير فأبوا أن يدعوه فقال والله لوددت اني دخلت عليهم وأعلمتهم بما جئت به ثم مت فانصرف الى عسقلان وأجمع محمدبن أبي حذيفة على بعث جيش الى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال من يتشرط في هذا البعث فكثر عليه من يتشرط فقال انما يكفينا منكم ستمائة رجل فتشرط من أهل مصر ستمائة رجل على كل مائة منهم رئيس وعلى جماعتهم عبدالرحمن بن عديس البلوى وهم كنانة بن بشر بن سلمان التجيبي وعروة بن سليم الليثى وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعى وسودان بن ريان الاصبحي وذرع بن يشكر النافعى وسجن رجال من أهل مصر في دورهم منهم بسر بن أرطاة ومعاوية بن خديج فبعث ابن أبي حذيفة الى معاوية بن خديج وهو أرمد ليكرهه على البيعة فلما بلغ ذلك كنانة بن بشر وكان رأس الشيعة الاولى دفع عن معاوية ماكره ثم قتل عثمان رضى الله عنه فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين فدخل الركب الى مصر وهم يرتجزون

خذها اليك واحذرن أبا الحسن * انا نمر الحرب امرار الوسن * بالسيف كي تخمد نيران الفتن

فلما دخلوا المسجد صاحوا انا لسنا قتلة عثمان ولكن الله قتله * فلما رأي ذلك شيعة عثمان قاموا وعقدوا لمعاوية بن خديج عليهم وبايعوه على الطلب بدم عثمان فسار بهم معاوية الى الصعيد فبعث اليهم ابن أبي حذيفة فالتقوا بدقناس من كورة البهنسا فهزم أصحاب ابن أبي حذيفة ومضى معاوية حتي بلغ برقة ثم رجع الى الاسكندرية فبعث ابن أبي حذيفة بجيش آخر عليهم قيس بن حرمل فاقتتلوا بخربتا أول شهر رمضان سنة ست وثلاثين فقتل قيس وسار معاوية بن أبي سفيان الى مصر فنزل سلمنت من كورة عين شمس فى شوال فخرج اليه ابن أبى حذيفة فى أهل مصر فمنعوه أن يدخلها فبعث اليه معاوية انا لا نريد قتال أحد انما جئنا نسأل القود لعثمان ادفعوا الينا قاتليه عبد الرحمن بن عديس وكنانة بن بشر وهما رأس القوم فامتنع ابن أبي حذيفة وقال لو طلبت منا جديا أرطب السرة بعثمان مادفعناه اليك فقال معاوية بن أبى سفيان لابن أبي حذيفة اجعل بيننا وبينكم رهنا فلا يكون بيننا وبينكم حرب فقال ابن أبى حذيفة فاني أرضى بذلك فاستخلف ابن أبى حذيفة على مصر الحكم بن الصلت بن مخرمة وخرج فى الرهن هو وابن عيسى وكنانة بن بشر وأبو شمر بن ارهة وغيرهم من قتلة عثمان فلما بلغوا لدسجنهم بها معاوية وسار الى دمشق

فهربوا من السجن غير أبي شمر بن ابرهة فانه قال لأدخله أسيرا وأخرج منه آبقا وتبعهم صاحب فلسطين فقتلهم واتبع عبد الرحمن بن عديس رجل من الفرس فقال له عبد الرحمن ابن عديس اتق الله في دمى فاني بايعت النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة فقال له الشجر في الصحراء كثير فقتله * وقال محمد بن أبي حذيفة فى الليلة التي قتل في صباحها عثمان فان يكن القصاص لعثمان فسنقتل من الغد فقتل من الغد وكان قتل ابن أبي حذيفة وعبد الرحمن بن عديس وكنانة بن بشر ومن كان معهم من الرهن في ذى الحجة سنة ست وثلاثين * فلما بلغ على بن أبى طالب رضى الله عنه مصاب ابن أبى حذيفة بعث قيس بن سعد بن عبادة الانصارى على مصر وجمع له الخراج والصلات فدخلها مستهل شهر ربيع الاول سنة سبع وثلاثين واستمال الخارجية بخربتا ودفع اليهم اعطياتهم ووفد عليه وفدهم فأكرمهم وأحسن اليهم ومصر يومئذ من جيش على رضى الله عنه الا أهل خربتا الخارجين بها * فلما ولى على رضى الله عنه قيس بن سعد وكان من ذوى الرأى جهد معاوية ابن أبى سفيان وعمرو بن العاص على أن يخرجاه من مصر ليغلبا على أمرها فامتنع عليهما بالدهاء والمكايدة فلم يقدرا على أن يلجا مصر حتى كاد معاوية قيسا من قبل على رضى الله عنه فكان معاوية يحدث رجالا من ذوى رأى قريش فيقول ماابتدعت من مكايدة قط أعجب الى من مكايدة كدت بها قيس بن سعد حين امتنع مني قلت لأهل الشام لاتسبوا قيسا ولا تدعوا الى غزوه فان قيسا لنا شيعة تأتينا كتبه ونصيحته سرا ألا ترون ماذا يفعل باخوانكم النازلين عنده بخربتا يجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ويؤمن سربهم ويحسن الى كل راكب يأتيه منهم * قال معاوية وطفقت اكتب بذلك الى شيعتي من أهل العراق فسمع بذلك جواسيس على بالعراق فأنهاه اليه محمد بن أبى بكر وعبد الله بن جعفر فاتهم قيسا فكتب اليه يأمره بقتال أهل خربتا وبخربتا يومئذ عشرة آلاف فابى قيس أن يقاتلهم وكتب الى على رضى الله عنه انهم وجوه أهل مصر وأشرافهم وأهل الحفاظ منهم وقد رضوا منى بأن أو من سربهم واجرى عليهم اعطياتهم وارزاقهم وقد علمت أن هواهم مع معاوية فلست بكائدهم بأمر أهون على وعليك من الذى أفعل بهم وهم أسود العرب منهم بسر بن ارطاة وسلمة بن مخلد ومعاوية بن خديج فأبى عليه الا قتالهم فأبى قيس أن يقاتلهم وكتب الى على رضي الله عنه ان كنت تتهمني فاعزلني وابعث غيرى وكتب معاوية رضي الله عنه الى بعض بنى أمية بالمدينة الى أن جزى الله قيس بن سعد خيرا فانه قدكف عن اخواننا من أهل مصر الذين قاتلوا في دم عثمان واكتموا ذلك فانى أخاف أن يعزله على ان بلغه مابينه وبين شيعتنا حتى بلغ عليا رضى الله عنه ذلك فقال من معه من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة بدل قيسا وتحول فقال على ويحكم انه لم يفعل فدعوني قالوا لتعزلنه فانه

قد بدل فلم يزالوا به حتي كتب اليه انى قد احتجت الى قربك فاستخلف على عملك واقدم * فلما قرأ الكتاب قال هذا من مكر معاوية ولولا الكذب لمكرت به مكرا يدخل عليه بيته فوليها قيس بن سعد الى أن عزل عنها أربعة أشهر وخمسة أيام وصرف لخمس خلون من رجب سنة سبع وثلاثين ثم وليها الاشتر مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي من قبل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وذلك ان عبدالله بن جعفر كان اذا أراد أن لا يمنعه على شيأ قال له بحق جعفر فقال له أسألك بحق جعفر الا بعثت الاشتر الى مصر فان ظهرت فهو الذي تحب والا استرحت منه ويقال كان الاشتر قد ثقل على علىّ رضى الله عنه وأبغضه وقلاه فولاه وبعثه فلما قدم قلزم مصر لقى بما يلقى العمال به هناك فشرب شربة عسل فمات فلما أخبر على بذلك قال لليدين وللفم وسمع عمرو بن العاص بموت الاشتر فقال ان لله جنودا من عسل أو قال ان لله جنودا من العسل * ثم وليها محمد بن أبى بكر الصديق من قبل على رضى الله عنهم وجمع له صلاتها وخراجها فدخلها للنصف من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين فلقيه قيس بن سعد فقال له انه لا يمنعني نصحى لك عزله اياي ولقد عزلنى عن غير وهن ولا عجز فاحفظ ماأوصيك به يدم صلاح حالك دع معاوية بن خديج ومسلمة بن مخلد وبسر بن أرطاة ومن ضوى اليهم على ماهم عليه لا تكفهم عن رأيهم فان أتوك ولم يفعلوا فاقبلهم وان تخلفوا عنك فلا تطلبهم وانظر هذا الحى من مضر فانت أولى بهم منى فألن لهم جناحك وقرب عليهم مكانك وارفع عنهم حجابك وانظر هذا الحى من مدلج فدعهم وما غلبوا عليه يكفوا عنك شأنهم وأنزل الناس من بعد على قدر منازلهم فان استطعت أن تعود المرضى وتشهد الجنائز فافعل فان هذا لا ينقصك ولن تفعل انك والله ماعلمت لتظهر الخيلاء وتحب الرياسة وتسارع الى ماهو ساقط عنك والله موفقك فعمل محمد بخلاف ماأوصاه به قيس فبعث الى ابن خديج والخارجة معه يدعوهم الى بيعته فلم يجيبوه فبعث الى دور الخارجة فهدمها ونهب أموالهم وسجن ذراريهم فنصبوا له الحرب وهموا بالنهوض اليه فلما علم أنه لا قوة له بهم أمسك عنهم ثم صالحهم على أن يسيرهم الي معاوية وأن ينصب لهم جسر أنقيوس يجوزون عليه ولا يدخلون الفسطاط ففعلوا ولحقوا بمعاوية فلما أجمع على رضى الله عنه ومعاوية على الحكمين اغفل على أن يشترط على معاوية أن لا يقاتل أهل مصر *

فلما انصرف علىّ الى العراق بعث معاوية رضى الله عنه عمرو بن العاص رضى الله عنه في جيوش أهل الشام الى مصر فاقتتلوا قتالا شديدا انهزم فيه أهل مصر ودخل عمرو بأهل الشام الفسطاط وتغيب محمد بن أبى بكر فأقبل معاوية بن خديج في رهط ممن يعينه على من كان يمشى فى قتل عثمان وطلب ابن أبى بكر فدلتهم عليه امرأة فقال احفظوني فى أبى بكر فقال معاوية بن خديج قتلت ثمانين رجلا من قومي فى عثمان وأتركك وانت صاحبه فقتله

ثم جعله في جيفة حمار ميت فأحرقه بالنار فكانت ولاية محمد بن أبي بكر خمسة أشهر ومقتله لاربع عشرة خلت من صفر سنة ثمان وثلاثين * ثم ولى عمرو بن العاص مصر من بعده فاستقبل بولايته هذه الثانية شهر ربيع الاول وجعل اليه الصلات والخراج وكانت مصر قد جعلها معاوية له طعمة بعد عطاء جندها والنفقة على مصلحتها ثم خرج الى الحكومة واستخلف على مصر ابنه عبد الله بن عمرو وقتل خارجة بن حذافة ورجع عمرو الى مصر فأقام بها وتعاقد بنو ملجم عبد الرحمن وقيس ويزيد على قتل عليّ رضي الله عنه وعمرو ومعاوية رضى الله عنهما وتواعدوا على ليلة من رمضان سنة أربعين فمضى كل منهم الى صاحبه فلما قتل عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه واستقر الامر لمعاوية كانت مصر جندها وأهل شوكتها عثمانية وكثير من أهلها علوية فلما مات معاوية ومات ابنه يزيد بن معاوية كان على مصر سعيد بن يزيد الازديّ على صلاتها فلم يزل أهل مصر على الشنان له والاعراض عنه والتكبر عليه منذ ولاه يزيد بن معاوية حتي مات يزيد في سنة أربع وستين ودعا عبد الله ابن الزبير الى نفسه فقامت الخوارج بمصر في أمره واظهروا دعوته وكانوا يحسبونه على مذهبهم وأوفدوا منهم وفدا اليه فسار منهم نحو الالفين من مصر وسألوه أن يبعث اليهم بأمير يقومون معه ويوازرونه وكان كريب بن أبرهة الصباح وغيره من أشراف مصر يقولون ماذا نرى من العجب أن هذه الطائفة المكتتمة تأمر فينا وتنهى ونحن لانستطيع أن نرد أمرهم ولحق بابن الزبير ناس كثير من أهل مصر *وكان أول من قدم مصر برأي الخوارج حجر بن الحارث بن قيس المذحجي وقيل حجر بن عمرو ويكنى بأبي الورد وشهد مع عليّ صفين ثم صار من الخوارج وحضر مع الحرورية النهروان فخرج وصار الى مصر برأى الخوارج وأقام بها حتى خرج منها الى ابن الزبير في امارة مسلمة بن مخلد الانصارى على مصر * فلما مات يزيد بن معاوية وبويع ابن الزبير بعده بالخلافة بعث الى مصر بعبد الرحمن بن جحدم الفهرى فقدمها في طائفة من الخوارج فوثبوا على سعيد بن يزيد فاعتزلهم واستمر ابن جحدم وكثرت الخوارج بمصر منها وممن قدم من مكة فأظهروا في مصر التحكيم ودعوا اليه فاستعظم الجند ذلك وبايعه الناس على غل فى قلوب ناس من شيعة بنى أمية منهم كريب بن ابرهة ومقسم بن بجرة وزياد بن حناطة التجيبي وعابس بن سعيد وغيرهم فصار أهل مصر حينئذ ثلاث طوائف علوية وعثمانية وخوارج * فلما بويع مروان بن الحكم بالشام في ذى القعدة سنة أربع وستين كانت شيعته من أهل مصر مع ابن جحدم فكاتبوه سراً حتى أتى مصر فى أشراف كثيرة وبعث ابنه عبد العزيز بن مروان في جيش الى ايلة ليدخل من هناك مصر وأجمع ابن جحدم على حربه ومنعه فحفر الخندق في شهر وهو الخندق الذى بالقرافة وبعث بمراكب في البحر ليخالف الى عيالات أهل الشام وقطع بعثا فى البر

وجهز جيشاً آخر الى ايلة لمنع عبد العزيز من المسير منها فغرقت المراكب ونجا بعضها وانهزمت الجيوش ونزل مروان عين شمس فخرج اليه ابن جحدم في أهل مصر فتحاربوا واستحر القتل فقتل من الفريقين خلق كثير ثم ان كريب بن ابرهة وعابس بن سعيد وزياد بن حناطة وعبد الرحمن بن موهب المغافري دخلوا في الصلح بين أهل مصر وبين مروان فتم ودخل مروان الى الفسطاط لغرة جمادى الاولى سنة خمس وستين فكانت ولاية ابن جحدم تسعة أشهر ووضع العطاء فبايعه الناس الا نفراً من المغافر قالوا لانخلع بيعة ابن الزبير فقتل منهم ثمانين رجلا قدمهم رجلا رجلا فضرب أعناقهم وهم يقولون انا قد بايعنا ابن الزبير طائعين فلم نكن لننكث بيعته وضرب عنق الاكدر بن حمام بن عامر سيد لخم وشيخها وحضر هو وأبوه فتح مصر وكانا ممن ثار الى عثمان رضى الله عنه فتنادى الجند قتل الاكدر فلم يبق أحد حتى لبس سلاحه فحضر باب مروان منهم زيادة على ثلاثين ألفا وخشى مروان وأغلق بابه حتى أتاه كريب بن ابرهة وألقى عليه رداءه وقال للجند انصرفوا أنا له جار فما عطف أحد منهم وانصرفوا الى منازلهم وكان للنصف من جمادى الآخرة ويومئذ مات عبد الله بن عمرو بن العاص فلم يستطع أحد أن يخرج بجنازته الى المقبرة لشغب الجند على مروان ومن حينئذ غلبت العثمانية على مصر فتظاهروا فيها بسب علي رضى الله عنه وانكفت السنة العلوية والخوارج * فلما كانت ولاية قرة بن شريك العبسى على مصر من قبل الوليد ابن عبد الملك في سنة تسعين خرج الى الاسكندرية في سنة احدى وتسعين فتعاقدت السراة من الخوارج بالاسكندرية على الفتك به وكانت عدتهم نحوا من مائة فعقدوا لرئيسهم المهاجر بن أبي المثنى التجيبي أحد بنى فهم عليهم عند منارة الاسكندرية وبالقرب منهم رجل يكنى أبا سليمان فبلغ قرة ماعزموا عليه فأتى لهم قبل أن يتفرقوا فأمر بحبسهم في أصل منارة الاسكندرية وأحضر قرة وجوه الجند فسألهم فأقروا فقتلهم ومضى رجل ممن كان يرى رأيهم الى أبي سليمان فقتله فكان يزيد بن أبي حبيب اذا أراد أن يتكلم بشئ فيه تقية من السلطان تلفت وقال احذروا أبا سليمان ثم قال الناس كلهم من ذلك اليوم أبو سليمان * فلما قام عبد الله بن يحيي الملقب بطالب الحق فى الحجاز على مروان بن محمد الجعدي قدم الى مصر داعيته ودعا الناس فبايع له ناس من تجيب وغيرهم فبلغ ذلك حسان بن عتاهية صاحب الشرطة فاستخرجهم فقتلهم حوثرة بن سهيل الباهلي أمير مصر من قبل مروان بن محمد فلما قتل مروان وانقضت أيام بني أمية ببنى العباس في سنة ثلاث وثلاثين ومائة خمدت جمرة أصحاب المذهب المرواني وهم الذين كانوا يسبون على بن أبي طالب ويتبرؤن منه وصاروا منذ ظهر بنو العباس يخافون القتل ويخشون أن يطلع عليهم أحد الا طائفة كانت بناحية الواحات وغيرها فانهم أقاموا على مذهب المروانية دهرا حتي فنوا ولم يبق لهم الآن

بديار مصر وجود البتة * فلما كان في امارة حميد بن قحطبة علي مصر من قبـل أبي جعفر المنصور قدم الى مصر على بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب داعية لابيه وعمه فذكر ذلك لحميد فقال هذا كذب ودس اليه أن تغيب ثم بعث اليـه من الغد فلم يجده فكتب بذلك الى أبي جعفر المنصور فعزل حميدا وسخط عليه في ذى القعدة سنة أربع وأربعين ومائة وولى يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة فظهرت دعوة بني حسن بن علي بمصر وتكلم الناس بها وبايع كثير منهم لعلي بن محمد بن عبد الله وهو أول علوى قدم مصر وقام بأمر دعوته خالد بن سعيد بن ربيعة بن حبيش الصدفي وكان جده ربيعة بن حبيش من خاصـة علي بن أبي طالب وشيعته وحضر الدار في قتل عثمان رضى الله عنه فاستشار خالد أصحابه الذين بايعوا له فأشار عليه بعضهم أن يبيت يزيد ابن حاتم في العسكر وكان الامراء قد صاروا منذ قدمت عساكر بني العباس ينزلون في العسكر الذى بني خارج الفسطاط من شماليه كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب وأشار عليه آخرون أن يحوز بيت المال وأن يكون خروجهم في الجامع فكره خالد أن يبيت يزيد بن حاتم وخشي على اليمانية وخرج منهم رجل قد شهد امرهم حتي اتي الى عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج وهو يومئذ على الفسطاط فخبره أنهم الليلة يخرجون فمضى عبد الله الى يزيد بن حاتم وهو بالعسكر فكان من أمرهم ما كان لعشر من شوال سنة خمس وأربعين ومائة فانهزموا ثم قدمت الخطباء برأس ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين في ذي الحجة من السنة المذكورة الى مصر ونصبوه في المسجـد الجامع وقامت الخطباء فذكروا أمره وحمل على بن محمد الى أبى جعفر المنصور وقيل انه اختفى عند عسامة بن عمرو بقرية طره فمرض بها ومات فقبر هناك وحمل عسامة الى العراق فحبس الى أن رده المهدى محمد بن أبي جعفر الى مصر وما زالت شيعة علي بمصر الى أن ورد كتاب المتوكل على الله الى مصر يامر فيه باخراج آل أبى طالب من مصر الى العراق فأخرجهم اسحاق بن يحيي الختلي أمير مصر وفرق فيهم الاموال ليتجملوا بها وأعطى كل رجل ثلاثين دينارا والمرأة خمسة عشر دينارا فخرجوا لعشر خلون من رجب سـنة ست وثلاثين ومائتين وقدموا العراق فأخرجوا الى المـدينة فى شوال منها واستتر من كان بمصر على رأى العلوية حتى أن يزيد بن عبد الله أمير مصر ضرب رجلا من الجند في شيء وجب عليـه فأقسم عليه بحق الحسن والحسين الا عفا عنه فزاده ثلاثين درة ورفع ذلك صاحب البريد الى المتوكل فورد الكتاب على يزيد بضرب ذلك الجندى مائة سوط فضربها وحمل بعد ذلك الى العراق في شوال سنة ثلاث وأربعين ومائتين وتتبع يزيد الروافض فحملهم الى العراق ودل في شعبان على رجل يقال له محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب أنه بويع له فأحرق الموضع الذى كان به وأخـذه فأقر على جمع من

الناس بايعوه فضرب بعضهم بالسياط وأخرج العلوي هو وجمع من آل أبي طالب الى العراق في شهر رمضان ومات المتوكل فى شوال فقام من بعده ابنه محمد المستنصر فورد كتابه الى مصر بأن لايقبل علوى ضيعـة ولا يركب فرسا ولا يسافر من الفسطاط الى طرف من أطرافها وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد الا العبـد الواحـد ومن كان بينه وبين أحـد من الطالبيين خصوبة من سائر الناس قبل قول خصمه فيه ولم يطالب ببينة وكتب الى العمال بذلك ومات المستنصر فى ربيع الآخر وقام المستعين فأخرج يزيدستة رجال من الطالبيين الى العراق في رمضان سنة خمسين ومائتين ثم أخرج ثمانية منهم في رجب سنة احدى وخمسين وخرج جابر بن الوليد المدلجي بأرض الاسكندرية في ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين واجتمع اليه كثير من بنى مدلج فبعث اليه محمد بن عبيد الله بن يزيد بجيش من الاسكندرية فهزمهم وظفر بما معهم وقوى أمره وأتاه الناس من كل ناحية وضوى اليه كل من يومى اليه بشدة ونجدة فكان ممن أتاه عبدالله المريسى وكان لصا خبيثا ولحق به جريج النصرانى وكان من شرار النصارى وأولى بأسهم ولحق به أبو حرملة فرج النوبي وكان فاتكا فعقـد له جابر على سنهور وسخا وشرقيون وبنا فمضى أبو حرمـلة في جيش عظيم فأخرج العمال وجبى الخراج ولحق به عبدالله بن أحمدبن محمد بن اسماعيل بن محمد بن عبدالله بن على بن الحسين ابن على بن أبي طالب الذي يقال له ابن الارقط فقوده أبو حرملة وضم اليه الاعراب وولاه بنا وبوصير وسمنود فبعث يزيد أمير مصر بجمع من الاتراك في جمادى الآخرة فقاتلهم ابن الارقط وقتـل منهم ثم ثبتوا له فانهزم وقتل من أصحابه كثير وأسر منهم كثير ولحق ابن الارقط بأبي حرملة فى شرقيون فصار الى عسكر يزيد فانهزم أبوحرملة وقدم مزاحم بن خاقان من العراق فى جيش فحارب أبا حرملة حتى أسر فى رمضـان واستأمن ابن الارقط فأخـذ وأخرج الى العراق فى ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين ومائتين ففر منهم ثم ظفر به وحبس ثم حمل الى العراق في صفر سنة خمس وخمسين ومائتين بكتاب ورد على احمد بن طولون ومات أبو حرملة في السجن لاربع بقين من ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وأخذ جابر بعد حروب وحمل الى العراق في رجب سنة أربع وخمسين وخرج في امرة أرجون التركى رجل من العلويين يقال له بغا الاكبر وهو احمد بن ابراهيم بن عبد الله بن طباطبا ابن اسماعيل بن ابراهيم بن حسن بن حسين بن علي بالصعيد فحاربه أصحاب أرجون وفر منهم فمات ثم خرج بغا الاصغر وهو احمد بن محمـد بن عبد الله بن طباطبا فيما بين الاسكندرية وبرقة في جمادى الاولى سنة خمس وخمسين ومائتين والاميريومئذ احمد بن طولون وسار في جمع الى الصعيد فقتل في الحرب وأتى برأسه الى الفسطاط في شعبان وخرج ابن الصوفي العلوي بالصعيد وهو ابراهيم بن محمد بن يحيي بن عبد الله بن محمـد بن عمر بن على بن

أبي طالب ودخل اسنا في ذى القعدة سنة خمس وخمسين ونهبها وقتل أهلها. فبعث اليه ابن طولون بجيش فحاربوه فهزمهم فى ربيع الاول سنة ست وخمسين بهو فبعث ابن طولون اليه بجيش آخر فالتقيا باخميم في ربيع الآخر فانهزم ابن الصوفي وترك جميع ما معه وقتلت رجالته فأقام ابن الصوفي بالواح سنتين ثم خرج الى الاشمونين في المحرم سنة تسع وخمسين وسار الى اسوان لمحاربة أبي عبد الرحمن العمرى فظفر به العمرى وبجميع جيشه وقتل منهم مقتلة عظيمة ولحق ابن الصوفي باسوان فقطع لاهلها ثلثمائة ألف نخلة فبعث اليه ابن طولون بعثا فاضطرب أمره مع أصحابه فتركهم ومضى الى عيذاب فركب البحر الى مكة فقبض عليه بها وحمل الى ابن طولون فسجنه ثم أطلقه فصار الى المدينة ومات بها * وفي امارة هارون ابن خمارويه بن احمد بن طولون انكر رجل من أهل مصر أن يكون أحد خيرا من أهل البيت فوثبت اليه العامة فضرب بالسياط يوم الجمعة في جمادي الاولى سنة خمس وثمانين ومائتين * وفى امارة ذكا الاعور على مصر كتب على أبواب الجامع العتيق ذكر الصحابة والقرآن فرضيه جمع من الناس وكرهه آخرون فاجتمع الناس فى رمضان سنة خمس وثلثمائة الى دار ذكا يتشكرونه على ما أذن لهم فيه فوثب الجند بالناس فنهب قوم وجرح آخرون ومحي ما كتب على أبواب الجامع ونهب الناس في المسجد والاسواق وافطر الجند يومئذ ومازال أمر الشيعة يقوى بمصر الى أن دخلت سنة خمسين وثلثمائة ففى يوم عاشوراء كانت منازعة بين الجند وبين جماعة من الرعية عند قبر كلثوم العلوية بسبب ذكر السلف والنوح قتل فيها جماعة من الفريقين وتعصب السودان على الرعية فكانوا اذا لقوا أحدا قالوا له من خالك فان لم يقل معاوية والا بطشوا به وشلحوه ثم كثر القول معاوية خال علي وكان على باب الجامع العتيق شيخان من العامة يناديان في كل يوم جمعة في وجوه الناس من الخاص والعام معاوية خالى وخال المؤمنين وكاتب الوحى ورديف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا أحسن مايقولونه والا فقد كانوا يقولون معاوية خال علي من هاهنا ويشيرون الى أصل الاذن ويلقون أبا جعفر مسلما الحسينى فيقولون له ذلك فى وجهه وكان بمصر أسود يصيح دائما معاوية خال علي فقتل بتنيس أيام القائد جوهر * ولما ورد الخبر بقيام بني حسن بمكة ومحاربتهم الحاج ونهبهم خرج خلق من المصريين في شوال فلقوا كافور الاخشيدي بالميدان ظاهر مدينة مصر وضجوا وصاحوا معاوية خال علي وسألوه أن يبعث لنصرة الحاج على الطالبيين * وفي شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة أخذ رجل يعرف بابن أبي الليث الملطي ينسب الى التشيع فضرب مائتي سوط ودرة ثم ضرب فى شوال خمسمائة سوط ودرة وجعل في عنقه غل وحبس وكان يتفقد في كل يوم لئلا يخفف عنه ويبصق فى وجهه فمات فى محبسه فحمل ليلا ودفن فمضت جماعة الى قبره لينبشوه وبلغوا الى

القبر فمنعهم جماعة من الاخشيدية والكافورية فأبوا وقالوا هذا قبر رافضى فثارت فتنة وضرب جماعة ونهبوا كثيرا حتي تفرق الناس * وفي سنة ست وخمسين كتب في صفر على المساجد ذكر الصحابة والتفضيل فأمر الاستاذ كافور الاخشيدى بازالته فحدثه جماعة في اعادة ذكر الصحابة على المساجد فقال ماأحدث فى أيامي مالم يكن وماكان في أيام غيرى فلا أزيله وما كتب في أيامى أزيله ثم أمر من طاف وازاله من المساجد كلها * ولما دخل جوهر القائد بعساكر المعز لدين الله الى مصر وبني القاهرة أظهر مذهب الشيعة وأذن في جميع المساجد الجامعة وغيرها حي على خير العمل وأعلن بتفضيل على بن أبى طالب على غيره وجهر بالصلاة عليه وعلى الحسن والحسين وفاطمة الزهراء رضوان الله عليهم فشكا اليه جماعة من أهل المسجد الجامع أمر عجوز عمياء تنشد في الطريق فأمر بها فحبست فسر الرعية بذلك ونادوا بذكر الصحابة ونادوا معاوية خال على وخال المؤمنين فأرسل جوهر حين بلغه ذلك رجلا الى الجامع فنادى أيها الناس أقلو القول ودعوا الفضول فانما حبسنا العجوز صيانة لها فلاينطقن أحد الاحلت به العقوبة الموجعة ثم أطلق العجوز* وفي ربيع الاول سنة اثنتين وستين عزر سليمان بن عروة المحتسب جماعة من الصيارفة فشغبوا وصاحوا معاوية خال على بن أبى طالب فهم جوهر أن يحرق رحبة الصيارفة لكن خشى على الجامع وأمر الامام بجامع مصر أن يجهر بالبسملة في الصلاة وكانوا لايفعلون ذلك وزيد فى صلاة الجمعة القنوت في الركعة الثانية وأمر فى المواريث بالرد على ذوى الارحام وأن لايرث مع البنت أخ ولا أخت ولا عم ولا جد ولا ابن أخ ولا ابن عم ولا يرث مع الولد الذكر أوالانثى الا الزوج أوالزوجة والابوان والجدة ولا يرث مع الام الامن يرث مع الولد وخاطب أبو الطاهر محمد بن احمد قاضي مصر القائد جوهرا في بنت وأخ وانه كان حكم قديما للبنت بالنصف وللاخ بالباقى فقال لا أفعل فلما ألح عليه قال ياقاضى هذا عداوة لفاطمة عليها السلام فأمسك أبو الطاهر ولم يراجعه بعد في ذلك وصار صوم شهر رمضان والفطر على حساب لهم فأشار الشهود على القاضى أبي الطاهر أن لايطلب الهلال لان الصوم والفطر على الرؤية قد زال فانقطع طلب الهلال من مصر وصام القاضى وغيره مع القائد جوهر كما يصوم وافطروا كما يفطر * ولما دخل المعز لدين الله الى مصر ونزل بقصره من القاهرة المعزية أمر في رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة فكتب على سائر الاماكن بمدينة مصر خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام * وفي صفر سنة خمس وستين وثلثمائة جلس على بن النعمان القاضي بجامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر وأملى مختصر ابيه فى الفقه عن أهل البيت ويعرف هذا المختصر بالاقتصار وكان جمعا عظيما وأثبت أسماء الحاضرين

ولما تولى يعقوب بن كلس الوزارة للعزيز بالله نزار بن المعز رتب في داره العلماء من الادباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين وأجرى لجميعهم الارزاق وألف كتابا في الفقه ونصب له مجلسا وهو يوم الثلاثاء يجتمع فيه الفقهاء وجماعة من المتكلمين وأهل الجدل وتجرى بينهم المناظرات وكان يجلس أيضاً فى يوم الجمعة فيقرأ مصنفاته على الناس بنفسه ويحضر عنده القضاة والفقهاء والقراء والنحاة واصحاب الحديث ووجوه أهل العلم والشهود فاذا انقضى المجلس من القراءة قام الشعراء لانشاد مدائحهم فيه وجعل للفقهاء في شهر رمضان الاطعمة وألف كتابا في الفقه يتضمن ماسمعه من المعز لدين الله ومن ابنه العزيز بالله وهو مبوب على أبواب الفقه يكون قدره مثل نصف صحيح البخارى ملكته ووقفت عليه وهو يشتمل على فقه الطائفة الاسماعيلية وكان يجلس لقراءة هذا الكتاب على الناس بنفسه وبين يديه خواص الناس وعوامهم وسائر الفقهاء والقضاة والادباء وأفتي الناس به ودرسوا فيه بالجامع العتيق وأجرى العزيز بالله لجماعة من الفقهاء يحضرون مجلس الوزير ويلازمونه أرزاقا تكفيهم فى كل شهر وأمرلهم ببناء دار الى جانب الجامع الازهر فاذا كان يوم الجمعة تحلقوا فيه بعد الصلاة الى أن تصلى صلاة العصر وكان لهم من مال الوزير أيضا صلة فى كل سنة وعدتهم خمسة وثلاثون رجلا وخلع عليهم العزيز بالله في يوم عيد الفطر وحملهم على بغال * وفي سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة أمر العزيز بن المعز بقطع صلاة التراويح من جميع البلاد المصرية * وفي سنة احدى وثمانين وثلثمائة ضرب رجل بمصر وطيف به المدينة من اجل انه وجد عنده كتاب الموطأ لمالك بن أنس رحمه الله * وفى شهر ربيع الاول سنة خمس وثمانين وثلثمائة جلس القاضى محمد بن النعمان على كرسى بالقصر فى القاهرة لقراءة علوم أهل البيت على الرسم المتقدم له ولاخيه بمصر ولابيه بالمغرب فمات في الزحمة أحد عشر رجلا * وفي جمادى الاولى سنة احدى وتسعين وثلثمائة قبض على رجل من أهل الشام سئل عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال لاأعرفه فاعتقله قاضى القضاة الحسن بن النعمان قاضي أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله على القاهرة المعزية ومصر والشامات والحرمين والمغرب وبعث اليه وهو فى السجن أربعة من الشهود وسألوه فأقر بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه نبى مرسل وسئل عن على بن أبى طالب فقال لاأعرفه فأمر قائد القواد الحسين بن جوهر باحضاره فخلا به ورفق في القول له فلم يرجع عن انكاره معرفة على بن أبى طالب فطولع الحاكم بأمره فامر بضرب عنقه فضرب عنقه وصلب * وفى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة قبض على ثلاثة عشر رجلا وضربوا وشهروا على الجمال وحبسوا ثلاثة أيام من اجل انهم صلوا صلاة الضحى * وفي سنة خمس وتسعين وثلثمائة قرئ سجل في الجوامع بمصر والقاهرة والجزيرة بأن تلبس النصارى واليهود الغيار والزنار وغيارهم السواد غيار العاصين العباسيين

وأن يشدوا الزنار وفيه وقوع وفحش في حق أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقرئ سجل آخر فيه منع الناس من أكل الملوخيا المحبية كانت لمعاوية بن أبي سفيان ومنعهم من أكل البقلة المسماة بالجرجير المنسوبة لعائشة رضى الله عنها ومن المتوكلية المنسوبة الى المتوكل والمنع من عجين الخبز بالرجل والمنع من اكل الدلينس ومن ذبح البقر الا ذا عاهة ماعدا أيام النحر فانه يذبح فيها البقر فقط والوعيد للنخاسين متى باعوا عبداً أو أمة لذمى وقرئ سجل آخر بأن يؤذن لصلاة الظهر في أول الساعة السابعة ويؤذن لصلاة العصر في أول الساعة التاسعة وقرئ أيضاً سجل بالمنع من عمل الفقاع وبيعه في الاسواق لما يؤثر عن على بن أبي طالب رضى الله عنه من كراهية شرب الفقاع وضرب فى الطرقات والاسواق بالجرس ونودي أن لايدخل أحد الحمام الا بمئزر ولا تكشف امرأة وجهها فى طريق ولا خلف جنازة ولا تتبرج ولا يباع شئ من السمك بغير قشر ولا يصطاده أحد من الصيادين وقبض على جماعة وجدوا فى الحمام بغير مئزر فضربوا وشهروا * وكتب فى صفر من هذه السنة على سائر المساجد وعلى الجامع العتيق بمصر من ظاهره وباطنه من جميع جوانبه وعلى أبواب الحوانيت والحجر وعلى المقابر والصحراء سب السلف ولعنهم ونقش ذلك ولون بالاصباغ والذهب وعمل ذلك على أبواب الدور والقياسر واكره الناس على ذلك وتسارع الناس الى الدخول في الدعوة فجلس لهم قاضى القضاة عبد العزيز بن محمد بن النعمان فقدموا من سائر النواحي والضياع فكان للرجال يوم الاحد وللنساء يوم الاربعاء وللاشراف وذوى الاقدار يوم الثلاثاء وازدحم الناس على الدخول في الدعوة فمات عدة من الرجال والنساء * ولما وصلت قافلة الحاج مر بهم من سب العامة وبطشهم مالا يوصف فانهم ارادوا حمل الحاج على سب السلف فأبوا فحل بهم مكروه شديد * وفى جمادى الآخرة من هذه السنة فتحت دار الحكمة بالقاهرة وجلس فيها القراء وحملت الكتب اليها من خزائن القصور ودخل الناس اليها وجلس فيها القراء والفقهاء والمنجمون والنحاة وأصحاب اللغة والاطباء وحصل فيها من الكتب في سائر العلوم مالم ير مثله مجتمعا وأجرى على من فيها من الخدام والفقهاء الارزاق السنية وجعل فيها مايحتاج اليه من الحبر والاقلام والمحابر والورق * وفى يوم عاشوراء من سنة ست وتسعين وثلثمائة كان من اجتماع الناس ماجرت به العادة وأعلن بسب السلف فيه فقبض على رجل نودي عليه هذا جزاء من سب عائشة وزوجها صلى الله عليه وسلم ومعه من الرعاع مالا يقع عليه حصروهم يسبون السلف فلما تم النداء عليه ضرب عنقه واستهل شهر رجب من هذه السنة بيوم الاربعاء فخرج أمر الحاكم بأمر الله أن يؤرخ بيوم الثلاثاء وفي سنة سبع وتسعين وثلثمائة قبض على جماعة ممن يعمل الفقاع ومن السماكين ومن الطباخين وكبست الحمامات فأخذ عدة ممن وجد بغير مئزر فضرب الجميع لمخالفتهم الامر وشهروا

وفي تاسع ربيع الآخر أمر الحاكم بأمر الله بمحو ما كتب على المساجد وغيرها من سب السلف وطاف متولى الشرطة وألزم كل أحد بمحو ما كتب على المساجد من ذلك ثم قرئ سجل فى ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وثلثمائة بأن لا يحمل شئ من النبيذ والمزر ولا يتظاهر به ولا بشئ من الفقاع والدلينس والسمك الذي لاقشر له والترمس العفن وقرئ سجل في رمضان على سائر المنابر بأنه يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون صلاة الخمس الدين فيما جاءهم فيها يصلون وصلاة الضحي وصلاة التراويح لامانع لهم منها ولا هم عنها يدفعون يخمس في التكبير على الجنائز المخمسون ولا يمنع من التربيع عليها المربعون يؤذن بحى على خير العمل المؤذنون ولا يؤذى من بها لايؤذنون ولا يسب أحد من السلف ولا يحتسب على الواصف فيهم بما وصف والحالف منهم بما حلف لكل مسلم مجتهد في دينه اجتهاده والى الله ربه معاده عنده كتابه وعليه حسابه * وفى صفر سنة أربعمائة شهر جماعة بعد ماضربوا بسبب بيع الفقاع والملوخيا والدلينس والترمس * وفي تاسع عشر شهر شوال أمر الحاكم بأمر الله برفع ما كان يؤخذ من الخمس والزكاة والفطرة والنجوي وأبطل قراءة مجالس الحكمة في القصر وأمر برد التثويب في الاذان وأذن للناس في صلاة الضحي وصلاة التراويح وأمر المؤذنين بأسرهم في الاذان بأن لايقولوا حي على خير العمل وأن يقولوا في الاذان للفجر الصلاة خير من النوم ثم أمر في ثانى عشرى ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة باعادة قول حي على خير العمل في الاذان وقطع التثويب وترك قولهم الصلاة خير من النوم ومنع من صلاة الضحي وصلاة التراويح وفتح باب الدعوة وأعيدت قراءة المجالس بالقصر على ما كانت وكان بين المنع من ذلك والاذن فيه خمسة أشهر وضرب في جمادى من هذه السنة جماعة وشهروا بسبب بيع الملوخيا والسمك الذى لاقشر له وشرب المسكرات وتتبع السكارى فضيق عليهم * وفي يوم الثلاثاء سابع عشرى شعبان سنة احدى وأربعمائة وقع قاضى القضاة مالك بن سعيد الفارقى الى سائر الشهود والامناء بخروج الامر المعظم بأن يكون الصوم يوم الجمعة والعيد يوم الاحد * وفي شعبان سنة أثنتين وأربعمائة قرئ سجل يشدد فيه التنكير على بيع الملوخيا والفقاع والسمك الذى لاقشر له ومنع النساء من الاجتماع في المآتم ومن اتباع الجنائز وأحرق الحاكم بأمر الله في هذا الشهر الزبيب الذى وجد في مخازن التجار وأحرق ماوجد من الشطرنج وجمع صيادى السمك وحلفهم بالايمان المؤكدة أن لايصطادوا سمكا بغير قشر ومن فعل ذلك ضربت عنقه وأحرق فى خمسة عشر يوما ألفين وثمانمائة وأربعين قطعة زبيب بلغ ثمن النفقة عليها خمسمائة دينار ومنع من بيع العنب الا أربعة أرطال فما دونها ومنع من اعتصاره وطرح عنبا كثيرا فى الطرقات وأمر بدوسه فامتنع الناس من التظاهر

بشيء من العنب في الاسواق واشتد الامر فيه وغرق منه ماحمل في النيل وأحصى مابالجيزة من الكروم فقطف ماعليها من العنب وطرح ماجمعه من ذلك تحت أرجل البقر لتدوسه وفعل مثل ذلك في جهات كثيرة وختم على مخازن العسل وغرق منه في أربعة أيام خمسة آلاف جرة واحدى وخمسين جرة فيها العسل وغرق من عسل النحل قدر احدي وخمسين زيراً * وفي جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعمائة اشتد الانكار على الناس بسبب بيع الفقاع والزبيب والسمك الذي لاقشر له وقبض على جماعة وجد عندهم زبيب فضربت أعناقهم وسجنت عدة منهم وأطلقوا * وفي شوال اعتقل رجل ثم شهر ونودي عليه هذا جزاء من سب أبا بكر وعمر ويثير الفتن فاجتمع خلق كثير بباب القصر فاستغاثوا لاطاقة لنا بمخالفة المصريين ولا بمخالفة الحشوية من العوام ولا صبر لنا على ماجرى وكتبوا قصصاً فصرفوا ووعدوا بالمجيء في غد فبات كثير منهم بباب القصر واجتمعوا من الغد فصاحوا وضجوا فخرج اليهم قائد القواد غين فنهاهم وأمرهم عن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أن يمضوا الى معايشهم فانصرفوا الى قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقي وشكوا اليه فتبرم من ذلك فمضوا وفيهم من يسب السلف ويعرض بالناس فقرئ سجل في القصر بالترحم على السلف من الصحابة والنهي عن الخوض في ذلك وركب مرة فرأى لوحا على قيسارية فيه سب السلف فانكره وما زال واقفاً حتى قلع وضرب بالجرس في سائر طرقات مصر والقاهرة وقرئ سجل بتتبع الالواح المنصوبة على سائر أبواب القياسر والحوانيت والدور والخانات والارباع المشتملة على ذكر الصحابة والسلف الصالح رحمهم الله بالسب واللعن وقلع ذلك وكسره وتعفية أثره ومحوما على الحيطان من هذه الكتابة وازالة جميعها من سائر الجهات حتى لايرى لها أثر في جدار ولا نقش في لوح وحذر فيه من المخالفة وهدد بالعقوبة ثم انتقض ذلك كله وعاد الامر الى ما كان عليه الى أن قتل الخليفة الآمر بأحكام الله أبو علي منصور بن المستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم معد وثار أبو علي أحمد الملقب كتيفات بن الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش واستولى على الوزارة في سنة أربع وعشرين وخمسمائة وسجن الحافظ لدين الله أبا الميمون عبد المجيد ابن الامير أبي القاسم محمد ابن الخليفة المستنصر بالله وأعلن بمذهب الامامية والدعوة للامام المنتظر وضرب دراهم نقشها الله الصمد الامام محمد ورتب في سنة خمس وعشرين أربعة قضاة اثنان أحدهما امامي والآخر اسماعيلي واثنان أحدهما مالكي والآخر شافعي فحكم كل منهما بمذهبه وورث على مقتضاه وأسقط ذكر اسماعيل بن جعفر الصادق وأبطل من الاذان حي على خير العمل وقولهم محمد وعلى خير البشر فلما قتل في المحرم سنة ست وعشرين عاد الامر الى ما كان عليه من مذهب الاسماعيلية وما برح حتى قدمت عساكر الملك العادل نور الدين محمود بن

زنكى من دمشق عليها أسد الدين شيركوه وولى وزارة مصر للخليفة العاضد لدين الله أبى محمد عبدالله ابن الامير يوسف بن الحافظ لدين الله ومات فقام فى الوزارة بعده ابن أخيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة وشرع في تغيير الدولة وازالتها وحجر على العاضد وأوقع بامراء الدولة وعساكرها وأنشأ بمدينة مصر مدرسة للفقهاء الشافعية ومدرسة للفقهاء المالكية وصرف قضاة مصر الشيعة كلهم وفوض القضاء لصدر الدين عبد الملك بن درباس المارانى الشافعى فلم يستنب عنه في اقليم مصر الا من كان شافعى المذهب فتظاهر الناس من حينئذ بمذهب مالك والشافعى واختفى مذهب الشيعة والاسماعيلية والامامية حتى فقد من أرض مصر كلها وكذلك كان السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى بن آق سنقر حنفيا فيه تعصب فنشر مذهب أبى حنيفة رحمه الله ببلاد الشام ومنه كثرت الحنفية بمصر وقدم اليها أيضاً عدة من بلاد الشرق وبنى لهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب المدرسة السيوفية بالقاهرة ومازال مذهبهم ينتشر ويقوى وفقهاؤهم تكثر بمصر والشام من حينئذ * وأما العقائد فان السلطان صلاح الدين حمل الكافة على عقيدة الشيخ أبى الحسن علي بن اسماعيل الاشعرى تلميذ أبى على الجبائي وشرط ذلك في أوقافه التى بديار مصر كالمدرسة الناصرية بجوار قبر الامام الشافعي من القرافة والمدرسة الناصرية التي عرفت بالشريفية بجوار جامع عمرو بن العاص بمصر والمدرسة المعروفة بالقمحية بمصر وخانكاه سعيد السعداء بالقاهرة فاستمر الحال على عقيدة الاشعري بديار مصر وبلاد الشام وأرض الحجاز واليمن وبلاد المغرب أيضاً لادخال محمد بن تومرت رأى الاشعري اليها حتي انه صار هذا الاعتقاد بسائر هذه البلاد بحيث ان من خالفه ضرب عنقه والامر على ذلك الى اليوم ولم يكن فى الدولة الايوبية بمصر كثير ذكر لمذهب أبى حنيفة واحمد بن حنبل ثم اشتهر مذهب أبى حنيفة واحمد بن حنبل فى آخرها * فلما كانت سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ولى بمصر والقاهرة أربعة قضاة وهم شافعي ومالكى وحنفى وحنبلي فاستمر ذلك من سنة خمس وستين وستمائة حتى لم يبق فى مجموع أمصار الاسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الاسلام سوى هذه المذاهب الاربعة وعقيدة الاشعرى وعملت لاهلها المدارس والخوانك والزوايا والربط فى سائر ممالك الاسلام وعودي من تمذهب بغيرها وانكر عليه ولم يول قاض ولا قبلت شهادة أحد ولا قدم للخطابة والامامة والتدريس أحد مالم يكن مقلدا لاحد هذه المذاهب وأفتى فقهاء هذه الامصار فى طول هذه المدة بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ماعداها والعمل على هذا الى اليوم واذ قد بينا الحال فى سبب اختلاف الامة منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن استقر العمل على

مذهب مالك والشافعى وأبى حنيفة وأحمد بن حنبل رحمة الله عليهم فلنذكر اختلاف عقائد أهل الاسلام منذ كان الى أن التزم الناس عقيدة الشيخ أبي الحسن الاشعرى رحمه الله ورضى عنه

*( ذكر فرق الخليقة واختلاف عقائدها وتباينها )*

اعلم أن الذين تكلموا في أصول الديانات قسمان هما من خالف ملة الاسلام ومن أقر بها * فأما المخالفون لملة الاسلام فهم عشر طوائف * الاولى الدهرية * والثانية أصحاب العناصر * والثالثة الثنوية وهم المجوس ويقولون بأصلين هما النور والظلمة ويزعمون أن النور هو يزدان والظلمة هواهرمن ويقرون بنبوة ابراهيم عليه السلام وهم ثمان فرق الكيومرتية أصحاب كيومرت الذى يقال انه آدم والزروانية أصحاب زروان الكبير والزرادشتية أصحاب زرادشت بن بيورشت الحكيم والثنوية أصحاب الاثنين الازليين والمانوية أصحاب ماني الحكيم والمزركية أصحاب مزرك الخارجي والبيصانية أصحاب بيصان القائل بالاصلين القديمين والفرقونية القائلون بالاصلين وان الشر خرج على أبيه وانه تولد من فكرة فكرها فى نفسه فلما خرج على أبيه الذى هو الاله بزعمهم عجز عنه ثم وقع الصلح بينهما على يد الندمات وهم الملائكة ومنهم من يقول بالتناسخ ومنهم من ينكر الشرائع والانبياء ويحكمون العقول ويزعمون أن النفوس العلوية تفيض عليهم الفضائل * والطائفة الرابعة الطبائعيون * والطائفة الخامسة الصابئة القائلون بالهياكل والارباب السماوية والاصنام الارضية وانكار النبوات وهم أصناف وبينهم وبين الحنفاء مناظرات وحروب مهلكة وتولدت من مذاهبهم الحكمة الملطية ومنهم أصحاب الروحانيات وهم عباد الكواكب وأصنامها التي عملت على تمثالها والحنفاء هم القائلون بأن الروحانيات منها ماوجودها بالقوة ومنها ماوجودها بالفعل فما هو بالقوة يحتاج الى من يوجده بالفعل ويقرون بنبوة ابراهيم وانه منهم وهم طوائف الكاظمة أصحاب كاظم بن تارح ومن قوله أن الحق في الجمع بين شريعة إدريس وشريعة نوح وشريعة ابراهيم عليهم السلام ومنهم البيدانية أصحاب بيدان الاصغر ومن قوله اعتقاد نبوة من يفهم عالم الروح وأن النبوة من أسرار الالهية ومنهم القنطارية أصحاب قنطار بن ارنخشد ويقر بنبوة نوح ومن فرق الصابئة أصحاب الهياكل ويرون أن الشمس اله كل اله والحرانية ومن قولهم المعبود واحد بالذات وكثير بالاشخاص فى رأى العين وهى المدبرات السبع من الكواكب والارضية الجزئية والعالمة الفاضلة * والطائفة السادسة اليهود * والسابعة النصارى * والثامنة أهل الهند القائلون بعبادة الاصنام ويزعمون أنها موضوعة قبل آدم ولهم حكم عقلية وأحكام وضعها الشلم أعظم حكامهم والمهندم قبله والبراهمة قبل ذلك فالبراهمة أصحاب برهام أول من أنكر نبوة البشر ومنهم البردة زهاد عباد رجال الرماد الذين يهجرون اللذات الطبيعية

وأصحاب الرياضة التامة وأصحاب التناسخ وهم أقسام الروحانية والبهادرية والناسوتية والباهرية والكابلية أهل الحيل ومنهم الطبسيون أصحاب الرياضة الفاعلة حتي ان منهم من يجاهد نفسه حتى يسلطها على جسده فيصعد فى الهواء على قدر قوته وفي اليهود عباد النار وعباد الشمس والقمر والنجوم وعباد الاوثان * والطائفة التاسعة الزنادقة وهم طوائف منهم القرامطة * والعاشرة الفلاسفة أصحاب الفلسفة وكلمة فيلسوف معناها محب الحكمة فان فيلو محب وسوفا حكمة والحكمة قولية وفعلية وعلم الحكماء انحصر فى أربعة أنواع الطبيعي والمدني والرياضي والالهي والمجموع ينصرف الى علم ما وعلم كيف وعلم كم فالعلم الذي يطلب فيه ماهيات الاشياء هو الالهى والذى يطلب فيه كيفيات الاشياء هو الطبيعي والذى يطلب فيه كميات الاشياء هو الرياضى ووضع بعد ذلك أرسطو صنعة المنطق وكانت بالقوة فى كلام القدماء فأظهرها ورتبها واسم الفلاسفة يطلق على جماعة من الهند وهم الطبسيون والبراهمة ولهم رياضة شديدة وينكرون النبوة أصلا ويطلق أيضاً على العرب بوجه أنقص وحكمتهم ترجع الى أفكارهم و الى ملاحظة طبيعية ويقرون بالنبوات وهم أضعف الناس فى العلوم ومن الفلاسفة حكماء الروم وهم طبقات فنهم أساطين الحكمة وهم أقدمهم ومنهم المشاؤون وأصحاب الرواق وأصحاب أرسطو وفلاسفة الاسلام * فمن فلاسفة الروم الحكماء السبعة أساطين الحكمة أهل ملطية وقونية وهم ثاليس الملطى وانكساغورس وانكسمالس وابناذقيس وفيثاغورس وسقراط وافلاطون * ودون هؤلاء فلوطس وبقراط وديمقراطيس وأسعر والنساس * ومنهم حكماء الاصول من القدماء ولهم القول بالسيمياء ولهم أسرار الخواص والحيل والكيمياء والاسماء الفعالة والحروف ولهم علوم توافق علوم الهند وعلوم اليونانيين وليس من موضوع كتابنا هذا ذكر تراجمهم فلذلك تركناها

*( القسم الثاني فرق أهل الاسلام )* الذين عناهم النبى صلى الله عليه وسلم بقوله ستفترق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة ثنتان وسبعون هالكة وواحدة ناجية وهذا الحديث أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على احدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على احدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة و تفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة قال البيهقى حسن صحيح وأخرجه الحاكم وابن حبان فى صحيحه بنحوه فأخرجه في المستدرك من طريق الفضل بن موسى عن محمد بن عمر وعن أبي سلمة عن أبى هريرة به وقال هذا حديث كثير في الاصول وقد روى عن سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر وعوف بن مالك عن رسول الله صلي الله عليه وسلم بمثله وقد احتج مسلم بمحمد ابن عمرو عن أبى سلمة عن أبي هريرة واتفقا جميعا على الاحتجاج بالفضل ابن

موسى وهو ثقة * واعلم أن فرق المسلمين خمسة أهل السنة والمرجئة والمعتزلة والشيعة والخوارج وقد افترقت كل فرقة منها علي فرق فأكثر افتراق أهل السنة في الفتيا ونبذ ابن يسيرة من الاعتقادات وبقية الفرق الاربع منها من يخالف أهل السنة الخلاف البعيد ومنهم من يخالفهم الخلاف القريب فأقرب فرق المرجئة من قال الايمان انما هو التصديق بالقلب واللسان معا فقط وان الاعمال انما هي فرائض الايمان وشرائعه فقط وأبعدهم أصحاب جهم بن صفوان ومحمد بن كرام وأقرب فرق المعتزلة أصحاب الحسين النجار وبشر بن غياث المريسي وأبعدهم أصحاب أبي الهذيل العلاف وأقرب مذاهب الشيعة أصحاب الحسن بن صالح ابن حي وأبعدهم الامامية وأما الغالية فليسوا بمسلمين ولكنهم اهل ردة وشرك وأقرب فرق الخوارج أصحاب عبد الله بن يزيد الاباضي وأبعدهم الازارقة وأما البطيخية ومن جحد شيئاً من القرآن أو فارق الاجماع من العجاردة وغيرهم فكفار باجماع الامة وقد انحصرت الفرق الهالكة في عشر طوائف

* (الفرقة الاولى المعتزلة) * الغلاة في نفي الصفات الالهية القائلون بالعدل والتوحيد وأن المعارف كلها عقلية حصولا ووجوبا قبل الشرع وبعده واكثرهم على أن الامامة بالاختيار وهم عشرون فرقة * احداها الواصلية * أصحاب واصل بن عطاء أبي حذيفة الغزال مولى بني ضبة وقيل مولى بني مخزوم ولد بالمدينة سنة ثمانين ونشأ بالبصرة ولقي أبا هاشم عبد الله ابن محمد بن الحنفية ولازم مجلس الحسن بن الحسين البصري وأكثر من الجلوس بسوق الغزل ليعرف النساء المتعففات فيصرف اليهن صدقته فقيل له الغزال من اجل ذلك وكان طويل العنق جدا حتي عابه عمرو بن عبيد بذلك فقال من هذه عنقه لاخير عنده فلما برع واصل قال عمرو ربما اخطأت الفراسة وكان يلثغ بالراء ومع ذلك كان فصيحا لسنا مقتدرا على الكلام قد أخذ بجوامعه فلذلك أمكنه أن أسقط حرف الراء من كلامه واجتناب الحروف صعب جدا لاسيما مثل الراء لكثرة استعمالها وله رسالة طويلة لم يذكر فيها حرف الراء أحد بدائع الكلام وكان لكثرة صمته يظن به الخرس توفي سنة احدى وثلاثين ومائة وله كتاب المنزلة بين المنزلتين وكتاب الفتيا وكتاب التوحيد وعنه أخذ جماعة وأخباره كثيرة ويقال لهم أيضاً الحسنية نسبة الى الحسن البصري وأخذ واصل العلم عن أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وخالفه في الامامة واعتزاله على أربع قواعد هي نفي الصفات والقول بالقدر والقول بمنزلة بين المنزلتين وأوجب الخلود في النار على من ارتكب كبيرة فلما بلغ الحسن البصري عنه هذا قال هؤلاء اعتزلوا فسموا من حينئذ المعتزلة وقيل ان تسميتهم بذلك حدثت بعد الحسن وذلك أن عمرو بن عبيد لما مات الحسن وجلس قتادة مجلسه اعتزله في نفر معه فسماهم قتادة المعتزلة القاعدة الرابعة القول بأن احدي الطائفتين من

أصحاب الجمل وصفين مخطئة لا بعينها وكان في خلافة هشام بن عبد الملك * والثانية العمروية * أصحاب عمرو ومن قوله ترك قول علي بن أبي طالب وطلحة والزبير رضي الله عنهم وقال ابن منبه اعتزل عمرو بن عبيد وأصحاب له الحسن فسموا المعتزلة * والثالثة الهذلية * أتباع أبي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف شيخ المعتزلة أخذ عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء ونظر في الفلسفة ووافقهم في كثير وقال جميع الطاعات من الفرائض والنوافل ايمان وانفرد بعشر مسائل وهي أن علم الله وقدرته وحياته هي ذاته وأثبت ارادات لا محل لها يكون البارى مريدا لها وقال بعض كلام الله لا في محل وهو قوله كن وبعضه في محل كالامر والنهي وقال في امور الآخرة كمذهب الجبرية وقال تنتهي مقدورات الله حتى لا يقدر على احداث شئ ولا على افناء شئ ولا احياء شئ ولا اماتة شئ وتنقطع حركات أهل الجنة والنار ويصيرون الى سكون دائم وقال الاستطاعة عرض من الاعراض نحو السلامة والصحة وفرق بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح وقال تجب معرفة الله قبل ورود السمع وان المرء المقتول ان لم يقتل مات في ذلك الوقت ولا يزاد العلم ولا ينقص بخلاف الرزق وقال ارادة الله عين المراد والحجة لا تقوم فيما غاب الا بخبر عشرين * والرابعة النظامية * أتباع ابراهيم بن سيار النظام بتشديد الظاء المعجمة زعيم المعتزلة وأحد السفهاء انفرد بعدة مسائل وهي قوله ان الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي وانها غير مقدورة لله وقال ليس لله ارادة وأفعال العباد كلها حركات والنفس والروح هو الانسان والبدن انما هو آلة فقط وان كل ماجاوز القدرة من الفعل فهو من الله وهو فعله وانكر الجوهر الفرد وأحدث القول بالطفرة وقال الجوهر مؤلف من أعراض اجتمعت وزعم أن الله خلق الموجودات دفعة على ماهي عليه وان الاعجاز في القرآن من حيث الاخبار عن الغيب فقط وانكر أن يكون الاجماع حجة وطعن في الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقال قبحه الله أبو هريرة أكذب الناس وزعم انه ضرب فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنع ميراث العترة وأوجب معرفة الله بالفكر قبل ورود الشرع وحرم نكاح الموالي العربيات وقال لا تجوز صلاة التراويح ونهى عن ميقات الحج وكذب بانشقاق القمر وأحال رؤية الجن وزعم أن من سرق مائتي دينار فما دونها لم يفسق وان الطلاق بالكتابة لا يقع وان كان بنية وان من نام مضطجعا لا ينتقض وضوؤه مالم يخرج منه الحدث وقال لا يلزم قضاء الصلوات اذا فاتت * والخامسة الاسوارية * أتباع أبي على عمرو بن قائد الاسوارى القائل ان الله تعالى لا يقدر أن يفعل ماعلم أنه لا يفعله * والسادسة الاسكافية * أتباع أبي جعفر محمد بن عبد الله الاسكافي ومن قوله ان الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء ويقدر على ظلم الاطفال والمجانين وانه لا يقال ان الله خالق المعازف والطنابير وان كان هو الذي خلق أجسامها * والسابعة الجعفرية * أتباع

جعفر بن حرب بن ميسرة ومن قوله ان فى فساق هذه الامة من هو شر من اليهود والنصارى والمجوس وأسقط الحد عن شارب الخمر وزعم أن الصغائر من الذنوب توجب تخليد فاعلها فى النار وأن رجلا لو بعث رسولا الى امرأة ليخطبها لجماعته فوطئها من غير عقد لم يكن عليه حد ويكون وطؤه اياها طلاقا لها * والثامنة البشرية * أتباع بشر بن المعتمر ومن قوله الطعم واللون والرائحة والادراكات كلها من السمع يجوز أن تحصل متولدة وصرف الاستطاعة الى سلامة البنية والجوارح وقال لو عذب الله الطفل الصغير لكان ظالماً وهو يقدر على ذلك وقال ارادة الله من جملة أفعاله ثم هي تنقسم الى صفة فعل وصفة ذات وقال باللطف المخزون وأن الله لم يخلقه لان ذلك يوجب عليه الثواب وان التوبة الاولى متوقفة على الثانية وانها لا تنفع الا بعدم الوقوع في الذي وقع فيه فان وقع لم تنفعه التوبة الاولى * والتاسعة المزدارية * أتباع أبي موسى عيسى بن صبيح المعروف بالمزدار تلميذ بشر بن المعتمر وكان زاهدا وقيل له راهب المعتزلة وانفرد بمسائل منها قوله ان الله قادر على أن يظلم ويكذب ولا يطعن ذلك في الربوبية وجوز وقوع الفعل الواحد من فاعلين على سبيل التولد وزعم أن القرآن مما يقدر عليه وأن بلاغته وفصاحته لا تعجز الناس بل يقدرون على الاتيان بمثلها وأحسن منها وهو أصل المعتزلة في القول بخلق القرآن وقال من أجاز رؤية الله بالابصار بلا كيف فهو كافر والشاك فى كفره كافر أيضاً * والعاشرة الهشامية * أتباع هشام بن عمرو الفوطى الذي يبالغ في القدر ولا ينسب الى الله فعلا من الافعال حتي انه أنكر أن يكون الله هو الذى ألف بين قلوب المؤمنين وانه يحبب الايمان للمؤمنين وانه أضل الكافرين وعاند مافى القرآن من ذلك وقال لا تنعقد الامامة في زمن الفتنة واختلاف الناس وان الجنة والنار غير مخلوقتين ومنع أن يقال حسبنا الله ونعم الوكيل وقال لان الوكيل دون الموكل وقال لو أسبغ أحد الوضوء ودخل في الصلاة بنية القربة لله تعالي والعزم على اتمامها وركع وسجد مخلصاً في ذلك كله الا أن الله علم أنه يقطعها فى آخرها فان أول صلاته معصية ومنع أن يكون البحر انفلق لموسى وأن عصاه انقلبت حية وأن عيسى أحيي الموتي باذن الله وأن القمر انشق للنبى صلى الله عليه وسلم وانكر كثيراً من الامور التى تواترت كحصر عثمان بن عفان رضى الله عنه وقتله بالغلبة وقال انما جاءته شرذمة قليلة تشكو عماله ودخلوا عليه وقتلوه فلا يدرى قاتله وقال ان طلحة والزبير وعلي بن أبي طالب رضى الله عنهم ماجاؤا للقتال في حرب الجمل وانما برزوا للمشاورة وتقاتل أتباع الفريقين في ناحية أخرى وان الامة اذا اجتمعت كلها وتركت الظلم والفساد احتاجت الى امام يسوسها فأما اذا عصت وفجرت وقتلت واليها فلا تنعقد الامامة لاحد وبنى على ذلك أن امامة علي رضى الله عنه لم تنعقد لانها كانت في حال الفتنة بعد قتل عثمان وهو أيضاً مذهب الاصم وواصل بن عطاء وعمرو بن

عبيد وأنكر اقتضاض الابكار فى الجنة وأنكر أن الشيطان يدخل في الانسان وانما يوسوس له من خارج والله يوصل وسوسته الى قلب ابن آدم وقال لايقال خالق الله الكافر لانه اسم العبد والكفر جميعاً وأنكر أن يكون فى أسماء الله الضار النافع * والحادية عشر الحائطية * أتباع أحمد بن حائط أحد أصحاب ابراهيم بن سيار النظام وله بدع شنيعة منها أن للخلق الهين أحدهما خالق وهو الاله القديم والآخر مخلوق وهو عيسى بن مريم وزعم أن المسيح ابن الله وانه هو الذى يحاسب الخلق في الآخرة وانه هو المعنى بقول الله تعالى في القرآن هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وزعم فى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم علي صورته أن معناه خلقه اياه على صورة نفسه وان معنى قوله عليه السلام انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر انما أراد به عيسي وزعم أن فى الدواب والطيور والحشرات حتي البق والبعوض والذباب انبياء لقول الله سبحانه وان من أمة الا خلا فيها نذير وقوله تعالى ومامن دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم مافرطنا فى الكتاب من شيء ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الكلاب أمة من الامم لامرت بقتلها وذهب مع ذلك الى القول بالتناسخ وزعم أن الله ابتدأ الخلق في الجنة وانما خرج من خرج منها بالمعصية وطعن فى النبي صلي الله عليه وسلم من أجل تعدد نكاحه وقال أن أباذر الغفارى انسك وأزهد منه قبحه الله وزعم أن كل من نال خيراً فى الدنيا انما هو بعمل كان منه ومن ناله مرض أو آفة فبذنب كان منه وزعم أن روح الله تناسخت فى الائمة * والثانية عشر الحمارية * أتباع قوم من معتزلة عسكر مكرم ومن مذهبهم أن الممسوخ انسان كافر معتقد الكفر وان النظر أوجب المعرفة وهو لافاعل له وكذلك الجماع أوجب الولد فشك فى خالق الولد وان الانسان يخلق انواعا من الحيوانات بطريق التعفين وزعموا أنه يجوز أن يقدر الله العبد على خلق الحياة والقدرة * والثالثة عشر المعمرية * أتباع معمر بن عباد السلمى وهو أعظم القدرية غلوا وبالغ في رفع الصفات والقدرة بالجملة وانفرد بمسائل منها أن الانسان يدبر الجسد وليس بحال فيه والانسان عنده ليس بطويل ولا عريض ولاذي لون وتأليف وحركة ولا حال ولا متمكن وأن الانسان شيء غير هذا الجسد وهو حى عالم قادر مختار وليس هو بمتحرك ولا ساكن ولامتلون ولا يرى ولا يلمس ولا يحل موضعا ولا يحويه مكان فوصف الانسان بوصف الالهية عنده فان مدبر العالم موصوف عنده كذلك وزعم ان الانسان منعم في الحياة ومعذب في النار وليس هو فى الجنة ولا في النار حالا ولا متمكنا وقال ان الله لم يخلق غير الاجسام والاعراض تابعة لها متولدة منها وأن الاعراض لاتتناهى فى كل نوع وأن الارادة من الله للشيء غير الله وغير خلقه وان الله ليس بقديم لان ذلك أخذ من قدم يقدم فهو قديم * والرابعة عشر الثمامية * أتباع ثمامة بن اشرس

النميري وجمع بين النقائض وقال العلوم كلها ضرورية فكل من لم يضطر الى معرفة الله فليس بمأمور بها وهو كالبهائم ونحوها وزعم أن اليهود والنصاري والزنادقة يصيرون يوم القيامة ترابا كالبهائم لاثواب لهم ولاعقاب عليهم البتة لانهم غير مأمورين اذهم غير مضطرين الى معرفة الله تعالى وزعم أن الافعال كلها متولدة لافاعل لها وان الاستطاعة هي السلامة وصحة الجوارح وان العقل هو الذي يحسن ويقبح فتجب معرفة الله قبل ورود الشرع وأن لافعل للانسان الا الارادة وما عداها فهو حدث * والخامسة عشر الجاحظية * أتباع أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وله مسائل تميز بها عن أصحابه منها أن المعارف كلها ضرورية وليس شئ من ذلك من أفعال العباد وانما هي طبيعية وليس للعباد كسب سوى الارادة وان العباد لايخلدون في النار بل يصيرون من طبيعتها وان الله لايدخل أحدا النار وانما النار تجذب أهلها بنفسها وطبيعتها وان القرآن المنزل من قبيل الاجساد ويمكن أن يصير مرة رجلا ومرة حيوانا وان الله لايريد المعاصي وانه لايرى وان الله يريد بمعنى انه لايغلط ولا يصح في حقه السهو فقط وانه يستحيل العدم على الجواهر من الاجسام * والسادسة عشر الخياطية * أصحاب أبي الحسين بن أبي عمرو الخياط شيخ أبي القاسم الكعبي من معتزلة بغداد زعم أن المعدوم شيء وانه في العدم جسم ان كان في حدوثه جسما وعرض ان كان في حدوثه عرضا * والسابعة عشر الكعبية * أتباع أبي القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي المعروف بالكعبي من معتزلة بغداد انفرد بأشياء منها أن ارادة الله ليست صفة قائمة بذاته ولا هو مريد لذاته ولا ارادته حادثة في محل وانما يرجع ذلك الى العلم فقط والسمع والبصر يرجع الى ذلك أيضاً وأنكر الرؤية وقال اذا قلنا انه يرى المرئيات فانما ذلك يرجع الى علمه بها وتميزها قبل أن توجد * والثامنة عشر الجبائية * أتباع أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي من معتزلة البصرة تفرد بمقالات منها أن الله تعالى يسمى مطيعاً للعبد اذا فعل ما أراد العبد منه وأن الله محبل للنساء بخلق الولد فيهن وأن كلام الله عرض يوجد في امكنة كثيرة وفي مكان بعد مكان من غير أن يعدم من مكانه الاول ثم يحدث في الثاني وكان يقف في فضل علي على أبي بكر وفضل ابي بكر على علي ومع ذلك يقول ان ابا بكر خير من عمر وعثمان ولايقول ان عليا خير من عمر وعثمان * والتاسعة عشرة البهشمية * اتباع أبي هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي انفرد ببدع في مقالاته منها القول باستحقاق الذم من غير ذنب وزعم أن القادر منا يجوز أن يخلو عن الفعل والترك وأن القادر المأمور المنهي اذا لم يفعل فعلا ولاترك يكون عاصيا مستحق العقاب والذم لا على الفعل لانه لم يفعل ما أمر به وان الله يعذب الكافرين والعصاة لا على فعل مكتسب ولا على محدث منه وقال التوبة لاتصح من قبيح مع الاصرار على قبيح آخر يعلمه أو يعتقده قبيحا وان كان حسنا وان التوبة لاتصح مع الاصرار على منع حسنة واجبة عليه وان توبة

الزاني بعد ضعفه عن الجماع لاتصح وزعم أن الطهارة غير واجبة وانما أمر العبد بالصلاة في حال كونه متطهرا وان الطهارة تجزئ بالماء المغصوب ولاتجزئ الصلاة في الارض المغصوبة وزعم أن الزنج والترك والهنود قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وقال أبو علي وابنه أبو هاشم الايمان هو الطاعات المفروضة * والفرقة العشرون من المعتزلة الشيطانية * أتباع محمد بن نعمان المعروف بشيطان الطاق وهو من الروافض شارك كلا من المعتزلة والروافض في بدعهم وقلما يوجد معتزلي الا وهو رافضي الا قليلا منهم انفرد بطامة وهي ان الله لايعلم الشئ الا ما قدره وأراده وأما قبل تقديره فيستحيل أن يعلمه ولو كان عالما بأفعال عباده لاستحال أن يمتحنهم ويختبرهم وللمعتزلة اسام منها الثنوية سموا بذلك لقولهم الخير من الله والشر من العبد ومنهم الكيسانية والناكثية والاحمدية والوهمية والبترية والواسطية والواردية سموا بذلك لقولهم لايدخل المؤمنون النار وانما يردون عليها ومن أدخل النار لايخرج منها قط ومنهم الحرقية لقولهم الكفار لاتحرق الا مرة والمفنية القائلون بفناء الجنة والنار والواقفية القائلون بالوقف في خلق القرآن ومنهم اللفظية القائلون ألفاظ القرآن غير مخلوقة والملتزقة القائلون الله بكل مكان والقبرية القائلون بانكار عذاب القبر

*﴿ الفرقة الثانية المشبهة ﴾* وهم يغلون في اثبات صفات الله تعالى ضد المعتزلة وهم سبع فرق * الهشامية * أتباع هشام بن الحكم ويقال لهم أيضاً الحكمية ومن قولهم الاله تعالى كنور السبيكة الصافية يتلألأ من جوانبه ويرمون مقاتل بن سليمان بأنه قال هو لحم ودم على صورة الانسان وهو طويل عريض عميق وان طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه وهو ذو لون وطعم ورائحة وهو سبعة أشبار بشبر نفسه ولم يصح هذا القول عن مقاتل * والجوالقية * أتباع هشام بن سالم الجوالقي وهو من الرافضة أيضاً ومن شنيع قوله أن الله تعالى على صورة الانسان نصفه الاعلى مجوف ونصفه الاسفل مصمت وله شعر أسود وليس بلحم ودم بل هو نور ساطع وله خمس حواس كحواس الانسان ويد ورجل وفم وعين وأذن وشعر أسود لا الفرج واللحية * والبيانية أتباع بيان بن سمعان القائل هو على صورة الانسان ويهلك كله الا وجهه لظاهر الآية كل شيء هالك الا وجهه * والمغيرية أتباع مغيرة ابن سعيد العجلي وهو أيضاً من الروافض ومن شنائعه قوله ان أعضاء معبودهم على صورة حروف الهجاء فالالف على صورة قدميه وزعم أنه رجل من نور على رأسه تاج من نور وزعم أن الله كتب باصبعه أعمال العباد من طاعة ومعصية ونظر فيهما وغضب من معاصيهم فعرق فاجتمع من عرقه بحران عذب ومالح وزعم أنه بكل مكان لايخلو عنه مكان * والمنهالية أصحاب منهال بن ميمون * والزرارية أتباع زرارة بن أعين * واليونسية أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي وكلهم من الروافض وسيأتي ذكرهم ان شاء الله تعالى ومنهم أيضاً السابية

والشاكية والعملية والمستثنية والبدعية والعشرية والاثرية ومنهم الكرامية أتباع محمد بن كرام السجستاني وهم طوائف الهيضمية والاسحاقية والجندية وغير ذلك الا انهم يعدون فرقة واحدة لان بعضهم لايكفر بعضا وكلهم مجسمة الا أن فيهم من قال هو قائم بنفسه ومنهم من قال هو أجزاء مؤتلفة وله جهات ونهايات ومن قول الكرامية أن الايمان هو قول مفرد وهو قول لااله الا الله وسواء اعتقد أولا وزعموا أن الله جسم وله حد ونهاية من جهة السفل ويجوز عليه ملاقاة الاجسام التي تحته وانه على العرش والعرش مماس له وانه محل الحوادث من القول والارادة والادراكات والمرئيات والمسموعات وأن الله لو علم أحدا من عباده لايؤمن به لكان خلقه اياهم عبثا وأنه يجوز أن يعزل نبيا من الانبياء والرسل ويجوز عندهم على الانبياء كل ذنب لايوجب حدا ولا يسقط عدالة وانه يجب على الله تعالى تواتر الرسل وانه يجوز أن يكون امامان فى وقت واحد وأن عليا ومعاوية كانا امامين في وقت واحد الا أن عليا كان على السنة و معاوية على خلافها وانفرد ابن كرام في الفقه باشياء منها ان المسافر يكفيه من صلاة الخوف تكبيرتان وأجاز الصلاة فى ثوب مستغرق في النجاسة وزعم أن الصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر العبادات تصح بغير نية وتكفى نية الاسلام وأن النية تجب في النوافل وانه يجوز الخروج من الصلاة بالاكل والشرب والجماع عمدا ثم البناء عليها وزعم بعض الكرامية أن لله علمين أحدهما يعلم به جميع المعلومات والآخر يعلم به العلم الاول

*( الفرقة الثالثة القدرية )* الغلاة فى اثبات القدرة للعبد في اثبات الخلق والايجاد وانه لايحتاج في ذلك الى معاونة من جهة الله تعالى

*( الفرقة الرابعة المجبرة )* الغلاة في نفى استطاعة العبد قبل الفعل وبعده ومعه ونفى الاختيار له ونفى الكسب وهاتان الفرقتان متضادتان ثم افترقت المجبرة على ثلاث فرق * الجهمية أتباع جهم بن صفوان الترمذى مولى راسب وقتل فى آخر دولة بنى أمية وهو ينفى الصفات الالهية كلها ويقول لايجوز أن يوصف البارى تعالى بصفة يوصف بها خلقه وأن الانسان لايقدر على شئ ولا يوصف بالقدرة ولا الاستطاعة وان الجنة والنار يفنيان وتنقطع حركات أهلهما وان من عرف الله ولم ينطق بالايمان لم يكفر لان العلم لايزول بالصمت وهو مؤمن مع ذلك وقد كفره المعتزلة في نفى الاستطاعة وكفره أهل السنة بنفى الصفات وخلق القرآن ونفى الرؤية وانفرد بجواز الخروج على السلطان الجائر وزعم أن علم الله حادث لا بصفة يوصف بها غيره * والبكرية أتباع بكر ابن أخت عبد الواحد وهو يوافق النظام فى أن الانسان هو الروح ويزعم أن البارى تعالى يرى فى القيامة فى صورة يخلقها ويكلم الناس منها وأن صاحب الكبيرة منافق في الدرك الاسفل من النار وحاله أسوأ من حال الكافر وحرم أكل الثوم والبصل وأوجب الوضوء من قرقرة البطن * والضرارية أتباع ضرار

ابن عمر وانفرد باشياء منها أن الله تعالى يرى في القيامة بحاسة زائدة سادسة وانكر قراءة ابن مسعود وشك في دين عامة المسلمين وقال لعلهم كفار وزعم أن الجسم اعراض مجتمعة كما قالت النجارية ومن جملة الجبرة البطيخية اتباع اسماعيل البطيخي والصباحية أتباع أبي صباح بن معمر والفكرية والخوفية

*( الفرقة الخامسة المرجئة )* الارجاء اما مشتق من الرجاء لان المرجئة يرجون لاصحاب المعاصي الثواب من الله تعالى فيقولون لايضر مع الايمان معصية كما أنه لاينفع مع الكفر طاعة أو يكون مشتقا من الارجاء وهو التأخير لأنهم أخروا حكم أصحاب الكبائر الى الآخرة وحقيقة المرجئة أنهم الغلاة في اثبات الوعد والرجاء ونفي الوعيد والخوف عن المؤمنين وهم ثلاثة أصناف * صنف جمعوا بين الرجاء والقدر وهم غيلان وأبو شمر من بني حنيفة * وصنف جمعوا بين الارجاء والجبر مثل جهم بن صفوان * وصنف قال بالارجاء المحض وهم أربع فرق * اليونسية أتباع يونس بن عمرو وهو غير يونس بن عبد الرحمن القمي الرافضي زعم أن الايمان معرفة الله والخضوع له والمحبة والاقرار بأنه واحد ليس كمثله شئ * والغسانية أتباع غسان بن أبان الكوفي المنكر نبوة عيسى عليه السلام وتلمذ لمحمد بن الحسن الشيباني ومذهبه في الايمان كمذهب يونس الا انه يقول كل خصلة من خصال الايمان تسمى بعض الايمان ويونس يقول كل خصلة ليست بايمان ولا بعض ايمان وزعم غسان أن الايمان لايزيد ولا ينقص وعند أبي حنيفة رحمه الله الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان فلا يزيد ولا ينقص كقرص الشمس * والثوبانية أتباع ثوبان المرجي ثم الخارجي المعتزلي وكان يقال له جامع النقائص هاجر الخصائص ومن قوله الايمان هو المعرفة والاقرار والايمان فعل مايجب في العقل فعله فأوجب الايمان بالعقل قبل ورود الشرع وفارق الغسانية واليونسية في ذلك * والتؤمنية أتباع أبي معاذ التؤمني الفيلسوف زعم أن من ترك فريضة لايقال له فاسق على الاطلاق ولكن ترك الفريضة فسق وزعم أن هذه الخصال التي تكون جملتها ايمانا فواحدة ليست بايمان ولا بعض ايمان وأن من قتل نبيا كفر لا لاجل القتل بل لاستخفافه به وبغضه له * ومن فرق المرجئة المريسية اتباع بشر بن غياث المريسي كان عراقي المذهب في الفقه تلميذا للقاضي أبي يوسف يعقوب الحضرمي وقال بنفي الصفات وخلق القرآن فأكفرته الصفاتية بذلك وزعم أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالي ولا استطاعة مع الفعل فأكفرته المعتزلة بذلك وزعم أن الايمان هو التصديق بالقلب وهو مذهب ابن الربوبدي ولما ناظره الشافعي في مسألة خلق القرآن ونفي الصفات قال له نصفك كافر لقولك بخلق القرآن ونفي الصفات ونصفك مؤمن لقولك بالقضاء والقدر وخلق اكتساب العباد وبشر معدود من المعتزلة لنفيه الصفات وقوله بخلق القرآن * ومن فرق المرجئة الصالحية

أتباع صالح بن عمرو بن صالح والجحدرية أتباع جحدر بن محمد التميمي والزيادية أتباع محمد ابن زياد الكوفي والشبيبة أتباع محمد بن شبيب والناقضية والبهشمية * ومن المرجئة جماعة من الائمة كسعيد بن جبير وطلق بن حبيب وعمرو بن مرة ومحارب بن دثار وعمرو بن ذر وحماد ابن سليمان وابى مقاتل وخالفوا القدرية والخوارج والمرجئة في انهم لم يكفروا بالكبائر ولا حكموا بتخليد مرتكبها في النار ولا سبوا أحدا من الصحابة ولا وقعوا فيهم * وأول من وضع الارجاء أبو محمد الحسن بن محمد المعروف بابن الحنفية بن على بن أبى طالب وتكلم فيه وصارت المرجئة بعده أربعة أنواع الاول مرجئة الخوارج الثانى مرجئة القدرية الثالث مرجئة الجبرية الرابع مرجئة الصالحية وكان الحسن بن محمد بن الحنفية يكتب كتبه الى الامصار يدعو الى الارجاء الا انه لم يؤخر العمل عن الايمان كما قال بعضهم بل قال أداء الطاعات وترك المعاصى ليس من الايمان لايزول بزوالها وقال ابن قتيبة أول من وضع الارجاء بالبصرة حسان بن بلال بن الحارث المزني وذكر بعضهم أن أول من وضع الارجاء أبا سلت السمان ومات سنة اثنتين وخمسين ومائة

* (الفرقة السادسة الحرورية) * الغلاة فى اثبات الوعيد والخوف على المؤمنين والتخليد فى النار مع وجود الايمان وهم قوم من النواصب الخوارج وهم مضادون المرجئة في النفي والاثبات والوعد والوعيد ومن مفرداتهم أن من ارتكب كبيرة فهو مشرك ومذهب عامة الخوارج انه كافر وليس بمشرك وقال بعضهم هو منافق في الدرك الاسفل من النار فعند الحرورية أن الاسم يتغير بارتكاب الكبيرة الواحدة فلا يسمى مؤمنا بل كافرا مشركا والحكم فيه انه يخلد فى النار واتفقوا على أن الايمان هو اجتناب كل معصية وقيل لهم الحرورية لانهم خرجوا الى حروراء لقتال على بن أبى طالب رضى الله عنه وعدتهم اثنا عشر ألفاً ثم سار على رضى الله عنه اليهم وناظرهم ثم قاتلهم وهم أربعة آلاف فانضم اليهم جماعة حتي بلغوا اثني عشر ألفاً

* (الفرقة السابعة النجارية) * أتباع الحسن بن محمد بن عبد الله النجار أبى عبد الله كان حائكا وقيل انه كان يعمل الموازين وانه كان من أهل قم كان من جملة المجبرة ومتكلميهم وله مع النظام عدة مناظرات منها انه ناظره مرة فلما لم يلحن بحجته رفسه النظام وقال له قم أخزى الله من ينسبك الى شيء من العلم والفهم فانصرف محموما واعتل حتى مات وهم أكثر معتزلة الرى وجهاتها وهم يوافقون أهل السنة فى مسألة القضاء والقدر واكتساب العباد وفي الوعد والوعيد وامامة أبي بكر رضى الله عنه ويوافقون المعتزلة فى نفى الصفات وخلق القرآن وفى الرؤية وهم ثلاث فرق البرغوثية والزعفرانية والمستدركة

* (الفرقة الثامنة الجهمية) * أتباع جهم بن صفوان وهم يوافقون أهل السنة فى

مسألة القضاء والقدر مع ميل الى الجبر وينفون الصفات والرؤية ويقولون بخلق القرآن وهم فرقة عظيمة وعدادهم في المعطلة المجبرة

* ( الفرقة التاسعة الروافض ) * الغلاة في حب على بن أبي طالب و بغض أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة ومعاوية في آخرين من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين وسموا رافضة لان زيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب رضى الله عنهم امتنع من لعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال هما وزيرا جدي محمد صلى الله عليه وسلم فرفضوا رأيه ومنهم من قال لانهم رفضوا رأى الصحابة رضى الله عنهم حيث بايعوا أبا بكر وعمر رضى الله عنهما * وقد اختلف الناس في الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب الجمهور الى انه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقال العباسية والربوبدية أتباع أبي هريرة الربوبدي وقيل أتباع أبي العباس الربوبدي هو العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه لانه العم والوارث فهو أحق من ابن العم وقال العثمانية وبنو أمية هو عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وذهب آخرون الى غير ذلك وقال الرافضة هو على بن أبي طالب ثم اختلفوا فى الامامة اختلافا كثيرا حتي بلغت فرقهم ثلثمائة فرقة والمشهور منها عشرون فرقة * الزيدية والصباحية اقروا امامة أبي بكر رضي الله عنه ورأوا انه لا نص في امامة على رضي الله عنه واختلفوا فى امامة عثمان رضي الله عنه فأنكرها بعضهم وأقر بعضهم أنه الامام بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكن قالوا على أفضل من أبى بكر وامامة المفضول جائزة وقال الغلاة هو على بالنص ثم الحسن وبعده الحسين وصار بعد الحسين الامر شورى وقال بعضهم لم يرد النص الا بامامة على فقط وقال آخرون نص على علىّ بالوصف لا بالعين والاسم وقال بعضهم قد جاء النص على امامة اثني عشر آخرهم المهدى المنتظر وفرقهم العشرون هى * الامامية وهم مختلفون فى الامامة بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم فزعم اكثرهم أن الامامة في على بن أبي طالب وأولاده بنص النبى صلي الله عليه وسلم وان الصحابة كلهم قد ارتدوا الا عليا وابنيه الحسن والحسين وأباذر الغفاري وسلمان الفارسي وطائفة يسيرة * وأول من تكلم في مذهب الامامية على بن اسماعيل بن هيثم التمار وكان من اصحاب علي بن ابى طالب وذهبت القطعية منهم الى أن الامامة فى علي ثم في الحسن ثم في الحسين ثم في علي بن الحسين ثم فى محمد بن علي ثم في جعفر بن محمد ثم فى موسي بن جعفر ثم في علي بن موسي وقطعوا الامامة عليه فسموا القطعية لذلك ولم يكتبوا امامة محمد بن موسى ولا امامة الحسين بن محمد بن علي بن موسى وقالت الناروسية جعفر بن محمد لم يمت وهو حي ينتظر وقالت المباركية أتباع مبارك الامام بعد جعفر بن محمد ابنه اسماعيل بن جعفر ثم محمد بن اسماعيل وقالت الشميطية أتباع يحي ابن شميط الاحمسى كان مع المختار قائدا من قواده فانفذه اميرا على جيش البصرة يقاتل

مصعب بن الزبير فقتل بالمدار الامامة بعد جعفر في ابنه محمد وأولاده وقالت المعمرية أتباع معمر الامامة بعد جعفر في ابنه عبد الله بن جعفر وأولاده ويقال لهم الفطحية لان عبدالله ابن جعفر كان افطح الرجلين وقالت الواقفية الامام بعد جعفر ابنه موسي بن جعفر وهو حي لم يمت وهو الامام المنتظر وسموا الواقفيـة لوقوفهم علي امامة موسى وقالت الزرارية أتباع زرارة بن اعين الامام بعدجعفر ابنه عبد الله الا انه سأله عن مسائل فلم يمكنه الجواب عنها فادعى امامة موسي بن جعفر من بعد ابيه وقالت المفضلية أتباع المفضل ابن عمر والامام بعد جعفر ابنه موسى وانه مات فانتقلت الامامة الى ابنه محمد بن موسى وقالت المفوضة من الامامية ان الله تعالى خلق محمدا صلى الله عليه وسلم وفوض اليه خلق العالم وتدبيره وقال بعضهم بل فوض ذلك الى علي بن أبي طالب * والفرقة الثانية من فرق الروافض الكيسانية أتباع كيسان مولى على بن أبي طالب وأخذ عن محمد بن الحنفية وقيل بل كيسان اسم المختار بن عبيد الثقفي الذى قام لاخذ ثار الحسين رضى الله عنه زعموا أن الامام بعد على ابنه محمد بن الحنفية لانه أعطاه الراية يوم الجمل ولان الحسين أوصي اليـه عند خروجه الى الكوفة ثم اختلفوا في الامام بعد ابن الحنفيـة فقال بعضهم رجع الامر بعده الى أولاد الحسن والحسين وقيل بل انتقل الى أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وقالت الكربية أتباع أبي كرب بأن ابن الحنفيـة حي لم يمت وهو الامام المنتظر ومن قول الكيسانية أن البدا جائز على الله وهو كفر صريح * والفرقة الثالثة الخطابية أتباع ابى الخطاب محمد بن أبي ثور وقيل محمد بن أبي يزيد الاجدع ومذهبه الغلو في جعفر بن محمـد الصادق وهو أيضاً من المشبهة وأتباعه خمسون فرقة وكلهم متفقون على أن الأئمة مثل على وأولاده كلهم أنبياء وانه لابد من رسولين لكل أمة أحدهما ناطق والآخر صامت فكان محمـد ناطقا وعلى صامتا وان جعفر بن محمد الصادق كان نبيا ثم انتقلت النبوة الى أبي الخطاب الاجـدع وجوزوا كلهم شهادة الزور لموافقيهم وزعموا أنهم عالمون بما هو كائن الى يوم القيامة وقالت المعمرية منهم الامام بعد أبي الخطاب رجل اسمه معمر وزعموا أن الدنيـا لاتفنى وان الجنة هى مايصيبه الانسان من الخير في الدنيا والنار ضد ذلك وأباحوا شرب الخمر والزنى وسائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة وقالوا بالتناسخ وان الناس لايموتون وانما ترفع أرواحهم الى غيرهم وقالت البزيغية منهم ان جعفر بن محمد اله وليس هو الذى يراه الناس وانما تشبه على الناس وزعموا أن كل مؤمن يوحي اليه وأن منهم من هو خير من جبريل وميكائيل ومحمد صلي الله عليه وسلم وزعموا أنهم يرون أمواتهم بكرة وعشيا وقالت العميرية منهم أتباع عمير بن بيان العجلى مثل ذلك كله وخالفوهم فى أن الناس لايموتون وافترقت الخطابية بعد قتل أبي الخطاب فرقا منها فرقة زعمت أن الامام بعد أبى الخطاب عمير بن بيان العجلى

ومقالتهم كمقالة البزيغية الا أن هؤلاء اعترفوا بموتهم ونصبوا خيمة على كناسة الكوفة يجتمعون فيها على عبادة جعفر الصادق فبلغ ذلك يزيد بن عمير فصلب عمير بن بيان فى كناسة الكوفة ومن فرقهم المفضلية أتباع مفضل الصيرفي زعم أن جعفر بن محمد اله فطرده ولعنه وزعمت الخطابية باجمعها أن جعفر بن محمد الصادق أودعهم جلدا يقال له جفر فيه كل مايحتاجون اليه من علم الغيب وتفسير القرآن وزعموا لعنهم الله أن قوله تعالى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة معناه عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وأن الخمر والميسر أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وأن الجبت والطاغوت معوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص رضى الله عنهما * والفرقة الرابعة الزيدية أتباع زيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب رضى الله عنهم القائلون بامامته وامامة من اجتمع فيه ست خصال العلم والزهد والشجاعة وأن يكون من أولاد فاطمة الزهراء رضى الله عنه حسنيا أو حسينيا ومنهم من زاد صباحة الوجه وأن لايكون فيه آفة وهم يوافقون المعتزلة في أصولهم كلها الا في مسألة الامامة وأخذ مذهب زيد بن على عن واصل بن عطاء وكان يفضل عليا على أبي بكر وعمر مع القول بامامتهما وهم أربع فرق الجارودية أتباع أبى الجارود ويكني أبا النجم زياد بن المنذر العبدى زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على امامة على بالوصف لابالتسمية وأن الناس كفروا بتركهم مبايعة على رضى الله عنه والحسن والحسين وأولادهما والجريرية أتباع سليم بن جرير ومن قوله لم يكفر الناس بتركهم مبايعة على بل اخطأ وابترك الافضل وهو على وكفروا الجارودية بتكفيرهم الصحابة الا انهم كفروا عثمان بن عفان بالاحداث التى احدثها وقالوا لم ينص على على امامة أحد وصار الامر من بعده شوري ومنهم البترية أتباع الحسن بن صالح بن كثير الابتر وقولهم ان عليا افضل واولى بالامامة غير ان ابا بكر كان اماما ولم تكن امامته خطأ ولا كفرا بل ترك على الامامة له واما عثمان فيتوقف فيه ومنهم اليعقوبية اتباع يعقوب وهم يقولون بأمامة ابى بكر وعمر ويتبرؤن ممن تبرأ منهما وينكرون رجعة الاموات الى الدنيا قبل يوم القيامة ويتبرؤن ممن دان بها الا انهم متفقون على تفضيل علي على ابي بكر وعمر من غير تفسيقهما ولا تكفيرهما ولا لعنهما ولا الطعن على احد من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين * والفرقة الخامسة السبائية اتباع عبد الله بن سبا الذى قال شفاها لعلى بن ابي طالب انت الاله وكان من اليهود ويقول فى يوشع بن نون مثل قوله ذلك في على وزعم ان عليا لم يقتل وانه حي لم يمت وانه فى السحاب وان الرعد صوته والبرق سوطه وانه ينزل الى الارض بعد حين قبحه الله * والفرقة السادسة الكاملية أتباع أبى كامل اكفر جميع الصحابة بتركهم بيعة علي وكفر عليا بتركه قتالهم وقال بتناسخ الانوار الالهية في الائمة * ( والفرقة السابعة البيانية ) * أتباع

بيان بن سمعان زعم أن روح الاله حل في الانبياء ثم في علي وبعده في محمد بن الحنفية ثم في ابنه ابي هاشم عبد الله بن محمد ثم حل بعد ابي هاشم في بيان بن سمعان يعني نفسه لعنه الله * والفرقة الثامنة المغيرة أتباع مغيرة بن سعيد العجلى مولى خالد ابن عبد الله طلب الامامة لنفسه بعد محمد بن عبد الله بن الحسن فخرج على خالد بن عبد الله القسرى بالكوفة في عشرين رجلا فعطعطوا به فقال خالد اطعموني ماء وهو على المنبر فعير بذلك والمغيرة هذا قال بالتشبيه الفاحش وادعى النبوة وزعم أن معجزته علمه بالاسم الاعظم وانه يحيي الموتي وزعم أن الله لما اراد أن يخلق العالم كتب باصبعه أعمال عباده فغضب من معاصيهم فعرق فاجتمع من عرقه بحران أحدهما مالح والآخر عذب فخلق من البحر العذب الشيعة وخلق الكفرة من البحر الملح وزعم أن المهدى يخرج وهو محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسين بن على بن أبي طالب * والفرقة التاسعة الهشامية وهم صنفان أحدهما أتباع هشام بن الحكم والثاني أتباع هشام الجواليقي وهما يقولان لا تجوز المعصية على الامام وتجوز على الانبياء وأن محمدا عصى ربه في أخذ الفداء من أسرى بدر كذبا لعنهما الله وهما أيضاً مع ذلك من المشبهة * والفرقة العاشرة الزرارية أتباع زرارة بن أعين أحد الغلاة في الرفض ويزعم مع ذلك أن الله تعالى لم يكن في الازل عالما ولا قادرا حتى اكتسب لنفسه جميع ذلك قبحه الله * والفرقة الحادية عشر الجناحية أتباع عبد الله بن معاوية ذي الجناحين ابن أبي طالب وزعم أنه اله وأن العلم ينبت في قلبه كما تنبت الكمأة وان روح الاله دارت في الانبياء كما كانت في على وأولاده ثم صارت فيه ومذهبهم استحلال الخمر والميتة ونكاح المحارم وأنكروا القيامة وتأولوا قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات وزعموا أن كل مافي القرآن من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير كناية عن قوم يلزم بغضهم مثل أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وكل مافي القرآن من الفرائض التي أمر الله بها كناية عمن يلزم موالاتهم مثل على والحسن والحسين وأولادهم * والثانية عشر المنصورية أتباع أبي منصور العجلى أحد الغلاة المشبهة زعم أن الامامة انتقلت اليه بعد محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على ابن أبي طالب وأنه عرج به الى السماء بعد انتقال الامامة اليه وأن معبوده مسح بيده على رأسه وقال له يابني بلغ عني آية الكسف الساقط من السماء في قوله تعالى وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم الآية وزعم أن أهل الجنة قوم تجب موالاتهم مثل على ابن أبي طالب وأولاده وأن أهل النار قوم تجب معاداتهم مثل أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية رضي الله عنهم * والثالثة عشر الغرابية زعموا لعنهم الله أن جبريل أخطأ فانه أرسل الى على ابن أبي طالب فجاء الى محمد صلى الله عليه وسلم وجعلوا شعارهم اذا اجتمعوا أن يقولوا

العنوا صاحب الريش يعنون جبريل عليه السلام وعليهم اللعنة * والرابعة عشر الذمية بفتح الذال المعجمة زعموا أخذهم الله أن علي بن أبي طالب بعثه الله نبيا وانه بعث محمدا صلي الله عليه وسلم ليظهر أمره فادعي النبوة لنفسه وأرضي عليا بأن زوجه ابنته ومولو ومنهم العليانية أتباع عليان بن ذراع السدوسي وقيل الاسدى كان يفضل عليا على النبي صلى الله عليه وسلم ويزعم أن عليا بعث محمدا وكان لعنه الله يذم النبي صلي الله عليه وسلم لزعمه أن محمدا بعث ليدعو الى علي فدعا الى نفسه ومن العليانية من يقول بالهية محمـد وعلى جميعا ويقدمون محمدا فى الالهية ويقال لهم الميمية ومنهم من قال بالهية خمسة وهم أصحاب الـكساء محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين وقالوا خمستهم شيء واحـد والروح حالة فيهم بالسوية لافضل لواحد منهم على الآخر وكرهوا أن يقولوا فاطمة بالهاء فقالوا فاطم قال بعضهم

توليت بعد الله فى الدين خمسة * نبيا وسـبطيه وشيخا وفاطما

* والخامسة عشر اليونسية أتباع يونس بن عبد الله القمى أحد الغلاة المشبهة * والسادسة عشر الرزامية أتباع رزام بن سابق زعم أن الامامة انتقلت بعد على بن أبي طالب الى ابنه محمد بن الحنفية ثم الى ابنه أبى هاشم ثم الى على بن عبد الله بن عباس بالوصية ثم الى ابنه محمد بن على فأوصى بها محمد الى أبي العباس عبد الله بن محمد السفاح الظالم المتردد فى المذاهب الجاهل بحقوق أهل البيت * والسابعة عشر الشيطانية أتباع محمد بن النعمان شيطان الطاق وقد شارك المعتزلة والرافضة في جميع مذهبهم وانفرد بأعظم الـكفر قاتله الله وهو أنه زعم أن الله لايعلم الشيء حتى يقدره وقبل ذلك يستحيل علمه * والثامنـة عشر البسلمية وهم من الراوندية زعموا أن الامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم صارت في علي وأولاده الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ثم في أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وانتقلت منه الى علي بن عبد الله بن عباس بوصيته اليه ثم الى أبى العباس السفاح ثم الى أبي سلمة صاحب دولة بني العباس وقام بناحية كش فيما وراء النهر رجل من أهل مرو أعور يقال له هاشم ادّعى أن أبا سلمة كان الهاً انتقل اليه روح الله ثم انتقل اليه بعده فانتشرت دعوته هناك واحتجب عن أصحابه واتخذ له وجهاً من ذهب فعرف بالمصيغ ثم ان أصحـابه طلبوا رؤيته فوعدهم أن يريهم نفسه ان لم يحترقوا وعمل تجاه مرآه مرآة محرقة تعكس شعاع الشمس فلما دخلوا عليه احترق بعضهم ورجع الباقون وقد فتنوا واعتقدوا انه اله لاتدركه الابصار ونادوا في حروبهم بالهيته * والتاسعة عشر الجعفرية * والعشرون الصباحية وهم والزيدية امثل الشيعة فانهم يقولون بامامة ابى بكر وانه لانص في امامة علي مع انه عنـدهم افضل وابو بكر مفضـول * ومن فرق الروافض الحلوية والشاعية والشريكية يزعمون ان عليـا شريك محمد صلى الله عليه وسلم والتناسخية القائلون ان الارواح تتناسخ واللاعنة والمخطئة

الذين يزعمون ان جبريل اخطأ والاسحاقية والخلفية الذين يقولون لاتجوز الصلاة خلف غير الامام والرجعية القائلون سيرجع علي بن ابي طالب وينتقم من اعدائه والمتربصية الذين يتربصون خروج المهدى والامرية والجبية والجلالية والكريبية أتباع ابي كريب الضرير والحزنية أتباع عبد الله بن عمرو الحزنى

* ( الفرقة العاشرة الخوارج ) * ويقال لهم النواصب والحرورية نسبة الى حروراء موضع خرج فيه أولهم على على رضى الله عنه وهم الغلاة في حب أبي بكر وعمر وبغض على ابن ابي طالب رضوان الله عليهم أجمعين ولا أجهل منهم فانهم القاسطون المارقون خرجوا على على رضى الله عنه وانفصلوا عنه بالجملة وتبرؤا منه ومنهم من صحبه ومنهم من كان في زمنه وهم جماعة قد دون الناس أخبارهم وهم عشرون فرقة * الاولى يقال لهم الحكمية لانهم خرجوا علي على رضى الله عنه في صفين وقالوا لاحكم الا لله ولا حكم للرجال وانحازوا عنه الى حروراء ثم الى النهروان وسبب ذلك أنهم حملوه على التحاكم الى من حكم بكتاب الله فلما رضى بذلك وكانت قضية الحكمين أبي موسى الاشعري وهو عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص غضبوا من ذلك ونابذوا عليا وقالوا فى شعارهم لاحكم الا لله ولرسوله وكان امامهم في التحكيم عبد الله بن الكواء * والثانية الازارقة أتباع أبى راشد نافع بن الازرق بن قيس بن نهار بن انسان بن أسد بن صبرة بن ذهل بن الدول بن حنيفة الخارج بالبصرة في أيام عبد الله بن الزبير وهم على التبرى من عثمان وعلى والطعن عليهما وان دار مخالفيهم دار كفر وان من أقام بدار الكفر فهو كافر وأن أطفال مخالفيهم في النار ويحل قتلهم وانكروا رجم الزانى وقالوا من قذف محصنة حد ومن قذف محصنا لايحد ويقطع السارق في القليل والكثير * والثالثة النجدات ولم يقل فيهم النجدية ليفرق بينهم وبين من انتسب الى بلاد نجد فانهم أتباع نجد بن عويمر وهو عامر الحنفى الخارج باليمامة وكان رأسا ذا مقالة مفردة وتسمى بأمير المؤمنين وبعث عطية بن الاسود الى سجستان فأظهر مذهبه بمرو فعرفت أتباعه بالعطوية ومذهبهم أن الدين أمر ان أحدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله وتحريم دماء المسلمين وأموالهم والثانى الاقرار بما جاء من عند الله تعالى جملة وما سوي ذلك من التحريم والتحليل وسائر الشرائع فان الناس يعذرون بجهلها وانه لايأثم المجتهد اذا أخطأ وان من خالف ان يعذب المجتهد فقد كفر واستحلوا دماء أهل الذمة في دار التقية وقالوا من نظر نظرة محرمة أو كذب كذبة أوأصر على صغيرة ولم يتب منها فهو كافر ومن زنى أو سرق أو شرب خمرا من غير أن يصر علي ذلك فهو مؤمن غير كافر * والرابعة الصفرية أتباع زياد بن الاصفر ويقال أتباع النعمان بن صفر وقيل بل نسبوا الى عبدالله ابن صفار وهو أحد بنى مقاعس وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة

ابن تميم بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار وقيل عبد الله بن الصفار من بني صويم بن مقاعس وقيل سموا بذلك لصفرة علتهم وزعم بعضهم أن الصفرية بكسر الصاد وقد وافق الصفرية الازارقة في جميع بدعهم الا في قتل الاطفال ويقال للصفرية ايضاً الزيادية ويقال لهم ايضا النكار من اجل انهم ينقصون نصف علي وثلث عثمان وسدس عائشة رضى الله عنهم * والخامسة العجاردة أتباع عبد الكريم بن عجرد * والسادسة الميمونية أتباع ميمون ابن عمران وهم طائفة من العجاردة وافقوا الازارقة الا في شيئين أحدهما قولهم تجب البراءة من الاطفال حتي يبلغوا ويصفوا الاسلام والثاني استحلال أموال المخالفين لهم فلم تستحل الميمونية مال أحد خالفهم مالم يقتل المالك فاذا قتل صار ماله فيأ الا انهم ازدادوا كفرا على كفرهم وأجازوا نكاح بنات البنات وبنات البنين وبنات أولاد الاخوة وبنات أولاد الاخوات فقط * والسابعة الشعيبية وهم طائفة من العجاردة وافقوا الميمونية في جميع بدعهم الا في الاستطاعة والمشيئة فان الميمونية مالت الى القدرية * والثامنة الحمزية أتباع حمزة بن أدرك الشامى الخارج بخراسان فى خلافة هارون بن محمد الرشيد وكثر عيثه وفساده ثم فض جموع عيسى ابن علي عامل خراسان وقتل منهم خلقا كثيرا فانهزم منه عيسى الى كابل وآل أمر حمزة الى أن عرق في كرمان بواد هناك فعرفت أصحابه بالحمزية وكان يقول بالقدر فكفرته الازارقة بذلك وقال أطفال المشركين فى النار فكفرته القدرية بذلك وكان لا يستحل غنائم أعدائه بل يأمر باحراق جميع مايغنمه منهم * والتاسعة الحازمية وهم فرقة من العجاردة قالوا في القدر والمشيئة كقول أهل السنة وخالفوا الخوارج فى الولاية والعداوة فقالوا لم يزل الله تعالى محبا لاوليائه ومبغضا لاعدائه * والعاشرة المعلومية مع المجهولية تباينا في مسألتين احداهما قالت المعلومية من لم يعرف الله تعالى بجميع اسمائه فهو كافر وقالت المجهولية لا يكون كافرا والثانية وافقت المعلومية اهل السنة في مسألة القدر والمشيئة والمجهولية وافقت القدرية في ذلك * والحادية عشر الصلتية أتباع عثمان بن أبي الصلت وهم طائفة من العجاردة انفردوا بقولهم من أسلم توليناه لكن نتبرأ من أطفاله لانه ليس للاطفال اسلام حتي يبلغوا * والثانية عشر والثالثة عشر الاخنسية والمعبدية وهما فرقتان من الثعالبة أتباع ثعلبة بن عامر وكان ثعلبة هذا مع عبد الكريم بن عجرد ثم اختلفا في الاطفال فقال عبد الكريم نتبرأ منهم قبل البلوغ وقال ثعلبة لانتبرأ منهم بل نقول نتولى الصغار فلم تزل الثعالبة علي هذا الى أن خرج رجل عرف بالاخنس فقال نتوقف عن جميع من في دار التقية الا من عرفنا منه ايمانا فانا نتولاه ومن عرفنا منه كفرا تبرأنا منه ولا يجوز أن نبدأ أحدا بقتال فتبرأت منه الثعالبة وسموه بالاخنس لانه خنس منهم أى رجع عنهم ثم خرجت فرقة من الثعالبة قيل لها المعبدية اتباع معبد تخالفت الثعالبة في اخذ الزكاة

من العبيد والبهائم وكفرت كل فرقة منهما الاخرى * والرابعة عشر الشيبانية أتباع شيبان بن سلمة الخارج فى ايام ابي مسلم الخراساني القائم بدعوة الخلفاء العباسيين وكان معه فتبرأت منه الثعالبة لمعاونته لابى مسلم وهو اول من أظهر القول بالتشبيه تعالى الله عن ذلك * والخامسة عشر الشبيبية اتباع شبيب بن يزيد بن ابي نعيم الخارج في خلافة عبد الملك بن مروان وصاحب الحروب العظيمة مع الحجاج بن يوسف الثقفى وهم على ما كانت عليه الحكمية الاولى الا انهم انفردوا عن الخوارج بجواز امامة المرأة وخلافتها واستخلف شبيب هذا أمه غزالة فدخلت الكوفة وقامت خطيبة وصلت الصبح بالمسجد الجامع فقرأت في الركعة الاولى بالبقرة وفي الثانية بآل عمران وأخبار شبيب طويلة * والسادسة عشر الرشيدية أتباع رشيد ويقال لهم أيضاً العشرية من أجل انهم كانوا يأخذون نصف العشر مما سقت الانهار فقال لهم زياد بن عبد الرحمن يجب فيه العشر فتبرأت كل فرقة من الاخرى وكفرتها بذلك * والسابعة عشر المكرمية * أتباع أبي المكرم ومن قوله تارك الصلاة كافر وليس كفره لترك الصلاة لكن لجهله بالله وكذا قوله في سائر الكبائر * والثامنة عشر الحفصية أتباع حفص بن المقدام أحد اصحاب عبد الله بن أباض تفرّد بقوله من عرف الله تعالى وكفر بما سواه من رسول وغيره فهو كافر وليس بمشرك فانكر ذلك الاباضية وقالوا بل هو مشرك * والتاسعة عشر الاباضية أتباع عبد الله بن أباض من بنى مقاعس واسمه الحرث بن عمرو ويقال بل ينسبون الى أباض بضم الهمزة وهي قرية بالعرض من اليمامة نزل بها نجد بن عامر وخرج عبد الله بن اباض فى أيام مروان وكان من غلاة الحكمة * والفرقة العشرون اليزيدية أتباع يزيد بن أبى انيسة وكان اباضيا فانفرد ببدعة قبيحة وهى أن الله تعالى سيبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا جملة واحدة ينسخ به شريعة محمد صلى الله عليه وسلم * ومن فرق الخوارج أيضاً الحارثية والاصومية أتباع يحيي ابن أصوم والبيهسية أتباع أبي البيهس الهيصم بن خالد من بني سعيد بن ضبعة كان فى زمن الحجاج وقتل بالمدينة وصلب واليعقوبية أتباع يعقوب بن علىّ الكوفي ومن فرقهم الفضلية أتباع فضل بن عبد الله والشمراخية أتباع عبد الله بن شمراخ والضحاكية أتباع الضحاك والخوارج يقال لهم الشراة واحدهم شارى مشتق من شرى الرجل اذا أخذ أو معناه يستشري بالشر أو من قول الخوارج شرينا انفسنا لدين الله فنحن لذلك شراة وقيل انه من قولهم شاريته أى لاحجته وماريته وقيل شري الرجل غضبا اذا استطار غضبا وقيل لهم هذا لشدة غضبهم على المسلمين

*(ذكر الحال في عقائد أهل الاسلام منذ ابتداء الملة الاسلامية الى أن انتشر مذهب الاشعرية ) *

اعلم أن الله تعالى لما بعث من العرب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا الى الناس

جميعاً وصف لهم ربهم سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه الكريمة في كتابه العزيز الذى نزل به على قلبه صلى الله عليه وسلم الروح الامين وبما أوحى اليه ربه تعالى فلم يسأله صلى الله عليه وسلم أحد من العرب بأسرهم قرويهم وبدويهم عن معنى شيء من ذلك كما كانوا يسألونه صلى الله عليه وسلم عن أمر الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك مما لله فيه سبحانه أمر ونهى وكما سألوه صلى الله عليه وسلم عن أحوال القيامة والجنة والنار اذ لو سأله انسان منهم عن شيء من الصفات الالهية لنقل كما نقلت الاحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وسلم في أحكام الحلال والحرام وفي الترغيب والترهيب وأحوال القيامة والملاحم والفتن ونحو ذلك مما تضمنته كتب الحديث معاجمها ومسانيدها وجوامعها ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شيء مما وصف الرب سبحانه به نفسه الكريمة في القرآن الكريم وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات نعم ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل وانما أثبتوا له تعالى صفات ازلية من العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام والجلال والاكرام والجود والانعام والعز والعظمة وساقوا الكلام سوقا واحدا وهكذا أثبتوا رضى الله عنهم ما أطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك مع نفى مماثلة المخلوقين فأثبتوا رضي الله عنهم بلا تشبيه ونزهوا من غير تعطيل ولم يتعرض مع ذلك احد منهم الى تأويل شيء من هذا ورأوا بأجمعهم اجراء الصفات كما وردت ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى وعلى اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم سوى كتاب الله ولا عرف أحد منهم شيئاً من الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة فمضى عصر الصحابة رضي الله عنهم على هذا الى أن حدث في زمنهم القول بالقدر وأن الامر أنفة أي ان الله تعالى لم يقدر على خلقه شيئاً مما هم عليه * وكان أول من قال بالقدر فى الاسلام معبد بن خالد الجهنى وكان يجالس الحسن بن الحسين البصرى فتكلم في القدر بالبصرة وسلك اهل البصرة مسلكه لما رأوا عمرو بن عبيد ينتحله وأخذ معبد هذا الرأى عن رجل من الاساورة يقال له أبو يونس سنسويه ويعرف بالاسواري فلما عظمت الفتنة به عذبه الحجاج وصلبه بأمر عبد الملك بن مروان سنة ثمانين ولما بلغ عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما مقالة معبد فى القدر تبرأ من القدرية واقتدى بمعبد في بدعته هذه جماعة وأخذ السلف رحمهم الله في ذم القدرية وحذروا منهم كما هو معروف في كتب الحديث وكان عطاء بن يسار قاضياً يرى القدر وكان يأتي هو ومعبد الجهني الى الحسن البصرى فيقولان له ان

هؤلاء يسفكون الدماء ويقولون انما تجرى أعمالنا على قدر الله فقال كذب أعداء الله فطعن عليه بهذا ومثله وحدث أيضاً في زمن الصحابة رضى الله عنهم مذهب الخوارج وصرحوا بالتكفير بالذنب والخروج على الامام وقتاله فناظرهم عبدالله بن عباس رضي الله عنهما فلم يرجعوا الى الحق وقاتلهم أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه وقتل منهم جماعة كما هو معروف في كتب الاخبار ودخل في دعوة الخوارج خلق كثير ورمي جماعة من أئمة الاسلام بأنهم يذهبون الى مذهبهم وعد منهم غير واحد من رواة الحديث كما هو معروف عند أهله وحدث أيضاً في زمن الصحابة رضي الله عنهم مذهب التشيع لعلى بن أبى طالب رضي الله عنه والغلو فيه فلما بلغه ذلك أنكره وحرق بالنار جماعة ممن غلا فيه وأنشد

لما رأيت الامر أمرا منكرا * اججت نارى ودعوت قنبرا

وقام في زمنه رضى الله عنه عبد الله بن وهب بن سبا المعروف بابن السوداء السبأى وأحدث القول بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بالامامة من بعده فهو وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته على أمته من بعده بالنص وأحدث القول برجعة علي بعد موته الى الدنيا وبرجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً وزعم أن عليا لم يقتل وانه حي وأن فيه الجزء الالهي وانه هو الذي يجيئ في السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه وأنه لابد أن ينزل الى الارض فيملأها عدلا كما ملئت جورا ومن ابن سبا هذا تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة وصاروا يقولون بالوقف يعنون أن الامامة موقوفة على أناس معينين كقول الامامية بأنها فى الائمة الاثني عشر وقول الاسماعيلية بأنها فى ولد اسماعيل ابن جعفر الصادق وعنه أيضاً أخذوا القول بغيبة الامام والقول برجعته بعد الموت الى الدنيا كما تعتقده الامامية الى اليوم في صاحب السرداب وهو القول بتناسخ الارواح وعنه أخذوا أيضاً القول بأن الجزء الالهى يحل في الائمة بعد علي بن أبي طالب وانهم بذلك استحقوا الامامة بطريق الوجوب كما استحق آدم عليه السلام سجود الملائكة وعلى هذا الرأى كان اعتقاد دعاة الخلفاء الفاطميين ببلاد مصر وابن سبأ هذا هو الذى أثار فتنة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه حتى قتل كما ذكر في ترجمة ابن سبا من كتاب التاريخ الكبير المقفى وكان له عدة أتباع فى عامة الامصار وأصحاب كثيرون فى معظم الاقطار فكثرت لذلك الشيعة وصاروا ضدا للخوارج وما زال أمرهم يقوى وعددهم يكثر * ثم حدث بعد عصر الصحابة رضى الله عنهم مذهب جهم بن صفوان ببلاد المشرق فعظمت الفتنة به فانه نفى أن يكون لله تعالى صفة وأورد على أهل الاسلام شكوكا أثرت فى الملة الاسلامية آثارا قبيحة تولد عنها بلاء كبير وكان قبيل المائة من سني الهجرة فكثر اتباعه على أقواله التى تؤول الى التعطيل فأكبر أهل الاسلام بدعته وتمالؤا على انكارها وتضليل أهلها

وحذروا من الجهمية وعادوهم في الله وذموا من جلس اليهم وكتبوا فى الرد عليهم ما هو معروف عند أهله وفي أثناء ذلك حدث مذهب الاعتزال منذ زمن الحسن بن الحسين البصري رحمه الله بعد المائتين من سنى الهجرة وصنفوا فيه مسائل فى العدل والتوحيد واثبات أفعال العباد وأن الله تعالى لايخلق الشر وجهروا بأن الله لايرى فى الآخرة وأنكروا عذاب القبر على البدن وأعلنوا بأن القرآن مخلوق محدث الى غير ذلك من مسائلهم فتبعهم خلائق فى بدعهم وأكثروا من التصنيف فى نصرة مذهبهم بالطرق الجدلية فنهى أئمة الاسلام عن مذهبهم وذموا علم الكلام وهجروا من ينتحله ولم يزل أمر المعتزلة يقوي وأتباعهم تكثر ومذهبهم ينتشر في الارض * ثم حدث مذهب التجسيم المضاد لمذهب الاعتزال فظهر محمد بن كرام بن عراق بن حزابة أبو عبد الله السجستانى زعيم الطائفة الكرامية بعد المائتين من سنى الهجرة وأثبت الصفات حتى انتهى فيها الى التجسيم والتشبيه وحج وقدم الشام ومات بزغرة فى صفر سنة ست وخمسين ومائتين فدفن بالمقدس وكان هناك من أصحابه زيادة على عشرين ألفا على التعبد والتقشف سوى من كان منهم ببلاد المشرق وهم لايحصون لكثرتهم وكان اماما لطائفتي الشافعية والحنفية وكانت بين الكرامية بالمشرق وبين المعتزلة مناظرات ومناكرات وفتن كثيرة متعددة أزمانها هذا وأمر الشيعة يفشو في الناس حتي حدث مذهب القرامطة المنسوبين الى حمدان الاشعث المعروف بقرمط من أجل قصر قامته وقصر رجليه وتقارب خطوه وكان ابتداء أمر قرمط هذا في سنة أربع وستين ومائتين وكان ظهوره بسواد الكوفة فاشتهر مذهبه بالعراق وقام من القرامطة ببلاد الشام صاحب الخال والمدثر والمطوق وقام بالبحرين منهم أبو سعيد الجنابى من أهل جنابة وعظمت دولته ودولة بنيه من بعده حتى أوقعوا بعساكر بغداد واخافوا خلفاء بني العباس وفرضوا الاموال التى تحمل اليهم في كل سنة على أهل بغداد وخراسان والشام ومصر واليمن وغزوا بغداد والشام ومصر والحجاز وانتشرت دعاتهم باقطار الارض فدخل جماعات من الناس في دعوتهم ومالوا الى قولهم الذي سموه علم الباطن وهو تأويل شرائع الاسلام وصرفها عن ظواهرها الى أمور زعموها من عند أنفسهم وتأويل آيات القرآن ودعواهم فيها تأويلا بعيدا انتحلوا القول به بدعا ابتدعوها بأهوائهم فضلوا وأضلوا عالما كثيرا * هذا وقد كان المأمون عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بنى العباس ببغداد لما شغف بالعلوم القديمة بعث الى بلاد الروم من عرب له كتب الفلاسفة واتاه بها في أعوام بضع عشرة سنة ومائتين من سني الهجرة فانتشرت مذاهب الفلاسفة فى الناس واشتهرت كتبهم بعامة الامصار واقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها واكثروا من النظر فيها والتصفح لها فانجر على الاسلام واهله من علوم الفلاسفة مالا

يوصف من البلاء والمحنة في الدين وعظم بالفلسفة ضلال اهل البدع وزادتهم كفراً الى كفرهم فلما قامت دولة بني بويه ببغداد في سنة اربع وثلاثين وثلثمائة واستمروا الى سنة سبع وثلاثين واربعمائة واظهروا مذهب التشيع قويت بهم الشيعة وكتبوا على ابواب المساجد في سنة احدى وخمسين وثلثمائة لعن الله معاوية بن ابي سفيان ولعن من اغضب فاطمة ومن منع الحسن أن يدفن عند جده ومن نفى أباذر الغفارى ومن أخرج العباس من الشورى فلما كان الليل حكه بعض الناس فأشار الوزير المهلبي أن يكتب باذن معز الدولة لعن الله الظالمين لاهل البيت ولا يذكر أحد فى اللعن غير معاوية ففعل ذلك وكثرت ببغداد الفتن بين الشيعة والسنية وجهر الشيعة في الاذان بحى على خير العمل في الكرخ وفشا مذهب الاعتزال بالعراق وخراسان وما وراء النهر وذهب اليه جماعة من مشاهير الفقهاء وقوى مع ذلك أمر الخلفاء الفاطميين بافريقية وبلاد المغرب وجهروا بمذهب الاسماعيلية وبثوا دعاتهم بأرض مصر فاستجاب لهم خلق كثير من أهلها ثم ملكوها سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وبعثوا بعساكرهم الى الشام فانتشرت مذاهب الرافضة فى عامة بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والكوفة والبصرة وبغداد وجميع العراق وبلاد خراسان وماوراء النهر مع بلاد الحجاز واليمن والبحرين وكانت بينهم وبين أهل السنة من الفتن والحروب والمقاتل مالا يمكن حصره لكثرته واشتهرت مذاهب الفرق من القدرية والجهمية والمعتزلة والكرامية والخوارج والروافض والقرامطة والباطنية حتى ملأت الارض وما منهم الا من نظر فى الفلسفة وسلك من طرقها ماوقع عليه اختياره فلم تبق مصر من الامصار ولا قطر من الاقطار الا وفيه طوائف كثيرة ممن ذكرنا * وكان أبو الحسن على بن اسماعيل الاشعرى قد أخذ عن أبي على محمد بن عبد الوهاب الجبائي ولازمه عدة أعوام ثم بدا له فترك مذهب الاعتزال وسلك طريق أبي محمد عبدالله بن محمد ابن سعيد بن كلاب ونسج على قوانينه فى الصفات والقدر وقال بالفاعل المختار وترك القول بالتحسين والتقبيح العقليين وما قيل في مسائل الصلاح والاصلح وأثبت أن العقل لا يوجب المعارف قبل الشرع وأن العلوم وان حصلت بالعقل فلا تجب به ولا يجب البحث عنها الا بالسمع وان الله تعالى لا يجب عليه شئ وأن النبوات من الجائزات العقلية والواجبات السمعية الى غير ذلك من مسائله التي هى موضوع أصول الدين

* ( وحقيقة مذهب الاشعري ) * رحمه الله أنه سلك طريقا بين النفى الذى هو مذهب الاعتزال وبين الاثبات الذى هو مذهب أهل التجسيم وناظر على قوله هذا واحتج لمذهبه فمال اليه جماعة وعولوا على رأيه منهم القاضى أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المالكي وأبو بكر محمد بن الحسن بن فورك والشيخ أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن مهران الاسفرايني والشيخ أبو اسحاق ابراهيم بن على بن يوسف الشيرازى والشيخ أبو حامد محمد

ابن محمد بن احمد الغزالى وأبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن احمد الشهرستاني والامام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازى وغيرهم ممن يطول ذكره ونصروا مذهبه وناظروا عليه وجادلوا فيه واستدلوا له في مصنفات لاتكاد تحصر فانتشر مذهب ابى الحسن الاشعرى في العراق من نحو سنة ثمانين وثلثمائة وانتقل منه الى الشام فلما ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب ديار مصر كان هو وقاضيه صدر الدين عبدالملك ابن عيسى بن درباس المارانى على هذا المذهب قد نشآ عليه منذ كانا في خدمة السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بدمشق وحفظ صلاح الدين فى صباه عقيدة ألفها له قطب الدين أبو المعالى مسعود بن محمد بن مسعود النيسابورى وصار يحفظها صغار أولاده فلذلك عقدوا الخناصر وشدوا البنان على مذهب الاشعرى وحملوا فى أيام دولتهم كافة الناس على التزامه فتمادى الحال على ذلك جميع أيام الملوك من بني أيوب ثم في أيام مواليهم الملوك من الاتراك واتفق مع ذلك توجه أبي عبد الله محمد بن تومرت أحد رحالات المغرب الي العراق وأخذ عن أبى حامد الغزالى مذهب الاشعري فلما عاد الى بلاد المغرب وقام في المصامدة يفقههم ويعلمهم وضع لهم عقيدة لقفها عنه عامتهم ثم مات فخلفه بعد موته عبد المؤمن بن على القيسى وتلقب بامير المؤمنين وغلب على ممالك المغرب هو وأولاده من بعده مدة سنين وتسموا بالموحدين فلذلك صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت اذ هو عندهم الامام المعلوم المهدى المعصوم فكم أراقوا بسبب ذلك من دماء خلائق لايحصيها الا الله خالقها سبحانه وتعالى كما هو معروف في كتب التاريخ فكان هذا هو السبب في اشتهار مذهب الاشعرى وانتشاره فى أمصار الاسلام بحيث نسي غيره من المذاهب وجهل حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه الا أن يكون مذهب الحنابلة أتباع الامام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنه فانهم كانوا على ما كان عليه السلف لايرون تأويل ماورد من الصفات الى أن كان بعد السبعمائة من سني الهجرة اشتهر بدمشق وأعمالها تقى الدين أبو العباس احمد بن عبدالحكم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى فتصدى للانتصار لمذهب السلف وبالغ في الرد على مذهب الاشاعرة وصدع بالنكير عليهم وعلى الرافضة وعلى الصوفية فافترق الناس فيه فريقان فريق يقتدى به ويعول على أقواله ويعمل برأيه ويري أنه شيخ الاسلام وأجل حفاظ أهل الملة الاسلامية وفريق يبدعه ويضلله ويزرى عليه باثباته الصفات وينتقد عليه مسائل منها ماله فيه سلف ومنها مازعموا أنه خرق فيه الاجماع ولم يكن له فيه سلف وكانت له ولهم خطوب كثيرة وحسابه وحسابهم على الله الذى لايخفى عليه شئ في الارض ولا فى السماء وله الى وقتنا هذا عدة أتباع بالشام وقليل بمصر * هذا وبين الاشاعرة والماتريدية أتباع أبي منصور محمد بن محمد بن محمود

الماتريدي وهم طائفة الفقهاء الحنفية مقلدو الامام أبي حنيفة النعمان بن ثابت وصاحبيه أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم الحضرمي ومحمد بن الحسن الشيباني رضى الله عنهم من الخلاف في العقائد ماهو مشهور في موضعه وهو اذا تتبع يبلغ بضع عشرة مسألة كان بسببها في أول الامر تباين وتنافر وقدح كل منهم في عقيدة الآخر الا أن الامر آل آخراً الى الاغضاء ولله الحمد فهذا أعزك الله بيان ما كانت عليه عقائد الامة من ابتداء الامر الى وقتنا هذا قد فصلت فيه ماأجمله أهل الاخبار وأجملت مافصلوا فدونك طالب العلم تناول ماقد بذلت فيه جهدى وأطلت بسببه سهرى وكدى في تصفح دواوين الاسلام وكتب الاخبار فقد وصل اليك صفوا ونلته عفوا بلا تكلف مشقة ولا بذل مجهود ولكن الله يمن على من يشاء من عباده * (أبو الحسن) على بن اسماعيل بن أبي بشر اسحاق بن سالم بن اسماعيل ابن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبى بردة عامر بن أبي موسى واسمه عبد الله بن قيس الاشعرى البصرى ولد سنة ست وستين ومائتين وقيل سنة سبعين وتوفى ببغداد سنة بضع وثلاثين وثلثمائة وقيل سنة أربع وعشرين وثلثمائة سمع زكريا الساجي وأبا خليفة الجمحى وسهل بن نوح ومحمد بن يعقوب المقرى وعبد الرحمن بن خلف الضبي المصرى وروى عنهم في تفسيره كثيرا وتلمذ لزوج أمه أبي على محمد بن عبد الوهاب الجبائى واقتدى برأيه في الاعتزال عدة سنين حتي صار من أئمة المعتزلة ثم رجع عن القول بخلق القرآن وغيره من آراء المعتزلة وصعد يوم الجمعة بجامع البصرة كرسياً ونادى بأعلى صوته من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لايرى بالابصار وأن أفعال الشر أنا أفعلها وأنا تائب مقلع معتقد الرد على المعتزلة مبين لفضائحهم ومعايبهم وأخذ من حينئذ في الرد عليهم وسلك بعض طريق أبى محمد عبد الله ابن محمد بن سعيد بن كلاب القطان وبني على قواعده وصنف خمسة وخمسين تصنيفا منها كتاب اللمع وكتاب الموجز وكتاب إيضاح البرهان وكتاب التبيين على أصول الدين وكتاب الشرح والتفصيل في الرد على أهل الافك والتضليل وكتاب الابانة وكتاب تفسير القرآن يقال انه في سبعين مجلداً وكانت غلته من ضيعة وقفها بلال بن أبى بردة على عقبه وكانت نفقته في السنة سبعة عشر درهما وكانت فيه دعابة ومزح كثير وقال مسعود بن شيبة في كتاب التعليم كان حنفى المذهب معتزلى الكلام لانه كان ربيب أبي على الجبائي وهو الذى رباه وعلمه الكلام وذكر الخطيب أنه كان يجلس أيام الجمعات في حلقة أبي اسحاق المروزى الفقيه في جامع المنصور وعن أبى بكر بن الصيرفي كان المعتزلة قد رفعوا رؤسهم حتى أظهر الله تعالى الاشعرى فحجزهم في أقماع السماسم * وجملة عقيدته أن الله تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حى بحياة مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وأن صفاته ازلية قائمة

بذاته تعالى لايقال هى هو ولا هى غيره ولا لاهى هو ولا غيره وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات وقدرته واحدة تتعلق بجميع مايصح وجوده وارادته واحدة تتعلق بجميع مايقبل الاختصاص وكلامه واحد هو أمر ونهى وخبر واستخبار ووعد ووعيد وهذه الوجوه راجعة الى اعتبارات فى كلامه لا الى نفس الكلام والالفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الانبياء دلالات على الكلام الازلى فالمدلول وهو القرآن المقروء قديم ازلى والدلالة وهى العبارات وهى القراءة مخلوقة محدثة قال وفرق بين القراءة والمقروء والتلاوة والمتلو كما فرق بين الذكر والمذكور قال والكلام معنى قائم بالنفس والعبارة دالة على مافى النفس وانما تسمى العبارة كلاما مجازا قال وأراد الله تعالى جميع الكائنات خيرها وشرها ونفعها وضرها ومال في كلامه الى جواز تكليف مالا يطاق لقوله ان الاستطاعة مع الفعل وهو مكلف بالفعل قبله وهو غير مستطيع قبله على مذهبه قال وجميع أفعال العباد مخلوقة مبدعة من الله تعالى مكتسبة للعبد والكسب عبارة عن الفعل القائم بمحل قدرة العبد قال والخالق هو الله تعالى حقيقة لايشاركه في الخلق غيره فأخص وصفه هو القدرة والاختراع وهذا تفسير اسمه البارئ قال وكل موجود يصح أن يرى والله تعالى موجود فيصح أن يري وقد صح السمع بأن المؤمنين يرونه فى الدار الاخري في الكتاب والسنة ولا يجوز أن يرى في مكان ولا صورة مقابلة واتصال شعاع فان ذلك كله محال وماهية الرؤية له فيها رأيان أحدهما انه علم مخصوص يتعلق بالوجود دون العدم والثانى أنه ادراك وراء العلم وأثبت السمع والبصر صفتين ازليتين هما ادراكان وراء العلم وأثبت اليدين والوجه صفات خبرية اورد السمع بها فيجب الاعتراف به وخالف المعتزلة في الوعد والوعيد والسمع والعقل من كل وجه وقال الايمان هو التصديق بالقلب والقول باللسان والعمل بالاركان فروع الايمان فمن صدق بالقلب أي أقر بوحدانية الله تعالى واعترف بالرسل تصديقا لهم فيما جاؤا به فهو مؤمن وصاحب الكبيرة اذا خرج من الدنيا من غير توبة حكمه الى الله اما أن يغفر له برحمته أو يشفع له رسول الله صلى الله عليه وسلم واما أن يعذبه بعدله ثم يدخله الجنة برحمته ولا يخلد في النار مؤمن قال ولا أقول انه يجب على الله سبحانه قبول توبته بحكم العقل لانه هو الموجب لايجب عليه شيء أصلا بل قد ورد السمع بقبول توبة التائبين واجابة دعوة المضطرين وهو المالك لخلقه يفعل مايشاء ويحكم مايريد فلو أدخل الخلائق بأجمعهم النار لم يكن جورا ولو أدخلهم الجنة لم يكن حيفا ولا يتصور منه ظلم ولا ينسب اليه جور لانه المالك المطلق والواجبات كلها سمعية فلا يوجب العقل شيأ البتة ولا يقتضى تحسينا ولا تقبيحا فمعرفة الله تعالى وشكر المنعم واثابة الطائع وعقاب العاصي كل ذلك يجب بالسمع دون العقل ولا يجب على الله شيء لاصلاح ولا اصلح ولا لطف بل الثواب والصلاح واللطف والنعم كلها تفضل من

الله تعالى ولا يرجع اليه تعالى نفع ولا ضر فلا ينتفع بشكر شاكر ولا يتضرر بكفر كافر بل يتعالى ويتقدس عن ذلك وبعث الرسل جائز لا واجب ولا مستحيل فاذا بعث الله تعالى الرسول وأيده بالمعجزة الخارقة للعادة وتحدى ودعا الناس وجب الاصغاء اليه والاستماع منه والامتثال لاوامره والانتهاء عن نواهيه وكرامات الاولياء حق والايمان بما جاء فى القرآن والسنة من الاخبار عن الامور الغائبة عنا مثل اللوح والقلم والعرش والكرسى والجنة والنار حق وصدق وكذلك الاخبار عن الامور التى ستقع فى الآخرة مثل سؤال القبر والثواب والعقاب فيه والحشر والمعاد والميزان والصراط وانقسام فريق فى الجنة وفريق فى السعير كل ذلك حق وصدق يجب الايمان والاعتراف به والامامة تثبت بالاتفاق والاختيار دون النص والتعيين على واحد معين والائمة مترتبون فى الفضل ترتبهم في الامامة قال ولا أقول فى عائشة وطلحة والزبير رضى الله عنهم الا أنهم رجعوا عن الخطأ وأقول ان طلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة وأقول فى معاوية وعمرو بن العاص انهما بغيا على الامام الحق على بن أبى طالب رضى الله عنهم فقاتلهم مقاتلة أهل البغى وأقول ان أهل النهروان الشراة هم المارقون عن الدين وان عليا رضى الله عنه كان على الحق في جميع أحواله والحق معه حيث دار * فهذه جملة من أصول عقيدته التى عليها الآن جماهير أهل الامصار الاسلامية والتى من جهر بخلافها أريق دمه والاشاعرة يسمون الصفاتية لاثباتهم صفات الله تعالى القديمة ثم افترقوا في الالفاظ الواردة في الكتاب والسنة كالاستواء والنزول والاصبع واليد والقدم والصورة والجنب والمجئ على فرقتين فرقة تؤول جميع ذلك على وجوه محتملة اللفظ وفرقة لم يتعرضوا للتأويل ولا صاروا الى التشبيه ويقال لهؤلاء الاشعرية الاسرية فصار للمسلمين في ذلك خمسة أقوال أحدها اعتقاد مايفهم مثله من اللغة وثانيها السكوت عنها مطلقا وثالثها السكوت عنها بعد نفى ارادة الظاهر ورابعها حملها على المجاز وخامسها حملها على الاشتراك ولكل فريق أدلة وحجاج تضمنتهما كتب أصول الدين ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم والله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون

* ( فصل ) اعلم ان الله سبحانه طلب من الخلق معرفته بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال ابن عباس وغيره يعرفون فخلق تعالى الخلق وتعرف اليهم بالسنة الشرائع المنزلة فعرفه من عرفه سبحانه منهم على ماعرفهم فيما تعرف به اليهم وقد كان الناس قبل انزال الشرائع ببعثة الرسل عليهم السلام علمهم بالله تعالى انما هو بطريق التنزيه له عن سمات الحدوث وعن التركيب وعن الافتقار ويصفونه سبحانه بالاقتدار المطلق وهذا التنزيه هو المشهور عقلا ولا يتعداه عقل أصلا فلما أنزل الله شريعته على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأكمل دينه كان سبيل العارف بالله أن يجمع في معرفته بالله بين معرفتين

احداهما المعرفة التي تقتضيها الادلة العقليـة والاخرى المعرفة التى جاءت بها الاخبارات الالهية وأن يرد علم ذلك الى الله تعالى ويؤمن به وبكل ماجاءت به الشريعة على الوجه الذى أراده الله تعالى من غير تأويل بفكره ولا تحكم فيـه برأيه وذلك أن الشرائع انما انزلها الله تعالي لعدم استقلال العقول البشرية بادراك حقائق الاشياء على ما هى عليـه في علم الله وأنى لها ذلك وقد تقيدت بما عندها من اطلاق ماهنالك فان وهبها علماً بمراده من الاوضاع الشرعية ومنحها الاطلاع على حكمه فى ذلك كان من فضله تعالى فلا يضيف العارف هذه المنة الى فكره فان تنزيهه لربه تعالى بفكره يجب أن يكون مطابقا لما أنزله سبحانه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة والا فهو تعالى منزه عن تنزيه عقول البشر بأفكارها فأنها مقيدة بأوطارها فتنزيهها كذلك مقيد بحسبها وبموجب أحكامها وآثارها الا اذا خلت عن الهوى فانها حينئذ يكشف الله لها الغطاء عن بصائرها ويهديها الى الحق فتنزه الله تعالى عن التنزيهات العرفية بالافكار العادية وقد أجمع المسلمون قاطبة على جواز رواية الاحاديث الواردة في الصفات ونقلها وتبليغها من غير خلاف بينهم فى ذلك ثم أجمع أهـل الحق منهم على أن هذه الاحاديث مصروفة عن احتمال مشابهة الخلق لقول الله تعالي ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ولقول الله تعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وهذه السورة يقال لها سورة الاخلاص وقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنها ورغب أمته فى تلاوتها حتى جعلها تعدل ثلث القرآن من أجل انهـا شاهدة بتنزيه الله تعالى وعدم الشبه والمثل له سبحانه وسميت سورة الاخلاص لاشتمالهـا على اخلاص التوحيد لله عن أن يشوبه ميل الى تشبيهـه بالخلق وأما الكاف التي فى قوله تعالى ليس كمثله شئ فانها زائدة وقد تقرر أن الكاف والمثل في كلام العرب اتيا للتشبيه فجمعهما الله تعالى ثم نفى بهما عنه ذلك فاذا ثبت اجماع المسلمين على جواز رواية هـذه الاحاديث ونقلها مع اجماعهم على أنها مصروفة عن التشبيه لم يبق فى تعظيم الله تعالى بذكرها الانفى التعطيل لكون أعداء المرسلين سموا ربهم سبحانه اسماء نفوا فيها صفاته العلا فقال قوم من الكفار هو طبيعة وقال آخرون منهم هو علة الى غير ذلك من الحادهم في أسمائه سبحانه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاحاديث المشتملة على ذكر صفات الله العلا ونقلها عنه أصحابه البررة ثم نقلها عنهم أئمة المسلمين حتي انتهت الينا وكل منهـم يرويها بصفتها من غير تأويل لشيء منها مع علمنا أنهم كانوا يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصـير ففهمنا من ذلك أن الله تعالى أراد بما نطق به رسوله صلى الله عليه وسلم من هذه الاحاديث وتناولها عنه الصحابة رضى الله عنهم وبلغوها لامته أن يغص بهـا فى حلوق الكافرين وأن يكون ذكرها نكتا في قلب كل ضال معطـل مبتدع يقفو أثر المبتدعة

من أهل الطبائع وعباد العلل فلذلك وصف الله تعالى نفسه الكريمة بها في كتابه ووصفه رسول الله صلي الله عليه وسلم أيضاً بما صح عنه وثبت فدل على أن المؤمن اذا اعتقد أن الله ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد كان ذكره لهذه الاحاديث تمكين الاثبات وشجا في حلوق المعطلة وقد قال الشافعي رحمه الله الاثبات أمكن نقله الخطابي ولم يبلغنا عن أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم أنهم أولوا هذه الاحاديث والذي يمنع من تأويلها اجلال الله تعالى عن أن تضرب له الامثال وانه اذا نزل القرآن بصفة من صفات الله تعالى كقوله سبحانه يد الله فوق أيديهم فان نفس تلاوة هذا يفهم منها السامع المعنى المراد به وكذا قوله تعالى بل يداه مبسوطتان عند حكايته تعالى عن اليهود نسبتهم اياه الى البخل فقال تعالى بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء فان نفس تلاوة هذا مبينة للمعنى المقصود وايضا فان تأويل هذه الاحاديث يحتاج أن يضرب لله تعالى فيها المثل نحو قولهم في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى الاستواء الاستيلاء كقولك استوى الامير على البلد وأنشدوا قد استوى بشر على العراق فلزمهم تشبيه البارى تعالى ببشر وأهل الاثبات نزهوا جلال الله عن أن يشبهوه بالاجسام حقيقة ولا مجازا وعلموا مع ذلك أن هذا النطق يشتمل على كلمات متداولة بين الخالق وخلقه وتحرجوا أن يقولوا مشتركة لان الله تعالى لاشريك له ولذلك لم يتأول السلف شيئاً من أحاديث الصفات مع علمنا قطعا أنها عندهم مصروفة عما يسبق اليه ظنون الجهال من مشابهتها لصفات المخلوقين وتأمل تجد الله تعالى لما ذكر المخلوقات المتولدة من الذكر والانثى في قوله سبحانه خلق لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه علم سبحانه مايخطر بقلوب الخلق فقال عز من قائل ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * واعلم أن السبب في خروج أكثر الطوائف عن ديانة الاسلام أن الفرس كانت من سعة الملك وعلو اليد على جميع الامم وجلالة الخطر في أنفسها بحيث انهم كانوا يسمون انفسهم الاحرار والاسياد وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب وكانت العرب عند الفرس اقل الامم خطرا تعاظمهم الامر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الاسلام بالمحاربة فى أوقات شتي وفي كل ذلك يظهر الله تعالى الحق وكان من قائميهم شنفادوا شنيس والمقفع وبابك وغيرهم وقبل هؤلاء رام ذلك عمار الملقب خداشا وأبو مسلم السروح فرأوا أن كيده علي الحيلة أنجع فأظهر قوم منهم الاسلام واستمالوا أهل التشيع باظهار محبة أهل بيت رسول الله صلي الله عليه وسلم واستبشاع ظلم على بن أبي طالب رضى الله عنه ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتي أخرجوهم عن طريق الهدي فقوم أدخلوهم الى القول بأن رجلا ينتظر يدعى المهدى عنده حقيقة الدين اذلا يجوز أن يؤخذ

الدين عن كفار اذ نسبوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكفر وقوم خرجوا الى القول بادعاء النبوة لقوم سموهم به وقوم سلكوا بهم الى القول بالحلول وسقوط الشرائع وآخرون تلاعبوا بهم فأوجبوا عليهم خمسين صلاة في كل يوم وليلة وآخرون قالوا بل هي سبع عشرة صلاة في كل صلاة خمس عشرة ركعة وهو قول عبد الله بن عمرو بن الحارث الكندي قبل أن يصير خارجيا صفريا وقد أظهر عبد الله بن سبأ الحميري اليهودي الاسلام ليكيد أهله فكان هو أصل اثارة الناس على عثمان بن عفان رضى الله عنه وأحرق علي رضى الله عنه منهم طوائف أعلنوا بالهيته ومن هذه الاصول حدثت الاسماعيلية والقرامطة * والحق الذي لاريب فيه أن دين الله تعالى ظاهر لاباطن فيه وجوهر لاسر تحته وهو كله لازم كل أحد لامسامحة فيه ولم يكتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشريعة ولا كلمة ولا أطلع أخص الناس به من زوجة أو ولد عم على شئ من الشريعة كتمه عن الاحمر والاسود ورعاة الغنم ولا كان عنده صلى الله عليه وسلم سر ولا رمز ولا باطن غير مادعا الناس كلهم اليه ولو كتم شيئاً لما بلغ كما أمر ومن قال هذا فهو كافر باجماع الامة وأصل كل بدعة في الدين البعد عن كلام السلف والانحراف عن اعتقاد الصدر الاول حتى بالغ القدري في القدر فجعل العبد خالقا لافعاله وبالغ الجبري في مقابلته فسلب عنه الفعل والاختيار وبالغ المعطل في التنزيه فسلب عن الله تعالى صفات الجلال ونعوت الكمال وبالغ المشبه في مقابلته فجعله كواحد من البشر وبالغ المرجئ في سلب العقاب وبالغ المعتزلي في التخليد في العذاب وبالغ الناصبي في دفع عليّ رضى الله عنه عن الامامة وبالغت الغلاة حتى جعلوه الها وبالغ السني في تقديم أبي بكر رضى الله عنه وبالغ الرافضي في تأخيره حتي كفره وميدان الظن واسع وحكم الوهم غالب فتعارضت الظنون وكثرت الاوهام وبلغ كل فريق في الشر والعناد والبغي والفساد الى أقصى غاية وأبعد نهاية وتباغضوا وتلاعنوا واستحلوا الاموال واستباحوا الدماء وانتصروا بالدول واستعانوا بالملوك فلو كان أحدهم اذا بالغ في أمر نازع الآخر في القرب منه فان الظن لايبعد عن الظن كثيرا ولا ينتهي في المنازعة الى الطرف الآخر من طرفي التقابل لكنهم أبوا الا ماقدمنا ذكره من التدابر والتقاطع ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك

*( ذكر المدارس )*

قال ابن سيده درس الكتاب يدرسه درسا ودراسة ودارسه من ذلك كأنه عاوده حتى انقاد لحفظه وقد قرئ بهما وليقولوا درست ودارست ذاكرتهم وحكي درست أى قرئت وقرئ درست ودرست أى هذه أخبار قد عفت وانمحت ودرست أشد مبالغة والدراس المدارسة وقال ابن جنى ودرسته اياه وأدرسته ومن الشاذ قراءة ابن حيوة وبما كنتم تدرسون والمدرس الموضع الذي يدرس فيه وقد ذكر الواقدي

أن عبد الله ابن أم مكتوم قدم مهاجرا الى المدينة مع مصعب بن عمير رضي الله عنهما وقيل قدم بعد بدر بيسير فنزل دار القراء ولما أراد الخليفة المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق بالله أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله جعفر بناء قصره فى الشماسية ببغداد استزاد في الذرع بعد أن فرغ من تقدير ما أراد فسئل عن ذلك فذكر أنه يريده ليبني فيه دورا ومساكن ومقاصير يرتب في كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية ويجرى عليهم الارزاق السنية ليقصد كل من اختار علماً أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه * والمدارس مما حدث فى الاسلام ولم تكن تعرف فى زمن الصحابة ولا التابعين وانما حدث عملها بعد الاربعمائة من سنى الهجرة وأول من حفظ عنه انه بنى مدرسة فى الاسلام أهل نيسابور فبنيت بها المدرسة البيهقية وبني بها أيضاً الامير نصر بن سبكتكين مدرسة وبني بها أخو السلطان محمود بن سبكتكين مدرسة وبني بها أيضاً المدرسة السعيدية وبني بها أيضا مدرسة رابعة وأشهر ما بني في القديم المدرسة النظامية ببغداد لانها أول مدرسة قرر بها للفقهاء معاليم وهي منسوبة الى الوزير نظام الملك أبي على الحسن بن على بن اسحاق بن العباس الطوسى وزير ملك شاه بن الب أرسلان بن داود بن ميكال بن سلجوق في مدينة بغداد وشرع فى بنائها في سنة سبع وخمسين وأربعمائة وفرغت في ذى القعدة سنة تسع وخمسين واربعمائة ودرس فيها الشيخ أبو اسحاق الشيرازى الفيروزبادى صاحب كتاب التنبيه في الفقه على مذهب الامام الشافعي رضى الله عنه ورحمه فاقتدى الناس به من حينئذ في بلاد العراق وخراسان وما وراء النهر وفى بلاد الجزيرة وديار بكر * وأما مصر فانها كانت حينئذ بيد الخلفاء الفاطميين ومذهبهم مخالف لهذه الطريقة وانما هم شيعة اسماعيلية كما تقدم وأول ما عرف اقامة درس من قبل السلطان بمعلوم جار لطائفة من الناس بديار مصر في خلافة العزيز بالله نزار بن المعز ووزارة يعقوب بن كلس فعمل ذلك بالجامع الازهر كما تقدم ذكره ثم عمل فى دار الوزير يعقوب بن كلس مجلس يحضره الفقهاء فكان يقرأ فيه كتاب فقه على مذهبهم وعمل أيضاً مجلس بجامع عمرو بن العاص من مدينة فسطاط مصر لقراءة كتاب الوزير ثم بني الحاكم بأمر الله أبو على منصور بن العزيز دار العلم بالقاهرة كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب فلما انقرضت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أبطل مذاهب الشيعة من ديار مصر وأقام بها مذهب الامام الشافعي ومذهب الامام مالك واقتدى بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكى فانه بني بدمشق وحلب وأعمالهما عدة مدارس للشافعية والحنفية وبني لكل من الطائفتين مدرسة بمدينة مصر * وأول مدرسة أحدثت بديار مصر المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق بمصر ثم المدرسة القمحية المجاورة للجامع أيضاً ثم المدرسة السيوفية التى بالقاهرة ثم اقتدى بالسلطان

صلاح الدين في بناء المدارس بالقاهرة ومصر وغيرهما من أعمال مصر وبالبلاد الشامية والجزيرة أولاده وأمراؤه ثم حذا حذوهم من ملك مصر بعدهم من ملوك الترك وأمرائهم وأتباعهم الى يومنا هذا وسأذكر مابديار مصر من المدارس وأعرف بحال من بناها على مااعتدته فى هذا الكتاب من التوسط دون الاسهاب وبالله استعين

* ( المدرسة الناصرية ) *

بجوار الجامع العتيق من مدينة مصر من قبليه * هذه المدرسة عرفت أولا بالمدرسة الناصرية ثم عرفت بابن زين التجار وهو أبو العباس أحمد بن المظفر بن الحسين الدمشقى المعروف بابن زين التجار أحد أعيان الشافعية درس بهذه المدرسة مدة طويلة ومات فى ذى القعدة سنة احدى وتسعين وخمسمائة ثم عرفت بالمدرسة الشريفية وهى الى الآن تعرف بذلك وكان موضعها يقال له الشرطة وذكر الكندى أنها خطة قيس بن سعد بن عبادة الانصارى وعرفت بدار الفلفل وقال ابن عبد الحكم كانت فضاء قبل ذلك وقيل كانت هى والدار التي الى جانبها لنافع بن عبد الله بن قيس الفهري فأخذها منه قيس بن سعد وسميت دار الفلفل لان أسامة بن زيد التنوخى صاحب الخراج بمصر ابتاع من موسى بن وردان فلفلا بعشرين ألف دينار ليهديه الى صاحب الروم فخزنه فيها ولما فرغ عيسى بن يزيد الجلودي من بناء زيادة الجامع بنى هذه الدار شرطة في سنة ثلاث عشرة ومائتين ثم صارت سجنا تعرف بالمعونة فهدمها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في أول المحرم سنة ست وستين وخمسمائة وأنشأها مدرسة برسم الفقهاء الشافعية وكان حينئذ يتولى وزارة مصر للخليفة العاضد وكان هذا من أعظم ما نزل بالدولة وهي أول مدرسة عملت بديار مصر ولما كملت وقف عليها الصاغة وكانت بجوارها وقد خربت وبقى منها شيء يسير قرأت عليها اسم الخليفة العزيز بالله ووقف عليها أيضاً قرية تعرف ( ٣ ) وأول من ولى التدريس بها ابن زين التجار فعرفت به ثم درس بها بعده ابن قطيطة بن الوزان ثم من بعده كمال الدين أحمد بن شيخ الشيوخ وبعده الشريف القاضى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين ابن محمد الحنفى قاضى العسكر الارموى فعرفت به وقيل لها المدرسة الشريفية من عهده الى اليوم ولولا مايتناوله الفقهاء من المعلوم بها لخربت فان الكيمان ملاصقة لها بعد ما كان حولها أعمر موضع في الدنيا وقد ذكر حبس المعونة عند ذكر السجون من هذا الكتاب

* ( المدرسة القمحية ) *

هذه المدرسة بجوار الجامع العتيق بمصر كان موضعها يعرف بدار الغزل وهو قيسارية يباع فيها الغزل فهدمها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وأنشأ موضعها مدرسة للفقهاء المالكية وكان الشروع فيها للنصف من المحرم سنة ست وستين وخمسمائة ووقف عليها قيسارية

الوراقين وعلوها بمصر وضيعة بالفيوم تعرف بالخنبوشية ورتب فيها أربعة من المدرسين عند كل مدرس عدة من الطلبة وهذه المدرسة أجل مدرسة للفقهاء المالكية ويحصل لهم من ضيعتهم التي بالفيوم قمح يفرق فيهم فلذلك صارت لا تعرف الا بالمدرسة القمحية الى اليوم وقد أحاط بها الخراب ولولا ما يحصل منها للفقهاء لدثرت * وفى شعبان سنة خمس وعشرين وثمانمائة أخرج السلطان الملك الاشرف برسباي الدقاقى ناحيتى الاعلام والخنبوشية وكانتا من وقف السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على هذه المدرسة وانعم بهما على مملوكين من مماليكه ليكونا اقطاعا لهما

* ( مدرسة ياز كوج ) *

هذه المدرسة بسوق الغزل في مدينة مصر وهى مدرسة معلقة بناها ( ٣ )

* ( مدرسة ابن الارسوفى ) *

هذه المدرسة كانت بالبزازين التى تجاور خط النخالين بمصر عرفت بابن الارسوفي التاجر العسقلانى وكان بناؤها في سنة سبعين وخمسمائة وهو عفيف الدين عبد الله بن محمد الارسوفي مات بمصر في يوم الاثنين حادى عشرى ربيع الاول سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة

* ( مدرسة منازل العز ) *

هذه المدرسة كانت من دور الخلفاء الفاطميين بنتها أم الخليفة العزيز بالله بن المعز وعرفت بمنازل العز وكانت تشرف على النيل وصارت معدة لنزهة الخلفاء وممن سكنها ناصر الدولة حسين بن حمدان الى أن قتل وكان بجانبها حمام يعرف بحمام الذهب من جملة حقوقها وهي باقية فلما زالت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف أنزل في منازل العز الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فسكنها مدة ثم انه اشتراها والحمام والاصطبل المجاور لها من بيت المال في شهر شعبان سنة ست وستين وخمسمائة وأنشأ فندقين بمصر بخط الملاحين وأنشأ ربعا بجوار أحد الفندقين واشترى جزيرة مصر التي تعرف اليوم بالروضة فلما اراد أن يخرج من مصر الى الشام وقف منازل العز على فقهاء الشافعية ووقف عليها الحمام وما حولها وعمر الاصطبل فندقا عرف بفندق النخلة ووقفه عليها ووقف عليها الروضة ودرس بها شهاب الدين الطوسي وقاضى القضاة عماد الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد العلي السكرى وعدة من الاعيان وهي الآن عامرة بعمارة ما حولها * الملك المظفر تقى الدين أبو سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان هو ابن أخي السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قدم الى القاهرة في ( ٣ ) واستنابه السلطان على دمشق فى المحرم سنة احدى وسبعين ثم نقله الى نيابة حماه وسلم اليه سنجار لما أخذها فى ثاني رمضان سنة ثمان وسبعين فأقام بها ولحق السلطان على حلب فقدم عليه في سابع صفر سنة

تسع وسبعين فأقام الى أن بعثه الى القاهرة نائباً عنه بديار مصر عوضاً عن الملك العادل أبي بكر بن أيوب فقدمها في شهر رمضان سنة تسع وسبعين وأنعم عليه بالفيوم وأعمالها مع القايات وبوش وأبقى عليه مدينة حماه ثم خرج بعساكر مصر الى السلطان وهو بدمشق في سنة ثمانين لاجل أخذ الكرك من الفرنج فسار اليها وحصرها مدة ثم رجع مع السلطان الى دمشق وعاد الى القاهرة في شعبان وقد أقام السلطان على مملكة مصر ابنه الملك العزيز عثمان وجعل الملك المظفر كافلا له وقائماً بتدبير دولته فلم يزل على ذلك الى جمادى الاولى سنة اثنتين وثمانين فصرف السلطان أخاه الملك العادل عن حلب وأعطاه نيابة مصر فغضب الملك المظفر وعبر بأصحابه الى الجيزة يريد المسير الى بلاد المغرب واللحاق بغلامه بهاء الدين قراقوش التقوي فبلغ السلطان ذلك فكتب اليه ولم يزل به حتى زال مابه وسار الى السلطان فقدم عليه دمشق في ثالث عشرى شعبان فأقره على حماه والمعرة ومنبج وأضاف اليه ميافارقين فلحق به أصحابه ماخلا مملوكه زين الدين بوزيا فانه سار الى بلاد المغرب وكانت له في أرض مصر وبلاد الشام أخبار وقصص وعرفت له مواقف عديدة في الحرب مع الفرنج وآثار في المصافات وله في أبواب البر أفعال حسنة وله بمدينة الفيوم مدرستان احداهما للشافعية والاخرى للمالكية وبنى مدرسة بمدينة الرها وسمع الحديث من السلفي وابن عوف وكان عنده فضل وأدب وله شعر حسن وكان جوادا شجاعا مقداما شديد البأس عظيم الهمة كثير الاحسان ومات في نواحي خلاط ليلة الجمعة تاسع شهر رمضان سنة سبع وثمانين وخمسمائة ونقل الى حماه فدفن بها في تربة بناها على قبره ابنه الملك المنصور محمد

## * ( مدرسة العادل ) *

هذه المدرسة بخط الساحل بجوار الربع العادلى من مدينة مصر الذى وقف على الشافعى عمرها الملك العادل أبو بكر بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فدرس بها قاضى القضاة تقى الدين أبو على الحسين بن شرف الدين أبي الفضل عبد الرحيم ابن الفقيه جلال الدين أبي محمد عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار بن عشائر بن عبد الله بن محمد بن شاس فعرفت به وقيل لها مدرسة ابن شاس الى اليوم وهى عامرة وعرف خطها بالقشاشين وهي للمالكية

## * ( مدرسة ابن رشيق ) *

هذه المدرسة للمالكية وهي بخط حمام الريش من مدينة مصر كان الكانم من طوائف التكرور لما وصلوا الى مصر في سنة بضع وأربعين وستمائة قاصدين الحج دفعوا للقاضى علم الدين بن رشيق مالا بناها به ودرس بها فعرفت به وصار لها في بلاد التكرور سمعة عظيمة وكانوا يبعثون اليها في غالب السنين المال

* ( المدرسة الفائزية ) *

هذه المدرسة فى مصر بخط (٣) أنشأها الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد بن وهيب الفائزى قبل وزارته في سنة ست وثلاثين وستمائة ودرس بها القاضى محيي الدين عبد الله ابن قاضي القضاة شرف الدين محمد بن عين الدولة ثم قاضي القضاة صدر الدين موهوب الجزرى وهى للشافعية

* ( المدرسة القطبية ) *

هذه المدرسة بالقاهرة فى خط سويقة الصاحب بداخل درب الحريرى كانت هي والمدرسة السيفية من حقوق دار الديباج التي تقدم ذكرها وأنشأ هذه المدرسة الامير قطب الدين خسرو بن بلبل بن شجاع الهدباني في سنة سبعين وخمسمائة وجعلها وقفاً على الفقهاء الشافعية وهو أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب

* ( المدرسة السيوفية ) *

هذه المدرسة بالقاهرة وهي من جملة دار الوزير المأمون البطائحى وقفها السلطان السيد الاجل الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب على الحنفية وقرر فى تدريسها الشيخ مجد الدين محمد بن محمد الجيتي ورتب له فى كل شهر احد عشر دينارا وباقى ريع الوقف يصرفه على مايراه لطلبة الحنفية المقررين عنده على قدر طبقاتهم وجعل النظر للجبتي ومن بعده الى من له النظر فى امور المسلمين وعرفت بالمدرسة السيوفية من أجل أن سوق السيوفيين كان حينئذ على بابها وهى الآن تجاه سوق الصنادقيين وقدوهم القاضى محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر فانه قال فى كتاب الروضة الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة مدرسة السيوفية وهى للحنفية وقفها عز الدين فرحشاه قريب صلاح الدين وما أدرى كيف وقع له هذا الوهم فان كتاب وقفها موجود قد وقفت عليه ولخصت منه ماذكرته وفيه أن واقفها السلطان صلاح الدين وخطه على كتاب الوقف ونصه الحمد لله وبه توفيقى وتاريخ هذا الكتاب تاسع عشرى شعبان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ووقف على مستحقيها اثنتين وثلاثين حانوتاً بخط سويقة أمير الجيوش وباب الفتوح وحارة برجوان وذكر فى آخر كتاب وقفها أن الواقف أذن لمن حضر مجلسه من العدول في الشهادة والقضاء على لفظه بما تضمنه المسطور فشهدوا بذلك وأثبتوا شهادتهم آخره وحكم حاكم المسلمين على صحة هذا الوقف بعد ماخاصم رجل من أهل هذا الوقف في ذلك وأمضاه لكنه لم يذكر فى الكتاب اسجال القاضي بثبوته بل ذكر رسم شهادة الشهود على الواقف وهم على بن ابراهيم بن نجا بن غنائم الانصارى الدمشقى والقاسم بن يحيى بن عبد الله بن قاسم الشهرزورى وعبد الله بن عمر بن عبد الله الشافعي وعبد الرحمن بن على بن عبد العزيز بن قريش

المخزومى وموسى بن حكر بن موسك الهدباني في آخرين * وهذه المدرسة هي أول مدرسة وقفت على الحنفية بديار مصر وهي باقية بأيديهم

* ( المدرسة الفاضلية ) *

هذه المدرسة بدرب ملوخيا من القاهرة بناها القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى بجوار داره في سنة ثمانين وخمسمائة ووقفها على طائفتي الفقهاء الشافعية والمالكية وجعل فيها قاعة للاقراء أقرأ فيها الامام أبو محمد الشاطبى ناظم الشاطبية ثم تلميذه أبو عبد الله محمد بن عمر القرطبى ثم الشيخ على بن موسى الدهان وغيرهم ورتب لتدريس فقه المذهبين الفقيه أبا القاسم عبد الرحمن بن سلامة الاسكندرانى ووقف بهذه المدرسة جملة عظيمة من الكتب في سائر العلوم يقال انها كانت مائة ألف مجلد وذهبت كلها وكان أصل ذهابها أن الطلبة التى كانت بها لما وقع الغلاء بمصر في سنة أربع وتسعين وستمائة والسلطان يومئذ الملك العادل كتبغا المنصورى مسهم الضر فصاروا يبيعون كل مجلد برغيف خبز حتي ذهب معظم ماكان فيها من الكتب ثم تداولت أيدى الفقهاء عليها بالعارية فتفرقت وبها الى الآن مصحف قرآن كبير القدر جدا مكتوب بالخط الاول الذي يعرف بالكوفي تسميه الناس مصحف عثمان بن عفان ويقال ان القاضى الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو في خزانة مفردة له بجانب المحراب من غربيه وعليه مهابة وجلالة والى جانب المدرسة كتاب برسم الايتام وكانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة وأجلها وقد تلاشت لخراب ماحولها * ( عبد الرحيم ) ابن علي بن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد القاضي الفاضل محيي الدين أبو علي ابن القاضى الاشرف اللخمى العسقلانى البيسانى المصرى الشافعي كان أبوه يتقلد قضاء مدينة بيسان فلهذا نسبوا اليها وكانت ولادته بمدينة عسقلان في خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ثم قدم القاهرة وخدم الموفق يوسف بن محمد بن الجلال صاحب ديوان الانشاء في أيام الحافظ لدين الله وعنه أخذ صناعة الانشاء ثم خدم بالاسكندرية مدة فلما قام بوزارة مصر العادل رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك خرج أمره الى والى الاسكندرية بتسييره الى الباب فلما حضر استخدمه بحضرته وبين يديه فى ديوان الجيش فلما مات الموفق بن الجلال في سنة ست وستين وخمسمائة وكان القاضى الفاضل ينوب عنه في ديوان الانشاء عينه الكامل بن شاور وسعي له عند أبيه الوزير شاور بن مجير فأقره عوضا عن ابن الجلال في ديوان الانشاء فلما ملك أسد الدين شيركوه احتاج الى كاتب فأحضره وأعجبه اتقانه وسمته ونصحه فاستكتبه الى أن ملك صلاح الدين يوسف بن أيوب فاستخلصه وحسن اعتقاده فيه فاستعان به على ماأراد من ازالة الدولة الفاطمية حتي تم مراده فجعله وزيره

ومشيره بحيث كان لايصدر أمراً الا عن مشورته ولا ينفذ شيئاً الا عن رأيه ولا يحكم فى قضية الابتدبيره فلما مات صلاح الدين استمر على ما كان عليه عند ولده الملك العزيز عثمان في المكانة والرفعة وتقلد الامر فلما مات العزيز وقام من بعده ابنه الملك المنصور بالملك ودبر أمره عمه الافضل كان معهما على حاله الى أن وصل الملك العادل أبو بكر بن أيوب من الشام لاخذ ديار مصر وخرج الافضل لقتاله فمات منكوبا أحوج ما كان الى الموت عند تولى الاقبال واقبال الادبار في سحر يوم الاربعاء سابع عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن بتربته من القرافة الصغري * قال ابن خلكان وزر للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وتمكن منه غاية التمكن وبرز في صناعة الانشاء وفاق المتقدمين وله فيه الغرائب مع الاكثار أخبرني أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره أن مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات فى الاوراق اذا جمعت ما تقصر عن مائة وهو مجيد فى أكثرها وقال عبد اللطيف البغدادي دخلنا عليه فرأيت شيخاً ضئيلا كله رأس وقلب وهو يكتب ويملي على اثنين ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات لقوة حرصه في اخراج الكلام وكأنه يكتب بجملة أعضائه وكان له غرام فى الكتابة وتحصيل الكتب وكان له الدين والعفاف والتقى والمواظبة على أوراد الليل والصيام وقراءة القرآن وكان قليل اللذات كثير الحسنات دائم التهجد ويشتغل بعلوم الادب وتفسير القرآن غير أنه كان خفيف البضاعة من النحو ولكن قوة الدراية توجب له قلة اللحن وكان لايكاد يضيع من زمانه شيئاً الا فى طاعة وكتب في الانشاء مالم يكتبه غيره * وحكي لى ابن القطان أحد كتابه قال لما خطب صلاح الدين بمصر للامام المستضيء بأمر الله تقدم الى القاضى الفاضل بأن يكاتب الديوان العزيز وملوك الشرق ولم يكن يعرف خطابهم واصطلاحهم فأوغر الى العماد الكاتب أن يكتب فكتب واحتفل وجاء بها مفضوضة ليقرأها الفاضل متبجحا بها فقال لا أحتاج أن أقف عليها وأمر بختمها وتسليمها الى النجاب والعماد بمصر قال ثم أمرني أن ألحق النجاب ببلبيس وأن أفض الكتب وأكتب صدورها ونهايتها ففعلت ورجعت بها اليه فكتب على حذوها وعرضها على السلطان فارتضاها وأمر بارسالها الى أربابها مع النجاب وكان متقللا في مطعمه ومنكحه وملبسه ولباسه البياض لايبلغ جميع ماعليه دينارين ويركب معه غلام وركابي ولا يمكن أحدا أن يصحبه ويكثر زيارة القبور وتشييع الجنائز وعيادة المرضى وله معروف في السر والعلانية وأكثر أوقاته يفطر بعد مايتهور الليل وكان ضعيف البنية رقيق الصورة له حدبة يغطيها الطيلسان وكان فيه سوء خلق يكمد به فى نفسه ولا يضر أحدا به ولاصحاب الادب عنده نفاق يحسن اليهم ولا يمن عليهم ويؤثر ارباب البيوت والغرباء ولم يكن له انتقام من أعدائه الا بالاحسان اليهم أو بالاعراض عنهم وكان

دخله في كل سنة من اقطاع ورباع وضياع خمسين ألف دينار سوى متاجره للهند والمغرب وغيرهما وكان يقتني الكتب من كل فن ويجتلبها من كل جهة وله نساخ لايفترون ومجلدون لايبطلون قال لي بعض من يخدمه في الكتب ان عددها قد بلغ مائة الف وأربعة وعشرين ألفا وهذا قبل موته بعشرين سنة * وحكى لي ابن صورة الكتبي أن ابنه القاضي الاشرف التمس مني أن أطلب له نسخة الحماسة ليقرأها فاعلمت القاضي الفاضل فاستحضر من الخادم الحماسات فاحضر له خمسا وثلاثين نسخة وصار ينفض نسخة نسخة ويقول هذه بخط فلان وهذه عليها خط فلان حتى أتي على الجميع وقال ليس فيها مايصلح للصبيان وأمرني أن أشترى له نسخة بدينار

*( المدرسة الازكشية )*

هذه المدرسة بالقاهرة على رأس السوق الذى كان يعرف بالخروقيين ويعرف اليوم بسويقة أمير الجيوش بناها الامير سيف الدين أيازكوج الاسدى مملوك أسد الدين شيركوه وأحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وجعلها وقفا على الفقهاء من الحنفية فقط في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وكان أيازكوج رأس الامراء الاسدية بديار مصر في أيام السلطان صلاح الدين وأيام ابنه الملك العزيز عثمان وكان الامير فخر الدين جهاركس رأس الصلاحية ولم يزل على ذلك الى أن مات في يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسمائة ودفن بسفح المقطم بالقرب من رباط الامير فخر الدين بن قزل

*( المدرسة الفخرية )*

هذه المدرسة بالقاهرة فيما بين سويقة الصاحب ودرب العداس عمرها الامير الكبير فخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل البارومى أستادار الملك الكامل محمد بن العادل وكان الفراغ منها في سنة اثنتين وعشرين وستمائة وكان موضعها أخيرا يعرف بدار الامير حسام الدين ساروح بن أرتق شاد الدواوين ومولد الامير فخر الدين في سنة احدى وخمسين وخمسمائة بحلب وتنقل في الخدم حتى صار أحد الامراء بديار مصر وتقدم في أيام الملك الكامل وصار أستاداره واليه أمر المملكة وتدبيرها الى أن سافر السلطان من القاهرة يريد بلاد المشرق فمات بحران بعد مرض طويل في ثامن عشر ذى الحجة سنة تسع وعشرين وستمائة وكان خيرا كثير الصدقة يتفقد أرباب البيوت وله من الآثار سوى هذه المدرسة المسجد الذي تجاهها وله أيضاً رباط بالقرافة والى جانبه كتاب سبيل وبنى بمكة رباطا

*( المدرسة السيفية )*

هذه المدرسة بالقاهرة فيما بين خط البندقانيين وخط الملحيين وموضعها من جملة دار الديباج قال ابن عبد الظاهر كانت دارا وهي من المدرسة القطبية فسكنها شيخ الشيوخ

يعني صدر الدين محمد بن حموية وبنيت في وزارة صفى الدين عبد الله بن على بن شكران سيف الاسلام ووقفها وولى فيها عماد الدين ولد القاضى صدر الدين يعنى ابن درباس وسيف الاسلام هذا اسمه طفتكين بن أيوب * ( طفتكين ) ظهير الدين سيف الاسلام الملك المعز بن نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان الايوبي سيره أخوه صلاح الدين يوسف بن أيوب الى بلاد اليمن في سنة سبع وسبعين وخمسمائة فملكها واستولى على كثير من بلادها وكان شجاعا كريما مشكور السيرة حسن السياسة قصده الناس من البلاد الشاسعة يستمطرون احسانه وبره وسار اليه شرف الدين بن عنين ومدحه بعدة قصائد بديعة فأجزل صلاته وأكثر من الاحسان اليه واكتسب من جهته مالا وافرا وخرج من اليمن فلما قدم الى مصر والسلطان اذ ذاك الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين ألزمه أرباب ديوان الزكاة بدفع زكاة ما معه من المتجر فعمل

ما كل من يتسمى بالعزيز لها * اهل ولا كل برق سحبه غدقه
بين العزيزين فرق فى فعالهما * هذاك يعطي وهذا يأخذ الصدقه

وتوفى سيف الاسلام في شوال سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بالمنصورة وهي مدينة باليمن اختطها رحمه الله تعالى

( المدرسة العاشورية )

هذه المدرسة بحارة زويلة من القاهرة بالقرب من المدرسة القطبية الجديدة ورحبة كوكاي قال ابن عبد الظاهر كانت دار اليهودى ابن جميع الطبيب وكان يكتب لقراقوش فاشترتها منه الست عاشوراء بنت ساروخ الاسدي زوجة الامير أيازكوج الاسدي ووقفتها على الحنفية وكانت من الدور الحسنة وقد تلاشت هذه المدرسة وصارت طول الايام مغلوقة لاتفتح الا قليلا فانها في زقاق لايسكنه الا اليهود ومن يقرب منهم فى النسب

*( المدرسة القطبية )*

هذه المدرسة في أول حارة زويلة برحبة كوكاى عرفت بالست الجليلة الكبرى عصمة الدين مؤنسة خاتون المعروفة بدار اقبال العلائى ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب وشقيقة الملك الافضل قطب الدين أحمد واليه نسبت وكانت ولادتها في سنة ثلاث وستمائة ووفاتها ليلة الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وستمائة وكانت قد سمعت الحديث وخرج لها الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد الظاهرى أحاديث ثمانيات حدثت بها وكانت عاقلة دينة فصيحة لها أدب وصدقات كثيرة وتركت مالا جزيلا وأوصت ببناء مدرسة يجعل فيها فقهاء وقراء ويشترى لها وقف يغل فبنيت هذه المدرسة وجعل فيها درس للشافعية ودرس للحنفية وقراء وهى الى اليوم عامرة

* ( المدرسة الخروبية ) *

هذه المدرسة على شاطئ النيل من مدينة مصر أنشأها تاج الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن على الخروبى لما أنشأ بيتا كبيرا مقابل بيت أخيه عز الدين قبليه على شاطئ النيل وجعل فيه هذه المدرسة وهي ألطف من مدرسة أخيه وبجنبها مكتب سبيل ووقف عليها أوقافا وجعل بها مدرس حديث فقط ومات بمكة فى آخر المحرم سنة خمس وثمانين وسبعمائة

* ( مدرسة المحلي ) *

هذه المدرسة على شاطئ النيل داخل صناعة التمر ظاهر مدينة مصر أنشأها رئيس التجار برهان الدين ابراهيم بن عمر بن على المحلى ابن بنت العلامة شمس الدين محمد بن اللبان وينتمي فى نسبه الى طلحة بن عبيد الله أحد العشرة رضى الله عنهم وجعل هذه المدرسة بجوار داره التى عمرها فى مدة سبع سنين وأنفق في بنائها زيادة على خمسين ألف دينار وجعل بجوارها مكتب سبيل لكن لم يجعل بها مدرسا ولا طلبة وتوفي ثانى عشرى ربيع الاول سنة ست وثمانمائة عن مال عظيم أخذ منه السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق مائة ألف دينار وكان مولده سنة خمس وأربعين وسبعمائة ولم يكن مشكور السيرة فى الديانة وله من المآثر تجديد جامع عمرو بن العاص فانه كان قد تداعى الى السقوط فقام بعمارته حتي عاد قريبا مما كان عليه شكر الله له ذلك

* ( المدرسة الفارقانية ) *

هذه المدرسة بابها شارع فى سويقة حارة الوزيرية من القاهرة فتحت في يوم الاثنين رابع جمادي الاولى سنة ست وسبعين وستمائة وبها درس للطائفة الشافعية ودرس للطائفة الحنفية أنشأها الامير شمس الدين آق سنقر الفارقانى السلاحدار كان مملوكا للامير نجم الدين أمير حاجب ثم انتقل الى الملك الظاهر بيبرس فترقي عنده في الخدم حتي صار أحد الامراء الاكابر وولاه الاستادارية وناب عنه بديار مصر مدة غيبته وقدمه علي العساكر غير مرة وفتح له بلاد النوبة وكان وسيما جسيما شجاعا مقداما حازما صاحب دراية بالامور وخبرة بالاحوال والتصرفات مدبرا للدول كثير البر والصدقة ولما مات الملك الظاهر وقام من بعده فى ملك مصر ابنه الملك السعيد بركة قان ولاه نيابة السلطنة بديار مصر بعد موت الامير بدر الدين بيلبك الخازندار فأظهر الحزم وضم اليه طائفة منهم شمس الدين اقوش وقطليجا الرومي وسيف الدين قليج البغدادى وسيف الدين بيجو البغدادى وسيف الدين شعبان أمير شكار وبكتمر السلاحدار وكانت الخاصكية تكرهه فاتفقوا مع مماليك بيلبك الخازندار علي القبض عليه وتحدثوا مع الملك السعيد في ذلك وما زالوا به حتي قبضوا عليه بمساعدة الامير سيف الدين كوندك الساقي لهم وكان قد ربى مع السعيد في المكتب فلم يشعر وهو قاعد

بباب القلة من القلعة الا وقد سحب وضرب ونتفت لحيته وجر وقد ارتكب فى اهانته أمر شنيع الى البرج فسجن به ليالى قليلة ثم أخرج منه ميتا فى أثناء سنة ست وسبعين وستمائة وجهل قبره

* ( المدرسة المهذبية ) *

هذه المدرسة خارج باب زويلة من خط حارة حلب بجوار حمام قارى بناها الحكيم مهذب الدين أبو سعيد محمد بن علم الدين بن أبى الوحش بن أبى الخير بن أبى سليمان بن أبي حليقة رئيس الاطباء كان جده الرشيد أبو الوحش نصرانيا متقدما فى صناعة الطب فأسلم ابنه علم الدين فى حياته وكان لايولد له ولد فيعيش فرأت أمه وهى حامل به قائلا يقول هيئوا له حلقة فضة قد تصدق بوزنها وساعة يوضع من بطن أمه تثقب اذنه وتوضع فيها الحلقة ففعلت ذلك فعاش فعاهدت أمه أباه أن لايقلعها من اذنه فكبر وجاءته أولاد وكلهم يموت فولد له ابنه مهذب الدين أبو سعيد فعمل له حلقة فعاش وكان سبب اشتهاره بأبي حليقة أن الملك الكامل محمد بن العادل أمر بعض خدامه أن يستدعى بالرشيد الطبيب من الباب وكان جماعة من الاطباء بالباب فقال الخادم من هو منهم فقال السلطان أبو حليقة نخرج فاستدعاه بذلك فاشتهر بهذا الاسم ومات الرشيد فى سنة ست وسبعين وستمائة

* ( المدرسة الخروبية ) *

هذه المدرسة بظاهر مدينة مصر تجاه المقياس بخط كرسي الجسر أنشأها كبير الخراربية بدر الدين محمد بن محمد بن على الخروبى بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء المهملة وضمها ثم واوساكنة بعدها باء موحدة ثم ياء آخر الحروف التاجر فى مطابخ السكر وفى غيرها بعد سنة خمسين وسبعمائة وجعل مدرس الفقه بها الشيخ بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن ابن عقيل والمعيد الشيخ سراج الدين عمر البلقينى ومات سنة اثنتين وستين وسبعمائة وأنشأ أيضاً ربعين بخط دار النحاس من مصر على شاطئ النيل وربعين مقابل المقياس بالقرب من مدرسته ولبدر الدين هذا أخ من ابيه أسن منه يقال له صلاح الدين أحمد بن محمد بن على الخروبى عاش بعد أخيه وأنجب فى أولاده وادركت لهم أولادا نجباء وكان أولا قليل المال ثم تمول وأنشأ تربة كبيرة بالقرافة فيما بين تربة الامام الشافعى وتربة الليث بن سعد مقابل السروتين وجددها حفيده نور الدين على بن عز الدين محمد بن صلاح الدين وأضاف اليها مطهرة حسنة ومات سنة تسع وستين وسبعمائة وشرط بدر الدين في مدرسته أن لايلي بها أحد من العجم وظيفة من الوظائف فقال فى كل وظيفة منها ويكون من العرب دون العجم وكانت له مكارم جهز مرة ابن عقيل الى الحج بنحو خمسمائة دينار

* ( المدرسة الخروبية ) *

هذه المدرسة بخط الشون قبلي دار النحاس من ظاهر مدينة مصر أنشأها عز الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن علي الخروبي وهي اكبر من مدرسة عمه بدر الدين الا أنه مات سنة ست وسبعين وسبعمائة قبل استيفاء ماأراد أن يجعل فيها فليس لها مدرس ولا طلبة ومولده سنة ست عشرة وسبعمائة ونشأ في دنيا عريضة رحمه الله تعالى

* ( المدرسة الصاحبية البهائية ) *

هذه المدرسة كانت بزقاق القناديل من مدينة مصر قرب الجامع العتيق أنشأها الوزير الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا في سنة أربع وخمسين وستمائة وكان اذ ذاك زقاق القناديل أعمر أخطاط مصر وانما قيل له زقاق القناديل من أجل انه كان سكن الاشراف وكانت أبواب الدور يعلق على كل باب منها قنديل * قال القضاعي ويقال انه كان به مائة قنديل توقد كل ليلة على ابواب الاكابر * وابن حنا هذا هو علي بن محمد بن سليم بفتح السين المهملة وكسر اللام ثم ياء آخر الحروف بعدها ميم ابن حنا بحاء مهملة مكسورة ثم نون مشددة مفتوحة بعدها ألف الوزير الصاحب بهاء الدين ولد بمصر في سنة ثلاث وستمائة وتنقلت به الاحوال في كتابة الدواوين الى أن ولي المناصب الجليلة واشتهرت كفايته وعرفت في الدولة نهضته ودرايته فاستوزره السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري في ثامن شهر ربيع الاول سنة تسع وخمسين وستمائة بعد القبض على الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير وفوض اليه تدبير المملكة وأمور الدولة كلها فنزل من قلعة الجبل بخلع الوزارة ومعه الامير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار وجميع الاعيان والاكابر الى داره واستبد بجميع التصرفات وأظهر عن حزم وعزم وجودة رأى وقام بأعباء الدولة من ولايات العمال وعزلهم من غير مشاورة السلطان ولا اعتراض أحد عليه فصار مرجع جميع الامور ومصدرها عنه ومنشأ ولايات الخطط والاعمال من قلمه وزوالها عن أربابها لا يصدر الا من قبله وما زال على ذلك طول الايام الظاهرية فلما قام الملك السعيد بركة قان بأمر المملكة بعد موت أبيه الملك الظاهر أقره على ما كان عليه في حياة والده فدبر الامور وساس الاحوال وما تعرض له أحد بعداوة ولا سوء مع كثرة من كان يناويه من الامراء وغيرهم الا وصده الله عنه ولم يجد مايتعلق به عليه ولا مايبلغ به مقصوده منه وكان عطاؤه واسعاً وصلاته وكلفه للامراء والاعيان ومن يلوذ به ويتعلق بخدمته تخرج عن الحد في الكثرة وتجاوز القدر في السعة مع حسن ظن بالفقراء وصدق العقيدة في اهل الخير والصلاح والقيام بمعونتهم وتفقد أحوالهم وقضاء أشغالهم والمبادرة الى امتثال أوامرهم والعفة عن الاموال حتي انه لم يقبل من أحد في وزارته هدية الا أن تكون هدية فقير أو

شيخ معتقد يتبرك بما يصل من أثره وكثرة الصدقات في السر والعلانية وكان يستعين على ماالتزمه من المبرات ولزمه من الكلف بالمتاجر وقد مدحه عدة من الناس فقبل مديحهم وأجزل جوائزهم وما أحسن قول الرشيد الفارقي فيه

وقائل قال لى نبه لنا عمرا * فقلت ان عليا قد تنبه لى
مالى اذا كنت محتاجا الى عمر * من حاجة فليم حسبي انتباه على

وقول سعد الدين بن مروان الفارقي في كتاب الدرج المختص به أيضاً

يمم عليا فهو بحر الندي * وناده في المضلع المعضل
فرفده بحر على مجدب * ووفده مفض الى مفصل
يسرع ان سيل نداه وهل * أسرع من سيل اتى من على

الا أنه أحدث في وزارته حوادث عظيمة وقاس أراضى الاملاك بمصر والقاهرة وأخذ عليها مالا وصادر أرباب الاموال وعاقبهم حتى مات كثير منهم تحت العقوبة واستخرج جوالى الذمة مضاعفة ورزئ بفقد ولديه الصاحب فخر الدين محمد والصاحب زين الدين فعوضه الله عنهما بأولادهما فما منهم الا نجيب صدر رئيس فاضل مذكور وما مات حتى صار جد جد وهو على المكانة وافر الحرمة في ليلة الجمعة مستهل ذى الحجة سنة سبع وسبعين وستمائة ودفن بتربته من قرافة مصر ووزر من بعده الصاحب برهان الدين الخضر بن حسن بن على السنجاري وكان بينه وبين ابن حنا عداوة ظاهرة وباطنة وحقود بارزة وكامنة فأوقع الحوطة على الصاحب تاج الدين محمد بن حنا بدمشق وكان مع الملك السعيد بهاوأخذ خطه بمائة ألف دينار وجهزه على البريد الى مصر ليستخرج منه ومن أخيه زين الدين أحمد وابن عمه عز الدين تكملة ثلثمائة ألف دينار وأحيط بأسبابه ومن يلوذ به من أصحابه ومعارفه وغلمانه وطولبوا بالمال * وأول من درس بهذه المدرسة الصاحب فخر الدين محمد ابن بانيها الوزير الصاحب بهاء الدين الى أن مات يوم الاثنين حادى عشري شعبان سنة ثمان وستين وستمائة فوليها من بعده ابنه محيي الدين أحمد بن محمد الى أن توفي يوم الاحد ثامن شعبان سنة اثنتين وسبعين وستمائة فدرس فيها بعده الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين الى أن مات في يوم الاربعاء سابع صفر سنة أربع وسبعمائة فدرس بها ولده الصاحب شرف الدين وتوارثها أبناء الصاحب يلون نظرها وتدريسها الى أن كان آخرهم صاحبنا الرئيس شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمد ابن محمد بن أحمد بن الصاحب بهاء الدين وليها بعد أبيه عز الدين ووليها عز الدين بعد بدر الدين أحمد بن محمد بن محمد بن الصاحب بهاء الدين فلما مات صاحبنا شمس الدين محمد بن الصاحب لليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وثمانمائة وضع بعض نواب

القضاة يده على مابقى لها من وقف وأقامت هذه المدرسة مدة أعوام معطلة من ذكر الله واقام الصلاة لايأويها أحد لخراب ماحولها وبها شخص يبيت بها كي لايسرق مابهامن أبواب ورخام وكان لها خزانة كتب جليلة فنقلها شمس الدين محمد بن الصاحب وصارت تحت يده الى أن مات فتفرقت فى أيدى الناس وكان قد عزم على نقلها الى شاطئ النيل بمصر فمات قبل ذلك * ولما كان في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة أخذ الملك الناصر فرج بن برقوق عمد الرخام التى كانت بهذه المدرسة وكانت كثيرة العدد جليلة القدر وعمل بدلها دعائم تحمل السقوف الى أن كانت أيام الملك المؤيد شيخ وولى الامير تاج الدين الشوبكى الدمشقى ولاية القاهرة ومصر وحسبة البلدين وشد العمائر السلطانية فهدم هذه المدرسة في أخريات سنة سبع عشرة وأوائل سنة ثمانى عشرة وثمانمائة وكانت من أجل مدارس الدنيا وأعظم مدرسة بمصر يتنافس الناس من طلبة العلم فى النزول بهـا ويتشاحنون في سكنى بيوتها حتي يصير البيت الواحد من بيوتها يسكن فيه الاثنان من طلبة العلم والثلاثة ثم تلاشى أمرهـا حتي هدمت وسيجهل عن قريب موضعها ولله عاقبة الامور

* ( المدرسة الصاحبية ) *

هذه المدرسة بالقاهرة فى سويقة الصاحب كان موضعها من جملة دار الوزير يعقوب بن كلس ومن جملة دار الديباج أنشأها الصاحب صفى الدين عبد الله بن علي بن شكر وجعلها وقفاً على المالكية وبها درس نحو وخزانة كتب وما زالت بيد أولاده فلما كان في شعبان سنة ثمان وخمسين وسبعمائة جدد عمارتها القاضى علم الدين ابراهيم بن عبد اللطيف بن ابراهيم المعروف بابن الزبير ناظر الدولة فى أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون واستجد فيها منبراً فصار يصلى بها الجمعة الى يومنا هذا ولم يكن قبل ذلك بها منبر ولا تصلى فيها الجمعة * ( عبد الله بن علي بن الحسين ) بن عبد الخالق بن الحسين بن الحسن بن منصور بن ابراهيم بن عمار بن منصور بن علي صفى الدين أبو محمد الشيبي الدميرى المالكى المعروف بابن شكر ولد بناحية دميرة احدى قرى مصر البحرية في تاسع صفر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ومات أبوه فتزوجت أمه بالقاضى الوزير الاعز فخر الدين مقدام ابن القاضى الاجل أبى العباس أحمد بن شكر المالكى فرباه ونوه باسمه لانه كان ابن عمه فعرف به وقيل له ابن شكر وسمع صفى الدين من الفقيه أبى الظاهر اسماعيل بن مكى ابن عوف وأبى الطيب عبد المنعم بن يحيي وغيره وحدث بالقاهرة ودمشق وتفقه على مذهب مالك وبرع فيه وصنف كتاباً في الفقه كان كل من حفظه نال منه حظاً وافراً وقصد بذلك أن يتشبه بالوزير عون الدين بن هبيرة كانت بداية أمره انه لما سلم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أمر الاسطول لاخيه الملك العادل أبى بكر بن أيوب وأفرد له من الابواب

الديوانية الزكاة بمصر والجبس الجيوشى بالبرين والنطرون والخراج وما معه من ثمن القرظ وساحل السنط والمراكب الديوانية واسنا وطنبدى استخدم العادل في مباشرة ديوان هذه المعاملة الصفى بن شكر هذا وكان ذلك في سنة سبع وثمانين وخمسمائة ومن حينئذ اشتهر ذكره وتخصص بالملك العادل فلما استقل بمملكة مصر فى سنة ست وتسعين وخمسمائة عظم قدره ثم استوزره بعد الصنيعة بن النجار فحل عنده محل الوزراء الكبار والعلماء المشاورين وباشر الوزارة بسطوة وجبروت وتعاظم وصادر كتاب الدولة واستصفى اموالهم ففر منه القاضى الاشرف ابن القاضى الفاضل الى بغداد واستشفع بالخليفة الناصر وأحضر كتابه الى الملك العادل يشفع فيه وهرب منه القاضى علم الدين اسماعيل بن أبي الحجاج صاحب ديوان الجيش والقاضي الاسعد اسعد بن مماتي صاحب ديوان المال والتجآ الى الملك الظاهر بحلب فأقاما عنده حتى ماتا وصادر بني حمدان وبني الحباب وبني الجليس وأكابر الكتاب والسلطان لايعارضه في شيء ومع ذلك فكان يكثر التغضب على السلطان ويتجنى عليه وهو يحتمله الى أن غضب فى سنة سبع وستمائة وحلف أنه مابقى يخدم فلم يحتمله وولى الوزارة عوضاً عنه القاضى الاعز فخر الدين مقدام بن شكر واخرجه من مصر بجميع أمواله وحرمه وغلمانه وكان نقله على ثلاثين جملا وأخذ أعداؤه فى اغراء السلطان به وحسنوا له أن يأخذ ماله فأبى عليهم ولم يأخذ منه شيئاً وسار الى آمد فأقام بها عند ابن أرتق الى أن مات الملك العادل فى سنة خمسين وستمائة فطلبه الملك الكامل محمد ابن الملك العادل لما استبد بسلطنة ديار مصر بعد أبيه وهو فى نوبة قتال الفرنج على دمياط حين رأى أن الضرورة داعية لحضوره بعد ما كان يعاديه فقدم عليه فى ذى القعدة منها وهو بالمنزلة العادلية قريباً من دمياط فتلقاه وأكرمه وحادثه فيما نزل به من موت أبيه ومحاربة الفرنج ومخالفة الامير عماد الدين أحمد بن المشطوب واضطراب أرض مصر بثورة العربان وكثرة خلافهم فشجعه وتكفل له بتحصيل المال وتدبير الامور وسار الى القاهرة فوضع يده فى مصادرات أرباب الاموال بمصر والقاهرة من الكتاب والتجار وقرر على الاملاك مالا وأحدث حوادث كثيرة وجمع مالا عظيما أمد به السلطان فكثر تمكنه منه وقويت يده وتوفرت مهابته بحيث انه لما انقضت نوبة دمياط وعاد الملك الكامل الى قلعة الجبل كان ينزل اليه ويجلس عنده بمنظرته التي كانت على الخليج ويحدث معه في مهمات الدولة ولم يزل على ذلك الى أن مات بالقاهرة وهو وزير في يوم الجمعة ثامن شعبان سنة اثنتين وعشرين وستمائة وكان بعيد الغور جماعا للمال ضابطا له من الانفاق في غير واجب قد ملأت هيبته الصدور وانقاد له على الرغم والرضا الجمهور وأخذ جمرات الرجال وأضرم رمادا لم يخطر ايقاده على بال وبلغ عند الملك الكامل بحيث انه بعث اليه بابنيه الملك الصالح نجم الدين أيوب والملك العادل أبى

بكر ليزوراه في يوم عيد فقاما على رأسه قياماوانشد زكي الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن وهيب القوصي" قصيدة زاد فيها حين رأى الملكين قياما على رأسه

لو لم تقم لله حق قيامه * ماكنت تقعد والملوك قيام

وقطع في وزارته الارزاق وكانت جملتها أربعمائة ألف دينار في السنة وتسارع أرباب الحوائج والاطماع ومن كان يخافه الى بابه وملوءا طرقاته وهو يبينهم ولا يحفل بشيخ منهم وهو عالم وأوقع بالرؤساء وأرباب البيوت حتى استأصل شأفتهم عن آخرهم وقدم الاراذل في مناصبهم وكان جلدا قويا حل به مرة دوسطاريا قوية وأزمنت فيئس منه الاطباء وعند مااشتد به الوجع وأشرف على الهلاك استدعى بعشرة من وجوه الكتاب كانوا في حبسه وقال أنتم في راحة وأنا في الالم كلاوالله واستحضر المعاصير وآلات العذاب وعذبهم فصاروا يصرخون من العذاب وهو يصرخ من الالم طول الليل الى الصبح وبعد ثلاثة أيام ركب وكان يقول كثيرا لم يبق في قلبي حسرة الا كون البيساني لم تمرغ شيبته على عتباني يعني القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني فانه مات قبل وزارته وكان دري اللون تعلوه حمرة ومع ذلك فكان طلق المحيا حلو اللسان حسن الهيئة صاحب دهاء مع هوج وخبث في طيش ورعونة مفرطة وحقد لاتخبو ناره ينتقم ويظن انه لم ينتقم فيعود وكان لاينام عن عدوه ولا يقبل معذرة أحد ويتخذ الرؤساء كلهم أعداءه ولا يرضى لعدوه بدون الهلاك والاستئصال ولا يرحم احدا اذا انتقم منه ولا يبالي بعاقبة وكان له ولاهله كلمة يرونها ويعملون بها كما يعمل بالاقوال الالهية وهي اذا كنت دقماقا فلا تكن وتداوكان الواحد منهم يعيدها في اليوم مرات ويجعلها حجة عند انتقامه وكان قد استولى على الملك العادل ظاهرا وباطنا ولا يمكن أحدا من الوصول اليه حتى الطبيب والحاجب والفراش عليهم عيون له لا يتكلم أحد منهم فضل كلمة خوفا منه وكان أكبر أغراضه ابادة أرباب البيوت ومحو آثارهم وهدم ديارهم وتقريب الاسقاط وشرار الفقهاء وكان لايأخذمن مال السلطان فلسا ولا ألف دينار ويظهر أمانة مفرطة فاذا لاح له مال عظيم احتجنه وبلغ اقطاعه في السنة مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار وكان قد عمي فأخذ يظهر جلدا عظيما وعدم استكانة واذا حضر اليه الامراء والاكابر وجلسوا على خوانه يقول قدموا اللون الفلاني للامير فلان والصدر فلان والقاضي فلان وهو يبني أموره في معرفة مكان المشار اليه برموز ومقدمات يكابر فيها دوائر الزمان وكان يتشبه في ترسله بالقاضي الفاضل وفي محاضراته بالوزير عون الدين بن هبيرة حتى اشتهر عنه ذلك ولم يكن فيه أهلية هذا لكنه كان من دهاة الرجال وكان اذا لحظ شخصا لايقنع له الا بكثرة الغني ونهاية الرفعة واذا غضب على أحد لايقنع في شأنه الا بمحو أثره من الوجود وكان كثيرا ماينشد

اذا حقرت امرأ فاحذر عداوته * من يزرع الشوك لم يحصد به عنبا

وينشد كثيرا

تود عدوى ثم تزعم انني * صديقك ان الرأى عنك لعازب

وأخذه مرة مرض من حمى قوية وحدث به النافض وهو في مجلس السلطان ينفذ الاشغال فما تأثر ولا ألقى جنبه الى الارض حتى ذهبت وهو كذلك وكان يتعزز على الملوك الجبابرة وتقف الرؤساء على بابه من نصف الليل ومعهم المشاعل والشمع وعند الصباح يركب فلا يراهم ولا يرونه لانه اما أن يرفع رأسه الى السماء تيها وأما أن يعرج الى طريق غير التي هم بها واما أن يأمر الجنادرة التي فى ركابه بضرب الناس وطردهم من طريقه ويكون الرجل قد وقف على بابه طول الليل اما من أوله أو من نصفه بغلمانه ودوابه فيطارد عنه ولا يراه وكان له بواب يأخذ من الناس مالا كثيرا ومع ذلك يهينهم اهانة مفرطة وعليه للصاحب في كل يوم خمسة دنانير منها دينار ان برسم الفقاع وثلاثة دنانير برسم الحلوى وكسوة غلمانه ونفقاته عليه أيضاً ومع ذلك اقتنى عقارا وقرى ولما كان بعد موت الصاحب قدم من بغداد رسول الخليفة الظاهر وهو محيي الدين أبو المظفر بن الجوزى ومعه خلعة الخليفة للملك الكامل وخلع لاولاده وخلعة للصاحب صفى الدين فلبسها فخر الدين سليمان كاتب الانشاء وقبض الملك الكامل على أولاده تاج الدين يوسف وعز الدين محمد وحبسهما وأوقع الحوطة على سائر موجوده رحمه الله وعفا عنه

## *( المدرسة الشريفية )*

هذه المدرسة بدرب كركامة على رأس حارة الجودرية من القاهرة وقفها الامير الكبير الشريف فخر الدين أبو نصر اسماعيل بن حصن الدولة فخر العرب ثعلب بن يعقوب ابن مسلم بن أبي جميل دحية بن جعفر بن موسي بن ابراهيم بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه الجعفري الزيني أمير الحاج والزائرين وأحد أمراء مصر في الدولة الايوبية وتمت فى سنة اثنتى عشرة وستمائة وهي من مدارس الفقهاء الشافعية * قال ابن عبد الظاهر وجري له فى وقفها حكاية مع الفقيه ضياء الدين بن الوراق وذلك أن الملك العادل سيف الدين أبا بكر يعني ابن أيوب لما ملك مصر وكان قد دخلها على انه نائب للملك المنصور محمد بن العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف فقوي عليه وقصد الاستبداد بالملك فأحضر الناس للحلف وكان من جملتهم الفقيه ضياء الدين بن الوراق فلما شرع الناس في الحلف قال الفقيه ضياء الدين ماهذا الحلف بالامس حلفتم للمنصور فان كانت تلك الايمان باطلة فهذه باطلة وان كانت تلك صحيحة فهذه باطلة فقال الصاحب صفى الدين بن شكر للعادل أفسد عليك الامور هذا الفقيه

وكان الفقيه لم يحضر الى ابن شكر ولا سلم عليه فأمر العادل بالحوطة على جميع موجود الفقيه وماله وأملاكه واعتقاله بالرصد مرسما عليه فيه لانه كان مسجده فأقام مدة سنين على هذه الصورة فلما كان في بعض الايام وجد غرة من المترسمين فحضر الى دار الوزارة بالقاهرة فبلغ العادل حضوره فخرج اليه فقال له الفقيه اعلم والله انى لاحاللتك ولا أبرأتك أنت تتقدمنى الى الله فى هذه المدة وأنا بعدك أطالبك بين يدى الله تعالى وتركه وعاد الى مكانه فحضر الشريف فخر الدين بن ثعلب الى الملك العادل فوجده متألما حزينا فسأله فعرفه فقال يامولانا ولم تجرد السم فى نفسك فقال خذ كل ماوقعت الحوطة عليه وكل ما استخرج من أجرة أملاكه وطيب خاطره وأما الفقيه ضياء الدين فانه أصبح وحضرت اليه جماعة من الطلبة للقراءة عليه فقال لهم رأيت البارحة النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول يكون فرجك على يد رجل من أهل بيتى صحيح النسب فبينما هم في الحديث واذا بغبرة ثارت من جهة القرافة فانكشفت عن الشريف بن ثعلب ومعه الموجود كله فلما حضر عرفه الجماعة المنام فقال ياسيدى اشهد على أن جميع ما أملكه وقف وصدقة شكرا لهذه الرؤيا وخرج عن كل مايملكه وكان من جملة ذلك المدرسة الشريفية لانها كانت مسكنه ووقف عليها أملاكه وكذلك فعل فى غيرها ولم يحالل الفقيه الملك العادل ومات الملك العادل بعد ذلك ومات الفقيه بعده بمدة ومات الشريف اسماعيل بن ثعلب بالقاهرة في سابع عشر رجب سنة ثلاث عشرة وستمائة

### *( المدرسة الصالحية )*

هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة كان موضعها من جملة القصر الكبير الشرقى فبنى فيه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن ايوب هاتين المدرستين فابتدأ بهدم موضع هذه المدارس فى قطعة من القصر فى ثالث عشر ذى الحجة سنة تسع وثلاثين وستمائة ودك أساس المدارس في رابع عشر ربيع الآخر سنة أربعين ورتب فيها دروسا أربعة للفقهاء المنتمين الى المذاهب الاربعة فى سنة احدى وأربعين وستمائة وهو أول من عمل بديار مصر دروسا أربعة في مكان ودخل في هذه المدارس باب القصر المعروف بباب الزهومة وموضعه قاعة شيخ الحنابلة الآن ثم اختط ماوراء هذه المدارس فى سنة بضع وخمسين وستمائة وجعل حكر ذلك للمدرسة الصالحية وأول من درس بها من الحنابلة قاضى القضاة شمس الدين أبو بكر محمد بن العماد ابراهيم بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسي الحنبلى الصالحى وفي يوم السبت ثالث عشرى شوال سنة ثمان وأربعين وستمائة اقام الملك المعز عز الدين أيبك التركماني الامير علاء الدين ايدكين البندقدارى الصالحى فى نيابة السلطنة بديار مصر فواظب الجلوس بالمدارس الصالحية هذه مع نواب دار العدل وانتصب

لكشف المظالم واستمر جلوسه بها مدة ثم ان الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان ابن الملك الظاهر بيبرس وقف الصاغة التي تجاهها وأماكن بالقاهرة وبمدينة المحلة الغربية وقطع أراضي جزائر بالاعمال الجيزية والاطفيحية على مدرسين أربعة عند كل مدرس معيدان وعدة طلبة وما يحتاج اليه من أئمة ومؤذنين وقومة وغير ذلك وثبت وقف ذلك على يد قاضي القضاة تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعي ونفذه قاضي القضاة شمس الدين أبو البركات محمد بن هبة الله بن شكر المالكي وذلك في سنة سبع وسبعين وستمائة وهي جارية في وقفها الى اليوم فلما كان في يوم الجمعة حادى عشرى ربيع الاول سنة ثلاثين وسبعمائة رتب الامير جمال الدين أقوش المعروف بنائب الكرك جمال الدين الغزاوي خطيبا بايوان الشافعية من هذه المدرسة وجعل له في كل شهر خمسين درهما ووقف عليه وعلى مؤذنين وقفا جاريا فاستمرت الخطبة هناك الى يومنا هذا * (قبة الصالح) هذه القبة بجوار المدرسة الصالحية كان موضعها قاعة شيخ المالكية بنتها عصمة الدين والدة خليل شجرة الدر لاجل مولاها الملك الصالح نجم الدين أيوب عند مامات وهو على مقاتلة الفرنج بناحية المنصورة في ليلة النصف من شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة فكتمت زوجته شجرة الدر موته خوفا من الفرنج ولم تعلم بذلك أحدا سوي الامير فخر الدين بن يوسف بن شيخ الشيوخ والطواشي جمال الدين محسن فقط فكتما موته عن كل أحد وبقيت أمور الدولة على حالها وشجرة الدر تخرج المناشير والتواقيع والكتب وعليها علامة بخط خادم يقال له سهيل فلا يشك أحد في أنه خط السلطان وأشاعت أن السلطان مستمر المرض ولا يمكن الوصول اليه فلم يجسر أحد أن يتفوه بموت السلطان الى أن انفذت الى حصن كيفا وأحضرت الملك المعظم توران شاه بن الصالح وأما الملك الصالح فان شجرة الدر أحضرته في حراقة من المنصورة الى قلعة الروضة تجاه مدينة مصر من غير أن يشعر به أحد الا من ايتمنته على ذلك فوضع في قاعة من قاعات قلعة الروضة الى يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب سنة ثمان وأربعين وستمائة فنقل الي هذه القبة بعد ما كانت شجرة الدر قد عمرتها على ماهي عليه وخلعت نفسها من سلطنة مصر ونزلت عنها لزوجها عز الدين أيبك قبل نقله فنقله الملك المعز ايبك ونزل ومعه الملك الاشرف موسى ابن الملك المسعود وسائر المماليك البحرية والجمدارية والامراء من قلعة الجبل الى قلعة الروضة وأخرج الملك الصالح في تابوت وصلى عليه بعد صلاة الجمعة وسائر الامراء وأهل الدولة قد لبسوا البياض حزنا عليه وقطع المماليك شعور رؤسهم وساروا به الى هذه القبة فدفن ليلة السبت فأصبح السلطانان ونزلا الى القبة وحضر القضاة وسائر المماليك وأهل الدولة وكافة الناس وغلقت الاسواق بالقاهرة ومصر وعمل عزاء للملك الصالح بين القصرين بالدفوف مدة ثلاثة أيام

آخرها يوم الاثنين ووضع عند القبر سناجق السلطان وبقجته وتركاشه وقوسه ورتب عنده القراء على ماشرطت شجرة الدر فى كتاب وقفهـا وجعلت النظر فيها للصاحب بهاء الدين على بن حنا وذريته وهي بيدهم الى اليوم وما أحسن قول الاديب جمال الدين أبي المظفر عبد الرحمن بن أبي سعيد محمد بن محمد بن عمر بن أبي القـاسم بن تخمش الواسطى المعروف بابن السنيرة الشاعر لما مر هو والامير نور الدين تكريت بالقاهرة بين القصرين ونظر الى تربة الملك الصالح هذه وقد دفن بقاعة شيخ المالكية فانشد

بنيت لارباب العـلوم مـدارسا * لتنجو بها من هول يوم المهالك
وضاقت عليك الارض لم تلق منزلا * تحـل به الا الى جنب مالك

وذلك أن هذه القبة التى فيها قبر الملك الصالح مجـاورة لايوان الفقهاء المالكية المنتمين الى الامام مالك بن أنس رضي الله عنه فقصد التورية بمالك الامام المشهور ومالك خازن النار اعاذنا الله منها

* ( المدرسة الـكاملية ) *

هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة وتعرف بدار الحديث الـكاملية أنشأها السلطان الملك الـكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شادى ابن مروان فى سنة اثنتين وعشرين وستمائة وهى ثاني دار عملت للحديث فان أول من بنى دارا على وجه الارض الملك العـادل نور الدين محمود بن زنكى بدمشق ثم بني الـكامل هذه الدار ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوى ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية ووقف عليها الربع الذي بجوارها على باب الخرنشف ويمتد الى الدرب المقابل للجامع الاقمر وهذا الربع من انشاء الملك الـكامل وكان موضعه من جملة القصر الغربي ثم صار موضعا يسكنه القماحون وكان موضع المدرسة سوقا للرقيق ودارا تعرف بابن كستول * وأول من ولى تدريس الـكاملية الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسـن بن على بن دحية ثم أخوه أبو عمرو عثمان بن الحسن بن على بن دحية ثم الحافظ عبدالعظيم المنذرى ثم الرشيد العطـار وما برحت بيد أعيان الفقهاء الى أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمانمائة فتلاشت كما تلاشي غيرها وولى تدريسها صبي لايشارك الاناسى الا بالصورة ولا يمتاز عن البهيمة الا بالنطق واستمر فيها دهراً لايدرس بها حتى نسيت أو كادت تنسي دروسها ولا حول ولا قوة الا بالله * ( الملك الـكامل ) ناصر الدين أبو المعالى محمد ابن الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان الـكردى الايوبي خامس ملوك بنى أيوب الاكراد بديار مصر ولد في خامس عشرى ربيع الاول سنة ست وسبعين وخمسمائة وخلف أباه الملك العادل على بلاد الشرق فلما استولى على مملكة مصر قدم الملك الـكامل

الى القاهرة في سنة ست وتسعين وخمسمائة ونصبه أبوه نائباً عنه بديار مصر وأقطعه الشرقية وجعله ولى عهده وحلف له الامراء وأسكنه قلعة الجبل وسكن العادل في دار الوزارة بالقاهرة وصار يحكم بديار مصر مدة غيبة الملك العادل ببلاد الشام وغيرها بمفرده فلما مات الملك العادل ببلاد الشام استقل الملك الكامل بمملكة مصر في جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة وهو على محاربة الفرنج بالمنزلة العادلية قريباً من دمياط وقد ملكوا البر الغربي فثبت لقتالهم مع ماحدث من الوهن بموت السلطان وثارت العربان بنواحى أرض مصر وكثر خلافهم واشتد ضررهم وقام الامير عماد الدين أحمد ابن الامير سيف الدين أبى الحسين على بن أحمد الهكارى المعروف بابن المشطوب وكان أجل الامراء الاكابر وله لفيف من الاكراد الهكارية يريد خلع الملك الكامل وتمليك أخيه الملك الفائز ابراهيم بن العادل ووافقه على ذلك كثير من الامراء فلم يجد الكامل بدّاً من الرحيل في الليل جريدة وسار من العادلية الى أشموم طناح ونزل بها وأصبح العسكر بغير سلطان فركب كل واحد هواه ولم يعرج واحد منهم على آخر وتركوا أثقالهم وسائر مامعهم فاغتنم الفرنج الفرصة وعبروا الى بر دمياط واستولوا على جميع ماتركه المسلمون وكان شيئاً عظيما وهم الملك الكامل بمفارقة أرض مصر ثم ان الله تعالى ثبته وتلاحقت به العساكر وبعد يومين قدم عليه أخوه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق باشموم فاشتد عضده بأخيه وأخرج ابن المشطوب من العسكر الى الشام ثم أخرج الفائز ابراهيم الى الملوك الايوبية بالشام والشرق يستنفرهم لجهاد الفرنج وكتب الملك الكامل الى أخيه الملك الاشرف موسى شاه يستحثه على الحضور وصدر المكاتبة بهذه الابيات

يامسعدى ان كنت حقا مسعفى * فانهض بغير تلبث وتوقف
واحثث قلوصك مرقلاأوموجفا * بتجشم في سيرها وتعسف
واطو المنازل مااستطعت ولاتنخ * الا على باب المليك الاشرف
واقر السلام عليه من عبد له * متوقع لقدومه متشوف
واذا وصلت الى حماه فقل له * عني بحسن توصل وتلطف
ان تأت عبدك عن قليل تلقه * مابين كل مهند ومثقف
أو تبط عن انجاده فلقاؤه * بك في القيامة فى عراص الموقف

وجد الكامل في قتال الفرنج وأمر بالنفير فى ديار مصر وأتته الملوك من الاطراف فقدر الله أخذ الفرنج لدمياط بعد ماحاصروها ستة عشر شهراً واثنين وعشرين يوما ووضعوا السيف فى أهلها فرحل الكامل من أشموم ونزل بالمنصورة وبعث يستنفر الناس وقوى الفرنج حتى بلغت عدتهم نحو المائتي ألف راجل وعشرة آلاف فارس وقدم عامة أهل أرض

مصر وأتت النجدات من البلاد الشامية وغيرها فصار المسلمون في جمع عظيم الى الغاية بلغت عدة فرسانهم خاصة نحو الاربعين ألفاً وكانت بين الفريقين خطوب آلت الى وقوع الصلح وتسلم المسلمون مدينة دمياط في تاسع عشرى رجب سنة ثمان عشرة وستمائة بعد ماأقامت بيد الفرنج سنة وأحد عشر شهراً تنقص ستة أيام وسار الفرنج الى بلادهم وعاد السلطان الى قلعة الجبل وأخرج كثيرا من الامراء الذين وافقوا ابن المشطوب من القاهرة الى الشام وفرق أخبازهم على مماليكه ثم تخوف من أمرائه في سنة احدى وعشرين بميلهم الى أخيه الملك المعظم فقبض على جماعة منهم وكاتب أخاه الملك الاشرف في موافقته على المعظم فقويت الوحشة بين الكامل والمعظم واشتد خوف الكامل من عسكره وهم أن يخرج من القاهرة لقتال المعظم فلم يجسر على ذلك وقدم الاشرف الى القاهرة فسر بذلك سرورا كثيراً وتحالفا على المعاضدة وسافر من القاهرة فمال مع المعظم فتحير الكامل في أمره وبعث الى ملك الفرنج يستدعيه الى عكا ووعده بأن يمكنه من بلاد الساحل وقصد بذلك أن يشغل سر أخيه المعظم فلما بلغ ذلك المعظم خطب للسلطان جلال الدين الخوارزمي وبعث يستنجد به على الكامل وابطل الخطبة للكامل فخرج الكامل من القاهرة يريد محاربته فى رمضان سنة أربع وعشرين وسار الى العباسة ثم عاد الى قلعة الجبل وقبض على عدة من الامراء ومماليك أبيه لمكاتبتهم المعظم وأنفق فى العسكر فاتفق موت الملك المعظم في سلخ ذى القعدة وقيام ابنه الملك الناصر داود بسلطنة دمشق وطلبه من الكامل الموادعة فبعث اليه خلعة سنية وسنجقا سلطانياً وطلب منه أن ينزل له عن قلعة الشوبك فامتنع الناصر من ذلك فوقعت المنافرة بينهما وعهد الملك الكامل الى ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب وأركبه بشعار السلطنة وأنزله بدار الوزارة وخرج من القاهرة في العساكر يريد دمشق فأخذ نابلس والقدس فخرج الناصر داود من دمشق ومعه عمه الاشرف وسارا الى الكامل يطلبان منه الصلح فلما بلغ ذلك الكامل رحل من نابلس يريد القاهرة فقدمها الناصر والاشرف وأقام بها الناصر وسار الاشرف والمجاهد الى الكامل فأدركاه بتل العجوز فأكرمهما وقرر مع الاشرف انتزاع دمشق من الناصر واعطاءها للاشرف على أن يكون للكامل مابين عقبة أفيق الى القاهرة وللاشرف من دمشق الى عقبة أفيق وأن يمين بجماعة من ملوك بني أيوب فاتفق قدوم الملك الانبرطور الى عكا باستدعاء الملك الكامل له فتحير الكامل في امره لعجزه عن محاربته وأخذ يلاطفه وشرع الفرنج في عمارة صيدا وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج وسورها خراب فلما بلغ الناصر موافقة الاشرف للكامل عاد من نابلس الى دمشق واستعد للحرب فسار اليه الاشرف من تل العجوز وحاصره بدمشق وأقام الكامل بتل العجوز وقد تورط مع الفرنج فلم يجد بدا من اعطائهم القدس على أن لا يجدد سوره وأن

تبق الصخرة والاقصى مع المسلمين ويكون حكم قري القدس الى المسلمين وأن القرى التي فيما بين عكا ويافا وبين لد والقدس للفرنج وانعقدت الهدنة على ذلك لمدة عشر سنين وخمسة أشهر وأربعين يوما أولها ثامن ربيع الاول سنة ست وعشرين ونودى في القدس بخروج المسلمين منه وتسليمه الى الفرنج فكان أمرا مهولا من شدة البكاء والصراخ وخرجوا بأجمعهم فصاروا الى مخيم الكامل وأذنوا على بابه في غير وقت الاذان فشق عليه ذلك وأخذ منهم الستور وقناديل الفضة والآلات وزجرهم وقيل لهم امضوا حيث شئتم فعظم على المسلمين هذا وكثر الانكار على الملك الكامل وشنعت المقالة فيه وعاد الانبرطور الى بلاده بعد مادخل القدس وكان مسيره في آخر جمادي الآخرة سنة ست وعشرين وسير الكامل الى الآفاق بتسكين قلوب المسلمين وانزعاجهم لاخذ الفرنج القدس ورحل من تل العجوز يريد دمشق والاشرف على محاصرتها فجد في القتال واشتد الامر على الناصر الى أن ترامى في الليل على الملك الكامل فأكرمه وأعاده الى قلعة دمشق وبعث من تسلمها منه وعوضه عن دمشق الكرك والشوبك والصلت والباقاء والاغوار ونابلس وأعمال القدس ثم ترك الشوبك للكامل مع عدة مما ذكر وتسلم الكامل دمشق في أول شعبان وأعطاها للاشرف وأخذ منه مامعه من بلاد الشرق وهي حران والرها وسروج وغير ذلك ثم سار الكامل فأخذ حماه وتوجه منها فقطع الفرات ثم سار الى جعبر والرقة ودخل حران والرها ورتب أمورها وأتته الرسل من ماردين وآمد والموصل وأربل وغير ذلك وأقيمت له الخطبة بماردين وبعث يستدعى عساكر الشام لقتال الخوارزمى وهو بخلاط ثم رحل الكامل من حران لامور حدثت وسار الى مصر فدخلها في شهر رجب سنة سبع وعشرين وقد تغير على ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب وخلعه من ولاية العهد وعهد الى ابنه الملك العادل أبي بكر ثم سار الى الاسكندرية في سنة ثمان وعشرين ثم عاد الى مصر وحفر بحر النيل فيما بين المقياس وبر مصر وعمل فيه بنفسه واستعمل فيه الملوك من أهله والأمراء والجند فصار الماء دائما فيما بين مصر والمقياس وانكشف البر فيما بين المقياس والجيزة في أيام احتراق النيل وخرج من القاهرة الى بلاد الشام في آخر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين واستخلف على ديار مصر ابنه العادل وأسكنه قلعة الجبل وأخذ الصالح معه فدخل دمشق من طريق الكرك وخرج منها لقتال التتر وجعل ابنه الصالح على مقدمته فسار الى حران فرحل التتر عن خلاط ثم رحل الى الرها وسار الى آمد ونازلها حتي أخذها وأنعم على ابنه الصالح بحصن كيفا وبعثه اليه وعاد الى مصر في سنة ثلاثين فقبض على عدة من الامراء ثم خرج في سنة احدى وثلاثين الى دمشق وسار منها ودخل الدربند وقد أعجبته كثرة عساكره فانه اجتمع معه ثمانية عشر طلبا لثمانية عشر ملكا وقال هذه العساكر لم تجتمع لاحد من ملوك الاسلام ونزل على

النهر الازرق بأول بلد الروم وقد نزلت عساكر الروم وأخذت عليه رأس الدربند ومنعوه فتحير لقلة الاقوات عنده ولاختلاف ملوك بني أيوب عليه ورحل الى مصر وقد فسد ما بينه وبين الاشرف وغيره وأخذ ملك الروم الرها وحران بالسيف فتجهز الكامل وخرج بعساكره من القاهرة فى سنة ثلاث وثلاثين وسار الى الرها ونازلها حتى أخذها وهدم قلعتها وأخذ حران بعد قتال شديد وبعث بمن كان فيها من الروم الى القاهرة في القيود وكانوا زيادة على ثلاثة آلاف نفس ثم خرج الى دنيسر وعاد الى دمشق وسار منها الى القاهرة فدخلها في سنة أربع وثلاثين ثم خرج في سنة خمس وثلاثين ونزل على دمشق وقد امتنعت عليه فضايقها حتي أخذها من أخيه الملك الصالح اسماعيل وعوضه عنها بعلبك وبصري وغيرهما في تاسع عشر جمادى الاولى ونزل بالقلعة وأخذ يتجهز لاخذ حلب وقد نزل به زكام فدخل في ابتدائه الحمام فاندفعت المواد الى معدته فتورم وثارت فيه حمى فنهاه الاطباء عن القيء وحذروه منه فلم يصبر وتقيأ فمات لوقته في آخر نهار الاربعاء حادي عشر رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة عن ستين سنة منها ملكه أرض مصر نحو أربعين سنة استبد فيها بعد موت أبيه مدة عشرين سنة وخمسة وأربعين يوما وكان يحب العلم وأهله ويؤثر مجالستهم وشغف بسماع الحديث النبوى وحدث وبنى دار الحديث الكاملية بالقاهرة وكان يناظر العلماء ويمتحنهم بمسائل غريبة من فقه ونحو فمن أجاب عنها حظي عنده وكان يبيت عنده بقلعة الجبل عدة من أهل العلم على أسرة بجانب سريره ليسامروه وكان للعلم والادب عنده نفاق فقصده الناس لذلك وصار يطلق الارزاق الدارة لمن يقصده لهذا وكان مهابا حازما سديد الرأى حسن التدبير عفيفا عن الدماء وكان يباشر أمور مملكته بنفسه من غير اعتماد على وزير ولا غيره ولم يستوزر بعد الصاحب صفى الدين عبد الله بن على بن شكر أحدا وانما كان ينتدب من يختاره لتدبير الاشغال ويحضر عنده الدواوين ويحاسبهم بنفسه واذا ابتدأت زيادة النيل خرج وكشف الجسور ورتب الامراء لعملها فاذا انتهى عمل الجسور خرج ثانيا وتفقدها بنفسه فان وقف فيها على خلل عاقب متوليها أشد العقوبة فعمرت أرض مصر في أيامه عمارة جيدة وكان يخرج من زكوات الاموات التى تجبى من الناس سهمى الفقراء والمساكين ويعين مصرف ذلك لمستحقيه شرعا ويفرز منه معاليم الفقهاء والصلحاء وكان يجلس كل ليلة جمعة مجلسا لاهل العلم فيجتمعون عنده للمناظرة وكان كثير السياسة حسن المداراة وأقام على كل طريق خفراء لحفظ المسافرين الا انه كان مغرما بجمع المال مجتهدا فى تحصيله وأحدث في البلاد حوادث سماها الحقوق لم تعرف قبله ومن شعره قوله رحمه الله تعالى

اذا تحققتم ما عند صاحبكم * من الغرام فذاك القدر يكفيه

انتم سكنتم فؤادى وهو منزلكم * وصاحب البيت أدرى بالذى فيه

وقال له الطبيب علم الدين أبو النصر جرجس بن أبى حليقة في اليوم الذى مات فيه كيف نوم السلطان في ليلته فأنشد

ياخليلى خبرانى بصدق * كيف طعم الكرى فانى نسيت

ودفن أولا بقلعة دمشق ثم نقل الى جوار جامع بنى أمية وقبره هناك رحمه الله تعالى

*( المدرسة الصيرمية )*

هذه المدرسة من داخل باب الجملون الصغير بالقرب من رأس سويقة أمير الجيوش فيما بينها وبين الجامع الحاكمي بجوار الزيادة بناها الامير جمال الدين شويخ بن صيرم أحد أمراء الملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب وتوفى في تاسع عشر صفر سنة ست وثلاثين وستمائة

* المدرسة المسرورية *

هذه المدرسة بالقاهرة داخل درب شمس الدولة كانت دار شمس الخواص مسرور أحد خدام القصر فجعلت مدرسة بعد وفاته بوصيته وأن يوقف الفندق الصغير عليها وكان بناؤها من ثمن ضيعة بالشام كانت بيده بيعت بعد موته وتولى ذلك القاضى كمال الدين خضر ودرس فيها وكان مسرور ممن اختص بالسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فقدمه على حلقته ولم يزل مقدما الى الايام الكاملية فانقطع الى الله تعالى ولزم داره الى أن مات ودفن بالقرافة الى جانب مسجده وكان له بر واحسان ومعروف ومن آثاره بالقاهرة فندق يعرف اليوم بخان مسرور الصفدي وله ربع بالشارع

*( المدرسة القوصية )*

هذه المدرسة بالقاهرة في درب سيف الدولة بالقرب من درب ملوخيا أنشأها الامير الكردي والى قوص

*( مدرسة بحارة الديلم )* (٣)

*( المدرسة الظاهرية )*

هذه المدرسة بالقاهرة من جملة خط بين القصرين كان موضعها من القصر الكبير يعرف بقاعة الخيم وقد تقدم ذكرها في أخبار القصر ومما دخل في هذه المدرسة باب الذهب المذكور في أبواب القصر فلما أوقع الملك الظاهر بيبرس البندقدارى الحوطة على القصور والمناظر كما تقدم ذكره نزل القاضى كمال الدين طاهر ابن الفقيه نصر وكيل بيت المال وقوم قاعة الخيم هذه وابتاعها الشيخ شمس الدين محمد بن العماد ابراهيم المقدسى شيخ الحنابلة ومدرس المدرسة الصالحية النجمية ثم باعها المذكور للسلطان فأمر بهدمها وبناء

موضعها مدرسة فابتدئ بعمارتها في ثانى ربيع الآخر سنة ستين وستمائة وفرغ منها فى سنة اثنتين وستين وستمائة ولم يقع الشروع في بنائها حتى رتب السلطان وقفها وكان بالشام فكتب بما رتبه الى الامير جمال الدين بن يغمور وان لايستعمل فيها أحدا بغير أجرة ولا ينقص من أجرته شيئاً فلما كان يوم الاحد خامس صفر سنة اثنتين وستين وستمائة اجتمع أهل العلم بها وقد فرغ منها وحضر القراء وجلس أهل الدروس كل طائفة في ايوان منها الشافعية بالايوان القبلى ومدرسهم الشيخ تقى الدين محمد بن الحسن بن رزين الحموى والحنفية بالايوان البحرى ومدرسهم الصدر مجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر بن العديم الحلبى وأهل الحديث بالايوان الشرقي ومدرسهم الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطى والقراء بالقرا آت السبع بالايوان الغربى وشيخهم الفقيه كمال الدين المحلى وقرروا كلهم الدروس وتناظروا في علومهم ثم مدت الاسمطة لهم فأكلوا وقام الاديب أبو الحسين الجزار فانشد

الا هكذا يبني المدارس من بنى * ومن يتغالى فى الثواب وفى الثنا
لقد ظهرت للظاهر الملك همة * بها اليوم في الدارين قد بلغ المنا
تجمع فيها كل حسن مفرق * فراقت قلوبا للانام وأعينا
ومذ جاورت قبر الشهيد فنفسه النـ * ـفيسة منها في سرور وفى هنا
وماهى الا جنة الخلد أزلفت * له فى غد فاختار تعجيلها هنا

وقال السراج الوراق أيضاً قصيدة منها

مليك له في العلم حب وأهله * فلله حب ليس فيه ملام
فشيدها للعلم مدرسة غدا * عراق اليها شيق وشآم
ولا تذكرن يوما نظامية لها * فليس يضاهى ذا النظام نظام
ولا تذكرن ملكا فبيبرس مالك * وكل مليك فى يديه غلام
ولما بناها زعزعت كل بيعة * متى لاح صبح فاستقر ظلام
وقد برزت كالروض في الحسن انبأت * بأن يديه في النوال غمام
ألم تر محرابا كأن أزاهرا * تفتح عنهن الغداة كمام

وقال الشيخ جمال الدين يوسف بن الخشاب

قصد الملوك حماك والخلفاء * فافخر فان محلك الجوزاء
أنت الذى أمراؤه بين الورى * مثل الملوك وجنده أمراء
ملك تزينت الممالك باسمه * وتجملت بمديحه الفصحاء
وترفعت لعلاه خير مدارس * حلت بها العلماء والفضلاء

يبقى كما يبقى الزمان وملكه * باق له ولحاسديه فناء
كم للفرنج وللتتار ببابه * رسل مناها العفو والاعفاء
وطريقه لبلادهم موطوءة * وطريقهم لبلاده عذراء
دامت له الدنيا ودام مخلدا * ما أقبل الاصباح والامساء

فلما فرغ هؤلاء الثلاثة من انشادهم افيضت عليهم الخلع وكان يوما مشهودا وجعل بها خزانة كتب تشتمل على أمهات الكتب في سائر العلوم وبني بجانبها مكتبا لتعليم أيتام المسلمين كتاب الله تعالى وأجرى لهم الجرايات والكسوة وأوقف عليها ربع السلطان خارج باب زويلة فيما بين باب زويلة وباب الفرج ويعرف ذلك الخط اليوم به فيقال خط تحت الربع وكان ربعا كبيرا لكنه خرب منه عدة دور فلم تعمر وتحت هذا الربع عدة حوانيت هي الآن من أجل الاسواق وللناس فى سكناها رغبة عظيمة ويتنافسون فيها تنافسا يرتفعون فيه الى الحكام وهذه المدرسة من أجل مدارس القاهرة الا انها قد تقادم عهدها فرثت وبها الى الآن بقية صالحة ونظرها تارة يكون بيد الحنفية وأحيانا بيد الشافعية وينازع في نظرها أولاد الظاهر فيدفعون عنه ولله عاقبة الامور

* (المدرسة المنصورية) *

هذه المدرسة من داخل باب المارستان الكبير المنصورى بخط بين القصرين بالقاهرة أنشأها هي والقبة التى تجاهها والمارستان الملك المنصور قلاون الالفى الصالحي على يد الامير علم الدين سنجر الشجاعى ورتب بها دروسا أربعة لطوائف الفقهاء الاربعة ودرسا للطب ورتب بالقبة درسا للحديث النبوى ودرسا لتفسير القرآن الكريم وميعادا وكانت هذه التداريس لا يليها الا أجل الفقهاء المعتبرين ثم هى اليوم كما قيل

تصدر للتدريس كل مهوس * بليد يسمي بالفقيه المدرس
فحق لاهل العلم أن يتمثلوا * ببيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

* (القبة المنصورية) هذه القبة تجاه المدرسة المنصورية وهما جميعا من داخل باب المارستان المنصورى وهى من أعظم المبانى الملوكية وأجلها قدرا وبها قبر تضمن الملك المنصور سيف الدين قلاون وابنه الملك الناصر محمد بن قلاون والملك الصالح عماد الدين اسماعيل ابن محمد بن قلاون وبها قاعة جليلة فى وسطها فسقية يصل اليها الماء من فوارة بديعة الزى وسائر هذه القاعة مفروش بالرخام الملون وهذه القاعة معدة لاقامة الخدام الملوكية الذين يعرفون اليوم في الدولة التركية بالطواشية واحدهم طواشى وهذه لفظة تركية أصلها بلغتهم طابوشى فتلاعبت بها العامة وقالت طواشي وهو الخصى ولهؤلاء الخدام في كل يوم ما يكفيهم

من الخبز النقى والاحم المبطوخ وفى كل شهر من المعاليم الوافرة مافيه غنية لهم وأدركتهم ولهم حرمة وافرة وكلمة نافذة وجانب مرعى ويعد شيخهم من أعيان الناس يجلس على مرتبة وبقية الخدام في مجالسهم لايبرحون في عبادة وكان يستقر فى وظائف هذه الخدمة أكابر خدام السلطان ويقيمون عنهم نوابا يواظبون الاقامة بالقبة ويرون مع سعة أحوالهم وكثرة أموالهم من تمام فخرهم وكمال سيادتهم انتماءهم الى خدمة القبة المنصورية ثم تلاشى الحال بالنسبة الى ماكان والخدام بهذه القاعة الى اليوم وقصد الملوك باقامة الخدام فى هذه القاعة التى يتوصل الى القبة منها اقامة ناموس الملك بعد الموت كما كان في مدة الحياة وهو الى اليوم لايمكنون أحدا من الدخول الى القبة الا من كان من أهلها ولله دريحيي بن حكم البكري الجياني المغربي الملقب بالغزال لجماله حيث يقول

أري أهل الثراء اذا توفوا * بنوا تلك المقابر بالصخور
أبوا الا مباهاة وتيها * على الفقراء حتى في القبور

وفي هذه القبة دروس للفقهاء على المذاهب الاربعة وتعرف بدروس وقف الصالح وذلك ان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاون قصد عمارة مدرسة فاخترمته المنية دون بلوغ غرضه فقام الامير ارغون العلائى زوج أمه فى وقف قرية تعرف بدهمشا الحمام من الاعمال الشرقية عن أم الملك الصالح فاثبته بطريق الوكالة عنها ورتب ماكان الملك الصالح اسماعيل قرره في حياته لو أنشأ مدرسة وجعل ذلك الامير ارغون مرتبا لمن يقوم به في القبة المنصورية وهو وقف جليل يحصل منه في كل سنة نحو الاربعة آلاف دينار ذهبا ثم لما كانت الحوادث وخربت الناحية المذكورة تلاشى أمر وقف الصالح وفيه الى اليوم بقية وكان لايلي تدريس دروسه الاقضاة القضاة فوليه الآن الصبيان ومن لايؤهل لو كان الانصاف له * وفي هذه القبة أيضاً قراء يتناوبون القراءة بالشبابيك المطلة على الشارع طول الليل والنهار وهم من جهة ثلاثة اوقاف فطائفة من جهة وقف الملك الصالح اسماعيل وطائفة من جهة الوقف السيفى وهو منسوب الى الملك المنصور سيف الدين أبى بكر ابن الملك الناصر محمد بن قلاون * وبهذه القبة امام راتب يصلى بالخدام والقراء وغيرهم الصلوات الخمس ويفتح له باب فيما بين القبة والمحراب يدخل منه من يصلى من الناس ثم يغلق بعد انقضاء الصلاة * وبهذه القبة خزانة جليلة كان فيها عدة أحمال من الكتب في انواع العلوم مما وقفه الملك المنصور وغيره وقدذهب معظم هذه الكتب وتفرق فى ايدى الناس * وفي هذه القبة خزانة بها ثياب المقبورين بها ولهم فراش معلوم بمعلوم لتعهدهم ويوضع مايحصل من مال اوقاف المارستان بهذه القبة تحت ايدى الخدام وكانت العادة انه اذا أمر السلطان أحداً من أمراء مصر والشام فانه ينزل من قلعة الجبل وعليه التشريف

والشربوش وتوقد له القاهرة فيمر الى المدرسة الصالحية بين القصرين وعمل ذلك من عهد سلطنة المعز ايبك ومن بعده فنقل ذلك الى القبة المنصورية وصار الامير يحلف عند القبر المذكور ويحضر تحليفه صاحب الحجاب وتمد أسمطة جليلة بهذه القبة ثم ينصرف الامير ويجلس له في طول شارع القاهرة الى القلعة أهل الاغانى اتزفه في نزوله وصموده وكان هذا من جملة منتزهات القاهرة وقد بطل ذلك منذ انقرضت دولة بني قلاون * ومن جملة أخبار هذه القبة انه لما كان في يوم الخميس مستهل المحرم سنة تسعين وستمائة بعث الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاون بجملة مال تصدق به في هذه القبة ثم أمر بنقل أبيه من القلعة فخرج سائر الامراء ونائب السلطنة الامير بيدرا بدر الدين والوزير الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس التنوخي وحضروا بعد صلاة العشاء الآخرة ومشوا بأجمهم قدام تابوت الملك المنصور الى الجامع الازهر وحضر فيه القضاة ومشايخ الصوفية فتقدم قاضي القضاة تقى الدين بن دقيق العيد وصلى على الجنازة وخرج الجميع أمامها الى القبة المنصورية حتى دفن فيها وذلك في ليلة الجمعة ثاني المحرم وقيل عاشره ثم عاد الوزير والنائب من الدهليز خارج القاهرة الى القبة المنصورية لعمل مجتمع بسبب قراءة ختمة كريمة في ليلة الجمعة ثامن عشرى صفر منها وحضر المشايخ والقراء والقضاة في جمع موفور وفرق في الفقراء صدقات جزيلة ومدت أسمطة كثيرة وتفرقت الناس اطعمتها حتى امتلأت الايدى بها وكانت احدى الليالى الغر كثر الدعاء فيها للسلطان وعساكر الاسلام بالنصر على أعداء الملة وحضر الملك الاشرف بكرة يوم الجمعة الى القبة المنصورية وفرق مالا كثيراً وكان الملك الاشرف قد برز يريد المسير لجهاد الفرنج وأخذ مدينة عكا فسار لذلك وعاد في العشرين من شعبان وقد فتح الله له مدينة عكا عنوة بالسيف وخرب أسوارها وكان عبوره الى القاهرة من باب النصر وقد زينت القاهرة زينة عظيمة فعند ماحاذى باب المارستان نزل الى القبة المنصورية وقد غصت بالقضاة والاعيان والقراء والمشايخ والفقهاء فتلقوه كلهم بالدعاء حتي جلس فأخذ القراء فى القراءة وقام نجم الدين محمد بن فتح الدين محمد بن عبد الله بن مهلهل بن غياث بن نصر المعروف بابن العنبرى الواعظ وصعد منبرا نصب له فجلس عليه وافتتح ينشد قصيدة تشتمل على ذكر الجهاد وما فيه من الاجر فلم يسعد فيها بحظ وذلك انه افتتحها بقوله

زر والديك وقف على قبريهما * فكانني بك قد نقلت اليهما

فعند ماسمع الاشرف هذا البيت تطير منه ونهض قائماً وهو يسب الامير بيدرا نائب السلطنة لشدة حنقه وقال ماوجد هذا شيئاً يقوله سوى هذا البيت فأخذ بيدرا في تسكين حنقه والاعتذار له عن ابن العنبري بأنه قد انفرد فى هذا الوقت بحسن الوعظ ولا نظير له فيه الا انه لم يرزق سعادة في هذا الوقت فلم يصغ السلطان الى قوله وسار فانفض المجلس

على غير شئ وصعد السلطان الى قلعة الجبل ثم بعد أيام سأل السلطان عن وقف المارستان وأحب أن يجدد له وقفاً من بلاد عكا التى افتتحها بسيفه فاستدعى القضاة وشاورهم فيما هم به من ذلك فرغبوه فيه وحثوه على المبادرة اليه فعين أربع ضياع من ضياع عكا وصور ليقفها على مصالح المدرسة والقبة المنصورية ما تحتاج اليه من ثمن زيت وشمع ومصابيح وبسط وكلفة الساقية وعلى خمسين مقرئاً يرتبون لقراءة القرآن الكريم بالقبة وامام راتب يصلي بالناس الصلوات الخمس في محراب القبة وستة خدام يقيمون بالقبة وهي الكابرة وتل الشيوخ وكردانة وضواحيها من عكا ومن ساحل صور معركة وصدفين وكتب بذلك كتاب وقف وجعل النظر في ذلك لوزيره الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس فلما تم ذلك تقدم بعمل مجتمع بالقبة لقراءة ختمة كريمة وذلك ليلة الاثنين رابع ذى القعدة سنة تسعين وستمائة فاجتمع القراء والوعاظ والمشايخ والفقراء والقضاة لذلك وخلع على عامة أرباب الوظائف والوعاظ وفرقت في الناس صدقات جمة وعمل مهم عظيم احتفل فيه الوزير احتفالا زائدا وبات الامير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة والامير الوزير شمس الدين محمد بن السلعوس بالقبة وحضر السلطان ومعه الخليفة الحاكم بأمر الله احمد وعليه سواده فخطب الخليفة خطبة بليغة حرض فيها على أخذ العراق من التتار فلما فرغ من المهم افاض السلطان على الوزير تشريفا سنيا وفي يوم الخميس حادى عشر ربيع الاول سنة احدى وتسعين وستمائة اجتمع القراء والوعاظ والفقهاء والاعيان بالقبة المنصورية لقراءة ختمة شريفة ونزل السلطان الملك الاشرف وتصدق بمال كثير وآخر من نزل الى القبة المنصورية من ملوك بني قلاون السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون في سنة احدى وستين وسبعمائة وحضر عنده بالقبة مشايخ العلم وبحثوا فى العلم وزار قبر أبيه وجده ثم خرج فنظر في أمر المرضي بالمارستان وتوجه الى قلعة الجبل

* ( المدرسة الناصرية ) *

هذه المدرسة بجوار القبة المنصورية من شرقيها كان موضعها حماماً فأمر السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري بانشاء مدرسة موضعها فابتدئ في عملها ووضع أساسها وارتفع بناؤها عن الارض الى نحو الطراز المذهب الذى بظاهرها فكان من خلعه ما كان فلما عاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون الى مملكة مصر فى سنة ثمان وتسعين وستمائة أمر باتمامها فكملت في سنة ثلاث وسبعمائة وهي من أجل مباني القاهرة وبابها من أعجب ماعملته أيدي بنى آدم فانه من الرخام الابيض البديع الزى الفائق الصناعة ونقل الى القاهرة من مدينة عكا وذلك أن الملك الاشرف خليل بن قلاون لما فتح عكا عنوة في سابع عشر جمادى الاولى سنة تسعين وستمائة اقام الامير علم الدين سنجر الشجاعى لهدم أسوارها

وتخريب كنائسها فوجد هذه البوابة على باب كنيسة من كنائس عكا وهي من رخام قواعدها وأعضادها وعمدها كل ذلك متصل بعضه ببعض فحمل الجميع الى القاهرة وأقام عنده الى أن قتل الملك الاشرف وتمادى الحال على هذا أيام سلطنة الملك الناصر محمد الاولى فلما خلع وتملك كتبغا أخذ دار الامير سيف الدين بلبان الرشيدى ليعملها مدرسة فدل على هذه البوابة فأخذها من ورثة الامير بيدرا فانها كانت قد انتقلت اليه وعملها كتبغا على باب هذه المدرسة فلما خلع من الملك وأقيم الناصر محمد اشترى هذه المدرسة قبل اتمامها والاشهاد بوقفها وولى شراءها وصيه قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكي وأنشأ بجوار هذه المدرسة من داخل بابها قبة جليلة لكنها دون قبة أبيه ولما كملت نقل اليها أمه بنت سكباى بن قراجين ووقف على هذه المدرسة قيسارية أمير على بخط الشرابشيين من القاهرة والربع الذى يعلوها وكان يعرف بالدهيشة ووقف عليها أيضاً حوانيت بخط باب الزهومة من القاهرة ودار الطعم خارج مدينة دمشق فلما مات ابنه انوك من الخاتون طغاي في يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاول سنة احدى وأربعين وسبعمائة وعمره ثماني عشرة سنة دفنه بهذه القبة وعمل عليها وقفاً يختص بها وهو باق الى اليوم يصرف لقراء وغير ذلك * وأول من رتب في تدريس المدرسة الناصرية من المدرسين قاضى القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي ليدرس فقه المالكية بالايوان الكبير القبلى وقاضي القضاة شرف الدين عبد الغنى الحرانى ليدرس فقه الحنابلة بالايوان الغربى وقاضى القضاة أحمد بن السروجي الحنفى ليدرس فقه الحنفية بالايوان الشرقي والشيخ صدر الدين محمد بن المرحل المعروف بابن الوكيل الشافعي ليدرس فقه الشافعية بالايوان البحرى وقرر عند كل مدرس منهم عدة من الطلبة وأجرى عليهم المعاليم ورتب بها اماماً يؤم بالناس في الصلوات الخمس وجعل بها خزانة كتب جليلة وأدركت هذه المدرسة وهي محترمة الى الغاية يجلس بدهايزها عدة من الطواشية ولا يمكن غريب أن يصعد اليها وكان يفرق بها علي الطلبة والقراء وسائر أرباب الوظائف بها السكر فى كل شهر لكل أحد منهم نصيب ويفرق عليهم لحوم الاضاحى فى كل سنة وقد بطل ذلك وذهب ما كان لها من الناموس وهى اليوم عامرة من أجل المدارس

* ( المدرسة الحجازية ) *

هذه المدرسة برحبة باب العيد من القاهرة بجوار قصر الحجازية كان موضعها باباً من أبواب القصر يعرف بباب الزمرذ أنشأتها الست الجليلة الكبرى خوند تتر الحجازية ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون زوجة الامير بكتمر الحجازى وبه عرفت وجعلت بهذه المدرسة درسا للفقهاء الشافعية قررت فيه شيخنا شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني ودرساً للفقهاء المالكية وجعلت بها منبراً يخطب عليه يوم الجمعة ورتبت لها

اماما راتبا يقيم بالناس الصلوات الخمس وجعلت بها خزانة كتب وانشأت بجوارها قبة من داخلها لتدفن تحتها ورتبت بشباك هذه القبة عدة قراء يتناوبون قراءة القرآن الكريم ليلا ونهارا وأنشأت به منارا عاليا من حجارة ليؤذن عليه وجعلت بجوار المدرسة مكتبا للسبيل فيه عـدة من أيتام المسلمين ولهم مؤدب يعلمهم القرآن الكريم ويجرى عليهم في كل يوم لكل منهم من الخبز النقى خمسة أرغفة ومبلغ من الفلوس ويقام لكل منهم بكسوتي الشتاء والصيف وجعلت على هـذه الجهات عدة أوقاف جليـلة يصرف منها لارباب الوظائف المعاليم السنية وكان يفرق فيهم كل سنة أيام عيد الفطر الكعك والخشكنانك وفي عيد الاضحي اللحم وفي شهر رمضان يطبخ لهم الطعام وقد بطل ذلك ولم يبق غير المعـلوم في كل شهر وهى من المدارس الكيسة وعهدى بها محترمة الى الغاية يجلس بها عدة من الطواشية ولا يمكنون أحدا من عبور القبـة التي فيها قبر خوند الحجازية الا القراء فقط وقت قراءتهم خاصة * واتفق مرة أن شخصا من القراء كان فى نفسه شئ من أحد رفقائه فأتي الى كبير الطواشية بهذه القبة وقال له ان فلانا دخل اليوم الى القبـة وهو بغير سراويل فغضب الطواشي من هذا القول وعد ذلك ذنبا عظيما وفعلا محذورا وطلب ذلك المقرئ وأمر به فضرب بين يديه وصار يقول له تدخل على خوند بغير سراويل وهم باخراجه من وظيفة القراءة لولا ماحصل من شفاعة الناس فيه وكان لايلي نظر هذه المدرسـة الا الامراء الاكابر ثم صار يليها الخدام وغيرهم وكان انشاؤها في سنة احدى وستين وسبعمائة ولما ولى الامير جمال الدين يوسف البجاسي وظيفة أستادارية السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق وعمر بجانب هـذه المدرسة داره ثم مدرستـه صار يحبس فى المدرسـة الحجازية من يصادره أو يعاقبه حتى امتلأت بالمسجونين والاعوان المرسمين عليهم فزالت تلك الابهة وذهب ذلك الناموس واقتدى بجمال الدين من سكن بعده من الاستادارية في داره وجعلوا هذه المدرسة سجنا ومع ذلك فهى من أبهج مدارس القاهرة الى الآن

*( المدرسة الطيبرسية )*

هذه المدرسة بجوار الجامع الازهر من القاهرة وهي غربيـه مما يلي الجهـة البحرية أنشأها الامير عـلاء الدين طيبرس الخازندارى نقيب الجيوش وجعلها مسجـدا لله تعالى زيادة فى الجامع الازهر وقرر بها درسا للفقهاء الشافعية وأنشأ بجوارها ميضأة وحوض ماء سبيل ترده الدواب وتأنق في رخامها وتذهيب سقوفها حتي جاءت فى أبدع زي وأحسن قالب وأبهج ترتيب لما فيها من اتقان العمل وجودة الصناعة بحيث انه لم يقدر أحـد على محاكاة ما فيها من صناعة الرخام فان جميعه أشكال المحاريب وبلغت النفقة عليها جملة كثيرة وانتهت عمارتها في سنة تسع وسبعمائة ولها بسط تفرش فى يوم الجمعة كلها منقوشة باشكال

المحاريب أيضاً وفيها خزانة كتب ولها امام راتب * ( طيبرس ) بن عبد الله الوزيرى كان في ملك الامير بدر الدين بيلبك مملوك الخازندار الظاهرى نائب السلطنة ثم انتقل الى الامير بدر الدين بيدرا وتنقل فى خدمته حتي صار نائب الصيبية ورأى مناما للمنصور لاجين يدل على انه يصير سلطان مصر وذلك قبل أن يتقلد السلطنة وهو نائب الشام فوعده ان صارت اليه السلطنة أن يقدمه وينوه به فلما تملك لاجين استدعاه وولاه نقابة الجيش بديار مصر عوضا عن بلبان الفاخري في سنة سبع وتسعين وستمائة فباشر النقابة مباشرة مشكورة الى الغاية من اقامة الحرمة وأداء الامانة والعفة المفرطة بحيث انه ماعرف عنه أنه قبل من أحد هدية البتة مع التزام الديانة والمواظبة على فعل الخير والغنى الواسع وله من الآثار الجميلة الجامع والخانقاه بأراضى بستان الخشاب المطلة على النيل خارج القاهرة فيما بينها وبين مصر بجوار المنشأة وهو أول من عمر في أراضى بستان الخشاب وقد تقدم ذكر ذلك ومن آثاره أيضاً هذه المدرسة البديعة الزي وله على كل من هذه الاماكن أوقاف جليلة ولم يزل في نقابة الجيش الى أن مات في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وسبعمائة ودفن في مكان بمدرسته هذه وقبره بها الى وقتنا هذا ووجد له من بعده مال كثير جدا وأوصى الى الامير علاء الدين عليّ الكورانى وجعل الناظر على وصيته الامير أرغون نائب السلطنة واتفق انه لما فرغ من بناء هذه المدرسة أحضر اليه مباشروه حساب مصروفها فلما قدم اليه استدعى بطشت فيه ماء وغسل أوراق الحساب بأسرها من غير أن يقف على شيء منها وقال شيء خرجنا عنه لله تعالى لانحاسب عليه ولهذه المدرسة شبابيك في جدار الجامع تشرف عليه ويتوصل من بعضها اليه وما عمل ذلك حتى استفتي الفقهاء فيه فأفتوه بجواز فعله وقد تداولت أيدى نظار السوء على أوقاف طيبرس هذا فخرب أكثرها وخرب الجامع والخانقاه وبقيت هذه المدرسة عمرها الله بذكره

## *( المدرسة الاقبغاوية )*

هذه المدرسة بجوار الجامع الازهر على يسرة من يدخل اليه من بابه الكبير البحرى وهى تشرف بشبابيك على الجامع مركبة فى جداره فصارت تجاه المدرسة الطيبرسية كان موضعها دار الامير الكبير عز الدين أيدمر الحلى نائب السلطنة فى أيام الملك الظاهر بيبرس وميضأة للجامع فانشأها الامير علاء الدين أقبغا عبد الواحد أستادار الملك الناصر محمد بن قلاون وجعل بجوارها قبة ومنارة من حجارة منحوتة وهى أول مئذنة عملت بديار مصر من الحجر بعد المنصورية وانما كانت قبل ذلك تبنى بالآجر بناها هى والمدرسة المعلم ابن السيوفي رئيس المهندسين في الايام الناصرية وهو الذى تولى بناء جامع الماردينى خارج باب زويلة وبنى مئذنته أيضاً وهي مدرسة مظلمة ليس عليها من بهجة المساجد ولا انس بيوت العبادات

شيء البتة وذلك ان أقبغا عبد الواحد اغتصب أرض هذه المدرسة بأن أقرض ورثة ايدمر الحلي مالا وأمهل حتي تصرفوا فيه ثم أعسفهم في الطلب وألجأهم الى أن أعطوه دارهم فهدمها وبني موضعها هذه المدرسة وأضاف الى اغتصاب البقعة أمثال ذلك من الظلم فبناها بأنواع من الغصب والعسف وأخذ قطعة من سور الجامع حتي ساوى بها المدرسة الطيبرسية وحشر لعملها الصناع من البنائين والنجارين والحجارين والمرخمين والفعلة وقرر مع الجميع أن يعمل كل منهم فيها يوما في كل أسبوع بغير أجرة فكان يجتمع فيها في كل أسبوع سائر الصناع الموجودين بالقاهرة ومصر فيجدون في العمل نهارهم كله بغير أجرة وعليهم مملوك من مماليكه ولاه شد العمارة لم ير الناس أظلم منه ولا أعتى ولا أشد بأسا ولا أقسى قلبا ولا أكثر عنتا فلقى العمال منه مشقات لاتوصف وجاء مناسبا لمولاه وحمل مع هذا الى هذه العمارة سائر مايحتاج اليه من الامتعة وأصناف الآلات وأنواع الاحتياجات من الحجر والخشب والرخام والدهان وغيره من غير أن يدفع في شيء منه ثمنا البتة وانما كان يأخذ ذلك اما بطريق الغصب من الناس أو على سبيل الخيانة من عمائر السلطان فانه كان من جملة مابيده شد العمائر السلطانية وناسب هذه الافعال انه ماعرف عنه قط انه نزل الى هذه العمارة الا وضرب فيها من الصناع عدة ضربا مؤلما فيصير ذلك الضرب زيادة على عمله بغير أجرة فيقال فيه كملت خصالك هذه بعماري فلما فرغ من بنائها جمع فيها سائر الفقهاء وجميع القضاة وكان الشريف شرف الدين عليّ بن شهاب الدين الحسين بن محمد بن الحسين نقيب الاشراف ومحتسب القاهرة حينئذ يؤمل أن يكون مدرسها وسعي عنده في ذلك فعمل بسطا على قياسها بلغ ثمنها ستة آلاف درهم فضة ورشاه بها ففرشت هناك ولما تكامل حضور الناس بالمدرسة وفي الذهن أن الشريف يلي التدريس وعرف أنه هو الذى أحضر البسط التي قد فرشت قال الامير أقبغا لمن حضر لا أولى في هذه الايام أحدا وقام فتفرق الناس وقرر فيها درسا للشافعية ولى تدريسه (٣) ودرسا للحنفية ولى تدريسه (٣) وجعل فيها عدة من الصوفية ولهم شيخ وقرر بها طائفة من القراء يقرؤن القرآن بشبا كها وجعل لها اماما راتبا ومؤذنا وفراشين وقومة ومباشرين وجعل النظر للقاضى الشافعي بديار مصر وشرط في كتاب وقفه أن لايلى النظر أحد من ذريته ووقف على هذه الجهات حوانيت خارج باب زويلة بخط تحت الربع وقرية بالوجه القبلى وهذه المدرسة عامرة الى يومنا هذا الا انه تعطل منها الميضأة وأضيفت الى ميضأة الجامع لتغلب بعض الامراء بمواطأة بعض النظار على بئر الساقية التي كانت برسمها * ( أقبغا عبد الواحد ) الامير علاء الدين أحضره الى القاهرة التاجر عبد الواحد بن بدال فاشتراه منه الملك الناصر محمد بن قلاون ولقبه باسم تاجره الذي أحضره فحظى عنده وعمله شاد العمائر فنهض فيها نهضة أعجب منه السلطان وعظمه

حتى عمله أستادار السلطان بعد الامير مغلطاى الجمالي في المحرم سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وولاه مقدم المماليك فقويت حرمته وعظمت مهابته حتي صار سائر من في بيت السلطان يخافه ويخشاه وما برح على ذلك الى أن مات الملك الناصر وقام من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر فقبض عليه فى يوم الاثنين سلخ المحرم سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة وأمسك أيضا ولديه وأحيط بماله وسائر أملاكه ورسم عليه الامير طيغا المجدى وبيع موجوده من الخيل والجمال والجوارى والقماش والاسلحة والاوانى فظهر له شئ عظيم الى الغاية من ذلك انه بيع بقلعة الجبل و بها كانت تعمل حلقات مبيعة سراويل امرأته بمبلغ مائتى ألف درهم فضة عنها نحو عشرة آلاف دينار ذهب وبيع له أيضاً قبقاب وشرموزة وخف نسائي بمبلغ خمسة وسبعين ألف درهم فضة عنها زيادة على ثلاثة آلاف دينار وبيعت بدلة مقانع بمائة ألف درهم وكثرت المرافعات عليه من التجار وغيرهم فبعث السلطان اليه شاد الدواوين يعرفه انه اقسم بتربة الشهيد يعني أباه انه متي لم يعط هؤلاء حقهم والاسرتك على جمل وطفت بك المدينة فشرع اقبغا في استرضائهم واعطاهم نحو المائتي ألف درهم فضة ثم نزل اليه الوزير نجم الدين محمود بن سرور المعروف بوزير بغداد ومعه الحاج ابراهيم بن صابر مقدم الدولة لمطالبته بالمال فأخذا منه لؤلؤا وجواهر نفيسة وصعدا بها الى السلطان وكان سبب هذه النكبة انه كان قد تحكم في أمور الدولة السلطانية وأرباب الاشغال أعلاهم وأدناهم بما اجتمع له من الوظائف وكان عنده فراش غضب عليه وأوجعه ضربا فانصرف من عنده وخدم في دار الامير أبى بكر ولد السلطان فبعث اقبغا يستدعى بالفراش اليه فمنعه منه أبو بكر وأرسل اليه مع أحد مماليكه يقول له انى اريد أن تهبني هذا الغلام ولا تشوش عليه فلما بلغه المملوك الرسالة اشتد حنقه وسبه سبا فاحشاً وقال له قل لاستاذك يسير الفراش وهو جيد له وكان قبل ذلك اتفق أن الامير أبا بكر خرج من خدمة السلطان الى بيته فاذا الامير اقبغا قد بطح مملوكا وضربه فوقف أبو بكر بنفسه وسأل اقبغا في العفو عن المملوك وشفع فيه فلم يلتفت اقبغا اليه ولا نظر الى وجهه فخجل أبو بكر من الناس لسكونه وقف قائما بين يدي اقبغا وشفع عنده فلم يقم من مجلسه لوقوفه بل استمر قاعدا وأبو بكر واقف على رجليه ولا قبل مع ذلك شفاعته ومضى وفي نفسه منه حنق كبير فلما عاد اليه مملوكه وبلغه كلام اقبغا بسبب هذا الفراش أكد ذلك عنده ما كان من الاحنة وأخذ في نفسه الى أن مات أبوه الملك الناصر وعهد اليه من بعده وكان قد التزم انه ان ملكه الله ليصادرن اقبغا وليضربنه بالمقارع وقال للفراش اقعد في بيتى واذا حضر أحد لاخذك عرفت ما أعمل معه وأخذ أقبغا يترقب الفراش وأقام اناسا للقبض عليه فلم يتهيأ له مسكه فلما أفضى الامر الى أبي بكر استدعى الامير قوصون وكان هو القائم حينئذ بتدبير امور الدولة وعرفه ما التزمه

من القبض على اقبغا وأخذ ماله وضربه بالمقارع وذكر له واحدة من الامراء ماجرى له منه وكان لقوصون بأقبغا عناية فقال للسلطان السمع والطاعة يرسم السلطان بالقبض عليه ومطالبته بالمال فاذا فرغ ماله يفعل السلطان مايختاره وأراد بذلك تطاول المدة في أمر اقبغا فقبض عليه ووكل به رسل ابن صابر حتي انه بات ليلة قبض عليه من غير أن يأكل شيئاً وفي صبيحة تلك الليلة تحدث الامراء مع السلطان في نزوله الى داره محتفظا به حتي يتصرف في ماله ويحمله شيئا بعد شيء فنزل مع المجدي وباع مايملكه وأورد المال فلما قبض على الحاج ابراهيم ابن صابر وأقيم ابن شمس موضعه أرسله السلطان الى بيت أقبغا ليعصره ويضربه بالمقارع ويعذبه فبلغ ذلك الامير قوصون فمنع منه وشنع على السلطان كونه أمر بضربه بالمقارع وأمر بمراجعته فخنق من ذلك واطلق لسانه على الامير قوصون فلم يزل به من حضره من الامراء حتى سكت على مضض وكان قوصون يدبر فى انتقاض دولة أبي بكر الى أن خلعه وأقام بعده أخاه الملك الاشرف كجك بن محمد بن قلاون وعمره نحو السبع سنين وتحكم في الدولة فأخرج أقبغا هو وولده من القاهرة وجعله من جملة أمراء الدولة بالشام فسار من القاهرة في تاسع ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة على حيز الامير مسعود بن خطير بدمشق ومعه عياله فاقام بها الى أن كانت فتنة الملك الناصر أحمد بن محمد بن قلاون وعصيانه بالكرك على أخيه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاون فاتهم أقبغا بانه بعث مملوكا من مماليكه الى الكرك وأن الناصر أحمد خلع عليه وضربت البشائر بقلعة الكرك وأشاع أن أمراء الشام قد دخلوا في طاعته وحلفوا له وأن أقبغا قد بعث اليه مع مملوكه يبشره بذلك فلما وصل الى الملك الصالح كتاب عساف اخي شطي بذلك وصل في وقت وروده كتاب نائب الشام الامير طقزدمر يخبر فيه بأن جماعة من أمراء الشام قد كاتبوا أحمد بالكرك وكاتبهم وقد قبض عليهم ومن جملتهم أقبغا عبد الواحد فرسم بحمله مقيداً فحمل من دمشق الى الاسكندرية وقتل بها في آخر سنة أربع وأربعين وسبعمائة وكان من الظلم والطمع والتعاظم على جانب كبير وجمع من الاموال شيئاً كثيراً وأقام جماعة من أهل الشر لتتبع أولاد الامراء وتعرف أحوال من افتقر منهم أو احتاج الى شيء فلا يزالون به حتى يعطوه مالا على سبيل القرض بفائدة جزيلة الى أجل فاذا استحق المال اعسفه فى الطلب وألجأه الى بيع ماله من الاملاك وحلها ان كانت وقفا بعنايته به وعين لعمل هذه الحيل شخصا يعرف بابن القاهري وكان اذا دخل لاحد من القضاة في شراء ملك أو حل وقف لايقدر على مخالفته ولا يجد بدا من موافقته * ومن غريب مايحكى عن طمع أقبغا أن مشد الحاشية دخل عليه وفى أصبعه خاتم بفص أحمر من زجاج له بريق فقال له أقبغا ايش هو هذا الخاتم فأخذ يعظمه وذكر أنه من تركة أبيه فقال بكم حسبوه عليك فقال بأربعمائة درهم

فقال أرنيه فناوله اياه فأخذه وتشاغل عنه ساعة ثم قال له والله فضيحة أن نأخذ خاتمك ولكن خذه انت وهات ثمنه ودفعه اليه وألزمه باحضار الاربعمائة درهم فما وسعه الا أن أحضرها اليه فعاقبه الله بذهاب ماله وغيره وموته غريباً

* ( المدرسة الحسامية ) *

هذه المدرسة بخط المسطاح من القاهرة قريباً من حارة الوزيرية بناها الامير حسام الدين طرنطاي المنصوري نائب السلطنة بديار مصر الى جانب داره وجعلها برسم الفقهاء الشافعية وهي في وقتنا هذا تجاه سوق الرقيق ويسلك منها الى درب العداس والى حارة الوزيرية والى سويقة الصاحب وباب الخوخة وغير ذلك وكان بجانبها طبقة لخياط فطلبت منه بثلاثة أمثال ثمنها فلم يبعها وقيل لطرنطاى لو طلبته لاستحي منك فلم يطلبه وتركه وطبقته وقال لاأشوش عليه * ( طرنطاى ) بن عبد الله الامير حسام الدين المنصورى رباه الملك المنصور قلاون صغيرا ورقاه في خدمه الى أن تقلد سلطنة مصر فجعله نائب السلطنة بديار مصر عوضاً عن الامير عز الدين ايبك الافرم الصالحى وخلع عليه في يوم الخميس رابع عشر رمضان سنة ثمان وسبعين وستمائة فباشر ذلك مباشرة حسنة الى أن كانت سنة خمس وثمانين فخرج من القاهرة بالعساكر الى الكرك وفيها الملك المسعود نجم الدين خضر وأخوه بدر الدين سلامش ابنا الملك الظاهر بيبرس في رابع المحرم وسار اليها فوافاه الامير بدر الدين الصوانى بعساكر دمشق في ألفي فارس ونازلا الكرك وقطعا الميرة عنها واستفسدا رجال الكرك حتى أخذا خضرا وسلامش بالامان في خامس صفر وتسلم الامير عز الدين ايبك الموصلى نائب الشوبك مدينة الكرك واستقر في نيابة السلطنة بها وبعث الامير طرنطاي بالبشارة الى قلعة الجبل فوصل البريد بذلك فى ثامن صفر ثم قدم بابني الظاهر فخرج السلطان الى لقائه في ثانى عشر ربيع الاول وأكرم الامير طرنطاى ورفع قدره ثم بعثه الى أخذ صهيون وبها سنقر الاشقر فسار بالعساكر من القاهرة فى سنة ست وثمانين ونازلها وحصرها حتى نزل اليه سنقر بالامان وسلم اليه قلعة صهيون وسار به الى القاهرة فخرج السلطان الى لقائه واكرمه ولم يزل على مكانته الى أن مات الملك المنصور وقام فى السلطنة بعده ابنه الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاون فقبض عليه في يوم السبت ثالث عشر ذى القعدة سنة تسع وثمانين وعوقب حتي مات يوم الاثنين خامس عشره بقلعة الجبل وبقى ثمانية أيام بعد قتله مطروحا بحبس القلعة ثم أخرج فى ليلة الجمعة سادس عشرى ذى القعدة وقد لف فى حصير وحمل على جنوية الى زاوية الشيخ أبى السعود بالقرافة فغسله الشيخ عمر السعودى شيخ الزاوية وكفنه من ماله ودفنه خارج الزاوية ليلا وبقى هناك الى سلطنة العادل كتبغا فأمر بنقل جثته الى تربته التي أنشأها بمدرسته هذه وكان سبب القبض

عليه وقتله أن الملك الاشرف كان يكرهه كراهة شديدة فانه كان يطرح جانبه في أيام أبيه ويغض منه ويهين نوابه ويؤذي من يخدمه لانه كان يميل الى أخيه الملك الصالح علاء الدين علي بن قلاون فلما مات الصالح علي وانتقلت ولاية العهد الى الاشرف خليل بن قلاون مال اليه من كان ينحرف عنه في حياة أخيه الاطرنطاى فانه ازداد تماديا في الاعراض عنه وجري على عادته في أذى من ينسب اليه وأغري الملك المنصور بشمس الدين محمد بن السلعوس ناظر ديوان الاشرف حتى ضربه وصرفه عن مباشرة ديوانه والاشرف مع ذلك يتأكد حنقه عليه ولا يجد بدا من الصبر الى أن صار له الامر بعد أبيه ووقف الامير طرنطاي بين يديه في نيابة السلطنة على عادته وهو منحرف عنه لما اسلفه من الاساءة عليه وأخذ الاشرف في التدبير عليه الى أن نقل له عنه أنه يحدث سرا في افساد نظام المملكة واخراج الملك عنه وانه قصد أن يقتل السلطان وهو راكب في الميدان الاسود الذى تحت قلعة الجبل عند ما يقرب من باب الاصطبل فلم يحتمل ذلك وعندها سير أربعة ميادين والامير طرنطاي ومن وافقه عند باب سارية حتى انتهى الى رأس الميدان وقرب من باب الاصطبل وفي الظن أنه يعطف الى باب سارية ليكمل التسيير على العادة فعطف الى جهة القلعة وأسرع ودخل من باب الاصطبل فبادر الامير طرنطاي عند ماعطف السلطان وساق فيمن معه ليدركوه ففاتهم وصار بالاصطبل فيمن خف معه من خواصه وما هو الا أن نزل الاشرف من الركوب فاستدعى بالامير طرنطاي فمنعه الامير زين الدين كتبغا المنصورى عن الدخول اليه وحذره منه وقال له والله انى أخاف عليك منه فلا تدخل عليه الا في عصبة تعلم انهم يمنعونك منه ان وقع أمر تكرهه فلم يرجع اليه وغره أن أحدا لايجسر عليه لمهابته في القلوب ومكانته من الدولة وأن الاشرف لايبادره بالقبض عليه وقال لكتبغا والله لو كنت نائما ماجسر خليل ينبهني وقام ومشى الى السلطان ودخل ومعه كتبغا فلما وقف على عادته بادر اليه جماعة قد أعدهم السلطان وقبضوا عليه فأخذه اللكم من كل جانب والسلطان يعدد ذنوبه ويذكر له اساءته ويسبه فقال له ياخوند هذا جميعه قد عملته معك وقدمت الموت بين يدى ولكن والله لتندمن من بعدى هذا والايدى تتناوب عليه حتي ان بعض الخاصكية قلع عينه وسحب الى السجن فخرج كتبغا وهو يقول ايش اعمل ويكررها فأدركه الطلب وقبض عليه أيضاً ثم آل أمر كتبغا بعد ذلك الى أن ولى سلطنة مصر وأوقع الاشرف الحوطة على أموال طرنطاى وبعث الى داره الامير علم الدين سنجر الشجاعي فوجد له من العين ستمائة ألف دينار ومن الفضة سبعة عشر ألف رطل ومائة رطل مصرى عنها زيادة على مائة وسبعين قنطارا فضة سوى الاوانى ومن العدد والاسلحة والاقمشة والآلات والخيول والمماليك مايتعذر احصاء قيمته ومن الغلات والاملاك شئ كثير جدا ووجد له من البضائع

والاموال المسفرة على اسمه والودائع والمقارضات والقنود والاعسال والابقار والاغنام والرقيق وغير ذلك شيء يجل وصفه هـذا سوى ما أخفاه مباشروه بمصر والشام فلما حملت أمواله الى الاشرف جعل يقلبها ويقول

من عاش بعد عدوه * يوما فقـد بلغ المنى

واتفق بعد موت طرنطاى أن ابنه سأل الدخول على السلطان الاشرف فاذن له فلما وقف بين يديه جعل المنديل على وجهه وكان أعمى ثم مد يده وبكى وقال شيء لله وذكر أن لاهله أياما ماعندهم مايأكلونه فرق له وأفرج عن أملاك طرنطاى وقال تبلغوا بريعها فسبحان من بيده القبض والبسط

*( المدرسة المنكوتمرية )*

هذه المدرسة بحارة بهاء الدين من القاهرة بناها بجوار داره الامير سيف الدين منكوتمر الحسامى نائب السلطنة بديار مصر فكملت فى صفر سنة ثمان وتسعين وستمائة وعمل بها درسا للمالكية قرر فيه الشيخ شمس الدين محمد بن أبى القاسم بن عبد السلام بن جميل التونسى المالكى ودرسا للحنفية درس فيه (٣) وجعل فيها خزانة كتب وجعل عليها وقفا ببلاد الشام وهي اليوم بيد قضاة الحنفية يتولون نظرها وأمرها متلاش وهى من المدارس الحسنة * ( منكوتمر ) هو أحد مماليك الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى ترقى فى خدمته واختص به اختصاصا زائدا الى أن ولى مملكة مصر بعد كتبغا فى سنة ست وتسعين وستمائة فجعله أحد الامراء بديار مصر ثم خلع عليه خلع نيابة السلطنة عوضا عن الامير شمس الدين قراسنقر المنصورى يوم الاربعاء النصف من ذى القعدة فخرج سائر الامراء فى خدمته الى دار النيابة وباشر النيابة بتعاظم كثير وأعطي المنصب حقه من الحرمة الوافرة والمهابة التى تخرج عن الحـد وتصرف فى سائر أمور الدولة من غير أن يعارضه السلطان فى شىء البتة وبلغت عبرة اقطاعه في السـنة زيادة على مائة ألف دينار * ولما عمـل الملك المنصور الروك المعروف بالروك الحسامى فوض تفرقة منالات اقطاعات الاجناد له فجلس في شباك دار النيابة بقلعة الجبل ووقف الحجاب بين يديه وأعطى لكل تقدمة منالات فلم يجسر أحد أن يتحدث في زيادة ولا نقصان خوفا من سوء خلقه وشدة حمقه وبقى أياما فى تفرقة المنالات والناس على خوف شديد فان أقل الاقطاعات كان فى أيام الملك المنصور قلاون عشرة آلاف درهم فى السنة وأكثره ثلاثين ألف درهم فرجع فى الروك الحسامى أكثر اقطاعات الحلقة الى مبلغ عشرين ألف درهم وما دونها فشق ذلك على الاجناد وتقدم طائفة منهم ورموا منالاتهم التى فرقت عليهم لان الواحد منهم وجد مناله يحق النصف مما كان له قبل الروك وقالوا لمنكوتمر اما أن تعطونا مايقوم بكلفنا والا خذوا أخبازكم ونحن نخدم الامراء أو نصير

بطالين فغضب منكوتمر وأخرق بهم وتقدم الى الحجاب فضربوهم وأخذوا سيوفهم وأودعوهم السجون وأخذ يخاطب الامراء بفحش ويقول ايما قواد شكا من خبزه ويقول نقول للسلطان فعلت به وفعلت ايش يقول للسلطان ان رضى يخدم والا الى لعنة الله فشق ذلك على الامراء وأسروا له الشر ثم انه لم يزل بالسلطان حتى قبض على الامير بدر الدين بيسرى وحسن له اخراج أكابر الامراء من مصر فجردهم الى سيس واصبح وقد خلاله الجو فلم يرض بذلك حتي تحدث مع خوشداشيته بأنه لابد أن ينشىء له دولة جديدة ويخرج طفجي وكرجي من مصر ثم انه جهز حمدان بن صلغاي الى حلب فى صورة انه يستعجل العساكر من سيس وقرر معه القبض على عدة من الامراء وأمر عدة أمراء جعلهم له عدة وذخرا وتقدم الى الصاحب فخر الدين الخليلي بأن يعمل أوراقا تتضمن أسماء أرباب الرواتب ليقطع أكثرها فلم تدخل سنة ثمان وتسعين حتى استوحشت خواطر الناس بمصر والشام من منكوتمر وزاد حتي أراد السلطان أن يبعث بالامير طغا الى نيابة طرابلس فتنصل طغا من ذلك فلم يعفه السلطان منه وألح منكوتمر فى اخراجه وأغلظ للامير كرجي فى القول وحط على سلار وبيبرس الجاشنكير وأنظارهم وغض منهم وكان كرجي شرس الاخلاق ضيق العطن سريع الغضب فهم غير مرة بالفتك بمنكوتمر وطفجي يسكن غضبه فبلغ السلطان فساد قلوب الامراء والعسكر فبعث قاضى القضاة حسام الدين الحسن بن احمد بن الحسن الرومى الحنفى الى منكوتمر يحدثه فى ذلك ويرجعه عما هو فيه فلم يلتفت الى قوله وقال أنا مالى حاجة بالنيابة أريد أخرج مع الفقراء فلما بلغ السلطان عنه ذلك استدعاه وطيب خاطره ووعده بسفر طفجي بعدم أيام ثم القبض على كرجي بعده فنقل هذا للامراء فتحالفوا وقتلوا السلطان كما قد ذكر فى خبره وأول من بلغه خبر مقتل السلطان الامير منكوتمر فقام الى شباك النيابة بالقلعة فرأي باب القلة وقد انفتح وخرج الامراء والشموع تقد والضجة قد ارتفعت فقال والله قد فعلوها وأمر فغلقت أبواب دار النيابة وألبس مماليكه آلة الحرب فبعث الامراء اليه بالامير الحسام أستادار فعرفه بمقتل السلطان وتلطف به حتي نزل وهو مشدود الوسط بمنديل وسار به الى باب القلة والامير طفجي قد جلس في مرتبة النيابة فتقدم الى طفجي وقبل يده فقام اليه وأجلسه بجانبه وقام الامراء في أمر منكوتمر يشفعون فيه فأمر به الى الجب وأنزلوه فيه وعند ما استقر به أدليت له القفة التي نزل فيها وتصايحوا عليه بالصعود فطلع عليهم واذا كرجي قد وقف على رأس الجب فى عدة من المماليك السلطانية فأخذ يسب منكوتمر ويهينه وضربه بلت ألقاه وذبحه بيده على الجب وتركه وانصرف فكان بين قتل أستاذه وقتله ساعة من الليل وذلك فى ليلة الجمعة عاشر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين

*( المدرسة القراسنقرية )*

هذه المدرسة تجاه خانقاه الصلاح سعيد السعداء فيما بين رحبة باب العيد وباب النصر كان موضعها وموضع الربع الذي بجانبها الغربي مع خانقاه بيبرس وما في صفها الى حمام الاعسر وباب الجوانية كل ذلك من دار الوزارة الكبرى التي تقدم ذكرها أنشأها الامير شمس الدين قرا سنقر المنصورى نائب السلطنة سنة سبعمائة وبني بجوار بابها مسجدا معلقا ومكتبا لاقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز وجعل بهذه المدرسة درسا للفقهاء ووقف على ذلك داره التي بحارة بهاء الدين وغيرها ولم يزل نظر هذه المدرسة بيد ذرية الواقف الى سنة خمس عشرة وثمانمائة ثم انقرضوا وهى من المدارس المليحة وكنا نعهد البريدية اذا قدموا من الشام وغيرها لاينزلون الا فى هذه المدرسة حتى يتهيأ سفرهم وقد بطل ذلك من سنة تسعين وسبعمائة * ( قرا سنقر بن عبد الله ) الامير شمس الدين الجوكندار المنصورى صار الى الملك المنصور قلاون وترقي في خدمته الى أن ولاه نيابة السلطنة بحلب في شعبان سنة اثنتين وثمانين وستمائة عوضا عن الامير علم الدين سنجر الباشقردى فلم يزل فيها الى أن مات الملك المنصور وقام من بعده ابنه الملك الاشرف خليل بن قلاون فلما توجه الاشرف الى فتح قلعة الروم عاد بعد فتحها الى حلب وعزل قرا سنقر عن نيابتها وولى عوضه الامير سيف الدين بلبان الطباخي وذلك في أوائل شعبان سنة احدى وتسعين وكانت ولايته على حلب تسع سنين فلما خرج السلطان من مدينة حلب خرج في خدمته وتوجه مع الامير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة بديار مصر فى عدة من الامراء لقتال أهل جبال كسروان فلما عاد سار مع السلطان من دمشق الى القاهرة ولم يزل بها الى أن ثار الامير بيدرا على الاشرف فتوجه معه وأعان على قتله فلما قتل بيدرا فر قرا سنقر ولاجين في نصف المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة واختفيا بالقاهرة الى أن استقر الامر للملك الناصر محمد بن قلاون وقام في نيابة السلطنة وتدبير الدولة الامير زين الدين كتبغا فظهرا في يوم عيد الفطر وكانا عند فرارهما يوم قتل بيدرا أطلعا الامير بيحاص الزيني مملوك الامير كتبغا نائب السلطنة على حالهما فأعلم استاذه بأمرهما وتلطف به حتي تحدث فى شأنهما مع السلطان فعفا عنهما ثم تحدث مع الامير بكتاش الفخرى الى أن ضمن له التحدث مع الامراء وسعي في الصلح بينهما وبين الامراء والمماليك حتي زالت الوحشة وظهرا من بيت الامير كتبغا فأحضرهما بين يدى السلطان وقبلا الارض وأفيضت عليهما التشاريف وجعلهما امراء على عادتهما ونزلا الى دورهما فحمل اليهما الامراء ماجرت العادة به من التقادم فلم يزل قراسنقر علي امرته الي أن خلع الملك الناصر محمد بن قلاون من السلطنة وقام من بعده الملك العادل زين الدين كتبغا فاستمر على حاله الى أن ثار الامير حسام الدين لاجين نائب السلطنة بديار مصر على

الملك العادل كتبغا بمنزلة العوجاء من طريق دمشق فركب معه قراسنقر وغيره من الامراء الى أن فر كتبغا واستمر الامر لحسام الدين لاجين وتلقب بالملك المنصور فلما استقر بقلعة الجبل خلع على الأمير قراسنقر وجعله نائب السلطنة بديار مصر في صفر سنة ست وتسعين وستمائة فباشر النيابة الى يوم الثلاثاء المنصف من ذى القعدة فقبض عليه وأحيط بموجوده وحواصله ونوابه ودواوينه بديار مصر والشام وضيق عليه واستقر في نيابة السلطنة بعده الأمير منكوتمر وعد السلطان من أسباب القبض عليه اسرافه فى الطمع وكثرة الحمايات وتحصيل الاموال على سائر الوجوه مع كثرة ماوقع من شكاية الناس من مماليكه ومن كاتبه شرف الدين يعقوب فانه كان قد تحكم في بيته تحكما زائدا وعظمت نعمته وكثرت سعادته وأسرف في اتخاذ المماليك والخدم وانهمك في اللعب الكثير وتعدي طوره وقرا سنقر لايسمع فيه كلاما وحدثه السلطان بسببه وأغلظ في القول وألزمه بضربه وتأديبه أواخراجه من عنده فلم يعبأ بذلك وما زال قرا سنقر في الاعتقال الى أن قتل الملك المنصور لاجين وأعيد الملك الناصر محمد ابن قلاون الى السلطنة فأفرج عنه وعن غيره من الامراء ورسم له بنيابة الصبيبة فخرج اليها ثم نقل منها الى نيابة حماه بعد موت صاحبها الملك المظفر تقى الدين محمود بسفارة الامير بيبرس الجاشنكير والامير سلار ثم نقل من نيابة حماه بعد ملاقاة التتر الى نيابة حلب واستقر عوضه في نيابة حماه الامير زين الدين كتبغا الذى تولى سلطنة مصر والشام وذلك في سنة تسع وتسعين وستمائة وشهد وقعة شقحب مع الملك الناصر محمد بن قلاون ولم يزل على نيابة حلب الى أن خلع الملك الناصر وتسلطن الملك المظفر بيبرس الجاشنكير وصاحب الناصر في الكرك فلما تحرك لطلب الملك واستدعى نواب الممالك أجابه قراسنقر وأعانه برأيه وتدبيره ثم حضر اليه وهو بدمشق وقدم له شيأ كثيرا وسار معه الى مصر حتى جلس على تخت ملكه بقلعة الجبل فولاه نيابة دمشق عوضا عن الامير عز الدين الافرم فى شوال سنة تسع وسبعمائة وخرج اليها فسار الى غزة فى عدة من النواب وقبضوا على المظفر بيبرس الجاشنكير وسار به هو والامير سيف الدين الحاج بهادر الى الخطارة فتلقاهم الامير استدمر كرجي فتسلم منهم بيبرس وقيده وأركبه بغلا وأمر قرا سنقر والحاج بهادر بالسير الى مصر فشق على قراسنقر تقييد بيبرس وتوهم الشر من الناصر وانزعج لذلك انزعاجا كثيرا وألقى كلوتته عن رأسه الى الارض وقال لفراشه الدنيا فانية ياليتنا متنا ولا رأينا هذا اليوم فترجل من حضر من الامراء ورفعوا كلوتته ووضعوها على رأسه ورجع من فوره ومعه الحاج بهادر الى ناحية الشام وقد ندم على تشييع المظفر بيبرس فجد في سيره الى أن عبر دمشق وفى نفس السلطان منه كونه لم يحضر مع بيبرس وكان قد أراد القبض عليه فبعث الامير نوغاي القبجاقى أميرا بالشام ليكون له عينا على الامير قرا سنقر ففطن قرا سنقر لذلك وشرع نوغاي يحدث في حق

قرا سنقر بما لا يليق حتي ثقل عليه مقامه فقبض عليه بأمر السلطانة وسجن بقلعة دمشق ثم ان السلطان صرفه عن نيابة دمشق وولاه نيابة حلب بسؤاله وذلك في المحرم سنة احدي عشرة وسبعمائة وكتب السلطان الى عدة من الامراء بالقبض عليه مع الامير ارغون الدوادار فلم يتمكن من التحدث في ذلك لكثرة ماضبط قراسنقر أموره ولازمه عند قدومه عليه بتقليد نيابة حلب بحيث لم يتمكن أرغون من الحركة الى مكان الاوقراسنقر معه فكثر الحديث بدمشق أن أرغون انما حضر لمسك قراسنقر حتى بلغ ذلك الامراء وسمعه قراسنقر فاستدعى بالامراء وحضر الامير أرغون فقال قراسنقر بلغنى كذا وها أنا أقول ان كان حضر معك مرسوم بالقبض على فلا حاجة الى فتنه أنا طائع السلطان وهذا سيفى خذه ومد يده وحل سيفه من وسطه فقال أرغون وقد علم أن هذا الكلام مكيدة وان قراسنقر لا يمكن من نفسه انى لم أحضر الا بتقليد الامير نيابة حلب بمرسوم السلطان وسؤال الامير وحاشا لله أن السلطان يذكر في حق الامير شيئاً من هذا فقال قراسنقر غدا نركب ونسافر وانفض المجلس فبعث الى الامراء أن لا يركب أحد منهم لوداعه ولا يخرج من بيته وفرق ماعنده من الحوائص ومن الدراهم على مماليكه ليتحملوا به على أوساطهم وأمرهم بالاحتراس وقدم غلمانه وحواشيه في الليل وركب وقت الصباح في طلب عظيم وكانت عدة مماليكه ستمائة مملوك قد جعلهم حوله ثلاث حلقات وأركب أرغون الى جانبه وسار على غير الجادة حتى قارب حلب ثم عبرها في العشرين من المحرم وأعاد أرغون بعد ماأنعم عليه بألف دينار وخلعة وخيل وتحف وأقام بمدينة حلب خائفاً يترقب وشرع بعمل الحيلة في الخلاص وصادق العربان واختص بالامير حسام الدين مهنا أمير العرب وبابنه موسى وأقدمه الى حلب وأوقفه على كتب السلطان اليه بالقبض عليه وانه لم يفعل ذلك ولم يزل به حتى أفسد مابينه وبين السلطان ثم انه بعث يستأذن السلطان في الحج فأعجب السلطان ذلك وظن انه بسفره يتم له التدبير عليه لما كان فيه من الاحتراز الكبير وأذن له فى السفر وبعث اليه بألفى دينار مصرية فخرج من حلب ومعه أربعمائة مملوك معدة بالفرس والجنيب والهجن وسار حتى قارب الكرك فبلغه أن السلطان كتب الى النواب وأخرج عسكرا من مصر اليه فرجع من طريق السماوة الى حلب وبها الامير سيف الدين قرطاي نائب الغيبة فمنعه من العبور الى المدينة ولم يمكن أحدا من مماليك قراسنقر أن يخرج اليه وكانت مكاتبة السلطان قد قدمت عليه بذلك فرحل حينئذ الى مهنا امير العرب واستجار به فأكرمه وبعث الى السلطان يشفع فيه فلم يجد السلطان بدا من قبول شفاعة مهنا وخير قراسنقر فيما يريد ثم أخرج عسكرا من مصر والشام لقتال مهنا وأخذ قراسنقر فبلغه ذلك فاحترس على نفسه وكتب الى السلطان يسأله في صرخد وقصد بذلك المطاولة فأجابه الى ذلك ومكنه من أخذ حواصله التي بحلب وأعطى مملوكه

ألف دينار فلما قدم عليه لم يطمئن وعبر الى بلاد الشرق في سنة ثنتي عشرة وسبعمائة في عدة من الامراء يريد خربندا فلما وصل الى الرحبة بعث بابنه فراج ومعه شيء من أثقاله وخيوله وأمواله الى السلطان بمصر ليعتذر من قصده خربندا ورحل بمن معه الى ماردين فتلقاه المغل وقام له نواب خربندا بالاقامات الى أن قرب الاردوا فركب خربندا اليه وتلقاه واكرمه ومن معه وأنزلهم منزلا يليق بهم وأعطى قراسنقر المراغة من عمل اذربيجان وأعطى الامير جمال الدين أقوش الافرم همدان وذلك فى أوائل سنة ثنتي عشرة وسبعمائة فلم يزل هناك الى أن مات خربندا وقام من بعده أبو سعيد بركة بن خربندا فشق ذلك على السلطان وأعمل الحيلة فى قتل قراسنقر والافرم وسير اليهما الفداوية فجرت بينهم خطوب كثيرة ومات قراسنقر بالاسهال ببلد المراغة في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة يوم السبت سابع عشرى شوال قبل موت السلطان بيسير فلما بلغ السلطان موته في حادى عشر ذى القعدة عند ورود الخبر اليه قال ما كنت اشتهى يموت الا من تحت سيفي وأكون قد قدرت عليه وبلغت مقصودى منه وذلك انه كان قد جهز اليه عددا كثيرا من الفداوية فقتل منهم بسببه مائة وعشرون فداويا بالسيف سوى من فقد ولم يوقف له على خبر وكان قراسنقر جسيما جليلا صاحب رأى وتدبير ومعرفة وبشاشة وجه وسماحة نفس وكرم زائد بحيث لا يستكثر على أحد شيئاً مع حسن الشاكلة وعظم المهابة والسعادة الطائلة وبلغت عدة مماليكه ستمائة مملوك مامنهم الا من له نعمة ظاهرة وسعادة وافرة وله من الآثار بالقاهرة هذه المدرسة ودار جليلة بحارة بهاء الدين فيها كان سكنه

* ( المدرسة الغزنوية ) *

هذه المدرسة برأس الموضع المعروف بسويقة أمير الجيوش تجاه المدرسة الياز كوجية بناها الامير حسام الدين قايماز النجمى مملوك نجم الدين أيوب والد الملوك وأقام بها الشيخ شهاب الدين أبو الفضل احمد بن يوسف بن على بن محمد الغزنوى البغدادى المقرئ الفقيه الحنفى ودرس بها فعرفت به وكان اماما فى الفقه وسمع على الحافظ السلفى وغيره وقرأ بنفسه وسكن مصر آخر عمره وكان فاضلا حسن الطريقة متدينا وحدث بالقاهرة بكتاب الجامع لعبد الرزاق بن همام فرواه عنه جماعة وجمع كتابا في الشيب والعمر وقرأ عليه أبو الحسن السخاوى وأبو عمرو بن الحاجب ومولده ببغداد فى ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وتوفي بالقاهرة يوم الاثنين النصف من ربيع الاول سنة تسع وتسعين وخمسمائة وهى من مدارس الحنفية

* ( المدرسة البوبكرية ) *

هذه المدرسة بجوار درب العباسي قريبا من حارة الوزيرية بالقاهرة بناها الامير سيف

الدين اسنبغا ابن الامير سيف الدين بكتمر البوبكرى الناصرى ووقفها على الفقهاء الحنفيـة وبني بجانبها حوض ماء للسبيل وسقاية ومكتبا للايتام وذلك فى سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة وبني قبالتها جامعا فمات قبل اتمامه وكان يسكن دار بدر الدين الامير طرنطاى المجاورة للمدرسة الحسامية تجاه سوق الجوارى فلذلك أنشأ هذه المدرسـة بهذا المـكان لقربه منه ثم لما كانت سنة خمس عشرة وثمانمائة جدد بهذه المدرسة منبرا وصار يقام بها الجمعة *(اسنبغا) ابن بكتمر الامير (٣)

* ( المدرسة البقرية ) *

هذه المدرسة فى الزقاق الذى تجاه باب الجامع الحاكمي المجاور للمنبر ويتوصل من هذا الزقاق الى ناحية العطوف بناها الرئيس شمس الدين شاكر بن غزيل تصغير غزال المعروف بابن البقري أحد مسالمة القبط وناظر الذخيرة في أيام الملك الناصر الحسن بن محمـد بن قلاون وهو خال الوزير الصاحب سعد الدين نصرالله بن البقري وأصله من قرية تعرف بدار البقر احدى قرى الغربية نشأ على دين النصارى وعرف الحساب وباشر الخراج الى أن أقدمه الامير شرف الدين بن الازكشي أستادار السلطان ومشير الدولة فى أيام الناصر حسن فاسلم على يديه وخاطبه بالقاضى شمس الدين وخلع عليه واستقر به فى نظر الذخيرة السلطانية وكان نظرها حينئذ من الرتب الجليلة وأضاف اليه نظر الاوقاف والاملاك السلطانية ورتبه مستوفيا بمدرسـة الناصر حسن فشكرت طريقته وحمدت سيرته وأظهر سيادة وحشمة وقرب أهل العلم من الفقهاء وتفضل بأنواع من البر وأنشأ هذه المدرسة فى أبدع قالب وأبهج ترتيب وجعل بها درسا للفقهاء الشافعية وقرر فى تدريسها شيخنا سراج الدين عمر بن على الانصارى المعروف بابن الملقن الشافعى ورتب فيها ميعادا وجعل شيخه صاحبنا الشيخ كمال الدين بن موسي الدميري الشافعى وجعل امام الصلوات بها المقرئ الفاضل زين الدين أبا بكر بن الشهاب أحمد النحوى وكان الناس يرحلون اليه فى شـهر رمضان لسماع قراءته فى صلاة التراويح لشجا صوته وطيب نغمته وحسن أدائه ومعرفته بالقراآت السبع والعشر والشواذ ولم يزل ابن البقرى على حال السيـادة والـكرامة الى أن مرض مرض موته فأبعد عنه من يلوذ به من النصارى وأحضر الـكمال الدميرى وغيره من أهل الخير فما زالوا عنده حتى مات وهو يشهد شهادة الاسلام فى سنة ست وسبعين وسبعمائة ودفن بمدرسته هذه وقبره بها تحت قبة فى غاية الحسن وولى نظر الذخيرة بعده أبو غالب ثم استجد فى هذه المدرسة منبر وأقيمت بها الجمعة في تاسع جمادى الاولى سنة أربع وعشرين وثمانمائة باشارة علم الدين داود الـكوبر كاتب السر

*( المدرسة القطبية )*

هذه المدرسة بأول حارة زويلة مما يلي الخرنشف في رحبة كوكاى عرفت بالست الجليلة عصمة الدين خاتون مؤنسة القطبية المعروفة بدار اقبال العلائي ابنة السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب بن شادى وكان وقفها في سنة خمس وستمائة وبها درس للفقهاء الشافعية وتصدير قرآات وفقهاء يقرؤن

*( مدرسة ابن المغربى )*

هذه المدرسة آخر درب الصقالبة فيما بين سويقة المسعودى وحارة زويلة بناها صلاح الدين يوسف بن (٣) ابن المغربي رئيس الاطباء تجاه داره ومات قبل اكمالها فدفن بعد موته فى قبة تجاه جامعه المطل على الخليج الناصرى بقرب بركة قرموط وصارت هذه المدرسة قائمة بغير اكمال الى أن هدمها بعض ذريته في سنة أربع عشرة وثمانمائة وباع أنقاضها فصار موضعها طاحونة

*( المدرسة البيدرية )*

هذه المدرسة برحبة الايدمرى بالقرب من باب قصر الشوك فيما بينه وبين المشهد الحسيني بناها الامير بيدر الايدمرى

*( المدرسة البدرية )*

هذه المدرسة بجوار باب سر المدرسة الصالحية النجمية كان موضعها من جملة تربة القصر التى تقدم ذكرها فنبش شخص من الناس يعرف بناصر الدين محمد بن محمد بن بدير العباسى ماهنالك من قبور الخلفاء وأنشأ هذه المدرسة فى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وعمل فيها درس فقه للفقهاء الشافعية درس فيه شيخنا شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن نصير بن رسلان البلقينى وهى مدرسة صغيرة لايكاد يصعد اليها أحد والعباسى هذا من قرية بطرف الرمل يقال لها العباسة وله في مدينة بلبيس مدرسة وقد تلاشت بعد ما كانت عامرة مليحة

*( المدرسة الملكية )*

هذه المدرسة بخط المشهد الحسيني من القاهرة بناها الامير الحاج سيف الدين آل ملك الجوكندار تجاه داره وعمل فيها درسا للفقهاء الشافعية وخزانة كتب معتبرة وجعل لها عدة أوقاف وهى الى الآن من المدارس المشهورة وموضعها من جملة رحبة قصر الشوك وقد تقدم ذكرها عند ذكر الرحاب من هذا الكتاب ثم صار موضع هذه المدرسة دارا تعرف بدار ابن كرمون صهر الملك الصالح

*( المدرسة الجمالية )*

هذه المدرسة بجوار درب راشد من القاهرة على باب الزقاق المعروف قديما بدرب

سيف الدولة نادر بناها الامير الوزير علاء الدين مغلطاى الجمالى وجعلها مدرسة للحنفية وخانقاه للصوفية وولى تدريسها ومشيخة التصوف بها الشيخ علاء الدين علي بن عثمان التركانى الحنفى وتداولها ابنه قاضى القضاة جمال الدين عبد الله التركمانى الحنفى وابنه قاضي القضاة صدر الدين محمد بن عبد الله بن علي التركمانى الحنفى ثم قريبهم حميد الدين حمادوهي الآن بيد ابن حميد الدين المذكور وكان شأن هذه المدرسة كبيرا يسكنها أكابر فقهاء الحنفية وتعد من أجل مدارس القاهرة ولها عدة أوقاف بالقاهرة وظواهرها وفي البلاد الشامية وقد تلاشى أمر هذه المدرسة لسوء ولاة أمرها وتخريبهم أوقافها وتعطل منها حضور الدرس والتصوف وصارت منزلا يسكنه اخلاط ممن ينسب الى اسم الفقه وقرب الخراب منها وكان بناؤها في سنة ثلاثين وسبعمائة * ( مغلطاى ) بن عبد الله الجمالى الامير علاء الدين عرف بخرز وهى بالتركية عبارة عن الديك بالعربية اشتراه الملك الناصر محمد بن قلاون ونقله وهو شاب من الجامكية الى الامرة على اقطاع الامير صارم الدين ابراهيم الابراهيمي نقيب المماليك السلطانية المعروف بزير الامرة فى صفر سنة ثمان عشرة وسبعمائة وصار السلطان يندبه في التوجه الى المهمات الخاصة به ويطلعه على سره ثم بعثه أمير الركب الى الحجاز فى هذه السنة فقبض على الشريف أسد الدين رميثة بن أبى نمي صاحب مكة وأحضره الى قلعة الجبل في ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وسبعمائة مع الركب فأنكر عليه السلطان سرعة دخوله لما أصاب الحاج من المشقة فى الاسراع بهم ثم انه جعله استادار السلطان لما قبض على القاضي كريم الدين عبد الكريم ابن المعلم هبة الله ناظر الخواص عند وصوله من دمشق بعد سفره اليها لاحضار شمس الدين غبريال فيوم حضر خلع عليه وجعل أستادارا عوضاً عن الامير سيف الدين بكتمر العلائى وذلك في جمادى الاولى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ثم أضاف اليه الوزارة وخلع عليه فى يوم الخميس ثامن رمضان سنة أربع وعشرين عوضا عن الصاحب أمين الملك عبد الله بن الغنام بعد ما استعفى من الوزارة واعتذر بأنه رجل عتمى فلم يعفه السلطان وقال أنا أخلى من يباشر معك ويعرفك ماتعمل وطلب شمس الدين غبريال ناظر دمشق منها وجعله ناظر الدولة رفيقا للوزير الجمالى فرفعت قصة الى السلطان وهو في القصر من القاعة فيها الحط على السلطان بسبب تولية الجمالى الوزارة والماس حاجبا وانه بسبب ذلك أضاع أو ضاع المملكة وأهانها وفرط فى أموال المسلمين والجيش وان هذا لم يفعله أحد من الملوك فقد وليت الحجابة لمن لايعرف يحكم ولا يتكلم بالعربى ولا يعرف الاحكام الشرعية ووليت الوزارة والاستادارية لشاب لايعرف يكتب اسمه ولا يعرف مايقال له ولا يتصرف في أمور المملكة ولا في الاموال الديوانية الا أرباب الاقلام فانهم يأكلون المال ويحيلون على الوزير فلما وقف السلطان عليها أوقف عليها القاضى فخر

الدين محمد بن فضل الله المعروف بالفخر ناظر الجيش فقال هذه ورقة الكتاب البطالين ممن انقطع رزقه وكثر حسده وقرر مع السلطان أن يلزم الوزير ناظر الدولة وناظر الخواص باحضار أوراق في كل يوم تشتمل على أصل الحاصل وما حمل فى ذلك اليوم من البلاد والجهات وما صرف وأنه لايصرف لاحد شيء البتة الا بأمر السلطان وعلمه فلما حضر الوزير الجمالى أنكر عليه السلطان وقال له ان الدواوين تلعب بك وأمر فأحضر التاج اسحاق وغبريال ومجد الدين بن لعيبة وقرر معهم أن يحضروا آخر كل يوم أوراقا بالحاصل والمصروف وقد فصلت بأسماء مايحتاج الى صرفه والى شرائه وبيعه فصاروا يحضرون كل يوم الاوراق الي السلطان وتقرأ عليه فيصرف مايختار ويوقف مايريد ورسم أيضاً أن مال الجيزة كله يحمل الى السلطان ولا يصرف منه شيء ثم لما كانت الفتنة بثغر الاسكندرية بين أهلها وبين الفرنج وغضب السلطان على أهل الاسكندرية بعث بالجمالى اليها فسار من القاهرة في أثناء رجب سنة سبع وعشرين وسبعمائة ودخل اليها فجلس بالخمس واستدعى بوجوه أهل البلد وقبض على كثير من العامة ووسط بعضهم وقطع أيدى جماعة وأرجلهم وصادر أرباب الاموال حتي لم يدع أحدا له ثروة حتي ألزمه بمال كثير فباع الناس حتى ثياب نسائهم في هذه المصادرة وأخذ من التجار شيئاً كثيرا مع ترفقه بالناس فيما يرد عليه من الكتب بسفك الدماء وأخذ الاموال ثم أحضر العدد التي كانت بالثغر مرصدة برسم الجهاد فبلغت ستة آلاف عدة ووضعها فى حاصل وختم عليه وخرج من الاسكندرية بعد عشرين يوما وقد سفك دماء كثيرة وأخذ منها مائتي ألف دينار للسلطان وعاد الى القاهرة فلم يزل على حاله الى أن صرف عن الوزارة في يوم الاحد ثاني شوال سنة ثمان وعشرين ورسم أن توفر وظيفة الوزارة من ولاية وزير فلم يستقر أحد في الوزارة وبقى الجمالى على وظيفة الاستادارية وكان سبب عزله عن الوزارة توقف حال الدولة وقلة الواصل اليها فعمل عليه الفخر ناظر الجيش والتاج اسحاق بسبب تقديمه لمحمد بن لعيبة فانه كان قد استقر في نظر الدولة والصحبة والبيوت وتحكم في الوزير وتسلم قياده فكتبت مرافعات في الوزير وأنه أخذ مالا كثيرا من مال الجيزة فخرج الامير أيتمش المجدى بالكشف عليه وهم السلطان بايقاع الحوطة به فقام في حقه الامير بكتمر الساقي حتي عفى عنه وقبض على كثير من الدواوين ثم انه سافر الى الحجاز فلما عاد توفى بسطح عقبة ايلة فى يوم الاحد سابع عشر المحرم سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة فصبر وحمل الى القاهرة ودفن بهذه الخانقاه في يوم الخميس حادى عشرى المحرم المذكور بعد ماصلى عليه بالجامع الحاكمي وولى السلطان بعده الاستادارية الامير أقبغا عبد الواحد وكان ينوب عن الجمالى في الاستادارية الطنقش مملوك الافرم نقله اليها من ولاية الشرقية وكان الجمالي حسن الطباع يميل الى الخير مع كثرة

الحشمة ومما شكر عليه في وزارته انه لم يخل على أحد بولاية مباشرة وانشأ ناسا كثيرا وقصد من سائر الاعمال وكان يقبل الهدايا ويحب التقادم فحلت له الدنيا وجمع منها شيئاً كثيراً وكان اذا أخذ من أحد شيئاً على ولاية لايعزله حتى يعرف انه قد اكتسب قدر ماوزنه له ولو أكثر عليه في السعي فاذا عرف انه أخذ ماغرمه عزله وولى غيره ولم يعرف عنه انه صادر أحدا ولا اختلس مالا وكانت أيامه قليلة الشر الا انه كان يعزل ويولى بالمال فتزايد الناس في المناصب وكان له عقب بالقاهرة غير صالحين ولامصاحين

*( المدرسة الفارسية )*

هذه المدرسة بخط الفهادين من أول العطوفية بالقاهرة كان موضعها كنيسة تعرف بكنيسة الفهادين فلما كانت واقعة النصارى في سنة ست وخمسين وسبعمائة هدمها الامير فارس الدين البكي قريب الامير سيف الدين آل ملك الجوكندار وبنى هذه المدرسة ووقف عليها وقفا يقوم بما تحتاج اليه

*( المدرسة السابقية )*

هذه المدرسة داخل قصر الخلفاء الفاطميين من جملة القصر الكبير الشرقى الذي كان داخل دار الخلافة ويتوصل الى هذه المدرسة الآن من تجاه حمام البيسرى بخط بين القصرين وكان يتوصل اليها أيضاًمن باب القصر المعروف بباب الريح من خط الركن المخلق وموضعه الآن قيسارية الامير جمال الدين يوسف الاستادار بنى هذه المدرسة الطواشى الامير سابق الدين مثقال الانوكي مقدم المماليك السلطانية الاشرفية وجعل بها درسا للفقهاء الشافعية قرر في تدريسه شيخنا شيخ الشيوخ سراج الدين عمر بن على الانصارى المعروف بابن الملقن الشافعي وجعل فيها تصدير قراآت وخزانة كتب وكتابا يقرأ فيه أيتام المسلمين وبنى بينها وبين داره التي تعرف بقصر سابق الدين حوض ماء للسبيل هدمه الامير جمال الدين يوسف الاستادار لما بنى داره المجاورة لهذه المدرسة وولى سابق الدين تقدمة المماليك بعد الطواشى شرف الدين مختص الطغتمرى في صفر سنة ثلاث وستين وسبعمائة ثم تنكر عليه الامير يلبغا الخاصكى القائم بدولة الملك الاشرف شعبان بن حسين وضربه ستمائة عصا وسجنه ونفاه الى اسوان في آخر شهر ربيع الاول سنة ثمان وستين فلم يكن غير قليل حتي قتل الامير يلبغا فاستدعى الاشرف سابق الدين من قوص وصرف ظهير الدين مختارا المعروف بشاذروان عن التقدمة وأعاده اليها فاستمر الى أن مات سنة ست وسبعين وسبعمائة

*( المدرسة القيسرانية )*

هذه المدرسة بجوار المدرسة الصاحبية بسويقة الصاحب فيما بينها وبين باب الخوخة

كانت دارا يسكنها القاضى الرئيس شمس الدين محمد بن ابراهيم القيسرانى أحد موقعى الدست بالقاهرة فوقفها قبل موته مدرسة وذلك فى ربيع الاول سنة احدي وخمسين وسبعمائة وتوفي سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة وكان حشما كبير الهمة سمى بالامير سيف الدين بهادر الدمرداشي في كتابة السر بالقاهرة مكان علاء الدين على بن فضل الله العمرى فلم يتم ذلك ومات الامير بهادر فانحط جانبه وكانت دنياه واسعة جدا وله عدة مماليك يتوصل بهم الى السعى في أغراضه عند أمراء الدولة وكان ينسب الى شح كبير

* ( المدرسة الزمامية ) *

هذه المدرسة بخط رأس البندقانيين من القاهرة فيما بين البندقانيين وسويقة الصاحب بناها الامير الطواشى زين الدين مقبل الرومى زمام الآدر الشريفة للسلطان الظاهر برقوق فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة وجعل بها درسا وصوفية ومنبرا يخطب عليه في كل جمعة وبينها وبين المدرسة الصاحبية دون مدى الصوت فيسمع كل من صلى بالموضعين تكبير الآخر وهذا وأنظاره بالقاهرة من شنيع ماحدث في غير موضع ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم على ازالة هذه المبتدعات

* ( المدرسة الصغيرة ) *

هذه المدرسة فيما بين البندقانيين وطواحين الملحيين ويعرف خطها ببيت محب الدين ناظر الجيوش ويعرف أيضاً بخط بين العواميد بنتها الست ايدكين زوجة الامير سيف الدين بكجا الناصري في سنة احدى وخمسين وسبعمائة

* ( مدرسة تربة أم الصالح ) *

هذه المدرسة بجوار المدرسة الاشرفية بالقرب من المشهد النفيسى فيما بين القاهرة ومصر موضعها من جملة ما كان بستانا أنشأها الملك المنصور قلاون على يد الامير علم الدين سنجر الشجاعى في سنة اثنتين وثمانين وستمائة برسم أم الملك الصالح علاء الدين على ابن الملك المنصور قلاون فلما كمل بناؤها نزل اليها الملك المنصور ومعه ابنه الصالح على وتصدق عند قبرها بمال جزيل ورتب لها وقفا حسنا على قراء وفقهاء وغير ذلك وكانت وفاتها في سادس عشر شوال سنة ثلاث وثمانين وستمائة

* ( مدرسة ابن عرام ) *

هذه المدرسة بجوار جامع الامير حسين بحكر جوهر النوبي من بر الخليج الغربي خارج القاهرة أنشأها الامير صلاح الدين خليل بن عرام وكان من فضلاء الناس تولى نيابة الاسكندرية وكتب تاريخا وشارك في علوم فلما قتل الامير بركة بسجن الاسكندرية ثارت مماليكه على الامير الكبير برقوق حنقا لقتله فانكر الامير برقوق قتله وبعث الامير يونس

النوروزي دواداره لكشف ذلك فنبش عنه قبره فاذا فيه ضربات عدة احداهن في رأسه فاتهم ابن عرام بقتله من غير اذن له في ذلك فأخرج بركة من قبره وكان بثيابه من غير غسل ولا كفن وغسله وكفنه وأحضر ابن عرام معه فسجن بخزانة شمائل داخل باب زويلة من القاهرة ثم عصر وأخرج يوم الخميس خامس عشر رجب سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة من خزانة شمائل وأمر به فسمر عريان بعد ماضرب عند باب القلة بالمقارع ستة وثمانين بحضرة الامير قطلودمر الخازندار والامير مامور حاجب الحجاب فلما أنزل من القلعة وهو مسمر على الجمل أنشد

لك قلبي تحله فدمى لم تحله
لك من قلبي المكا ن فلم لا تحله
قال ان كنت مالكا فلى الامر كله

وما هو الا أن وقف بسوق الخيل تحت القلعة واذا بمماليك بركة قد أكبت عليه تضربه بسيوفها حتي تقطع قطعا وحز رأسه وعلق على باب زويلة وتلاعبت ايديهم فأخذ واحد أذنه وأخذ واحد رجله واشترى آخر قطعة من لحمه ولا كها ثم جمع ماوجد منه ودفن بمدرسته هذه فقال في ذلك صاحبنا الاديب شهاب الدين أحمد بن العطار

بدأت أجزاء عرام خليل * مقطعة من الضرب الثقيل
وأبدت أبحر الشعر المراثي * محررة بتقطيع الخليل

*( المدرسة المحمودية )*

هذه المدرسة بخط الموازنيين خارج باب زويلة تجاه دار القردمية يشبه أن موضعها كان في القديم من جملة الحارة التى كانت تعرف بالمنصورية أنشاها الامير جمال الدين محمود بن على الاستادار في سنة سبع وتسعين وسبعمائة ورتب بها درساً وعمل فيها خزانة كتب لايعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها وهى باقية الى اليوم لايخرج لاحد منها كتاب الا أن يكون في المدرسة وبهذه الخزانة كتب الاسلام من كل فن وهذه المدرسة من أحسن مدارس مصر * ( محمود ) بن على بن اصفر عينه الامير جمال الدين الاستادار ولى شد باب رشيد بالاسكندرية مدة وكانت واقعة الفرنج بها فى سنة سبع وستين وسبعمائة وهو مشد فيقال ان ماله الذى وجد له حصله يومئذ ثم انه سار الى القاهرة فلما كانت ايام الظاهر برقوق خدم استادارا عند الامير سودون باق ثم استقر شاد الدواوين الى أن مات الامير بهادر المنجكى أستادار السلطان فاستقر عوضاً عنه في وظيفة الاستادارية يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة سنة تسعين وسبعمائة ثم خلع عليه في يوم الخميس خامسه واستقر مشير الدولة فصار يتحدث في دواوين السلطنة الثلاثة وهي الديوان المفرد الذى يتحدث فيه الاستادار وديوان

الوزارة ويعرف بالدولة وديوان الخاص المتعلق بنظر الخواص وعظم أمره ونفذت كلمته
لتصرفه في سائر أمور المملكة فلما زالت دولة الملك الظاهر برقوق بحضور الامير يلبغا
الناصرى نائب حلب في يوم الاثنين خامس جمادى الآخرة سنة احدي وتسعين وسبعمائة
بعساكر الشام الى القاهرة واختفى الظاهر ثم أمسكه هرب هو وولده فنهبت دوره ثم انه
ظهر من الاستتار في يوم الخميس ثامن جمادى الآخرة وقدم للامير يلبغا الناصرى مالا
كثيرا فقبض عليه وقيده وسجنه بقلعة الجبل وأقيم بدله فى الاستادارية الامير علاء الدين
اقبغا الجوهرى فلما زالت دولة يلبغا الناصرى بقيام الامير منطاش عليه قبض على اقبغا
الجوهرى فيمن قبض عليه من الامراء وأفرج عن الامير محمود في يوم الاثنين ثامن شهر
رمضان وألبسه قباء مطرزا بذهب وأنزله الى داره ثم قبض عليه وسجن بخزانة الخاص في
يوم الاحد سادس عشر ذى الحجة في عدة من الامراء والمماليك عند عزم منطاش على
السفر لحرب برقوق عند خروجه من الكرك ومسيره الى دمشق فكانت جملة ماحمله
الامير محمود من الذهب العين للامير يلبغا الناصرى وللامير منطاش ثمانية وخمسين قنطارا
من الذهب المصرى منها ثمانية عشر قنطارا في ليلة واحدة فلم يزل في الاعتقال الى أن خرج
المماليك مع الامير بوطا في ليلة الخميس ثانى صفر سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة فخرج معهم
وأقام بمنزله الى أن عاد الملك الظاهر برقوق الى المملكة في رابع عشر صفر فخلع عليه
واستقر أستادار السلطان على عادته في يوم الاثنين تاسع عشرى جمادى الاولى من السنة
المذكورة عوضا عن الامير قرقماس الطشتمرى بعد وفاته ثم خلع على ولده الامير ناصر
الدين محمد بن محمود فى يوم الخميس ثاني عشرى صفر سنة أربع وتسعين وسبعمائة واستقر
نائب السلطنة بثغر الاسكندرية عوضا عن الامير ألطنبغا المعلم فقويت حرمة الامير محمود
ونفذت كلمته الى يوم الاثنين حادى عشر رجب من السنة المذكورة فثار عليه المماليك
السلطانية بسبب تأخر كسوتهم ورموه من أعلى القلعة بالحجارة وأحاطوا به وضربوه يريدون
قتله لولا أن الله أغاثه بوصول الخبر الى الامير الكبير ايتمش وكان يسكن قريباً من القلعة
فركب بنفسه وساق حتى أدركه وفرق عنه المماليك وسار به الى منزله حتى سكنت الفتنة
ثم شيعه الى داره فكانت هذه الواقعة مبدأ انحلال أمره فان السلطان صرفه عن الاستادارية
وولى الامير الوزير ركن الدين عمر بن قايماز فى يوم الخميس رابع عشره وخلع على الامير
محمود قباء بطرز ذهب واستقر على امرته ثم صرف ابن قايماز عن الاستادارية وأعيد محمود
في يوم الاثنين خامس عشر رمضان وأنعم على ابن قايماز بامرة طبلخاناه فجدد بثغر الاسكندرية
دار ضرب عمل فيها فلوس ناقصة الوزن ومن حينئذ اختل حال الفلوس بديار مصر ثم لما
خرج الملك الظاهر الى البلاد الشامية في سنة ست وتسعين سار في ركابه ثم حضر الى القاهرة

في يوم الاربعاء سابع صفر سنة سبع وتسعين وسبعمائة قبل حضور السلطان وكان دخوله يوما مشهودا فلما عاد السلطان الى قلعة الجبل حدث منه تغير على الامير محمود في يوم السبت ثالث عشري ربيع الاول وهم بالايقاع به فلما صار الى داره بعث اليه الامير علاء الدين على بن الطبلاوي يطلب منه خمسمائة ألف دينار وان توقف يحيط به ويضربه بالمقارع فنزل اليه وقرر الحال على مائة وخمسين ألف دينار فطلع على العادة الى القلعة في يوم الاثنين خامس عشريه فسبه المماليك السلطانية ورجموه ثم ان السلطان غضب عليه وضربه فى يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر بسبب تأخر النفقة وأخذ أمره يخل فولى السلطان الاميرصلاح الدين محمد ابن الامير ناصر الدين محمد ابن الامير تنكز أستادارية الاملاك السلطانية فى يوم الاثنين خامس رجب وولى علاء الدين على بن الطبلاوى في رمضان التحدث في دار الضرب بالقاهرة والاسكندرية والتحدث في المتجر السلطاني فوقع بينه وبين الامير محمود كلام كثير ورافعه ابن الطبلاوى بحضرة السلطان وخرج عليه من دار الضرب ستة آلاف درهم فضة فألزم السلطان محمودا بحمل مائة وخمسين ألف دينار فحملها وخلع عليه عند تكميله حملها فى يوم الاحد تاسع عشرى رمضان وخلع أيضاً على ولده الامير ناصر الدين وعلى كاتبه سعد الدين ابراهيم بن غراب الاسكندراني وعلى الامير علاء الدين علي بن الطبلاوى ثم ان محمودا وعك بدنه فنزل اليه السلطان فى يوم الاثنين ثالث عشرى ذى القعدة يعوده فقدم له عدة تقادم قبل بعضها ورد بعضها وتحدث الناس أنه استقلها فلما كان يوم السبت سادس صفر سنة ثمان وتسعين بعث السلطان الى الامير محمود الطواشي شاهين الحسني فأخذ زوجتيه وكاتبه سعد الدين ابراهيم بن غراب وأخذ مالا وقماشا على حمالين وصار بهما الى القلعة هذا ومحمود مريض لازم الفراش ثم عاد من يومه وأخذ الامير ناصر الدين محمد ابن محمود وحمله الى القلعة ثم نزل ابن غراب ومعه الامير الى باي الخازندار في يوم الاحد سابعه وأخذا من ذخيرة بدار محمود خمسين ألف دينار وفى يوم الخميس حادى عشره صرف محمود عن الاستادارية واستقر عوضه الامير سيف الدين قطلوبك العلائى أستادار الامير الكبير ايتمش وقرر سعد الدين بن غراب ناظر الديوان المفرد فاجتمع مع ابن الطبلاوى على عداوة محمود والسعي فى اهلاكه وسلم ابن محمود الى ابن الطبلاوى فى تاسع عشر ربيع الاول ليستخلص منه مائة ألف دينار ونزل الطواشي صندل المنجكي والطواشي شاهين الحسني فى ثالث عشريه ومعهما ابن الطبلاوي فأخذا من خربة خلف مدرسة محمود زيرين كبيرين وخمسة ازيار صغارا وجد فيها ألف ألف درهم فضة فحملت الى القلعة ووجد أيضاً بهذه الخربة جرتان في أحداها ستة آلاف دينار وفي الاخرى أربعة آلاف درهم فضة وخمسمائة درهم وقبض على مباشرى محمود ومباشرى ولده وعوقب محمود ثم أوقعت الحوطة

على موجود محمود فى يوم الخميس سابع جمادي الاولى ورسم عليه ابن الطبلاوى فى داره وأخذ مماليكه وأتباعه ولم يدع عنده غير ثلاث مماليك صغار وظهرت أموال محمود شيئا بعد شئ ثم سلم الى الامير فرج شاد الدواوين فى خامس جمادى الآخرة فنقله الى داره وعاقبه وعصره في ليلته ثم نقل فى شعبان الى دار ابن الطبلاوى فضربه وسعطه وعصره فلم يعترف بشئ وحكى عنه انه قال لو عرفت أنى أعاقب ما اعترفت بشيء من المال وظهر منه فى هذه المحنة ثبات وجلد وصبر مع قوة نفس وعدم خضوع حتى انه كان يسب ابن الطبلاوى اذا دخل اليه ولا يرفع له قدرا ثم ان السلطان استدعاه الى مابين يديه يوم السبت أول صفر سنة تسع وتسعين وحضر سعد الدين بن غراب فشافهه بكل سوء ورافعه في وجهه حتى استغضب السلطان على محمود وأمر بمعاقبته حتى يموت فأنزل الى بيت الامير حسام الدين حسين ابن أخت الفرس شاد الدواوين وكان أستادار محمود فلم يزل عنده فى العقوبة الى أن نقل من داره الى خزانة شمائل في ليلة الجمعة ثالث جمادى الاولى وهو مريض فمات بها في ليلة الاحد تاسع رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة ودفن من الغد بمدرسته وقد أناف على الستين سنة وكان كثير الصلاة والعبادة مواظبا على قيام الليل الا أنه كان شحيحا مسيكا شرها في الاموال رمي الناس منه فى رماية البضائع بدواه اذا نسبت الى ماحدث من بعده كانت عافية ونعمة وأكثر من ضرب الفلوس بديار مصر حتى فسد بكثرتها حال أقليم مصر وكان جملة ماحمل من ماله بعد نكبته هذه مائة قنطار ذهبا وأربعين قنطارا عنها ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار عينا وألف ألف درهم فضة وأخذ له من البضائع والغلال والقنود والاعسال ماقيمته ألف ألف درهم واكثر

*( المدرسة المهذبية )*

هذه المدرسة بحارة حلب خارج القاهرة عند حمام قمارى بناها الحكيم مهذب الدين محمد بن أبى الوحش المعروف بابن أبى حليقة تصغير حلقة رئيس الاطباء بديار مصر ولى رياسة الاطباء في حادى عشر رمضان سنة أربع وثمانين وستمائة واستقر مدرس الطب بالمارستان المنصوري

*( المدرسة السعدية )*

هذه المدرسة خارج القاهرة بقرب حدرة البقر على الشارع المسلوك فيه من حوض ابن هنس الى الصليبة وهي فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل كان موضعها يعرف بخط بستان سيف الاسلام وهى الآن في ظهر بيت قوصون المقابل لباب السلسلة من قلعة الجبل بناها الامير شمس الدين سنقر السعدى نقيب المماليك السلطانية في سنة خمس عشرة وسبعمائة وبني بها أيضاً رباطا للنساء وكان شديد الرغبة فى العمائر محبا للزراعة كثير المال ظاهر الغني

وهو الذى عمر القرية التى تعرف اليوم بالتحريرية من أعمال الغربية وكانت اقطاعه ثم انه أخرج من مصر بسبب نزاع وقع بينه وبين الامير قوصون فى أرض أخذها منه فسار الى طرابلس وبها مات فى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

*( المدرسة الطفجية )*

هذه المدرسة بخط حدرة البقر أيضاً أنشأها الامير سيف الدين طفجي الاشرفي ولها وقف جيد ( طفجي ) الامير سيف الدين كان من جملة مماليك الملك الاشرف خليل بن قلاون ترقي في خدمته حتي صار من جملة أمراء ديار مصر فلما قتل الملك الاشرف قام طفجي في المماليك الاشرفية وحارب الامير بيدرا المتولى لقتل الاشرف حتى أخذه وقتله فلما أقيم الملك الناصر محمد بن قلاون في المملكة بعد قتل بيدرا صار طفجى من أكابر الامراء واستمر على ذلك بعد خلع الملك الناصر بكتبغا مدة أيامه الى أن خلع الملك العادل كتبغا وقام في سلطنة مصر الملك المنصور لاجين وولى مملوكه الأمير سيف الدين منكوتمر نيابة السلطنة بديار مصر فأخذ يواحش أمراء الدولة بسوء تصرفه واتفق أن طفجي حج في سنة سبع وتسعين وستمائة فقرر منكوتمر مع المنصور انه اذا قدم من الحج يخرجه الى طرابلس ويقبض على أخيه الامير سيف الدين كرجى فعند ماقدم طفجى من الحجاز فى صفر سنة ثمان وتسعين وستمائة رسم له بنيابة طرابلس فثقل عليه ذلك وسعي باخوته الاشرفية حتى أعفاه السلطان من السفر فسخط منكوتمر وأبى الاسفر طفجي وبعث اليه يلزمه بالسفر وكان لاجين منقادا لمنكوتمر لايخالفه في شيء فتواعد طفجي وكرجي مع جماعة من المماليك وقتلوا لاجين وتولى قتله كرجى وخرج فاذا طفجي في انتظاره على باب القلة من قلعة الجبل فسر بذلك وأمر باحضار من بالقلعة من الامراء وكانوا حينئذ يبيتون بالقلعة دائما وقتل منكوتمر فى تلك الليلة وعزم على أنه يتسلطن ويقيم كرجي فى نيابة السلطنة فخذله الامراء وكان الامير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح قد خرج في غزاة وقرب حضوره فاستمهلوه بما يريد الى أن يحضر فأخر سلطنته وبقى الامراء في كل يوم يحضرون معه في باب القلة ويجلس في مجلس النيابة والامراء عن يمينه وشماله ويمد سماط السلطان بين يديه فلما حضر أمير سلاح بمن معه من الامراء نزل طفجي والامراء الى لقائهم بعد ما امتنع امتناعا كثيرا وترك كرجي يحفظ القلعة بمن معه من المماليك الاشرفية وقد نوى طفجي الشر للامراء الذين قد خرج الى لقائهم وعرف ذلك الامراء المقيمون عنده فى القلعة فاستعدوا له وسار هو والامراء الى ان لقوا الامير بكتاش ومعه من الاشرفية أربعمائة فارس تحفظه حتي يعود من اللقاء الى القلعة فعند ماوافاه بقبة النصر وتعانقا أعلمه بقتل السلطان فشق عليه وللوقت جرد الامراء سيوفهم وارتفعت الضجة فساق طفجى من الحلقة والامراء

وراءه الى أن أدركه قراقوش الظاهرى وضربه بسيف ألقاه عن فرسه الى الارض ميتا فقر كرجى ثم أخذ وقتل وحمل طفجي في مزبلة من مزابل الحمامات على حمار الى مدرسته هذه فدفن بها وقبره هناك الى اليوم وكان قتله فى يوم الخميس سادس عشر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وستمائة بعد خمسة أيام من قتل لاجين ومنكوتمر

*( المدرسة الجاولية )*

هذه المدرسة بجوار الكبش فيما بين القاهرة ومصر أنشأها الامير علم الدين سنجر الجاولى فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وعمل بها درسا وصوفية ولها الى هذه الايام عدة أوقاف (سنجر) بن عبد الله الامير علم الدين الجاولى كان مملوك جاولى أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس وانتقل بعد موت الامير جاولى الى بيت قلاون وخرج فى أيام الاشرف خليل بن قلاون الى الكرك واستقر فى جملة البحرية بها الى أيام العادل كتبغا فحضر من عند نائب الكرك ومعه حوائجخاناه فرفعه كتبغا وأقامه على الخوشخاناه السلطانية وصحب الامير سلار وواخاه فتقدم فى الخدمة وبقى أستادارا صغيرا في أيام بيبرس وسلار فصار يدخل على السلطان الملك الناصر ويخرج ويراعى مصالحه فى أمر الطعام ويتقرب اليه فلما حضر من الكرك جهزه الى غزة نائبا في جمادى الاولى سنة احدى عشرة وسبعمائة عوضا عن الامير سيف الدين قطلو أقتمر عبد الخالق بعد امساكه وأضاف اليه مع غزة الساحل والقدس وبلد الخليل وجبل نابلس وأعطاه اقطاعا كبيرا بحيث كان للواحد من مماليكه اقطاع يعمل عشرين ألفا وخمسة وعشرين ألفا وعمل نيابة غزة على القالب الجائر الى أن وقعت بينه وبين الامير تنكز نائب الشام بسبب دار كانت له تجاه جامع تنكز خارج دمشق من شمالها أراد تنكز أن يبتاعها منه فأبى عليه فكتب فيه الى الملك الناصر محمد بن قلاون فأمسكه فى ثامن عشري شعبان سنة عشرين وسبعمائة واعتقله نحوا من ثمان سنين ثم أفرج عنه فى سنة تسع وعشرين وأعطاه امرة أربعين ثم بعد مدة أعطاه امرة مائة وقدمه على ألف وجعله من أمراء المشورة فلم يزل على هذا الى أن مات الملك الناصر فتولى غسله ودفنه فلما ولى الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاون سلطنة مصر أخرجه الى نيابة حماه فأقام بها مدة ثلاثة أشهر ثم نقله الى نيابة غزة فحضر اليها وأقام بها نحو ثلاثة أشهر أيضاً ثم أحضره الى القاهرة وقرره على ما كان عليه وولى نظر المارستان بعد نائب الكرك عند ما أخرج الى نيابة طرابلس ثم توجه لحصار الناصر أحمد بن محمد بن قلاون وهو ممتنع في الكرك فأشرف عليه في بعض الايام الناصر أحمد من قلعة الكرك وسبه وشيخه فقال له الجاولى نعم أنا شيخ نحس ولكن الساعة ترى حالك مع الشيخ النحس ونقل المنجنيق الى مكان يعرفه ورمى به فلم يخط القلعة وهدم منها جانبا وطلع بالعسكر وأمسك أحمد

وذبحه صبرا وبعث برأسه الى الصالح اسماعيل وعاد الى مصر فلم يزل على حاله الى أن مات في منزله بالكبش يوم الخميس تاسع رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة ودفن بمدرسته وكانت جنازته حافلة الى الغاية قد سمع الحديث وروى وصنف شرحا كبيرا على مسند الشافعي رحمه الله وأفتى في آخر عمره على مذهب الشافعي وكتب خطه على فتاوى عديدة وكان خبيرا بالامور عارفا بسياسة الملك كفوا لما وليه من النيابات وغيرها لايزال يذكر أصحابه في غيبتهم عنه ويكرمهم اذا حضروا عنده وانتفع به جماعة من الكتاب والعلماء والاكابر وله من الآثار الجميلة الفاضلة جامع بمدينة غزة في غاية الحسن وله بها أيضاً حمام مليح ومدرسة للفقهاء الشافعية وخان للسبيل وهو الذى مدن غزة وبنى بها أيضاً مارستانا ووقف عليه عن الملك الناصر أوقافا جليلة وجعل نظره لنواب غزة وعمر بها أيضاً الميدان والقصر وبنى ببلد الخليل عليه السلام جامعا سقفه منه حجر نقر وعمل الخان العظيم بقاقون والخان بقرية الكثيب والقناطر بغابة أرسوف وخان رسلان فى حمراء بيسان ودارا بالقرب من باب النصر داخل القاهرة ودارا بجوار مدرسته على الكبش وسائر عمائره ظريفة انيقة محكمة متقنة مليحة وكان ينتمي الى الامير سلار ويجل ذكره

*( المدرسة الفارقانية )*

هذه المدرسة خارج باب زويلة من القاهرة فيما بين حدرة البقر وصليبة جامع ابن طولون وهى الآن بجوار حمام الفارقانى تجاه البندقدارى بناها والحمام المجاور لها الامير ركن الدين بيبرس الفارقانى وهو غير الفارقانى المنسوب اليه المدرسة الفارقانية بحارة الوزيرية من القاهرة

*( المدرسة البشيرية )*

هذه المدرسة خارج القاهرة بحكر الخازن المطل على بركة الفيل كان موضعها مسجدا يعرف بمسجد سنقر السعدى الذى بنى المدرسة السعدية فهدمه الامير الطواشى سعد الدين بشير الجمدار الناصرى وبني موضعه هذه المدرسة فى سنة احدى وستين وسبعمائة وجعل بها خزانة كتب وهي من المدارس اللطيفة

*( المدرسة المهمندارية )*

هذه المدرسة خارج باب زويلة فيما بين جامع الصالح وقلعة الجبل يعرف خطها اليوم بخط جامع الماردانى خارج الدرب الاحمر وهي تجاه مصلى الاموات على يمنة من سلك من الدرب الاحمر طالبا جامع الماردانى ولها باب آخر في حارة اليانسية بناها الامير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزى المهمندار ونقيب الجيوش فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وجعلها مدرسة وخانقاه وجعل طلبة درسها من الفقهاء الحنفية وبنى الى جانبها القيسارية والربع الموجودين الآن

*( مدرسة الجاي )*

هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل كان موضعها وما حولها مقبرة ويعرف الآن خطها بخط سويقة العزى أنشأها الامير الكبير سيف الدين الجاي في سنة ثمان وستين وسبعمائة وجعل بها درساً للفقهاء الشافعية ودرساً للفقهاء الحنفية وخزانة كتب وأقام بها منبرا يخطب عليه يوم الجمعة وهي من المدارس المعتبرة الجليلة ودرس بها شيخنا جلال الدين البناني الحنفي وكانت سكنه ( الجاى ) بن عبد الله اليوسفي الامير سيف الدين تنقل في الخدم حتى صار من جملة الامراء بديار مصر فلما أقام الامير الاستدمر الناصري بأمر الدولة بعد قتل الامير يلبغا الخاصكي العمري في شوال سنة ثمان وستين وسبعمائة قبض على الجاى في عدة من الامراء وقيدهم وبعث بهم الى الاسكندرية فسجنوا الى عاشر صفر سنة تسع وستين فأفرج الملك الاشرف شعبان بن حسين عنه وأعطاه امرة مائة وتقدمة ألف وجعله أمير سلاح براني ثم جعله أمير سلاح اتابك العساكر وناظر المارستان المنصوري عوضا عن الامير منكلي بغا الشمسي في سنة أربع وسبعين وسبعمائة وتزوج بخوند بركة أم السلطان الملك الاشرف فعظم قدره واشتهر ذكره وتحكم في الدولة تحكما زائداً الى يوم الثلاثاء سادس المحرم سنة خمس وسبعين وسبعمائة فركب يريد محاربة السلطان بسبب طلبه ميراث أم السلطان بعد موتها فركب السلطان وأمراؤه وبات الفريقان ليلة الاربعاء على الاستعداد للقتال الى بكرة نهار الاربعاء فواقع الجاى مع أمراء السلطان احدى عشرة وقعة انكسر فى آخرها الجاي وفر الى جهة بركة الحبش وصعد من الجبل من عند الجبل الاحمر الى قبة النصر ووقف هناك فاشتد على السلطان فبعث اليه خلعة بنيابة حماه فقال لا أتوجه الا ومعي مماليكي كلهم وجميع أموالى فلم يوافقه السلطان على ذلك وبات الفريقان على الحرب فانسل اكثر مماليك الجاى فى الليل الى السلطان وعند ماطلع النهار يوم الخميس بعث السلطان عساكره لمحاربة الجاى بقبة النصر فلم يقاتلهم وولى منهزما والطلب وراءه الى ناحية الخرقانية بشاطئ النيل قريبا من قليوب فتحير وقد أدركه العسكر فألقى نفسه بفرسه في البحر يريد النجاة الى البر الغربي فغرق بفرسه ثم خلص الفرس وهلك الجاى فوقع النداء بالقاهرة وظواهرها على احضار مماليكه فأمسك منهم جماعة وبعث السلطان الغطاسين الى البحر تتطلبه فتبعوه حتي أخرجوه الى البر فى يوم الجمعة تاسع المحرم سنة خمس وسبعين وسبعمائة فحمل فى تابوت على لباد أحمر الى مدرسته هذه وغسل وكفن ودفن بها وكان مهابا جبارا عسوفا عتيا تحدث في الاوقاف فشدد على الفقهاء وأهان جماعة منهم وكان معروفا بالاقدام والشجاعة

*( مدرسة أم السلطان )*

هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل يعرف خطها الآن بالتبانة وموضعها كان قديما مقبرة لاهل القاهرة أنشأتها الست الجليلة الكبرى بركة أم السلطان الملك الاشرف شعبان بن حسين في سنة احدى وسبعين وسبعمائة وعملت بها درسا للشافعية ودرسا للحنفية وعلى بابها حوض ماء للسبيل وهى من المدارس الجليلة وفيها دفن ابنها الملك الاشرف بعد قتله * ( بركة ) الست الجليلة خوند أم الملك الاشرف شعبان بن حسين كانت أمة مولدة فلما أقيم ابنها فى مملكة مصر عظم شأنها وحجت في سنة سبعين وسبعمائة بتجمل كثير وبرج زائد وعلى محفتها العصائب السلطانية والكؤوسات تدق معها وسار فى خدمتها من الامراء المقدمين بشتاك العمرى رأس نوبة وبها در الجمالى ومائة مملوك من المماليك السلطانية أرباب الوظائف ومن جملة ما كان معها قطار جمال محملة محائر قد زرع فيها البقل والخضراوات الى غير ذلك مما يجل وصفه فلما عادت فى سنة احدى وسبعين وسبعمائة خرج السلطان بعساكره الى لقائها وسار الى البويب فى سادس عشر المحرم وتزوّجت بالامير الكبير الجاى اليوسفى وبها طال واستطال ماتت في ثامن عشر ذى القعدة سنة أربع وسبعين وسبعمائة وكانت خيرة عفيفة لها بر كثير ومعروف معروف تحدث الناس بحجتها عدة سنين لما كان لها من الافعال الجميلة في تلك المشاهد الكريمة وكان لها اعتقاد فى أهل الخير ومحبة في الصالحين وقبرها موجود بقبة هذه المدرسة وأسف السلطان على فقدها ووجد وجدا كبيرا لكثرة حبه لها واتفق أنها لما ماتت أنشد الاديب شهاب الدين أحمد بن يحي الاعرج السعدى

فى ثامن العشرين من ذى قعدة * كانت صبيحة موت أمّ الاشرف
فالله يرحمها ويعظم أجره * ويكون فى عاشور موت اليوسفى

فكان كما قال وغرق الجاى اليوسفى كما تقدم ذكره في يوم عاشوراء

* ( المدرسة الايتمشية ) *

هذه المدرسة خارج القاهرة داخل باب الوزير تحت قلعة الجبل برأس التبانة أنشأها الامير الكبير سيف الدين ايتمش البجاسى ثم الظاهرى في سنة خمس وثمانين وسبعمائة وجعل بها درس فقه للحنفية وبني بجانبها فندقا كبيرا يعلوه ربع ومن ورائها خارج باب الوزير حوض ماء للسبيل وربعا وهي مدرسة ظريفة * ( ايتمش ) بن عبد الله الامير الكبير سيف الدين البجاسي ثم الظاهرى كان أحد المماليك اليلبغاوية

* ( المدرسة المجدية الخليلية ) *

هذه المدرسة بمصر يعرف موضعها بدرب البلاد عمرها الشيخ الامام مجد الدين أبو محمد عبد العزيز ابن الشيخ الامام أمين الدين أبى على الحسين بن الحسن بن ابراهيم الخليلي

الدارى فتمت في شهر ذى الحجة سنة ثلاث وستين وستمائة وقرر فيها مدرسا شافعيا ومعيدين وعشرين نفرا طلبة واماما راتبا ومؤذنا وقيما لكنسها وفرشها ووقود مصابيحها وادارة ساقيتها وأجرى الماء الى فسقيتها ووقف عليها غيطا بناحية بارنبار من أعمال المزاحميتين وبستانا بمحلة الامير من المزاحميتين بالغربية وغيطا بناحية نطوبس وربع غيط بظاهر ثغر رشيد وبستانا ونصف بستان بناحية بلقس ورباعا بمدينة مصر * ومجد الدين هذا هو والد الصاحب الوزير فخر الدين عمر بن الخليلي ودرس بهذه المدرسة الصاحب فخر الدين الى حين وفاته وتوفي مجد الدين بدمشق فى ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثمانين وستمائة وكان مشهورا بالصلاح

* ( المدرسة الناصرية بالقرافة ) *

هذه المدرسة بجوار قبة الامام محمد بن ادريس الشافعي رضى الله عنه من قرافة مصر أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ورتب بها مدرسا يدرس الفقه على مذهب الشافعى وجعل له فى كل شهر من المعلوم عن التدريس أربعين دينارا معاملة صرف كل دينار ثلاثة عشر درهما وثلث درهم وعن معلوم النظر في أوقاف المدرسة عشرة دنانير ورتب له من الخبز فى كل يوم ستين رطلا بالمصرى وراويتين من ماء النيل وجعل فيها معيدين وعدة من الطلبة ووقف عليها حماما بجوارها وفرنا تجاهها وحوانيت بظاهرها والجزيرة التي يقال لها جزيرة الفيل ببحر النيل خارج القاهرة وولى تدريسها جماعة من الاكابر الاعيان ثم خلت من مدرس ثلاثين سنة واكتفى فيها بالمعيدين وهم عشرة أنفس فلما كانت سنة ثمان وسبعين وستمائة ولى تدريسها قاضى القضاة تقى الدين محمد بن رزين الحموى بعد عزله من وظيفة القضاء وقرر له نصف المعلوم فلما مات وليها الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد بربع المعلوم فلما ولى الصاحب برهان الدين الخضر السنجارى التدريس قرر له المعلوم الشاهد به كتاب الوقف

* ( المدرسة المسلمية ) *

هذه المدرسة بمدينة مصر في خط السيوريين أنشأها كبير التجار ناصر الدين محمد ابن مسلم بضم الميم وفتح السين المهملة وتشديد اللام البالسى الاصل ابن بنت كبير التجار شمس الدين محمد بن بسير بفتح الباء أول الحروف وكسر السين المهملة ثم ياء آخر الحروف بعدها راء ومات في سنة ست وسبعين وسبعمائة قبل أن تتم فوصى بتكملتها وأفرد لها مالا ووقف عليها دورا وأرضا بناحية قليوب وشرط أن يكون فيها مدرس مالكى ومدرس شافعي ومؤدب أطفال وغير ذلك فكملها مولاه ووصيه الكبير كافور الخصى الرومى بعد وفاة أستاذه وهى الآن عامرة وبلغ ابن مسلم هذا من وفور المال وعظم السعادة مالم يبلغه

أحد ممن أدركناه بحيث انه جاء نصيب أحد أولاده نحو مائتي ألف دينار مصرية وكان كثير الصدقات على الفقراء مقترا على نفسه الى الغاية وله أيضا مطهرة عظيمة بالقرب من جامع عمرو بن العاص ونفعها كبير وله أيضا دار جليلة على ساحل النيل بمصر وكان أبوه تاجرا سفارا بعد ما كان حمالا فصاهر ابن بسير ورزق محمدا هذا من ابنته فنشأ على صيانة ورزق الحظ الوافر فى التجارة وفى العبيد فكان يبعث أحدهم بمال عظيم الى الهند ويبعث آخر بمثل ذلك الى بلاد التكرور ويبعث آخر الى بلاد الحبشة ويبعث عدة آخرين الى عدة جهات من الارض فما منهم من يعود الا وقد تضاعفت فوائد ماله أضعافا مضاعفة

*( مدرسة اينال )*

هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من باب حارة الهلالية بخط القماحين كان موضعها في القديم من حقوق حارة المنصورة أوصي بعمارتها الامير الكبير سيف الدين اينال اليوسفى أحد المماليك اليلبغاوية فابتدأ بعملها فى سنة أربع وتسعين وفرغت فى سنة خمس وتسعين وسبعمائة ولم يعمل فيها سوى قراء يتناوبون قراءة القرآن على قبره فانه لما مات فى يوم الاربعاء رابع عشر جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين وسبعمائة دفن خارج باب النصر حتى انتهت عمارة هذه المدرسة فنقل اليها ودفن فيها و ( اينال ) هذا ولى نيابة حلب وصار في آخر عمره أتابك العساكر بديار مصر حتى مات وكانت جنازته كثيرة الجمع مشى فيها السلطان الملك الظاهر برقوق والعساكر

*( مدرسة الامير جمال الدين الاستادار )*

هذه المدرسة برحبة باب العيد من القاهرة كان موضعها قيسارية يعلوها طباق كلها وقف فأخذها وهدمها وابتدأ بشق الاساس في يوم السبت خامس جمادى الاولى سنة عشر وثمانمائة وجمع لها الآلات من الاحجار والاخشاب والرخام وغير ذلك وكان بمدرسة الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون التى كانت بالصوة تجاه الطبلخاناه من قلعة الجبل بقية من داخلها فيها شبابيك من نحاس مكفت بالذهب والفضة وأبواب مصفحة بالنحاس البديع الصنعة المكفت ومن المصاحف والكتب فى الحديث والفقه وغيره من أنواع العلوم جملة فاشترى ذلك من الملك الصالح المنصور حاجي بن الاشرف بمبلغ ستمائة دينار وكانت قيمتها عشرات أمثال ذلك ونقلها الى داره وكان مما فيها عشرة مصاحف طول كل مصحف منها أربعة أشبار الى خمسة فى عرض يقرب من ذلك أحدها بخط ياقوت وآخر بخط ابن البواب وباقيها بخطوط منسوبة ولها جلود فى غاية الحسن معمولة في أكياس الحرير الاطلس ومن الكتب النفيسة عشرة أحمال جميعها مكتوب في أوله الاشهاد على الملك الاشرف بوقف ذلك ومقره في مدرسته فلما كان يوم الخميس ثالث شهر رجب سنة احدى عشرة

وثمانمائة وقد انتهت عمارتها جمع بها الأمير جمال الدين القضاة والاعيان وأجلس الشيخ همام الدين محمد بن أحمد الخوارزمى الشافعى على سجادة المشيخة وعمله شيخ التصوف ومدرس الشافعية ومد سماطا جليلا أكل عليه كل من حضر وملأ البركة التي بوسط المدرسة ماء قد أذيب فيه سكر مزج بماء الليمون وكان يوما مشهودا وقرر في تدريس الحنفية بدر الدين محمود بن محمد المعروف بالشيخ زاده الخرزياني وفي تدريس المالكية شمس الدين محمد بن البساطى وفي تدريس الحنابلة فتح الدين أبا الفتح محمد بن نجم الدين محمد بن الباهلى وفى تدريس الحديث النبوي شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر وفى تدريس التفسير شيخ الاسلام قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى فكان يجلس من ذكرنا واحدا بعد واحد فى كل يوم الى أن كان آخرهم شيخ التفسير وكان مسك الختام وما منهم الا من يحضر معه ويلبسه مايليق به من الملابس الفاخرة وقرر عند كل من المدرسين الستة طائفة من الطلبة وأجرى لكل واحد ثلاثة أرطال من الخبز في كل يوم وثلاثين درهما فلوسا فى كل شهر وجعل لكل مدرس ثلثمائة درهم فى كل شهر ورتب بها اماما وقومة ومؤذنين وفراشين ومباشرين وأكثر من وقف الدور عليها وجعل فائض وقفها مصروفا لذريته فجاءت فى أحسن هندام وأتم قالب وأنخر زي وأبدع نظام الا انها وما فيها من الآلات وما وقف عليها أخذ من الناس غصبا وعمل فيها الصناع بأبخس أجرة مع العسف الشديد فلما قبض عليه السلطان وقتله في جمادى الاولى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة واستولى على أمواله حسن جماعة للسلطان أن يهدم هذه المدرسة ورغبوه فى رخامها فانه غاية في الحسن وأن يسترجع أوقافها فان متحصلها كثير فمال الى ذلك وعزم عليه فكره ذلك للسلطان الرئيس فتح الدين فتح الله كاتب السر واستشنع أن يهدم بيت بني علي اسم الله يعلن فيه بالاذان خمس مرات في اليوم والليلة وتقام به الصلوات الخمس فى جماعة عديدة ويحضره فى عصر كل يوم مائة وبضعة عشر رجلا يقرؤن القرآن فى وقت التصوف ويذكرون الله ويدعونه وتحلق به الفقهاء لدرس تفسير القرآن الكريم وتفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقه الأئمة الاربعة ويعلم فيه أيتام المسلمين كتاب الله عز وجل ويجرى على هؤلاء المذكورين الارزاق في كل يوم ومن المال في كل شهر ورأى ان ازالة مثل هذا وصمة في الدين فتجرد له وما زال بالسلطان يرغبه فى ابقائها على أن يزال منها اسم جمال الدين وتنسب اليه فانه من الفتن هدم مثلها ونحو ذلك حتي رجع الى قوله وفوض أمرها اليه فدبر ذلك أحسن تدبير وهو أن موضع هذه المدرسة كان وقفا على بعض الترب فاستبدل به جمال الدين أرضاً من جملة أراضى الخراج بالجيزة وحكم له قاضي القضاة كمال الدين عمر بن العديم بصحة الاستبدال وهدم البناء وبني موضعه هذه المدرسة وتسلم متولى موضعها الارض المستبدل

بها الى أن قتل جمال الدين وأحيط بأمواله فدخل فيما احيط به هذه الارض المستبدل بها
وادعى السلطان أن جمال الدين افتات عليه في أخذ هذه الارض وأنه لم يأذن في بيعها
من بيت المال فأفتى حينئذ محمد شمس الدين المدنى المالكى بأن بناء هذه المدرسة الذى وقفه
جمال الدين على الارض التي لم يملكها بوجه صحيح لايصح وانه باق على ملكه الى حين
موته فندب عند ذلك شهود القيمة الى تقويم بناء المدرسة فقوموها باثنى عشر ألف دينار
ذهبا وأثبتوا محضر القيمة على بعض القضاة فحمل المبلغ الى أولاد جمال الدين حتى تسلموه
وباعوا بناء المدرسة للسلطان ثم استرد السلطان منهم المبلغ المذكور وأشهد عليه أنه وقف
أرض هذه المدرسة بعد ما استبدل بها وحكم حاكم حنفى بصحة الاستبدال ثم وقف البناء
الذى اشتراه وحكم بصحته أيضاً ثم استدعى بكتاب وقف جمال الدين ولخصه ثم مزقه
وجدد كتاب وقف يتضمن جميع ماقرره جمال الدين فى كتاب وقفه من أرباب الوظائف
وما لهم من الخبز في كل يوم ومن المعلوم فى كل شهر وأبطل ماكان لاولاد جمال الدين
من فائض الوقف وأفرد لهذه المدرسة مما كان جمال الدين جعله وقفا عليها عدة مواضع
تقوم بكفاية مصروفها وزاد في أوقافها أرضا بالجيزة وجعل مابقى من أوقاف جمال الدين
على هذه المدرسة بعضه وقفا على أولاده وبعضه وقفا على التربة التى أنشأها فى قبة أبيه الملك
الظاهر برقوق خارج باب النصر وحكم القضاة الاربعة بصحة هذا الكتاب بعد ما حكموا
بصحة كتاب وقف جمال الدين ثم حكموا ببطلانه ثم لما تم ذلك محى من هذه المدرسة
اسم جمال الدين ورنكه وكتب اسم السلطان الملك الناصر فرج بدائر صحنها من أعلاه
وعلى قناديلها وبسطها وسقوفها ثم نظر السلطان في كتبها العلمية الموقوفة بها فأقر منها جملة
كتب بظاهر كل سفر منها فصل يتضمن وقف السلطان له وحمل كثير من كتبها الى قلعة
الجبل وصارت هذه المدرسة تعرف بالناصرية بعد ماكان يقال لها الجمالية ولم تزل على ذلك
حتى قتل الناصر وقدم الامير شيخ الى القاهرة واستولى على أمور الدولة فتوصل شمس الدين
محمد أخو جمال الدين وزوج ابنته لشرف الدين أبي بكر بن العجمي موقع الاستادار الامير
شيخ حتى أحضر قضاة القضاة وحكم الصدر علي بن الادمى قاضى القضاة الحنفى برد أوقاف
جمال الدين الى ورثته من غير استيفاء الشروط في الحكم بل تهور فيه وجازف ولذلك
أسباب منها عناية الامير شيخ بجمال الدين الاستادار فانه لما انتقل اليه اقطاع الامير بجاس
بعد موت الملك الظاهر برقوق استقر جمال الدين استاداره كما كان استادار بجاس فخدمه
خدمة بالغة وخرج الامير شيخ الى بلاد الشام واستقر في نيابة طرابلس ثم في نيابة
الشام وخدمة جمال الدين له ولحاشيته ومن يلوذ به مستمرة وأرسل مرة الامير شيخ
من دمشق بصدر الدين بن الادمي المذكور في الرسالة الى الملك الناصر وجمال الدين

حينئذ عزيز مصر فأنزله وأكرمه وأنعم عليه وولاه قضاء الحنفيـة وكتابة السر بدمشق وأعاده اليه ومازال معتنيا بأمور الامير شيخ حتى انه اتهم بأنه قد مالأه على السلطان فقبض عليه السلطان الملك الناصر بسبب ذلك ونكبه فلما قتل الناصر واستولى الامير شيخ على الامور بديار مصر ولى قضاء الحنفية بديار مصر لصدر الدين علي بن الادمي المذكور وولى أستاداره بدر الدين حسن ابن محب الدين الطرابلسى أستادار السلطان نخدم شرف الدين أبو بكر بن العجمى زوج ابنة أخي جمال الدين عنـده موقعا وتمكن منـه فأغراه بفتح الدين فتح الله كاتب السر حتى أثخن جراحة عند الملك المؤيد شيخ ونكبه بعد ماتسلطن واستعـان أيضاً بقاضى القضاة صدر الدين بن الادمي فانه كان عشيره وصديقـه من أيام جمال الدين ثم استمال ناصر الدين محمـد بن البارزى موقع الامير الكبير شيخ فقام الثلاثة مع شمس الدين أخى جمال الدين حتي أعيد الى مشيخة خانكاه بيبرس وغيرها من الوظائف التي أخذت منه عند ما قبض عليه الملك الناصر وعاقبه وتحدثوا مع الامير الكبير في رد أوقاف جمال الدين الى أخيه وأولاده فان الناصر غصبها منهم وأخذ أموالهم وديارهم بظلمه الى أن فقدوا القوت ونحو هذا من القول حتي حركوا منه حقدا كامنا على الناصر وعلموا منه عصبته لجمال الدين هذا وغرض القوم فى الباطن تأخـير فتح الدين والايقاع به فانه ثقل عليهم وجوده معهم فأمر عنـد ذلك الامير الـكبير بعقد مجلس حضره قضاة القضاة والامراء وأهل الدولة عنده بالحراقة من باب السلسلة في يوم السبت تاسع عشرى شهر رجب سنة خمس عشرة وتقدم أخو جمال الدين ليدعى على فتح الدين فتح الله كاتب السر وكان قد علم بذلك ووكل بدر الدين حسنا البرديني أحد نواب الشافعية في سماع الدعوى ورد الاجوبة فعنـد ماجلس البرديني للمحاكمة مع أخي جمال الدين نهره الامير الـكبير وأقامه وأمر بأن يكون فتح الله هو الذى يدعى عليه فلم يجد بدا من جلوسه فما هو الا أن ادعى عليه أخو جمال الدين بأنه وضع يده على مـدرسة أخيه جمال الدين وأوقافه بغير طريق فبادر قاضي القضاة صدر الدين على بن الادمى الحنفى وحكم برفع يده وعود أوقاف جمال الدين ومدرسته الى مانص عليه جمال الدين ونفذ بقية القضاة حكمه وانفضوا على ذلك فاستولى أخو جمال الدين وصهره شرف الدين على حاصل كبير كان قد اجتمع بالمدرسة من فاضل ريعها ومن مال بعثه الملك الناصر اليها وفرقوه حتي كتبوا كتابا اخترعوه من عند انفسهم جعلوه كتاب وقف المدرسة زادوا فيه أن جمال الدين اشترط النظر على المدرسة لاخيه شمس الدين المذكور وذريته الى غير ذلك مما لفقوه بشهادة قوم استمالوهم فمالوا ثم أثبتوا هذا الـكتاب على قاضي القضاة صدر الدين بن الادمى ونفذه بقيـة القضاة فاستمر الامر على هذا البهتان المختلق والافك المفترى مدة ثم ثار بعض صوفية هذه المدرسة وأثبت

محضرا بأن النظر لكاتب السر فلما ثبت ذلك نزعت يد أخي جمال الدين عن التصرف في المدرسة وتولى نظرها ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر واستمر الامر على هذا فكانت قصة هذه المدرسة من أعجب ماسمع به في تناقض القضاة وحكمهم بابطال ماصححوه ثم حكمهم بتصحيح ماابطلوه كل ذلك ميلا مع الجاه وحرصا على بقاء رياستهم ستكتب شهادتهم ويسألون

* ( المدرسة الصرغتمشية ) *

هذه المدرسة خارج القاهرة بجوار جامع الامير أبي العباس أحمد بن طولون فيما بينه وبين قلعة الجبل كان موضعها قديما من جملة قطائع ابن طولون ثم صار عدة مساكن فأخذها الامير سيف الدين صرغتمش الناصرى رأس نوبة النوب وهدمها وابتدأ في بناء المدرسة يوم الخميس من شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبعمائة وانتهت في جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وقد جاءت من أبدع المبانى وأجلها وأحسنها قالبا وأبهجها منظرا فركب الامير صرغتمش في يوم الثلاثاء تاسعه وحضر اليه الامير سيف الدين شيخو العمرى مدبر الدولة والامير طاشتمر القاسمي حاجب الحجاب والامير توقتاى الدوادار وعامة أمراء الدولة وقضاة القضاة الاربعة ومشايخ العلم ورتب مدرس الفقه بها قوام الدين أمير كاتب بن امير عمر العميد بن العميد أمير غازى الاتقانى فألقى القوام الدرس ثم مد سماط جليل بالهمة الملوكية وملئت البركة التى بها سكرا قد أذيب بالماء فأكل الناس وشربوا وأبيح مابقى من ذلك للعامة فانتهبوه وجعل الامير صرغتمش هذه المدرسة وقفا على الفقهاء الحنفية الآفاقية ورتب بها درسا للحديث النبوى وأجرى لهم جميعا المعاليم من وقف رتبه لهم وقال أدباء العصر فيها شعرا كثيرا فقال العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى

ليهنك ياصرغتمش مابنيته * لاخراك فى دنياك من حسن بنيان
به يزدهى الترخيم كالزهر بهجة * فلله من زهر ولله من باني

وخلع فى هذا اليوم على القوام خلعة سنية وأركبه بغلة رائعة وأجازه بعشرة آلاف درهم على ابيات مدحه بها في غاية السماجة وهي

أرأيتم من حاز الرتبا * وأتى قربا ونفى ريبا
فبدا علما وسما كرما * ونما قدما ولقد غلبا
بتقى وهدى وندا وجدا * فجدا وسدى وجبى وحبا
بدى سننا أحيي سننا * حلى زمنا عند الادبا
هذا صرغتمش قد سكبت * أيام امارته السحبا

وأزال الجدب الى خصب * والضنك الى رغد قلبا
باعانة جبار ربي * ذي العرش وقد بذل النشبا
ملك فطن ركن لسن * حسن بسن ربى الادبا
ملك الكبرا ملك الامرا * ملك العلما ملك الادبا
بحر طام غيث هام * قد رسام حامى الغربا
ببشاشته وسماحته * وحماسته جلي الكربا
وديانته وصيانته * وأمانته حاز الرتبا
ابهى أصلا اسنى نسلا * اعطى فضلا مأوى الغربا
نعم المأوى مصر لما * شملت قوما نبلا نجبا
فنمت نورا وسمت نورا * وعلت دورا وأزت طربا
نسقت دررا وسقت دررا * ودعت غررا وحوت أدبا
وخطابته افتخرت وعلت * وسمت وزرت وحوت أدبا
جدد درسا ثم اجن جني * منها ومنى فمى طلبا
من نازعني نسي علنا * فاراب لنا نعمت نسبا
كنون أبا لحنيفة ثم قوام الدين بدا لقبا
عش في رحب لترى عجبا * من منتجب عجب عجبا

* ( صرغتمش ) الناصري الامير سيف الدين رأس نوبة جلبه الخواجا الصواف فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة فاشتراه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون بمائتي ألف درهم فضة عنها يومئذ نحو أربعة آلاف مثقال ذهبا وخلع على الخواجا تشريفاً كاملا بحياصة ذهب وكتب له توقيعا بمسامحة مائة ألف درهم من متجره فلم يعبأ به السلطان وصار فى أيامه من جملة الجمدارية وحكى عن القاضى شرف الدين عبد الوهاب ناظر الخاص ان السلطان أنعم على صرغتمش هذا بعشر طاقات أديم طائفى فلما جاء الى النشو تردد اليه مرارا حتي دفعها اليه ولم يزل خاملي الذكر الى أن كانت أيام المظفر حاجي بن محمد بن قلاون فبعثه مسفرا مع الامير فخر الدين اياز السلاح دار لما استقر في نيابة حلب فلما عاد من حلب ترقي في الخدمة وتمكن عند المظفر وتوجه فى خدمة الصالح بن محمد بن قلاون الى دمشق فى نوبة يلبغا روس وصار السلطان يرجع الى رأيه فلما عاد من دمشق أمسك الوزير علم الدين عبد الله بن زنبور بغير امر السلطان وأخذ أمواله وعارض فى أمره الامير شيخو والامير طاز ومن حينئذ عظم ولم يزل حتى خلع السلطان الملك الصالح وأعيد الناصر حسن بن محمد بن قلاون فلما أخرج الامير شيخو انفرد صرغتمش بتدبير أمور المملكة وفخم قدره ونفذت

كلمته فعزل قضاة مصر والشام وغير النواب بالمماليك والسلطان يحقد عليه الى أن امسكه في العشرين من شهر رمضان سنة تسع وخمسين وقبض معه على الامير طشتمر القاسمى حاجب الحجاب والامير ملكتمر المحمدى وجماعة وحملهم الى الاسكندرية فسجنوا بها وبها مات صرغتمش بعد شهرين واثني عشر يوما من سجنه في ذى الحجة سنة تسع وخمسين وسبعمائة وكان مليح الصورة جميل الهيئة يقرأ القرآن الكريم ويشارك في الفقه على مذهب الحنفية ويبالغ في التعصب لمذهبه ويقرب العجم ويكرمهم ويجلهم اجلالا زائدا ويشدو طرفا من النحو وكانت أخلاقه شرسة ونفسه قوية فاذا بحث في الفقه أو اللغة اشتط ولما تحدث في الاوقاف وفي البريد خاف الناس منه فلم يكن أحد يركب خيل البريد الا بمرسومه ومنع كل من يركب البريد أن يحمل معه قماشا ودراهم على خيل البريد واشتد في أمر الاوقاف فعمرت في مباشرته ولما قبض عليه أخذ السلطان أمواله وكانت شيئاً كثيرا يكل عنه الوصف

* ( ذكر المارستانات ) *

قال الجوهرى في الصحاح والمارستان بيت المرضى معرب عن ابن السكيت وذكر الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه في كتاب أخبار مصر أن الملك مناقيوش بن اشمون أحد ملوك القبط الاول بأرض مصر أول من عمل البيمارستانات لعلاج المرضي وأودعها العقاقير ورتب فيها الاطباء وأجرى عليهم مايسعهم ومناقيوش هذا هو الذى بني مدينة اخميم وبنى مدينة سنتريه * وقال زاهد العلماء أبو سعيد منصور بن عيسي أول من اخترع المارستان وأوجده بقراط بن ايوقليدس وذلك أنه عمل بالقرب من داره في موضع من بستان كان له موضعاً مفردا للمرضى وجعل فيه خدما يقومون بمداواتهم وسماه اصدولين أي مجمع المرضى وأول من بنى المارستان في الاسلام ودار المرضي الوليد بن عبد الملك وهو أيضاً أول من عمل دار الضيافة وذلك في سنة ثمان وثمانين وجعل في المارستان الاطباء وأجرى لهم الارزاق وأمر بحبس المجذمين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم وعلى العميان الارزاق وقال جامع السيرة الطولونية وقد ذكر بناء جامع ابن طولون وعمل في مؤخره ميضأة وخزانة شراب فيها جميع الشرابات والادوية وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة

* ( مارستان ابن طولون ) *

هذا المارستان موضعه الآن فى أرض العسكر وهي الكيمان والصحراء التي فيما بين جامع ابن طولون وكوم الجارح وفيما بين قنطرة السد التي على الخليج ظاهر مدينة مصر وبين السور الذى يفصل بين القرافة وبين مصر وقد دثر هذا المارستان في جملة مادثر ولم يبق له أثر * وقال أبو عمر الكندي في كتاب الامراء وأمر أحمد بن طولون أيضا ببناء

المارستان للمرضى فبنى لهم في سنة تسع وخمسين ومائتين * وقال جامع السيرة الطولونية وفي سنة احدى وستين ومائتين بني أحمد بن طولون المارستان ولم يكن قبل ذلك بمصر مارستان ولما فرغ منه حبس عليه دار الديوان ودوره في الاساكفة والقيسارية وسوق الرقيق وشرط في المارستان أن لايعالج فيه جندي ولا مملوك وعمل حمامين للمارستان احداهما للرجال والاخري للنساء حبسهما على المارستان وغيره وشرط أنه اذا جيء بالعليل تنزع ثيابه ونفقته وتحفظ عند أمين المارستان ثم يلبس ثيابا ويفرش له ويغدى عليه ويراح بالادوية والاغذية والاطباء حتى يبرأ فاذا أكل فرّوجا ورغيفا أمر بالانصراف وأعطى ماله وثيابه وفي سنة اثنتين وستين ومائتين كان ماحبسه على المارستان والعين والمسجد في الجبل الذى يسمى بتنور فرعون وكان الذى انفق على المارستان ومستغله ستين ألف دينار وكان يركب بنفسه في كل يوم جمعة ويتفقد خزائن المارستان وما فيها والاطباء وينظر الى المرضى وسائر الاعلاء والمحبوسين من المجانين فدخل مرة حتي وقف بالمجانين فناداه واحد منهم مغلول أيها الامير اسمع كلامي ماأنا بمجنون وانما عملت علىّ حيلة وفي نفسى شهوة رمانة عريشية اكبر مايكون فأمر له بها من ساعته ففرح بها وهزها فى يده ورازها ثم غافل أحمد بن طولون ورمى بها في صدره فنضحت على ثيابه ولو تمكنت منه لاتت على صدره فأمرهم أن يحتفظوا به ثم لم يعاود بعد ذلك النظر في المارستان

* ( مارستان كافور ) *

هذا المارستان بناه كافور الاخشيدى وهو قائم بتدبير دولة الامير أبي القاسم أنوجور ابن محمد الاخشيد بمدينة مصر فى سنة ست وأربعين وثلثمائة

* ( مارستان المغافر ) *

هذا المارستان كان في خطة المغافر التي موضعها مابين العامر من مدينة مصر وبين مصلى خولان التي بالقرافة بناه الفتح بن خاقان فى أيام أمير المؤمنين المتوكل على الله وقد باد أثره

* ( المارستان الكبير المنصورى ) *

هذا المارستان بخط بين القصرين من القاهرة كان قاعة ست الملك ابنة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبى تميم معد ثم عرف بدار الامير فخر الدين جهاركس بعد زوال الدولة الفاطمية وبدار موسك ثم عرف بالملك المفضل قطب الدين أحمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب وصار يقال لها الدار القطبية ولم تزل بيد ذريته الى أن أخذها الملك المنصور قلاون الالفى الصالحي من مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل المعروفة بالقطبية وعوضت عن ذلك قصر الزمرذ برحبة باب العيد فى ثامن عشرى ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وستمائة بسفارة

الامـير علم الدين سنجر الشجاعي مدبر الممالك ورسم بعمارتها مارستانا وقبـة ومدرسة
فتولى الشجاعى أمر العمارة وأظهر من الاهتمام والاحتفال مالم يسمع بمثله حتى تم الغرض
فى أسرع مدة وهي أحد عشر شهرا وأيام وكان ذرع هذه الدار عشرة آلاف وستمائة ذراع
وخلفت ست الملك بها ثمانية آلاف جارية وذخائر جليلة منها قطعة ياقوت أحمر زنتها عشرة
مثاقيل وكان الشروع فى بنائها مارستانا أول ربيع الآخر سـنة ثلاث وثمانين وستمائة
وكان سبب بنائه أن الملك المنصور لما توجه وهو أمير الى غزاة الروم فى أيام الظاهر بيبرس
سنة خمس وسبعين وستمائة أصابه بدمشق قولنج عظيم فعالجه الاطباء بأدوية أخذت له من
مارستان نور الدين الشهيد فبرأ وركب حتى شاهد المارستان فأعجب به ونذر ان آتاه الله الملك
أن يبني مارستانا فلما تسلطن أخذ في عمل ذلك فوقع الاختيار على الدار القطبية وعوض
أهلها عنها قصر الزمرذ وولى الامير علم الدين سنجر الشجاعى أمر عمـارته فابقى القاعة
على حالها وعملها مارستانا وهى ذات ايوانات أربعة بكل ايوان شاذروان وبدورقاعتها فسقية
يصير اليها من الشاذروانات الماء واتفق أن بعض الفعلة كان يحفر فى أساس المدرسة المنصورية
فوجد حق أشنان من نحاس ووجد رفيقه قمقما نحاسا مختوما برصاص فأحضرا ذلك الى
الشجاعى فاذا في الحق فصوص ماس وياقوت وبلخش ولؤلؤ ناصع يدهش الابصار ووجد
فى القمقم ذهبا كان جملة ذلك نظير ماغرم على العمارة فحمله الى أسعدالدين كوهيا الناصرى
العدل فرفعه الى السلطان ولما نجزت العمارة وقف عليها الملك المنصور من الاملاك بديار
مصر وغيرها مايقارب ألف ألف درهم فى كل سـنة ورتب مصارف المارستـان والقبـة
والمدرسة ومكتب الايتام ثم استـدعي قدحا من شراب المارستان وشربه وقال قد وقفت
هذا على مثلي فمن دونى وجعلته وقفا على الملك والمملوك والجندى والاميروالكبير والصغير
والحر والعبد الذكور والاناث ورتب فيه العقاقير والاطباء وسائر مايحتاج اليه من به مرض
من الامراض وجعل السلطان فيه فراشين من الرجال والنساء لخدمة المرضي وقرر لهم
المعاليم ونصب الاسرة للمرضى وفرشهـا بجميع الفرش المحتاج اليها في المرض وأفرد لكل
طائفة من المرضى موضعا فجعل أواوين المارستان الاربعة للمرضي بالحميات ونحوهـا
وأفرد قاعة للرمدى وقاعة للجرحى وقاعة لمن به اسهال وقاعة للنساء ومكانا للمبرودين ينقسم
بقسمين قسم للرجال وقسم للنساء وجعل الماء يجرى فى جميع هذه الاماكن وأفرد مكانا
لطبخ الطعام والادوية والاشربة ومكانا لتركيب المعاجين والاكحال والشيافات ونحوها ومواضع
يخزن فيها الحواصل وجعل مكانا يفرق فيه الاشربة والادوية ومكانا يجلس فيه رئيس الاطباء
لالقاء درس طب ولم يحص عدة المرضي بل جعله سبيلا لكل من يرد عليه من غني وفقير ولا
حدد مدة لاقامة المريض به بل يرتب منه لمن هو مريض بداره سائر مايحتاج اليه ووكل

الامير عز الدين أيبك الافرم الصالحي أمير جندار فى وقف ماعينه من المواضع وترتيب أرباب الوظائف وغيرهم وجعل النظر لنفسه أيام حياته ثم من بعده لاولاده ثم من بعدهم لحاكم المسلمين الشافعى فضمن وقفه كتابا تاريخه يوم الثلاثاء ثالث عشرى صفر سنة ثمانين وستمائة ولما قرئ عليه كتاب الوقف قال للشجاعى ما رأيت خط الاسعد كاتبى مع خطوط القضاة أبصر ايش فيه زغل حتى ما كتب عليه فما زال يقرب لذهنه أن هـذا مما لا يكتب عليه الا قضاة الاسلام حتي فهم ذلك فبلغ مصروف الشراب منه في كل يوم خمسمائة رطـل سوى السكر ورتب فيه عدة مابين أمين ومباشر وجعل مباشرين للادارة وهم الذين يضبطون مايشـترى من الاصناف وما يحضر منها الى المارستان ومباشرين لاستخراج مال الوقف ومباشرين فى المطبخ ومباشرين فى عمـارة الاوقاف التي تتعلق به وقرر في القبـة خمسين مقرئا يتناوبون قراءة القرآن ليـلا ونهارا ورتب بها اماما راتبا وجعل بها رئيسا للمؤذنين عند مايؤذنون فوق منارة ليس فى أقليم مصر اجل منها ورتب بهذه القبة درسا لتفسـير القرآن فيه مدرس ومعيدان وثلاثون طالبا ودرس حديث نبوى وجعل بها خزانة كتب وستة خدام طواشيـة لا يزالون بها ورتب بالمدرسة اماما راتبا ومتصـدرا لاقراء القرآن ودروسا أربعة للفقه على المذاهب الاربعة ورتب بمكتب السبيل معلمين يقرئان الايتام ورتب للايتـام رطلين من الخبز فى كل يوم لكل يتيم مع كسوة الشتاء والصيف فلما ولى الامـير جمال الدين أقوش نائب الكرك نظر المارستان أنشأ به قاعة للمرضى ونحت الحجارة المبني بها الجدر كلها حتي صارت كأنها جديدة وجدد تذهيب الطراز بظاهر المدرسة والقبة وعمل خيمـة تظل الاقفاص طولها مائة ذراع قام بذلك من ماله دون مال الوقف ونقل أيضاً حوض ماء كان برسم شرب البهائم من جانب باب المارستان وأبطله لتأذى الناس بنتن رائحة مايجتمع قدامه من الاوساخ وانشأ سبيل ماء يشرب منه الناس عوض الحوض المذكور وقد تورع طائفة من أهل الديانة عن الصلاة في المدرسة المنصورية والقبة وعابوا المارستان لكثرة عسف الناس فى عمله وذلك انه لما وقع اختيار السلطان على عمل الدار القطبيـة مارستانا ندب الطواشى حسام الدين بلالا المغيثي للكلام في شرائها فساس الامر فى ذلك حتي أنعمت مؤنسة خاتون ببيعها على أن تعوض عنها بدار تلمها وعيالها فعوضت قصر الزمرذ برحبة باب العيد مع مبلغ مال حمل اليها ووقع البيع على هذا فندب السلطان الامير سنجر الشجاعي للعمارة فأخرج النساء من القطبية من غير مهلة وأخذ ثلثمائة أسـير وجمع صناع القاهرة ومصر وتقدم اليهم بأن يعملوا بأجمهم في الدار القطبية ومنعهم أن يعملوا لاحد فى المدينتين شغلا وشدد عليهم في ذلك وكان مهابا فلازموا العمل عنده ونقل من قلعة الروضة ما احتاج اليه من العمد الصوان والعمـد الرخام والقواعد والاعتاب والرخام البديع وغير

ذلك وصار يركب اليها كل يوم وينقل الانقاض المذكورة على العجل الى المارستان ويعود الى المارستان فيقف مع الصناع على الاساقيل حتى لايتوانوا فى عملهم وأوقف مماليكه بين القصرين فكان اذا مر أحد ولو جل ألزموه أن يرفع حجرا ويلقيه فى موضع العمارة فينزل الجندي والرئيس عن فرسه حتى يفعل ذلك فترك أكثر الناس المرور من هناك ورتبوا بعد الفراغ من العمارة وترتيب الوقف فتيا صورتها مايقول أئمة الدين فى موضع أخرج أهله منه كرها وعمر بمستحثين يعسفون الصناع وأخرب ماعمره الغير ونقل اليه ما كان فيه فعمر به هل تجوز الصلاة فيه أم لا فكتب جماعة من الفقهاء لاتجوز فيه الصلاة فمازال المجد عيسي بن الخشاب حتى أوقف الشجاعي على ذلك فشق عليه وجمع القضاة ومشايخ العلم بالمدرسة المنصورية وأعلمهم بالفتيا فلم يجبه أحد منهم بشيء سوى الشيخ محمد المرجانى فانه قال أنا افتيت بمنع الصلاة فيها وأقول الآن انه يكره الدخول من بابها ونهض قائما فانفض الناس واتفق أيضا أن الشجاعي مازال بالشيخ محمد المرجانى يلح فى سؤاله أن يعمل ميعاد وعظ بالمدرسة المنصورية حتى أجاب بعد تمنع شديد فحضر الشجاعي والقضاة وأخذ المرجانى في ذكر ولاة الامور من الملوك والامراء والقضاة وذم من يأخذ الاراضى غصبا ويستحث العمال في عمارته وينقص من اجورهم وختم بقوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتي ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا وقام فسأله الشجاعي الدعاء له فقال ياعلم الدين قد دعا لك ودعا عليك من هو خير منى وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهمّ من ولى من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به ومن شق عليهم فاشقق عليه وانصرف فصار الشجاعي من ذلك فى قلق وطلب الشيخ تقى الدين محمد بن دقيق العيد وكان له فيه اعتقاد حسن وفاوضه في حديث الناس في منع الصلاة فى المدرسة وذكر له أن السلطان انما أراد محاكاة نور الدين الشهيد والاقتداء به لرغبته فى عمل الخير فوقع الناس في القدح فيه ولم يقدحوا في نور الدين فقال له ان نور الدين أسر بعض ملوك الفرنج وقصد قتله ففدى نفسه بتسليم خمسة قلاع وخمسمائة ألف دينار حتى أطلقه فمات فى طريقه قبل وصوله مملكته وعمر نور الدين بذلك المال مارستانه بدمشق من غير مستحث فمن أين ياعلم الدين تجد مالا مثل هذا المال وسلطانا مثل نور الدين غير أن السلطان له نيته وأرجو له الخير بعمارة هذا الموضع وأنت ان كان وقوفك في عمله بنية نفع الناس فلك الاجر وان كان لاجل أن يعلم أستاذك علو همتك فما حصلت على شئ فقال الشجاعى الله المطلع على النيات وقرر ابن دقيق العيد فى تدريس القبة * ( قال مؤلفه ) ان كان التحرج من الصلاة لاجل أخذ الدار القطبية من أهلها بغير رضاهم واخراجهم منها بعسف واستعمال أنقاض القلعة بالروضة فلعمرى ماتملك بني أيوب الدار القطبية وبناؤهم قلعة الروضة واخراجهم

أهل القصور من قصورهم التى كانت بالقاهرة واخراج سكان الروضة من مساكنهم الا كأخذ قلاون الدار المذكورة وبنائها بما هدمه من القلعة المذكورة واخراج مؤنسة وعيالها من الدار القطبية وأنت ان امعنت النظر وعرفت ماجرى تبين لك أن ماالقوم الا سارق من سارق وغاصب من غاصب وان كان التحرج من الصلاة لاجل عسف العمال وتسخير الرجال فشيء آخر بالله عرفني فاني غير عارف من منهم لم يسلك في أعماله هذا السبيل غير أن بعضهم أظلم من بعض وقد مدح غير واحد من الشعراء هذه العمارة منهم شرف الدين البوصيرى فقال

ومدرسة ود الخورنق انه * لديها حقير والسدير غدير
مدينة علم والمدارس حولها * قرى أو نجوم بدرهن منير
تبدت فأخفى الظاهرية نورها * وليس بظهر للنجوم ظهور
بناء كأن النحل هندس شكله * ولانت له كالشمع فيه صخور
بناها سعيد في بقاع سعيدة * بها سعدت قبل المدارس نور
ومن حيثما وجهت جهك نحوها * تلقتك منها نضرة وسرور
اذا قام يدعوا الله فيها مؤذن * فما هو الا للنجوم سمير

* ( المارستان المؤيدى ) *

هذا المارستان فوق الصوة تجاه طبلخاناه قلعة الجبل حيث كانت مدرسة الأشرف شعبان ابن حسين التى هدمها الناصر فرج بن برقوق وبابه هو حيث كان باب المدرسة الا انه ضيق عما كان * أنشأه المؤيد شيخ في مدة أولها جمادي الآخرة سنة احدى وعشرين وثمانمائة وآخرها رجب سنة ثلاث وعشرين ونزل فيه المرضي في نصف شعبان وعملت مصارفه من جملة أوقاف الجامع المؤيدى المجاور لباب زويلة فلما مات الملك المؤيد في ثامن المحرم سنة أربع وعشرين تعطل قليلا ثم سكنه طائفة من العجم المستجدين في ربيع الاول منها وصار منزلا للرسل الواردين من البلاد الى السلطان ثم عمل فيه منبر ورتب له خطيب وامام ومؤذنون وبواب وقومة وأقيمت به الجمعة في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة فاستمر جامعا تصرف معاليم أرباب وظائفه المذكورين من وقف الجامع المؤيدى

* ( ذكر المساجد ) *

قال ابن سيده المسجد الموضع الذى يسجد فيه وقال الزجاج كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد الا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال جعلت لى الارض مسجدا وطهورا وقوله عز وجل ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيه اسمه المعنى على هذا المذهب انه من أظلم ممن خالف قبلة الاسلام وقد كان حكمه أن لايجيء على مفعل لان حق اسم المكان

والمصدر من فعل يفعل أن يجيء على مفعل ولكنه أحد الحروف التي شذت فجاءت على مفعل * قال سيبويه وأما المسجد فانهم جعلوه اسما للبيت ولم يأت على فعل يفعل كما قال في المدق انه اسم للجلود يعني انه ليس على الفعل ولو كان على الفعل لقيل مدق لانه آلة والآلات تجيء على مفعل كمخزن ومكنس ومكسح والمسجدة الخمرة المسجود عليها وقوله تعالى وأن المساجد لله قيل هي مواضع السجود من الانسان الجبهة واليدان والركبتان والرجلان * وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني في كتاب النقط على الخطط عن القاضي أبي عبد الله القضاعي انه كان في مصر الفسطاط من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد * وقال المسيحي في حوادث سنة ثلاث وأربعمائة وأحصى أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله المساجد التي لا غلة لها فكانت ثمانمائة مسجد فأطلق لها في كل شهر من بيت المال تسعة آلاف ومائتين وعشرين درهما وفي سنة خمس وأربعمائة حبس الحاكم بأمر الله سبع ضياع منها اطفيح وطوخ على القراء والمؤذنين بالجوامع وعلى ملء المصانع والمارستان وفي ثمن الاكفان * وذكر ابن المتوج أن عدة المساجد بمصر في زمنه أربعمائة وثمانون مسجدا ذكرها

* المسجد بجوار دير البعل ) *

قد تقدم ( ٣ ) في أخبار الكنائس والديارات من هذا الكتاب خبر دير البعل وانه يعرف بدير الفطير ولما كان في سنة خمس وسبعين وستمائة خرج جماعة من المسلمين الى دير البعل فرأوا آثار محاريب بجوار الدير فعرفوا الصاحب بهاء الدين بن حنا ذلك فسير المهندسين لكشف ماذكر فعادوا اليه وأخبروه انه آثار مسجد فشاور الملك الظاهر بيبرس وعمره مسجدا بجانب الدير وهو عامر الى الآن وبت به وهو من أحسن مشترفات مصر وله وقف جيد ومرتب يقوم به نصارى الدير

* ( مسجد ابن الجياس * )

هذا المسجد خارج باب زويلة بالقرب من مصلى الاموات دون باب اليانسية عرف بالشيخ أبي عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن جوشن المعروف بابن الجياس بجيم وباء موحدة بعدها ألف وسين مهملة القرشي العقيلي الفقيه الشافعي المقرئ كان فاضلا صالحا زاهدا عابدا مقرئا كتب بخطه كثيرا وسمع الحديث النبوي ومولده يوم السبت سابع عشر ذي القعدة سنة أثنتين وثلاثين وستمائة بالقاهرة ووفاته ( ٣ )

* ( مسجد ابن البناء ) *

هذا المسجد داخل باب زويلة وتسميه العوام سام بن نوح النبي عليه السلام وهو من

---

( ٣ ) ( قوله قد تقدم الخ ) فيه انه لم يتقدم ذلك وانما أخبار الكنائس والديارات سيأتي ذكرها في آخر الكتاب اه مصححه

مختلقاتهم التى لا اصل لها وانما يعرف بمسجد ابن البناء وسام بن نوح لعله لم يدخل أرض مصر البتة فان الله سبحانه وتعالى لما نجى نبيه نوحا من الطوفان خرج معه من السفينة أولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافث ومن هذه الثلاثة ذرأ الله سائر بنى آدم كما قال تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فقسم نوح الارض بين أولاده الثلاثة * فصار لسام بن نوح العراق وفارس الى الهند ثم الى حضر موت وعمان والبحرين وعالج ويبرين والدوو وبار والدهناء وسائر أرض اليمن والحجاز ومن نسله الفرس والسريانيون والعبرانيون والعرب والنبط والعماليق وصار لحام بن نوح الجنوب مما يلى أرض مصر مغربا الى المغرب الاقصى ومن نسله الحبشة والزنج والقبط سكان مصر وأهل النوبة والافارقة أهل افريقية وأجناس البربر * وصار ليافث ابن نوح بحر الخزر مشرقا الى الصين ومن نسله الصقالبة والفرنج والروم والغوط وأهل الصين واليونانيون والترك * وقد بلغني أن هذا المسجد كان كنيسة لليهود القرايين تعرف بسام بن نوح وأن الحاكم بأمر الله أخذ هذه الكنيسة لما هدم الكنائس وجعلها مسجدا وتزعم اليهود القرايون الآن بمصر أن سام بن نوح مدفون هنا وهم الى الآن يحلفون من أسلم منهم بهذا المسجد أخبرنى به قاضى اليهود ابراهيم بن فرج الله بن عبد الكافي الداودى العانانى وليس هذا بأول شيء اختلقته العامة * ( وابن البناء ) هذا هو محمد بن عمر بن أحمد بن جامع بن البناء أبو عبد الله الشافعي المقرئ سمع من القاضى مجلى وأبى عبد الله الكيزانى وغيره وحدث وأقرأ القرآن وانتفع به جماعة وهو منقطع بهذا المسجد وكان يعرف خطه بخط بين البابين ثم عرف بخط الاقفاليين ثم هو الآن يعرف بخط الضبيبين وباب القوس * ومات ابن البناء هذا في العشر الاوسط من شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وخمسمائة واتفق لى عند هذا المسجد أمر عجيب وهو أنى مررت من هناك يوما أعوام بضع وثمانين وسبعمائة والقاهرة يومئذ لايمر الانسان بشارعها حتى يلقى عناء من شدة ازدحام الناس لكثرة مرورهم ركبانا ومشاة فعند ماحاذيت أول هذا المسجد اذا برجل يمشى أمامى وهو يقول لرفيقه والله ياأخى مامررت بهذا المكان قط الا وانقطع نعلى فوالله مافرغ من كلامه حتي وطئ شخص من كثرة الزحام على مؤخر نعله وقدم رجله ليخطو فانقطع تجاه باب المسجد فكان هذا من عجائب الامور وغرائب الاتفاق

* ( مسجد الحلبيين ) *

هذا المسجد فيما بين باب الزهومة ودرب شمس الدولة على يسرة من سلك من حمام خشيبة طالبا البندقانيين بني على المكان الذى قتل فيه الخليفة الظافر نصر بن عباس الوزير ودفنه تحت الارض فلما قدم طلائع بن رزيك من الاشمونين الى القاهرة باستدعاء أهل القصر له ليأخذ بثار الخليفة وغلب على الوزارة استخرج الظافر من هذا الموضع ونقله الى

تربة القصر وبني موضعه هذا المسجد وسماه المشهد وعمل له بابين أحدهما هذا الباب الموجود والباب الثاني كان يتوصل منه الى دار المأمون البطائحي التي هي اليوم مدرسة تعرف بالسيوفية وقد سد هذا الباب وما برح هذا المسجد يعرف بالمشهد الى أن انقطع فيه محمد بن أبي الفضل ابن سلطان بن عمار بن تمام أبو عبد الله الحلبي الجعبري المعروف بالخطيب وكان صالحاً كثير العبادة زاهدا منقطعا عن الناس ورعا وسمع الحديث وحدث وكان مولده في شهر رجب سنة أربع وعشرين وستمائة بقلعة جعبر ووفاته بهذا المسجد وقد طالت اقامته فيه يوم الاثنين سادس عشر جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ودفن بمقابر باب النصر رحمه الله وهذا المسجد من أحسن مساجد القاهرة وأبهجها

* ( مسجد الكافوري ) *

هذا المسجد كان في البستان الكافوري من القاهرة بناه الوزير المأمون أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحي في سنة ست عشرة وخمسمائة وتولى عمارته وكيله أبو البركات محمد ابن عثمان وكتب اسمه عليه وهو باق الى اليوم بخط الكافوري ويعرف هناك بمسجد الخلفاء وفيه نخل وشجر وهو مرخم برخام حسن

* ( مسجد رشيد ) *

هذا المسجد خارج باب زويلة بخط تحت الربع على يسرة من سلك من دار التفاح يريد قنطرة الخرق بناه رشيد الدين البهائي

* ( المسجد المعروف بزرع النوى ) *

هذا المسجد خارج باب زويلة بخط سوق الطيور على يسرة من سلك من رأس المنجبية طالبا جامع قوصون والصليبة وتزعم العامة انه بني على قبر رجل يعرف بزرع النوي وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أيضاً من افتراء العامة الكذب فان الذين افردوا أسماء الصحابة رضى الله عنهم كالامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري في تاريخه الكبير وابن أبي خيثمة والحافظ أبي عبد الله بن منده والحافظ ابي نعيم الاصفهاني والحافظ أبي عمر بن عبد البر والفقيه الحافظ أبي محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم لم يذكر أحد منهم صحابياً يعرف بزرع النوى وقد ذكر في أخبار القرافة من هذا الكتاب من قبر بمصر من الصحابة وذكر في أخبار مدينة فسطاط مصر أيضا من دخل مصر من الصحابة وليس هذا منهم وهذا ان كان هناك قبر فهو لامين الامناء أبي عبد الله الحسين بن طاهر الوزان وكان من أمره أن الخليفة الحاكم بأمر الله أبا على منصور بن العزيز بالله خلع عليه للوساطة بينه وبين الناس والتوقيع عن الحضرة في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وأربعمائة وكان قبل ذلك يتولى بيت المال فاستخدم فيه أخاه أبا الفتح مسعودا وكان قد ظفر بمال يكون عشرات

وصياغات وأمتعة وطرائف وفرش وغير ذلك في عدة آدر بمصر وجميعه مماخلفه قائد القواد الحسين بن جوهر القائد فباع المتاع واضاف ثمنه الى العين فحصل منه مال كثير وطالع الحاكم بأمر الله به أجمع لورثة قائد القواد ولم يتعرض منه لشيء وكثرت صلات الحاكم وعطاؤه وتوقيعاته فانطلق فى ذلك فاتصل به عن أمين الامناء بعض التوقف فخرجت اليه رقعة بخطه في الثامن والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وأربعمائة نسختها بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله كما هو أهله

اصبحت لا أرجو ولا اتقى * الا الهى وله الفضل

جدى نبي وامامى أبى * ودينى الاخلاص والعدل

ماعندكم ينفد وما عند الله باق المال مال الله عز وجل والخلق عيال الله ونحن أمناؤه في الارض أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام * ولم يزل على ذلك الى أن بطل أمره في جمادي الآخرة من سنة خمس وأربعمائة وذلك انه ركب مع الحاكم على عادته فلما حصل بحارة كتامة خارج القاهرة ضرب رقبته هناك ودفن فى هذا الموضع تخمينا واستحضر الحاكم جماعة الكتاب بعد قتله وسأل رؤساء الدواوين عما يتولاه كل واحد منهم وأمرهم بلزوم دواوينهم وتوفرهم على الخدمة وكانت مدة نظر ابن الوزان في الوساطة والتوقيع عن الحضرة وهى رتبة الوزارة سنتين وشهرين وعشرين يوما وكان توقيعه عن الحضرة الامامية الحمد لله وعليه توكلى

* ( مسجد الذخيرة ) *

هذا المسجد تحت قلعة الجبل بأول الرميلة تجاه شبابيك مدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاون التى تلي بابها الكبير الذى سده الملك الظاهر برقوق أنشأه ذخيرة الملك جعفر متولى الشرطة * قال ابن المأمون فى تاريخه وفى هذه السنة يعنى سنة ست عشرة وخمسمائة استخدم ذخيرة الملك جعفر في ولاية القاهرة والحسبة بسجل أنشأه ابن الصيرفى وجرى من عسفه وظلمه ماهو مشهور وبنى المسجد الذى مابين الباب الجديد الى الجبل الذى هو به معروف وسمي مسجد لابالله بحكم انه كان يقبض الناس من الطريق ويعسفهم فيحلفونه ويقولون له لابالله فيقيدهم ويستعملهم فيه بغير أجرة ولم يعمل فيه منذ أنشاه الا صانع مكره أو فاعل مقيد وكتبت عليه هذه الابيات المشهورة

بني مسجدا لله من غير حله * وكان بحمد الله غير موفق

كمطعمة الايتام من كد فرجها * لك الويل لاتزنى ولا تتصدقى

---

( ٣ ) ( قوله يكون عشرات ) هكذا في النسخ وانظر مامعناه ولعل المراد مابين نقود وصياغات الخ كما يؤخذ مما بعد وليحرر اه مصححه

وكان قد أبدع في عذاب الجناة وأهل الفساد وخرج عن حكم الكتاب فابتلى بالامراض الخارجة عن المعتاد ومات بعد ماعجل الله له ماقدمه وتجنب الناس تشييعه والصلاة عليه وذكر عنه في حالتي غسله وحلوله بقبره مايعيذ الله كل مسلم من مثله وقال ابن عبد الظاهر مسجد الذخيرة تحت قلعة الجبل وذكر ماتقدم عن ابن المأمون

* ( مسجد رسلان ) *

هذا المسجد بحارة اليانسية عرف بالشيخ الصالح رسلان لاقامته به وقد حكيت عنه كرامات ومات به في سنة احدى وتسعين وخمسمائة وكان يتقوت من أجرة خياطته للثياب وابنه عبد الرحمن بن محمد بن رسلان أبو القاسم كان فقيها محدثا مقرئاً مات في سنة سبع وعشرين وستمائة

* ( مسجد ابن الشيخي ) *

هذا المسجد بخط الكافوري مما يلي باب القنطرة وجهة الخليج مجاور لدار ابن الشيخي أنشأه المهتار ناصر الدين محمد بن علاء الدين على الشيخي مهتار السلطان بالاصطبلات السلطانية وقرر فيه شيخنا تقى الدين محمد بن حاتم فكان يعمل فيه ميعادا يجتمع الناس فيه لسماع وعظه وكان ابن الشيخي هذا حشما فخورا خيرا يحب أهل العلم والصلاح ويكرمهم ولم نر بعده في رتبته مثله ومات ليلة الثلاثاء أول يوم من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة

*( مسجد يانس )*

هذا المسجد كان تجاه باب سعادة خارج القاهرة * قال ابن المأمون في تاريخه وكان الاجل المأمون يعني الوزير محمد بن فاتك البطائحي قد ضم اليه عدة من مماليك الافضل بن أمير الجيوش من جملتهم يانس وجعله مقدما على صبيان مجلسه وسلم اليه بيت ماله وميزه في رسومه فلما رأى المذكور في ليلة النصف من شهر رجب يعني سنة ست عشرة وخمسمائة ماعمل فى المسجد المستجد قبالة باب الخوخة من الهمة ووفور الصدقات وملازمة الصلوات وماحصل فيه من المثوبات كتب رقعة يسأل فيها أن يفسح له في بناء مسجد بظاهر باب سعادة فلم يجبه المأمون الى ذلك وقال له ما ثم مانع من عمارة المساجد وأرض الله واسعة وانما هذا الساحل فيه معونة للمسلمين وموردة للسقائين وهو مرسى مراكب الغلة والمضرة في مضايقة المسلمين فيه منه ولو لم يكن المسجد المستجد قبالة باب الخوخة محرسا لما استجد حتي انا لم نخرج بساحته الاولى فان أردت أن تبني قبلي مسجد الريفى أو على شاطئ الخليج فالطريق ثم سهلة فقبل الارض وامتثل الامر فلما قبض على المأمون وأمر الخليفة يانس المذكور ولم يزل ينقله الى أن استخدمه فى حجبة بابه سأله في مثل ذلك فلم يجبه الى أن

أخذ الوزارة فبناه في المكان المذكور وكانت مدته يسيرة فتوفى قبل اتمامه واكماله فكمله أولاده بعد وفاته انتهى وقد تقدم خبر وزارة أبي الفتح ناظر الجيوش يانس الارمني هذا عند ذكر الحارة اليانسية من هذا الكتاب

*( مسجد باب الخوخة )*

هذا المسجد تجاه باب الخوخة بجوار مدرسة أبي غالب * قال ابن المأمون فى تاريخه من حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة ولما سكن المأمون الاجل دار الذهب ومامعها يعني في أيام النيل للنزهة عند سكن الخليفة الآمر بأحكام الله بقصر اللؤلؤة المطل على الخليج رأى قبالة باب الخوخة محرسا فاستدعى وكيله وأمره بأن يزيل المحرس المذكور ويبنى موضعه مسجدا وكان الصناع يعملون فيه ليلا ونهارا حتى انه تفطر بعد ذلك واحتيج الى تجديده

*( المسجد المعروف بمعبد موسى )*

هذا المسجد بخط الركن المخلق من القاهرة تجاه باب الجامع الاقمر المجاور لحوض السبيل وعلى يمنة من سلك من بين القصرين طالبا رحبة باب العيد أول من اختطه القائد جوهر عند ماوضع القاهرة قال ابن عبد الظاهر ولما بني القائد جوهر القصر دخل فيه دير العظام وهو المكان المعروف الآن بالركن المخلق قبالة حوض الجامع الاقمر وقريب دير العظام والمصريون يقولون بئر العظمة فكره أن يكون في القصر دير فنقل العظام التي كانت به والرمم الى دير بناه في الخندق لانه كان يقال انها كانت عظام جماعة من الحواريين وبني مكانها مسجدا من داخل السور يعني سور القصر * وقال جامع سيرة الظاهر بيبرس وفي ذى الحجة سنة ستين وستمائة ظهر بالمسجد الذي بالركن المخلق من القاهرة حجر مكتوب عليه هذا معبد موسى بن عمران عليه السلام فجددت عمارته وصار يعرف بمعبد موسى من حينئذ ووقف عليه ربع بجانبه وهو باق الى وقتنا هذا

*( مسجد نجم الدين )*

هذا المسجد ظاهر باب النصر أنشأه الملك الافضل نجم الدين أبو سعيد أيوب بن شادي يعقوب بن مروان الكردى والد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وجعل الى جانبه حوض ماء للسبيل ترده الدواب فى سنة ست وستين وخمسمائة ونجم الدين هذا قدم هو وأخوه أسد الدين شيركوه من بلاد الاكراد الى بغداد وخدم بها وترقي في الخدم حتى صار دزدارا بقلعة تكريت ومعه أخوه ثم انه انتقل عنها الى خدمة الملك المنصور عماد الدين أتابك زنكى بالموصل فخدمه حتى مات فتعلق بخدمة ابنه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى فرقاه وأعطاه بعلبك وحج من دمشق سنة خمس وخمسمائة فلما قدم ابنه صلاح الدين يوسف

ابن أيوب مع عمه أسد الدين شيركوه من عند نور الدين محمود الى القاهرة وصار الى وزارة العاضد بعد موت شيركوه قدم عليه أبوه نجم الدين في جمادى الآخرة سنة خمس وستين وخمسمائة وخرج العاضد الى لقائه وأنزله بمناظر اللؤلؤة فلما استبد صلاح الدين بسلطنة مصر بعد موت الخليفة العاضد أقطع أباه نجم الدين الاسكندرية والبحيرة الى أن مات بالقاهرة في يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثمان وستين وخمسمائة وقيل في ثامن عشره من سقطة عن ظهر فرسه خارج باب النصر فحمل الى داره فمات بعد أيام وكان خيرا جوادا متدينا محبا لاهل العلم والخير وما مات حتى رأى من أولاده عدة ملوك وصار يقال له أبو الملوك ومدحه العماد الأصبهاني بعدة قصائد ورثاه الفقيه عمارة بقصيدته التى أولها

هى الصدمة الاولى فمن بان صبره * على هول ملقاه تعاظم أمره

*( مسجد صواب )*

هذا المسجد خارج القاهرة بخط الصليبة عرف بالطواشى شمس الدين صواب مقدم المماليك السلطانية ومات فى ثامن رجب سنة اثنتين وأربعين وستمائة ودفن به وكان خيرا دينا فيه صلاح

*( المسجد بجوار المشهد الحسينى )*

هذا المسجد انهى فى مستهل شهر رجب سنة اثنتين وستين وستمائة للملك الظاهر ركن الدين بيبرس وهو بدار العدل أن مسجدا على باب مشهد السيد الحسين عليه السلام والى جانبه مكان من حقوق القصر بيع وحمل ثمنه للديوان وهو ستة آلاف درهم فسأل السلطان عن صورة المسجد وهذا الموضع وهل كل منهما بمفرده أو عليهما حائط دائر فقيل له ان بينهما زرب قصب فأمر برد المبلغ وابقى الجميع مسجدا وأمر بعمارة ذلك مسجدا لله تعالى

*( مسجد الفجل )*

هذا المسجد بخط بين القصرين تجاه بيت البيسرى أصله من مساجد الخلفاء الفاطميين أنشأه على ماهو عليه الآن الامير بشتاك لما أخذ قصر أمير سلاح ودار أقطوان الساقى وأحد عشر مسجدا وأربعة معابد كانت من عمارة الخلفاء وأدخلها فى عمارته التى تعرف اليوم بقصر بشتاك ولم يترك من المساجد والمعابد سوى هذا المسجد فقط ويجلس فيه بعض نواب القضاة المالكية للحكم بين الناس وتسميه العامة مسجد الفجل وتزعم أن النيل الاعظم كان يمر بهذا المكان وأن الفجل كان يغسل موضع هذا المسجد فعرف بذلك وهذا القول كذب لا أصل له وقد تقدم فى هذا الكتاب ماكان عليه موضع القاهرة قبل بنائها وماعلمت أن النيل كان يمر هناك ابدا وبلغني انه عرف بمسجد الفجل من أجل أن الذي كان يقوم به كان يعرف بالفجل والله أعلم

* ( مسجد تبر ) *

هذا المسجد خارج القاهرة مما يلى الخندق عرف قديما بالبئر والجميزة وعرف بمسجد تبر وتسميه العامة مسجد التبن وهو خطأ وموضعه خارج القاهرة قريبا من المطرية قال القضاعى مسجد تبر بني على رأس ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن على بن أبى طالب رضي الله عنه انفذه المنصور فسرقه أهل مصر ودفنوه هناك وذلك فى سنة خمس وأربعين ومائة ويعرف بمسجد البئر والجميزة وقال الكندى فى كتاب الامراء ثم قدمت الخطباء الى مصر برأس ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن على بن أبى طالب في ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومائة لينصبوه في المسجد الجامع وقامت الخطباء فذكروا أمره * وتبر هذا أحد الامراء الاكابر في ايام الاستاذ كافور الاخشيدي فلما قدم جوهر القائد من المغرب بالعساكر ثار تبر الاخشيدى هذا فى جماعة من الكافورية والاخشيدية وحاربه فانهزم بمن معه الى اسفل الارض فبعث جوهر يستعطفه فلم يجب وأقام على الخلاف فسير اليه عسكرا حاربه بناحية صهرجت فانكسر وصار الى مدينة صور التى كانت على الساحل فى البحر فقبض عليه بها وأدخل الى القاهرة على فيل فسجن الى صفر سنة ستين وثلثمائة فاشتدت المطالبة عليه وضرب بالسياط وقبضت أمواله وحبس عدة من أصحابه بالمطبق في القيود الى ربيع الآخر منها فجرح نفسه واقام أياما مريضا ومات فسلخ بعد موته وصلب عند كرسي الجبل * وقال ابن عبد الظاهر انه حشى جلده تبنا وصلب فربما سمت العامة مسجده بذلك لما ذكرناه وقيل ان تبرا هذا خادم الدولة المصرية وقبره بالمسجد المذكور قال مؤلفه هذا وهم وانما هو تبر الاخشيدى

* ( مسجد القطبية ) *

هذا المسجد كان حيث المدرسة المنصورية بين القصرين والله أعلم

* ( ذكر الخوانك ) *

الخوانك جمع خانكاه وهى كلمة فارسية معناها بيت وقيل أصلها خونقاه أى الموضع الذى يأكل فيه الملك والخوانك حدثت في الاسلام فى حدود الاربعمائة من سني الهجرة وجعلت لتخلى الصوفية فيها لعبادة الله تعالى * قال الاستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى رحمه الله اعلموا أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتسم افاضلهم فى عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لافضيلة فوقها فقيل لهم الصحابة ولما أدرك أهل العصر الثانى سمى من صحب الصحابة التابعين ورأوا ذلك أشرف سمة ثم قيل لمن بعدهم اتباع التابعين ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص خواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد ثم ظهرت البدع وحصل التداعي

بين الفرق فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادا فانفرد خواص أهل السنة المراعون انفسهم مع الله الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الاكابر قبل المائتين من الهجرة قال وهذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل صوفي وللجماعة الصوفية ومن يتوصل الى ذلك يقال له متصوف وللجماعة المتصوفة وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والاظهر فيه انه كاللقب فاما قول من قال انه من الصوف وتصوف اذا لبس الصوف كما يقال تقمص اذ لبس القميص فذلك وجه ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف ومن قال انهم ينسبون الى صفة مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم فالنسبة الى الصفة لاتجيء على نحو الصوفي ومن قال انه من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد فى مقتضى اللغة وقول من قال انه مشتق من الصف فكأنهم فى الصف الاول بقلوبهم من حيث المحاضرة مع الله تعالى فالمعنى صحيح لكن اللغة لاتقتضى هذه النسبة من الصف ثم ان هذه الطائفة اشهر من أن يحتاج في تعيينهم الى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق والله اعلم * وقال الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد السهروردى رحمه الله والصوفي يضع الاشياء في مواضعها ويدبر الاوقات والاحوال كلها بالعلم يقيم الخلق مقامهم ويقيم أمر الحق مقامه ويستر ماينبغي أن يستر ويظهر ماينبغى أن يظهر ويأتي بالامور من مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق واخلاص فقوم من المفتونين لبسوا ألبسة الصوفية لينسبوا اليهم وماهم منهم بشئ بل هم فى غرور وغلط يتسترون بلبسة الصوفية توقيا تارة ودعوة أخرى وينتهجون مناهج أهل الاباحة ويزعمون أن ضمائرهم خلصت الى الله تعالى وأن هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوام والقاصرين الافهام وهذا هو عين الالحاد والزندقة والابعاد ولله در القائل

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا * فيه وظنوه مشتقا من الصوف
ولست انحل هذا الاسم غير فتى * صافي وصوفي حتي سمي الصوفى

قال مؤلفه ذهب والله ماهنالك وصارت الصوفية كما قال الشيخ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى

ماشروط الصوفي في عصرنا اليوم سوى ستة بغير زياده
وهي نيك العلوق والسكر والسطلة والرقص والغنا والقياده
واذا ماهذى وأبدى اتحادا * وحلولا من جهله أو اعاده
واتى المنكرات عقلا وشرعا * فهو شيخ الشيوخ ذو السجاده

ثم تلاشى الآن حال الصوفية ومشايخها حتي صاروا من سقط المتاع لاينسبون الى علم ولا ديانة والي الله المشتكى * وأول من اتخذ بيتا للعبادة زيد بن صوحان بن صبرة وذلك

انه عمد الى رجال من أهل البصرة قد تفرغوا للعبادة وليس لهم تجارات ولا غلات فبنى لهم دورا وأسكنهم فيها وجعل لهم مايقوم بمصالحهم من مطعم ومشرب وملبس وغيره فجاء يوما ليزورهم فسأل عنهم فاذا عبد الله بن عامر عامل البصرة لامير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه قد دعاهم فأتاه فقال له ياابن عامر ماتريد من هؤلاء القوم قال أريد أن أقربهم فيشفعوا فأشفعهم ويسألوا فأعطيهم ويشيروا على فأقبل منهم فقال لا ولا كرامة فتأتى الى قوم قد انقطعوا الى الله تعالى فتدنسهم بدنياك وتشركهم فى أمرك حتى اذا ذهبت أديانهم أعرضت عنهم فطاحوا لاالى الدنيا ولا الى الآخرة قوموا فارجعوا الى مواضعكم فقاموا فأمسك ابن عامر فما نطق بلفظة ذكره أبو نعيم

*( الخانكاه الصالحية دار سعيد السعداء دويرة الصوفية )*

هذه الخانكاه بخط رحبة باب العيد من القاهرة كانت أولا دارا تعرف في الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء وهو الاستاذ قنبر ويقال عنبر وذكر ابن ميسر أن اسمه بيان ولقبه سعيد السعداء أحد الاستاذين المحنكين خدام القصر عتيق الخليفة المستنصر قتل فى سابع شعبان سنة أربع وأربعين وخمسمائة ورمى برأسه من القصر ثم صلبت جثته بباب زويلة من ناحية الخرق وكانت هذه الدار مقابل دار الوزارة فلما كانت وزارة العادل رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك سكنها وفتح من دار الوزارة اليها سردابا تحت الارض لبر فيه ثم سكنها الوزير شاور بن مجير في أيام وزارته ثم ابنه الكامل فلما استبد الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى بملك مصر بعد موت الخليفة العاضد وغير رسوم الدولة الفاطمية ووضع من قصر الخلافة وأسكن فيه أمراء دولته الاكراد عمل هذه الدار برسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة ووقفها عليهم في سنة تسع وستين وخمسمائة وولى عليهم شيخا ووقف عليهم بستان الحبانية بجوار بركة الفيل خارج القاهرة وقيسارية الشراب بالقاهرة وناحية دهمرو من البهنساوية وشرط أن من مات من الصوفية وترك عشرين دينارا فما دونها كانت للفقراء ولا يتعرض لها الديوان السلطانى ومن أراد منهم السفر يعطي تسفيره ورتب للصوفية فى كل يوم طعاما ولحما وخبزا وبنى لهم حماما بجوارهم فكانت أول خانكاه عملت بديار مصر وعرفت بدويرة الصوفية ونعت شيخها بشيخ الشيوخ واستمر ذلك بعده الى أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمانمائة واتضعت الاحوال وتلاشت الرتب فلقب كل شيخ خانكاه بشيخ الشيوخ وكان سكانها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح وترجى بركتهم وولى مشيختها الاكابر والاعيان كأولاد شيخ الشيوخ بن حمويه مع ما كان لهم من الوزارة والامارة وتدبير الدولة وقيادة الجيوش وتقدمة العساكر ووليها ذو الرياستين الوزير الصاحب قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن

ابن ذي الرياستين الوزير الصاحب قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الاعز وجماعة من الاعيان ونزل بها الاكابر من الصوفية وأخبرني الشيخ أحمد بن علي القصار رحمه الله أنه أدرك الناس في يوم الجمعة يأتون من مصر الى القاهرة ليشاهدوا صوفية خانقاه سعيد السعداء عند ما يتوجهون منها الى صلاة الجمعة بالجامع الحاكمي كي تحصل لهم البركة والخير بمشاهدتهم وكان لهم في يوم الجمعة هيئة فاضلة وذلك انه يخرج شيخ الخانقاه منها وبين يديه خدام الربعة الشريفة قد حملت على رأس أكبرهم والصوفية مشاة بسكون وخفر الى باب الجامع الحاكمي الذي يلي المنبر فيدخلون الى مقصورة كانت هناك على يسرة الداخل من الباب المذكور تعرف بمقصورة البسملة فانه بها الى اليوم بسملة قد كتبت بحروف كبار فيصلي الشيخ تحية المسجد تحت سحابة منصوبة له دائما وتصلي الجماعة ثم يجلسون وتفرق عليهم أجزاء الربعة فيقرؤن القرآن حتى يؤذن المؤذنون فتؤخذ الاجزاء منهم ويشتغلون بالتركع واستماع الخطبة وهم منصتون خاشعون فاذا قضيت الصلاة والدعاء بعدها قام قارئ من قراء الخانقاه ورفع صوته بقراءة ما تيسر من القرآن ودعا للسلطان صلاح الدين ولواقف الجامع ولسائر المسلمين فاذا فرغ قام الشيخ من مصلاه وسار من الجامع الى الخانقاه والصوفية معه كما كان توجههم الى الجامع فيكون هذا من أجمل عوايد القاهرة ومابرح الامر على ذلك الى أن ولي الامير يلبغا السالمي نظر الخانقاه المذكورة في يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وسبعمائة فنزل اليها وأخرج كتاب الوقف وأراد العمل بما فيه من شرط الواقف فقطع من الصوفية المنزلين بها عشرات ممن له منصب ومن هو مشهور بالمال وزاد الفقراء المجردين وهم المقيمون بها في كل يوم رغيفا من الخبز فصار لكل مجرد أربعة أرغفة بعد ما كانت ثلاثة ورتب بالخانقاه وظيفتي ذكر بعد صلاة العشاء الآخرة وبعد صلاة الصبح فكثر النكير على السالمي ممن أخرجهم وزاد الاشلاء فقال بعض أدباء العصر في ذلك

يا أهل خانقة الصلاح أراكم * ما بين شاك للزمان وشاتم

يكفيكم ما قد أكلتم باطلا * من وقفها وخرجتم بالسالم

وكان سبب ولاية السالمي نظر الخانقاه المذكورة أن العادة كانت قديما أن الشيخ هو الذي يتحدث في نظرها فلما كانت ايام الظاهر برقوق ولي مشيختها شخص يعرف بالشيخ محمد البلالي قدم من البلاد الشامية وصار للامير سودون الشيخوني نائب السلطنة بديار مصر فيه اعتقاد فلما سعي له في المشيخة واستقر فيها بتعيينه سأله أن يتحدث في النظر اعانة له فتحدث وكانت عدة الصوفية بها نحو الثلثمائة رجل لكل منهم في اليوم ثلاثة أرغفة زنتها ثلاثة أرطال خبز وقطعة لحم زنتها ثلث رطل في مرق ويعمل لهم الحلوى في كل شهر ويفرق

فيهم الصابون ويعطى كل منهم في السنة عن ثمن كسوة قدر أربعين درهما فنزل الامير سودون عندهم جماعة كثيرة عجز ريع الوقف عن القيام لهم بجميع ماذكر فقطعت الحلوى والصابون والكسوة ثم ان ناحية دهمرو شرقت فى سنة تسع وتسعين لقصور ماء النيل فوقع العزم على غلق مطبخ الخانقاه وابطال الطعام فلم تحتمل الصوفية ذلك وتكررت شكواهم للملك الظاهر برقوق فولى الامير يلبغا السالمي النظر وأمره أن يعمل بشرط الواقف فلما نزل الى الخانقاه وتحدث فيها أجتمع بشيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني وأوقفه على كتاب الوقف فأفتاه بالعمل بشرط الواقف وهو أن الخانقاه تكون وقفا على الطائفة الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة والقاطنين بالقاهرة ومصر فان لم يوجدوا كانت على الفقراء من الفقهاء الشافعية والمالكية الاشعرية الاعتقاد ثم انه جمع القضاة وشيخ الاسلام وسائر صوفية الخانقاه بها وقرأ عليهم كتاب الوقف وسأل القضاة عن حكم الله فيه فانتدب للكلام رجلان من الصوفية هما زين الدين أبو بكر القمني وشهاب الدين أحمد العبادى الحنفى وارتفعت الاصوات وكثر اللغط فأشار القضاة على السالمي أن يعمل بشرط الواقف وانصرفوا فقطع منهم نحو الستين رجلا منهم المذكوران فامتعض العبادى وغضب من ذلك وشنع بأن السالمي قد كفر وبسط لسانه بالقول فيه وبدت منه سماجات فقبض عليه السالمي وهو ماش بالقاهرة فاجتمع عدة من الاعيان وفرقوا بينهما فبلغ ذلك السلطان فأحضر القضاة والفقهاء وطلب العبادى في يوم الخميس ثامن شهر رجب وادعى عليه السالمي فاقتضى الحال تعزيره فعزر وكشف رأسه وأخرج من القلعة ماشياً بين يدى القضاة ووالى القاهرة الى باب زويلة فسجن بحبس الديلم ثم نقل منه الى حبس الرحبة فلما كان يوم السبت حادى عشره استدعى الى دار قاضي القضاة جمال الدين محمود القيصرى الحنفى وضرب بحضرة الامير علاء الدين على بن الطبلاوى والى القاهرة نحو الاربعين ضربة بالعصا تحت رجليه ثم أعيد الى الحبس وأفرج عنه فى ثامن عشره بشفاعة شيخ الاسلام فيه ولما جدد الامير يلبغا السالمي الجامع الاقمر وعمل له منبرا وأقيمت به الجمعة فى شهر ربيع الاول سنة احدى وثمانمائة ألزم الشيخ بالخانقاه والصوفية أن يصلوا الجمعة به فصاروا يصلون الجمعة فيه الى أن زالت أيام السالمي فتركوا الاجتماع بالجامع الاقمر ولم يعودوا الى ما كانوا عليه من الاجتماع بالجامع الحاكمي ونسى ذلك ولم يكن بهذه الخانقاه مئذنة والذى بني هذه المئذنة شيخ ولى مشيختها فى سنة بضع وثمانين وسبعمائة يعرف بشهاب الدين أحمد الانصارى وكان الناس يمرون في صحن الخانقاه بنعالهم فجدد شخص من الصوفية بها يعرف بشهاب الدين أحمد العثمانى هذا الدرابزين وغرس فيه هذه الاشجار وجعل عليها وقفا لمن يتعاهدها بالخدمة

* ( خانقاه ركن الدين بيبرس ) *

هذه الخانقاه من جملة دار الوزارة الكبرى التى تقدم ذكرها عند ذكر القصر من هذا الكتاب وهي أجل خانقاه بالقاهرة بنيانا وأوسعها مقدارا وأتقنها صنعة بناها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى قبل أن يلي السلطنة وهو أمير فبدأفى بنائها في سنة ست وسبعمائة وبني بجانبها رباطا كبيرا يتوصل اليه من داخلها وجعل بجانب الخانقاه قبة بها قبره ولهذه القبة شبابيك تشرف على الشارع المسلوك فيه من رحبة باب العيد الى باب النصر من جملتها الشباك الكبير الذى حمله الامير أبو الحارث البساسيرى من بغداد لما غلب الخليفة القائم العباسي وأرسل بعمامته وشباكه الذى كان بدار الخلافة فى بغداد وتجلس الخلفاء فيه وهو هذا الشباك كما ذكر فى أخبار دار الوزارة من هذا الكتاب فلما ورد هذا الشباك من بغداد عمل بدار الوزارة واستمر فيها الى أن عمر الامير بيبرس الخانقاه المذكورة فجعل هذا الشباك بقبة الخانقاه وهو بها الى يومنا هذا وانه لشباك جليل القدر حشم يكاد يتبين عليه أبهة الخلافة ولما شرع في بنائها رفق بالناس ولاطفهم ولم يعسف فيها أحدا في بنائها ولا أكره صانعا ولا غصب من آلاتها شيئا وانما اشترى دار الامير عز الدين الافرم التى كانت بمدينة مصر واشترى دار الوزير هبة الله بن صاعد الفائزى وأخذ ما كان فيهما من الانقاض واشترى أيضاً دار الانماط التى كانت برأس حارة الجودرية من القاهرة ونقضها وما حولها واشترى أملاكا كانت قد بنيت في أرض دار الوزارة من ملاكها بغير اكراه وهدمها فكان قياس أرض الخانقاه والرباط والقبة نحو فدان وثلث وعند ماشرع فى بنائها حضر اليه الامير ناصر الدين محمد ابن الامير بكتاش الفخرى أمير سلاح وأراد التقرب لخاطره وعرفه أن بالقصر الذى فيه سكن أبيه مغارة تحت الارض كبيرة يذكر أن فيها ذخيرة من ذخائر الخلفاء الفاطميين وأنهم لما فتحوها لم يجدوا بها سوى رخام كثير فسدوها ولم يتعرضوا لشئ مما فيها فسر بذلك وبعث عدة من الامراء فتحوا المكان فاذا فيه رخام جليل القدر عظيم الهيئة فيه مالا يوجد مثله لعظمه فنقله من المغارة ورخم منه الخانقاه والقبة وداره التى بالقرب من البندقانيين وحارة زويلة وفضل منه شئ كثير عهدى أنه مخزن بالخانقاه وأظنه أنه باق هناك ولما كملت فى سنة تسع وسبعمائة قرر بالخانقاه أربعمائة صوفى وبالرباط مائة من الجند وأبناء الناس الذين قعد بهم الوقت وجعل بها مطبخا يفرق على كل منهم في كل يوم اللحم والطعام وثلاثة أرغفة من خبز البر وجعل لهم الحلوى ورتب بالقبة درسا للحديث النبوى له مدرس وعنده عدة من المحدثين ورتب القراء بالشباك الكبير يتناوبون القراءة فيه ليلا ونهارا ووقف عليها عدة ضياع بدمشق وحماه ومنية المخلص بالجيزة من أرض مصر وبالصعيد والوجه البحري والربع والقيسارية بالقاهرة فلما خلع من السلطنة

وقبض عليه الملك الناصر محمد بن قلاون وقتله أمر بغلقها فغلقت وأخذ سائر ما كان موقوفا عليها ومحا اسمه من الطراز الذى بظاهرها فوق الشبابيك وأقامت نحو عشرين سنة معطلة ثم انه أمر بفتحها في أول سنة ست وعشرين وسبعمائة ففتحت وأعاد اليها ما كان موقوفا عليها واستمرت الى أن شرقت أراضى مصر لقصور مد النيل أيام الملك الاشرف شعبان بن حسين في سنة ست وسبعين وسبعمائة فبطل طعامها وتعطل مطبخها واستمر الخبز ومبلغ سبعة دراهم لكل واحد في الشهر بدل الطعام ثم صار لكل واحد منهم في الشهر عشرة دراهم فلما قصر مد النيل في سنة ست وتسعين وسبعمائة بطل الخبز أيضاً وغلق المخبز من الخانقاه وصار الصوفية يأخذون فى كل شهر مبلغا من الفلوس معاملة القاهرة وهم على ذلك الى اليوم وقد أدركتها ولا يمكن بوابها غير أهلها من العبور اليها والصلاة فيها لما لها فى النفوس من المهابة ويمنع الناس من دخولها حتي الفقهاء والاجناد وكان لاينزل بها أحد وفيها جماعة من أهل العلم والخير وقد ذهب ماهنالك فنزل بها اليوم عدة من الصغار ومن الاساكفة وغيرهم من العامة الآن أوقافها عامرة وأرزاقها دارة بحسب نقود مصر ومن حسن بناء هذه الخانقاه أنه لم يحتج فيها الى مرمة منذ بنيت الى وقتنا هذا وهى مبنية بالحجر وكلها عقود محكمة بدل السقوف الخشب وقد سمعت غير واحد يقول انه لم تبن خانقاه أحسن من بنائها * (الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى) * اشتراه الملك المنصور قلاون صغيرا ورقاه في الخدم السلطانية الى أن جعله أحد الامراء وأقامه جاشنكير وعرف بالشجاعة فلما مات الملك المنصور خدم ابنه الملك الاشرف خليلا الى أن قتله الامير بيدرا بناحية تروجة فكان أول من ركب على بيدرا في طلب ثار الملك الاشرف وكان مهابا بين خشداشيته فركبوا معه وكان من نصرتهم على بيدرا وقتله ماقد ذكر في موضعه فاشتهر ذكره وصار أستادار السلطان في أيام الملك الناصر محمد بن قلاون في سلطنته الثانية رفيقا للامير سلار نائب السلطنة وبه قويت الطائفة البرجية من المماليك واشتد بأسهم وصار الملك الناصر تحت حجر بيبرس وسلار الى أن أنف من ذلك وصار الى الكرك فأقيم بيبرس فى السلطنة يوم السبت ثالث عشرى شوال سنة ثمان وسبعمائة فاستضعف جانبه وانحط قدره ونقصت مهابته وتغلب عليه الامراء والمماليك واضطربت أمور المملكة لمكان الامير سلار وكثرة حاشيته وميل القلوب الى الملك الناصر وفي أيامه عمل الجسر من قليوب الى مدينة دمياط وهو مسيرة يومين طولا فى عرض أربع قصبات من أعلاه وست قصبات من أسفله حتى انه كان يسير عليه ستة من الفرسان معا بحذاء بعضهم وأبطل سائر الخمارات من السواحل وغيرها من بلاد الشام وسامح بما كان من المقرر عليها للسلطان وعوض الاجناد بدله وكبست أماكن الريب والفواحش بالقاهرة ومصر وأريقت الخمور وضرب أناس كثير فى ذلك بالمقارع وتتبع

أماكن الفساد وبالغ فى ازالته ولم يراع في ذلك أحدا من الكتاب ولا من الامراء نخف المنكر وخفى الفساد الا أن الله أراد زوال دولته فسولت له نفسه أن بعث الى الملك الناصر بالكرك يطلب منه ماخرج به معه من الخيل والمماليك وحمل الرسول اليه بذلك مشافهة أغلظ عليه فيها فحنق من ذلك وكاتب نواب الشام وأمراء مصر في السر يشكو ما حل به وترفق بهم وتلطف بهم فرقوا له وامتعضوا لما به ونزل الناصر من الكرك وبرز عنها فاضطرب الامر بمصر واختل الحال من بيبرس وأخذ العسكر يسير من مصر الى الناصر شيئاً بعد شئ وسار الناصر من ظاهر الكرك يريد دمشق في غرة شعبان سنة تسع وسبعمائة فعند منازل الكسوة خرج الامراء وعامة أهل دمشق الى لقائه ومعهم شعار السلطنة ودخلوا به الى المدينة وقد فرحوا به فرحا كثيرا في ثانى عشر شعبان ونزل بالقلعة وكاتب النواب فقدموا عليه وصارت ممالك الشام كلها تحت طاعته يخطب له بها ويجبى اليه مالها ثم خرج من دمشق بالعساكر يريد مصر وأمر بيبرس كل يوم في نقص الى أن كان يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان فترك بيبرس المملكة ونزل من قلعة الجبل ومعه خواصه الى جهة باب القرافة والعامة تصيح عليه وتسبه وترجمه بالحجارة عصبية للملك الناصر وحباله حتى سار عن القرافة ودعا الحرس بالقلعة في يوم الاربعاء للملك الناصر فكانت مدة سلطنة بيبرس عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما وقدم الملك الناصر الى قلعة الجبل أول يوم من شوال وجلس على تخت المملكة واستولى على السلطنة مرة ثالثة ونزل بيبرس بأطفيح ثم سار منها الى اخميم فلما صار بها تفرق عنه من كان معه من الامراء والمماليك فصاروا الى الملك الناصر فتوجه فى نفر يسير على طريق السويس يريد بلاد الشام فقبض عليه شرقى غزة وحمل مقيدا الى الملك الناصر فوصل قلعة الجبل يوم الاربعاء ثالث عشر ذى القعدة وأوقف بين يدى السلطان وقبل الارض فعنفه وعدد عليه ذنوبا ووبخه ثم أمر به فسجن في موضع الى ليلة الجمعة خامس عشره وفيها لحق بربه تعالى فحمل الى القرافة ودفن فى تربة الفارس اقطاى ثم نقل منها بعد مدة الى تربته بسفح المقطم فقبر بها زمانا طويلا ثم نقل منها ثالث مرة الى خانقاهه ودفن بقبتها وقبره هناك الى يومنا هذا وأدركت بالخانقاه المذكورة شيخا من صوفيتها أخبرنى انه حضر نقله من تربته بالقرافة الى قبة الخانقاه وانه تولى وضعه فى مدفنه بنفسه وكان رحمه الله خيرا عفيفا كثير الحياء وافر الحرمة جليل القدر عظيما فى النفوس مهاب السطوة فى أيام امرته فلما تلقب بالسلطنة ووسم باسم الملك اتضع قدره واستضعف جانبه وطمع فيه وتغلب عليه الامراء والمماليك ولم تنجح مقاصده ولا سعد في شيء من تدبيره الى أن انقضت أيامه وأناخ به حمامه رحمه الله

*( الخانقاه الجمالية )*

هذه الخانقاه بالقرب من درب راشد يسلك اليها من رحبة باب العيد بناها الامير الوزير مغلطاى الجمالى في سنة ثمانين وسبعمائة وقد تقدم ذكرها عند ذكر المدارس من هذا الكتاب

*( الخانقاه الظاهرية )*

هذه الخانقاه بخط بين القصرين فيما بين المدرسة الناصرية ودار الحديث الكاملية أنشأها الملك الظاهر برقوق في سنة ست وثمانين وسبعمائة وقد ذكرت عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب

*( الخانقاه الشرابيشية )*

هذه الخانقاه فيما بين الجامع الاقمر وحارة برجوان في آخر المنحر الذى كان للخلفاء وهو يعرف اليوم بدرب الاصفر ويتوصل منها الى الدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس وبابها الاصلى من زقاق ضيق بوسط سوق حارة برجوان أنشأها الصدر الاجل نور الدين علي ابن محمد بن محاسن الشرابيشى وكان من ذوى الغنى واليسار صاحب ثراء متسع وله عدة أوقاف على جهات البر والقربات ومات في (٣)

*( الخانقاه المهمندارية )*

هذه الخانقاه خارج باب زويلة فيما بين رأس حارة اليانسية وجامع الماردينى بناها الامير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزى المهمندار ونقيب الجيوش في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقد ذكرت فى المدارس من هذا الكتاب

*( خانقاه بشتاك )*

هذه الخانقاه خارج القاهرة على جانب الخليج من البر الشرقي تجاه جامع بشتاك أنشأها الامير سيف الدين بشتاك الناصرى وكان فتحها أول يوم من ذى الحجة سنة ست وثلاثين وسبعمائة واستقر في مشيختها شهاب الدين القدسى وتقرر عنده عدة من الصوفية وأجرى لهم الخبز والطعام فى كل يوم فاستمر ذلك مدة ثم بطل وصار يصرف لاربابها عوضاً عن ذلك في كل شهر مبلغ وهى عامرة الى وقتنا هذا وقد نسب اليها جماعة منهم الشيخ الاديب البارع بدر الدين محمد بن ابراهيم المعروف بالبدر البشتكى

*( خانقاه ابن غراب )*

هذه الخانقاه خارج القاهرة على الخليج الكبير من بره الشرقى بجوار جامع بشتاك من غربيه أنشأها القاضى الامير سعد الدين ابراهيم بن عبدالرزاق بن غراب الاسكندرانى ناظر الخاص وناظر الجيوش وأستادار السلطان وكاتب السر وأحد أمراء الالوف الاكابر

أسلم جده غراب وباشر بالاسكندرية حتى ولى نظر الثغر ونشأ ابنه عبد الرزاق هناك فولى أيضا نظر الاسكندرية وولد له ماجد وابراهيم فلما تحكم الامير جمال الدين محمود بن على في الاموال أيام الملك الظاهر برقوق اختص بابراهيم وحمله الى القاهرة وهو صبى واعتنى به واستكتبه فى خاص أمواله حتى عرفها فتنكر محمود عليه لامر بدا منه فى ماله وهم به فبادر الى الامير علاء الدين على بن الطبلاوى وترامى عليه وهو يومئذ قد نافس محمودا فأوصله بالسلطان وأمكنه من سماع كلامه فملأ أذنه بذكر أموال محمود وغر صدره عليه حتى نكبه واستصفى أمواله كما ذكر فى خبره عند ذكر مدرسة محمود من هذا الكتاب وولى ابن غراب نظر الديوان المفرد في حادي عشر صفر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وعمره عشرون سنة أو نحوها وهى أول وظيفة وليها فاختص بابن الطبلاوى ولازمه وملأ عينه بكثرة المال فتحدث له في وظيفة نظر الخاص عوضا عن سعد الدين أبى الفرج بن تاج الدين موسى فوليها في تاسع عشر ذى القعدة وغص بمكان ابن الطبلاوى فعمل عليه عند السلطان حتي غيره عليه وولاه أمره فقبض عليه في داره وعلى سائر أسبابه في شعبان في سنة ثمانمائة ثم أضيف اليه نظر الجيوش عوضا عن شرف الدين محمد الدماميني في تاسع ذى القعدة سنة ثمانمائة فعف عن تناول الرسوم وأظهر من الفخر والحشمة والمكارم أمرا كبيرا وقدر الله موت السلطان في شوال سنة احدى وثمانمائة بعدما جعله من جملة أوصيائه فباطن الامير يشبك الخازندار على ازالة الامير الكبير ايتمش القائم بدولة الناصر فرج بن برقوق وعمل لذلك أعمالا حتى كانت الحرب بعد موت السلطان الملك الظاهر ابن الامير ايتمش وبين الامير يشبك في ربيع الاول سنة اثنتين وثمانمائة التى انهزم فيها ايتمش وعدة من الامراء الى الشام وتحكم الامير يشبك فاستدعى عند ذلك ابن غراب أخاه فخر الدين ماجدا من الاسكندرية وهو يلي نظرها الى قلعة الجبل وفوضت اليه وزارة الملك الناصر فرج بن برقوق فقاما بسائر أمور الدولة الى أن ولى الامير يلبغا السالمى الاستادارية فسلك معه عادته من المنافسة وسعي به عند الامير يشبك حتي قبض عليه وتقلد وظيفة الاستادارية عوضا عن السالمى فى رابع عشر رجب سنة ثلاث وثمانمائة مضافا الى نظر الخاص ونظر الجيوش فلم يغير زى الكتاب وصار له ديوان كدواوين الامراء ودقت الطبول على بابه وخاطبه الناس وكاتبوه بالامير وسار في ذلك سيرة ملوكية من كثرة العطاء وزيادة الاسمطة والاتساع في الامور والازدياد من المماليك والخيول والاستكثار من الخول والحواشي حتي لم يكن أحد يضاهيه في شيء من أحواله الى أن تنازع الاميران حكم وسودون طاز مع الامير يشبك فكان هو المتولى كبر تلك الحروب ثم انه خرج من القاهرة مغاضبا لامراء الدولة وصار الى ناحية تروجة يريد جمع العربان ومحاربة الدولة فلم يتم له ذلك وعاد فدخل القاهرة على حين غفلة فنزل عند جمال الدين يوسف

الاستادار فقام باصلاح أمره مع الامراء حتي حصل له الغرض فظهر واستولى على ما كان عليه الى أن تنكر رجال الدولة على الملك الناصر فرج فقام مع الامير يشبك بحرب السلطان الى أن انهزم الامير يشبك بأصحابه الى الشام فخرج معه في سنة تسع وثمانمائة وأمده ومن معه بالاموال العظيمة حتى صاروا عند الامير شيخ نائب الشام واستفز العساكر لقتال الملك الناصر وحرضهم على المسير الى حربه وخرج من دمشق مع العساكر يريد القاهرة وكان من وقعة السعيدية ما كان على ماهو مذكور في خبر الملك الناصر عند ذكر الخانقاه الناصرية من هذا الكتاب فاختفى الامير يشبك وطائفة من الامراء بالقاهرة ولحق ابن غراب بالامير اينال باى ابن قجماس وهو يومئذ أكبر الامراء الناصرية وملأ عينه بالمال فتوسط له مع الملك الناصر حتي أمنه وأصبح في داره وجميع الناس على بابه ثم تقلد وظيفة نظر الجيوش واختص بالسلطان وما زال به حتي استرضاه على الامير يشبك ومن معه من الامراء وظهروا من الاستتار وصاروا بقلعة الجبل فخلع عليهم السلطان وأمرهم وصاروا الى دورهم فثقل على ابن غراب مكان فتح الدين فتح الله كاتب السر فسعي به حتى قبض عليه وولى مكانه كتابة السر ليتمكن من أغراضه فلما استقر فى كتابة السر أخذ فى نقض دولة الناصر الى أن تم له مراده وصارت الدولة كلها على الناصر فخلا به وخيل له وحسن له الفرار فانقاد له وترامي عليه فأعد له رجلين أحدهما من مماليكه ومعهما فرسان ووقفا بهما وراء القلعة وخرج الناصر وقت القائلة ومعه مملوك من مماليكه يقال له بيغوت وركبا الفرسين وسارا الى ناحية طرا ثم عادا مع قاصدى ابن غراب في مركب من المراكب النيلية ليلا الى دار ابن غراب ونزلا عنده وقد خفى ذلك على جميع أهل الدولة وقام ابن غراب بتولية عبد العزيز بن برقوق وأجلسه على تخت الملك عشاء ولقبه بالملك المنصور ودبر الدولة كما أحب مدة سبعين يوما الى أن أحس من الامراء بتغير فأخرج الناصر ليلا وجمع عليه عدة من الامراء والمماليك وركب معه بلامة الحرب الى القلعة فلم يلبث أصحاب المنصور وانهزموا ودخل الناصر الي القلعة واستولى على المملكة ثانيا فألقى مقاليد الدولة الى ابن غراب وفوض اليه ماوراء سريره ونظمه فى خاصته وجعله من اكابر الامراء وناط به جميع الامور فأصبح مولى نعمة كل من السلطان والامراء يمن عليهم بأنه أبقى لهم مهجهم وأعاد اليهم سائر ماكانوا قد سلبوه من ملكهم وأمدهم بماله وقت حاجتهم وفاقتهم اليه ويفخر ويتكثر بأنه أقام دولة وأزال دولة ثم أزال ماأقام وأقام ماأزال من غير حاجة ولاضرورة ألجأته الى شيء من ذلك وانه لو شاء أخذ الملك لنفسه وترك كتابة السر لغلامه وأحد كتابه فخر الدين بن المزوق ترفعا عنها واحتقارا بها ولبس هيئة الامراء وهى الكلوتة والقباء وشد السيف في وسطه وتحول من داره التي على بركة الفيل الى دار بعض الامراء بحدرة البقر فغاضبه

القضاة وكان عند الانتهاء الا انحطاط ونزل به مرض الموت فنال فى مرضه من السعادة مالم يسمع بمثله لاحد من أبناء جنسه وصار الامير يشبك ومن دونه من الامراء يترددون اليه وأكثرهم اذا دخل عليه وقف قائما على قدميه حتى ينصرف الى أن مات يوم الخميس تاسع عشر شهر رمضان سنة ثمان وثمانمائة ولم يبلغ ثلاثين سنة وكانت جنازته أحد الامور العجيبة بمصر لكثرة من شهدها من الامراء والاعيان وسائر أرباب الوظائف بحيث استأجر الناس السقائف والحوانيت لمشاهدتها ونزل السلطان للصلاة عليه وصعد الى القلعة فدفن خارج باب المحروق وكان من أحسن الناس شكلا وأحلاهم منظرا وأكرمهم يدا مع تدين وتعفف عن القاذورات وبسط يد بالصدقات الا انه كان غدارا لايتوانى عن طلب عدوه ولا يرضى من نكبته بدون اتلاف النفس فكم ناطح كبشا وثل عرشا وعالج جبالا شامخة واقتلع دولا من اصولها الراسخة وهو أحد من قام بتخريب اقليم مصر فانه مازال يرفع سعر الذهب حتى بلغ كل دينار الى مائتي درهم وخمسين درهما من الفلوس بعد ما كان بنحو خمسة وعشرين درهما ففسدت بذلك معاملة الاقليم وقلت امواله وغلت أسعار المبيعات وساءت أحوال الناس الى أن زالت البهجة وانطوى بساط الرفة وكاد الاقليم يدمر كما ذكر ذلك عند ذكر الاسباب التى نشأ عنها خراب مصر من هذا الكتاب عفا الله عنه وسامحه فلقد قام بمواراة آلاف من الناس الذين هلكوا فى زمان المحنة سنة ست وسنة سبع وثمانمائة وتكفينهم فلم ينس الله له ذلك وستره كما ستر المسلمين وما كان ربك نسيا

* ( الخانقاه البندقدارية ) *

هذه الخانقاه بالقرب من الصليبة كان موضعها يعرف قديما بدويرة مسعود وهى الآن تجاه المدرسة الفارقانية وحمام الفارقانى أنشأها الامير علاء الدين ايدكين البندقدارى الصالحى النجمى وجعلها مسجدا لله تعالى وخانقاه ورتب فيها صوفية وقراء فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة وفى سنة ثمان وأربعين وستمائة استنابه الملك المعز أيبك فواظب الجلوس بالمدارس الصالحية مع نواب دار العدل والى أيدكين هذا ينسب الملك الظاهر بيبرس البندقدارى لانه كان أولا مملوكه ثم انتقل منه الى الملك الصالح نجم الدين ايوب فعرف بين المماليك البحرية بيبرس البندقدارى وعاش ايدكين الى أن صار بيبرس سلطان مصر وولاه نيابة السلطنة بحلب فى سنة تسع وخمسين وستمائة وكان الغلاء بها شديدا فلم تطل أيامه وفارقها بدمشق بعد محاربة سنقر الاشقر والقبض عليه في حادى عشر صفر سنة تسع وخمسين وستمائة فاقام فى النيابة نحو شهر وصرفه الامير علاء الدين طيبرس الوزيرى فلما خرج السلطان الى الشام في سنة احدى وستين وستمائة وأقام بالطور أعطاه امرة بمصر وطبلخاناه فى ربيع الآخر منها ومات في ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وستمائة ودفن بقبة هذه الخانقاه

* ( خانقاة شيخو ) *

هذه الخانقاه في خط الصليبة خارج القاهرة تجاه جامع شيخو أنشأها الامير الكبير سيف الدين شيخو العمري في سنة ست وخمسين وسبعمائة كان موضعها من جملة قطائع أحمد بن طولون وآخر ماعرف من خبره انه كان مساكن للناس فاشتراها الامير شيخو من أربابها وهدمها في المحرم من هذه السنة فكانت مساحة أرضها زيادة على فدان فاختط فيها الخانقاه وحمامين وعدة حوانيت يعلوها بيوت لسكنى العامة ورتب بها دروساً عدة منها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الاربعة وهم الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة ودرسا للحديث النبوي ودرساً لاقراء القرآن بالروايات السبع وجعل لكل درس مدرسا وعنده جماعة من الطلبة وشرط عليهم حضور الدرس وحضور وظيفة التصوف وأقام شيخنا أكمل الدين محمد بن محمود في مشيخة الخانقاه ومدرس الحنفية وجعل اليه النظر في أوقاف الخانقاه وقرر فى تدريس الشافعية الشيخ بهاء الدين أحمد بن على السبكي وفى تدريس المالكية الشيخ خليلا وهو متجند الشكل وله اقطاع في الحلقة وفي تدريس الحنابلة قاضى القضاة موفق الدين الحنبلي ورتب لكل من الطلبة في اليوم الطعام واللحم والخبز وفي الشهر الحلوي والزيت والصابون ووقف عليها الاوقاف الجليلة فعظم قدرها واشتهر في الاقطار ذكرها وتخرج بها كثير من أهل العلم وأربت في العمارة على كل وقف بديار مصر الى أن مات الشيخ أكمل الدين في شهر رمضان سنة ست وثمانين وسبعمائة فوليها من بعده جماعة ولما حدثت المحن كان بها مبلغ كبير من المال الذى فاض عن مصروفها فأخذه الملك الناصر فرج وأخذت أحوالها تتناقص حتي صار المعلوم يتأخر صرفه لارباب الوظائف بها عدة اشهر وهي الى اليوم على ذلك

* ( الخانقاه الجاولية ) *

هذه الخانقاه على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش فيما بين القاهرة ومصر أنشأها الامير علم الدين سنجر الجاولى في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وقد تقدم ذكرها في المدارس

* ( خانقاه الجيبغا المظفرى ) *

هذه الخانقاه خارج باب النصر فيما بين قبة النصر وتربة عثمان بن جوشن السعودى أنشأها الامير سيف الدين الجيبغا المظفرى وكان بها عدة من الفقراء يقيمون بها ولهم فيها شيخ ويحضرون في كل يوم وظيفة التصوف ولهم الطعام والخبز وكان بجانبها حوض ماء لشرب الدواب وسقاية بها الماء العذب لشرب الناس وكتاب يقرأ فيه أطفال المسلمين الايتام كتاب الله تعالى ويتعلمون الخط ولهم في كل يوم الخبز وغيره وما برحت على ذلك الى أن أخرج الامير برقوق أوقافها فتعطلت وأقام بها جماعة من الناس مدة ثم تلاشى أمرها

وهى الآن باقية من غير أن يكون فيها سكان وقد تعطل حوضها وبطل مكتب السبيل *
( الجيبغا المظفري ) الخاصكي تقدم فى أيام الملك المظفر حاجي ابن الملك الناصر محمد بن قلاون تقدما كثيرا بحيث لم يشاركه أحد في رتبته فلما قام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون فى السلطنة أقره على رتبته وصار أحد أمراء المشورة الذين يصدر عنهم الامر والنهى فلما اختلف أمراء الدولة أخرج الى دمشق في ربيع الاول سنة تسع وأربعين وسبعمائة وأقام بدمشق الى شعبان وسار الى نيابة طرابلس عوضاً عن الامير بدر الدين مسعود بن الخطيرى فلم يزل على نيابتها الى شهر ربيع الاول سنة خمسين وسبعمائة فكتب الى الامير أرغون شاه نائب دمشق يستأذنه في التصيد الى الناعم فاذن له وسار من طرابلس وأقام على بحيرة حمص أياما يتصيد ثم ركب ليلا بمن معه وساق الى خان لاجين ظاهر دمشق فوصله أول النهار وأقام به يومه ثم ركب منه بمن معه ليلا وطرق أرغون شاه وهو بالقصر الابلق وقبض عليه وقيده في ليلة الخميس ثالث عشرى شهر ربيع الاول وأصبح وهو بسوق الخيل فاستدعى الامراء وأخرج لهم كتاب السلطان بامساك أرغون شاه فأذعنوا له واستولى على اموال أرغون شاه فلما كان يوم الجمعة رابع عشريه أصبح أرغون شاه مذبوحا فأشاع الجيبغا أن أرغون شاه ذبح نفسه وفى يوم الثلاثاء انكر الامراء أمره وثاروا لحربه فركب وقاتلهم وانتصر عليهم وقتل جماعة منهم وأخذ الاموال وخرج من دمشق وسار الى طرابلس فأقام بها وورد الخبر من مصر الى دمشق بانكار كل ماوقع والاجتهاد في مسك الجيبغا فخرجت عساكر الشام اليه ففر من طرابلس فأدركه عسكر طرابلس عند بيروت وحاربوه حتى قبضوا عليه وحمل الى عسكر دمشق فقيد وسجن بقلعة دمشق في ليلة السبت سادس عشر ربيع الآخر هو وفخر الدين اياس ثم وسط بمرسوم السلطان تحت قلعة دمشق بحضور عساكر دمشق ووسط معه الامير فخر الدين اياس وعلقا على الخشب في ثامن عشر ربيع الآخر سنة خمسين وسبعمائة وعمره دون العشرين سنة فما طر شاربه وكأنه البدر حسنا والغصن اعتدالا

## * ( خانقاه سرياقوس ) *

هذه الخانقاه خارج القاهرة من شماليها على نحو بريد منها بأول تيه بني اسرائيل بسماسم سرياقوس أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون وذلك انه لما بنى الميدان والاحواش في بركة الجب كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر بركة الجب اتفق انه ركب على عادته للصيد هناك فأخذه ألم عظيم في جوفه كاد يأتي عليه وهو يتجلد ويكتم مابه حتى عجز فنزل عن الفرس والالم يتزايد به فنذر لله ان عافاه الله ليبنين في هذا الموضع موضعاً يعبد الله تعالى فيه فخف عنه مايجده وركب فقضى نهمته من الصيد وعاد الى قلعة الجبل فلزم

الفراش مدة أيام ثم عوفي فركب بنفسه ومعه عدة من المهندسين واختط على قدر ميل من ناحية سرياقوس هذه الخانقاه وجعل فيها مائة خلوة لمائة صوفي وبني بجانبها مسجداتقام به الجمعة وبني بها حماما ومطبخاً وكان ذلك في ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فلما كانت سنة خمس وعشرين وسبعمائة كمل ماأراد من بنائها وخرج اليها بنفسه ومعه الامراء والقضاة ومشايخ الخوانك ومدت هناك أسمطة عظيمة بداخل الخانقاه في يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة وتصدر قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي لاسماع الحديث النبوى وقرأ عليه ابنه عز الدين عبد العزيز عشرين حديثاً تساعيا وسمع السلطان ذلك وكان جمعاً موفوراً وأجاز قاضى القضاة الملك الناصر ومن حضر برواية ذلك وجميع مايجوز له روايته وعند ماانقضى مجلس السماع قرر السلطان فى مشيخة هذه الخانكاه الشيخ مجد الدين موسي بن أحمد بن محمود الاقصراى ولقبه بشيخ الشيوخ فصار يقال له ذلك ولكل من ولى بعده وكان قبل ذلك لايلقب بشيخ الشيوخ الا شيخ خانقاه سعيد السعداء وأحضرت التشاريف السلطانية فخلع على قاضى القضاة بدر الدين وعلى ولده عز الدين وعلى قاضي القضاة المالكية وعلى الشيخ مجد الدين أبي حامد موسى بن أحمد بن محمود الاقصراى شيخ الشيوخ وعلى الشيخ علاء الدين القونوى شيخ خانقاه سعيد السعداء وعلى الشيخ قوام الدين أبى محمد عبد المجيد بن أسعد بن محمد الشيرازى شيخ الصوفية بالجامع الجديد الناصرى خارج مدينة مصر وعلى جماعة كثيرة وخلع على سائر الامراء وأرباب الوظائف وفرق بها ستين ألف درهم فضة وعاد الى قلعة الجبل فرغب الناس فى السكني حول هذه الخانقاه وبنوا الدور والحوانيت والخانات حتي صارت بلدة كبيرة تعرف بخانقاه سرياقوس وتزايد الناس بها حتي أنشئ فيها سوى حمام الخانقاه عدة حمامات وهى الى اليوم بلدة عامرة ولا يؤخذ بها مكس البتة مما يباع من سائر الاصناف احتراما لمكان الخانقاه ويعمل هناك فى يوم الجمعة سوق عظيم ترد الناس اليه من الاماكن البعيدة يباع فيه الخيل والجمال والحمير والبقر والغنم والدجاج والاوز وأصناف الغلات وأنواع الثياب وغير ذلك وكانت معاليم هذه الخانكاه من أسني معلوم بديار مصر يصرف لكل صوفى فى اليوم من لحم الضأن السليخ رطل قد طبخ فى طعم شهى ومن الخبز النقى أربعة أرطال ويصرف له فى كل شهر مبلغ أربعين درهماً فضة عنهاديناران ورطل حلوى ورطلان زيتاًمن زيت الزيتون ومثل ذلك من الصابون ويصرف له ثمن كسوة فى كل سنة وتوسعة فى كل شهر رمضان وفى العيدين وفي مواسم رجب وشعبان وعاشوراء وكلما قدمت فاكهة يصرف له مبلغ لشرائها وبالخانقاه خزانة بها السكر والاشربة والادوية وبها الطبائعى والجرائحي والكحال ومصلح الشعر وفي كل رمضان يفرق على الصوفية كيزان لشرب الماء وتبيض لهم قدورهم النحاس ويعطون حتي

الاشنان لغسل الايدي من وضر اللحم يصرف ذلك من الوقف لكل منهم وبالحمام الحلاق لتدليك أبدانهم وحلق رؤسهم فكان المنقطع بها لا يحتاج الى شئ غيرها ويتفرغ للعبادة ثم استجد بعد سنة تسعين وسبعمائة بها حمام أخرى برسم النساء وما برحت على ماذكرنا الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة فبطل الطعام وصار يصرف لهم فى ثمنه مبلغ من نقد مصر وهي الآن على ذلك وأدركت من صوفيتها شخصا شيخا يعرف بابى طاهر ينام أربعين يوما بلياليها لا يستيقظ فيها البتة ثم يستيقظ أربعين يوما لا ينام في ليلها ولا نهارها أقام على ذلك عدة أعوام وخبره مشهور عند أهل الخانقاه وأخبرني انه لم يكن فى النوم الا كغيره من الناس ثم كثر نومه حتى بلغ ماتقدم ذكره ومات بهذه الخانقاه فى نحو سنة ثمانمائة ومما قيل فى الخانقاة وما أنشأه السلطان بها

سر نحو سرياقوس وانزل بفنا * أرجائها ياذا النهى والرشد
تلق محلا للسرور والهنا * فيه مقام للتقى والزهد
نسيمه يقول في مسيره * تنبهى ياعذبات الرند
وروضه الريان من خليجه * يقول دع ذكر أراضي نجد

*( خانقاه ارسلان )*

هذه الخانقاه فيما بين القاهرة ومصر من جملة أراضى منشأة المهرانى أنشأها الامير بهاء الدين ارسلان الدوادار * ( ارسلان ) الامير بهاء الدين الدوادار الناصرى كان أولا عند الامير سلار أيام نيابته مصر خصيصا به حظيا عنده فلما قدم الملك الناصر محمد بن قلاون من الكرك بعساكر الشام ونزل بالريدانية ظاهر القاهرة في شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة اطلع ارسلان على أن جماعة قد اتفقوا على أن يهجموا على السلطان ويفتكوا به يوم العيد أول شوال فجاء اليه وعرفه الحال وقال له اخرج الساعة واطلع القلعة واملكها فقام السلطان وفتح باب سر الدهليز وخرج من غير الباب وصعد قلعة الجبل وجلس على سرير الملك فرعى السلطان له هذه المناصحة ولما أخرج الامير عز الدين أيدمر الدوادار من وظيفته رتب أرسلان فى الدوادارية وكان يكتب خطا مليحا ودربه القاضى علاء الدين بن عبد الظاهر وخرجه وهذبه فصار يكتب بخطه الى كتاب السر عن السلطان في المهمات بعبارة مسددة وافية بالمقصود واستولى على السلطان بحيث لم يكن لغيره فى أيامه ذكر ولم يشتهر فخر الدين وكريم الدين بعظمة الا بعده واجتهدا في ابعاده فما قدرا على ذلك وفي أيام توليته الدوادارية السلطانية أنشأ هذه الخانكاه على شاطئ النيل وكان ينزل في كل ليلة ثلاثاء اليها من القلعة ويبيت بها ويحتفل الناس للحضور اليها ويرسل عن السلطان الى مهنا أمير العرب ونفع الناس نفعا كبيرا وقلدهم مننا جسيمة ومات في ثالث عشرى شهر رمضان سنة

سبع عشرة وسبعمائة فوجد فى تركته ألف ثوب أطلس ونفائس كثيرة وعـدة تواقيع ومناشير معلمة فأنكر السلطان معرفتها ونسب اليـه اختلاسها وأول من ولى مشيختها تقى الدين أبو البقاء محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الرحيم الشريف الحسينى القنائى الشافعى جد الشيخ عبد الرحيم القنائي الصالح المشهور وأبوه ضياء الدين جعفر كان فقيها شافعيا وكان أبو البقاء هذا عالما عارفازاهدا قليل التكلف متقللا من الدنيا سمع الحديث وأسمعه وولد في سنة خمس وأربعين وستمائة ومات ليلة الاثنين رابع عشر جمادى الاولى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ودفن بالقرافة فتداول مشيختها القضاة الاخنائيـة الى أن كانت آخرا بيد شيخنا قاضي القضاة صدر الدين عبد الوهاب بن أحمد الاخنائى فلما مات فى سـنة تسع وثمانين وسبعمائة تلقاها عنه عز الدين بن الصاحب ثم وليها من بعده ابنه شمس الدين محمد بن الصاحب رحمه الله

*( خانقاه بكتمر )*

هذه الخانقاه بطرف القرافة فى سفح الجبل مما يلي بركة الحبش أنشأها الامير بكتمر الساقى وابتدأ الحضور بها في يوم الثلاثاء ثامن شهر رجب سنة ست وعشرين وسبعمائة وأول من استقر فى مشيختها الشمسى شمس الدين الرومي ورتب له عن معلوم المشيخة فى كل شهر مائة درهم وعن معلوم الامامة مبلغ خمسين درهما ورتب معه عشرين صوفيا لكل منهم في الشهر مبلغ ثلاثين درهما فجاءت من أجل ما بني بمصر ورتب بها صوفية وقراء وقرر لهم الطعام والخبز فى كل يوم والدراهم والحلوى والزيت والصابون في كل شهر وبني بجانبها حماما وأنشأ هناك بستانا فعمرت تلك الخطة وصار بها سوق كبير وعدة سكان وتنافس الناس في مشيختها الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة فبطل الطعام والخبز منها وانتقل السكان منها الى القاهرة وغيرها وخربت الحمام والبستان وصار يصرف لارباب وظائفها مبلغ من نقد مصر وأقام فيها رجل يحرسها وتمزق ما كان فيها من الفرش والآلات النحاس والكتب والربعات والقناديل النحاس المكفت والقناديل الزجاج المذهب وغير ذلك من الامتعة والنفائس الملوكية وخرب ما حولها لخلوه من السكان * ( بكتمر الساقى ) الامير سيف الدين كان أحد مماليك الملك المظفر بيبرس الجاشنكير فلما استقر الملك الناصر محمد بن قلاون في المملكة بعد بيبرس أخذه في جملة من أخذ من مماليك بيبرس ورقاه حتي صار أحد الامراء الاكابر وكتب الى الامير تنكز نائب السلطنة بدمشق بعد أن قبض على الامير سيف الدين طغاى الكبير يقول له هذا بكتمر الساقى يكون لك بدلا من طغاى اكتب اليه بما تريد من حوائجك فعظم بكتمر وعلا محله وطار ذكره وكان السلطان لا يفارقه ليلا ولا نهارا الا اذا كان في الدور السلطانية ثم زوجه بجاريته وحظيته فولدت لبكتمر ابنه احمد وصار السلطان لا يأكل الا في بيت بكتمر

مما تطبخه له أم أحمد في قدر من فضة وينام عندهم ويقوم واعتقد الناس أن أحمد ولد السلطان لكثرة ما يطيل حمله وتقبيله ولما شاع ذكر بكتمر وتسامع الناس به قدموا اليه غرائب كل شيء وأهدوا اليه كل نفيس وكان السلطان اذا حمل اليه أحد من النواب تقدمة لابد أن يقدم لبكتمر مثلها أو قريبا منها والذي يصل الى السلطان يهب له غالب فكثرت أمواله وصارت اشارته لاترد وهو عبارة عن الدولة واذا ركب كان بين يديه مائتا عصا نقيب وعمر له السلطان القصر على بركة الفيل ولما مات بطريق الحجاز في سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة خلف من الاموال والقماش والامتعة والاصناف والزردخاناه مايزيد على العادة والحد ويستحي العاقل من ذكره فأخذ السلطان من خيله أربعين فرساً وقال هذه لى ما وهبته اياها وبيع الباقي من الخيل على ماأخذه الخاصكية بثمن بخس بمبلغ ألف ألف درهم فضة ومائتى ألف درهم وثمانين ألف درهم فضة خارجا عما في الجشارات وأنعم السلطان بالزردخاناه والسلاحخاناه التي له على الامير قوصون بعد ما أخذ منها سرجا واحدا وسيفا القيمة عن ذلك ستمائة ألف دينار وأخذ له السلطان ثلاثة صناديق جوهراً مثمناً لاتعلم قيمة ذلك وبيع له من الصيني والكتب والختم والربعات ونسخ البخارى والدوايات الفولاذ والمطعمة والبصم بسقط الذهب وغير ذلك ومن الوبر والاطلس وأنواع القماش السكندرى والبغدادي وغير ذلك شيء كثير الى الغاية المفرطة ودام البيع لذلك مدة شهور وامتنع القاضى شرف الدين النشو ناظر الخاص من حضور البيع واستعفى من ذلك فقيل له لاى شيء فعلت ذلك قال ما أقدر أصبر على غبن ذلك لان المائة درهم تباع بدرهم ولما خرج مع السلطان الى الحجاز خرج بتجمل زائد وحشمة عظيمة وهو ساقة الناس كلهم وكان ثقله وجماله نظير ما للسلطان ولكن يزيد عليه بالزركش وآلات الذهب ووجد في خزانته بطريق الحجاز بعد موته خمسمائة تشريف منهاماهو اطلس بطرز زركش ومادون ذلك من خلع أرباب السيوف وأرباب الاقلام ووجد معه قيود وجنازير وتنكر السلطان له في طريق الحجاز واستوحش كل منهما من صاحبه فاتفق أنهم في العود مرض ولده احمد ومرض من بعده فمات ابنه قبله بثلاثة أيام فحمل في تابوت مغشى بجلد جمل ولما مات بكتمر دفن مع ولده بنخل وحث السلطان فى المسير وكان لاينام في تلك السفرة الا في برج خشب وبكتمر عنده وقوصون على الباب والامراء المشايخ كلهم حول البرج بسيوفهم فلما مات بكتمر ترك السلطان ذلك فعلم الناس أن احترازه كان خوفا من بكتمر ويقال ان السلطان دخل عليه وهو مريض في درب الحجاز فقال له بيني وبينك الله فقال له كل من فعل شيئاً يلتقيه ولما مات صرخت زوجته أم ابنه أحمد وبكت وأعولت الى أن سمعها الناس تتكلم بالقبيح في حق السلطان من جملته أنت تقتل مملوكك أنا ابي ايش كان فقال لها بس تفشرين هاتى مفاتيح صناديقه فأنا أعرف كل شيء

أعطيته من الجواهر فرمت بالمفاتيح اليه فأخذها ولما وصل السلطان الى قلعة الجبل اظهر الحزن والندامة عليه وأعطى أخاه قمارى امرة مائة وتقدمة ألف وكان يقول ما فى بحيئنا مثل بكتمر وأمر فحملت جثته وجثة ابنه الى خانقاهه هذه ودفنتا بقبتها وبدت من السلطان امور منكرة بعد موت بكتمر فانه كان يحجر على السلطان ويمنعه من مظالم كثيرة وكان يتلطف بالناس ويقضى حوائجهم ويسوسهم أحسن سياسة ولا يخالفه السلطان فى شئ ومع ذلك فلم يكن له حماية ولا رعاية ولا لغلمانه ذكر ومن المغرب يغلق باب اصطبله وكان مما له على السلطان من المرتب في كل يوم مخفيتان يأخذ عنهما من بيت المال كل يوم سبعمائة درهم عن كل مخفية ثلثمائة وخمسين درهما وكان السلطان اذا أنعم على أحد بشيء أو ولاه وظيفة قال له روح الى الامير بكتمر وبوس يده وكان جيد الطباع حسن الاخلاق لين الجانب سهل الانقياد رحمه الله

## * ( خانقاه قوصون ) *

هذه الخانقاه في شمالى القرافة مما يلي قلعة الجبل تجاه جامع قوصون أنشأها الامير سيف الدين قوصون وكملت عمارتها في سنة ست وثلاثين وسبعمائة وقرر في مشيختها الشيخ شمس الدين أبا الثناء محمود بن أبي القاسم احمد الاصفهانى ورتب له معلوما سنيا من الدراهم والخبز واللحم والصابون والزيت وسائر مايحتاج اليه حتي جامكية غلام بغلته واستقر ذلك في الوقف من بعده لكل من ولى المشيخة بها وقرر بها جماعة كثيرة من الصوفية ورتب لهم الطعام واللحم والخبز في كل يوم وفى الشهر المعلوم من الدراهم ومن الحلوى والزيت والصابون وما زالت على ذلك الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة فبطل الطعام والخبز منها وصار يصرف لمستحقيها مال من نقد مصر وتلاشي أمرها من بعد ما كانت من اعظم جهات البر وأكثرها نفعاً وخيرا وقد تقدم ذكر قوصون عند ذكر جامعه من هذا الكتاب

## * ( خانقاه طغاى النجمى ) *

هذه الخانقاه بالصحراء خارج باب البرقية فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر أنشأها الامير طغاى تمر النجمي فجاءت من المبانى الجليلة ورتب بها عدة من الصوفية وجعل شيخهم الشيخ برهان الدين الرشيدى وبنى بجانبها حماما وغرس في قبلها بستانا وعمل بجانب الحمام حوض ماء للسبيل ترده الدواب ووقف على ذلك عدة اوقاف ثم ان الحمام والحوض تعطلا مدة فلما ماتت أرزباى زوجة القاضى فتح الدين فتح الله كاتب السر في سنة ثمان وثمانمائة دفنها خارج باب النصر وأحب أن يبني على قبرها ويوقف عليها أوقافا ثم بدا له فنقلها الى هذه الخانقاه ودفنها بالقبة التي فيها وأدار الساقية وملأ الحوض ورتب لقراء هذه الخانقاه معلوما

وعزم على تجديد ماتشعث من بنائها وادارة حمامها ثم بدا له فأنشأ بجانب هذه الخانقاه تربة ونقل زوجته مرة ثالثة اليها وجعل أملاكه وقفا على تربته * ( طغاى تمر النجمي ) كان دوادار الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاون فلما مات الصالح استقر على حاله فى أيام أخويه الملك الكامل شعبان والملك المظفر حاجى وكان من أحسن الاشكال وأبدع الوجوه تقدم فى الدول وصارت له وجاهة عظيمة وخدمه الناس ولم يزل على حاله الى أن لعب به اغرلوا فيمن لعب وأخرجه الى الشام وألحقه بمن أخذه من غزة وذلك فى أوائل جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وطغاى هذا أول دوادار أخذ امرة مائة وتقدمة ألف وذلك فى أول دولة المظفر حاجي ولما كانت واقعة الامير ملكتمر الحجازى والامير آق سنقر وعدة من الامراء في تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبعمائة رمى طغاى تمر سيفه وبقى بغير سيف بعض يوم ثم ان المظفر أعطاه سيفه واستمر في الدوادارية نحو شهر وأخرج هو والامير نجم الدين محمود الوزير والامير سيف الدين بيدمر البدرى على الهجن الى الشام فأدركهم الامير سيف الدين منجك وقتلهم في الطريق

*( خانقاه أم أنوك )*

هذه الخانقاه خارج باب البرقية بالصحراء التي أنشأتها الخاتون طغاى تجاه تربة الامير طاشتمر الساقي فجاءت من أجل المبانى وجعلت بها صوفية وقراأ ووقفت عليها الاوقاف الكثيرة وقررت لكل جارية من جوازيها مرتبا يقوم بها * ( طغاى الخوندة الكبرى ) زوجة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون وأم ابنه الامير انوك كانت من جملة امائه فأعتقها وتزوجها ويقال انها أخت الامير أقبغا عبد الواحد وكانت بديعة الحسن باهرة الجمال رأت من السعادة مالم يره غيرها من نساء الملوك الترك بمصر وتنعمت فى ملاذ ماوصل سواها لمثلها ولم يدم السلطان على محبة امرأة سواها وصارت خونده بعد ابنه توكاى وأكبر نسائه حتى من ابنة الامير تنكز وحج بها القاضى كريم الدين الكبير واحتفل بأمرها وحمل لها البقول في محاير طين على ظهور الجمال وأخذلها الابقار الحلابة فسارت معها طول الطريق لاجل اللبن الطرى وعمل الجبن وكان يقلي لها الجبن في الغداء والعشاء وناهيك بمن وصل الى مداومة البقل والجبن فى كل يوم وهما أخس مايؤكل فما عساه يكون بعد ذلك وكان القاضى كريم الدين والامير مجلس وعدة من الامراء يترجلون عند النزول ويمشون بين يدى محفتها ويقبلون الارض لها كما يفعلون بالسلطان ثم حج بها الامير بشتاك في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة وكان الامير تنكز اذا جهز من دمشق تقدمة الى السلطان لابد أن يكون لخوند طغاى منها جزء وافر فلما مات السلطان الملك الناصر استمرت عظمتها من بعده الى أن ماتت في شهر شوال سنة تسع وأربعين وسبعمائة أيام الوباء عن ألف جارية وثمانين خادما خصيا

وأموال كثيرة جدا وكانت عفيفة طاهرة كثيرة الخير والصدقات والمعروف جهزت سائر جواريها وجعلت على قبرابنها بقبة المدرسة الناصرية بين القصرين قرآ اًووقفت على ذلك وقفاوجعلت من جملته خبزا يفرق على الفقراء ودفنت بهذه الخانقاهوهي من اعمر الاماكن الى يومنا هذا

* ( خانقاه يونس ) *

هـذه الخانقاه من جملة ميدان القبق بالقرب من قبة النصر خارج باب النصر أدركت موضعها وبه عواميد تعرف بعواميد السباق وهي أول مكان بني هناك * أنشاهـا الامير ( يونس النوروزى الدوادار ) كان من مماليك الامير سيف الدين جرجي الادريسى أحد الامراء الناصرية وأحد عتقائه فترقي فى الخدم من آخر أيام الملك الناصر محمد بن قلاون الى أن صار من جملة الطائفة اليلبغاوية فلما قتل الامير يلبغا الخاصكى خدم بعده الامير استدمر الناصرى الاتابك وصار من جملة دواداريته وما زال يتنقل فى الخدم الى أن قام الامير برقوق بعد قتل الملك الاشرف شعبان فكان ممن أعانه وقاتل معه فرعى له ذلك ورقاه الى أن جعله أمير مائة مقدم ألف وجعله دواداره لما تسلطن فسلك في رياسته طريقة جليلة ولزم حالة جميلة من كثرة الصيام والصلاة وأقامة الناموس الملوكي وشدة المهابة والاعراض عن اللعب ومداومة العبوس وطول الجلوس وقوة البطش لسرعة غضبه ومحبة الفقراء وحضور السماع والشغف به واكرام الفقهاء وأهل العلم وأنشأ بالقاهرة ربعا وقيسارية بخط البندقانيين وتربة خارج باب الوزير تحت القلعة وأنشأ بظاهر دمشق مدرسة بالشرف الاعلى وأنشأ خانا عظيما خارج مدينة غزة وجعل بجانب هذه الخانقاه مكتبا يقرأ فيه أيتام المسلمين كتاب الله تعالى وبني بها صهريجا ينقل اليه ماء النيل وما زال على وفور حرمته ونفوذ كلمته الى أن خرج الامير يلبغا الناصرى نائب حلب على الملك الظاهر برقوق في سنة احدى وتسعين وسبعمائة وجهز السلطان الامير ايتمش والامير يونس هذا والامير جهاركس الخليلي وعدة من الامراء والمماليك لقتاله فلقوه بدمشق وقتلوه فهزمهم وقتل الخليلى وفر ايتمش الى دمشق ونجا يونس بنفسه يريد مصر فأخذه الامير عيفا بن شطى امير الامراء وقتله يوم الثلاثاء ثانى عشرى شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وسبعمائة ولم يعرف له قبر بعد ماأعد لنفسه عدة مدافن في غير ما مدينة من مصر والشام

* ( خانقاه طيبرس ) *

هذه الخانقاه من جملة أراضي بستان الخشاب فيما بين القاهرة ومصر على شاطئ النيل أنشأها الامير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش في سنة سبع وسبعمائة بجوار جامعه المقدم ذكره عند ذكر الجوامع من هـذا الكتاب وقرر بها عدة من الصوفية

وجعل لهم شيخاً وأجري لهم المعاليم ولم تزل عامرة الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة فابتاع شخص الوكالة والربعين المعروفين بربع بكتمر والحمامين ونقض ذلك فخرب الخط وصار مخوفا فلما كان في سنة أربع عشرة وثمانمائة نقل الحضور من هذه الخانقاه الى المدرسة الطيبرسية بجوار الجامع الازهر وهى الآن بصدد أن تدثر وتمحي آثارها

* ( خانقاه أقبغا ) *

هذه الخانقاه هى موضع من المدرسة الاقبغاوية بجوار الجامع الازهر افرده الامير اقبغا عبد الواحد وجعل فيه طائفة يحضرون وظيفة التصوف وأقام لهم شيخاً وأفرد لهم وقفاً يختص بهم وهى باقية الى يومنا هذا وله أيضاً خانقاه بالقرافة

* ( الخانقاه الخروبية ) *

هذه الخانقاه بساحل الجيزة تجاه المقياس كانت منظرة من اعظم الدور وأحسنها أنشأها زكي الدين أبو بكر بن على الخروبي كبير التجار ثم توارثها من بعده أولاد الخروبي التجار بمصر فلم تزل بأيديهم الى أن نزلها السلطان المؤيد شيخ فى يوم الاثنين ثانى عشر شهر رجب الفرد سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة وأقام بها فاقتضي رأيه أن يجعلها خانقاه فاستدعى بابن الخروبى ليشتريها منه فتبرع بما يخصه منها وصار اليه باقيها فتقدم الى الامير سيف الدين أبى بكر بن المسروق الاستادار بعملها خانقاه وسار منها في يوم الاربعاء سادس عشره فأخذ الامير أبو بكر في عملها حتى كملت فى آخر السنة واستقر فى مشيختها شمس الدين محمد بن الحمتى الدمشقى الحنبلى وخلع عليه يوم السبت سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ورتب له فى كل يوم عشرة مؤيدية عنها مبلغ سبعين درهماً فلوساً سوى الخبز والسكن وقرر عنده عشرة من الفقراء لكل منهم مع الخبز مؤيدي في كل يوم فجاءت من أحسن شىء

* ( ذكر الربط ) *

الربط جمع رباط وهو دار يسكنها أهل طريق الله قال ابن سيده الرباط من الخيل الخمس فما فوقها والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطاً وربما سميت الخيل نفسها رباطاً والرباط والرباط المواظبة على الامر قال الفارسى هو ثان من لزوم الثغر ولزوم الثغر ثان من رباط الخيل وقوله تعالى وصابروا ورابطوا قيل معناه جاهدوا وقيل واظبوا على مواقيت الصلاة وقال أبو حفص السهروردى في كتاب عوارف المعارف وأصل الرباط ماربط فيه الخيول ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم رباط فالمجاهد المرابط يدفع عمن وراءه والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع بدعائه البلاء عن العباد والبلاد وروى داود بن صالح قال قال لى أبو سلمة ابن عبد الرحمن ياابن أخي هل تدري في أى شىء نزلت هذه الآية اصبروا وصابروا ورابطوا

قلت لاقال يابن أخي لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو تربط فيه الخيل ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة فالرباط جهاد النفس والمقيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه واجتماع أهل الربط اذا صح على الوجه الموضوع له الربط وتحقق أهل الربط بحسن المعاملة ورعاية الاوقات وتوقى مايفسد الاعمال ويصحح الاحوال عادت البركة على البلاد والعباد وشرائط سكان الرباط قطع المعاملة مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق وترك الاكتساب اكتفاء بكفالة مسبب الاسباب وحبس النفس عن المخالطات واجتناب التبعات ومواصلة الليل والنهار بالعبادة متعوضاً بها عن كل عادة والاشتغال بحفظ الاوقات وملازمة الاوراد وانتظار الصلوات واجتناب الغفلات ليكون بذلك مرابطاً مجاهدا * والرباط هو بيت الصوفية ومنزلهم ولكل قوم دار والرباط دارهم وقد شابهوا أهل الصفة في ذلك فالقوم في الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد وأحوال متناسبة ووضع الرباط لهذا المعنى * قال مؤلفه رحمه الله ولاتخاذ الربط والزوايا أصل من السنة وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ لفقراء الصحابة الذين لايأوون الى أهل ولا مال مكاناً من مسجده كانوا يقيمون به عرفوا بأهل الصفة

* ( رباط الصاحب ) *

هذا الرباط مطل على بركة الحبش أنشأه الصاحب فخر الدين أبو عبدالله محمد بن الوزير الصاحب بهاء الدين أبي الحسن على بن محمد بن سليم بن حنا ووقف عليه أبوه الصاحب بهاء الدين بعد موته عقارا بمدينة مصر وشرط أن يسكنه عشرة من الفقراء المجردين غير المتأهلين وذلك في ذى الحجة سنة ثمان وستين وستمائة وهو باق الى يومنا هذا وليس فيه أحد ويستأدى ريع وقفه من لايقوم بمصالحه

* ( رباط الفخرى ) *

هذا الرباط خارج باب الفتوح فيما بينه وبين باب النصر بناه الامير عز الدين ايبك الفخرى أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس

* ( رباط البغدادية ) *

هذا الرباط بداخل الدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس حيث كان المنحر الذي ذكر عند ذكر القصر من هذا الكتاب ومن الناس من يقول رواق البغدادية وهذا الرباط بنته الست الجليلة تذكار باي خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس فى سنة أربع وثمانين وستمائة للشيخة الصالحة زينب ابنة أبي البركات المعروفة ببنت البغدادية فأنزلتها به ومعها النساء الخيرات وما برح الى وقتنا هذا يعرف سكانه من النساء بالخير وله دائماً شيخة تعظ النساء وتذكرهن وتفقههن وآخر من أدركنا فيه الشيخة الصالحة سيدة نساء زمانها أم زينب

فاطمة بنت عباس البغدادية توفيت في ذى الحجة سنة أربع عشرة وسبعمائة وقدأنافت على الثمانين وكانت فقيهة وافرة العلم زاهدة قانعة باليسير عابدة واعظة حريصة على النفع والتذكير ذات اخلاص وخشية وأمر بالمعروف انتفع بهـا كثير من نساء دمشق ومصر وكان لهـا قبول زائد ووقع في النفوس وصار بعدها كل من قام بمشيخة هذا الرباط من النساء يقال لها البغدادية وأدركنا الشيخة الصالحة البغدادية أقامت به عدة سنين على أحسن طريقة الى أن ماتت يوم السبت لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وسبعمائة وأدركنا هذا الرباط وتودع فيه النساء اللاتي طلقن أو هجرن حتى يتزوجن أو يرجعن الى ازواجهن صيانة لهن لما كان فيه من شدة الضبط وغاية الاحتراز والمواظبة على وظائف العبادات حتى ان خادمة الفقيرات به كانت لاتمكن أحدا من استعمال ابريق ببزبوز وتؤدب من خرج عن الطريق بما تراه ثم لما فسدت الاحوال من عهد حدوث المحن بعد سنة ست وثمانمائة تلاشت أمور هذا الرباط ومنع مجاوروه من سجن النساء المعتدات به وفيه الى الآن بقايا من خير ويلي النظر عليه قاضي القضاة الحنفي

* ( رباط الست كليلة ) *

هذا الرباط خارج درب بطوط من جملة حكر سنجر اليمني ملاصق لسور الحجر بخط سوق الغنم وجامع أصلم وقفه الامير علاء الدين البراباه على الست كليلة المدعوة دولاى ابنة عبد الله التتارية زوج الامير سيف الدين البرلى السلاحدار الظاهري وجعله مسجداً ورباطاً ورتب فيه اماما ومؤذناً وذلك في ثالث عشرى شوال سنة أربع وتسعين وستمائة

* ( رباط الخازن ) *

هذا الرباط بقرب قبة الامام الشافعي رحمة الله عليه من قرافة مصر بناه الامير علم الدين سنجر بن عبد الله الخازن والى القاهرة وفيه دفن وهذا الخازن هو الذى ينسب اليه حكر الخازن خارج القاهرة

* ( الرباط المعروف برواق ابن سليمان ) *

هذا الرواق بحارة الهلالية خارج باب زويلة عرف بأحمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان ابن ابراهيم بن أبى المعالى بن العباس الرحبي البطائحي الرفاعى شيخ الفقراء الاحمدية الرفاعية بديار مصر كان عبدا صالحاً له قبول عظيم من أمراء الدولة وغيرهم وينتمي اليه كثير من الفقراء الاحمدية وروى الحديث عن سبط السلفى وحدث وكانت وفاته ليلة الاثنين سادس ذى الحجة سنة احدي وتسعين وستمائة بهذا الرواق

* ( رباط داود بن ابراهيم ) *

هذا الرباط بخط بركة الفيل بني في سنة ثلاث وستين وستمائة

* ( رباط ابن أبى المنصور ) *

هذا الرباط بقرافة مصر عرف بالشيخ صفى الدين الحسين بن على بن أبى المنصور الصوفي المالكى كان من بيت وزارة فتجرد وسلك طريق أهل الله على يد الشيخ أبى العباس أحمد بن أبي بكر الجزار التجيبي المغربى وتزوج ابنته وعرف بالبركة وحكيت عنه كرامات وصنف كتاب الرسالة ذكر فيها عدة من المشايخ وروى الحديث وحدث وشارك فى الفقه وغيره وكانت ولادته فى ذى القعدة سنة خمس وتسعين وخمسمائة ووفاته برباطه هذا يوم الجمعة ثانى عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وستمائة

*( رباط المشتهى )*

هذا الرباط بروضة مصر يطل على النيل وكان به الشيخ المسلك (٣) ولله در شيخنا العارف الاديب شهاب الدين أحمد بن أبى العباس الشاطر الدمنهورى حيث يقول

بروضة المقياس صوفيـة * هم منية الخاطر والمشتهي
لهـم على البحر أياد علت * وشيخهـم ذاك له المنتهى

وقال الامام العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى

ياليـلة مرت بنـا حلوة * ان رمت تشبيها لهـا عبتها
لايبلغ الواصف فى وصفها * حـدا ولا يلقى له منتهى
بت مع المعشوق في روضة * ونلت من خرطومه المشتهى

*( رباط الآثار )*

هـذا الرباط خارج مصر بالقرب من بركة الحبش مطل على النيل ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق * قال ابن المتوج هذا الرباط عمره الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد ولد الصاحب بهاء الدين علي بن حنا بجوار بستان المعشوق ومات رحمه الله قبل تكملته ووصى أن يكمل من ريع بستان المعشوق فاذا كملت عمارته يوقف عليه ووصي الفقيه عز الدين بن مسكين فعمر فيه شيئاً يسيراً وأدركه الموت الى رحمة الله تعالى وشرع الصاحب ناصر الدين محمد ولد الصاحب تاج الدين فى تكملته فعمر فيه شيئاً جيداً انتهي وانما قيل له رباط الآثار لان فيه قطعة خشب وحديد يقال ان ذلك من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراها الصاحب تاج الدين المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بني ابراهيم أهل ينبع وذكروا أنها لم تزل عندهم موروثة من واحد الى آخر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملها الى هذا الرباط وهي به الى اليوم يتبرك الناس بها ويعتقدون النفع بها وأدركنا لهذا الرباط بهجة وللناس فيه اجتماعات ولسكانه عدة منافع ممن يتردد اليه أيام كان ماء النيل تحته دائما فلما انحسر الماء من تجاهه وحدثت المحن من سنة ست وثمانمائة قل تردد

الناس اليه وفيه الى اليوم بقية ولما كانت أيام الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون قرر فيه درسا للفقهاء الشافعية وجعل له مدرسا وعنده عدة من الطلبة ولهم جار في كل شهر من وقف وقفه عليهم وهو باق أيضاً وفي أيام الملك الظاهر برقوق وقف قطعة أرض لعمل الجسر المتصل بالرباط وبهذا الرباط خزانة كتب وهو عامر بأهله * ( الوزير الصاحب ) تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الوزير الصاحب بهاء الدين علي ابن سليم بن حنا ولد في سابع شعبان سنة أربعين وستمائة وسمع من سبط السلفي وحدث وانتهت اليه رياسة عصره وكان صاحب صيانة وسودد ومكارم وشاكلة حسنة وبزة فاخرة الى الغاية وكان يتناهى في المطاعم والملابس والمناكح والمساكن ويجود بالصدقات الكثيرة مع التواضع ومحبة الفقراء وأهل الصلاح والمبالغة في اعتقادهم ونال في الدنيا من العز والجاه مالم يره جده الصاحب الكبير بهاء الدين بحيث انه لما تقلد الوزير الصاحب فخر الدين بن الخليلي الوزارة سار من قلعة الجبل وعليه تشريف الوزارة الى بيت الصاحب تاج الدين وقبل يده وجلس بين يديه ثم انصرف الى داره وما زال على هذا القدر من وفور العز الى أن تقلد الوزارة في يوم الخميس رابع عشرى صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة بعد قتل الوزير الامير سنجر الشجاعي فلم ينجب وتوقفت الاحوال في أيامه حتى احتاج الى احضار تقاوى النواحي المرصدة بها للتخضير واستهلكها ثم صرف في يوم الثلاثاء خامس عشرى جمادى الاولى سنة أربع وتسعين وستمائة بفخر الدين عثمان بن الخليلي وأعيد الى الوزارة مرة ثانية فلم ينجح وعزل وسلم مرة للشجاعي فجرده من ثيابه وضربه شيبا واحدا بالمقارع فوق قميصه ثم أفرج عنه على مال ومات في رابع جمادي الآخرة سنة سبع وسبعمائة ودفن في تربتهم بالقرافة وكان له شعر جيد ولله در شيخنا الاديب جلال الدين محمد بن خطيب داريا الدمشقي البيساني حيث يقول في الآثار

يا عين ان بعد الحبيب وداره * ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد ظفرت من الزمان بطائل * ان لم تريه فهذه آثاره

وقد سبقه لذلك الصلاح خليل بن ايبك الصفدي فقال

أكرم بآثار النبي محمد * من زاره استوفى السرور مزاره
يا عين دونك فانظرى وتمتعى * ان لم تريه فهذه آثاره

واقتدى بهما في ذلك أبو الحزم المدني فقال

يا عين كم ذا تسفحين مدامعا * شوقا لقرب المصطفى ودياره
ان كان صرف الدهر عاقك عنهما * فتمتعي يا عين في آثاره

*( رباط الافرم )*

هذا الرباط بسفح الجرف الذى عليه الرصد وهو يشرف على بركة الحبش وكان من أحسن منتزهات أهل مصر أنشأه الامير عز الدين ايبك الافرم أمير خازندار الصالحى النجمي ورتب فيه صوفية وشيخا واماما وجعل فيه منبرا يخطب عليه للجمعة والعيدين وقرر لهم معاليم من أوقاف أرصدها لهم وذلك في سنة ثلاث وستين وستمائة وهو باق الا انه لم يبق به ساكن لخراب ماحوله وله الى اليوم متحصل من وقفه والافرم هذا هو الذى ينسب اليه جسر الافرم خارج مصر وقد ذكر عند ذكر الجسور من هذا الكتاب

*( الرباط العلائى )*

هذا الرباط خارج مصر بخط بين الزقاقين شرقي الخليج الكبير يعرف اليوم بخانقاه المواصلة وهو آيل الى الدثور لخراب ماحوله أنشأه الملك علاء الدين أبو الحسن علي ابن الملك المجاهد سيف الدين اسحاق صاحب الجزيرة ابن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل بجوار داره وحمامه وطاحونه وجعل له فيه مدفنا ووقف عليه بستان الجرف وبستانا بناحية شبرا وعدة حصص من قرى فلسطين والساحل وأحكارا ودورا بجانب الرباط ومات يوم الجمعة ثامن ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين وسبعمائة ومولده يوم الجمعة ثامن عشرى المحرم سنة سبع وخمسين وستمائة بجزيرة ابن عمر وكان من الحلقة وسمع الحديث من النجيب الحرانى وابن عرنين وابن علاف ودفن فيه وبه الى الآن بقية ويحضره الفقهاء يوما فى الاسبوع وهم عشرة شيخهم منهم ومنهم قارئ ميعاد وقراء وكان أولا معمورا بسكنى أهله دائما فيه وفي هذا الوقت لايمكن سكناه لكثرة الخوف من السراق

## ذكر الزوايا

*( زاوية الدمياطي )*

هذه الزاوية فيما بين خط السبع سقايات وقنطرة السد خارج مصر الى جانب حوض السبيل المعد لشرب الدواب أنشأها الامير عز الدين أيبك الدمياطي الصالحي النجمي أحد الامراء المقدمين الاكابر فى أيام الملك الظاهر بيبرس وبها دفن لما مات بالقاهرة ليلة الاربعاء تاسع شعبان سنة ست وتسعين وستمائة والى الآن يعرف الحوض المجاور لها بحوض الدمياطى

*( زاوية الشيخ خضر )*

هذه الزاوية خارج باب الفتوح من القاهرة بخط زقاق الكحل تشرف على الخليج الكبير عرفت بالشيخ خضر بن أبي بكر بن موسى المهراني العدوى شيخ السلطان الملك الظاهر بيبرس كان أولا قد انقطع بجبل المزة خارج دمشق فعرفه الامير سيف الدين قشتمر العجمى وتردد اليه فقال له لابد أن يتسلطن الامير بيبرس البندقدارى فأخبر بيبرس بذلك

فلما صارت المملكة اليه بعد قتل الملك المظفر قطز اشتمل على اعتقاده وقربه وبنى له زاوية بجبل المزة وزاوية بظاهر بعلبك وزاوية بحماه وزاوية بحمص وهذه الزاوية خارج القاهرة ووقف عليها أحكارا تغل في السنة نحو الثلاثين ألف درهم وأنزله بها وصار ينزل اليه في الاسبوع مرة أو مرتين ويطلعه على غوامض أسراره ويستشيره فى أموره ولا يخرج عما يشير به ويأخذه معه في أسفاره وأطلق يده وصرفه في مملكته فهدم كنيسة اليهود بدمشق وهدم كنيسة للنصارى بالقدس كانت تعرف بالمصلبة وعملها زاوية وقتل قسيسها بيده وهدم كنيسة للروم بالاسكندرية كانت من كراسى النصارى ويزعمون أن بها رأس يحيي بن زكريا وعملها مسجدا سماه الخضر فاتقى جانبه الخاص والعام حتي الامير بدر الدين بيلبك الخازندار نائب السلطنة والصاحب بهاء الدين على بن حنا وملوك الاطراف وكان يكتب الى صاحب حماه وجميع الامراء اذا طلب حاجة مامثاله الشيخ خضر نياك الحمارة وكان ربع القامة كث اللحية يتعمم عسراوى وفي لسانه عجمة مع سعة صدر وكرم شمائل وكثرة عطاء من تفرقة الذهب والفضة وعمل الاسمطة الفاخرة وكانت أحواله عجيبة لاتتكيف وأقوال الناس فيه مختلفة منهم من يثبت صلاحه ويعتقده ومنهم من يرميه بالعظائم وكان يخبر السلطان بأمور تقع ٠ منها أنه لما حاصر أرسوف وهى أول فتوحاته قال له متي نأخذ هذه المدينة فعين له يوما يأخذها فيه فأخذها في ذلك اليوم بعينه واتفق له مثل ذلك في فتح قيسارية فلذلك كثر اعتقاده فيه وما أحسن قول الشريف محمد بن رضوان الناسخ في ملازمة السلطان له فى أسفاره

ما الظاهر السلطان الاملاك الـــدنيا بذاك لنا الملاحم تخبر
ولنا دليل واضح كالشمس فى * وسط السماء لكل عين تنظر
لما رأينا الخضر يقدم جيشه * أبدا علمنا انه الاسكندر

وما برح على رتبته الى ثامن عشر شوال سنة احدي وسبعين وستمائة فقبض عليه واعتقل بقلعة الجبل ومنع الناس من الاجتماع به ويقال ان ذلك بسبب أن السلطان كان أعطاه تحفاً قدمت من اليمن منها كر" يمني" مليح الى الغاية فأعطاه خضر لبعض المردان فبلغ ذلك الامير بدر الدين الخازندار النائب وكان قد ثقل عليه بكثرة تسلطه حتى لقد قال له مرة بحضرة السلطان كأنك تشفق على السلطان وعلى اولاده مثل مافعل قطز بأولاد المعز فأسرها في نفسه وبلغ خبر الكر" اليمني الى السلطان فاستدعاه وحضر جماعة حاققوه على امور كثيرة منكرة كاللواط والزنا ونحوه فاعتقله ورتب له مايكفيه من مأكول وفاكهة وحلوى ولما سافر السلطان الى بلاد الروم قال خضر لبعض اصحابه ان السلطان يظهر على الروم ويرجع الى دمشق فيموت بها بعد أن أموت أنا بعشرين يوما فكان كذلك ومات خضر في محبسه

بقلعة الجبل في سادس المحرم أو سابعه من سنة ست وسبعين وستمائة وقد أناف على الخمسين فسلم الى أهله وحملوه الى زاويته هذه ودفنوه فيها وكان السلطان قد كتب بالافراج عنه فقدم البريد بعد موته ومات السلطان بدمشق فى سابع عشرى المحرم المذكور بعد خضر بعشرين يوما وهذه الزاوية باقية الى اليوم

* ( زاوية ابن منظور ) *

هذه الزاوية خارج القاهرة بخط الدكة بجوار المقس عرفت بالشيخ جمال الدين محمد ابن أحمد بن منظور بن يس بن خليفة بن عبد الرحمن أبو عبد الله الكتانى العسقلانى الشافعي الصوفي الامام الزاهد كانت له معارف وأتباع ومريدون ومعرفة بالحديث حدث عن أبي الفتوح الجلالى وروى عنه الدمياطى والدواداري وعدة من الناس ونظر فى الفقه واشتهر بالفضيلة وكانت له ثروة وصدقات ومولده فى ذى القعدة سنة سبع وتسعين وخمسمائة ووفاته بزاويته فى ليلة الثانى والعشرين من شهر رجب الفرد سنة ست وتسعين وستمائة وكانت هذه الزاوية أولا تعرف بزاوية شمس الدين بن كرا البغدادى

* ( زاوية الظاهرى ) *

هذه الزاوية خارج باب البحر ظاهر القاهرة عند حمام طرغاى على الخليج الناصرى كانت أولا تشرف طاقاتها على بحر النيل الاعظم فلما انحسر الماء عن ساحل المقس وحفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصرى صارت تشرف على الخليج المذكور من بره الشرقي واتصلت المناظر هناك الى أن كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة فخربت حمام طرغاى وبيعت أنقاضها وأنقاض كثير مما كان هناك من المناظر وأنشئ هناك بستان عرف أولا بعبد الرحمن صيرفي الامير جمال الدين الاستادار لانه أولا انشاه ثم انتقل عنه * والظاهرى هذا هو أحمد بن محمد بن عبد الله أبو العباس جمال الدين الظاهرى كان أبوه محمد ابن عبد الله عتيق الملك الظاهر شهاب الدين غازى وبرع حتى صار اماما حافظاً وتوفي ليلة الثلاثاء لاربع بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين وستمائة بالقاهرة ودفن بتربته خارج باب النصر * وابنه عثمان بن أحمد بن محمد بن عبد الله فخر الدين بن جمال الدين الظاهرى الحلبي الامام العلامة المحدث الصالح ولد في سنة سبعين وستمائة وأسمعه أبوه بديار مصر والشام وكان مكثراً ومات بزاويته هذه فى سنة ثلاثين وسبعمائة

* ( زاوية الجميزة ) *

هذه الزاوية موضعها من جملة أراضى الزهرى وهى الآن خارج باب زويلة بالقرب من معدية فريج أنشأها الامير سيف الدين جيرك السلاحدار المنصوري أحد أمراء الملك المنصور قلاون في سنة اثنتين وثمانين وستمائة وجعل فيها عدة من الفقراء الصوفية

* ( زاوية الحلاوى ) *

هـذه الزاوية بخط الابارين من القاهرة بالقرب من الجامع الازهر أنشأها الشيخ مبارك الهندى السعودى الحلاوى أحد الفقراء من أصحاب الشيخ أبى السعود بن أبى العشائر البارينى الواسطى في سنة ثمان وثمانين وستمائة وأقام بها الى أن مات ودفن فيها فقام من بعده ابنه الشيخ عمر بن علي بن مبارك وكانت له سماعات ومرويات ثم قام من بعده ابنه شيخنا جمال الدين عبد الله ابن الشيخ عمر بن علي ابن الشيخ مبارك الهندى وحدث فسمعنا عليه بها الى أن مات فى صفر سنة ثمان وثمانمائة وبها الآن ولده وهي من الزوايا المشهورة بالقاهرة

* ( زاوية نصر ) *

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة أنشأها الشيخ نصر بن سليمان أبو الفتح المنبجي الناسك القدوة وحدث بها عن ابراهيم بن خليل وغيره وكان فقيها معتزلا عن الناس متخلياً للعبادة يتردد اليه أكابر الناس وأعيان الدولة وكان للامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير فيه اعتقاد كبير فلما ولى سلطنة مصر أجل قدره وأكرم محله فهرع الناس اليه وتوسلوا به في حوائجهم وكان يتغالى في محبة العارف محيي الدين محمد بن عربي الصوفي ولذلك كانت بينه وبين شيخ الاسلام احمد بن تيمية مناكرة كبيرة ومات رحمه الله عن بضع وثمانين سنة في ليلة السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبعمائة ودفن بها

* زاوية الخدام ) *

هذه الزاوية خارج باب النصر فيما بين شقة باب الفتوح من الحسينية وبين شقة الحسينية خارج باب النصر أنشأها الطواشى بلال الفراجى وجعلها وقفاً على الخدام الحبش الاجناد في سنة سبع وأربعين وستمائة

* ( زاوية تقى الدين ) *

هذه الزاوية تحت قلعة الجبل أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاون بعد سنة عشرين وسبعمائة لسكنى الشيخ تقى الدين رجب بن أشيرك العجمى وكان وجيهاً محترما عند أمراء الدولة ولم يزل بها الى أن مات يوم السبت ثامن شهر رجب سنة أربع عشرة وسبعمائة ومازالت منزلا لفقراء العجم الى وقتنا هذا

* ( زاوية الشريف مهدي ) *

هذه الزاوية بجوار زاوية الشيخ تقى الدين المذكور بناها الامير صرغتمش في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة

* ( زاوية الطراطرية ) *

هذه الزاوية بالقرب من موردة البلاط بناها الملك الناصر محمد بن قلاون بوساطة القاضي

شرف الدين النشو ناظر الخاص برسم الشيخين الاخوين محمد واحمد المعروفين بالطراطرية في سنة أربعين وسبعمائة وكانا من أهل الخير والصلاح ونزلا أولا في مقصورة بالجامع الازهر فعرفت بهما ثم عرفت بعدهما بمقصورة الحسام الصفدى والد الامير الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام وهذه المقصورة بآخر الرواق الاول مما يلي الركن الغربى ولم تزل هذه الزاوية عامرة الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة وخرب خط زريبة قوصون ومافى قبليه الى منشأة المهرانى وما في بحريه الى قرب بولاق

*( زاوية القلندرية )*

القلندرية طائفة تنتمي الى الصوفية وتارة تسمى أنفسها ملامتية وحقيقة القلندرية أنهم قوم طرحوا التقيد بآداب المجالسات والمخاطبات وقلت أعمالهم من الصوم والصلاة الا الفرائض ولم يبالوا بتناول شئ من اللذات المباحة واقتصروا على رعاية الرخصة ولم يطلبوا حقائق العزيمة والتزموا أن لايدخروا شيئاً وتركوا الجمع والاستكثار من الدنيا ولم يتقشفوا ولا زهدوا ولا تعبدوا وزعموا أنهم قد قنعوا بطيب قلوبهم مع الله تعالى واقتصروا على ذلك وليس عندهم تطلع الى طلب مزيد سوى ماهم عليه من طيب القلوب * والفرق بين الملامتى والقلندرى أن الملامتي يعمل فى كتم العبادات والقلندرى يعمل فى تخريب العادات والملامتي يتمسك بكل أبواب البر والخير ويرى الفضل فيه الا أنه يخفى أحواله وأعماله ويوقف نفسه موقف العوام في هيئته وملبوسه تسترا للحال حتى لايفطن له وهو مع ذلك متطلع الى المزيد من العبادات والقلندرى لايتقيد بهيئة ولا يبالى بما يعرف من حاله ومالا يعرف ولا ينعطف الا على طيب القلوب وهو رأس ماله

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة من الجهة التي فيها الترب والمقابر التى تلي المساكن أنشأها الشيخ حسن الجوالقى القلندرى أحد فقراء العجم القلندرية على رأى الجوالقة ولما قدم الى ديار مصر تقدم عند أمراء الدولة التركية وأقبلوا عليه واعتقدوه فأثرى ثراء زائدا في سلطنة الملك العادل كتبغا وسافر معه من مصر الى الشام فاتفق أن السلطان اصطاد غزالا ودفعه اليه ليحمله الى صاحب حماه فلما أحضره اليه ألبسه تشريفا من حرير طرز وخش وكلوتة زركش فقدم بذلك على السلطان فأخذ الامراء في مداعبته وقالوا له على سبيل الانكار كيف تلبس الحرير والذهب وهما حرام على الرجال فأين التزهد وسلوك طريق الفقراء ونحو ذلك فعند ماحضر صاحب حماه الى مجلس السلطان على العادة قال له ياخوند ايش عملت معى الامراء أنكروا علي والفقراء تطالبني فأنعم عليه بألف دينار فجمع الفقراء والناس وعمل وقتا عظيما بزاوية الشيخ على الحريرى خارج دمشق وكان سمح النفس جميل العشرة لطيف الروح يحلق لحيته ولا يعتم ثم انه ترك الحلق وصارت له لحية

وتعمم عمامة صوفية وكانت له عصبة وفيه مروءة وعصبية ومات بدمشق فى سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة وما زالت هذه الزاوية منزلا لطائفة القلندرية ولهم بها شيخ وفيها منهم عدد موفور وفى شهر ذى القعدة سنة احدى وستين وسبعمائة حضر السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون بخانقاه أبيه الملك الناصر في ناحية سرياقوس خارج القاهرة ومد له شيخ الشيوخ سماطا كان من جملة من وقف عليه بين يدى السلطان الشريف على شيخ زاوية القلندرية هذه فاستدعاه السلطان وأنكر عليه حلق لحيته واستتابه وكتب له توقيعا سلطانيا منع فيه هذه الطائفة من تحليق لحاهم وأن من تظاهر بهذه البدعة قوبل على فعله المحرم وأن يكون شيخا على طائفته كما كان مادام وداموا متمسكين بالسنة النبوية وهذه البدعة لها منذ ظهرت مايزيد على أربعمائة سنة وأول ماظهرت بدمشق في سنة بضع عشرة وستمائة وكتب الى بلاد الشام بالزام القلندرية بترك زى الاعاجم والمجوس ولا يمكن أحد من الدخول الى بلاد الشام حتي يترك هذا الزى المبتدع واللباس المستبشع ومن لايلتزم بذلك يعزر شرعا ويقلع من قراره قلما فنودى بذلك في دمشق وأرجائها يوم الاربعاء سادس عشر ذى الحجة

*( قبة النصر )*

هذه القبة زاوية يسكنها فقراء العجم وهى خارج القاهرة بالصحراء تحت الجبل الاحمر بآخر ميدان القبق من بحريه جددها الملك الناصر محمد بن قلاون على يد الامير جمال الدين أقوش نائب الكرك

*( زاوية الركراكى )*

هذه الزاوية خارج القاهرة فى أرض المقس عرفت بالشيخ المعتقد أبى عبد الله محمد الركراكى المغربى المالكى لاقامته بها وكان فقيها مالكيا متصديا لاشغال المغاربة يتبرك الناس به الى أن مات بها يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الاولى سنة أربع وتسعين وسبعمائة ودفن بها * والركراكى نسبة الى ركراكة بلدة بالمغرب هى احد مراسى سواحل المغرب بقرب البحر المحيط تنزل فيه السفن فلا تخرج الا بالرياح العاصفة في زمن الشتاء عند تكدر الهواء

*( زاوية ابراهيم الصائغ )*

هذه الزاوية بوسط الجسر الاعظم تطل على بركة الفيل عمرها الامير سيف الدين طغاى بعد سنة عشرين وسبعمائة وأنزل فيها فقيرا عجميا من فقراء الشيخ تقى الدين رجب يعرف بالشيخ عز الدين العجمي وكان يعرف صناعة الموسيقى وله نغمة لذيذة وصوت مطرب وغناء جيد فأقام بها الى أن مات في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فغلب عليها الشيخ ابراهيم الصائغ الى أن مات يوم الاثنين رابع عشر شهر رجب سنة أربع وخمسين وسبعمائة فعرفت به

*( زاوية الجعبرى )*

هـذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة تنسب الى الشيخ برهان الدين ابراهيم ابن معضاد بن شداد بن ماجد الجعبرى المعتقد الواعظ كان يجلس للوعظ فتجتمع اليه الناس ويذكرهم ويروى الحديث ويشارك فى علم الطب وغيره من العلوم وله شعر حسن وروى عن السخاوى وحدث عن البزراكى وكان له أصحاب يبالغون في اعتقاده ويغلون فى أمره وكان لايراه أحد الا أعظم قدره وأجله وأثني عليه وحفظت عنه كلمات طعن عليه بسببها وعمر حتى جاوز الثمانين سنة فلما مرض أمر أن يخرج به الى مكان قبره فلما وقف عليه قال قبير وحال دبيرومات بعد ذلك بيوم في يوم السبت رابع عشري المحرم سنة سبع وثمانين وستمائة والجعابرة عدة منهم

*( زاوية أبى السعود )*

هذه الزاوية خارج باب القنطرة من القاهرة على حافة الخليج عرفت بالشيخ المبارك أيوب السعودى كان يذكر أنه رأي الشيخ أبا السعود بن أبي العشائر وسلك على يديه وانقطع بهذه الزاوية وتبرك الناس به واعتقدوا اجابة دعائه وعمر وصار يحمل لعجزه عن الحركة حتي مات عن مائة سنة أول صفر سنة أربع وعشرين وسبعمائة

*( زاوية الحمصى )*

هذه الزاوية خارج القاهرة بخط حكر خزائن السلاح والاوسية على شاطئ خليج الذكر من أرض المقس بجوار الدكة أنشأها الامير ناصر الدين محمد ويدعي طيقوش ابن الامير فخر الدين الطنبغا الحمصى أحد الامراء فى الايام الناصرية كان أبوه من أمراء الظاهر بيبرس ورتب بهذه الزاوية عشرة من الفقراء شيخهم منهم ووقف عليها عدة أماكن في جوارها وحصة من قرية بورين من قري ساحل الشام وغير ذلك فى سنة تسع وسبعمائة فلما خرب ماحولها وارتدم خليج الذكر تعطلت وهى الآن قد عزم مستحقو ريعها على هدمها لكثرة ما أحاط بها من الخراب من سائر جهاتها وصار السلوك اليها مخوفا بعد ما كانت تلك الخطة في غاية العمارة وفى جمادى سنة عشرين وسبعمائة هدمت

*( زاوية المغربل )*

هذه الزاوية خارج القاهرة بدرب الزراق من الحكر عرفت بالشيخ المعتقد علىّ المغربل ومات في يوم الجمعة خامس جمادى الاولى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ولما كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة خربت الحكورة وهدم درب الزراق وغيره

*( زاوية القصرى )*

هذه الزاوية بخط المقس خارج القاهرة عرفت بالشيخ أبي عبدالله محمد بن موسى عبد

الله بن حسن القصرى الرجل الصالح الفقيه المالكى المغربى قدم من قصر كتامة بالمغرب الى القاهرة وانقطع بهذه الزاوية على طريقة جميلة من العبادة وطلب العلم الى أن مات بها فى التاسع من شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة

* ( زاوية الجاكي ) *

هذه الزاوية فى سويقة الريش من الحكورة خارج القاهرة بجانب الخليج الغربي عرفت بالشيخ المعتقد حسين بن ابراهيم بن على الجاكى ومات بها في يوم الخميس العشرين من شوال سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ودفن خارج باب النصر وكانت جنازته عظيمة جدا وأقام الناس يتبركون بزيارة قبره الى أن كانت سنة سبع عشرة وثمانمائة فأقبل الناس الى زيارة قبره وكان لهم هناك مجتمع عظيم في كل يوم ويحملون النذور الى قبره ويزعمون أن الدعاء عنده لايرد فتنة أضل الشيطان بها كثيرا من الناس وهم على ذلك الى يومنا هذا

* ( زاوية الابناسي ) *

هذه الزاوية بخط المقس عرفت بالشيخ الفقيه برهان الدين ابراهيم بن حسين بن موسى بن أيوب الابناسي الشافعى قدم من الريف وبرع في الفقه واشتهر بسلامة الباطن وعرف بالخير والصلاح وكتب على الفتوى ودرس بالجامع الازهر وغيره وتصدى لاشغال الطلبة عدة سنين وولى مشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء وطلبه الامير سيف الدين برقوق وهو يومئذ أتابك العساكر حتى يقلده قضاء القضاة بديار مصر فغيب فرارا من ذلك وتنزها عنه الى أن ولى غيره وكانت ولادته قبيل سنة خمس وعشرين وسبعمائة ووفاته بمنزلة المويلح من طريق الحجاز بعد عوده من الحج فى ثامن المحرم سنة اثنين وثمانمائة ودفن بعيون القصب

* ( زاوية اليونسية ) *

هذه الزاوية خارج القاهرة بالقرب من باب اللوق تنزلها الطائفة اليونسية واحدهم يونسى بضم الياء المعجمة باثنتين من تحتها وبعد الياء واو ثم نون بعدها سين مهملة في آخرها ياء آخر الحروف نسبة الى يونس ويونس المنسوب اليه الطائفة اليونسية غير واحد فمنهم يونس بن عبد الرحمن القمي مولى آل يقطين وهو الذى يزعم أن معبوده على عرشه تحمله ملائكته وان كان هو أقوى منها كالكركي تحمله رجلاه وهو أقوى منهما وقد كفر من زعم ذلك فان الله تعالى هو الذى يحمل العرش وحملته وهذه الطائفة اليونسية من غلاة الشيعة واليونسية أيضاً فرقة من المرجئة ينتمون الى يونس السموى وكان يزعم أن الايمان هو المعرفة بالله والخضوع له وهو ترك الاستكبار عليه والمحبة له فمن اجتمعت فيه هذه الخلال فهو مؤمن وزعم ان ابليس كان عارفا بالله غير أنه كفر باستكباره عليه وهم يونس بن يونس

ابن مساعد الشيباني ثم المخارقي شيخ الفقراء اليونسية شيخ صالح له كرامات مشهورة ولم يكن له شيخ بل كان مجذوبا جذب الى طريق الخير توفي بأعمال دارا فى سنة تسع عشرة وسبعمائة وقد ناهز تسعين سنة وقبره مشهور يزار ويتبرك به واليه تنسب هذه الطائفة اليونسية

* ( زاوية الخلاطى ) *

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة بالقرب من زاوية الشيخ نصر المنبجي عرفت ( ٣ ) وكانت لهم وجاهة منهم ناصر الدين محمد بن علاء الدين على بن محمد بن حسين الخلاطى مات في نصف جمادي الأولى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ودفن بها

* الزاوية العدوية ) *

هذه الزاوية بالقرافة تنسب الى الشيخ عدى بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان الهكارى القرشي الاموى وكان قد صحب عدة من المشايخ كعقيل المنبجي وحماد الدباس وعبد القادر السهروردي وعبدالقادر الجيلى ثم انقطع في جبل الهكارية من أعمال الموصل وبني له زاوية فمال اليه أهل تلك النواحى كلها ميلا لم يسمع لارباب الزوايا مثله حتي مات سنة سبع وقيل سنة خمس وخمسين وخمسمائة ودفن في زاويته وقدم ابن أخيه الى هذه البلاد وهو زين الدين فأكرم وأنعم عليه بامرة ثم تركها وانقطع في قرية بالشام تعرف ببيت فار على هيئة الملوك من اقتناء الخيول المسومة والمماليك والجوارى والملابس وعمل الاسمطة الملوكية فافتتنت به بعض نساء الطائفة القيمرية وبالغت في تعظيمه وبذلت له أموالا عظيمة وحاشيتها تلومها فيه فلا تصغي الى قولهم فاحتالوا حتى أوقفوها عليه وهو عاكف على المنكرات فما زادها ذلك الا ضلالا وقالت أنتم تنكرون هذا عليه انما الشيخ يتدلل على ربه وأتاه الامير الكبير علم الدين سنجر الدوادار ومعه الشهاب محمود لتحليفه في أول دولة الاشرف خليل بن قلاون الى قريته فاذا هو كالملك في قلعته للتجمل الظاهر والحشمة الزائدة والفرش الاطلس وآنية الذهب والفضة والنضار الصينى وأشياء تفوت العد الى غير ذلك من الاشربة المختلفة الالوان والاطعمة المنوعة فلما دخلا عليه لم يحتفل بهما وقبل الامير سنجر يده وهو جالس لم يقم وبقي قائما قدامه يحدثه وزين الدين يسأله ساعة ثم أمره أن يجلس فجلس على ركبتيه متأدبا بين يديه فلما حلفاه أنعم عليهما بما يقارب خمسة عشر ألف درهم وتخلف من طائفته الشيخ عز الدين أميران وأنعم عليه بامرة دمشق ثم نقل الى امرة بصفد ثم أعيد الى دمشق وترك الامرة وانقطع بالمرة وتردد اليه الاكراد من كل قطر وحملوا اليه الاموال ثم انه اراد ان يخرج على السلطان بمن معه من الاكراد في كل بلد فباعوا أموالهم واشتروا الخيل والسلاح ووعد رجاله بنيابات البلاد ونزل بأرض اللجون فبلغ ذلك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون فكتب الى الامير

تنكز نائب الشام بكشف أخبارهم وأمسك السلطان من كان بهذه الزاوية العدوية ودرك على أمير طبر واختلفت الاخبار فقيل انهم يريدون سلطنة مصر وقيل يريدون ملك اليمن فقلق السلطان لامرهم وأهمه الى أن أمسك الامير تنكز عز الدين المذكور وسجنه في سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة حتي مات وفرق الاكراد ولولم يتداركه لاوشك أن يكون لهم نوبة

* ( زاوية السدار ) *

هذه الزاوية برأس حارة الديلم بناها الفقير المعتقد على بن السدار في سنة سبعين وسبعمائة وتوفي في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة

## ذكر المشاهد التى يتبرك الناس بزيارتها

* ( مشهد زين العابدين ) *

هذا المشهد فيما بين الجامع الطولونى ومدينة مصر تسميه العامة مشهد زين العابدين وهو خطأ وانما هو مشهد رأس زيد بن على المعروف بزين العابدين بن الحسين بن على ابن أبى طالب عليه السلام ويعرف في القديم بمسجد محرس الخصى * قال القضاعى مسجد محرس الخصى بني على رأس زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب حين انفذه هشام ابن عبد الملك الى مصر ونصب على المنبر بالجامع فسرقه أهل مصر ودفنوه في هذا الموضع * وقال الكندى فى كتاب الامراء وقدم الى مصر في سنة اثنتين وعشرين ومائة أبو الحكم بن أبى الابيض القيسي خطيباً برأس زيد بن على رضوان الله عليه يوم الاحد لعشر خلون من جمادى الآخرة واجتمع الناس اليه في المسجد * وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى فى كتاب الجوهر المكنون فى ذكر القبائل والبطون وبنو زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام الشهيد بالكوفة ولم يبق له عليه السلام غير رأسه التى بالمشهد الذى بين الكومين بمصر بطريق جامع ابن طولون وبركة الفيل وهو من الخطاط يعرف بمسجد محرس الخصى ولما صلب كشفوا عورته فنسج العنكبوت فسترها ثم انه بعد ذلك احرق وذرى فى الريح ولم يبق منه الا رأسه التي بمصر وهو مشهد صحيح لانه طيف بها بمصر ثم نصبت على المنبر بالجامع بمصر في سنة اثنتين وعشرين ومائة فسرقت ودفنت فى هذا الموضع الى أن ظهرت وبنى عليها مشهد * وذكر ابن عبد الظاهر أن الافضل بن أمير الجيوش لما بلغته حكاية رأس زيد أمر بكشف المسجد وكان وسط الاكوام ولم يبق من معالمه الا محراب فوجد هذا العضو الشريف قال محمد بن منجب بن الصيرفى حدثنى الشريف فخر الدين أبو الفتوح ناصر الزيدى خطيب مصر وكان من جملة من حضر الكشف قال لما خرج هذا العضو رأيته وهو هامة وافرة وفى الجبهة أثر في سعة الدرهم فضمخ وعطر وحمل الى دار حتى عمر هذا المشهد وكان

وجدانه يوم الاحد تاسع عشرى ربيع الاول سنة خمس وعشرين وخمسمائة وكان الوصول به فى يوم الاحد ووجد انه فى يوم الاحد * ( زيد بن على ) بن الحسين بن على بن أبى طالب كنيته أبو الحسن الامام الذى تنسب اليه الزيدية احدى طوائف الشيعة سكن المدينة وروى عن أبيه على بن الحسين الملقب زين العابدين وعن أبان بن عثمان وعبيد الله بن أبى رافع وعروة بن الزبير وروى عنه محمد بن شهاب الزهرى وزكريا بن أبى زائدة وخلق ذكره ابن حبان فى الثقات وقال رأى جماعة من الصحابة وقيل لجعفر بن محمد الصادق عن الرافضة انهم يتبرؤن من عمك زيد فقال بريء الله ممن تبرأ من عمي كان والله اقرأنا لكتاب الله وأفقهنا في دين الله وأوصلنا للرحم والله ماترك فينا لدنيا ولا لآخرة مثله وقال أبو اسحاق السبيعى رأيت زيد بن على فلم أر فى أهله مثله ولا أعلم منه ولا أفضل وكان افصحهم لسانا وأكثرهم زهدا وبيانا وقال الشعبى والله ماولد النساء أفضل من زيد بن علي ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد وقال أبو حنيفة شاهدت زيد بن على كما شاهدت أهله فما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أعلم ولا أسرع جوابا ولا أبين قولا لقد كان منقطع القرين وقال الاعمش ما كان في أهل زيد بن على مثل زيد ولا رأيت فيهم أفضل منه ولا أفصح ولا أعلم ولا أشجع ولقد وفي له من تابعه لاقامهم على المنهج الواضح وسئل جعفر بن محمد الصادق عن خروجه فقال خرج على ماخرج عليه آباؤه وكان يقال لزيد حليف القرآن وقال خلوت بالقرآن ثلاث عشرة سنة أقرأه وأتدبره فما وجدت فى طلب الرزق رخصة وما وجدت ابتغوا من فضل الله الا العبادة والفقه وقال عاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لقد أصيب عندكم رجل ما كان في زمانكم مثله ولا أراه يكون بعده مثله زيد بن على لقد رأيته وهو غلام حدث وانه ليسمع الشيء من ذكر الله فيغشى عليه حتى يقول القائل ماهو بعائد الى الدنيا وكان نقش خاتم زيد اصبر تؤجر اصدق تنج وقرأ مرة قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا أمثالكم فقال ان هذا لوعيد وتهديد من الله ثم قال اللهم لاتجعلنا ممن تولى عنك فاستبدلت به بدلا وكان اذا كلمه انسان وخاف أن يهجم على أمر يخاف منه مأثماً قال له ياعبد الله أمسك أمسك كف كف اليك اليك عليك بالنظر لنفسك ثم يكف عنه ولا يكلمه وقد اختلف فى سبب قيام زيد وطلبه الامر لنفسه فقيل ان زيد بن على وداود بن على بن عبد الله بن عباس ومحمد بن عمر بن على بن أبى طالب قدموا على خالد ابن عبد الله القسرى بالعراق فأجازهم ورجعوا الى المدينة فلما ولى يوسف بن عمر العراق بعد عزل خالد كتب الى هشام بن عبد الملك وذكر له ان خالدا ابتاع أرضاً بالمدينة من زيد بعشرة آلاف دينار ثم رد الارض عليه فكتب هشام الى عامل المدينة أن يسيرهم اليه ففعل فسألهم هشام عن ذلك فأقروا بالجائزة وأنكروا ماسوى ذلك وحلفوا فصدقهم وأمرهم

بالمسير الى العراق ليقابلوا خالدا فساروا على كره وقابلوا خالدا فصدقهم وعادوا نحو المدينة فلما نزلوا القادسية راسل أهل الكوفة زيدا فعاد اليهم وقيل بل ادعى خالد القسرى انه أودع زيدا وداود بن على ونفرا من قريش مالا فكتب يوسف بن عمر بذلك الى الخليفة هشام بن عبد الملك فأحضرهم هشام من المدينة وسيرهم الى يوسف ليجمعهم وخالدا فقدموا عليه فقال يوسف لزيد ان خالدا زعم أنه أودع عندك مالا فقال زيد كيف يودعني وهو يشتم أباءى على منبره فأرسل الى خالد فأحضره في عباءة وقال له هذا زيد قد أنكر انك أودعته شيئاً فنظر خالد اليه والى داود وقال ليوسف اتريد أن تجمع اثمك مع اثمنا في هذا كيف أودعه وأنا أشتم آباءه وأشتمه على المنبر فقال زيد لخالد مادعاك الى ماصنعت فقال شدد على العذاب فادعيت ذلك وأملت أن يأتى الله بفرج قبل قدومك فرجعوا وأقام زيد وداود بالكوفة وقيل ان يزيد بن خالد القسرى هو الذى ادعى أن المال وديعة عند زيد فلما أمرهم هشام بالمسير الى العراق الى يوسف استقالوه خوفا من شر يوسف وظلمه فقال أنا أكتب اليه بالكف عنكم وألزمهم بذلك فساروا على كره فجمع يوسف بينهم وبين يزيد فقال يزيد ليس لى عندهم قليل ولا كثير فقال له يوسف أتهزأ بأمير المؤمنين فعذبه يومئذ عذابا كاد يهلكه ثم أمر بالقرشيين فضربوا وترك زيدا ثم استحلفهم وأطلقهم فلحقوا بالمدينة وأقام زيد بالكوفة وكان زيد قال لهشام لما أمره بالمسير الى يوسف والله ماآمن ان بعثتني اليه أن لانجتمع أنا وأنت حيين أبدا قال لابد من المسير اليه فسار اليه وقيل كان السبب فى ذلك أن زيدا كان يخاصم ابن عمه جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي في وقوف علي (٣) رضى الله عنه فزيد يخاصم عن بنى حسين وجعفر يخاصم عن بني حسن فكانا يبلغان كل غاية ويقومان فلا يعيدان مما كان بينهما حرفا فلما مات جعفر نازعه عبد الله بن الحسن بن الحسن فتنازعا يوما بين يدي خالد بن عبد الملك بن الحارث بالمدينة فأغلظ عبد الله لزيد وقال ياابن السندية فضحك زيد وقال قد كان اسماعيل عليه السلام ابن امة ومع ذلك فقد صبرت أمي بعد وفاة سيدها ولم يصبر غيرها يعنى فاطمة بنت الحسين أم عبد الله فانها تزوجت بعد أبيه الحسن بن الحسن ثم ان زيدا ندم واستحيي من فاطمة فانها عمته ولم يدخل اليها زمانا فأرسلت اليه ياابن أخي انى لاعلم أن أمك عندك كأم عبد الله عنده وقالت لعبد الله بئسما قلت لام زيد أما والله انعم دخيلة القوم كانت وذكر أن خالدا قال لهما اغدوا علينا غدا فلست ابن عبد الملك ان لم افصل بينكما فباتت المدينة تغلى كالمرجل يقول قائل قال زيد كذا ويقول قائل قال عبد الله كذا فلما كان من الغد جلس خالد فى المسجد

---

(٣) (قوله في وقوف علي الخ) هكذا فى النسخ ولعله محرف عن رقوق جمع رق بمعنى الصحيفة لاشتمالها على حكم ونصائح مثلا وليحرر اه مصححه

واجتمع الناس فمن بين شامت ومهموم فدعا بهما خالد وهو يحب أن يتشاتما فذهب عبد الله يتكلم فقال زيد لاتعجل ياأبا محمد أعتق زيد كل مايملك ان خاصمك الى خالد أبدا ثم أقبل الى خالد فقال له لقد جمعت ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر فقال خالد أما لهذا السفيه أحد فتكلم رجل من الانصار من آل عمرو بن حزم فقال ياابن أبي تراب وابن حسين السفيه أما ترى لوال عليك حقا ولا طاعة فقال زيد اسكت ايها القحطانى فانا لانجيب مثلك قال ولم ترغب عنى فوالله اني لخير منك وخير من أبيك وأمى خير من أمك فتضاحك زيد وقال يامعشر قريش هذا الدين قد ذهب أفتذهب الاحساب فوالله ليذهب دين القوم وما تذهب أحسابهم فقام عبد الله بن واقد ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال كذبت والله أيها القحطاني فوالله لهو خير منك نفساً وأباً وأماً ومحتدا وتناوله بكلام كثير وأخذ كفا من حصباء وضرب بها الارض وقال والله انه مالنا على هذا من صبر وقام ثم شخص زيد الى هشام بن عبد الملك فجعل هشام لايأذن له وهو يرفع اليه القصص فكلما رفع قصة يكتب هشام فى اسفلها ارجع الى منزلك فيقول زيد والله لاأرجع الى خالد أبدا ثم انه اذن له يوما بعد طول حبس فصعد زيد وكان بادنا فوقف في بعض الدرج وهو يقول والله لايحب الدنيا أحد الاذل ثم صعد وقد جمع له هشام اهل الشام فسلم ثم جلس فرمى عليه هشام طويلة فحلف لهشام على شيء فقال هشام لاأصدقك فقال ياأمير المؤمنين ان الله لم يرفع أحدا عن أن يرضي بالله ولم يضع أحدا عن أن لايرضي بذلك منه فقال هشام أنت زيد المؤمل للخلافة وما انت والخلافة لاأم لك وأنت ابن أمة فقال زيد لاأعلم أحدا عند الله افضل من نبى بعثه ولقد بعث الله نبيا وهو ابن أمة ولو كان به تقصير عن منتهى غاية لم يبعث وهو اسماعيل بن ابراهيم والنبوة أعظم منزلة من الخلافة عند الله ثم لم يمنعه الله من أن جعله أبا للعرب وأبا لخير البشر محمد صلى الله عليه وسلم وما يقصر برجل أبوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد أمي فاطمة لاأفخر بأم فوثب هشام من مجلسه وتفرق الشاميون عنه وقال لحاجبه لايبيت هذا في عسكري أبداً فخرج زيد وهو يقول ما كره قوم قط حر السيوف الا ذلوا وسار الى الكوفة فقال له محمد بن عمر بن على بن أبى طالب أذكرك الله يازيد لما لحقت بأهلك ولا تأت أهل الكوفة فانهم لايفون لك فلم يقبل وقال خرج بنا هشام اسراء على غير ذنب من الحجاز الى الشام ثم الى الجزيرة ثم الى العراق ثم الى تيس ثقيف يلعب بنا وأنشد

بكرت تخوفنى الحتوف كأننى * أصبحت عن عرض الحياة بمعزل
فأجبتها أن المنية منزل * لابد أن أسقى بكاس المنهل
ان المنية لو تمثل مثلت * مثلى اذا نزلوا بضيق المنزل

فاثنى حبالك لا أبالك واعلمى * انى امرؤ سأموت ان لم أقتل

استودعك الله واني أعطى الله عهدا ان دخلت يدى فى طاعة هؤلاء ماعشت وفارقه وأقبل الى الكوفة فأقام بها مستخفيا ينتقل فى المنازل فأقبلت الشيعة تختلف اليه تبايعه فبايعه جماعة من وجوه أهل الكوفة وكانت بيعته انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين واعطاء المحرومين وقسم هذا الفىء بين أهله بالسواء ورد المظالم وأفعال الخير ونصرة أهل البيت أتبايعون على ذلك فاذا قالوا نعم وضع يده على أيديهم ويقول عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتؤمنن ببيعتى ولتقاتلن عدوى ولتنصحن لى في السر والعلانية فاذا قال نعم مسح يده على يده ثم قال اللهم فاشهد فبايعه خمسة عشر ألفا وقيل أربعون ألفا وأمر أصحابه بالاستعداد فأقبل من يريد أن يفى ويخرج معه يستعد ويتهيأ فشاع امره فى الناس هذا علي قول من زعم انه اتي الكوفة من الشام واختفى بها يبايع الناس وأما على قول من زعم انه أتي الى يوسف ابن عمر لمرافعة خالد بن عبد الله القسري أو ابنه يزيد بن خالد فانه قال أقام زيد بالكوفة ظاهرا ومعه داود بن علي بن عبد الله بن عباس وأقبلت الشيعة تختلف اليه وتأمره بالخروج ويقولون انا لنرجو أن تكون أنت المنصور وان هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية فأقام بالكوفة ويوسف بن عمر يسأل عنه فيقال هو هاهنا ويبعث اليه ليسير فيقول نعم ويعتل بالوجع فمكث ماشاء الله ثم أرسل اليه يوسف بالمسير عن الكوفة فاحتج بأنه يحاكم آل طلحة ابن عبيد الله بملك بينهما بالمدينة فأرسل اليه ليوكل وكيلا ويرحل عنها فلما رأى الجد من يوسف فى أمره سار حتى أتى القادسية وقيل الثعلبية فتبعه أهل الكوفة وقالوا له نحن أربعون ألفا لم يتخلف عنك أحد نضرب عنك بأسيافنا وليس هاهنا من أهل الشام الاعدة يسيرة وبعض قبائلنا يكفيهم باذن الله وحلفوا له بالايمان المغلظة فجعل يقول انى أخاف أن تخذلونى وتسلمونى كفعلكم بأبي وجدى فيحلفون له فقال له داود بن على لايغرك يابن عمى هؤلاء أليس قد خذلوا من كان أعز عليهم منك جدك علي بن أبى طالب حتي قتل والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه وانتزعوا رداءه وجرحوه أو ليس قد أخرجوا جدك الحسين وحلفوا له ثم خذلوه وأسلموه ولم يرضوا بذلك حتي قتلوه فلا ترجع معهم فقالوا يازيد ان هذا لايريد أن تظهر أنت ويزعم انه وأهل بيته أولى بهذا الامر منكم فقال زيد لداود ان عليا كان يقاتله معاوية بذهبه وان الحسين قاتله يزيد والامر مقبل عليهم فقال له داود انى أخاف ان رجعت معهم أن لايكون أحد أشد عليك منهم وأنت أعلم ومضي داود الى المدينة ورجع زيد الى الكوفة فاتاه سلمة بن كهيل فذكر له قرابته من رسول الله صلي الله عليه وسلم وحقه فأحسن ثم قال له نشدتك الله كم بايعك قال أربعون ألفا قال فكم بايع جدك

قال ثمانون ألفا قال فكم حصل معه قال ثلثمائة قال نشدتك الله أنت خير أم جدك قال جدى قال فهذا القرن خير أم ذلك القرن قال ذلك القرن قال أفتطمع أن يفى لك هؤلاء وقد غدر أولئك بجدك قال قد بايعونى ووجبت البيعة فى عنقى وعنقهم قال أفتأذن لى أن أخرج من هذا البلد فلا آمن أن يحدث حدث فأهلك نفسى فأذن له فخرج الى اليمامة وكتب عبدالله ابن الحسن بن الحسن الى زيد أما بعد فان أهل الكوفة نفج العلانية حور السريرة هوج فى الرد اجزع فى اللقا تقدمهم ألسنتهم ولا تتابعهم قلوبهم ولقد تواترت الى بدعوتهم فصممت عن ندائهم وألبست قلبى غشاء عن ذكرهم يأسا منهم واطراحا لهم وما لهم مثل الا ما قال على بن أبي طالب صلوات الله عليه ان اهملتم خضتم وان خورتم خرتم وان اجتمع الناس على امام طعنتم وان اجبتم الى مشاقة نكصتم فلم يصغ زيد الى شئ من ذلك وأقام على حاله يبايع الناس ويجهز للخروج وتزوج بالكوفة امرأتين وكان ينتقل تارة عند هذه فى بني سلمة قومها وتارة عند هذه في الازد قومها وتارة فى بنى عبس وتارة في بنى تغلب وغيرهم الى أن ظهر فى سنة اثنتين وعشرين ومائة فأمر أصحابه بالاستعداد وأخذ من كان يريد الوفاء بالبيعة يتجهز فبلغ ذلك يوسف بن عمر فبعث فى طلب زيد فلم يوجد وخاف زيد أن يؤخذ فتعجل قبل الاجل الذى جعله بينه وبين أهل الكوفة وعلى الكوفة يومئذ الحكم ابن الصلت فى ناس من أهل الشام ويوسف بن عمر بالحيرة فلما علم أصحاب زيد أن يوسف ابن عمر قد بلغه الخبر وأنه يبحث عن زيد اجتمع الى زيد جماعة من رؤسهم فقالوا رحمك الله ما قولك فى أبي بكر وعمر فقال زيد رحمهما الله وغفر لهما ما سمعت أحدا من أهل بيتي يقول فيهما الا خيرا وان أشد ما أقول فيما ذكرتم انا كنا أحق بسلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس أجمعين فدفعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرا وقد ولوا فعدلوا فى الناس وعملوا بالكتاب والسنة قالوا فلم يظلمك هؤلاء اذا كان أولئك لم يظلموا واذا كان هؤلاء لم يظلموا فلم تدعو الى قتالهم فقال ان هؤلاء ليسوا كأولئك هؤلاء ظالمون لي ولانفسهم ولكم وانما ندعوهم الى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والى السنن أن تحيي والى البدع أن تطفأ فان اجبتمونا سعدتم وان ابيتم فلست عليكم بوكيل ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا قد سبق الامام يعنون محمدا الباقر وكان قد مات وقالوا جعفر ابنه امامنا اليوم بعد أبيه فسماهم زيد الرافضة وهم يزعمون أن المغيرة سماهم الرافضة حين فارقوه وكانت طائفة قد أتت جعفر بن محمد الصادق قبل قيام زيد وأخبروه ببيعته فقال بايعوه فهو والله أفضلنا وسيدنا فعادوا وكتموا ذلك وكان زيد قد واعد أصحابه أول ليلة من صفر فبلغ ذلك يوسف بن عمر فبعث الى الحكم عامله على الكوفة يأمره بأن يجمع الناس بالمسجد الاعظم يحصرهم فيه فجمعهم وطلبوا زيدا فخرج ليلا من دار معاوية بن اسحاق بن زيد

ابن حارثة الانصاري وكان بها ورفعوا النيران ونادوا يامنصور حتي طلع الفجر فلما أصبحوا نادى أصحاب زيد بشمارهم وثاروا فأغلق الحكم دروب السوق وأبواب المسجد على الناس وبعث الى يوسف بن عمر وهو بالحيرة فأخبره الخبر فأرسل اليه خمسين فارسا ليعرفوا الخبر فساروا حتى عرفوا الخبر وعادوا اليه فسارت الحيرة بأشراف الناس وبعث ألفين من الفرسان وثلثمائة رجالة معهم النشاب وأصبح زيد فكان جميع من وافاه تلك الليلة مائتي رجل وثمانية عشر رجلا فقال سبحان الله اين الناس فقيل انهم في المسجد الاعظم محصورون فقال والله ماهذا بعذر لمن بايعنا وأقبل فلقيه على جبانة الصايديين خمسمائة من أهل الشام فحمل عليهم فيمن معه حتى هزمهم وانتهى الى دار أنس بن عمر الازدي وكان فيمن بايعه وهو في الدار فنودي فلم يجب فناداه زيد فلم يخرج اليه فقال زيد ما أخلفكم قد فعلتموها الله حسبكم ثم سار ويوسف بن عمر ينظر اليه وهو في مائتي رجل فلو قصده زيد لقتله والريان يتبع آثار زيد بالكوفة في أهل الشام فأخذ زيد في المسير حتي دخل الكوفة فسار بعض أصحابه الى الجبانة وواقعوا أهل الشام فأسر أهل الشام منهم رجلا ومضوا به الى يوسف بن عمر فقتله فلما رأى زيد خذلان الناس اياه قال قد فعلوها حسبي الله وسار وهو يهزم من لقيه حتي انتهى الى باب المسجد فجعل أصحابه يدخلون راياتهم من فوق الباب ويقولون ياأهل المسجد اخرجوا من الذل الى العز أخرجوا الى الدين والدنيا فانكم لستم في دين ولا دنيا وزيد يقول والله ماخرجت ولا قمت مقامي هذا حتى قرأت القرآن وأتقنت الفرائض وأحكمت السنن والآداب وعرفت التأويل كما عرفت التنزيل وفهمت الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والخاص والعام وما تحتاج اليه الامة في دينها مما لابد لها منه ولا غني لها عنه واني لعلى بينة من ربي فرماهم أهل المسجد بالحجارة من فوق المسجد فانصرف زيد فيمن معه وخرج اليه ناس من أهل الكوفة فنزل دار الرزق فأتاه الريان وقاتله وخرج أهل الشام مساء يوم الاربعاء اسوأ شئ ظنا فلما كان من الغد أرسل يوسف بن عمر عدة عليهم العباس بن سعد المزني فلقيهم زيد فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أصحاب العباس وقتل منهم نحو من سبعين فلما كان العشي عبى يوسف بن عمر الجيوش وسرحهم فالتقاهم زيد بمن معه وحمل عليهم حتي هزمهم وهو يتبعهم فبعث يوسف طائفة من الناشبة فرموا أصحاب زيد وهو يقاتل حتي دخل الليل فرمى بسهم في جبهته اليسرى ثبت في دماغه فرجع أصحابه ولا يظن أهل الشام انهم رجعوا للمساء والليل فأنزلوا زيدا في دار وأتوه بطبيب فانتزع النصل فضج زيد ومات رحمه الله لليلتين خلتا من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة وعمره اثنتان وأربعون سنة ولما مات اختلف أصحابه في أمره فقال بعضهم نطرحه في الماء وقال بعضهم بل نحز رأسه ونلقيه في القتلى فقال ابنه يحيي بن زيد والله لايأكل لحم أبي الكلاب وقال بعضهم ندفنه في

الحفرة التي يؤخذ منها الطين ونجمل عليه الماء ففعلوا ذلك وأجروا عليه الماء وكان معه مولى سندى فدل عليه وقيل رآهم قصار فدل عليه وتفرق الناس من أصحاب زيد وسار ابنه يحيي نحو كربلا وتتبع يوسف بن عمر الجرجي فى الدور حتي دل على زيد فى يوم جمعة فأخرجه وقطع رأسه وبعث به الى هشام بن عبد الملك فدفع لمن وصل به عشرة آلاف درهم ونصبه على باب دمشق ثم أرسله الى المدينة وسار منها الى مصر وأما جسده فان يوسف بن عمر صلبه بالكناسة ومعه ثلاثة ممن كانوا معه وأقام الحرس عليه فمكث زيد مصلوبا أكثر من سنتين حتي مات هشام وولى الوليد من بعده وبعث الى يوسف بن عمر أن أنزل زيدا وأحرقه بالنار فأنزله وأحرقه وذرى رماده في الريح وكان زيد لما صلب وهو عريان استرخي بطنه على عورته حتى مايرى من سوءته ومر زيد مرة بمحمد بن الحنفية فنظر اليه وقال أعيذك بالله أن تكون زيد بن على المصلوب بالعراق وقال عبد الله ابن حسين بن علي بن الحسين بن على سمعت أبي يقول اللهم ان هشاما رضى بصلب زيد فاسلبه ملكه وان يوسف بن عمر أحرق زيدا اللهم فسلط عليه من لا يرحمه اللهم وأحرق هشاما في حياته ان شئت والا فأحرقه بعد موته قال فرأيت والله هشاما محرقا لما أخذ بنو العباس دمشق ورأيت يوسف بن عمر بدمشق مقطعا على كل باب من أبواب دمشق منه عضو فقلت يا أبتاه وافقت دعوتك ليلة القدر فقال لا يابني بل صمت ثلاثة أيام من شهر رجب وثلاثة أيام من شعبان وثلاثة أيام من شهر رمضان كنت أصوم الاربعاء والخميس والجمعة ثم أدعو الله عليهما من صلاة العصر يوم الجمعة حتي أصلي المغرب وبعد قتل زيد انتقض ملك بنى أمية وتلاشى الي أن ازالهم الله تعالى ببنى العباس * وهذا المشهد باق بين كيمان مدينة مصر يتبرك الناس بزيارته ويقصدونه لاسيما في يوم عاشوراء والعامة تسميه زين العابدين وهو وهم انما زين العابدين أبوه وليس قبره بمصر بل قبره بالبقيع ولما قتل الامام زيد سودت الشيعة أى لبست السواد وكان أول من سود على زيد شيخ بنى هاشم في وقته الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ورثاه بقصيدة طويلة وشعره حجة احتج به سيبويه توفي سنة تسع وعشرين ومائة

## * ( مشهد السيدة نفيسة ) *

قال الشريف النقيب النسابة شرف الدين أبو على محمد بن أسعد بن على بن معمر بن عمر الحسيني الجواني المالكي في كتاب الروضة الانيسة بفضل مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها * نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبي طالب عليهم السلام أمها ام ولد واخوتها القاسم ومحمد وعلى وابراهيم وزيد وعبد الله ويحيي واسماعيل واسحاق وأم

كلثوم أولاد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي فأمهم (٣) أم سلمة واسمها زينب ابنة الحسن بن الحسن بن على وأمها أم ولد تزوج أم كلثوم أخت نفيسة عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم ثم خلف عليها الحسن بن زيد بن على بن الحسن بن على وأما على وابراهيم وزيد اخوة نفيسة من أبيها فأمهم أم ولد تدعى أم عبد الحميد وأما عبيد الله بن الحسن بن زيد فامه الزائدة بنت بسطام بن عمير بن قيس الشيبانى وأما اسماعيل واسحاق فهما لامى ولد وكان اسماعيل من أهل الفضل والخير صاحب صوم ونسك وكان يصوم يوما ويفطر يوما وأما يحيى بن زيد فله مشهد معروف بالمشاهد يأتى ذكره انشاء الله تعالى وتزوج بنفيسة رضي الله عنها اسحاق بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن أبي طالب عليهم السلام وكان يقال له اسحاق المؤتمن وكان من أهل الصلاح والخير والفضل والدين روى عنه الحديث وكان ابن كاسب اذا حدث عنه يقول حدثنى الثقة الرضى اسحاق بن جعفر وكان له عقب بمصر منهم بنو الرقى ويحلب بنو زهرة وولدت نفيسة من اسحاق ولدين هما القاسم وأم كلثوم لم يعقبا * وأما جد نفيسة وهو زيد بن الحسن بن على فروى عن أبيه وعن جابر وابن عباس وروى عنه ابنه وكانت بينه وبين عبد الله بن محمد بن الحنفية خصومة وفدا لاجلها على الوليد بن عبد الملك وكان يأتى الجمعة من ثمانية أميال وكان اذا ركب نظر الناس اليه وعجبوا من عظم خلقه وقالوا جده رسول الله وكتب اليه الوليد بن عبد الملك يسأله أن يبايع لابنه عبد العزيز ويخلع سليمان بن عبد الملك ففرق منه واجابه فلما استخلف سليمان وجد كتاب زيد بذلك الى الوليد فكتب الى أبى بكر بن حزم أمير المدينة ادع زيد بن الحسن فأقره الكتاب فان عرفه فاكتب الى وان هو نكل فقدمه فأصب يمينه عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ما كتبه ولا أمر به فخاف زيد الله واعترف فكتب بذلك أبو بكر فكتب سليمان أن يضرب به مائة سوط وأن يدرعه عباءة ويمشيه حافيا فحبس عمر بن عبد العزيز الرسول وقال حتي اكلم أمير المؤمنين فيما كتب به في حق زيد فقال للرسول لاتخرج فان أمير المؤمنين مريض فمات سليمان وأحرق عمر الكتاب * وأما والد نفيسة وهو الحسن بن زيد فهو الذى كان والى المدينة النبوية من قبل أبى جعفر عبدالله بن محمد المنصور وكان فاضلا أديبا عالما وأمه أم ولد توفي أبوه وهو غلام وترك عليه دينا أربعة آلاف دينار فحلف الحسن ولده أن لايظل رأسه سقف الا سقف مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم او بيت رجل يكلمه

(٣) (قوله فامهم الخ) هكذا في النسخ ولا يخفى مافي هذه العبارة من السقامة والتنافي والظاهر أن فيها سقطا والاصل فأما القاسم ومحمد ويحيى وأم كلثوم فأمهم الخ كما يدل على ذلك قوله فأمهم بالفاء وكذلك بقية العبارة حيث بين فيها أمهات ستة منهم وليحرر اه مصححه

فى حاجة حتي يقضى دين أبيه فوفاه وقضاه بعد ذلك ومن كرمه انه اتى بشاب شارب متأدب وهو عامل على المدينة فقال يابن رسول الله لاأعود وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيلوا ذوى الهيآت عثراتهم وأنا ابن أبي امامة بن سهل بن حنيف وقد كان أبي مع أبيك كماقد علمت قال صدقت فهل أنت عائد قال لاوالله فأقاله وأمر له بخمسين دينارا و قال له تزوج بها وعدالى فتاب الشاب وكان الحسن بن زيد يجرى عليه النفقة * وكانت نفيسة من الصلاح والزهد على الحد الذى لامزيد عليه فيقال انها حجت ثلاثين حجة وكانت كثيرة البكاء تديم قيام الليل وصيام النهار فقيل لها ألا ترفقين بنفسك فقالت كيف أرفق بنفسى وأمامي عقبة لايقطعها الا الفائزون وكانت تحفظ القرآن وتفسيره وكانت لاتأكل الا فى كل ثلاث ليال أكلة واحدة ولا تأكل من غير زوجها شيأ وقد ذكر أن الامام الشافعي محمد بن ادريس كان زارها وهي من وراء الحجاب وقال لها ادعى لي وكان صحبته عبد الله بن عبد الحكم وماتت رضى الله عنها بعد موت الامام الشافعي رحمة الله عليه بأربع سنين لان الشافعى توفي سلخ شهر رجب سنة أربع ومائتين وقيل انها كانت فيمن صلى علي الامام الشافعى وتوفيت السيدة نفيسة فى شهر رمضان سنة ثمان ومائتين ودفنت فى منزلها وهو الموضع الذى به قبرها الآن ويعرف بخط درب السباع ودرب بزرب وأراد اسحاق بن الصادق وهو زوجها أن يحملها ليدفنها بالمدينة فسأله أهل مصر أن يتركها ويدفنها عندهم لاجل البركة وقبر السيدة نفيسة أحد المواضع المعروفة باجابة الدعاء بمصر وهى أربعة مواضع سجن نبى الله يوسف الصديق عليه السلام ومسجد موسى صلوات الله عليه وهو الذى بطرا ومشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها والمخدع الذى على يسار المصلى فى قبلة مسجد الاقدام بالقرافة فهذه المواضع لم يزل المصريون ممن أصابته مصيبة أو لحقته فاقة أو جائحة يمضون الى أحدها فيدعون الله تعالى فيستجيب لهم مجرب ذلك انتهى * ويقال انها حفرت قبرها هذا وقرأت فيه تسعين ومائة ختمة وانها لما احتضرت خرجت من الدنيا وقد انتهت فى حزبها الى قوله تعالى قل لمن مافى السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ففاضت نفسها رحمها الله تعالى مع قوله الرحمة ويقال ان الحسن بن زيد والد السيدة نفيسة كان مجاب الدعوة ممدوحا وان شخصاً وشى به الى أبي جعفر المنصور أنه يريد الخلافة لنفسه فانه كان قد انتهت اليه رياسة بنى حسن فأحضره من المدينة وسلبه ماله ثم انه ظهر له كذب الناقل عنه فمن عليه ورده الى المدينة مكرما فلما قدمها بعث الى الذى وشى به بهدية ولم يعتبه على ما كان منه ويقال انه كان مجاب الدعوة فمرت به امرأة وهو فى الابطح ومعها ابن لها على يدها فاختطفه عقاب فسألت الحسن بن زيد أن يدعو الله لها برده فرفع يديه الى السماء ودعا ربه فاذا بالعقاب قد ألقى الصغير من غير أن يضره بشيء فأخذته أمه وكان يعد بألف من

الكرام ولما قدمت السيدة نفيسة الى مصر مع زوجها اسحاق بن جعفر نزلت بالمنصوصة وكان بجوارها دار فيها قوم من أهل الذمة ولهم ابنة مقعدة لم تمش قط فلما كان في يوم من الايام ذهب أهلها في حاجة من حوائجهم وتركوا المقعدة عند السيدة نفيسة فتوضأت وصبت من فضل وضوئها على الصبية المقعدة وسمت الله تعالى فقامت تسعى على قدميها ليس بها بأس البتة فلما قدم أهلها وعاينوها تمشى أتوا الى السيدة نفيسة وقد تيقنوا أن مشى ابنتهم كان ببركة دعائها وأسلموا بأجمعهم على يديها فاشتهر ذلك بمصر وعرف انه من بركاتها وتوقف النيل عن الزيادة في زمنها فحضر الناس اليها وشكوا اليها ماحصل من توقف النيل فدفعت قناعها اليهم وقالت لهم ألقوه فى النيل فألقوه فيه فزاد حتي بلغ الله به المنافع وأسر ابن لامرأة ذمية فى بلاد الروم فأتت الى السيدة نفيسة وسألتها الدعاء أن يرد الله ابنها عليها فلما كان الليل لم تشعر الذمية الا بابنها وقد هجم عليها دارها فسألته عن خبره فقال ياأماه لم أشعر الا ويد قد وقعت على القيد الذى كان في رجلى وقائل يقول أطلقوه قد شفعت فيه نفيسة بنت الحسن فو الذى يحلف به ياأماه لقد كسر قيدى وماشعرت بنفسى الا وأنا واقف بباب هذه الدار فلما أصبحت الذمية أتت الى السيدة نفيسة وقصت عليها الخبر وأسلمت هي وابنها وحسن اسلامهما * وذكر غير واحد من علماء الاخبار بمصر أن هذا قبر السيدة نفيسة بلا خلاف وقد زار قبرها من العلماء والصالحين خلق لايحصى عددهم ويقال ان أول من بنى على قبر السيدة نفيسة عبيد الله بن السرى بن الحكم أمير مصر ومكتوب فى اللوح الرخام الذى على باب ضريحها وهو الذى كان مصفحاً بالحديد بعد البسملة مانصه نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبى تميم الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المكرمين أمر بعمارة هذا الباب السيد الاجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وشد عضده بولده الاجل الافضل سيف الامام جلال الاسلام شرف الانام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين زاد الله فى علائه وأمتع المؤمنين بطول بقائه في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة والقبة التى على الضريح جددها الخليفة الحافظ لدين الله في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وأمر بعمل الرخام الذى بالمحراب

### *( مشهد السيدة كلثوم )*

هى كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن أبي طالب موضعه بمقابر قريش بمصر بجوار الخندق وهي أم جعفر ابن موسى بن اسماعيل بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق كانت من الزاهدات العابدات

* ( سناوسنا ) *

يقال انهما من أولاد جعفر بن محمد الصادق كانتا تتلوان القرآن الكريم في كل ليلة فماتت احداها فصارت الاخرى تتلو وتهدى ثواب قراءتها لاختها حتى ماتت

* ( ذكر مقابر مصر والقاهرة المشهورة ) *

القبر مدفن الانسان وجمعه قبور والمقبرة موضع القبر قال سيبويه المقبرة ليس على الفعل ولكنه اسم وقبره يقبره دفنه وأقبره جعل له قبراً * واعلم أن لاهل مدينة مصر ولاهل القاهرة عدة مقابر وهي القرافة فما كان منها في سفح الجبل يقال له القرافة الصغرى وما كان منها فى شرقى مصر بجوار المساكن يقال له القرافة الكبرى وفي القرافة الكبرى كانت مدافن أموات المسلمين منذ افتتحت أرض مصر واختط العرب مدينة الفسطاط ولم يكن لهم مقبرة سواها فلما قدم القائد جوهر من قبل المعز لدين الله وبني القاهرة وسكنها الخلفاء اتخذوا بها تربة عرفت بتربة الزعفران قبروا فيها أمواتهم ودفن رعيتهم من مات منهم فى القرافة الى أن اختطت الحارات خارج باب زويلة فقبر سكانها موتاهم خارج باب زويلة مما يلى الجامع فيما بين جامع الصالح وقلعة الجبل وكثرت المقابر بها عند حدوث الشدة العظمى أيام الخليفة المستنصر ثم لما مات أمير الجيوش بدر الجمالى دفن خارج باب النصر فاتخذ الناس هنالك مقابر موتاهم وكثرت مقابر أهل الحسينية فى هذه الجهة ثم دفن الناس الاموات خارج القاهرة في الموضع الذى عرف بميدان القبق فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر وبنوا هناك الترب الجليلة ودفن الناس أيضاً خارج القاهرة فيما بين باب الفتوح والخندق ولكل مقبرة من هذه المقابر أخبار سوف أقص عليك من أنبائها ما انتهت الى معرفته قدرتى ان شاء الله تعالى ويذكر أهل العناية بالامور المتقادمة أن الناس في الدهر الاول لم يكونوا يدفنون موتاهم الى أن كان زمن دوناي الذى يدعي سيد البشر لكثرة ما علم الناس من المنافع فشكا اليه أهل زمانه ما يتأذون به من خبث موتاهم فأمرهم أن يدفنوهم في خوابي ويسدوا رؤسها ففعلوا ذلك فكان دوناي اول من دفن الموتى وذكر أن دوناى هذا كان قبل آدم بدهر طويل مبلغه عشرون ألف سنة وهى دعوي لاتصح وفى القرآن الكريم مايقتضي أن قابيل بن آدم أول من دفن الموتى والله أصدق القائلين وقد قال الشافعي رحمه الله وأكره أن يعظم مخلوق حتي يجعل قبره مسجدا مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده

* ( ذكر القرافة ) *

روي الترمذى من حديث أبى طيبة عبد الله بن مسلم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه من مات من اصحابى بأرض بعث قائدا ونورا لهم يوم القيامة قال وهذا حديث غريب وقد روى عن ابى طيبة عن ابن بريدة مرسلا وهذا اصح قال ابو القاسم عبدالرحمن بن

عبد الله بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث بن سعد قال سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار فعجب عمرو من ذلك وقال أكتب في ذلك الى أمير المؤمنين فكتب بذلك الى عمر رضى الله عنه فكتب اليه عمر سله لم أعطاك به ما أعطاك وهي لا تزدرع ولا يستنبط بها ماء ولا ينتفع بها فسأله فقال انا لنجد صفتها في الكتب ان فيها غراس الجنة فكتب بذلك الى عمر رضي الله عنه فكتب اليه عمر انا لا نعلم غراس الجنة الا المؤمنين فاقبر فيها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعه بشيء فكان اول من دفن فيها رجل من المغافر يقال له عامر فقيل عمرت فقال المقوقس لعمر وما ذلك ولا على هذا عاهدتنا فقطع لهم الحد الذى بين المقبرة وبينهم* وعن ابن لهيعة ان المقوقس قال لعمر وانا لنجد في كتابنا أن ما بين هذا الجبل وحيث نزلتم ينبت فيه شجر الجنة فكتب بقوله الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال صدق فاجعلها مقبرة للمسلمين فقبر فيها ممن عرف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة نفر عمرو بن العاص السهمى وعبد الله بن حذافة السهمى وعبد الله بن جزء الزبيدى وأبو بصيرة الغفارى وعقبة بن عامر الجهني ويقال ومسلمة بن مخلد الانصارى انتهى ويقال ان عامرا هو الذى كان أول من دفن بالقرافة قبره الآن تحت حائط مسجد الفتح الشرقى وقالت فيه امرأة من العرب

قامت بواكيه على قبره * من لي من بعدك يا عامر
تركتني في الدار ذا غربة * قد ذل من ليس له ناصر

وروي أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس في تاريخ مصر من حديث حرملة بن عمران قال حدثني عمير بن أبي مدرك الخولانى عن سفيان بن وهب الخولانى قال بينا نحن نسير مع عمرو بن العاص في سفح هذا الجبل ومعنا المقوقس فقال له عمرو يا مقوقس ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات ولا شجر على نحو بلاد الشام فقال لا أدرى ولكن الله أغني أهله بهذا النيل عن ذلك ولكنه نجد تحته ما هو خير من ذلك قال وما هو قال ليدفنن تحته أو ليقبرن تحته قوم يبعثهم الله يوم القيامة لا حساب عليهم قال عمرو اللهم اجعلنى منهم قال حرملة بن عمران فرأيت قبر عمرو بن العاص وقبر أبى بصيرة وقبر عقبة بن عامر فيه وخرج أبو عيسي الترمذى من حديث أبى طيبة عبد الله بن مسلم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه من مات من أصحابى بأرض بعث قائدا لهم ونورا يوم القيامة وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى القرافة هم بنو غض بن سيف بن وائل بن المغافر وفى نسخة بنو غصن وقال أبو عمرو الكندى بنو جحض بن سيف بن وائل بن الجيزي بن شراحيل بن المغافر بن يعفر وقيل ان قرافة اسم أم عزافر وجحض ابني سيف بن وائل

ابن الجيزي قد صحف القضاعي في قوله غصن بالغين المعجمة والاقرب ماقاله الكندى لانه اقعد بذلك وقال ياقوت والقرافة بفتح القاف وراء مخففة وألف خفيفة وفاء الاول مقبرة بمصر مشهورة مسماة بقبيلة من المغافر يقال لهم بنو قرافة الثاني القرافة محلة بالاسكندرية منسوبة الى القبيلة أيضاً وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني في كتاب النقط وقد ذكر جامع القرافة الذي يقال له اليوم جامع الاولياء وكان جماعة من الرؤساء يلزمون النوم بهذا الجامع ويجلسون في ليالى الصيف يحدثون في القمر في صحنه وفى الشتاء ينامون عند المنبر وكان يحصل لقيمه الاشربة والحلوى والجرايات وكان الناس يحبون هذا الموضع ويلزمونه لاجل من يحضر من الرؤساء وكانت الطفيلية يلزمون المبيت فيه ليالى الجمع وكذلك أكثر المساجد التى بالقرافة والجبل والمشاهد لاجل مايحمل اليها ويعمل فيها من الحلاوات واللحومات والاطعمة وقال موسى بن محمد بن سعيد فى كتاب المعرب عن أخبار المغرب وبت ليالي كثيرة بقرافة الفسطاط وهى في شرقيها بها منازل الاعيان بالفسطاط والقاهرة وقبور عليها مبان معتني بها وفيها القبة العالية العظيمة المزخرفة التى فيها قبر الامام الشافعى رضى الله عنه وبها مسجد جامع وترب كثيرة عليها أوقاف للقراء ومدرسة كبيرة للشافعية ولا تكاد تخلو من طرب ولا سيما في الليالى المقمرة وهى معظم مجتمعات أهل مصر وأشهر متنزهاتهم وفيها أقول

ان القرافة قد حوت ضدين من * دنيا وأخرى فهى نعم المنزل
يغشى الخليع بها السماع مواصلا * ويطوف حول قبورها المتبتل
كم ليلة بتنا بها ونديمنا * لحن يكاد يذوب منه الجندل
والبدر قد ملأ البسيطة نوره * فكأنما قد فاض منه جدول
وبدا يضاحك أوجهاً حاكينه * لما تكامل وجهه المتهلل

وفوق القرافة من شرقيها جبل المقطم وليس له علو ولا عليه اخضرار وانما يقصد للبركة وهو نبيه الذكر في الكتب وفي سفحه مقابر أهل الفسطاط والقاهرة والاجماع على انه ليس في الدنيا مقبرة أعجب منها ولا أبهى ولا أعظم ولا أنظف من أبنيتها وقبابها وحجرها ولا أعجب تربة منها كأنها الكافور والزعفران مقدسة في جميع الكتب وحين تشرف عليها تراها كأنها مدينة بيضاء والمقطم عال عليها كأنه حائط من ورائها وقال شافع بن علي

تعجبت من أمر القرافة اذ غدت * على وحشة الموتى لها قلبنا يصبو
فالفيتها مأوى الاحبة كلهم * ومستوطن الاحباب يصبو له القلب

وقال الاديب أبو سعيد محمد بن احمد العميدى

اذاماضاق صدرى لم اجدلى * مقر عبادة الا القرافه
لئن لم يرحم المولى اجتهادي * وقلة ناصرى لم ألق رافه

واعلم أن الناس في القديم انما كانوا يقبرون موتاهم فيما بين مسجد الفتح وسفح المقطم واتخذوا الترب الجليلة أيضاً فيما بين مصلي خولان وخط المغافر التى موضعها الآن كيمان تراب وتعرف الآن بالقرافة الكبرى فلما دفن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب ابنه فى سنة ثمان وستمائة بجوار قبر الامام محمد بن ادريس الشافعي وبني القبة العظيمة على قبر الشافعى وأجرى لها الماء من بركة الحبش بقناطر متصلة منها نقل الناس الابنية من القرافة الكبرى الى ماحول الشافعي وانشأوا هناك الترب فعرفت بالقرافة الصغرى وأخذت عمائرها فى الزيادة وتلاشى أمر تلك وأما القطعة التى تلى قلعة الجبل فتجددت بعد السبعمائة من سني الهجرة وكان مابين قبة الامام الشافعي رحمة الله عليه وباب القرافة ميدانا واحدا تتسابق فيه الامراء والاجناد ويجتمع الناس هنالك للتفرج على السباق فتصير الامراء تسابق على حدة والاجناد تسابق فى جهة وهم منفردون عن الامراء والشرط فى السباق من تربة الامير بيدرا الى باب القرافة ثم استجد أمراء دولة الناصر محمد بن قلاون في هذه الجهة الترب فبني الامير يلبغا التركماني والامير طقتمر الدمشقي والامير قوصون وغيرهم من الامراء وتبعهم الجند وسائر الناس فبنوا الترب والحوانك والاسواق والطواحين و الحمامات حتى صارت العمارة من بركة الحبش الى باب القرافة ومن حد مساكن مصر الى الجبل وانقسمت الطرق فى القرافة وتعددت بها الشوارع ورغب كثير من الناس فى سكناها لعظم القصور التى أنشئت بها وسميت بالترب ولكثرة تعاهد أصحاب الترب لها وتواتر صدقاتهم ومبراتهم لاهل القرافة وقد صنف الناس فيمن قبر بالقرافة واكثروا من التأليف في ذلك ولست بصدد شيء مما صنفوا في ذلك وانما غرضى أن أذكر ماتشتمل عليه القرافة * وفى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ظهر بالقرافة شيء يقال له القطربة تنزل من جبل المقطم فاختطفت جماعة من أولاد سكانها حتى رحل أكثرهم خوفا منها وكان شخص من أهل كبارة مصر يعرف بحميد الفوال خرج من اطفيح على حماره فلما وصل الى حلوان عشاء رأى امرأة جالسة على الطريق فشكت اليه ضعفا وعجزا فحملها خلفه فلم يشعر بالحمار الا وقد سقط فنظر الى المرأة فاذا بها قد أخرجت جوف الحمار بمخاليبها ففر وهو يعدو الى و الى مصر وذكر له الخبر فخرج بجماعته الى الموضع فوجد الدابة قد أكل جوفها ثم صارت بعد ذلك تتبع الموتى بالقرافة وتنبش قبورهم وتأكل أجوافهم وتتركهم مطروحين فامتنع الناس من الدفن فى القرافة زمنا حتى انقطعت تلك الصورة

*( ذكر المساجد الشهيرة بالقرافة الكبيرة )*

اعلم ان القرافة بمصر اسم لموضعين القرافة الكبيرة حيث الجامع الذى يقال له جامع الاولياء والقرافة الصغيرة وبها قبر الامام الشافعي وكانتا في أول الامر خطتين لقبيلة من اليمن هم من المغافر بن يعفر يقال لهم بنو قرافة ثم صارت القرافة الكبيرة جبانة وهى حيث مصلى خولان والبقعة وما هو حول جامع الاولياء فانه كان يشتمل على مساجد وربط وسوق وعدة مساكن منها ماخرب ومنها ما هوباق وسترى من ذلك مايتيسر ذكره

*( مسجد الاقدام )*

هذا المسجد بالقرافة بخط المغافر قال القضاعى ذكر الكندي أن الجند بنوه وليس من الخطط وسمى بالاقدام لان مروان بن الحكم لما دخل مصر وصالح أهلها وبايعوه امتنع من بيعته ثمانون رجلا من المغافر سوي غيرهم وقالوا لاننكث بيعة ابن الزبير فأمر مروان بقطع أيديهم وأرجلهم وقتلهم على بئر بالمغافر في هذا الموضع فسمى المسجد بهم لانه بنى على آثارهم والآثار الاقدام يقال جئت على قدم فلان أى على أثره وقيل بل أمرهم بالبراءة من علي بن أبي طالب رضى الله عنه فلم يتبرؤا منه فقتلهم هناك وقيل انما سمى مسجد الاقدام لان قبيلتين اختلفتا فيه كل تدعى انه من خطتها فقيس مابينه وبين كل قبيلة بالاقدام وجعل لاقربهما منه والقديم من هذا المسجد هو محرابه والاروقة المحيطة به وأما خارجه فزيادة الاخشيد والزيادة الجديدة التي في بحريه لسمعون الملقب بسهم الدولة متولى الستارة وكان من أهل السنة والخير ويقال انما سمي مسجد الاقدام لانه كان يتداوله العباد وكانت حجارته كذانا فأثر فيها موضع أقدامهم فسمى لذلك مسجد الاقدام

*( مسجد الرصد )*

هذا المسجد بناه الافضل أبو القاسم شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى بعد بنائه للجامع المعروف بجامع الفيلة لاجل رصد الكواكب بالآلة التي يقال لها ذات الحلق كما ذكرفيما تقدم

*( مسجد شقيق الملك )*

هذا المسجد بجوار مسجد الرصد بناه شقيق الملك خسروان صاحب بيت المال أحد خدام القصر فى أيام الخليفة الحافظ لدين الله في سنة احدى وأربعين وخمسمائة وعمل فيه للحافظ ضيافة عظيمة حضر فيها بنفسه ومعه الامراء والاستاذون وكافة الرؤساء وكان فيه كرم وسمو همة وكان لمساجد القرافة والجبل عنده روزنامج بأسماء أربابها فينفذ اليهم في أيام العنب والتين لكل مسجد قفص رطب ويرسل في كل ليلة من ليالى الوقود لكل مسجد خروف شواء وسطل جوذآب وجام حلوى ولا سيما اذا كان بائتا فى هذا المسجد فانه

لايأكل حتي يسير ذلك لمن اسمه عنده وكان يعمل جفان القطائف المحشوة باللوز والسكر والكافور والمسك وفيها مافيه بدل اللوز الفستق ويستدعى من لايقدر على ذلك من أهل الجبل والقرافة وذوى البيوت المنقطعين ويأمر اذا حضروا بسكب الحلوى والشيرج عليه بالجرار ويأمرهم بالاكل منه والحمل معهم وكان أحبهم اليه من يأكل طعامه ويستدعى بره وانعامه رحمه الله

* ( مسجد الانطاكي ) *

هذا المسجد كان أيضاً بالرصد وما برحت هذه المساجد الثلاثة بالرصد يسكنها الناس الى مابعد سنة ثمانين وسبعمائة ثم خربت وصار الرصد من الاماكن المخوفة بعد ماأدركته متنزها للعامة

* ( مسجد النارنج ) *

هذا المسجد عامر الى يومنا هذا فيما بين الرصد والقرافة الكبرى بجانب سقاية ابن طولون المعروفة بفصة الكبرى غربيها الى البحرى قليلا وهو المطل على بركة الحبش شرقي الكتنى وقبلى القرافة بنته الجهة الآمرية المعروفة بجهة الدار الجديدة في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة أخرجت له اثني عشر ألف دينار على يد الاستاذين افتخارا لدولة يمن ومعز الدولة الطويل المعروف بالوحش وتولى العمارة والانفاق عليه الشريف أبو طالب موسي بن عبد الله بن هاشم بن مشرف بن جعفر بن المسلم بن عبيد الله بن جعفر بن محمد ابن ابراهيم بن محمد اليمانى بن عبدالله بن موسى الكاظم الحسينى الموسوى المعروف بابن أخى الطيب بن أبى طالب الوراق وسمي مسجد النارنج لان نارنجه لاينقطع أبدا

* ( مسجد الاندلس ) *

هذا المسجد في شرقي القرافة الصغرى بجانب مسجد الفتح في الموضع الذى يعرف عند الزوار بالبقعة وهو مصلى المغافر على الجنائز ويقال انه بني عند فتح مصر وقيل بني في خلافة معاوية بن أبى سفيان ثم بنته جهة مكنون واسمها علم الآمرية أم ابنة الآمر التي يقال لها ست القصور في سنة ست وعشرين وخمسمائة على يد المعروف بالشيخ أبى تراب * ( وجهة مكنون ) هذه كان الخليفة الآمر بأحكام الله كتب صداقها وجعل المقدم منه أربعة عشر ألف دينار وكان لها صدقات وبر وخير وفضل وعندها خوف من الله وكانت تبعث الى الاشراف بصلات جزيلة وترسل الى أرباب البيوت والمستورين أموالا كثيرة ولما وهب الآمر لهزار الملوك ولبرغش فى كل يوم مائتي ألف دينار عينا لكل منهما مائة ألف دينار حضر اليها عشاء على عادته فأغلقت باب مقصورتها قبل دخوله وقالت له والله ماتدخل الي أو تهب لي مثل ماوهبت لواحد من غلاميك فقال الساعة ثم استدعي بالفراشين فحضروا فقال

هاتوا مائة ألف دينار الساعة ولم يزل واقفا الى أن حضرت عشرة كيسة في كل كيس عشرة آلاف دينار ويحمله عشرة من الفراشين ففتحت له الباب ودخل اليها ومكنون هـذا هو الاستاذ الذى كان برسم خدمتها ويقال له مكنون القاضى لسكونه وهدئه وكان فيه خير وبر كبير وبجانب مسجد الاندلس هذا رباط من غربيه بنته جهة مكنون هذه في سنة ست وعشرين وخمسمائة برسم العجائز الارامل فلما كان فى سنة أربع وسبعين وخمسمائة بني الحاجب لؤلؤ العادلى برحبة الاندلس والرباط بستانا وأحواضا ومقعدا وجمع بين مصلى الاندلس وبين الرباط بحائط بينهما وعمل ذلك لحلول العفيف حاتم بن مسلم المقدسى الشافعى به ولما مات السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى بدمشق فى المحرم سنة ست وسبعين وستمائة وقام من بعده في السلطنة ابنه الملك السعيد محمد بركة خان عمل لابيه عزاء بالاندلس هذا فاجتمع هناك القراء والفقهاء وأقيمت المطابخ وهيئت المطاعم الكثيرة وفرقت على الزوايا ومدت أسمطة عظيمة بالخيام التى ضربت حول الاندلس فأكل الناس على اختلاف طبقاتهم وقرأ القراء ختمة شريفة وعد هذا الوقت من المهمات العظيمة المشهورة بديار مصر وكان ذلك فى المحرم سنة سبع وسبعين وستمائة على رأس سنة من موت الملك الظاهر فقال في ذلك القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر

ياايها الناس اسمعوا * قولا بصدق قد كسى
ان عزا السلطان في * غرب وشرق ما نسى
أليس ذا مأتمـه * يعمل في الاندلس

ثم عمل بعد ذلك مجتمع فى المدرسة الناصرية بجوار قبة الشافعي من القرافة ومجتمع بجامع ابن طولون ومجتمع بجامع الظاهر من الحسينية خارج القاهرة ومجتمع بالمدرسة الظاهرية بين القصرين ومجتمع بالمدرسة الصالحية ومجتمع بدار الحديث الكاملية ومجتمع بالخانقاه الصلاحية لسعيد السعداء ومجتمع بالجامع الحاكمى وأقيم فى كل واحد من هـذه المجتمعات الاطعمة الكثيرة وعمل للتكاررة خوان وللفقراء خوان حضره كثير من أهـل الخير والصلاح فقيل فى ذلك

فشكرا لها أوقات بر تقبلت * لقد كان فيها الخير والبر أجمعا
لقد عمت النعمى بها كل موطن * سقتها الغوادى مربعا ثم مربعا
ولما مضى السلطان لم يمض جوده * وخلف فينا بره متنوعا
فتى عيش في معروفه بعد موته * كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
فدام له منا الدعاء مكررا * مدى دهرنا والله يسمع من دعا

* ( مسجد البقعة ) *

هذا المسجد مجاور لمسجد الفتح من غربيه بناه الامير أبو منصور صافي الافضلي

* ( مسجد الفتح ) *

هذا المسجد مشهور بجوار قبر الناطق بناه شرف الاسلام سيف الامام يانس الرومى وزير مصر وسمى بالفتح لان منـه كان انهزام الروم الى قصر الشمع حين قدم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود فيمن سواهما مددا لعمرو بن العاص وكان الفتح ويقال ان محرابه اللطيف الذى بجانبه الشرقي قديم وان تحت حائطه الشرقي قبر عامر الذى كان أول من دفن بالقرافة ومحراب مسجد الفتح منحرف عن خط سمت القبلة الى جهة الجنوب انحرافا كثيرا كما ذكر عند ذكر محاريب مصر من هذا الكتاب واستشهد يومئذ جماعة دفنوا في مجرى الحصا فكان يرى على قبورهم فى الليل نور

* ( مسجد أم عباس جهة العادل بن السلار ) *

هذا المسجد كان بجوار مصلي خولان بالمغافر غربى المقابر بنته بلاوة زوج العادل ابن السلار سلطان مصر في خلافة الظافر سنة سبع وأربعين وخمسمائة على يد المعروف بالشريف عز الدولة الرضوى بن القفاص وكانت بلاوة مغربية وهي أم الوزير عباس الصنهاجي الباديسي وقد دثر هذا المسجد

* ( مسجد الصالح ) *

هذا المسجد كان بخط جامع القرافة المعروف بجامع الاولياء عرف بمسجد بنى عبيد الله وبمسجد القبة وبمسجد العزاء والذى بناه الصالح طلائع بن رزيك وزير مصر وكان في أعلاه مناظر وعمارته متقنة الزى وأدركته عامرا الى مابعد سنة ثمانمائة

* ( مسجد ولى عهد أمير المؤمنين ) *

هو الامير أبو هاشم العباس بن شعيب بن داود المهدى أحد الاقارب فى الايام الحاكمية كان الى جانب مسجد الصالح وبجانبه تربته وكان المسجد من حجر وبابه محمول على أربع حنايا وتحت الحنايا باب المسجد وفي شرقيه أيضاً أربع حنايا وكانت دار أبى هاشم هذا بمصر دار الافراح ومن ولده الشريف الامير الكبير أبو الحسن على ابن الامير عباس بن شعيب ابن أبى هاشم المذكور ويعرف بالشريف الطويل وبالنباش

* ( مسجد الرحمة ) *

هذا المسجد كان في صدر القرافة الكبري بالقرب من تربة ركن الاسلام محمود ابن أخت الملك الصالح طلائع بن رزيك قال الكندى ومنها مسجد القرافة وهم بنو محصن ابن سيف بن وائل بن الجيزى قبلى القرافة على يمينك اذا أممت مسجد الاقدام مقابله

فسقية صغيرة وله منارة يعرف بمسجد الرحمة وعرف هذا المسجد بأبي تراب الصواف وكيل الجهة التى بنت مسجد الاندلس ورباطه ومسجد رقية وأبو تراب هذا تولى بناءه وكان يقوم بخدمته الشيخ نسيم وأبو تراب هو الذى أخرج اليه ولد الآمر في قفة من خوص فيهـا حوائج طبيخ من كراث وبصل وجزر وهو طفل فى القماط في أسفل القفة والحوائج فوقه ووصل به الى القرافة وأرضعته المرضعة بهذا المسجد وخفى أمره عن الحافظ حتى كبر وصار يسمى قفيفة فلما حان نفعه نم عليه أبو عبد الله الحسين بن أبي الفضل عبـد الله بن الحسين الجوهرى الواعظ بعد ممات الشيخ أبو تراب عند الحافظ فأخذ الصبي وفصـده فمات وخلع على ابن الجوهري ثم نفى الى دمياط فمات بها فى جمادى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

* ( مسجد مكنون ) *

هو بجانب مسجد الرحمة بناه الاستاذ مكنون القاضى الذى تقدم ذكره فى مسجد الاندلس .

* ( مسجد جهة ريحان ) *

هذا المسجد كان فى وجه مسجد أبي تراب قبالة دار البقر من القرافة الكبرى وجـدده أستاذ الجهة الحافظية واسمه ريحان فى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة

* ( مسجد جهة بيان ) *

هذا المسجد كان في بطحاء مسجد الاقدام بجوار ترب المادرانيين بنته الجهة الحافظية المعروفة بجهة بيان الحسامى على يد أبى الفضل الصعيدى المعروف بابن الموفق وحكى الخليفة عن هذه الجهة خبراً عجيباً قال القاضي المكين أبو الطاهر اسماعيل بن سلامة قال لى أمير المؤمنين الحافظ يوما ياقاضي أبا الطاهر قلت لبيك ياأمير المؤمنين قال أحدثك بحديث عجيب قلت نعم قال لما جرى من أبى على بن الافضل ماجري بينا أنا في الموضع الذى كنت معتقلا فيه رأيت كأنى قد جلست في مجلس من مجالس القصر أعرفه وكأن الخلافة قد أعيدت الي وكأن المغنيـات قد دخلن يهنيننى ويغنين بين يدى وفي جملتهن جارية معها عود يعني هذه الجارية المذكورة فأنشأت تغني قول أبي العتاهية

اتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالهـا

فلم تك تصلح الاله * ولم يك يصلح الالهـا

ولو نالهـا أحد غيره * لزلزلت الارض زلزالها

وكأنى قمت الى خزانة بالمجلس أخذت منها حقة فيها جوهر فملأت فمها منه ثم استيقظت فو الله ياقاضي ما كان الا يومان حتى كسر على الحبس لما قتل أبو على بن الافضل وقيل لى السلام على أمير المؤمنين فلما خرجت وأقمت أياما جلست في ذلك المجلس الذي رأيتـه في النوم ودخل الجوارى يهنيننى فغنت احداهن وهي ذات عود ذلك الصوت بعينه فقلت لهـا

على رسلك حتى نقضي نحن ايضاً من حقك مايجب علينا وقمت الى الخزانة وأخذت الحق الذى فيه الجوهر ثم جئت اليها وقلت لها افتحى فاك ففتحته وحشوته جوهراً وقلت لها ان لك علينا في كل سنة في مثل هذا اليوم مثل ذلك

*( مسجد توبة )*

هو ابن ميسرة الكتامي مغنى المستنصر كان في شرقى الاقهوب وقبالته تربة تنسب الى الطبالة صاحبة أرض الطبالة وكلاهما في القرافة الكبرى

*( مسجد درى )*

هذا المسجد كان في القرافة الكبرى في رحبة الاقهوب بناه شهاب الدولة درى غلام المظفر أخى الافضل بن أمير الجيوش في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وكان أرمنيا فأسلم وصار من المتشددين في مذهب الامامية وقرأ الجمل للزجاجي في النحو واللمع لابن جنى وكانت له خرائط من القطن الابيض يلبسها في يديه ورجليه وكان يتولى خزائن الكسوات ولا يدخل على بسط السلاطين ولا على بسط الخليفة الحافظ لدين الله ولا يدخل مجلسه الا بالخرائط في رجليه ولا يأخذ من أحد رقعة الا وفي يده خريطة يظن أن من لمسه نجسه وسوسة منه فان اتفق أنه صافح أحدا أو أمسك رقعة بيده من غير خريطة لايمس ثوبه ولا بدنه حتي يغسلها فان مس ثوبه غسل الثوب وكان الاستاذون يعبثون به ويرمون في بساط الخليفة الحافظ العنب فاذا مشى عليه وانفجر ووصل ماؤه الى رجليه سبهم وحرد فيضحك الخليفة ولا يؤاخذه وعمل مرة الوزير رضوان بن ولخشي دواة حليتها ألف دينار مرصعة فدخل عليه شهاب الدولة درى الصغير هذا وقد أحضرت الدواة المذكورة فقال له يامولانا أحسن من مداد هذه الدواة ووقع على هذه فيكون ذلك زكاتها اذ الله فيه رضا ولنبيه وناوله رقعة الشريف القاضى سنا الملك أسعد الجوانى النحوى يطلب فيها راتباً لابنه الشريف أبي عبد الله محمد في الشهر ثلاثة دنانير فوقع عليهـا فلما كان في الليل رأى فى نومه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه وهو يقول جزاك الله خيراً على فعلك اليوم

*( مسجد ست غزال )*

هذا المسجد كان في القرافة الكبرى بجوار تربة النعمان بنته ست غزال في سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكانت غزال هذه صاحبة دواة الخليفة لاتعرف شيئاً الا احكام الدوى والليق ومسح الاقلام والدواة وكان برسم خدمتها الاستاذ مأمون الدولة الطويل

*( مسجد رياض )*

هو لوقافة الحافظ لدين الله كانت تقف بين يديه بالقصر وكان بجوار المصنعة الصغرى الطولونية التى يجيء الماء اليها من عفصة الكبرى وكان فيه حوش به عدة بيوت للنساء المنقطعات

### * ( مسجد عظيم الدولة ) *

هذا المسجد كان معلقا بخط سوق القرافة الكبرى وكان عظيم الدولة هذا صقلياً صاحب الستر وحامل المظلة وكان بجوار هذا المسجد مسجد التمساح ومسجد السدرة ومسجد جهة مراد وكان القاضى أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج هبة الله بن الميسر لما عمل قدامه منارة النحاس الرومية ذات السواعد واجتاز بها من تحت سدرة المسجد في ليلة الوقود نصف شهر رجب سنة ثلاثين وخمسمائة عاقتها السدرة فأمر بقطع بعضها فقيل له لاتفعل فان قطع السدر محذور وقد روى أبو داد في كتاب السنن له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار فقطعها على ركوب نصف شعبان فما أسى وصرف في المحرم ونفى الى تنيس وقتل

### * ( مسجد أبي صادق ) *

هذا المسجد كان غربى مسجد الاقدام بناه ابن سعدون ابو الحسن على بن محمد البغدادى بعد سنة عشرين وأربعمائة وجدده أخوه أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسن بن سعدون البغدادى سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة وهو مسجد أبي صادق مرشد المدينى المالكى المحدث وكان قارئ المصحف بالجامع ومصلياً به ومصدرا فيه لاقراء السبع وكان فيه حنة على الحيوانات لاسيما على القطط والكلاب وكان مشارف الجامع وجعل عليه جاريا من الغدد كل يوم لأجل القطط وكان عند داره بزقاق الاقفال من مصر كلاب يطعمها ويسقيها وربما تبع دابته منها شئ يمشى معه في الاسواق قال الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة في كتاب النقط على الخطط حدثنى الشيخ منجب غلام أبي صادق قال كان لمولاى الشيخ أبي صادق كلب لايفارقه أبداً اذا كان راكباً يمشي خلفه فاذا وقفت بغلته قام تحت يديها فاذا رآه الناس قالوا هذا أبو صادق وكلبه وحدثنى قال ولدت كلبة فى مستوقد حمام وكان المؤذن يأتي خلف مولاى سحراً كل يوم لقراءة المصحف وكان مولاي يأخذ فى كمه كل يوم رغيفا فاذا حاذى موضع الكلبة قلع طيلسانه وقطع الخبز للكلبة ويرمي لها بنفسه الى أن تأكل ثم يستدعي الوقاد ويعطيه قيراطا ويقول له اغسل قدحها واملأه ماء حلوا ويستحلفه على ذلك فلما كبر أولادها صار يأخذ بعد رغيفين الى أن كبروا وتفرقوا وحدثنى قال كان قدجعل كراء حانوت برسم القطاط بالجامع العتيق من الاحباس وكان يؤتي بالغدد مقطعة فيجلس ويقسم عليها وان قطة كانت تحمل شيئاً من ذلك وتمضى به وفعلت ذلك مرارا فقال مولاي للشيخ أبي الحسن بن فرج امض خلف هذه القطة وانظر الى أين تؤدى ذلك فمضي ابن فرج فاذا بها تؤديه الى أولادها فعاد اليه وأخبره فكان بعد ذلك يقطع غددا صغارا على قدر مساغ القطط الصغار وغددا كبارا للكبار ويرسل بجزء الصغار اليهم الى أن كبروا

*( مسجد الفراش )*

هذا المسجد كان بالقرافة الكبرى بناه أحمد فراش الافضل بن أمير الجيوش وبجواره مسجد بناء زيد بن حسام ومسجد الاجابة القديم وتربة العطار ودار البقر وقناطر الاطفيحي كل ذلك بالقرب من جامع القرافة

*( مسجد تاج الملوك )*

هذا المسجد قدام دار النعمان وتربته من القرافة الكبرى بناه تاج الملوك بدران بن أبى الهيجاء الكردي الماردانى وهو أخو سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء صهر بنى رزيك وكان مجتمع أهل مصر عنده في الاعياد والمواسم وليالى الوقود

*( مسجد الثمار )*

هذا المسجد كان ملاصقا للزيادة التى فى بحرى مسجد الاقدام وفيه قبور بني الثمار

*( مسجد الحجر )*

هذا المسجد كان بحرى مسجد عمار بن يونس مولى المغافر وشرقي قصر الزجاج من القرافة الكبري بنتـه مولاة على بن يحيي بن طاهر المعروف بابن أبى الخارجي الموصلى في ربيع الاول سنة ثلاثين وأربعمائة

*( مسجد القاضى يونس )*

هذا المسجد كان غربى مسجد الحجر المذكور بناه الشيخ عـدى الملك بن عثمان صاحب دار الضيافة ثم صار بيد قاضى القضاة بمصر الموفق كمال الدين أبى الفضائل يونس ابن محمـد بن الحسن المعروف بجوامرد خطيب القدس القرشي وكان من الاعيـان ولم يشرب قط من ماء النيـل بل من ماء الآبار ولم يأكل قط للسلطـان خبزا وكان يروى الحديث عن جده

*( مسجد الوزيرية )*

هذا المسجد كان بالقرافة الكبرى وله منارة بجوار باب رباط الحجازية وكانت الحجازية واعظة زمانها وكانت من الخيرات لها القبول التام وتدعي أم الخير وكان لها من الصيت كما كان لابن الجوهرى وكانت على غاية من الكرم وحسـن الاخـلاق والشيم ومن مكارم أخلاقها وحسن طباعها وكياسة انطباعها ماحكاه الجوانى النسابة فى كتاب النقط على الخطط قال حدثني الشيخ أبو الحسن بن السراج المؤذن بالجامع بمصر قال كان قـدام الباب الاول من أبواب جامع مصر بياع رطب يقعد على الارض وبين يديه أقفاص رطب من أحسن الارطاب فبينا الحجازية الواعظة هذه ذات يوم قد قاربت الخروج من باب الجامع وهى في حفـدتها وجواريها واذا ذلك الرطاب ينادى على قفص رطب قدامه معاشر الناس اشتروا

الطيبة الحجازية على أربعة على أربعة يريد على أربعة أرطال رطب بدرهم فلما سمعته الحجازية وقفت قبل أن تخرج من باب الجامع وأنفذت اليه بعض الجواري فصاحت به فلما أتاها قالت له يا أخي قولك الحجازية على أربعة مشكل لا ترجع تنادى كذا وهذا رباعي هدية مني لك ربح هذا القفص ولا تناد كذا فأخذه وقبل يدها وقال السمع والطاعة

*( مسجد ابن العكر )*

هذا المسجد غربي مسجد أبي صادق بحضرة مسجد الاقدام قبالة قصر الكتنى وبحذاء مسجد النارنج بناه القاضى العادل بن العكر

*( مسجد ابن كباس )*

هـذا المسجد كان مجاورا للقناطر الاطفيحية على يسار من أم طريق الجامع بناه القاضى ابن كباس

*( مسجد الشهمية )*

هذا المسجد كان شرقي مسجد الاقدام وغربي قناطر ابن طولون مجاورا لتربة القاضى ابن قابوس كان يعرف بمسجد الفقاعة من الكلاع ويعرف أيضاً بمسجد شادن الفضلى غلام الوزير جعفر بن الفضل بن الفرات

*( مسجد زنكادة )*

هذا المسجد كان غربي مسجد عمار بن يونس بناه زنكادة المخنث بعد ماتاب في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

*( جامع القرافة )*

هذا الجامع يعرف اليوم بجامع الاولياء وهو مسجد بنى عبد الله بن مانع بن مزروع ويعرف بمسجد القبة وقد ذكر عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب

*( مسجد الاطفيحي )*

هذا المسجد كان في البطحاء بحري مجرى جامع الفيلة الى الشرق مخالطا لخطط الكلاع ورعين والاكنوع والاكحول ويقال له مسجد وحاطة بن سعد الاطفيحى من أهل اطفيح شيخ له سمت وكتب الحديث في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وما قبلها وسمع من الحبال وهو في طبقته وهو رفيق الفراء وابن مشرف وابن الحطيئة وأبي صادق وسلك طريق أهل القناعة والزهد والعزلة كأبي العباس ابن الحطيئة وكان الافضل الكبير شاهنشاه صاحب مصر قد لزمه واتخذ السعي اليه مفترضاً والحديث معه شهوة وغرضا لا ينقطع عنه وكان فكه الحديث قد وقف من أخبار الناس والدول على القديم والحديث وقصده الناس لاجل حلول السلطان عنده لقضاء حوائجهم فقضاها وصار مسجده موئلا للحاضر والبادى وصدى

لاجابة صوت النادى وشكا الشيخ الى الافضل تعذر الماء ووصوله اليه فأمر ببناء القناطر التي كانت في عرض القرافة من المجرى الكبيرة الطولونية فبنيت الى المسجد الذى به الاطفيحى ومضى عليها من النفقة خمسة آلاف دينار وعمل الاطفيحي صهريج ماء شرقى المسجد عظيما محكم الصنعة وحماما وبستانا كان به نخلة سقطت بعد سنة خمسين وخمسمائة وعمل الافضل له مقعدا بحذاء المسجد الي الشرق علو زيادة فى المسجد شرقيه وقاعة صغيرة مرخمة اذاجاء عنده جلس فيها وخلا بنفسه واجتمع معه وحادثه وكان هذا المقعد على هيئة المنظرة بغير ستائر كل من قصد الاطفيحي من الكتفى يراه وكان الافضل لايأخذه عنه القرار يخرج في أكثر الاوقات من دار الملك باكرا أو ظهراً أو عصراً بغتة فيترجل ويدق الباب وقارا للشيخ كما كان الصحابة رضي الله عنهم يقرعون أبواب النبى صلى الله عليه وسلم بظفر الابهام والمسبحة كما يحصب بهما الحاصب فان كان الشيخ يصلى لايزال واقفا حتي يخرج من الصلاة ويقول من فيقول ولدك شاهنشاه فيقول نعم ثم يفتح فيصافحه الافضل ويمر بيده التي لمس بها يد الشيخ علي وجهه ويدخل فيقول الشيخ نصرك الله أيدك الله سددك الله هذه الدعوات الثلاث لاغير أبدا فيقول الافضل آمين وبني له الافضل المصلي ذات المحاريب الثلاثة شرقى المسجد الى القبلي قليلا ويعرف بمصلى الاطفيحي كان يصلى فيه على جنائز موتى القرافة وكان سبب اختصاص الافضل بهذا الشيخ انه لما كان محاصرا نزار بن المستنصر بالاسكندرية وناصر الدولة افتكين الارمنى أحدمماليك اميرالجيوش بدر وكانت أم الافضل اذ ذاك وهى عجوز لها سمت ووقار تطوف كل يوم وفى الجمعة الجوامع والمساجد والرباطات والاسواق وتستقص الاخبار وتعلم محب ولدها الافضل من مبغضه وكان الاطفيحي قد سمع بخبرها فجاءت يوم جمعة الى مسجده وقالت له ياسيدي ولدى في العسكر مع الافضل الله يأخذ لى الحق منه فانى خائفة على ولدى فادع الله لي أن يسلمه فقال لها الشيخ ياأمة الله أما تستحيين تدعين على سلطان الله فى أرضه المجاهد عن دينه الله تعالى ينصره ويظفره ويسلمه ويسلم ولدك ماهو ان شاء الله الا منصور مؤيد مظفر كأنك به وقد فتح الاسكندرية وأسر أعداءه وأتي على أحسن قضية وأجمل طوية فلا تشغلى لك سرا فما يكون الا خيرا ان شاء الله تعالى ثم انها اجتازت بعد ذلك بالفار الصيرفى بالقاهرة بالسراجين وهو والد الامير عبد الكريم الآمرى صاحب السيف وكان عبد الكريم قد ولى مصر بعد ذلك في الايام الحافظية وكان عبد الكريم هذا له في ايام الآمر وجاهة عظيمة وصولة ثم افتقر فوقفت أم الافضل على الصيرفي تصرف دينارا وتسمع ما يقول لانه كان اسماعيليا متغاليا فقالت له ولدى مع الافضل وما ادرى ماخبره فقال لها الفار المذكور لعن الله المذكور الارمني الكلب العبد السوء ابن العبد السوء مضى يقاتل مولاه

ومولى الخلق كأنك والله ياعجوز برأسه جائزا من ها هنا على رمح قدام مولاه نزار ومولاى ناصر الدولة ان شاء الله تعالى والله يلطف بولدك من قال لك تخليه يمضى مع هذا الكلب المنافق وهو لايعرف من هى ثم وقفت على ابن بابان الحلبي وكان بزازا بسوق القاهرة فقالت له مثل ماقالت للفار الصيرفي وقال لها مثل ماقال لها فلما أخذ الافضل نزارا وناصر الدولة وفتح الاسكندرية حدثته والدته الحديث وقالت ان كان لك أب بعد أمير الجيوش فهذا الشيخ الاطفيحى فلما خلع عليه المستعلى بالقصر وعاد الى دار الملك بمصر اجتاز بالبزازين يوما فلما نظر الى ابن بابان الحلبي قال انزلوا بهذا فنزلوا به فقال رأسه فضربت عنقه تحت دكانه ثم قال لعبد على أحد مقدمي ركابه قف ها هنا لايضيع له شئ الى أن يأتى أهله فيتسلموا قماشه ثم وصل الى دكان الفار الصيرفي فقال انزلوا بهذا فنزلوا به فقال رأسه فضربت عنقه تحت دكانه وقال ليوسف الاصغر أحد مقدمى الركاب اجلس على حانوته الى أن يأتى أهله ويتسلموا موجوده واياك وماله وصندوقه وان ضاع منه درهم ضربت عنقك مكانه كان لنا خصم أخذناه وقد فعلنا به مايردع غيره عن فعله ومالنا ماله ولا فقر أهله ثم اتي الافضل الى الشيخ أبي طاهر الاطفيحي وقربه وخصه الى أن كان من أمره ماشرحناه

* ( مسجد الزيات ) *

هذا المسجد مجاور بيت الخواص غربيه ومسجد ابن أبي الرداد يعرف بمسجد الانطاكي ومسجد الفاخورى يعرف بمسجد البطحاء ومسجد ابن أبى الصغير قبلي مسجد بني مانع وهو جامع القرافة ومسجد الشريفة بني فى سنة احدى وخمسمائة ومسجد ابن أبي كامل الطرابلسى كان بحارة الفرن بناه الاعز بن أبى كامل والمعبد الذى كان على رأس العقبة التى يتوصل منها الى الرصد بناه أبو محمد عبد الله الطباخ ويقال انه كان بالقرافة الكبرى اثنا عشر ألف مسجد

* ( القصر المعروف بباب ليون بالشرف ) * هذا القصر كان على طرف الجبل بالشرف الذى يعرف اليوم ( ٣ ) وجاء الفتح وهو مبني بالحجارة ثم صار في موضعه مسجد عرف بمسجد المقس والمقس ضيعة كانت تعرف بأم دنين سميت المقس لان العاشر كان يقعد بها وصاحب المكس فقلب فقيل المقس وليون اسم بلد بمصر بلغة السودان والروم وقد ذكر المقس عند ذكر ظواهر القاهرة من هذا الكتاب والله تعالى أعلم

* ( ذكر الجواسق التى بالقرافة ) *

قال ابن سيده الجوسق الحصن وقيل هو شبيه بالحصن معرب وقال الشريف محمد ابن أسعد الجوانى النسابة فى كتاب النقط على الخطط الجواسق بالقرافة والجبانة كانت تسمي القصور وكان بالقرافة قصر الكتني وقصر بني كعب وقصر بنى عقبة وقصر أبى

قبيل وقصر العزيز وقصر البغدادى وقصر يشب وقصر ابن كرامة

( جوسق بنى عبد الحكم ) كان جوسقا كبيرا له حوش وكان في وسط القرافة بحضرة مسجد بني سريع الذي يقال له الجامع العتيق وهو أحد الجواسق الثلاثة وهو جوسق عبد الله بن عبد الحكم الفقيه الامام وجدد هذا الجوسق ابن اللهيب المغربى

( جوسق بنى غالب ويعرف ببني بابشاد ) كان بالمغافر بني في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة والى جانبه قبر الشيخ أبي الحسن طاهر بن بابشاد

( جوسق ابن ميسر ) كان بجوار جوسق بني غالب بناه أبو عبد الله محمد ابن القاضى أبى الفرج هبة الله وكان أبو الفرج هو الخطيب بجامع مصر ويوم الغدير وهو شافعى المذهب وهو هبة الله بن هبة الله بن الميسر وذلك فى جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وخمسمائة وأبو عبد الله هذا هو الذى كان بعد ذلك قاضى القضاة بمصر وهو الذى حبس القياسر التي كانت في القشاشين بمصر وكان يحمل قدامه المنارة الرومية النحاس ذات السواعد التى عليها الشمع ليالى الوقودات وكان فيه كرم سمع بأن المادراني عمل فى أيامه الكعك الصغير المحشو بالسكر المسمي افطن له فأمر هو بعمل لب الفستق الملبس بالسكر الابيض الفانيذ المطيب بالمسك وعمل منه فى أول الحال شيأ عوض لبه لب ذهب فى صحن واحد فمضى فيه جملة وخطف قدامه تخاطفه الحاضرون ولم يعد لعمله بل الفستق الملبس وهو أول من أخرجه بمصر وكان قد سمع فى سيرة أبى بكر المادرانى انه عمل هذا الافطن له وجعل فى كل واحد خمسة دنانير ووقف استاذ على السماط فقال لاحد الجلساء افطن له وكان على السماط عدة صحون من ذلك الجنس لكن مافيهامافيه دنانير الا صحن واحد فلما رمز الاستاذ لاحد الجلساء على سماط المادرانى بقوله افطن له وأشار الى الصحن تناول الرجل منه فأصاب ذلك فاعتمد له فحصل له جملة ورآه الناس وهو اذا أكل يخرج شيأ من فمه ويجمع بيده ويحط في حجره فتنبهوا وتزاحموا عليه فقيل لذلك المعمول من ذلك الوقت افطن له وقتل هذا القاضى فى تنيس فى أيام بهرام الوزير النصرانى الارمني سنة ست وعشرين وخمسمائة

( جوسق ابن مقشر ) كان جوسقاً طويلا ذا تربة الى جانبه

( جوسق الشيخ أبى محمد ) عامل ديوان الاشراف الطالبيين وجوسق ابن عبد المحسن بخط الاكول وجوسق البغدادى الجرجراى كان قبره الى جانبه خرب في سنة عشرين وخمسمائة وجوسق الشريف أبي اسماعيل ابراهيم بن نسيب الدولة الكلثمى الموسوي نقيب مصر

( جوسق المادرانى ) هذا الجوسق لم يبق من جواسق القرافة غيره وهو جوسق

كبير جداً على هيئة الكعبة بالقرب من مصلى خولان في بحريه على جانبه الممر من مقطع الحجارة بناه أبو بكر محمد بن على المادراني فى وسط قبورهم من الجبانة وكان الناس يجتمعون عند هذا الجوسق فى الاعياد ويوقد جميعه فى ليلة النصف من شعبان كل سنة وقودا عظيما ويحلق القراء حوله لقراءة القرآن فيمر للناس هنالك أوقات في تلك الليلة وفي الاعياد بديعة حسنة

( جوسق حب الورقة ) كان هذا الجوسق بحضرة تربة ابن طباطبا أدركته عامرا وقد خرب فيما خربه السفهاء من ترب القرافة وجواسقها زعما منهم أن فيها خبايا وكان اكابر أمراء المغافر ومن بعدهم ومن يجري مجراهم لكل منهم جوسق بالقرافة يتنزه فيه ويعبد الله تعالى هناك وكان من هذه الجواسق ماتحته حوض ماء لشرب الدواب وفسقية وبستان وكان بالقرافة عدة قصور وهى التي تسمى بالجواسق لها مناظر وبساتين الا أن الجواسق أكثرها بغير بساتين ولا بئر بل مناظر مرتفعة ويقال لها كلها قصور

( قصر القرافة ) بنته السيدة تغريد أم العزيز بالله في سنة ست وستين وثلثمائة على يد الحسن بن عبد العزيز الفارسي المحتسب هو والحمام الذى كان فى غربيه وبنت البئر والبستان المعروف بالتاج المعروف بحصن أبي المعلوم وبنت جامع القرافة ثم جدده الآمر بأحكام الله وبيضه في سنة عشرين وخمسمائة وعمل شرقى بابه مصطبة للصوفية وكان مقدمهم الشيخ أبو اسحاق ابراهيم المعروف بالمادح وكان الآمر يجلس في الطاق بالمنظر الذى بناه بأعلى القصر ويرقص أهل الطريقة قدامه وقد ذكر هذا القصر عند ذكر مناظر الخلفاء من هذا الكتاب ولم يزل هذا القصر الى ربيع الآخر سنة سبع وستين وخمسمائة

*( ذكر الرباطات التي كانت بالقرافة )*

كان بالقرافة الكبيرة عدة دور يقال للدار منها رباط على هيئة ما كانت عليه بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يكون فيها العجائز والارامل العابدات وكانت لها الجرايات والفتوحات وكان لها المقامات المشهورة من مجالس الوعظ

( رباط بنت الخواص ) كان تجاه مسجد يد الفقيه مجلى بن جميع بن نجا الشافعي مؤلف كتاب الذخائر وقاضى القضاة بمصر

( رباط الاشراف ) كان برحبة جامع القرافة يعرف بالقراء وبنى عبد الله وبمسجد القبة وهو شرقي بستان بن نصر بناه أبو بكر محمد بن على المادرانى وو قفه على نساء الاشراف

( رباط الاندلس ) بنته الجهة المعروفة بجهة مكنون الآمرية كما تقدم

( رباط ابن العكارى ) كان بحضرة مسجد بنى سريع المعروف بالجامع العتيق

( رباط الحجازية ) بنته وحبسته على الحجازية فوزجارية على بن أحمد الجرجراى

الوزير هو والمسجد الذى تقدم ذكره

( رباط رياض ) كان بجوار مسجد الحاجة رياض

* ( ذكر المصليات والمحاريب التي بالقرافة ) *

وكان في القرافة عدة مصليات وعدة محاريب

( منها مصلى الشريفة ) كان بدرب القرافة بجدرة الجباسين وخطة الصدف بناه أبو محمد عبد الله بن الارسوفي الشامى التاجر سنة سبع وسبعين وخمسمائة

( مصلى المغافر ) وهو الاندلس جدده ابن برك الاخشيدي ثم بنته جهة مكنون الآمرية فى سنة ست وعشرين وخمسمائة

( مصلى عقبة القرافة يعرف بمصلى الاندلسي ) كان ذا مصطبة مربعة على يسرة الطالع الى القرافة بناه يوسف بن أحمد الاندلسى الانصارى في شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة

( مصلى القرافة ) جدده الفقيه ابن الصباغ المالكى فى سنة عشرين وخمسمائة وكان بحضرة مسجد أبي تراب تجاه دار التبر

( مصلى الفتح ) كان ملاصقا لمسجد الفتح بناه أبو محمد القامي المغربى المنجم الحافظى

( مصلى جهة العادل ) أبي الحسن بن السلار وزير مصر

( مصلى الاطفيحى ) بجوار مسجد الاطفيحى الذى تقدم ذكره

( مصلى الجرجانى ) بناه الوزير على بن أحمد الجرجاني وكانت بالقرافة الكبرى والجبانة عدة محاريب خربت كلها

( مصلى خولان ) هذه المصلى عرفت بطائفة من العرب الذين شهدوا فتح مصر يقال لهم خولان وهم من قبائل اليمن واسمه نكل بن عمرو بن مالك بن زيد بن عريب وفى هذه المصلى مشهد الاعياد ويؤم الناس ويخطب لهم بها في يوم العيد خطيب جامع عمرو بن العاص وليست هذه المصلى هي التى أنشأها المسلمون عند فتح أرض مصر وانما كانت مصلى العيد فى أول الاسلام غير هذه قال القضاعى مصلى العيد كان مصلى عمرو بن العاص مقابل اليحموم وهو الجبل المطل على القاهرة فلما ولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر أمر بتحويله فحول الى موضعه المعروف اليوم بالمصلى القديم عند درب السباع ثم زاد فيه عبد الله بن طاهر سنة عشر ومائتين ثم بناه أحمد بن طولون في سنة ست وخمسين ومائتين واسمه باق عليه الى اليوم * قال الكندي ولما قدم شفى الاصبحي الى مصر وأهل مصر قد اتخذوا مصلى بحذاء ساقية أبي عون عند العسكر قال مالهم وضعوا مصلاهم فى الجبل الملعون وتركوا الجبل المقدس يعنى المقطم قال فقدموا مصلاهم الى موضعه الذى هو به اليوم يعنى المصلى القديم المذكور وقال الكندى ثم ضاق المصلى بالناس في امارة عنبسة بن

اسحاق الضبي على مصر في أيام المتوكل على الله فأمر عنبسة بابتناء المصلى الجديد فابتدئ بينائه في العشر الاخير من شهر رمضان سنة أربعين ومائتين وصلي فيه يوم النحر من هذه السنة * وعنبسة هو آخر عربي ولى مصر وآخر أمير صلى بالناس في المسجد وهو المصلي الذى بالصحراء عند الجارودى ثم جدده الحاكم وزاد فيه وجعل له قبة وذلك في سنة ثلاث وأربعمائة وكان أمراء مصر اذا خرجوا الى صلاة العيد بالمصلى أوقفوا جيشاً في سفح الجبل مما يلي بركة الحبش ليراعى الناس حتى ينصرفوا من الصلاة خوفا من البجة فانهم قدموا غير مرة ركبانا على النجب حتي كبسوا الناس فى مصلاهم وقتلوا ونهبوا ثم رجعوا من حيث أتوا فخرج عبد الحميد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب غضبا لله وللمسلمين مما أصابهم من البجة فكمن لهم بالصعيد في طريقهم حتي أقبلوا كعادتهم فى أخذ الناس فى مصلى العيد فكبسهم وقتل الاعور رئيسهم بعدما أقبلوا الى المصلى فى العيد فى سنة ست وخمسين ومائتين وأمير مصر أحمد بن طولون على النجب وكبسوا الناس فى مصلاهم وقتلوا ونهبوا منهم وعادوا سالمين ثم دخل العمرى الى بلاد البجة غازيا فقتل منهم مقتلة عظيمة وضايقهم فى بلادهم الى أن أعطوه الجزية ولم يكونوا أعطوا أحداً قبله الجزية وسار فى المسلمين وأهل الذمة سيرة حسنة وسالم النوبة الى أن بدأ النوبة بالغدر فى الموضع المعروف بالمريس فمال عليهم وحار بهم وخرب ديارهم وسبي منهم عالما كثيرا حتي كان الرجل من أصحابه يبتاع الحاجة من الزيات والبقال بنوبى أو نوبية لكثرتهم معهم فجاؤا الى أحمد بن طولون وشكوا له من العمرى فبعث اليه جيشاً ليحاربه فأوقع بالجيش وهزمهم وكانت لهم أنباء وقصص الى أن قتله غلامان من أصحابه وأحضرا رأسه الى أحمد ابن طولون فأنكر فعلهما وضرب أعناقهما وغسل الرأس ودفنه

* ذكر المساجد والمعابد التي بالجبل والصحراء ) *

وكان بجبل المقطم وبالصحراء التى تعرف اليوم بالقرافة الصغرى عدة مساجد وعدة مغاير ينقطع العباد بها منها ماقد دثر ومنه شيء قد بقى أثره

*( مسجد التنور )* هذا المسجد فى أعلى جبل المقطم من وراء قلعة الجبل فى شرقيها أدركته عامرا وفيه من يقيم به * قال القضاعى المسجد المعروف بالتنور بالجبل هو موضع تنور فرعون كان يوقد له عليه فاذا رأوا النار علموا بركوبه فاتخذوا له مايريد وكذلك اذا ركب منصرفاً من عين شمس ثم بناه أحمد بن طولون مسجدا فى صفر سنة تسع وخمسين ومائتين ووجدت فى كتاب قديم أن يهودا بن يعقوب أخا يوسف عليه السلام لما دخل مع اخوته على يوسف وجرى من أمر الصواع ماجرى تأخر عن اخوته وأقام في ذروة الجبل المقطم في هذا المكان وكان مقابلا لتنور فرعون الذى كان يوقد له فيه النار ثم خلا

ذلك الموضع الى زمن أحمد بن طولون فأخبر بفضل الموضع وبمقام يهودا فيه فابتنى فيه هذا المسجد والمنارة التي فيه وجعل فيه صهريجا فيه الماء وجعل الانفاق عليه مما وقفه على البيمارستان بمصر والعين التى بالمغافر وغير ذلك ويقال ان تنور فرعون لم يزل في هذا الموضع بحاله الى أن خرج اليه قائد من قواد أحمد بن طولون يقال له وصيف قاطرميز فهدمه وحفر تحته وقدر أن تحته مالا فلم يجد فيه شيئاً وزال رسم التنور وذهب وأنشد أبو عمرو الكندى فى كتاب أمراء مصر من أبيات لسعيد القاضي

وتنور فرعون الذى فوق قلة * على جبل عال على شاهق وعر
بنى مسجدا فيه يروق بناؤه * ويهدى به في الليل ان ضل من يسرى
تخال سنا قنديله وضياءه * سهيلا اذا مالاح فى الليل للسفر

( القرقوبى ) قال القضاعي المسجد المعروف بالقرقوبى هو على قرنة الجبل المطل على كهف السودان بناه أبو الحسن القرقوبى الشاهد وكيل التجار بمصر في سنة خمس عشرة وأربعمائة وكان في موضعه محراب حجارة يعرف بمحراب ابن الفقاعى الرجل الصالح وهو على يسار المحراب

( مسجد أمير الامراء ) رفق المستنصرى على قرنة الجبل البحرية المطلة على وادى مسجد موسى عليه السلام

( كهف السودان ) مغار في الجبل لايعلم من أحدثه ويقال ان قوما من السودان نقروه فنسب اليهم وكان صغيرا مظلما فبناه الاحدب الاندلسي القزاز وزاد فى سفله مواضع نقرها وبني علوه ويقال انه أنفق فيه أكثر من ألف دينار ووسع المجاز الذى يسلك منه اليه وعمل الدرج النقر التي يصعد عليها اليه وبدأ في بنيانه مستهل سنة احدى وعشرين وأربعمائة وفرغ منه فى شعبان من هذه السنة

( العارض ) هذا المكان مغارة في الجبل عرفت بأبى بكر محمد جد مسلم القاري لانه نقرها ثم عمرت بأمر الحاكم بأمر الله وأنشئت فيها منارة هى باقية الى اليوم وتحت العارض قبر الشيخ العارف عمر بن الفارض رحمه الله ولله در القائل

جز بالقرافة تحت ذيل العارض * وقل السلام عليك ياابن الفارض

وقد ذكر القضاعى أربع عشرة مغارة فى الجبل منها ماهو باق وليس في ذكرها فائدة

( اللؤلؤة ) هذا المكان مسجد فى سفح الجبل باق الى يومنا هذا كان مسجدا خرابا فبناه الحاكم بأمر الله وسماه اللؤلؤة قيل كان بناؤه في سنة ست وأربعمائة وهو بناء حسن

( مسجد الهرعاء ) فيما بين اللؤلؤة ومسجد محمود وهو مسجد قديم يتبرك بالصلاة فيه وقد ذكر مسجد محمود عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب لانه تقام فيه الجمعة

( دكة القضاة ) قال القضاعي هي دكة مرتفعة عن المساجد في الجبل كان القضاة بمصر يخرجون اليها لنظر الاهلة كل سنة ثم بني عليها مسجد

( مسجد فائق ) مولى خمارويه بن أحمد بن طولون كان في سفح الجبل مما يلي طريق مسجد موسى عليه السلام

( مسجد موسى ) بناه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات

( مسجد زهرون بالصحراء) هو مسجد أبي محمد الحسن بن عمر الخولاني ثم عرف بابن المبيض وكان زهرون قيمه فنسب اليه

( مسجد الفقاعي ) هو أبو الحسن عليّ بن الحسن بن عبد الله كان أبوه فقاعيا بمصر وهو مسجد كبير بناه كافور الاخشيدى ثم جدده وزاد فيه مسعود بن محمد صاحب الوزير أبي القاسم عليّ بن احمد الجرجراى وكان في وسط هذا المسجد محراب مبني بطوب يقال انه من بناء حاطب بن أبي بلتعة رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس ويقال انه أول محراب اختط في مصر وكان أبو الحسن التميمي قد زاد فيه بناء قبل ذلك

( مسجد الكنز ) هذا المسجد كان شرقى الخندق وبحرى قبر ذى النون المصرى وكان مسجدا صغيرا يعرف بالزمام ومات قبل تمامه فهدمه أبو طاهر محمد بن علي القرشي القرقوبي ووسعه وبناه وحكى أنه لما هدمه رأى قائلا يقول في المنام على أذرع من هذا المسجد كنز فاستيقظ وقال هذا من الشيطان فرأى هذا القائل ثلاث مرات فلما أصبح أمر بحفر الموضع فاذا فيه قبر وظهر له لوح كبير تحته ميت فى لحد كأعظم مايكون من الناس جثة ورأسا وأكفانه طرية لم يبل منها الا مايلى جمجمة الرأس فانه رأى شعر رأسه قد خرج من الكفن واذا له جمة فراعه ما رأى وقال هذا هو الكنز بلا شك وأمر باعادة اللوح والتراب كما كان وأخرج القبر عن سائر الحيطان وأبرزه للناس فصار يزار ويتبرك به

( مسجد فى غربي الخندق ) أنشأه أبو الحسن بن النجار الزيات في سنة احدى وأربعين وأربعمائة

( مسجد لؤلؤ الحاجب ) بالقرافة الصغرى بني بجانبه مقبرة وحفر عندها بئرا حتى انتهى الحفار الى قرب الماء فقال الحفار انى أجد فى البئر شيئا كأنه حجر فقال له لؤلؤ تسبب فى قلعه فلما قلعه فار الماء وأخرجه واذا هو اسطام مركب وهو الخشبة التى تبني عليها السفينة وهذا يصدق ماقاله ارسطاطاليس فى كتاب الآثار العلوية قال ان أهل مصر يسكنون فيما انحسر عنه البحر الاحمر يعني بحر الشام وقد ذكر خبر لؤلؤ هذا عند ذكر حمام لؤلؤ

( مقام المؤمن ) قيل انه مؤمن آل فرعون لانه أقام فيه وهذا بعيد من الصحة

( قناطر ابن طولون وبئره ) هذه القناطر قائمة الى اليوم من بئر أحمد بن طولون

التى عند بركة الحبش وتعرف هذه البئر عندنا ببئر عفصة ولا تزال هذه القناطر الى أثناء القرافة الكبرى ومن هناك خفيت لتهدمها وهي من أعظم المباني * قال القضاعى قناطر أحمد بن طولون وبئره بظاهر المغافر كان السبب في بناء هذه القناطر أن أحمد بن طولون ركب فمر بمسجد الاقدام وحده وتقدم عسكره وقد كده العطش وكان في المسجد خياط فقال ياخياط أعندك ماء فقال نعم فأخرج له كوزا فيه ماء وقال اشرب ولا تمديعنى لاتشرب كثيرا فتبسم أحمد بن طولون وشرب فمد فيه حتي شرب أكثره ثم ناوله اياه وقال يافتى سقيتنا وقلت لاتمد فقال نعم أعزك الله موضعنا ههنا منقطع وانما أخيط جمعتي حتى أجمع ثمن راوية فقال له والماء عندكم ههنا معوز فقال نعم فمضى أحمد بن طولون فلما حصل في داره قال جيؤنى بخياط فى مسجد الاقدام فما كان بأسرع من أن جاؤا به فلما رآه قال سر مع المهندسين حتى يخطوا عندك موضع سقاية ويجروا الماء وهذه ألف دينار خذها وابتدأ فى الانفاق وأجرى على الخياط في كل شهر عشرة دنانير وقال له بشرنى ساعة يجرى الماء فيها فجدوا فى العمل فلما جرى الماء أتاه مبشرا فخلع عليه وحمله واشترى له دارا يسكنها وأجرى عليه الرزق السنى الدار" وكان قد أشير عليه بأن يجري الماء من عين أبى خليد المعروفة بالنعش فقال هذه العين لاتعرف أبدا الا بأبي خليد وانى أريد أن استنبط بئرا فعدل عن العين الى الشرق فاستنبط بئره هذه وبني عليها القناطر وأجري الماء الى الفسقية التي بترب درب سالم * وقال جامع السيرة الطولونية وأما رغبته في أبواب الخير فكانت ظاهرة بينة واضحة فمن ذلك بناء الجامع والبيمارستان ثم العين التي بناها بالمغافر وبناها بنية صحيحة ورغبة قوية حتى انها ليس لها نظير ولهذا اجتهد المادرانيون وأنفقوا الاموال الخطيرة ليحكوها فأعجزهم ذلك لانها وقعت في موضع جيرانه كلهم محتاجون اليها وهى مفتوحة طول النهار لمن كشف وجهه للاخذ منها ولمن كان له غلام أو جارية والليل للفقراء والمساكين فهي حياة ومعونة واتخذ لها مستغلا فيه فضل وكفاية لمصالحها والذى تولى لاحمد بن طولون بناء هذه العين رجل نصرانى حسن الهندسة حاذق بها وانه دخل الى أحمد بن طولون فى عشية من العشايا فقال له اذا فرغت مما تحتاج اليه فأعلمنى لنركب اليها فنراها فقال يركب الامير اليها فى غد فقد فرغت وتقدم النصراني فرأى موضعا بها يحتاج الى قصرية جير وأربع طوبات فبادر الى عمل ذلك وأقبل أحمد بن طولون يتأمل العين فاستحسن جميع ما شاهده فيها ثم أقبل الى الموضع الذى فيه قصرية الجير فوقف بالاتفاق عليها فلر طوبة الجير غاصت يد الفرس فيه فكبا بأحمد ولسوء ظنه قدر أن ذلك لمكروه أراده به النصرانى فأمر به فشق عنه ماعليه من الثياب وضربه خمسمائة سوط وأمر به الى المطبق وكان المسكين يتوقع من الجائزة مثل ذلك دنانير فاتفق له اتفاق سوء وانصرف أحمد بن طولون وأقام النصرانى الى أن أراد

أحمد بن طولون بناء الجامع فقدر له ثلثمائة عمود فقيل له ماتجدها أو تنفذ الى الكنائس في الارياف والضياع الخراب فتحمل ذلك فأنكره ولم يختره وتعذب قلبه بالفكر فى امره وبلغ النصرانى وهو في المطبق الخبر وكتب اليه أنا ابنيه لك كما تحب وتختار بلاعمد الاعمودى القبلة فأحضره وقد طال شعره حتى تدلى على وجهه فبناه * قال ولما بني أحمد بن طولون هذه السقاية بلغه أن قوما لايستحلون شرب مائها قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم الفقيه كنت ليلة في داري اذ طرقت بخادم من خدام أحمد بن طولون فقال لى الامير يدعوك فركبت مذعورا مرعوبا فعدل بى عن الطريق فقلت اين تذهب بى فقال الى الصحراء والامير فيها فأيقنت بالهلاك وقلت للخادم الله الله في فانى شيخ كبير ضعيف مسن فتدرى مايراد منى فارحمني فقال لى احذر أن يكون لك في السقاية قول وسرت معه واذا بالمشاعل في الصحراء وأحمد بن طولون راكب على باب السقاية وبين يديه الشمع فنزلت وسلمت عليه فلم يرد على فقلت ايها الاميران الرسول أعنتني وكدني وقد عطشت فيأذن لى الامير في الشرب فاراد الغلمان أن يسقوني فقلت أنا آخذ لنفسي فاستقيت وهو يراني وشربت وازددت فى الشرب حتى كدت انشق ثم قلت ايها الامير سقاك الله من أنهار الجنة فلقد أرويت وأغنيت ولا أدرى ماأصف أطيب الماء في حلاوته وبرده أم صفائه أم طيب ريح السقاية قال فنظر الى وقال أريدك لامر وليس هذا وقته فاصرفوه فصرفت فقال لى الخادم أصبت فقلت أحسن الله جزاءك فلولاك لهلكت وكان مبلغ النفقة على هذه العين فى بنائها ومستغلها أربعين ألف دينار وأنشد أبو عمر الكندي في كتاب الامراء لسعيد القاص أبياتا في رثاء دولة بنى طولون فى العين والسقاية

وعين معين الشرب عين زكية * وعين أجاج للرواة وللطهر
كان وفود النيل فى جنباتها * تروح وتغدو بين مد الى جزر
فأرك بها مستنبطا لمعينها * من الارض من بطن عميق الى ظهر
بناء لوان الجن جاءت بمثله * لقيل لقد جاءت بمستفظع نكر
يمر على أرض المغافر كلها * وشعبان والاحمور والحى من بشر
قبائل لانوء السحاب يمدها * ولاالنيل يرويها ولاجدول يجرى

وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة في كتاب الجوهر المكنون في ذكر القبائل والبطون سريع نخذ من الاشعريين هم ولد سريع بن ماتع من بني الاشعر بن أدد ابن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وهم رهط أبى قبيل التابعى الذى خطته اليوم الكوم شرقي قناطر سقاية احمد بن طولون المعروفة بمفصة الكبيرة بالقرافة

( الخندق ) هذا الخندق كان بقرافة مصر قد دثر وعلى شفيره الغربي قبر الامام الشافعي رضى الله عنه وكان من النيل الى الجبل حفر مرتين مرة فى زمن مروان بن الحكم ومرة فى خلافة الامين محمد بن هارون الرشيد ثم حفره أيضا القائد جوهر قال القضاعي الخندق هو الخندق الذى فى شرقي الفسطاط في المقابر كان الذى أثار حفره مسير مروان ابن الحكم الى مصر وذلك فى سنة خمس وستين وعلى مصر يومئذ عبد الرحمن بن عقبة ابن جحدم الفهرى من قبل عبد الله بن الزبير رضى الله عنه فلما بلغه مسير مروان الى مصر أعد واستعد وشاور الجند في أمره فأشاروا عليه بحفر الخندق والذى أشار به عليه ربيعة ابن حبيش الصدفي فأمر ابن جحدم باحضار المحاريث من السكور لحفر الخندق على الفسطاط فلم تبق قرية من قري مصر الاحضر من أهلها النفر وكان ابتداء حفره غرة المحرم سنة خمس وستين فما كان شئ اسرع من فراغهم منه حفروه في شهر واحد وكانت الحرب من ورائه يغدون اليها ويروحون فسميت تلك الايام أيام الخندق والتراويح لرواحهم الي القتال وكانت المغافر أكثر قبائل أهل مصر عددا كانوا عشرين ألفا ونزل مروان عين شمس لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين فى اثنى عشر ألفا وقيل في عشرين ألفا فخرج أهل مصر الى مروان فحاربوه يوما واحدا بعين شمس ثم تحاجزوا ورجع أهل مصر الى خندقهم فتحصنوا به وصبحتهم جيوش مروان على باب الخندق فاصطف أهل مصر على الخندق فكانوا يخرجون الى أصحاب مروان فيقاتلونهم نوبا نوبا وأقاموا على ذلك عشرة أيام ومروان مقيم بعين شمس وكتب مروان الى شيعته من أهل مصر كريب بن أبرهة بن الصباح الحميرى وزياد بن حناطة التجيبى وعابس بن سعيد المرادى يقول انكم ضمنتم لى ضمانا لم تقوموا به وقد طالت الايام والممانعة فقام كريب وزياد وعابس الى ابن جحدم فقالوا له ايها الامير انه لاقوام لنا بما ترى وقد رأينا أن نسعى في الصلح بينك وبين مروان وقد مل الناس الحرب وكرهوها وقد خفنا أن يسلمك الناس الى مروان فيكون محكما فيك فقال ومن لى بذلك فقال كريب أنا لك به فسعي كريب وصاحباه فى الصلح على أمان كتبه مروان لاهل مصر وغيرهم ممن شرب ماء النيل وعلى أن يسلم لابن جحدم من بيت المال عشرة آلاف دينار وثلثمائة ثوب بقطرية ومائة ريطة وعشرة أفراس وعشرين بغلا وخمسين بعيرا فتم الصلح على ذلك ودخل مروان الفسطاط مستهل جمادى الاولى سنة خمس وستين فنزل دار الفلفل ودفع الى ابن جحدم جميع ماصالحه عليه وسار ابن جحدم الى الحجاز ولم يلق كل واحد منهما الآخر وتفرق المصريون وأخذوا فى دفن قتلاهم والبكاء عليهم فسمع مروان البكاء فقال ماهذه النوادب فقيل على القتلى قال لاأسمع نائحة تنوح الا أحللت بمن هي في داره العقوبة فسكتن عند ذلك ودفن أهل مصر قتلاهم فيما

بين الخندق والمقطم وهي المقابر التي يسميها المصريون مقابر الشهداء ودفن أهل الشام قتلاهم فيما بين الخندق ومنية الاصبغ وكان قتلى أهل مصر مابين الستمائة الى السبعمائة وقتلى أهل الشام نحو الثلثمائة ولما برز مروان من الفسطاط سائرا الى الشام سمع وجبة النساء يندبن قتلاهن قال ويحهن ماهذا قالوا النساء على مقابرهن يندبن قتلاهن فعرج عليهن فأمر بالانصراف قال كذاهن كل يوم قال فامنعوهن الا من سبب وخرج مروان من مصر الى الشام لهلال رجب سنة خمس وستين وكان مقامه بالفسطاط شهرين واستخلف ابنه عبد العزيز على مصر وضم اليه بشر بن مروان وكان حدثا ثم ولى عبد الملك بشراً بعد ذلك البصرة قال ثم دثر هذا الخندق الى أيام خلع الامين بمصر وبيعة المأمون وولى البلد عباد ابن محمد بن حبان مولى كندة من قبل المأمون فكتب الامين بمصر الى أهل الحوفين في القيام ببيعته وقتال عباد وأهل مصر فتجمع أهل الحوف لذلك واستعدوا و بلغ أهل مصر فأشاروا على عباد بحفر الخندق فحفروا خندقا من النيل الى الجبل واحتفروا هذا الخندق العتيق فكان القتال عليه أياما متفرقة الى أن قتل الامين وتمت بيعة المأمون ثم لم يحفر بعد ذلك الى يومنا هذا * وذكر ابن زولاق أن القائد جوهرا لما اختط القاهرة وكثر الارجاف بمسير القرامطة الى مصر حفر خندق السرى بن الحكم بباب مدينة مصر وعمل عليه بابا في ذى القعدة سنة ستين وثلثمائة وحفر خندقا في وسط مقبرة مصر وهو الخندق الذى حفره ابن جحدم ابتدأ حفره من بركة الحبش حتي وصله بخندق عبد الرحمن بن جحدم حتي بلغ به قبر محمد بن ادريس الشافعي ثم حفر من الجبل الى أن وصل لخندق ابن جحدم وسط المقابر وبدأ به يوم السبت التاسع من شوال سنة احدي وستين وثلثمائة وفرغ منه في مدة يسيرة

( القباب السبع ) هذه القباب بآخر القرافة الكبرى مما يلي مدينة مصر قال ابن سعيد في كتاب المغرب والقباب السبع المشهورة بظاهر الفسطاط هي مشاهد على سبعة من بني المغربى قتلهم الخليفة الحاكم بعد فرار الوزير أبى القاسم الحسين بن على بن المغربى الى أبى الفتوح حسن بن جعفر بمكة وفي ذلك يقول أبو القاسم بن المغربى

اذا شئت أن ترنو الي الطف باكيا * فدونك فانظر نحو أرض المقطم
تجد من رجال المغربى عصابة * مضمخة الاجسام من حلل الدم
فكم تركوا محراب آى معطل * وكم تركوا من سورة لم تختم

وقد ذكرت أخبار بني المغربى عند ذكر بساتين الوزير من بركة الحبش ويتعلق بهذا الموضع من خبرهم أن أبا الحسن على بن الحسين بن على بن محمد بن المغربى لما خرج من بغداد وصار الى مصر في أيام العزيز بالله بن المعز لدين الله في سنة احدى وثمانين وثلثمائة

رتب له في كل سنة ستة آلاف دينار وصار من شيوخ الدولة فقال يوما لمؤدب ولده أبي القاسم حسين وهو على بن منصور بن طالب المعروف بأبي الحسن دوخلة بن القادح سرا أنا أخاف همة ابنى أبي القاسم أن تنزو به الى أن يوردنا مورد الاصدر عنه فان كانت الانفاس مما تحفظ وتكتب فاكتبها واحفظها وطالعنى بها فقال أبو القاسم فى بعض الايام لمؤدبه هذا الى متي نرضي بالخمول الذى نحن فيه فقال له وأى خمول هذا تأخذون من مولانا فى كل سنة ستة آلاف دينار وأبوكم من شيوخ الدولة فقال أريد أن تصار الى أبوابنا الكتائب والمواكب والمقانب ولا أرضى بأن يجرى علينا كالولدان والنسوان فأعاد ذلك على أبيه فقال ماأخوفني أن يخضب أبو القاسم هذه من هذه وقبض على لحيته وهامته وعلم ذلك أبو القاسم فصارت بينه وبين مؤدبه وحشة وكان ذلك في خلافة الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز وتحدث القائد أبي عبد الله الحسين بن جوهر وكان الحاكم قد أكثر من قتل رؤساء دولته وصار يبعث الى القائد كلما قتل رئيساً برأسه ويقول هذا عدوى وعدوك فقبض على أبي الحسن على بن الحسين المغربي والد الوزير أبي القاسم الحسين وعلى أخيه أبى عبد الله محمد بن الحسين وعلى محسن ومحمد أخوى الوزير المذكور لثلاث خلون من ذى القعدة سنة أربعمائة وفر الوزير أبو القاسم الحسين بن المغربي من مصر في زى حمال لليال من ذى القعدة ولحق بحسان بن الجراح وكان من أمره ما كان

﴿ ذكر الاحواض والآبار التى بالقرافة ﴾

( حوض القرافة ) أمر ببنائه السيدة ست الملك عمة الحاكم بأمر الله ابنة المعز لدين الله في شعبان سنة ست وستين وثلثمائة واختل فى أيام العادل أبي الحسن بن السلار وزير مصر في سنة ست وأربعين وخمسمائة فأمر بعمارته ثم انشق فى سنة ثمانين وخمسمائة فجدده القاضى السعيد ثقة الثقات ذو الرياستين أبو الحسن على بن عثمان بن يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن أحمد بن يعقوب بن مسلم بن منبه أحد بنى عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومى صاحب النظر في ديوان مصر ومصنف كتاب المنهاج في أحكام الخراج وهو كتاب جليل الفائدة ولم تزل آثار هذا القاضى حميدة ومقاصده سديدة وعنده نخوة قرشية ومروءة وعصبية وهو وان طاب أصولا فقد زكا فروعا وان تفرقت فى سواه فضائل فقد جمعها الله فيه جميعاً ولم يزل مذ كان يسعي في الامانة على صراط مستقيم آخذا بقوله تعالى اخبارا عن الكريم ابن الكريم اجعلنى على خزائن الارض اني حفيظ عليم

( الحوض بجوار قصر القرافة ) في ظهر الحمام العزيزى بحضرة فرن القرافة أمرت ببنائه أم الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله واسمها السيدة رصد على يدوكيلها الشريف المحدث

أبي ابراهيم أحمد بن القاسم بن الميمون بن حمزة الحسيني العبدلى شيخ القراء وابن الحطاب والفلكى

( حوض بحضرة الاشعوب ) وهو قصر بنى عقيب

( حوض فى داخل قصر أبي المعلوم ) مجاور للبئر الكبيرة ذات الدواليب بناه المحتسب الفارسي مع عمارة البئر والميضأة في أيام السيدة أم العزيز ويقال ان الحوض والبئر من بناء المادرانى وانما جددته عمة الحاكم

( حوض ) بقصر بنى كعب وبجانبه بئر أنشأه الحاجب لؤلؤ وهو من حقوق قصر بنى كعب وقد خربت هذه الاحواض ودثرت

* ( ذكر الآبار التى ببركة الحبش والقرافة ) *

( بئر ابى سلامة ) وتعرف ببئر الغنم وهى قبلى النوبية وموضعها أحسن موضع في البركة وهى التى عنى أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بقوله

لله يومى ببركة الحبش * والافق بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب * كصارم في يمين مرتعش
ونحن في روضة مفوفة * دبج بالنور عطفها ووشى
قد نسجتها يد الغمام لنا * فنحن من نسجها على فرش
وأثقل الناس كلهم رجل * دعاه داعى الهوى فلم يطش
فعاطني الراح ان تاركها * من سورة الهم غير منتعش
واسقنى بالكبار مترعة * فهن أشفى لشدة العطش

( بئر غربي دير مرحنا وبستان العبيدى ) ودير مرحنا يعرف اليوم في زماننا بدير الطين وهو عامر بالنصارى

( بئر الدرج ) شرقى بساتين الوزير لها درج ينزل به اليها عملها الحاكم بأمر الله وشرقيها قبور النصارى وبعدهم الى جهة الجبل قبور اليهود والبستان المجاور لعفصة الصغرى أول بركة الحبش على لسان الجبل الخارج الى البركة مجاورة لبئر النعش وبئر السقايين وهي المعروفة ببئر أبي موسى خليد وقد صار هذا البستان الى المهذب بن الوزير

( بئر الزقاق ) شرقى بئر عفصة الصغرى والزقاق معروف اذ ذاك في الجبل وفي أوله بئر مربعة كان يسقى منها البقر والغنم

*( ذكر السبعة التى تزار بالقرافة )*

اعلم ان زيارة القرافة كانت أولا يوم الاربعاء ثم صارت ليلة الجمعة وأما زيارة يوم السبت فقيل انها قديمة وقيل متأخرة وأول من زار يوم الاربعاء وابتدأ بالزيارة من مشهد

السيدة نفيسة الشيخ الصالح أبو محمد عبد الله بن رافع بن يزحم بن رافع السارعي الشافعي المغافري الزوار المعروف بعابد ومولده سنة احدى وستين وخمسمائة ووفاته بالهلالية خارج باب زويلة في ليلة الثاني والعشرين من شعبان سنة ثمان وثلاثين وستمائة ودفن بسفح المقطم على تربة بني نهار بحري تربة الرديني وأول من زار ليلة الجمعة الشيخ الصالح المقرى ابو الحسن علي ابن أحمد بن جوشن المعروف بابن الجباس والدشرف الدين محمد بن علي بن أحمد بن الجباس فجمع الناس وزار بهم في ليلة الجمعة في كل أسبوع وزار معه في بعض الليالى السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالى محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ومشى معه أكابر العلماء وكان سبب تجرد أبى الحسن بن الجباس وانقطاعه الى الله تعالى انه دولب مطبخ سكر شركة رجل فوقف عليهما مال للديوان فسجنا بالقصر فقرأ ابن الجباس في بعض الليالى سورة الرعد فسمعه السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب فقام حتى وقف عليه وسأله عن خبره فأعلمه بأنه سجن على مبلغ كذا فأمر بالافراج عنه فأبى الا أن يفرج عن رفيقه أيضاً فأفرج عنهما جميعا واتفق انه مر في بعض ليالي الزيارة بزاوية الفخر الفارسى فخرج وقال له ماهذه البدعة في غد أبطلها ثم دخل الزاوية وخرج بعد ساعة وأمر برد ابن الجباس فلما جاءه قال دم على ما أنت عليه فاني رأيت الساعة قوما فقالوا هل تعطينا مايعطينا ابن الجباس في ليالى الجمع فعلمت أن ذلك هو الدعاء والقراءة * وأما زيارة يوم السبت فقد تقدم انه اختلف فيها وحكي الموفق بن عثمان عن القضاعي انه كان يحث على زيارة سبعة قبور وأن رجلا شكا اليه ضيق حاله والدين فقال له عليك بزيارة سبعة قبور *( أولهم )* الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن سهل بن الصائغ الدينورى وتوفى ليلة الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من شهر رجب سنة احدى وثلاثين وثلثمائة *( والثانى )* عبد الصمد بن محمد بن أحمد بن اسحاق بن ابراهيم البغدادي صاحب الخلفاء وتوفى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة *( والثالث )* أبو ابراهيم اسماعيل ابن (٣) المزنى وتوفى سنة أربع وستين ومائتين *( والرابع )* القاضى بكار بن قتيبة وتوفى سنة سبعين ومائتين *( والخامس )* القاضى المفضل بن فضالة وتوفى سنة اثنتين وخمسين ومائتين *( والسادس )* القاضى أبو بكر عبد الملك بن الحسن القمني وتوفي في ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة *( والسابع )* ابو الفيض ذو النون ثوبان ابن ابراهيم

(٣) ( قوله اسماعيل بن ) وجد بجانب ابن بياض بالاصل والذى رأيته في بعض الكتب المتضمنة لاسماء الرواة والفقهاء وغيرهم مانصه ( مزنى ) أكبر اصحابنا علما وأعلم غلمان الشافعى الذى مهد المذهب ولين كلام الشافعى اسمه اسماعيل بن يحيي بن اسماعيل بن عمر بن اسحاق بن مسلم بن مهدلة بن عبد الله المزنى من قبيلة مزينة يكني أبا ابراهيم مات بمصر سنة أربع وستين ومائتين اه بحروفه اه مصححه

المصرى وتوفى سنة خمس وأربعين ومائتين وكانوا أولا يزورون بعد صلاة الصبح وهم مشاة على أقدامهم الى أن كانت أيام شيخ الزوار محمد العجمى السعودى فزار راكبا في يوم السبت بعد طلوع الشمس لان رجليه كانتا معوجتين لايستطيع المشي عليهما وذلك فى أواخر سنة ثمانمائة وتوفي في عاشر شهر رمضان سنة تسع وثمانمائة فجاء بعده الزائر شمس الدين محمد بن عيسى المرجوشي السعودى ومحي الدين عبد القادر بن علاء الدين محمد بن علم الدين بن عبد الرحمن الشهير بابن عثمان ففعلا ذلك ومات ابن عثمان في سابع شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وثمانمائة فاستمرت الزيارة على ذلك وقد حكى صاحب كتاب محاسن الابرار ومجالس الاخيار سبعة غير من ذكرنا وسماهم المحققين وهم صلة بن مؤمل وأبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن علي بن جعفر الخوارزمى وسالم العفيف وأبو الفضل بن الجوهرى وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين عرف بالبزار وأبو الحسن على عرف بطير الوحش وأبو الحسن على بن صالح الاندلسى الكحال وذكر أيضاً سبعة أخروهم عقبة بن عامر الجهني والامام أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي وأبو بكر الدقاق وأبو ابراهيم اسماعيل المزني وأبو العباس أحمد الجزار والفقيه ابن دحية والفقيه ابن فارس اللخمى وزيارتهم يوم الجمعة بعدصلاة الصبح والعمل عليها فى الزيارة الآن الا انهم يجتمعون طوائف لكل طائفة شيخ ويقيمون مناور كبارا وصغارا ويخرجون فى ليالى الجمع وفى كل سبت بكرة النهار وفي كل يوم أربعاء بعد الظهر وهم يذكرون الله فيزورون ويجتمع معهم من الرجال والنساء خلائق لاتحصى ومنهم من يعمل ميعاد وعظ ويقال لشيخ كل طائفةالشيخ الزائر فتمر لهم فى الزيارة أمور منها مايستحسن ومنها ماينكر ولكل عبد مانوى

فمن أشهر مزارات القرافة *( قبر الامام أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي )* رحمة الله ورضوانه عليه وتوفى يوم الجمعة آخر يوم من شهر رجب سنة أربع ومائتين بفسطاط مصر وحمل على الاعناق حتى دفن في مقبرة بني زهرة أولاد عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى رضي الله عنه وعرفت أيضا بتربة أولاد ابن عبد الحكم قال القضاعي وقد جرب الناس خير هذه التربة المباركة والقبر المبارك وينقل عن المزنى انه قال فيه

سقى الله هذا القبر من وبل مزنه * من العفو مايغنيه عن طل المزن
لقد كان كفؤا للعداة ومعقلا * وركنا لهذا الدين بل ايما ركن

هكذا وقفت عليه ثم رأيت بعد ذلك أن المزنى رحمه الله لما دفن مر رجل على قبره واذا بهاتف يقول فذكر البيتين وقال آخر

لله در الثرى كم ضم من كرم * بالشافعي حليف العلم والاثر
ياجوهر الجوهر المكنون من مضر * ومن قريش ومن ساداتها الاخر

لما توليت ولى العلم مكتئباً * وضر موتك أهل البدو والحضر

ولآخر

أكرم به رجلا ما مثله رجل * مشارك لرسول الله في نسبه

اضحى بمصر دفينا في مقطمها * نعم المقطم والمدفون فى تربه

ومناقب الشافعي رحمه الله كثيرة قد صنف الائمة فيها عدة مصنفات وله فى تاريخي الكبير المقفى ترجمة كبيرة ومن أبدع ماحكى من مناقبه أن الوزير نظام الملك أبا على الحسن ابن على بن اسحاق لما بني المدرسة النظامية ببغداد في سنة أربع وسبعين وأربعمائة أحب أن ينقل الامام الشافعى من مقبرته بمصر الى مدرسته وكتب الى أمير الجيوش بدر الجمالى وزير الامام المستنصر بالله معد يسأله في ذلك وجهز له هدية جليلة فركب أمير الجيوش فى موكبه ومعه أعيان الدولة ووجوه المصريين من العلماء وغيرهم وقد اجتمع الناس لرؤيته فلما نبش القبر شق ذلك على الناس وماجوا وكثر اللغط وارتفعت الاصوات وهموا برجم أمير الجيوش والثورة به فسكتهم وبعث يعلم الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بصورة الحال فأعاد جوابه بامضاء ما أراد نظام الملك فقرئ كتابه بذلك على الناس عند القبر وطردت العامة والغوغاء من حوله ووقع الحفر حتى انتهوا الى اللحد فعند ما أرادوا قلع ماعليه من اللبن خرج من اللحد رائحة عطرة أسكرت من حضر فوق القبر حتى وقعوا صرعي فما أفاقوا الا بعد ساعة فاستغفروا مما كان منهم وأعادوا ردم القبر كما كان وانصرفوا وكان يوما من الايام المذكورة وتزاحم الناس على قبر الشافعي يزورونه مدة أربعين يوما بلياليها حتى كان من شدة الازدحام لايتوصل اليه الا بعناء ومشقة زائدة وكتب أمير الجيوش محضرا بما وقع وبعث به وبهدية عظيمة مع كتابه الى نظام الملك فقرئ هذا المحضر والكتاب بالنظامية ببغداد وقد اجتمع العالم على اختلاف طبقاتهم لسماع ذلك فكان يوما مشهودا ببغداد وكتب نظام الملك الى عامة بلدان المشرق من حدود الفرات الى ماوراء النهر بذلك وبعث مع كتبه بالمحضر وكتاب أمير الجيوش فقرئت في تلك الممالك بأسرها فزاد قدر الامام الشافعي عند كافة أهل الاقطار وعامة جميع أهل الامصار بذلك وقد أوردت فى كتاب أمتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والاحوال والحفدة والمتاع صلى الله عليه وسلم نظير هذه الواقعة وقع لضريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل قبر الشافعي يزار ويتبرك به الى أن كان يوم الاحد لسبع خلت من جمادى الاولى سنة ثمان وستمائة فانتهى بناء هذه القبة التي على ضريحه وقد أنشأها الملك الكامل المظفر المنصور أبو المعالى ناصر الدين محمد ظهير أمير المؤمنين ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب وبلغت النفقة عليها خمسين ألف دينار مصرية في وقت

بنائها بعظام كثيرة من مقابر كانت هناك ودفنت في موضع من القرافة وبهذه القبة أيضا قبر السلطان الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وقبر أمه شمسة وقيل فيها عدة أشعار منها قول الاديب الكاتب ضياء الدين أبي الفتح موسى بن ملهم

مررت على قبة الشافعي * فعاين طرفي عليها العشارى
فقلت لصحبي لاتعجبوا * فان المراكب فوق البحار

وقال علاء الدين أبو على عثمان بن ابراهيم النابلسي

لقد أصبح الشافعي الاما * م فينا له مذهب مذهب
ولو لم يكن بحر علم لما * غدا وعلى قبره مركب

وقال آخر

أتيت لقبر الشافعى أزوره * تعرضنا فلك وما عنده بحر
فقلت تعالى الله تلك اشارة * تشير بأن البحر قدضمه القبر

وقال شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد البوصيرى صاحب البردة

بقبة قبر الشافعى سفينة * رست في بناء محكم فوق جلمود
ومذ غاض طوفان العلوم بقبره استوى الفلك من ذاك الضريح على الجودى

ومنها ( قبر الامام الليث بن سعد ) رحمه الله قد اشتهر قبره عند المتأخرين وأول ماعرفته من خبر هذا القبر أنه وجدت مصطبة في آخر قباب الصدف وكانت قباب الصدف أربعمائة قبة فيما يقال عليها مكتوب الامام الفقيه الزاهد العالم الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث المصرى مفتى أهل مصر كما ذكر في كتاب هادى الراغبين فى زيارة قبور الصالحين لابي محمد عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الكريم بن على بن محمد بن على ابن طلحة وفى كتاب مرشد الزوار للموفق ابن عثمان. وذكر الشيخ محمد الازهرى في كتابه فى الزيارة أن أول من بني عليه وحيز كبير التجار أبو زيد المصرى بعد سنة أربعين وستمائة ولم يزل البناء يتزايد الى أن جدد الحاج سيف الدين المقدم عليه قبته فى ايام الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون قبيل سنة ثمانين وسبعمائة ثم جددت فى أيام الناصر فرج بن الظاهر برقوق على يد الشيخ أبي الخير محمد ابن الشيخ سليمان المادح فى محرم سنة احدى عشرة وثمانمائة ثم جددت فى سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة على يد امرأة قدمت من دمشق في أيام المؤيد شيخ عرفت بمرحبا بنت ابراهيم بن عبد الرحمن أخت عبد الباسط وكان لها معروف وبر توفيت فى تاسع عشرى ذي القعدة سنة أربعين وثمانمائة ويجتمع بهذه القبة في ليلة كل سبت جماعة من القراء فيتلون القرآن الكريم تلاوة حسنة حتى يختموا ختمة كاملة عند السحر ويقصد المبيت عندهم للتبرك بقراءة القرآن عدة من الناس ثم تفاحش

الجمع وأقبل النساء والاحداث والغوغاء فصار أمرا منكرا لاينصتون لقراءة ولا يتعظون بمواعظ بل يحدث منهم على القبور مالا يجوز ثم زادوا في التعدى حتى حفروا ماهنالك خارج القبة من القبور وبنوا مباني اتخذوها مراحيض وسقايات ماء ويزعم من لاعلم عنده أن هذه القراءة في كل ليلة سبت عند قبر الليث بزعمهم قديمة من عهد الامام الشافعى وليس ذلك بصحيح وانما حدثت بعد السبعمائة من سنى الهجرة بنام ذكر بعضهم أنه رآه وكانوا اذ ذاك يجتمعون للقراءة عند قبر أبي بكر الادفوى

* ( ذكر المقابر خارج باب النصر ) *

اعلم أن المقابر التى هي الآن خارج باب النصر انما حدثت بعد سنة ثمانين وأربعمائة وأول تربة بنيت هناك تربة أمير الجيوش بدر الجمالى لما مات ودفن فيها وكان خطها يعرف برأس الطابية قال الشريف أمين الدولة أبو جعفر محمد بن هبة الله العلوي الافطي وقد مر بتربة الافضل

أجري دما أجفانيه * جدث برأس الطابيه
صدع الزمان صفاتيه * (٣)
بال وما بليت أيا ديه على الباقيه

وبخارج باب النصر فى أوائل المقابر قبر زينب بنت أحمد بن محمد بن عبد الله بن جعفر ابن الحنيفة يزار وتسميه العامة مشهد الست زينب ثم تتابع دفن الناس موتاهم في الجهة التي هى اليوم من بحرى مصلي الاموات الى نحو الريدانية وكان مافي شرقي هذه المقبرة الي الجبل براحا واسعا يعرف بميدان القبق وميدان العيد والميدان الاسود وهو مابين قلعة الجبل الى قبة النصر تحت الجبل الاحمر فلما كان بعد سنة عشرين وسبعمائة ترك الملك الناصر محمد بن قلاون النزول الى هذا الميدان وهجره فأول من ابتدأ فيه بالعمارة الامير شمس الدين قراسنقر فاختط تربته التي تجاور اليوم تربة الصوفية وبنى حوض ماء للسبيل وجعل فوقه مسجدا وهذا الحوض بجوار باب تربة الصوفية أدركته عامرا هو وما فوقه وقد تهدم وبقيت منه بقية ثم عمر بعده نظام الدين آدم أخو الامير سيف الدين سلار تجاه تربة قراسنقر مدفنا وحوض ماء للسبيل ومسجدا معلقا وتتابع الامراء والاجناد وسكان الحسينية فى عمارة الترب هناك حتى انسدت طريق الميدان وعمروا الجوانية أيضا وأخذ صوفية الخانقاه الصلاحية لسعيد السعداء قطعة قدر فدانين وأداروا عليها سورا من حجر وجعلوهامقبرة لمن يموت منهم وهي باقية الى يومنا هذا وقدوسعوا فيها بعدسنة تسعين وسبعمائة بقطعة من تربة قراسنقر وما برح الناس يقصدون تربة الصوفية هذه لزيارة من فيها من الاموات ويرغبون في الدفن بها الى أن تولى مشيخة الخانقاه الشيخ شمس الدين محمد البلالى

فسمح لكل أحد أن يقبر ميته بها على مال يأخذه منه فقبر بها كثير من أعوان الظلمة ومن لم تشكر طريقته فصارت مجمع نسوان ومجلس لعب وعمر أيضاً بجوار تربة الصوفية الامير مسعود ابن خطير تربة وعمل لها منارة من حجارة لا نظير لها في هيئتها وهي باقية وعمر أيضا مجد الدين السلامي تربة وعمر الامير سيف الدين كوكاى تربة وعمر الامير طاجاى الدوادار على رأس القبق مقابل قبة النصر تربة وعمر الامير سيف الدين طشتمر الساقي على الطريق تربة وبنى الامراء الى جانبه عدة ترب وبني الطواشي محسن البهاء تربة عظيمة وبنت خوند طغاي تربة تجاه تربة طشتمر الساقى وجعلت لها وقفا وبنى الامير طغاى تمر النجمى الدوادار تربة وجعلها خانقاه وأنشأ بجوارها حماما وحوانيت وأسكنها للصوفية والقراء وبنى الامير منكلي بغا الفخرى تربة والامير طشتمر طلليه تربة والامير أرنان تربة وبنى كثير من الامراء وغيرهم الترب حتي اتصلت العمارة من ميدان القبق الى تربة الروضة خارج باب البرقية وما مات الملك الناصر حتي بطل من الميدان السباق الخيل ومنعت طريقه من كثرة العمائر وأدركت بعد سنة ثمانين وسبعمائة عدة عواميد من رخام منصوبة يقال لها عواميد السباق فيما بين قبة النصر وقريب من القلعة وأول من عمر فى البراح الذى كان فيه عواميد السباق الامير يونس الدوادار فى أيام الملك الظاهر تربته الموجودة هناك ثم عمر الامير قجماس ابن عم الملك الظاهر برقوق تربة بجانب تربة يونس وأحيط على قطعة كبيرة حائط وقبر فيها من مات من مماليك السلطان وقبر فيها الشيخ علاء الدين السيرامى شيخ الخانقاه الظاهرية والشيخ المعتقد طلحة والشيخ المعتقد أبو بكر البجائي فلما مرض الملك الظاهر برقوق أوصى أن يدفن تحت أرجل هؤلاء الفقراء وأن يبنى على قبره تربة فدفن حيث أوصى وأخذت قطعة مساحتها عشرة آلاف ذراع وجعلت خانقاه وجعل فيها قبة على قبر السلطان وقبور الفقراء المذكورين وتجدد من حينئذ هناك عدة ترب جليلة حتي صار الميدان شوارع وأزقة ونقل الملك الناصر فرج بن برقوق سوق الجمال وسوق الحمير من تحت القلعة الى تجاه التربة التي عمرها على قبر أبيه فاستمر ذلك أياما في سنة أربع عشرة وثمانمائة ثم اعيدت الاسواق الى مكانها وكان قصده أن يبني هناك خانا كبيرا ينزل فيه المسافرون ويجعل بجانبه سوقا وبني طاحونا وحماما وفرنا لتعمر تلك الجهة بالناس فمات قبل بناء الخان وخلت الحمام والطاحون والفرن بعد قتله

## * ( ذكر كنائس اليهود ) *

قال الله عز وجل ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا قال المفسرون الصوامع للصائبين والبيع للنصارى والصلوات كنائس اليهود والمساجد للمسلمين قاله ابن قتيبة والكنيس كلمة عبرانية معناها

بالعربية الموضع الذي يجتمع فيه للصلاة ولهم بديار مصر عدة كنائس منها كنيسة دموة بالجيزة وكنيسة جوجر من القري الغربية وبمصر الفسطاط كنيسة بخط المصاصة في درب الكرمة وكنيستان بخط قصر الشمع وبالقاهرة كنيسة بالجودرية وفي حارة زويلة خمس كنائس

( كنيسة دموه ) هذه الكنيسة أعظم معبد لليهود بأرض مصر فانهم لايختلفون في أنها الموضع الذي كان يأوي اليه موسى بن عمران صلوات الله عليه حين كان يبلغ رسالات الله عز وجل الى فرعون مدة مقامه بمصر منذ قدم من مدين الى أن خرج ببني اسرائيل من مصر ويزعم يهود أنها بنيت هذا البناء الموجود بعد خراب بيت المقدس الخراب الثاني على يد طيطش ببضع وأربعين سنة وذلك قبل ظهور الملة الاسلامية بما ينيف على خمسمائة سنة وبهذه الكنيسة شجرة زيزلخت في غاية الكبر لايشكون فى أنها من زمن موسى عليه السلام ويقولون ان موسى عليه السلام غرس عصاه في موضعها فأنبت الله هناك هذه هذه الشجرة وأنها لم تزل ذات أغصان نضرة وساق صاعد في السماء مع حسن استواء ونحن في استقامة الى أن أنشأ الملك الاشرف شعبان بن حسين مدرسته تحت القلعة فذكر له حسن هذه الشجرة فتقدم بقطعها لينتفع بها في العمارة فمضوا الى ما أمروا به من ذلك فأصبحت وقد تكورت وتعقفت وصارت شنيعة المنظر فتركوها واستمرت كذلك مدة فاتفق أن زنى يهودي بيهودية تحتها فتهدلت أغصانها وتحات ورقها وجفت حتى لم يبق بها ورقة خضراء وهى باقية كذلك الى يومنا هذا ولهذه الكنيسة عيد يرحل اليهود بأهاليهم اليها في عيد الخطاب وهو فى شهر سيوان ويجعلون ذلك بدل حجهم الى القدس وقد كان لموسى عليه السلام أنباء قد قصها الله تعالى فى القرآن الكريم وفي التوراة وروى أهل الكتاب وعلماء الاخبار من المسلمين كثيرا منها وسأقص عليك في هذا الموضع منها مافيه كفاية اذ كان ذلك من شرط هذا الكتاب

( موسى بن عمران ) وفي التوراة عمرام بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق ابن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليهم أمه يوحانذ بنت لاوى فهى عمة عمران والد موسى ولد بمصر في اليوم السابع من شهر آذار سنة ثلاثين ومائة لدخول يعقوب على يوسف عليهما السلام بمصر وكان بنو اسرائيل منذ مات لاوى بن يعقوب فى سنة أربع وتسعين لدخول يعقوب مصر في البلاء مع القبط وذلك أن يوسف عليه السلام لما مات في سنة ثمانين من قدوم يعقوب مصر كان الملك اذ ذاك بمصر دارم بن الريان وهو الفرعون الرابع عندهم وتسميه القبط دريموس فاستوزر بعده رجلا من الكهنة يقال له بلاطس فحمله على أذى الناس وخالف ماكان عليه يوسف وساءت سيرة الملك حتى اغتصب كل امرأة جميلة بمدينة منف وغيرها من النواحي فشق ذلك من فعله على الناس وهموا بخلعه من الملك

فقام الوزير بلاطس في الوساطة بينـه وبين الناس وأسقط عنهـم الخراج لثلاث سنين وفرق فيهم مالا حتى سكنوا واتفق ان رجلا من الاسرائيليين ضرب بعض سدنة الهياكل فأدماه وعاب دين الكهنة فغضب القبط وسألوا الوزير أن يخرج بني اسرائيل من مصرفأبى وكان دارم الملك قد خرج الى الصعيد فبعث اليه يخبره بأمر الاسرائيلي وماكان من القبط في طلبهم اخراج بنى اسرائيل من مصر فأرسل اليه أن لايحدث في القوم حدثا دون موافاته فشغب القبط وأجمعوا على خلع الملك واقامة غيره فسار اليهم الملك وكانت بينه وبينهم حروب قتل فيها خلق كثير ظفر فيها الملك وصلب ممن خالفه بحافتى النيل طوائف لاتحصى وعاد الى اكثر مماكان عليه من ابتزاز النساء وأخذ الاموال واستخدام الاشراف والوجوه من القبط ومن بني اسرائيل فأجمع الكل على ذمـه واتفق انه ركب في النيل فهاجت به الريح وأغرقه الله ومن معه ولم يوجد جثته الا عند شطنوف فأقام الوزير من بعده في الملك ابنه معاديوش وكان صبيا ويسميـه بعضهم معدان فاستقام الامر له ورد النساء اللاتي اغتصبهن أبوه وهو خامس الفراعنة فكثر بنو اسرائيل في زمنه ولهجوا بثلب الاصنام وذمها وهلك بلاطس الوزير وقام من بعـده فى الوزارة كاهن يقال له املاده فأمر بافراد بني اسرائيل ناحية فى البلد بحيث لايختلط بهم غيرهم فأقطعوا موضعا في قبلي مدينة منف صاروا اليـه وبنوا فيه معبدا كانوا يتلون به صحف ابراهيم عليه السلام فخطب رجـل من القبط بعض نسائهم فأبوا أن ينكحوه وقد كان هويها فأكبر القبط فعلهم وصاروا الى الوزير وشكوامن بني اسرائيل وقالوا هؤلاء قوم يعيبوننا ويرغبون عن مناكحتنا ولا نحب أن يجاورونا مالم يدينوا بديننا فقال لهم الوزير قد علمتم اكرام طوطيس الملك لجدهم ونهراوش من بعده وقد علمتم بركة يوسف حتى جعلتم قبره وسط النيل فأخصب جانبا مصر بمكانه وأمرهم بالكف عن بنى اسرائيل فأمسكوا الى أن احتجب معدان وقام من بعده في الملك ابنـه اكسامس الذى يسميه بعضهم كاسم بن معدان بن الريان بن الوليد بن دومع العمليقى وهو السادس من فراعنة مصر وكان أولهم يقال له فرعان فصار ذلك اسما لـكل من تجبر وعلا أمره وطالت أيام كاسم ومات وزير أبيه فأقام من بعده رجلا من بيت المملكة يقال له ظلما ابن قومس وكان شجاعا ساحرا كاهنا كاتبا حكيما دهيامتصرفا في كل فن وكانت نفسه تنازعه الملك ويقال انه من ولد أشمون الملك وقيل من ولد صا فأحبه الناس وعمر الخراب وبنى مدنا من الجانبين ورأى فى نجومه انه سيكون حدث وشدة وشكا القبط اليه من الاسرائيليين فقال هم عبيدكم فكان القبطى اذا أراد حاجة سخر الاسرائيلي وضربه فلا يغير عليه أحد ولا ينكر عليه ذلك فان ضرب الاسرائيلي أحدا من القبط قتل البتة وكذلك كانت تفعل نساء القبط بالنساء الاسرائيليات فكانت أول شدة وذل أصاب بنى اسرائيل وكثر ظلمهم وأذاهم

من القبط واستبد الوزير ظلما بأمر البلد كما كان العزيز مع نهراوش وتوفي اكسامس الملك فاتهم ظلمان بأنه سمه فركب في سلاحه وأقام لاطس الملك مكان أبيه وكان ابنه جريأ معجبا فصرف ظلما بن قومس عما كان عليه من خلافته واستخلف رجلا يقال له لاهوق من ولدصا وأنفذ ظلما عاملا على الصعيد وسير معه جماعة من الاسرائيليين وزاد تجبره وعتوه وأمر الناس جميعا أن يقوموا على أرجلهم في مجلسه ومد يده الى الاموال ومنع الناس من فضول ما بأيديهم وقصرهم على القوت وابتز كثيرا من النساء وفعل أكثر مما فعله ملك تقدمه واستعبد بنى اسرائيل فأبغضه الخاص والعام وكان ظلما لما صرف عن الوزارة وخرج الى الصعيد أراد ازالة الملك والخروج عن طاعته فجبي المال وامتنع من حمله واخذ المعادن لنفسه وهم أن يقيم ملكا من ولد قبطرين ويدعو الناس الى طاعته ثم انصرف عن ذلك ودعا لنفسه وكاتب الوجوه والاعيان فافترق الناس وتطاول كل واحد من أبناء الملوك الى الملك وطمع فيه ويقال ان روحانيا ظهر لظلما وقال له ان أطعتنى قلدتك مصر زمانا طويلا فأجابه وقرب اليه أشياء منها غلام من بني اسرائيل فصار عونا له وبلغ الملك خبر خروج ظلما عن طاعته فوجه اليه قائدا قلده مكانه وأمره أن يقبض على ظلما ويبعث به اليه موثقا فصار اليه وخرج ظلما للقائه وحاربه فظفر به واستولى على ما معه فجهز اليه الملك قائدا آخر فهزمه وسار فى أثره وقد كثف جمعه فبرز اليه الملك واحتربا فكانت لظلما على الملك فقتله واستولى على مدينة منف ونزل قصر المملكة وهذا هو فرعون موسى عليه السلام وبعضهم يسميه الوليد بن مصعب وقيل هو من العمالقة وهو سابع الفراعنة ويقال انه كان قصيرا طويل اللحية أشهل العينين صغير العين اليسرى في جبينه شامة وكان أعرج وقيل انه كان يكنى بابى مرة وان اسمه الوليد بن مصعب وانه أول من خضب بالسواد لما شاب دله عليه ابليس وقيل انه كان من القبط وقيل انه دخل منف على أتان يحمل النطرون ليبيعه وكان الناس قد اضطربوا في تولية الملك فحكموه ورضوا بتولية من يوليه عليهم وذلك أنهم خرجوا الى ظاهر مدينة منف ينتظرون أول من يظهر عليهم ليحكموه فكان هو أول من أقبل بحماره فلما حكموه ورضوا بحكمه أقام نفسه ملكا عليهم وأنكر قوم هذا وقالوا كان القوم أدهي من يقلد واملكهم من هذه سبيله فلما جلس في الملك اختلف الناس عليه فبذل لهم الاموال وقتل من خالفه عن أطاعه حتى اعتدل أمره ورتب المراتب وشيد الاعمال وبني المدن وخندق الخنادق وبنى بناحية العريش حصنا وكذلك على جميع حدود مصر واستخلف هامان وكان يقرب منه في نسبه وأثار الكنوز وصرفها في بناء المدائن والعمارات وحفر خليج سردوس وغيره وبلغ الخراج بمصر في زمنه سبعة وتسعين ألف ألف دينار بالدينار الفرعوني وهو ثلاثة مثاقيل * وفرعون هو أول من عرف العرفاء على الناس وكان ممن صحبه من بني اسرائيل رجل يقال له امرى وهو الذى يقال

له بالعبرانية عمرام وبالعربية عمران بن قاهث بن لاوى وكان قدم مصر مع يعقوب عليه السلام فجعله حرسا لقصره يتولى حفظه وعنده مفاتيحه وأغلاقه بالليل وكان فرعون قد رأى في كهانته ونجومه انه يجرى هلاكه على يد مولود من الاسرائيليين فمنعهم من المناكحة ثلاث سنين التى رأي أن ذلك المولود يولد فيها فأتت امرأة امري اليه في بعض الليالى بشئ قد أصلحته له فواقعها فاشتملت منه على هارون وولدته لثلاث وسبعين من عمره في سنة سبع وعشرين ومائة لقدوم يعقوب الى مصر ثم أتته مرة أخرى فحملت بموسى لثمانين سنة من عمره ورأى فرعون في نجومه انه قد حمل بذلك المولود فأمر بذبح الذكران من بني اسرائيل وتقدم الى القوابل بذلك فولد موسى عليه السلام في سنة ثلاثين ومائة لقدوم يعقوب الى مصروفى سنة أربع وعشرين وأربعمائة لولادة ابراهيم الخليل عليه السلام ولمضى ألف وخمسمائة وست سنين من الطوفان وكان من أمره ماقصه الله سبحانه من قذف أمه له فى التابوت فألقاه النيل الى تحت قصر الملك وقدأ رصدت أمه أخته على بعد لتنظر من يلتقطه فجاءت ابنة فرعون الى البحر مع جواريها فرأته واستخرجته في التابوت فرحمته وقالت هذا من العبرانيين من لنا بظئر ترضعه فقالت لها أخته أنا آتيكبها وجاءت بأمه فاسترضعتها له ابنة فرعون الى أن فصل فأتت به الى ابنة فرعون وسمته موسي وتبته ونشأ عندها وقيل بل أخذته امرأة فرعون واسترضعت أمه ومنعت فرعون من قتله الى أن كبر وعظم شأنه فرد اليه فرعون كثيرا من أمره وجعله من قواده وكانت له سطوة ثم وجهه لغزو اليونانيين وقد عاثوا في أطراف مصر فخرج في جيش كثيف وأوقع بهم فأظفره الله وقتل منهم كثيرا وأسر كثيرا وعاد غانما فسر ذلك فرعون وأعجب به هو وامرأته واستولى موسى وهو غلام على كثير من أمر فرعون فأراد فرعون أن يستخلفه حتي قتل رجلا من أشراف القبط له قرابة من فرعون فطلبه وذلك انه خرج يوما يمشى فى الناس وله صولة بما كان له في بيت فرعون من المربى والرضاع فرأى عبرانيا يضرب فقتل المصرى الذى ضربه ودفنه وخرج يوما آخرفاذا برجلين من بني اسرائيل وقد سطا أحدهما على الآخر فزجره فقال له ومن جعل لك هذا أتريد أن تقتلني كما قتلت المصرى بالامس ونما الخبر الى فرعون فطلبه وألقى الله في نفسه الخوف لما يريد من كرامته فخرج من منف ولحق بمدين عند عقبة ايلة وبنو مدين أمة عظيمة من بني ابراهيم عليه السلام كانوا ساكنين هناك وكان فراره وله من العمر أربعون سنة فنزل عند بيرون وهو شعيب عليه السلام من ولد مدين بن ابراهيم وكان من تزويجه ابنته ورعايته غنمه ما كان فأقام هنالك تسعا وثلاثين سنة نكح فيها صفوراء ابنة شعيب وبنوا اسرائيل مع فرعون وأهل مصر كما قال الله تعالى يسومونهم سوء العذاب ويستعبدونهم فلما مضى من سنة الثمانين لموسي

شهر وأسبوع كلمه الله جل اسمه وكان ذلك في اليوم الخامس عشر من شهر نيسان وأمره أن يذهب الى فرعون وشد عضده بأخيه هارون وأيده بآيات منها قلب العصا حية وبياض يده من غير سوء وغير ذلك من الآيات العشر التي أحلها الله بفرعون وقومه وكان مجيء الوحي من الله تعالى اليه وهو ابن ثمانين سنة ثم قدم مصر في شهر أيار ولقي أخاه هارون فسر به وأطعمه جلبانا فيه ثريد وتنبأ هارون وهو ابن ثلاث وثمانين سنة وغدا به الى فرعون وقد أوحي اليهما أن يأتيا الى فرعون ليبعث معهما بني اسرائيل فيستنقذ انهم من هلكة القبط وجور الفراعنة ويخرجون الى الارض المقدسة التي وعدهم الله بملكها على لسان ابراهيم واسحاق ويعقوب فأبلغا ذلك بني اسرائيل عن الله فآمنوا بموسي واتبعوه ثم حضرا الى فرعون فأقاما ببابه أياما وعلى كل منهما جبة صوف ومع موسي عصاه وهما لايصلان الى فرعون لشدة حجابه حتى دخل عليه مضحك كان يلهو به فعرفه أن بالباب رجلين يطلبان الاذن عليك يزعمان أن الههما قد أرسلهما اليك فأمر بادخالهما فلما دخلا عليه خاطبه موسى بما قصه الله في كتابه وأراه آية العصا وآيته في بياض اليد فغاظ فرعون ماقاله موسى وهم بقتله فمنعه الله سبحانه بأن رأى صورة قد أقبلت ومسحت على أعينهم فعموا ثم انه لما فتح عن عينيه أمر قوما آخرين بقتل موسى فأتتهم نار أحرقتهم فازداد غيظه وقال لموسى من اين لك هذه النواميس العظام اسحرة بلدي علموك هذا أم تعلمته بعد خروجك من عندنا فقال هذا ناموس السماء وليس من نواميس الارض قال فرعون ومن صاحبه قال صاحب البنية العليا قال بل تعلمتها من بلدي وأمر بجمع السحرة والكهنة وأصحاب النواميس وقال اعرضوا على أرفع أعمالكم فاني ارى نواميس هذا الساحر رفيعة جدا فعرضوا عليه أعمالهم فسره ذلك وأحضر موسي وقال له لقد وقفت على سحرك وعندي من يفوق عليك فواعدهم يوم الزينة وكان جماعة من البلد قد اتبعوا موسى فقتلهم فرعون ثم انه جمع بين موسى وبين سحرته وكانون مائتي ألف وأربعين ألفا يعملون من الاعمال مايحير العقول ويأخذ القلوب من دخن ملونات ترى الوجوه مقلوبة مشوهة منها الطويل والعريض والمقلوب جبهته الى أسفل ولحيته الى فوق ومنها ماله قرون ومنها ماله خرطوم وأنياب ظاهرة كأنياب الفيلة ومنها ماهو عظيم في قدر الترس الكبير ومنها ماله آذان عظام وشبه وجوه القرود بأجساد عظيمة تبلغ السحاب وأجنحة مركبة على حيات عظيمة تطير في الهواء ويرجع بعضها على بعض فيبتلعه وحيات يخرج من أفواهها نار تنتشر في الناس وحيات تطير وترجع في الهواء وتحدر على كل من حضر لتبتلعه فيتهارب الناس منها وعصي تحلق في الهواء فتصير حيات برؤس وشعور وأذناب تهم بالناس أن تنهشهم ومنها ماله قوائم ومنها تماثيل مهولة وعملوا له دخنا تغشى أبصار الناس عن النظر فلايرى بعضهم بعضا ودخنا تظهر صورا كهيئة الثيران في الجو على

دواب يصدم بعضها بعضا ويسمع لها ضجيج وصورا خضرا على دواب خضر وصورا سودا على دواب سود هائلة فلما رأى فرعون ذلك سره مارأى هو ومن حضره واغتم موسى ومن آمن به حتي أوحي الله اليه لاتخف انك انت الاعلى وألق مافي يمينك تلقف ماصنعوا وكان للسحرة ثلاثة رؤساء ويقال بل كانوا سبعين رئيسا فأسر اليهم موسي قد رأيت ماصنعتم فان قهرتكم أتؤمنون بالله فقالوا نفعل فغاظ فرعون مسارة موسي لرؤساء السحرة هذا والناس يسخرون من موسي وأخيه ويهزؤن بهما وعليهما دراعتان من صوف وقد احتزما بليف فلوح موسى بعصاه حتي غابت عن الاعين وأقبلت في هيئة تنين عظيم له عينان يتوقدان والنار تخرج من فيه ومنخريه فلا يقع على أحد الابرص ووقع من ذلك على ابنة فرعون فبرصت وصار التنين فاغرا فاه فالتقط جميع ماعملته السحرة ومائتي مركب كانت مملوءة حبالا وعصيا وسائر من فيهامن الملاحين وكانت فى النهر الذى يتصل بدار فرعون وابتلع عمدا كثيرة وحجارة قد كانت حملت الى هناك ليبني بها ومر التنين الى قصر فرعون ليبتلعه وكان فرعون جالسا فى قبة على جانب القصر ليشرف على عمل السحرة فوضع نابه تحت القصر ورفع نابه الآخر الى أعلاه ولهب النار يخرج من فيه حتي أحرق مواضع من القصر فصاح فرعون مستغيثا بموسى عليه السلام فزجر موسي التنين فانعطف ليبتلع الناس ففروا كلهم من بين يديه وانساب يريدهم فأمسكه موسي وعاد في يده عصا كما كان ولم ير الناس من تلك المراكب وما كان فيها من الحبال والعصي والناس ولا من العمد والحجارة وما شربه من ماء النهر حتي بانت أرضه أثرا فعند ذلك قالت السحرة ماهذا من عمل الآدميين وانما هو من فعل جبار قدير على الاشياء فقال لهم موسى أوفوا بعهدكم والاسلطته عليكم يبتلعكم كما ابتلع غيركم فآمنوا بموسى وجاهروا فرعون وقالوا هذا من فعل اله السماء وليس هذا من فعل أهل الارض فقال قدعرفت انكم قد واطأتموه علي وعلى ملكي حسدا منكم لي وأمر فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبوا وجاهرته امرأته والمؤمن الذى كان يكتم ايمانه وانصرف موسى فأقام بمصر يدعو فرعون أحد العشر شهرا من شهر ايار الى شهر نيسان المستقبل وفرعون لايجيبه بل اشتد جوره على بنى اسرائيل واستعبادهم واتخاذهم سخريا في مهنة الاعمال فأصابت فرعون وقومه الجوائح عشر واحدة بعد أخرى وهو يتثبت لهم عند وقوعها ويفزع الى موسى فى الدعاء بانجلائها ثم يلح عند انكشافها فانها كانت عذابا من الله عز وجل عذب الله بها فرعون وقومه فمنها أن ماء مصر صار دما حتى هلك أكثر أهل مصر عطشا وكثرت عليهم الضفادع حتي وسخت جميع مواضعهم وقذرت عليهم عيشهم وجميع ماكلهم وكثر البعوض حتى حبس الهواء ومنع النسيم وكثر عليهم ذباب الكلاب حتى جرح أبدانهم ونغص عليهم حياتهم وماتت دوابهم وأغنامهم فجأة وعم الناس الجرب والجدرى

حتي زاد منظرهم قبحا على مناظر الجذمي ونزل من السماء برد مخلوط بصواعق أهلك كل ما أدركه من الناس والحيوانات وذهب بجميع الثمار وكثر الجراد والجنادب التي أكلت الاشجار واستقصت أصول النبات وأظلمت الدنيا ظلمة سوداء غليظة حتي كانت من غلظها تحس بالاجسام وبعد ذلك كله نزل الموت فجأة على بكور أولادهم بحيث لم يبق لاحد منهم ولد بكر الا فجع به في تلك الليلة ليكون لهم فى ذلك شغل عن بني اسرائيل وكانت الليلة الخامسة عشر من شهر نيسان سنة احدى وثمانين لموسى فعند ذلك سارع فرعون الى ترك بني اسرائيل فخرج موسى عليه السلام من ليلته هذه ومعه بنو اسرائيل من عين شمس وفي التوراة أنهم أمروا عند خروجهم أن يذبح أهل كل بيت حملا من الغنم ان كان كفايتهم أو يشتركون مع جيرانهم ان كان اكثر وان ينضحوا من دمه على أبوابهم ليكون علامة وأن يأكلوا شواه رأسه وأطرافه ومعاه ولا يكسروا منه عظما ولا يدعوا منه شيئاً خارج البيوت وليكن خبزهم فطيرا وذلك فى اليوم الرابع عشر من فصل الربيع وليأكلوا بسرعة وأوساطهم مشدودة وخفافهم فى أرجلهم وعصيهم في أيديهم ويخرجوا ليلا وما فضل من عشائهم ذلك أحرقوه بالنار وشرع هذا عيدا لهم ولاعقابهم ويسمى هذا عيد الفصح وفيها انهم أمروا أن يستعيروا منهم حليا كثيرا يخرجون به فاستعاروه وخرجوا في تلك الليلة بما معهم من الدواب والانعام وأخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام استخرجه موسى من المدفن الذى كان فيه بالهام من الله تعالى وكانت عدتهم ستمائة ألف رجل محارب سوى النساء والصبيان والغرباء وشغل القبط عنهم بالمآتم التي كانوا فيها على موتاهم فساروا ثلاث مراحل ليلا ونهارا حتي وافوا الى فوهة الجبروت وتسمي نار موسى وهو ساحل البحر بجانب الطور فانتهى خبرهم الى فرعون في يومين وليلة فندم بعد خروجهم وجمع قومه وخرج في كثرة كفاك عن مقدارها قول الله عز وجل اخبارا عن فرعون انه قال عن بني اسرائيل وعدتهم ماقد ذكر على ماجاء فى التوراة ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون ولحق بهم في اليوم الحادى والعشرين من نيسان فأقام العسكر ان ليلة الواحد والعشرين على شاطئ البحر وفي صبيحة ذلك اليوم أمر موسى أن يضرب البحر بعصاه ويقتحمه ففلق الله لبني اسرائيل البحر اثني عشر طريقا عبر كل سبط من طريق وصارت المياه قائمة عن جانبهم كأمثال الجبال وصير قاع البحر طريقا مسلوكا لموسى ومن معه وتبعهم فرعون وجنوده فلما خاض بنو اسرائيل الى عدوة الطور انطبق البحر على فرعون وقومه فأغرقهم الله جميعا ونجا موسي وقومه ونزل بنو اسرائيل جميعا فى الطور وسبحوا مع موسى بتسبيح طويل قد ذكر في التوراة وكانت مريم أخت موسى وهرون تأخذ الدف بيدها ونساء بني اسرائيل فى أثرها بالدفوف والطبول وهي ترتل التسبيح لهن ثم ساروا فى البر ثلاثة أيام وأقفرت

مصر من أهلها ومر موسى بقومه ففني زادهم فى اليوم الخامس من ايار فضجوا الى موسى فدعا ربه فنزل لهم المن من السماء فلما كان اليوم الثالث والعشرون من ايار عطشوا وضجوا الى موسى فدعا ربه ففجر له عينا من الصخرة ولم يزل يسير بهم حتي وافوا طور سينين غرة الشهر الثالث لخروجهم من مصر فأمر الله موسى بتطهير قومه واستعدادهم لسماع كلام الله سبحانه فطهرهم ثلاثة أيام فلما كان في اليوم الثالث وهو السادس من الشهر رفع الله الطور وأسكنه نوره وظلل حواليه بالغمام وأظهر فى الآفاق الرعود والبروق والصواعق وأسمع القوم من كلامه عشر كلمات وهي انا الله ربكم واحد لايكن لكم معبود من دونى لاتحلف باسم ربك كاذبا اذكر يوم السبت واحفظه برّ والديك وأكرمهما لاتقتل النفس لاتزن لاتسرق لاتشهد بشهادة زور لاتحسد أخاك فيما رزقه فصاح القوم وارتعدوا وقالوا لموسى لاطاقة لنا باستماع هذا الصوت العظيم كن السفير بيننا وبين ربنا وجميع مايأمرنا به سمعنا وأطعنا فأمرهم بالانصراف وصعد موسى الى الجبل في اليوم الثاني عشر فأقام فيه أربعين يوما ودفع الله اليه اللوحين الجوهر المكتوب عليهما العشر كلمات ونزل فى اليوم الثانى والعشرين من شهر تموز فرأى العجل فارتفع الكتاب وثقلا على يديه فألقاها وكسرها ثم برد العجل وذراه على الماء وقتل من القوم من استحق القتل وصعد الى الجبل في اليوم الثالث والعشرين من تموز ليشفع في الباقين من القوم ونزل في اليوم الثانى من ايلول بعد الوعد من الله له بتعويضه لوحين آخرين مكتوبا عليهما ما كان فى اللوحين الاولين فصعد الى الجبل وأقام أربعين ليلة أخرى وذلك من ثالث ايلول الى اليوم الثانى عشر من تشرين ثم أمره الله باصلاح القبة وكان طولها ثلاثين ذراعا فى عرض عشرة أذرع وارتفاع عشرة أذرع ولها سرادق مضروب حواليها مائة ذراع فى خمسين ذراعا وارتفاع خمسة أذرع فأخذ القوم فى اصلاحها وما تزين به من الستور من الذهب والفضة والجواهر ستة أشهر الشتاء كله ولما فرغ منها نصبت في اليوم الاول من نيسان فى أول السنة الثانية ويقال ان موسى عليه السلام حازب هنالك العرب مثل طسم وجديس والعماليق وجرهم وأهل مدين حتي أفناهم جميعا وانه وصل الى جبل فاران وهو مكة فلم ينج منهم الا من اعتصم بملك اليمن أو انتمى الى بنى اسماعيل عليه السلام وفى ثلثى الشهر الباقى من هذه السنة ظعن القوم فى برية الطور بعد أن نزلت عليهم التوراة وجملة شرائعها ستمائة وثلاث عشرة شريعة وفي آخر الشهر الثالث حرمت عليهم أرض الشام أن يدخلوها وحكم الله تعالى عليهم أن يتيهوا في البرية أربعين سنة لقولهم نخاف أهلها لانهم جبارون فأقاموا تسع عشرة سنة فى رقيم وتسع عشرة سنة فى أحد وأربعين موضعا مشروحة فى التوراة وفى اليوم السابع من شهر ايلول من السنة الثانية خسف الله بقارون وبأوليائه بدعاء موسى عليه السلام عليهم لما كذبوا وفي

شهر نيسان من السنة الاربعين توفيت مريم ابنة عمران أخت موسى عليه السلام ولها مائة وست وعشرون سنة * وفى شهر آب منهامات هارون عليه السلام وله مائة وثلاث وعشرون سنة ثم كان حرب الكنعانيين وسيحون والعوج صاحب البثنية من أرض حوران فى الشهور التى بعد ذلك الى شهر شباط فلما أهل شباط أخذ موسى في اعادة التوراة على القوم وأمرهم بكتب نسختها وقراءتها وحفظ ماشاهدوه من آثاره وما أخذوه عنه من الفقه وكان نهاية ذلك فى اليوم السادس من آذار وقال لهم في اليوم السابع منه انى في يومى هذا استوفيت عشرين ومائة سنة وان الله قد عرفنى انه يقبضنى فيه وقد أمرنى أن أستخلف عليكم يوشع ابن نون ومعه السبعون رجلا الذين اخترتهم قبل هذا الوقت ومعهم العازر بن هارون أخي فاسمعوا له وأطيعوا وأنا أشهد عليكم الله الذى لااله الاهو والارض والسموات أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ولا تبدلوا شرائع التوراة بغيرها ثم فارقهم وصعد الجبل فقبضه الله تعالى هناك وأخفاه ولم يعلم أحد منهم قبره ولاشاهده وكان بين وفاة موسى وبين الطوفان ألف وستمائة وست وعشرون سنة وذلك في أيام منوجهر ملك الفرس وزعم قوم أن موسى كان ألثغ فمنهم من جعل ذلك خلقة ومنهم من زعم انه انما اعتراه حين قالت امرأة فرعون لفرعون لاتقتل طفلا لايعرف الجمر من التمر فلما دعا له فرعون بهما جميعا تناول جمرة فأهوى بها الي فيه فاعتراه من ذلك ما اعتراه وذكر محمد بن عمر الواقدى أن لسان موسى كانت عليه شامة فيها شعرات ولا يدل القرآن على شيء من ذلك فليس في قوله تعالى واحلل عقدة من لسانى دليل على شئ من ذلك دون شئ فأقاموا بعده ثلاثين يوما يبكون عليه الى أن أوحى الله تعالى الى يوشع بن نون بترحيلهم فقادهم وعبر بهم الاردن فى اليوم العاشر من نيسان فوافوا أريحا فكان منهم ماهو مذكور فى مواضعه فهذه جملة خبر موسى عليه السلام

(كنيسة جوجر) هذه الكنيسة من أجل كنائس اليهود ويزعمون أنها تنسب لنبي الله الياس عليه السلام وانه ولد بها وكان يتعاهدها فى طول اقامته بالارض الى أن رفعه الله اليه * (الياس) هو فينحاس بن العازر بن هارون عليه السلام ويقال الياسين بن ياسين عيزار بن هارون ويقال هو الياهو وهى عبرانية معناها قادر أزلي وعرب فقيل الياس ويذكر أهل العلم من بنى اسرائيل انه ولد بمصر وخرج به أبوه العازر من مصر مع موسى عليه السلام وعمره نحو الثلاث سنين وانه هو الخضر الذى وعده الله بالحياة وانه لما خرج بلعام ابن باعور اليدعو على موسي صرف الله لسانه حتى يدعو على نفسه وقومه وكان من زنا بنى اسرائيل بنساء الامورانيين وأهل مواب ماكان فغضب الله تعالى عليهم وأوقع فيهم الوباء فمات منهم أربعة وعشرون الفا الي أن هجم فينحاس هذا على خباء فيه رجل

على امرأة يزني بها فنظمهما جميعا برمحه وخرج وهو رافعهما وشهرهما غضبا لله فرحمهم الله سبحانه ورفع عنهم الوباء وكانت له أيضاً آثار مع نبي الله يوشع بن نون ولما مات يوشع قام من بعده فينحاس هذا هو وكالاب بن يوفنافصار فينحاس اماما وكالاب يحكم بينهم وكانت الاحداث في بني اسرائيل فساح اليها ولبس المسوح ولزم القفار وقد وعده الله عز وجل في التوراة بدوام السلامة فأول ذلك بعضهم بانه لايموت فامتد عمره الى أن ملك يهوشا فاط بن أسا بن افيا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليهما السلام على سبط يهودا في بيت المقدس وملك أحوْب بن عمرى على الاسباط من بني اسرائيل بمدينة شمرون المعروفة اليوم بنابلس وساءت سيرة أحوْب حتي زادت في القبح على جميع من مضى قبله من ملوك بنى اسرائيل وكان أشدهم كفرا وأكثرهم ركونا للمنكر بحيث اربي في الشر على ابيه وعلى سائر من تقدمه وكانت له امرأة يقال لها سيصيال ابنة أشاعل ملك صيدا أكفر منه بالله وأشد عتوا واستكبارا فعبدا وثن بعل الذى قال له فيه جل ذكره أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين وأقاما له مذبحا بمدينة شمرون فارسل الله عزوجل الى أحوْب عبده الياس رسولا لينهاه عن عبادة وثن بعل ويأمره بعبادة الله تعالى وحده وذلك قول الله عزوجل من قائل وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه ولما أيس من ايمانهم بالله وتركهم عبادة الوثن أقسم في مخاطبته احوْب أن لايكون مطر ولا ندا ثم تركه فأمره الله سبحانه أن يذهب ناحية الاردن فمكث هناك مختفيا وقد منع الله قطر السماء حتي هلكت البهائم وغيرها فلم يزل الياس مقيما فى استتاره الى أن جف ماكان عنده من الماء وفى طول اقامته كان الله جل جلاله يبعث اليه بغربان تحمل له الخبز واللحم فلما جف ماؤه الذى كان يشرب منه لامتناع المطر أمره الله أن يسير الى بعض مدائن صيدا فخرج حتي وافى باب المدينة فاذا امرأة تحتطب فسألها ماء يشربه وخبزا يأكله فأقسمت له ان ما عندها الامثل غرفة دقيق فى اناء وشئ من زيت في جرة وأنها تجمع الحطب لتقتات منه هى وابنها فبشرها الياس عليه السلام وقال لها لاتجزعي وافعلى ماقلت لك واعملى لى خبزا قليلا قبل أن تعملى لنفسك ولولدك فان الدقيق لايعجز من الاناء ولا الزيت من الجرة حتي ينزل المطر ففعلت ماأمرها به وأقام عندها فلم ينقص الدقيق ولا الزيت بعد ذلك الى أن مات ولدها وجزعت عليه فسأل الياس ربه تعالى فأحيى الولد وأمره الله الى أن يسير الى احوْب ملك بني اسرائيل لينزل المطر عند اخباره له بذلك فسار اليه وقال له اجمع بنى اسرائيل وأبناء بعال فلما اجتمعوا قال لهم الياس الى متي هذا الضلال ان كان الرب الله فاعبدوه وان كان بعال هو الله فارجعوا بنا اليه وقال ليقرب كل مناقر بانا فاقرب أنا لله وقربوا أنتم لبعال فمن تقبل منه

قربانه ونزلت نار من السماء فأكلته فالهه الذي يعبد فلما رضوا بذلك أحضروا ثورين واختاروا أحدهما وذبحوه وصاروا ينادون عليه يال بعال يال بعال والياس يسخر بهم ويقول لو رفعتم أصواتكم قليلا فلعل الحكم نائم أو مشغول وهم يصرخون ويجرحون أيديهم بالسكاكين ودماءهم تسيل فلما أيسوا من أن تنزل النار وتأكل قربانهم دعا الياس القوم الى نفسه وأقام مذبحا وذبح ثوره وجعله على المذبح وصب الماء فوقه ثلاث مرات وجعل حول المذبح خندقا محفورا فلم يزل يصب الماء فوق اللحم حتي امتلأ الخندق من الماء وقام يدعو الله عز اسمه وقال في دعائه اللهم أظهر لهذه الجماعة انك الرب واني عبدك عامل بامرك فانزل الله سبحانه نارا من السماء اكلت القربان وحجارة المذبح التي كان فوقها اللحم وجميع الماء الذى صب حوله فسجد القوم أجمعون وقالوا نشهد أن الرب الله فقال الياس خذوا ابناء بعال فأخذوا وجيء بهم فذبحهم كلهم ذبحا وقال لاحوءب انزل وكل واشرب فان المطر نازل فنزل المطر على ماقال وكان الجهد قد اشتد لانقطاع المطر مدة ثلاث سنين وأشهر وغزر المطر حتي لم يستطع احوءب أن ينصرف لكثرته فغضبت سيصيال امرأة أحوءب لقتل أبناء بعال وحلفت بآلهتها لتجعلن روح الياس عوضهم ففزع الياس وخرج الى المفاوز وقد اغتم غما شديدا فأرسل الله اليه ملكا معه خبز ولحم وماء فأكل وشرب وقواه الله حتى مكث بعد هذه الاكلة أربعين يوما لايأكل ولا يشرب ثم جاءه الوحي بأن يمضي الى دمشق فسار اليها وصحب اليسع بن شابات ويقال بن حظور فصار تلميذه فخرج من أريحا ومعه اليسع حتى وقف على الاردن فنزع رداءه ولفه وضرب به ماء الاردن فافترق الماء عن جانبيه وصار طريقا فقال الياس حينئذ لليسع اسأل ماشئت قبل أن يحال بيني وبينك فقال اليسع اسال أن يكون روحك فى مضاعفا فقال لقد سألت جسيما ولكن ان ابصرتنى اذا رفعت عنك يكون ماسألت وان لم تبصرني لم يكن وبينما هما يتحدثان اذ ظهر لهما كالنار فرق بينهما ورفع الياس الى السماء واليسع ينظره فانصرف وقام في النبوة مقام الياس وكان رفع الياس في زمن يهورام بن يهوشافاط وبين وفاة موسى عليه السلام وبين آخر أيام يهورام خمسمائة وسبعون سنة ومدة نبوة موسي عليه السلام أربعون سنة فعلى هذا يكون مدة عمر الياس من حين ولد بمصر الى أن رفع بالاردن الى السماء ستمائة سنة وبضع سنين والذي عليه علماء أهل الكتاب وجماعة من علماء المسلمين أن الياس حي لم يمت الا أنهم اختلفوا فيه فقال بعضهم انه هو فينحاس كما تقدم ذكره ومنع هذا جماعة وقالوا هما اثنان والله أعلم

( كنيسة المصاصة ) هذه الكنيسة يجلها اليهود وهي بخط المصاصة من مدينة مصر ويزعمون انها رممت في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وموضعها يعرف بدرب الكرمة وبنيت فى سنة خمس عشرة وثلثمائة للاسكندر وذلك قبل الملة الاسلامية

بنحو سبعمائة واحدى وعشرين سنة ويزعم اليهود أن هذه الكنيسة كانت مجلسا لنبي الله الياس

( كنيسة الشاميين ) هذه الكنيسة بخط قصر الشمع من مدينة مصر وهي قديمة مكتوب على بابها بالخط العبراني حفرا في الخشب انها بنيت في سنة ست وثلاثين وثلثمائة للاسكندر وذلك قبل خراب بيت المقدس الخراب الثاني الذي خربه طيطش بنحو خمس وأربعين سنة وقبل الهجرة بنحو ستمائة سنة وبهذه الكنيسة نسخة من التوراة لايختلفون في انها كلها بخط عزرا النبي الذي يقال له بالعربية العزير

( كنيسة العراقيين ) هذه الكنيسة أيضاً بخط قصر الشمع

( كنيسة بالجودرية ) هذه الكنيسة بحارة الجودرية من القاهرة وهي خراب منذ أحرق الخليفة الحاكم بأمر الله حارة الجودرية على اليهود كما تقدم ذكر ذلك في الحارات فانظره

( كنيسة القرائين ) هذه الكنيسة كان يسلك اليها من تجاه باب سر المارستان المنصوري في حدرة ينتهي اليها بحارة زويلة وقد سدت الخوخة التي كانت هناك فصار لايتوصل اليها الا من حارة زويلة وهي كنيسة تختص بطائفة اليهود القرائين

( كنيسة دار الحدرة ) هذه الكنيسة بحارة زويلة في درب يعرف الآن بدرب الرايض وهي من كنائس (٣)

( كنيسة الربانيين ) هذه الكنيسة بحارة زويلة بدرب يعرف الآن بدرب البنادين يسلك منه الى تجاه السبع قاعات والى سويقة المسعودي وغيرها وهي كنيسة تختص بالربانيين من اليهود

( كنيسة ابن شميخ ) هذه الكنيسة بجوار المدرسة العاشورية من حارة زويلة وهي مما يختص به طائفة القرائين

( كنيسة السمرة ) هذه الكنيسة بحارة زويلة فى خط درب ابن الكوراني تختص بالسمرة وجميع كنائس القاهرة المذكورة محدثة في الاسلام بلا خلاف

* ( ذكر تاريخ اليهود وأعيادهم ) *

قد كانت اليهود أولا تؤرخ بوفاة موسى عليه السلام ثم صارت تؤرخ بتاريخ الاسكندر ابن فيلبش وشهور سنتهم اثنا عشر شهرا وأيام السنة ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما* فأما الشهور فانها تشري مرحشوان كسليو طيبيث شفط آذرنيس ايار سيوان تموز آب ايلول * وأيام سنتهم أيام سنة القمر ولو كانوا يستعملونها على حالها لكانت أيام سنتهم وعدد شهورهم شيأ واحدا ولكنه لما خرج بنو اسرائيل من مصر مع موسى عليه السلام الي التيه وتخلصوا من عذاب فرعون وما كانوا فيه من العبودية وائتمروا بما أمروا به كما وصف في السفر الثاني من التوراة اتفق ذلك ليلة اليوم الخامس عشر من نيس والقمر

تام الضوء والزمان ربيع فأمروا بحفظ هذا اليوم كما قال في السفر الثاني من التوراة احفظوا هذا اليوم سنة لخلوفكم الى الدهر فى أربعة عشر من الشهر الاول وليس معنى الشهر الاول هذا شهر تشرى ولكنه عني به شهر نيس من أجل أنهم أمروا أن يكون شهر الناسخ رأس شهورهم ويكون أول السنة فقال موسي عليه السلام للشعب اذكروا اليوم الذى خرجتم فيه من التعبد فلا تأكلوا خميراً فى هذا اليوم فى الشهر الذى ينضر فيه الشجر فلذلك اضطروا الى استعمال سنة الشمس ليقع اليوم الرابع عشر من شهر نيس في أوان الربيع حين تورق الاشجار وتزهو الثمار والى استعمال سنة القمر ليكون جرمه فيه بدرا تام الوضوء فى برج الميزان وأحوجهم ذلك الى الحاق الايام التي يتقدم بها عن الوقت المطلوب بالشهور اذا استوفيت أيام شهر واحد فألحقوها بها شهراً تاما سموه آذار الاول وسموا آذار الاصل آذار الثانى لانه ردف سميا له وتلاه وسموا السنة الكبيسة عبورا اشتقاقا من معبار وهي المرأة الحبلى بالعبرانية لانهم شبهوا دخول الشهر الزائد فى السنة بحمل المرأة ماليس من جملتها ولهم فى استخراج ذلك حسابات كثيرة مذكورة فى الازياج * وهم فى عمل الاشهر مفترقون فرقتين * احداهما الربانية واستعمالهم اياها على وجه الحساب بمسير الشمس والقمر الوسط سواء رؤى الهلال أو لم ير فان الشهر عندهم هو مدة مفروضة تمضى من لدن الاجتماع الكائن بين الشمس والقمر في كل شهر وذلك انهم كانوا وقت عودهم من الجالية ببابل الى بيت المقدس ينصبون على رؤس الجبال دبادب ويقيمون رقباء للفحص عن الهلال والزموهم بايقاد النار وتدخين دخان يكون علامة لحصول الرؤية وكانت بينهم وبين السامرة العداوة المعروفة فذهبت السامرة ورفعوا الدخان فوق الجبل قبل الرؤية بيوم ووالوا بين ذلك شهورا اتفق فى أوائلها أن السماء كانت متغيمة حتى فطن لذلك من فى بيت المقدس ورأوا الهلال غداة اليوم الرابع أو الثالث من الشهر مرتفعا عن الافق من جهة المشرق فعرفوا أن السامرة فتنتهم فالتجأوا الى أصحاب التعاليم فى ذلك الزمان ليأمنوا بما يتلقونه من حسابهم مكايد الاعداء واعتلوا لجواز العمل بالحساب ونيابته عن العمل بالرؤية بعلل ذكروها فعمل أصحاب الحساب لهم الادوار وعلموهم استخراج الاجتماعات ورؤية الهلال وانكر بعض الربانية حديث الرقباء ورفعهم الدخان وزعموا أن سبب استخراج هذا الحساب هو أن علماءهم علموا أن آخر أمرهم الى الشتات فخافوا اذا تفرقوا في الاقطار وعولوا على الرؤية أن تختلف عليهم في البلدان المختلفة فيتشاجروا فلذلك استخرجوا هذه الحسبانات واعتنى بها اليعازر بن فروح وأمروهم بالتزامها والرجوع اليها حيث كانوا * والفرقة الثانية هم المبادية الذين يعلمون مبادى الشهور من الاجتماع ويسمون القراء والاسمعية لانهم يراعون العمل بالنصوص دون الالتفات الى النظر والقياس ولم يزالوا على ذلك الى أن قدم

عانان رأس الجالوت من بلاد المشرق في نحو الاربعين ومائة من الهجرة الى دار السلام بالعراق فاستعمل الشهور برؤية الاهلة على مثل ماشرع في الاسلام ولم يبال أى يوم وقع من الاسبوع وترك حساب الربانيين وكبس الشهور بأن نظر كل سنة الى زرع الشعير بنواحي العراق والشام فيما بين أول شهر نيسن الى أن يمضى منه أربعة عشر يوما فان وجد باكورة تصلح للفريك والحصاد ترك السنة بسيطة وان وجدها لم تصلح لذلك كبسها حينئذ وتقدمت المعرفة بهذه الحالة ان من أخذ برأيه يخرج لسبعة تبقى من شفط فينظر بالشام والبقاع المشابهة له في المزاج الى زرع الشعير فان وجد السفا وهو شوك السنبل قد طلع عد منه الى الفاسح خمسين يوما وان لم يره طالعاً كبسها بشهر فبعضهم يردف الكبس بشفط فيكون في السنة شفط وشفط مرتين وبعضهم يردفه بآذر فيكون آذر وآذر في السنة مرتين وأكثر استعمال العانانية لشفط دون آذر كما أن الربانية تستعمل آذر دون غيره فمن يعتمد من الربانية عمل الشهور بالحساب يقول ان شهر تشرى لايكون أوله يوم الاحد والاربعاء وعدته عندهم ثلاثون يوما أبدا وفيه عيد رأس السنة وهو عيد البشارة بعتق الارقاء وهذا العيد في أول يوم منه ولهم أيضاً في اليوم العاشر منه صوم الكبور ومعناه الاستغفار وعند الربانيين أن هذا الصوم لايكون أبدا يوم الاحد ولا الثلاثاء ولا الجمعة وعند من يعتمد في الشهور الرؤية أن ابتداء هذا الصوم من غروب الشمس في ليلة العاشر الى غروبها من ليلة الحادي عشر وذلك أربع وعشرون ساعة والربانيون يجعلون مدة الصوم خمسا وعشرين ساعة الى أن تشتبك النجوم ومن لم يصم منهم هذا الصوم قتل شرعا وهم يعتقدون أن الله يغفر لهم فيه جميع الذنوب ماخلا الزنا بالمحصنات وظلم الرجل أخاه وجحد الربوبية وفيه أيضا عيد المظلة وهو سبعة أيام يعيدون في أولها ولا يخرجون من بيوتهم كما هو العمل يوم السبت وعدة أيام المظلة الى آخر اليوم الثانى والعشرين تمام سبعة أيام واليوم الثامن يقال له عيد الاعتكاف وهم يجلسون في هذه الايام السبعة التي أولها خامس عشر تشرى تحت ظلال سعف النخل الاخضر وأغصان الزيتون ونحوها من الاشجار التى لايتناثر ورقها على الارض ويزون أن ذلك تذكار منهم لاظلال الله آباءهم في التيه بالغمام وفيه أيضاً عيد القرائين خاصة صوم في اليوم الرابع والعشرين منه يعرف بصوم كدليا وعند الربانيين يكون هذا الصوم في ثالثه * وشهر مرحشوان ربما كان ثلاثين يوماوربما كان تسعة وعشرين يوماً وليس فيه عيد * وكسليو ربما كان ثلاثين يوماً وربما كان تسعة وعشرين يوماً وليس فيه عيد الا أن الربانيين يسرجون على أبوابهم ليلة الخامس والعشرين منه وهو مدة أيام يسمونها الحنكة وهو أمر محدث عندهم * وذلك أن بعض الجبابرة تغلب على بيت المقدس وقتل من كان فيه من بنى اسرائيل وافتض أبكارهم فوثب عليه أولاد كاهنهم وكانوا ثمانية

فقتله أصغرهم وطلب اليهود زيتا لوقود الهيكل فلم يجدوا الايسيرا وزعوه على عدد مايوقدونه من السرج في كل ليلة الى ثمان ليال فاتخذوا هذه الايام عيدا وسموها أيام الحنكة وهى كلمة مأخوذة من التنظيف لانهم نظفوا فيها الهيكل من أقذار أشياع ذلك الجبار والقراء لايعملون ذلك لانهم لايعولون على شئ من أمر البيت الثانى * وشهر طيبث عدد أيامه تسعة وعشرون يوماً وفي عاشره صوم سببه أنه في ذلك اليوم كان ابتداء محاصرة بخت نصر لمدينة بيت المقدس ومحاصرة طيطش لها أيضاً في الخراب الثانى * وشفط أيامه أبدا ثلاثون يوما وليس فيه عيد * وشهر آذر عند الربانيين كما تقدم يكون مرتين في كل سنة فآذر الاول عدد أيامه ثلاثون يوما ان كانت السنة كبيسة وان كانت بسيطة فأيامه تسعة وعشرون يوما وليس فيه عيد عندهم وآذر الثاني أيامه تسعة وعشرون يوما أبدا وفيه عند الربانيين صوم الفوز فى اليوم الثالث عشر منه والفوز في اليوم الرابع عشر واليوم الخامس عشر وأما القراؤن فليس عندهم في السنة شهر آذر سوى مرة واحدة ويجعلون صوم الفوز في ثالث عشره وبعده الى الخامس عشر وهذا أيضاً محدث وذلك أن بخت نصر لما أجلى بنى اسرائيل من بيت المقدس وخربه ساقهم جلاية الى بلاد العراق وأسكنهم في مدينة جي التى يقال لها أصبهان فلما ملك أزدشير بن بابك ملك الفرس وتسميه اليهود أحشوارش كان له وزير يسمي هيمون وكان لليهود حينئذ حبر يقال له مردوخاى فبلغ أزدشير أن له ابنة عم جميلة الصورة فتزوجها وحظيت عنده واستدنى مردوخاى ابن عمها وقربه فحسده الوزير هيمون وعمل علي هلاكه وهلاك اليهود الذين فى مملكة أزدشير ورتب مع نواب أزدشير في سائر أعماله أن يقتلوا كل يهودى عندهم في يوم عينه لهم وهو الثالث عشر من آذر فبلغ ذلك مردوخاى فاعلم ابنة عمه بما دبره الوزير وحثها على اعمال الحيلة فى تخليص قومها من الهلكة فأعلمت أزدشير بحسد الوزير لمردوخاى على قربه من الملك واكرامه وما كتب به الى العمال من قتل اليهود وما زالت به تغريه على الوزير الى أن أمر بقتله وقتل اهله وكتب لليهود أماناً فاتخذ اليهود هذا اليوم من كل سنة عيدا وصاموه شكراً لله تعالى وجعلوا من بعده يومين اتخذوهما أيام فرح وسرور ولهو ومهاداة من بعضهم لبعض وهم على ذلك الى اليوم وربما صور بعضهم فى هذا اليوم صورة هيمون الوزير وهم يسمونه هامان فاذا صوروه ألقوه بعد العبث به فى النار حتى يحترق * وشهر نيسن عدد أيامه ثلاثون يوماً أبدا وفيه عيد الفاسح الذي يعرف اليوم عند النصارى بالفسح ويكون في الخامس عشر منه وهو سبعة أيام يأكلون فيها الفطير وينظفون بيوتهم من أجل أن الله سبحانه خاص بنى اسرائيل من أسر فرعون في هذه الايام حتى خرجوا من مصر مع نبى الله موسي بن عمران عليه السلام وتبعهم فرعون فأغرقه الله ومن معه وسار موسي ببني اسرائيل الى التيه ولما

خرجوا من مصر مع موسى كانوا يأكلون اللحم والخبز والفطير وهم فرحون بخلاصهم من يد فرعون فامروا باتخاذ الفطير وأكله في هذه الايام ليذكروا به مامن الله عليهم به من انقاذهم من العبودية وفى آخر هذه الايام السبعة كان غرق فرعون وهو عندهم يوم كبير ولا يكون أول هذا الشهر عند الربانيين أبدا يوم الاثنين ولا يوم الاربعاء ولا يوم الجمعة ويكون أول الخمسينيات من نصفه * وشهر ايار عدد أيامه تسعة وعشرون يوما وفيه عيد الموقف وهو حج الاسابيع وهى الاسابيع التي فرضت على بني اسرائيل فيها الفرائض ويقال لهذا العيد فى زمننا عيد العنصرة وعيد الخطاب ويكون بعد عيد الفطير وفيه خوطب بنو اسرائيل في طور سيناء ويكون هذا العيد فى السادس منه وفيه أيضا يوم الخميس وهو آخر الخمسينيات ولا يكون عيد العنصرة عند الربانيين أبدا يوم الثلاثاء ولا يوم الخميس ولا يوم السبت * وشهر تموز أيامه تسعة وعشرون يوما وليس فيه عيد لكنهم يصومون في تاسعه لان فيه هدم سور بيت المقدس عند محاصرة بخت نصر له والربانيون خاصة يصومون يوم السابع عشر منه لان فيه هدم طيطش سور بيت المقدس وخرب البيت الخراب الثانى * وشهر آب ثلاثون يوما وفيه عيد القرائين صوم فى اليوم السابع واليوم العاشر لان بيت المقدس خرب فيهما على يد بخت نصر وفيه أيضاً كان اطلاق بخت نصر النار فى مدينة القدس وفي الهيكل ويصوم الربانيون اليوم التاسع منه لان فيه خرب البيت على يد طيطش الخراب الثاني * وشهر أيلول تسعة وعشرون يوما أبداً وليس فيه عيد والله تعالى أعلم

*( ذكر معنى قولهم يهودى )*

اعلم أن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم صلوات الله عليهم أجمعين سماه الله اسرائيل ومعنى ذلك الذى رأسه القادر وكان له من الولد اثنا عشر ذكراً يقال لكل واحد منهم سبط ويقال لمجموعهم الاسباط وهذه أسماؤهم روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا ويساخر وزبولون والستة أشقاء أمهم ليا بنت لابان بن بتويل بن ناحور أخى ابرهيم الخليل وكان وأشار ودان ونفتالى ويوسف وبنيامين فلما كبر هؤلاء الاسباط الاثنا عشر قدم عليهم أبوهم يعقوب وهو اسرائيل ابنه يهوذا وجعله حاكما على اخوته الاحد عشر سبطا فاستمر رئيسا وحاكما على اخوته الى أن مات فورثت أولاد يهوذا رياسة الاسباط من بعده الى أن أرسل الله تعالى موسى بن عمران بن قاهات بن لاوى بن يعقوب الى فرعون بعد وفاة يوسف بن يعقوب عليهما السلام بمائة وأربع وأربعين سنة وهم رؤساء الاسباط فلما نجى الله موسى وقومه بعد غرق فرعون ومن معه رتب عليه السلام بنى اسرائيل الاثنى عشر سبطا أربع فرق وقدم على جميعهم سبط يهوذا فلم يزل سبط يهوذا مقدما على سائر الاسباط أيام حياة موسى عليه السلام وأيام حياة يوشع بن نون فلما مات يوشع سأل بنو

اسرائيل الله تعالى وابتهلوا اليه فى قبة الشمشار أن يقدم عليهم واحدا منهم فجاء الوحي من الله بتقديم عثنيئال بن قناز من سبط يهوذا فتقدم على سائر الاسباط وصار بنو يهوذا مقدمين على سائر الاسباط من حينئذ الى أن ملك الله على بنى اسرائيل نبيه داود وهو من سبط يهوذا فورث ملك بنى اسرائيل من بعده ابنه سليمان بن داود عليهما السلام فلما مات سليمان افترق ملك بنى اسرائيل من بعده وصار لمدينة شمرون التى يقال لها اليوم نابلس عشرة أسباط وبقى بمدينة القدس سبطان هما سبط يهوذا وسبط بنيامين وكان يقال لسكان شمرون بنو اسرائيل ويقال لسكان القدس بنو يهوذا الى أن انقرضت دولة بنى اسرائيل من مدينة شمرون بعد مائتين واحدي وخمسين سنة فصاروا كلهم بالقدس تحت طاعة الملوك من بنى يهوذا الى أن قدم بخت نصر وخرب القدس وجلا جميع بني اسرائيل الى بابل فعرفوا هناك بين الامم ببنى يهوذا واستمر هذا سمة لهم بين الامم بعد ذلك الى أن جاء الله بالاسلام فكان يقال للواحد منهم يهوذي بذال معجمة نسبة الى سبط يهوذا وتلاعب العرب بذلك على عادتهم في التلاعب بالاسماء المعجمة وقالوها بدال مهملة وسموا طائفة بني اسرائيل اليهود وبهذه اللغة نزل القرآن ويقال ان أول من سمي بني اسرائيل اليهود بخت نصر والله يعلم وأنتم لاتعلمون

*( ذكر معتقد اليهود وكيف وقع عندهم التبديل )*

اعلم أن الله سبحانه لما أنزل التوراة على نبيه موسى عليه السلام ضمنها شرائع الملة الموسوية وأمر فيها أن يكتب لكل من يلي أمر بنى اسرائيل كتاب يتضمن أحكام الشريعة لينظر فيه ويعمل به وسمى هذا الكتاب بالعبرانية مشنا ومعناه استخراج الاحكام من النص الالهي وكتب موسى عليه السلام بخط يده مشنا كأنه تفسير لما في التوراة من الكلام الالهي فلما مات موسى عليه السلام وقام من بعده بأمر بني اسرائيل يوشع بن نون ومن بعده الى أن كانت أيام يهويا قيم ملك القدس غزاهم بخت نصر الغزوة الاولى وهم يكتبون لكل من ملكهم مشنا ينقلونها من المشنا التي بخط موسى ويجعلونها باسمه فلما جلا بخت نصر يهويا قيم الملك ومعه أعيان بنى اسرائيل وكبراء بيت المقدس وهم في زيادة على عشرة آلاف نفس ساروا ومعهم نسخ المشنا التى كتبت لسائر ملوك بني اسرائيل بأجمعها الى بلاد المشرق فلما سار بخت نصر من بابل الكرة الثانية لغزو القدس وخربه وجلا جميع من فيه وفي بلاد بني اسرائيل من الاسباط الاثني عشر الى بابل أقاموا بها وبقى القدس خرابا لاساكن فيه مدة سبعين سنة ثم عادوا من بابل بعد سبعين سنة وعمروا القدس وجددوا بناء البيت ثانيا ومعهم جميع نسخ المشنا التي خرجوا بها أولا فلما مضت من عمارة البيت الثاني بعد الجلاية ثلثمائة ونيف من السنين اختلف بنو اسرائيل فى دينهم اختلافا كثيرا فخرج طائفة

من آل داود عليه السلام من بيت المقدس وساروا الى الشرق كما فعل آباؤهم أولا وأخذوا معهم نسخا من المشنا التى كتبت للملوك من مشنا موسى التي بخطه وعملوا بما فيها ببلاد الشرق من حين خرجوا من القدس الى أن جاء الله بدين الاسلام وقدم عانان رأس الجالوت من المشرق الى العراق فى خلافة أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور سنة ست وثلاثين ومائة من سني الهجرة المحمدية * وأما الذين أقاموا بالقدس من بني اسرائيل بعد خروج من ذكرنا الى الشرق من آل داود فانهم لم يزالوا في افتراق واختلاف فى دينهم الى أن غزاهم طيطش وخرب القدس الخراب الثانى بعد قتل يحيي بن زكريا ورفع المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام وسبى جميع من فيه وفي بلاد بني اسرائيل بأسرهم وغيب نسخ المشنا التى كانت عندهم بحيث لم يبق معهم من كتب الشريعة سوى التوراة وكتب الانبياء وتفرق بنو اسرائيل من وقت تخريب طيطش بيت المقدس فى أقطار الارض وصاروا ذمة الى يومنا هذا ثم ان رجلين ممن تأخر الى قبيل تخريب القدس يقال لهما شماى وهلال نزلا مدينة طبرية وكتبا كتابا سمياه مشنا باسم مشنا موسى عليه السلام وضمنا هذا المشنا الذي وضعاه أحكام الشريعة ووافقهما على وضع ذلك عدة من اليهود وكان شماى وهلال في زمن واحد وكانا في أواخر مدة تخريب البيت الثانى وكان لهلال ثمانون تلميذا أصغرهم يوحانان بن زكاي وأدرك يوحانان بن زكاى خراب البيت الثانى على يد طيطش وهلال وشماي أقوالهما مذكورة فى المشنا وهي فى ستة أسفار تشتمل على فقه التوراة وانما رتبها النوسى من ولد داود النبي بعد تخريب طيطش للقدس بمائة وخمسين سنة ومات شماى وهلال ولم يكملا المشنا فاكمله رجل منهم يعرف بيهودا من ذرية هلال وحمل اليهود على العمل بما في هذا المشنا وحقيقته انه يتضمن كثيرا مما كان في مشنا النبي موسى عليه السلام وكثيراً من آراء أكابرهم فلما كان بعد وضع هذا المشنا بنحو خمسين سنة قام طائفة من اليهود يقال لهم السنهدوين ومعني ذلك الاكابر وتصرفوا في تفسير هذا المشنا برأيهم وعملوا عليه كتابا اسمه التلمود أخفوا فيه كثيرا مما كان فى ذلك المشنا وزادوا فيه أحكاما من رأيهم وصاروا منذ وضع هذا التلمود الذي كتبوه بأيديهم وضمنوه ماهو من رأيهم ينسبون مافيه الي الله تعالى ولذلك ذمهم الله في القرآن الكريم بقوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وهذا التلمود نسختان مختلفتان في الاحكام والعمل الى اليوم على هذا التلمود عند فرقة الربانيين بخلاف القرائين فانهم لايعتقدون العمل بما في هذا التلمود فلما قدم عانان رأس الجالوت الى العراق انكر على اليهود عملهم بهذا التلمود وزعم أن الذى بيده هو الحق لانه كتب من النسخ التى كتبت من مشنا موسى عليه السلام الذى بخطه والطائفة الربانيون ومن وافقهم لايعولون من

التوراة التي بأيديهم الا على مافي هذا التلمود وما خالف مافي التلمود لا يعبأون به ولا يعولون عليه كما أخبر تعالى اذ يقول حكاية عنهم انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ومن اطلع على ما بأيديهم وماعندهم من التوراة تبين له انهم ليسوا على شئ وأنهم ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولذلك لما نبغ فيهم موسى بن ميمون القرطبي عولوا على رأيه وعملوا بما في كتاب الدلالة وغيره من كتبه وهم على رأيه الي زمننا

*( ذكر فرق اليهود الآن )*

اعلم أن اليهود الذين قطعهم الله فى الارض أمما أربع فرق كل فرقة تخطئ الطوائف الاخر وهي طائفة الربانيين وطائفة القرائين وطائفة العانانية وطائفة السمرة وهذا الاختلاف حدث لهم بعد تخريب بخت نصر بيت المقدس وعودهم من أرض بابل بعد الجلاية الى القدس وعمارة البيت ثانيا وذلك انهم في اقامتهم بالقدس أيام العمارة الثانية افترقوا في دينهم وصاروا شيعا فلما ملكهم اليونان بعد الاسكندر بن فيلبش وقام بأمرهم فى القدس هورقانوس ابن شمعون بن مشيثا واستقام أمره فسمي ملكا وكان قبل ذلك هو وجميع من تقدمه ممن ولى أمر اليهود فى القدس بعد عودهم من الجلاية انما يقال له الكوهن الاكبر فاجتمع لهورقانوس منزلة الملك ومنزلة الكهونية واطمأن اليهود في أيامه وامنوا سائر أعدائهم من الامم فبطروا معيشتهم واختلفوا في دينهم وتعادوا بسبب الاختلاف وكان من جملة فرقهم اذ ذاك طائفة يقال لها الفروشيم ومعناه المعتزلة ومن مذهبهم القول بما في التوراة على معني مافسره الحكماء من اسلافهم وطائفة يقال لهم الصدوقية بفاء نسبوا الى كبير لهم يقال له صدوف ومذهبهم القول بنص التوراة وما دل عليه القول الا لهى فيها دون ماعداه من الاقوال وطائفة يقال لهم الجسديم ومعناه الصلحاء ومذهبهم الاشتغال بالنسك وعبادة الله سبحانه والاخذ بالافضل والاسلم في الدين وكانت الصدوفية تعادى المعتزلة عداوة شديدة وكان الملك هورقانوس أولا على رأى المعتزلة وهو مذهب آبائه ثم انه رجع الى مذهب الصدوفية وباين المعتزلة وعاداهم ونادى في سائر مملكته بمنع الناس جملة من تعلم رأي المعتزلة والاخذ عن أحد منهم وتتبعهم وقتل منهم كثيرا وكانت العامة بأسرها مع المعتزلة فثارت الشرور بين اليهود واتصلت الحروب بينهم وقتل بعضهم بعضا الى أن خرب البيت على يد طيطش الخراب الثاني بعد رفع عيسى صلوات الله عليه وتفرق اليهود من حينئذ فى أقطار الدنيا وصاروا ذمة والنصارى تقتلهم حيثما ظفرت بهم الى أن جاء الله بالملة الاسلامية وهم في تفرقهم ثلاث فرق الربانيون والقراء والسمرة *(فأما الربانية ) فيقال لهم بنو مشنو ومعني مشنو الثانى وقيل لهم ذلك لانهم يعتبرون أمر البيت الذى بنى ثانيا بعد عودهم من الجلاية وخربه طيطش وينزلونه فى الاحترام والاكرام والتعظم منزلة البيت الاول الذى

ابتدأ عمارته داود وأتمه ابنه سليمان عليهما السلام وخربه بخت نصر فصار كأنه يقال لهم أصحاب الدعوة الثانية وهذه الفرقة هي التي كانت تعمل بما في المشنا الذى كتب بطبرية بعد تخريب طيطش القدس وتعول في أحكام الشريعة على مافي التلمود الى هذا الوقت الذى نحن فيه وهى بعيدة عن العمل بالنصوص الالهية متبعة لآراء من تقدمها من الاحبار ومن اطلع على حقيقة دينها تبين له أن الذى ذمهم الله به في القرآن الكريم حق لامرية فيه وانه لايصح لهم من اسم اليهودية الا مجرد الانتماء فقط لانهم في الاتباع على الملة الموسوية لاسيما منذ ظهر فيهم موسى بن ميمون القرطبي بعد الخمسمائة من سني الهجرة المحمدية فانه ردهم مع ذلك معطلة فصاروا فى أصول دينهم وفروعه أبعد الناس عما جاء به أنبياء الله تعالى من الشرائع الالهية * ( وأما القراء ) فانهم بنو مقرا ومعنى مقرا الدعوة وهم لايعولون على البيت الثانى جملة ودعوتهم انما هى لما كان عليه العمل مدة البيت الاول وكان يقال لهم أصحاب الدعوة الاولى وهم يحكمون نصوص التوراة ولا يلتفتون الى قول من خالفها ويقفون مع النص دون تقليد من سلف وهم مع الربانيين من العداوة بحيث لايتناكحون ولا يتجاورون ولا يدخل بعضهم كنيسة بعض ويقال للقرائين أيضاً المبادية لانهم كانوا يعملون مبادى الشهور من الاجتماع الكائن بين الشمس والقمر ويقال لها أيضاً الاسمعية لانهم يراعون العمل بنصوص التوراة دون العمل بالقياس والتقليد * ( وأما العانانية )* فانهم ينسبون الى عانان رأس الجالوت الذى قدم من المشرق في أيام الخليفة أبي جعفر المنصور ومعه نسخ المشنا الذى كتب من الخط الذى كتب من خط النبي موسى وانه رأى ماعليه اليهود من الربانيين والقرائين يخالف مامعه فتجرد لخلافهم وطعن عليهم فى دينهم وازدري بهم وكان عظيما عندهم يرون انه من ولد داود عليه السلام وعلى طريق فاضلة من النسك على مقتضى ملتهم بحيث يرون انه لو ظهر فى أيام عمارة البيت لكان نبيا فلم يقدروا على مناظرته لما اوتى مع ماذكرنا من تقريب الخليفة له واكرامه وكان مما خالف فيه اليهود استعمال الشهور برؤية الاهلة على مثل ماشرع في الملة الاسلامية ولم يبال فى أى يوم وقع من الاسبوع وترك حساب الربانيين وكبس الشهور وخطأهم فى العمل بذلك واعتمد على كشف زرع الشعير وأجمل القول في المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وأثبت نبوة نبينا محمد صلي الله عليه وسلم وقال هو نبى أرسل الى العرب الا أن التوراة لم تنسخ والحق انه أرسل الي الناس كافة صلي الله عليه وسلم * ( ذكر السمرة ) * اعلم أن طائفة السمرة ليسوا من بنى اسرائيل البتة وانما هم قوم قدموا من بلاد المشرق وسكنوا بلاد الشام وتهودوا ويقال انهم من بني سامرك بن كفر كابن رمى وهو شعب من شعوب الفرس خرجوا الى الشام ومعهم الخيل والغنم والابل والقسي والنشاب والسيوف والمواشى ومنهم السمرة الذين تفرقوا في البلاد

ويقال ان سليمان بن داود لما مات افترق ملك بنى اسرائيل من بعده فصار رحبعم بن سليمان على سبط يهودا بالقدس وملك يربعم بن نياط على عشرة أسباط من بنى اسرائيل وسكن خارجا عن القدس واتخذ عجلين دعا الاسباط العشرة الى عبادتهما من دون الله الى أن مات فولى ملك بنى اسرائيل من بعده عدة ملوك على مثل طريقته فى الكفر بالله وعبادة الأوثان الى أن ملكهم عمرى بن نوذب من سبط منشا بن يوسف فاشترى مكانا من رجل اسمه شامر بقنطار فضة وبنى فيه قصرا وسماه باسم اشتقه من اسم شامر الذى اشترى منه المكان وصير حول هذا القصر مدينة وسماها مدينة شمرون وجعلها كرسي ملكه الى أن مات فاتخذها ملوك بني اسرائيل من بعده مدينة للملك وما زالوا فيها الى أن ولى هو شاع بن ايلا وهم على الكفر بالله وعبادة وثن بعل وغيره من الأوثان مع قتل الأنبياء الى أن سلط الله عليهم سنجاريب ملك الموصل فحاصرهم بمدينة شمرون ثلاث سنين وأخذ هوشاع أسيرا وجلاه ومعه جميع من فى شمرون من بني اسرائيل وأنزلهم بهراه وبلخ ونهاوند وحلوان فانقطع من حينئذ ملك بنى اسرائيل من مدينة شمرون بعد ماملكوا من بعد سليمان عليه السلام مدة مائتي سنة واحدى وخمسين سنة ثم ان سنجاريب ملك الموصل نقل الى شمرون كثيراً من أهل كوشا وبابل وحماه وأنزلهم فيها ليعمروها فبعثوا اليه يشكون من كثرة هجوم الوحش عليهم بشمرون فسير اليهم من علمهم التوراة فتعلموها على غير ما يجب وصاروا يقرؤنها ناقصة أربعة أحرف الألف والهاء والحاء والعين فلا ينطقون بشئ من هذه الاحرف فى قراءتهم التوراة وعرفوا بين الامم بالسامرة لسكناهم بمدينة شمرون وشمرون هذه هي مدينة نابلس وقيل لها سمرون بسين مهملة ولسكانها سامرة ويقال معنى السمرة حفظة ونواطير فلم تزل السمرة بنابلس الى أن غزا بخت نصر القدس وأجلى اليهود منه الى بابل ثم عادوا بعد سبعين سنة وعمروا البيت ثانيا الى أن قام الاسكندر من بلاد اليونان وخرج يريد غزو الفرس فمر على القدس وخرج منه يريد عمان فاجتاز على نابلس وخرج اليه كبير السمرة بها وهو سنبلاط السامرى فأنزله وصنع له ولقواده وعظماء أصحابه صنيعاً عظيما وحمل اليه أموالا جمة وهدايا جليلة واستأذنه في بناء هيكل لله على الجبل الذى يسمى عندهم طور بريك فأذن له وسار عنه الى محاربة دارا ملك الفرس فبنى سنبلاط هيكلا شبيها بهيكل القدس ليستميل به اليهود وموه عليهم بأن طور بريك هو الموضع الذي اختاره الله تعالى وذكره في التوراة بقوله فيها اجعل البركة على طور بريك وكان سنبلاط قد زوج ابنته بكاهن من كهان بيت المقدس يقال له منشا فمقت اليهود منشا على ذلك وأبعدوه وحطوه عن مرتبته عقوبة له على مصاهرة سنبلاط فأقام سنبلاط منشا زوج ابنته كاهناً فى هيكل طور بريك وأتته طوائف من اليهود وضلوا به وصاروا يحجون الى هيكله فى الاعياد

ويقربون قرابينهم اليه ويحملون اليه نذورهم وأعشارهم وتركوا قدس الله وعدلوا عنه فكثرت الاموال فى هذا الهيكل وصار ضد البيت المقدس واستغنى كهنته وخدامه وعظم أمر منشا وكبرت حالته فلم تزل هذه الطائفة تحج الى طوربريك حتي كان زمن هورقانوس ابن شمعون الكوهن من بنى حشمتاى في بيت المقدس فسار الى بلاد السمرة ونزل على مدينة نابلس وحصرها مدة وأخذها عنوة وخرب هيكل طوربريك الى أساسه وكانت مدة عمارته مائتى سنة وقتل من كان هناك من الكهنة فلم تزل السمرة بعد ذلك الى يومنا هذا تستقبل في صلاتها حيثما كانت من الارض طوربريك بجبل نابلس ولهم عبادات تخالف ماعليه اليهود ولهم كنائس في كل بلد تخصهم والسمرة ينكرون نبوة داود ومن تلاه من الانبياء وأبوا أن يكون بعد موسى عليه السلام نبى وجعلوا رؤساءهم من ولد هارون عليه السلام واكثرهم يسكن في مدينة نابلس وهم كثير في مدائن الشام ويذكر أنهم الذين يقولون لامساس ويزعمون أن نابلس هي بيت المقدس وهى مدينة يعقوب عليه السلام وهناك مراعيه * وذكر المسعودى أن السمرة صنفان متباينان أحدهما يقال له الكوشان والآخر الروشان أحد الصنفين يقول بقدم العالم والسامرة تزعم أن التوراة التي فى أيدى اليهود ليست التوراة التي أوردها موسي عليه السلام ويقولون توراة موسى حرفت وغيرت وبدلت وان التوراة هى مابأيديهم دون غيرهم * وذكر أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى أن السامرة تعرف بالامساسية قال وهم الابدال الذين بدلهم بخت نصر بالشام حين أسر اليهود وأجلاها وكانت السامرة أعانوه ودلوه على عورات بني اسرائيل فلم يحربهم ولم يقتلهم ولم يسبهم وأنزلهم فلسطين من تحت يده ومذاهبهم ممتزجة من اليهودية والمجوسية وعامتهم يكونون بموضع من فلسطين يسمى نابلس وبها كنائسهم ولا يدخلون حد بيت المقدس منذ أيام داود النبي عليه السلام لانهم يدعون انه ظلم واعتدى وحول الهيكل المقدس من نابلس الى ايليا وهو بيت المقدس ولايمسون الناس واذا مسوهم اغتسلوا ولا يقرون بنبوة من كان بعد موسى عليه السلام من انبياء بنى اسرائيل * وفى شرح الانجيل ان اليهود انقسمت بعد أيام داود الى سبع فرق *( الكتاب )* وكانوا يحافظون على العادات التى اجمع عليها المشايخ مما ليس في التوراة * ( والمعتزلة ) * وهم الفريسيون وكانوا يظهرون الزهد ويصومون يومين في الاسبوع ويخرجون العشر من أموالهم ويجعلون خيوط القرمز في رؤس ثيابهم ويغسلون جميع أوانيهم ويبالغون في اظهار النظافة * ( والزنادقة ) * وهم من جنس السامرة وهم من الصدوقية فيكفرون بالملائكة والبعث بعد الموت وبجميع الانبياء ماخلا موسى فقط فانهم يقرون بنبوته * ( والمتطهرون ) * وكانوا يغتسلون كل يوم ويقولون لايستحق حياة الابد الا من يتطهر كل يوم * ( والاسابيون ) * ومعناه الغلاظ الطباع وكانوا يوجبون جميع

الاوامر الالهية وينكرون جميع الانبياء سوى موسى عليه السلام ويتعبدون بكتب غير الانبياء * ( والمتقشفون ) وكانوا يمنعون اكثر المآكل وخاصة اللحم ويمنعون من التزوج بحسب الطاقة ويقولون بأن التوراة ليست كلها لموسى ويتمسكون بصحف منسوبة الى اخنوخ وابراهيم عليه السلام وينظرون فى علم النجوم ويعملون بها * ( والهيرذوسيون ) سموا انفسهم بذلك لموالاتهم هيرذوس ملكهم وكانوا يتبعون التوراة ويعملون بما فيها انتهى * وذكر يوسف بن كريون في تاريخه أن اليهود كانوا في زمن ملكهم هورقانوس يعنى فى زمن بناء البيت بعد عودهم من الجلاية ثلاث فرق * الفروشيم ومعناه المعتزلة ومذهبهم القول بما في التوراة وما فسره الحكماء من سلفهم * والصدوقية أصحاب رجل من العلماء يقال له صدوف ومذهبهم القول بنص التوراة وما دلت عليه دون غيره * والجسديم ومعناه الصلحاء وهم المشتغلون بالعبادة والنسك الآخذون في كل أمر بالافضل والاسلم في الدين انتهى وهذه الفرقة هي أصل فرقتي الربانيين والقراء * ( فصل ) زعم بعضهم أن اليهود عانانية وشمعونية نسبة الى شمعون الصديق ولى القدس عند قدوم أبي الاسكندر وجالوتية وفيومية وسامرية وعكبرية وأصبهانية وعراقية ومغاربة وشرشتانية وفلسطينية ومالكية وربانية * فالعانانية ( ٣ ) تقول بالتوحيد والعدل ونفى التشبيه * والشمعونية تشبه * وتبالغ الجالوتية في التشبيه * وأما الفيومية فانها تنسب الى أبي سعيد الفيومي وهم يفسرون التوراة على الحروف المقطعة * والسامرية ينكرون كثيرا من شرائعهم ولا يقرون بنبوة من جاء بعد يوشع * والعكبرية أصحاب أبي موسى البغدادى العكبرى واسماعيل العكبرى يخالفون أشياء من السبت وتفسير التوراة * والاصبهانية أصحاب أبي عيسى الاصبهاني وادعى النبوة وانه عرج به الى السماء فمسح الرب على رأسه وانه رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فآمن به ويزعم يهود أصبهان انه الدجال وانه يخرج من ناحيتهم * والعراقية تخالف الخراسانية في أوقات أعيادهم ومدد أيامهم * والشرشتانية أصحاب شرشتان زعم أنه ذهب من التوراة ثمانون سوقة أي آية وادعى أن للتوراة تأويلا باطنا مخالفا للظاهر * وأما يهود فلسطين فزعموا أن العزيز ابن الله تعالى وانكر اكثر اليهود هذا القول * والمالكية تزعم أن الله تعالى لايحيي يوم القيامة من الموتى الا من احتج عليه بالرسل والكتب ومالك هذا هو تلميذ عانان * والربانية تزعم أن الحائض اذا مست ثوباً بين ثياب وجب غسل جميعها * والعراقية تعمل رؤس الشهور بالاهلة وآخرون بالحساب يعملون والله اعلم * ( فصل ) وهم يوجبون الايمان بالله وحده وبموسى عليه السلام وبالتوراة ولا بد لهم من درسها وتعلمها ويغتسلون ويتوضؤن ولا يمسحون رؤسهم في وضوئهم ويبدءون بالرجل اليسرى

( ٣ ) ( قوله فالعانانية الخ ) لم يذكر في النشر المغاربة كما ذكرهم فى اللف وليحرر اه مصححه

وفي شئ منه خلاف بينهم وعانان يرى أن الاستنجاء قبل الوضوء ويرى اشمعث أن الاستنجاء بعد الوضوء ولا يتوضؤن بما تغير لونه أو طعمه أو ريحه ولا يجيزون الطهارة من غدير مالم يكن عشرة أذرع في مثلها والنوم قاعدا لاينقض الوضوء عندهم مالم يضع جنبه الارض الا العانانية فان مطلق النوم عندهم ينقض ومن أحدث في صلاته من قئ أو رعاف أو ريح انصرف وتوضأ وبنى على صلاته ولا تجوز صلاة الرجل في أقل من ثلاثة أثواب قميص وسراويل وملاءة يتردى بها فان لم يجد الملاءة صلى جالسا فان لم يجد القميص والسراويل صلى بقلبه ولا تجوز صلاة المرأة في أقل من أربعة أثواب وعليهم فريضة ثلاث صلوات في اليوم والليلة عند الصبح وبعد الزوال الى غروب الشمس ووقت العتمة الى ثلث الليل ويسجدون في دبر كل صلاة سجدة طويلة وفي يوم السبت وأيام الاعياد يزيدون خمس صلوات على تلك الثلاث * ولهم خمسة أعياد * ( عيد الفطير ) وهو الخامس عشر من نيسن يقيمون سبعة أيام لايأكلون سوى الفطير وهي الايام التى تخلصوا فيها من فرعون وأغرقه الله * ( وعيد الاسابيع ) بعد الفطير بسبعة أسابيع وهو اليوم الذي كلم الله تعالى فيه بني اسرائيل من طور سيناء * ( وعيد رأس الشهر ) وهو أول تشرى وهو الذى فدى فيه اسحاق عليه السلام من الذبح ويسمونه عيد رأس هشايا أي رأس الشهر * ( وعيد صوماريا ) يعني الصوم العظيم * ( وعيد المظلة ) يستظلون سبعة أيام بقضبان الآس والخلاف * ويجب عليهم الحج في كل سنة ثلاث مرات لما كان الهيكل عامرا * ويوجبون صوم أربعة أيام * أولها سابع عشر تموز من الغروب الى الغروب وعند العانانية هو اليوم الذى أخذ فيه بخت نصر البيت * والثانى عشر آب * والثالث عشر كانون الاول * والرابع ثالث عشر آذار * ويتشددون في أمر الحائض بحيث يعتزلونها وثيابها وأوانيها وما مسته من شئ فانه يجس ويجب غسله فان مست لحم القربان أحرق بالنار ومن مسها أو شيئا من ثيابها وجب عليه الغسل وما عجنته أو خبزته أو طبخته أو غسلته فكله نجس حرام على الطاهر بن حل المحيض ومن غسل ميتا نجس سبعة أيام لايصلي فيها وهم يغسلون موتاهم ولا يصلون عليهم * ويوجبون اخراج العشر من جميع مايملك ولا يجب حتي يبلغ وزنه أو عدده مائة ولا يخرج العشر الا مرة واحدة ثم لايعاد اخراجه * ولايصح النكاح عندهم الا بولى وخطبة وثلاثة شهود ومهر مائتى درهم للبكر ومائة للثيب لا أقل من ذلك ويحضر عند عقد النكاح كأس خمر وباقة مرسين فيأخذ الامام الكأس ويبارك عليه ويخطب خطبة النكاح ثم يدفعه الى الختن ويقول قد تزوجت فلانة بهذه الفضة أو بهذا الذهب وهو خاتم في يده وبهذا الكأس من الخمر وبمهر كذا ويشرب جرعة من الخمر ثم ينهضون الى المرأة ويأمرونها أن تأخذ الخاتم والمرسين والكاس من يد الختن فاذا أخذت وشربت جرعة وجب عقد النكاح ويضمن

أولياء المرأة البكارة فاذا زفت اليه وكل الولى من يقف بباب الخلوة وقد فرشت ثياب بيض حتى يشاهد الوكيل الدم فان لم توجد بكرا رجمت ولا يجوز عندهم نكاح الاماء حتى يعتقن ثم ينكحن والعبد يعتق بعد خدمته لسنين معلومة وهي ست سنين ومنهم من يجوز بيع صغار أولاده اذا احتاج ولا يجوزون الطلاق الا بفاحشة أوسحر أورجوع عن الدين وعلى من طلق خمسة وعشرون درهما للبكر ونصف ذلك للثيب وينزل فى كتابها طلاقها بعد أن يقول الزوج أنت طالق منى مائة مرة ومختلعة منى وفى سعة أن تتزوجي من شئت ولا يقع طلاق الحامل أبدا نعم الا أن يجوزوه ويراجع الرجل امرأته مالم تتزوج فان تزوجت حرمت عليه الى الابد * والخيار بين المتبايعين مالم ينتقل المبيع الى البائع * والحدود عندهم على خمسة أوجه حرق ورجم وقتل وتعزير وتغريم فالحرق على من زنى بام امرأته أو ربيبته أو بامرأة أبيه أو امرأة ابنه والقتل على من قتل والرجم على المحصن اذا زنى أو لاط وعلى المرأة اذا مكنت من نفسها بهيمة والتعزير على من قذف والتغريم على من سرق ويرون أن البينة على المدعي واليمين على من انكر وعندهم أن من أتى بشيء من سبعة وثلاثين (٣) عملا في يوم السبت أو ليلته استحق القتل وهى كرب الارض وزرعها وحصاد الزرع وسياقة الماء الى الزرع وحلب اللبن وكسر الحطب واشعال النار وعجن العجين وخبزه وخياطة الثوب وغسله ونسج سلكين وكتابة حرفين أو نحوهما وأخذ الصيد وذبح الحيوان والخروج من القرية والانتقال من بيت الى آخر والبيع والشراء والدق والطحن والاحتطاب وقطع الخبز ودق اللحم واصلاح النعل اذا انقطعت وخلط علف الدابة ولا يجوز للكاتب أن يخرج يوم السبت من منزله ومعه قلمه ولا الخياط ومعه ابرته وكل من عمل شيئاً استحق به القتل فلم يسلم نفسه فهو ملعون

* ( ذكر قبط مصر ودياناتهم القديمة وكيف تنصروا ثم صاروا ذمة للمسلمين وما كان لهم في ذلك من القصص والانباء وذكر الخبر عن كنائسهم وديارتهم وكيف كان ابتداؤها ومصير أمرها ) *

اعلم أن جميع أهل الشرائع أتباع الانبياء عليهم السلام من المسلمين واليهود والنصارى قد أجمعوا على أن نوحا عليه السلام هو الاب الثانى للبشر وأن العقب من آدم عليه السلام انحصر فيه ومنه ذرأ الله تعالى جميع أولاد آدم فليس أحد من بنى آدم الا وهو من أولاد نوح وخالفت القبط والمجوس وأهل الهند والصين ذلك فأنكروا الطوفان وزعم بعضهم أن الطوفان انما حدث في اقليم بابل وما وراءه من البلاد الغربية فقط وان أولاد كيومرت

(٣) (قوله سبعة وثلاثين) هكذا في النسخ ولعل صوابه سبعة وعشرين ليوافق التفصيل بعده تأمل اه مصححه

الذى هو عندهم الانسان الاول كانوا بالبلاد الشرقية من بابل فلم يصل الطوفان اليهم ولا الى الهند والصين والحق ماعليه أهل الشرائع وأن نوحا عليه السلام لما أنجاه الله ومن معه بالسفينة نزل بهم وهم ثمانون رجلا سوى أولاده فماتوا بعد ذلك ولم يعقبوا وصار العقب من نوح في أولاده الثلاثة ويؤيد هذا قول الله تعالى عن نوح وجعلنا ذريته هم الباقين وكان من خبر ذلك أن أولاد نوح الثلاثة وهم سام وحام ويافث اقتسموا الارض * فصار لبني سام بن نوح أرض العراق وفارس الى الهند ثم الى حضرموت وعمان والبحرين وعالج ويبرين ووبار والدو والدهنا وجميع أرض اليمن وأرض الحجاز * وصار لبني حام بن نوح جنوب الارض مما يلي أرض مصر مغربا الى بلاد المغرب الاقصى * وصار لبنى يافث بن نوح بحر الخزر مشرقا الى الصين * فكان من ذرية سام بن نوح القضاعيون والفرس والسريانيون والعبرانيون والعرب المستعربة والنبط وعاد وثمود والامورانيون والعماليق وأمم الهند وأهل السند وعدة أمم قد بادت وكانت ذرية حام بن نوح من أربعة أولاده الذين هم كوش ومصر ايم وقفط وكنعان فمن كوش الحبشة والزنج ومن مصر ايم قبط مصر والنوبة ومن قفط الافارقة اهل أفريقية ومن جاورهم الى المغرب الاقصى ومن كنعان أمم كانت بالشام حاربهم موسى بن عمران عليه السلام وقومه من بنى اسرائيل ومنهم أجناس عديدة من البربر درجوا * وكانت مساكن بنى حام من صيدا الى أرض مصر ثم الى آخر أفريقية نحو البحر المحيط وانتشروا فيما بين ذلك الى الجنوب وهم ثلاثون جنسا * وكان من ذرية يافث بن نوح الصقلب والفرنجة والغاليون من قبائل الروم والغوط وأهل الصين وقوم عرفوا بالمادنيين واليونانيون والروم الفريقيون وقبائل الاتراك ويأجوج ومأجوج وأهل قبرس وردوس وعدة بنى يافث خمسة عشر جنسا سكنوا القطر الشمالى الى البحر المحيط فضاقت بهم بلادهم ولم تسعهم لكثرتهم فخرجوا منها وتغلبوا على كثير من بلاد بنى سام ابن نوح * وذكر الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب أن القبط تنسب الى قبطيم بن مصرايم ابن مصر بن حام بن نوح وان قبطيم أول من عمل العجائب بمصر وأثار بها المعادن وشق الانهار لما ولى أرض مصر بعد أبيه مصر ايم وانه لحق ببلبلة الالسن وخرج منها وهو يعرف اللغة القبطية وأنه ملك مدة ثمانين سنة ومات فاغتم لموته بنوه وأهله ودفنوه فى الجانب الشرقى من النيل بسرب تحت الجبل الكبير فقام من بعده في ملك مصر ابنه قفطيم بن قبطيم وزعم بعض النسابة أن مصر بن حام بن نوح ويقال له مصرايم ويقال بل مصريم ابن هرمس بن هردوس جد الاسكندر وقيل بل قفط بن حام بن نوح نكح بخت بنت يتاويل ابن ترسل بن يافث بن نوح فولدت له بوقير وقبط أبا قبط مصر قال ابن اسحاق ومن هاهنا قالوا ان مصر بن حام بن نوح وانما هو مصر بن هرمس بن هردوس بن ميطون بن رومي

ابن ليطى بن يونان وبه سميت مصر فهى مقدونية وقيل القبط من ولد قبط بن مصر بن قفط بن حام بن نوح وبمصر هذا سميت مصر

*( ذكر ديانة القبط قبل تنصرهم )*

اعلم ان قبط مصر كانوا في غابر الدهر أهل شرك بالله يعبدون الكواكب ويقربون لها قرابينهم ويقيمون على أسمائها التماثيل كما هى أفعال الصابئة وذكر ابن وصيف شاه أن عبادة الاصنام أول ما عرفت بمصر أيام قفطريم بن قبطيم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح وذلك ان ابليس أثار الاصنام التى غرقها الطوفان وزين للقبط عبادتها وان البودشير بن قبطيم أول من تكهن وعمل بالسحر وان مناوش بن منقاوش أول من عبد البقر من أهل مصر وذكر الموفق أحمد بن أبي القاسم بن خليفة المعروف بابن أبي أصيبعة انه كان للقبط مذهب مشهور من مذاهب الصابئه ولهم هياكل على أسماء الكواكب يحج اليها الناس من أقطار الارض وكانت الحكماء والفلاسفة ممن سواهم تتهافت عليهم وتريد التقرب اليهم لما كان عندهم من علوم السحر والطلسمات والهندسة والنجوم والطب والحساب والكيمياء ولهم فى ذلك أخبار كثيرة وكانت لهم لغة يختصون بها وكانت خطوطهم ثلاثة أصناف خط العامة وخط الخاصة وهو خط الكهنة المختصر وخط الملوك* وقال ابن وصيف شاه كانت كهنة مصر اعظم الكهان قدرا وأجلها علما بالكهانة وكانت حكماء اليونانيين تصفهم بذلك وتشهد لهم به فيقولون اخبرنا حكماء مصر بكذا وكذا وكانوا ينحون بكهانتهم نحو الكواكب ويزعمون انها هي التي تفيض عليهم العلوم وتخبرهم بالغيوب وهي التي تعلمهم أسرار الطوالع وصفة الطلاسم وتدلهم على العلوم المكتومة والاسماء الجليلة المخزونة فعملوا الطلسمات المشهورة والنواميس الجليلة وولدوا الاشكال الناطقة وصوروا الصور المتحركة وبنوا العالى من البنيان وزبروا علومهم فى الحجارة وعملوا من الطلسمات مادفعوا به الاعداء عن بلادهم فحكمهم باهرة وعجائبهم ظاهرة وكانت أرض مصر خمسا وثمانين كورة منها أسفل الارض خمس وأربعون كورة ومنها بالصعيد أربعون كورة وكان في كل كورة رئيس من الكهنة وهم السحرة وكان الذى يتعبد منهم للكواكب السبعة السيارة سبع سنين يسمونه باهر والذي يتعبد منهم لها تسعا وأربعين سنة لكل كوكب سبع سنين يسمونه قاطر وهذا يقوم له الملك اجلالا ويجلسه معه الى جانبه ولا يتصرف الا برأيه وتدخل الكهنة ومعهم أصحاب الصنائع فيقفون حذاء القاطر وكان كل كاهن منهم ينفرد بخدمة كوكب من الكواكب السبعة السيارة لايتعداه الى سواه ويدعي بعبد ذلك الكوكب فيقال عبد القمر عبد عطارد عبد الزهرة عبد الشمس عبد المريخ عبد المشتري عبد زحل فاذا وقفوا جميعا قال القاطر لاحدهم أين صاحبك اليوم فيقول في برج كذا ودرجة كذا ودقيقة كذا ثم يقول للآخر كذلك فيجيبه

حتى يأتي على جميعهم ويعرف اماكن الكواكب من فلك البروج ثم يقول للملك ينبغي أن تعمل اليوم كذا أو تأكل كذا أو تجامع في وقت كذا أو تركب وقت كذا الى آخر مايحتاج اليه والكاتب قائم بين يديه يكتب مايقول ثم يلتفت القاطر الى أهل الصناعات ويخرجهم الى دار الحكمة فيضعون أيديهم فى الاعمال التى يصلح عملها فى ذلك اليوم ثم يؤرخ ماجرى فى ذلك اليوم في صحيفة وتخزن في خزائن الملك وكان الملك اذا همه أمر جمع الكهان خارج مدينة منف وقد اصطف الناس لهم بشارع المدينة ثم يدخل الكهان ركبانا على قدر مراتبهم والطبل بين أيديهم ومامنهم الا من أظهر أعجوبة قد عملها فمنهم من يعلو وجهه نور كهيئة نور الشمس لايقدر أحد على النظر اليه ومنهم من على بدنه جواهر مختلفة الالوان قد نسجت على ثوب ومنهم من يتوشح بحيات عظيمة ومنهم من يعقد فوقه قبة من نور الى غير ذلك من بديع اعمالهم ويصيرون كذلك الى حضرة الملك فيخبرهم بما نزل به فيجيلون رأيهم فيه حتى يتفقوا على مايصرفونه به وهذا أعزك الله من خبرهم لما كان الملك فيهم فلما استولت العماليق على ملك مصر وملكتها الفراعنة ثم تداولتها من بعدهم أجناس أخر تناقصت علوم القبط شيئاً بعد شئ الى أن تنصروا فغادروا عوايد أهل الشرك واتبعوا ماأمروا به من دين النصرانية كما ستقف عليه تلو هذا ان شاء الله تعالى

## *( ذكر دخول قبط مصر في دين النصرانية )*

اعلم أن النصارى أتباع عيسى نبي الله ابن مريم عليه السلام سموا نصارى لانهم ينتسبون الى قرية الناصرة من جبل الجليل بالجيم ويعرف هذا الجبل بجبل كنعان وهو الآن في زمننا من جملة معاملة صفد والاصل فى تسميتهم نصارى أن عيسى بن مريم عليه السلام لما ولدته أمه مريم ابنة عمران ببيت لحم خارج مدينة بيت المقدس ثم سارت به الى أرض مصر وسكنتها زمانا ثم عادت به الي أرض بني اسرائيل قومها نزلت قرية الناصرة فنشأ عيسى بها وقيل له يسوع الناصرى فلما بعثه الله تعالى رسولا الى بني اسرائيل وكان من شأنه ماسنراه الى أن رفعه الله اليه تفرق الحواريون وهم الذين آمنوا به في أقطار الارض يدعون الناس الى دينه فنسبوا الى مانسب اليه نبيهم عيسى بن مريم وقيل لهم الناصرية ثم تلاعب العرب بهذه الكلمة وقالوا نصاري * قال ابن سيده ونصرى وناصرة ونصورية قرية بالشام والنصارى منسوبون اليها هذا قول أهل اللغة وهو ضعيف الا أن نادر النسب يسيغه وأما سيبويه فقال أما النصارى فذهب الخليل الى انه جمع نصرى ونصران كما قالوا ندمان وندامي ولكنهم حذفوا احدى الياءين كما حذفوا من أثفية وأبدلوا مكانها ألفا قال وأما الذى نوجهه نحن عليه فانه جاء على نصران لانه قد تكلم به فكانك جمعت وقلت نصارى كما قلت ندامى فهذا أقيس والاول مذهب وانما كان أقيس لانا لم نسمعهم قالوا نصرى والتنصر الدخول فى دين النصرانية

ونصره جعله كذلك والانصر الا قانف وهو من ذلك لان النصارى قلف وفي شرح الانجيل أن معني قرية ناصرة الجديدة والنصرانية التجدد والنصراني المجدد وقيل نسبوا الى نصران وهو من أبنية المبالغة ومعناه أن هذا الدين في غير عصابة صاحبه فهو دين من ينصره من أتباعه * واذا تقرر هذا فاعلم ان المسيح روح الله وكلمته ألقاها الى مريم هو ( عيسى) وأصل اسمه بالعبرانية التي هي لغة أمه وآبائها انما هو ياشوع وسمته النصاري يسوع وسماه الله تعالى وهو أصدق القائلين عيسى ومعني يسوع في اللغة السريانية المخاص قاله في شرح الانجيل ونعته بالمسيح وهو الصديق وقيل لانه كان لايمسح بيده صاحب عاهة الابرأ وقيل لانه كان يمسح رؤس اليتامى وقيل لانه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن وقيل لان جبريل عليه السلام مسحه بجناحه عند ولادته صوناله من مس الشيطان وقيل المسيح اسم مشتق من المسح أي الدهن لان روح القدس قام بجسد عيسى مقام الدهن الذي كان عند بني اسرائيل يمسح به الملك ويمسح به الكهنوت وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه أمسح الرجلين ليس لرجليه أخمص وقيل لانه يمسح الارض بسياحته لايستوطن مكانا وقيل هي كلمة عبرانية أصلها ماسيح فتلاعبت بها العرب وقالت مسيح * وكان من خبره عليه السلام أن مريم ابنة عمران بيناهي في محرابها اذ بشرها الله تعالى بعيسى فخرجت من بيت القدس وقد اغتسلت من المحيض فتمثل لها الملك بشرا في صورة يوسف بن يعقوب النجار أحد خدام القدس فنفخ في جيبها فسرت النفخة الى جوفها فحملت بعيسى كما تحمل النساء بغير ذكر بل حلت نفخة الملك منها محل اللقاح ثم وضعت بعد تسعة اشهر وقيل بل وضعت في يوم حملها بقرية بيت لحم من عمل مدينة القدس في يوم الاربعاء خامس عشرى كانون الاول وتاسع عشري كيهك سنة تسع عشرة وثلثمائة للاسكندر فقدمت رسل ملك فارس في طلبه ومعهم هدية لها فيها ذهب ومر ولبان فطلبه هيرودس ملك اليهود بالقدس ليقتله وقد أنذر به فسارت أمه مريم به وعمره سنتان على حمار ومعها يوسف النجار حتى قدموا الى أرض مصر فسكنوها مدة أربع سنين ثم عادوا وعمر عيسى ست سنين فنزلت به مريم قرية الناصرة من جبل الجليل فاستوطنتها فنشأ بها عيسى حتى بلغ ثلاثين سنة فسار هو وابن خالته يحيى بن زكريا عليهما السلام الى نهر الاردن فاغتسل عيسى فيه فحلت عليه النبوة فمضى الى البرية وأقام بها أربعين يوما لايتناول طعاما ولا شرابا فأوحى الله اليه بأن يدعو بني اسرائيل الى عبادة الله تعالى فطاف القرى ودعا الناس الى الله تعالى وأبرأ الاكمه والابرص وأحيي الموتى باذن الله وبكت اليهود وأمرهم بالزهد في الدنيا والتوبة من المعاصي فآمن به الحواريون وكانوا قوما صيادين وقيل قصارين وقيل ملاحين وعددهم اثنا عشر رجلا وصدقوا بالانجيل الذي أنزله الله تعالى عليه وكذبه عامة اليهود وضللوه واتهموه بما هو بريء منه فكانت له ولهم عدة مناظرات

آلت بهم الى أن اتفق أحبارهم على قتله وطرقوه ليلة الجمعة فقيل انه رفع عند ذلك وقيل بل أخذوه وأتوا به الى بلاطس النبطي شحنة القدس من قبل الملك طيباريوس قيصر وراودوه على قتله وهو يدفعهم عنه حتي غلبوه على رأيه بأن دينهم اقتضى قتله فأمكنهم منه وعند ماأدنوه من الخشبة ليصلبوه رفعه الله اليه وذلك في الساعة السادسة من يوم الجمعة خامس عشر شهر نيسن وتاسع عشري شهر برمهات وخامس عشر شهر آذار وسابع عشر شهر ذى القعدة وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة وثلاثة أشهر فصلبوا الذي شبه لهم وصلبوا معه لصين وسمروهم بمسامير الحديد واقتسم الجند ثياب المصلوب فغشيت الارض ظلمة دامت ثلاث ساعات حتى صار النهار شبه الليل ورؤيت النجوم وكان مع ذلك هزة وزلزلة ثم أنزل المصلوب عن الخشبة بكرة يوم السبت ودفن تحت صخرة فى قبر جديد ووكل بالقبر من يحرسه لئلا يأخذ المقبور أصحابه فزعم النصارى أن المقبور قام من قبره ليلة الاحد سحرا ودخل عشية ذلك اليوم على الحواريين وحادثهم ووصاهم ثم بعد الاربعين يوما من قيامه صعد الى السماء والحواريون يشاهدونه فاجتمعوا بعد رفعه بعشرة أيام في علية صيون التي يقال لها اليوم صهيون خارج القدس وظهرت لهم خوارق فتكلموا بجميع الالسن فآمن بهم فيما يذكر زيادة على ثلاثة آلاف انسان فأخذهم اليهود وحبسوهم فظهرت كراماتهم وفتح الله لهم باب السجن ليلا فخرجوا الى الهيكل وطفقوا يدعون الناس فهم اليهود بقتلهم وقد آمن بهم نحو الخمسة آلاف انسان فلم يتمكنوا من قتلهم فتفرق الحواريون فى أقطار الارض يدعون الى دين المسيح فسار بطرس رأس الحواريين ومعه شمعون الصفا الى انطاكية ورومية فاستجاب لهم بشر كثير وقتل في خامس أبيب وهو عيد القصرية وسار اندراوس أخوه الى نيقية وما حولها فآمن به كثير ومات فى برنطية في رابع كيهك وسار يعقوب بن زبدى أخو يوحنا الانجيلي الى بلد ابدينية فتبعه جماعة وقتل في سابع عشر برمودة وسار يوحنا الانجيلي الى آسيا وأفسيس وكتب انجيله باليوناني بعد ما كتب متي ومرقص ولوقا أناجيلهم فوجدهم قد قصروا فى أمور فتكلم عليها وكان ذلك بعد رفع المسيح بثلاثين سنة وكتب ثلاث رسائل ومات وقد أناف على مائة سنة وسار فيلبس الى قيسارية وما حولها وقتل بها في ثامن هاتور وقد اتبعه جماعات من الناس وسار برتولوماوس الى ارمينية وبلاد البربر وواحات مصر فآمن به كثير وقتل وسار توما الى الهند فقتل هناك وسار متى العشار الى فلسطين وصور وصيدا ومدينة بصرى وكتب انجيله بالعبراني بعد رفع المسيح بتسع سنين ونقله يوحنا الى اللغة الرومية وقتل متي بقرطاجنة في ثامن عشر بابه بعد مااستجاب له بشر كثير وسار يعقوب بن حلفا الى بلاد الهند ورجع الى القدس وقتل فى عاشر امشير وسار يهوذ ابن يعقوب من انطاكية الى الجزيرة فآمن به كثير من الناس

ومات فى ثانى أبيب وسار شمعون الى سميساط وحلب ومنبج وبزنطية وقتل فى سابع أبيب وسار ميثاس الى بلاد الشرق وقتل فى ثامن عشر برمهات وسار بولص الطرسوسى الى دمشق وبلاد الروم ورومية فقتل في خامس أبيب وتفرق أيضاً سبعون رسولاً أخر في البلاد فآمن بهم الخلائق ومن هؤلاء السبعين مرقص الانجيلى وكان اسمه أولا يوحنا فعرف ثلاثة ألسن الفرنجي والعبرانى واليونانى ومضى الى بطرس برومية وصحبه وكتب الانجيل عنده بالفرنجية بعد رفع المسيح باثنتي عشرة سنة ودعا الناس برومية ومصر والحبشة والنوبة وأقام حنانيا أسقفا على الاسكندرية وخرج الى برقة فكثرت النصاري في أيامه وقتل فى ثانى عيد الفسح بالاسكندرية ومن السبعين أيضاً لوقا الانجيلى الطبيب تلميذ بولص كتب الانجيل باليونانية عن بولص بالاسكندرية بعد رفع المسيح بعشرين سنة وقيل باثنتين وعشرين سنة ولما فر بطرس رأس الحواريين من حبس رومية ونزل بانطاكية أقام بها داريوس بطركا وانطاكية أحد الكراسى الاربعة التي للنصارى وهى رومية والاسكندرية والقدس وانطاكية فأقام داريوس بطرك انطاكية سبعا وعشرين سنة وهو أول بطاركتها وتوارث من بعده البطاركة بها البطركية واحدا بعد واحد ودعا شمعون الصفا برومية خمسا وعشرين سنة فآمنت به بطركية وسارت الى القدس وكشفت عن خشبات الصليب وسلمها الى يعقوب ابن يوسف الاسقف وبنت هناك كنيسة وعادت الى رومية وقد اشتدت على دين النصرانية فآمن معها عدة من أهلها واجتمع الرسل بمدينة رومية ووضعوا القوانين وأرسلوها على يد قليموس تلميذ بطرس فكتبوا فيها عدد الكتب التى يجب قبولها من العتيقة والجديدة فأما العتيقة فالتوراة وكتاب يوشع بن نون وكتاب القضاة وكتاب راغون وكتاب يهوديت وسير الملوك وسفر بنيامين وكتب المقانين وكتاب عزرة وكتاب أستير وقصة هامان وكتاب أيوب وكتاب مزامير داود وكتب سليمان بن داود وكتب الانبياء وهى ستة عشر كتابا وكتاب يوشع بن شيراخ وأما الكتب الحديثة فالاناجيل الاربعة وكتاب القليتليقون وكتاب بولص وكتاب الابركسيس وهو قصص الحواريين وكتاب قليموس وفيه ما أمر به الحواريون وما نهوا عنه * ولما قتل الملك نيرون قيصر بطرس رأس الحواريين برومية أقيم من بعده اريوس بطرك رومية وهو أول بطرك صار على رومية فأقام فى البطركية اثنتى عشرة سنة وقام من بعده البطاركة بها واحدا بعد واحد الى يومنا هذا الذى نحن فيه * ولما قتل يعقوب اسقف القدس على يد اليهود هدموا بعده البيعة وأخذوا خشبة الصليب والخشبتين معها ودفنوها وألقوا على موضعها ترابا كثيرا فصار كوما عظيما حتى أخرجتها هيلانة أم قسطنطين كما ستراه قريبا ان شاء الله تعالى وأقيم بعد قتل يعقوب سمعان ابن عمه أسقف القدس فمكث اثنتين وأربعين سنة أسقفا ومات فتداول الاساقفة بعده الاسقفية بالقدس واحدا بعد

آخر * ولما أقام مرقص حنانيا ويقال أنانيو بطرك الاسكندرية جعل معه اثنى عشر قسا وأمرهم اذا مات البطرك أن يجعلوا عوضه واحدا منهم ويقيموا بدل ذلك القس واحدا من النصاري حتى لايزالوا أبدا اثني عشر قسا فلم تزل البطاركة تعمل من القسوس الى أن اجتمع ثلثمائة وثمانية عشر كما ستراه ان شاء الله تعالى وكان بطرك الاسكندرية يقال له البابا من عهد حنانيا هذا أول بطاركة الاسكندرية الى أن أقيم ديمتريوس وهو الحادى عشر من بطاركة الاسكندرية ولم يكن بأرض مصر أساقفة فنصب الاساقفة بها وكثروا ففزاها فى بطركيته هرقل وصار الاساقفة يسمون البطرك الاب والقسوس وسائر النصارى يسمون الاسقف الاب ويجعلون لفظة البابا تختص ببطرك الاسكندرية ومعناها أبو الآباء ثم انتقل هذا الاسم عن كرسى الاسكندرية الى كرسى رومية من أجل انه كرسى بطرس رأس الحواريين فصار بطرك رومية يقال له البابا واستمر على ذلك الى زمننا الذى نحن فيه وأقام أنانيو وهو حنانيا في بطركية الاسكندرية اثنتين وعشرين سنة ومات في عشرى هاتور سنة سبع وثمانين لظهور المسيح فأقيم بعده مينيو فأقام ثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر ومات وفي أثناء ذلك ثار اليهود على النصارى وأخرجوهم من القدس فعبروا الاردن وسكنوا تلك الاماكن فكان بعد هذا بقليل خراب القدس وجلاية اليهود وقتلهم على يد طيطش ( ويقال طيطوس ) بعد رفع المسيح بنحو أربع وأربعين سنة فكثرت النصارى في أيام بطركية مينيو وعاد كثير منهم الى مدينة القدس بعد تخريب طيطش لها وبنوا بها كنيسة وأقاموا عليها سمعان أسقفا ثم أقيم بعد مينيو في الاسكندرية فى ابطركية كرتيانو وفي أيام الملك اندیانوس قيصر أصاب النصارى منه بلاء كثير وقتل منهم جماعة كثيرة واستعبد باقيهم فنزل بهم بلاء لايوصف فى العبودية حتي رحمهم الوزراء وأكابر الروم وشفعوا فيهم فمن عليهم قيصر وأعتقهم ومات كرتيانو بطرك الاسكندرية فى حادى عشر برمودة بعد ماد بر الكرسى احدى عشرة سنة وكان حميد السيرة فقدم بعده ايريمو فاقام اثنتي عشرة سنة ومات في ثالث مسرى واشتد الامر على النصارى في أيام الملك أريدويانوس وقتل منهم خلائق لايحصى عددهم وقدم مصر فأفني من بها من النصارى وخرب مابني في مدينة القدس من كنيسة النصارى ومنعهم من التردد اليها وأنزل عوضهم بالقدس اليونانيين وسمى القدس ايليا فلم يتجاسر نصراني أن يدنو من القدس وأقيم بعد موت ايريمو بطرك الاسكندرية بسطس فأقام احدى عشرة سنة ومات في ثاني عشر بؤنة فخلف بعده أرمانيون فأقام عشر سنين وأربعة أشهر ومات في عاشر بابة فأقيم بعده موقيانو بطرك الاسكندرية تسع سنين وستة أشهر ومات في سادس طوبه فقدم بعده على الاسكندرية كلوتيانو فأقام أربع عشرة سنة ومات فى تاسع أبيب وفى أيامه اشتد الملك أوليانوس قيصر على النصارى وقتل منهم خلقا كثيرا وقدم على

كرسي الاسكندرية بعد كلوتيانو غرنبو بطركا فأقام اثنتي عشرة سنة ومات في خامس امشير
وفي أيام بطركيته اتفق رأى البطاركة بجميع الامصار على حساب فصح النصارى وصومهم
ورتبوا كيف يستخرج ووضعوا حساب الابقطى وبه يستخرجون معرفة وقت صومهم
وفصحهم واستمر الامر على مارتبوه فيما بعد وكانوا قبل ذلك يصومون بعد الغطاس أربعين
يوماً كما صام المسيح عليه السلام ويفطرون وفي عيد الفسح يعملون الفسح مع اليهود فنقل
هؤلاء البطاركة الصوم وأوصلوه بعيد الفسح لان عيد الفسح كانت فيه قيامة المسيح من الاموات
بزعمهم وكان الحواريون قد أمروا أن لا يغير عن وقته وأن يعملوه كل سنة في ذلك الوقت ثم أقيم
بكرسي الاسكندرية بعد غرنبو في البطركية بوليانوس فأقام عشر سنين ومات في ثامن برمهات
فاستخلف بعده ديمتريوس فأقام بعده في البطركية ثلاثا وثلاثين سنة ومات وكان فلاحا أميا
وله زوجة ذكر عنه أنه لم يجامعها قط وفي أيامه أثار الملك سويارنوس قيصر على النصارى بلاء
كبيرا في جميع مملكته وقتل منهم خلقا كثيرا وقدم مصر وقتل جميع من فيها من النصارى
وهدم كنائسهم وبنى بالاسكندرية هيكلا لاصنامه ثم أقيم بعده في بطركية الاسكندرية باركلا
فأقام ست عشرة سنة ومات في ثامن كيهك فلقي النصارى من الملك مكسيموس قيصر شدة عظيمة
وقتل منهم خلقا كثيرا فلما ملك فيلبش قيصراً أكرم النصارى وقدم على بطركية الاسكندرية
ديوسيوس فأقام تسع عشرة سنة ومات في ثالث توت وفي أيامه كان الراهب انطونيوس المصري
وهو أول من ابتدأ بلبس الصوف وابتدأ بعمارة الديارات في البراري وأنزل بها الرهبان ولقي
النصارى من الملك داقيوس قيصر شدة فانه أمرهم أن يسجدوا لاصنامه فابوا من السجود
لها فقتلهم أبرح قتلة وفر منه الفتية أصحاب الكهف من مدينة أفسس واختفوا في مغارة
في جبل شرقي المدينة وناموا فضرب الله على آذانهم فلم يزالوا نائمين ثلثمائة سنين وازدادوا
تسعا فقام من بعده بالاسكندرية مكسيموس وأقام بطركا اثنتي عشرة سنة ومات في رابع عشر
برموده فأقيم بعده تؤوبا بطركا مدة سبع سنين وتسعة أشهر ومات وكانت النصارى قبله
تصلي بالاسكندرية خفية من الروم خوفا من القتل فلاطف تؤوبا الروم وأهدى اليهم تحفا
جليلة حتى بنى كنيسة مريم بالاسكندرية فصلى بها النصارى جهرا واشتد الامر على النصارى
في أيام الملك طيباريوس قيصر وقتل منهم خلقا كثيرا فلما كانت أيام دقلطيانوس قيصر خالف
عليه أهل مصر والاسكندرية فقتل منهم خلقا كثيرا وكتب بغلق كنائس النصارى وأمر
بعبادة الاصنام وقتل من امتنع منها فارتد خلائق كثيرة جدا وأقام في البطركية بعد تؤوبا
بطرس فأقام احدى عشرة سنة وقتل في الاسكندرية بالسيف وقتل معه امرأته وابنتاه
لامتناعهم من السجود للاصنام فقام بعده تلميذه ارشلاوش فأقام ستة أشهر ومات وبدقلطيانوس
هذا وقتله لنصارى مصر يؤرخ قبط مصر الي يومنا هذا كما قد ذكرناه في تاريخ القبط

عند ذكر التواريخ من هذا الكتاب فراجعه ثم قام من بعده مكسيمانوس قيصر فاشتد على النصارى وقتل منهم خلقا كثيرا حتى كانت القتلى منهم تحمل على العجل وترمى في البحر ثم قام بعد أرشلاوش في بطركية الاسكندرية اسكندروس تلميذ بطرس الشهيد فأقام ثلاثا وعشرين سنة ومات في ثاني عشرى برموده وفي بطركيته كان مجمع النصارى بمدينة نيقية وفي أيامه كتب النصارى وغيرهم من أهل رومية الى قسطنطين وكان على مدينة بزنطية يحثونه على أن ينقذهم من جور مكسيمانوس وشكوا اليه عتوه فأجمع على المسير لذلك وكانت أمه هيلانى من أهل قرى مدينة الرها قد تنصرت على يد أسقف الرها وتعلمت الكتب فلما مر بقريتها قسطس صاحب شرطة دقلطيانوس رآها فأعجبته فتزوجها وحملها الى بزنطية مدينته فولدت له قسطنطين وكان جميلا فأنذر دقلطيانوس منجموه بأن هذا الغلام قسطنطين سيملك الروم ويبدل دينهم فأراد قتله ففر منه الى الرها وتعلم بها الحكمة اليونانية حتى مات دقلطيانوس فعاد الى بزنطية فسلمها له أبوه قسطس ومات فقام بأمرها بعد أبيه الى أن استدعاه أهل رومية فأخذ يدبر في مسيره فرأى في منامه كواكب في السماء على هيئة الصليب وصوت من السماء يقول له احمل هذه العلامة تنتصر على عدوك فقص رؤياه على أعوانه وعمل شكل الصليب على أعلامه وبنوده وسار لحرب مكسيمانوس برومية فبرز اليه وحاربه فانتصر قسطنطين عليه وملك رومية وتحول منها فجعل دار مملكته قسطنطينية فكان هذا ابتداء رفع الصليب وظهوره في الناس فاتخذه النصارى من حينئذ وعظموه حتى عبدوه وأكرم قسطنطين النصارى ودخل في دينهم بمدينة نيقومديا في السنة الثانية عشرة من ملكه على الروم وأمر ببناء الكنائس في جميع ممالكه وكسر الاصنام وهدم بيوتها وعمل المجمع بمدينة نيقية وسببه أن الاسكندروس بطرك الاسكندرية منع أريوس من دخول الكنيسة وحرمه لمقالته ونقل عن بطرس الشهيد بطرك اسكندرية انه قال عن أريوس ان ايمانه فاسد وكتب بذلك الى جميع البطاركة فمضى أريوس الى الملك قسطنطين ومعه أسقفان فاستغاثوا به وشكوا الاسكندروس فأمر باحضاره من الاسكندرية فحضر هو وأريوس وجمع له الاعيان من النصارى ليناظروه فقال أريوس كان الاب اذ لم يكن الابن ثم أحدث الابن فصار كلمة له فهو محدث مخلوق فوض اليه الاب كل شئ فخلق الابن المسمي بالكلمة كل شئ من السموات والارض وما فيهما فكان هو الخالق بما أعطاه الاب ثم ان تلك الكلمة تجسدت من مريم ومن روح القدس فصار ذلك مسيحا فاذا المسيح معنيان كلمة وجسد وهما جميعا مخلوقان فقال الاسكندروس أيما أوجب عبادة من خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا فقال أريوس بل عبادة من خلقنا أوجب فقال الاسكندروس فان كان الابن خلقنا كما وصفت وهو مخلوق فعبادته أوجب من عبادة الاب الذى ليس بمخلوق

بل تكون عبادة الخالق كفرا وعبادة المخلوق ايمانا وهـذا أقبح القبيح فاستحسن الملك قسطنطين كلام اسكندروس وأمره أن يحرم اريوس فحرمه وسأل اسكندروس الملك أن يحضر الاساقفة فأمر بهم فأتوه من جميع ممالكه واجتمعوا بعد ستة أشهر بمدينة نيقية وعدتهم ألفان وثلثمائة وأربعون أسقفا مختلفون في المسيح فمنهـم من يقول الابن من الاب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة أخري فلم تنقص الاولى بانفصال الثانية عنها وهذه مقالة سيليوس الصعيدى ومن تبعه ومنهم من قال ان مريم لم تحمل بالمسيح تسعة أشهر بل مرّ باحشائها كمرور الماء بالميزاب وهذا قول اليان ومن تبعه ومنهـم من قال المسيح بشر مخلوق وان ابتداء الابن من مريم ثم انه اصطفى فصحبته النعمة الالهيـة بالمحبة والمشيئة ولذلك سمي ابن الله تعالى عن ذلك ومع ذلك فالله واحد قيوم وأنكر هؤلاء الكلمة والروح فلم يؤمنوا بهما وهذا قول بولص السميساطى بطرك انطاكية وأصحابه ومنهـم من قال الآلهة ثلاثة صالح وطالح وعدل بينهما وهذا قول مرقيون وأتباعه ومنهم من قال المسيح وأمـه الهان من دون الله وهذا قول المراية من فرق النصارى ومنهم من قال بل الله خلق الابن وهو الكلمة في الازل كما خلق الملائكة روحا طاهرة مقدسـة بسيطة مجردة عن المادة ثم خلق المسيح فى آخر الزمان من أحشاء مريم البتول الطاهرة فاتحـد الابن المخلوق فى الازل بانسان المسيح فصارا واحدا ومنهم من قال الابن مولود من الاب قبل كل الدهور غير مخلوق وهو جوهر من جوهره ونور من نوره وان الابن اتحـد بالانسان المأخوذ من مريم فصارا واحدا وهو المسيح وهـذا قول الثلثمائة وثمانية عشر فتحير قسطنطين فى اختلافهم وكثر تعجبه من ذلك وأمر بهم فأنزلوا في أماكن وأجرى لهم الارزاق وأمرهم أن يتناظروا حتى يتبين له صوابهم من خطاهم فثبت الثلثمائة وثمانية عشر على قولهم المذكور واختلف باقيهم فمال قسطنطين الى قول الاكثر وأعرض عما سواه وأقبل على الثلثمائة وثمانية عشر وأمر لهـم بكراسى وأجلسهم عليها ودفع اليهم سيفه وخاتمه وبسط أيديهم في جميع مملكته فباركوا عليه ووضعوا له كتاب قوانين الملوك وقوانين الكنيسة وفيه مايتعلق بالمحاكمات والمعاملات والمناكحات وكتبوا بذلك الى سائر الممالك وكان رئيس هذا المجمع الاسكندروس بطرك الاسكندرية واسطارس بطرك انطاكية ومقاريوس أسقف القدس ووجهساطوس بطرك رومية بقسيسين اتفقا معهم على حرمان اريوس فحرموه ونفوه ووضع الثلثمائة وثمانية عشر الامانة المشهورة عندهم وأوجبوا ان يكون الصوم متصلا بعيد الفسح على مارتبه البطاركة في أيام الملك أوراليانوس قيصر كما تقدم ومنعوا أن يكون للاسقف زوجة وكان الاساقفـة قبل ذلك اذا كان مع أحدهم زوجة لايمنع منها اذا عمل أسقفا بخلاف البطرك فانه لايكون له امرأة البتة وانصرفوا من مجلس قسطنطين بكرامة جليلة والاسكندروس هذا هو الذى كسر

الصنم النحاس الذى كان في هيكل زحل بالاسكندرية وكانوا يعبدونه ويجعلون له عيدا فى ثاني عشر هتور ويذبحون له الذبائح الكثيرة فأراد الاسكندروس كسر هذا الصنم فمنعه أهل الاسكندرية فاحتال عليهم وتلطف في حيلته الى ان قرب العيد فجمع الناس ووعظهم وقبح عندهم عبادة الصنم وحثهم على تركه وأن يعمل هذا العيد لميكائيل رئيس الملائكة الذى يشفع فيهم عند الاله فان ذلك خير من عمل العيد للصنم فلا يتغير عمل العيد الذى جرت عادة أهل البلد بعمله ولا تبطل ذبائحهم فيه فرضى الناس بهذا ووافقوه على كسر الصنم فكسره وأحرقه وعمل بيته كنيسة على اسم ميكائيل فلم تزل هذه الكنيسة بالاسكندرية الى أن حرقها جيوش الامام المعز لدين الله أبي تميم معد لما قدموا فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة واستمر عيد مكائيل عند النصارى بديار مصر باقيا يعمل في كل سنة وفي السنة الثانيـة والعشرين من ملك قسطنطين سارت أمه هيلانى الى القدس وبنت به كنائس للنصارى فدلها مقاريوس الاسقف على الصليب وعرفها ماعملته اليهود فعاقبت كهنة اليهود حتي دلوها على الموضع فحفرته فاذا قبر وثلاث خشبات زعموا أنهم لم يعرفوا الصليب المطلوب من الثلاث خشبات الا بأن وضعت كل واحدة منها على ميت قد بلى فقام حيا عند ماوضعت عليه خشبة منها فعملوا لذلك عيدا مدة ثلاثة أيام عرف عندهم بعيد الصليب ومن حينئذ عبد النصارى الصليب وعملت له هيلانى غلافا من ذهب وبنت كنيسة القيامة التى تعرف اليوم بكنيسة قمامة وأقامت مقاريوس الاسقف على بناء بقية الكنائس وعادت الى بلادها فكانت مدة مابين ولادة المسيح وظهور الصليب ثلثمائة وثمان وعشرين سنة ثم قام في بطركية الاسكندرية بعد اسكندروس تلميذه اثناسيوس الرسولي فأقام ستا وأربعين سنة ومات بعد ماابتلي بشدائد وغاب عن كرسيه ثلاث مرات وفى أيامه جرت مناظرات طويلة مع أوسانيوس للاسقف آلت الى ضربه وفراره فانه تعصب لاريوس وقال انه لم يقل ان المسيح خالق الاشياء وانما قال به خلق كل شئ لانه كلمة الله التي بها خلق السموات والارض وانما خالق الله تعالى جميع الاشياء بكلمته فالاشياء به كونت لا انه كونها وانما الثلثمائة وثمانية عشر تعدوا عليه وفى أيامه تنصر جماعة من اليهود وطعن بعضهم فى التوراة التي بأيدى اليهود وانهم نقصوا منها وان الصحيحة هي التي فسرها السبعون فأمر قسطنطين اليهود بأحضارها وعاقبهم على ذلك حتى دلوه على موضعها بمصر فكتب باحضارها فحملت اليه فاذا بينها وبين توراة اليهود نقص ألف وثلثمائة وتسع وستين سـنة زعموا أنهم نقصوها من مواليد من ذكر فيها لاجل المسيح وفي أيامه بعثت هيلانى بمال عظيم الى مدينة الرها فبني به كنائسها العظيمة وأمر قسطنطين باخراج اليهود من القـدس وألزمهم بالدخول في دين النصرانيـة ومن امتنع منهم قتل فتنصر كثير منهم وامتنع أكثرهم فقتلوا ثم امتحن من تنصر منهم بأن جمعهم يوم الفسح في الكنيسة وأمرهم

بأكل لحم الخنزير فأبي أكثرهم أن يأكل منه فقتل منهم في ذلك اليوم خلائق كثيرة *
ولما قام قسطنطين بن قسطنطين في الملك بعد أبيه غلبت مقالة أريوس على القسطنطينية
وانطاكية والاسكندرية وصار أكثر أهل الاسكندرية وأرض مصر أريوسيين ومنانين
واستولوا على مابها من الكنائس ومال الملك الى رأيهم وحمل الناس عليه ثم رجع عنه
وزعم ابريس اسقف القدس أنه ظهر من السماء على القبر الذى بكنيسة القمامة شبه صليب
من نور في يوم عيد المنصرة لعشرة أيام من شهر ايار فى الساعة الثالثة من النهار حتي غلب
نوره على نور الشمس ورآه جميع أهل القدس عيانا فأقام فوق القبر عدة ساعات والناس
تشاهده فآمن يومئذ من اليهود وغيرهم عدة آلاف كثيرة ثم لما ملك موليانوس ابن عم
قسطنطين اشتد نكايته للنصارى وقتل منهم خلقا كثيرا ومنعهم من النظر فى شئ من الكتب
وأخذ أوانى الكنائس والديارات ونصب مائدة كبيرة عليها أطعمة مما ذبحه لاصنامه ونادى
من أراد المال فليضع البخور على النار وليأكل من ذبائح الحنفاء ويأخذ مايريد من المال
فامتنع كثيرمن الروم وقالوا نحن نصارى فقتل منهم خلائق ومحا الصليب من أعلامه وبنوده
وفى أيامه سكن القديس أيارنوس برية الاردن وبني بها الديارات وهو أول من سكن برية
الاردن من النصارى فلما ملك يوسيانوس على الروم وكان متنصرا عاد كل من كان فر من
الاساقفة الى كرسيه وكتب الى أيناسيوس بطرك الاسكندرية أن يشرح له الامانة المستقيمة
فجمع الاساقفة وكتبوا له أن يلزم أمانة الثلثمائة وثمانية عشر فثار أهل الاسكندرية على ايناسيوس
ليقتلوه ففر وأقاموا بدله لوقيوس وكان اريوسيا فاجتمع مع الاساقفة بعد خمسة اشهر
وحرموه ونفوه وأعادوا ايناسيوس الى كرسيه فأقام بطركا الى أن مات فخلفه بطرس ثم
وثب الاريسيون عليه بعد سنتين ففر منهم وعادوا لوقيوس فأقام بطركا ثلاث سنين ووثب
عليه أعداؤه ففر منهم فردوا بطرس فى العشرين من امشير فأقام سنة وقدم في أيام واليس
ملك الروم اريوس اسقف انطاكية الى الاسكندرية باذن الملك وأخرج منها جماعة من الروم
وحبس بطرس بطركها ونصب بدله أريوس السميساطى ففر بطرس من الحبس الى رومية
واستجار ببطركها وكان واليس اريوسيا فسار الى زيارة كنيسة مارتوما بمدينة الرها ونفى
أسقفها وجماعة معه الى جزيرة رودس ونفى سائر الاساقفة لمخالفتهم لرأيه ماعدا اثنين وأقام
فى بطركية الاسكندرية طيماتاوس فأقام سبع سنين ومات وفى أيامه كان المجمع الثانى من مجامع
النصارى بقسطنطينية في سنة اثنتي عشرة ومائة لدقلطيانوس فاجتمع مائة وخمسون أسقفا
وحرموا مقدينيون عدو روح القدس وكل من قال بقوله وسبب ذلك أنه قال ان روح القدس
مخلوق وحرموا معه غير واحد لعقائد شنيعة تظاهروا بها فى المسيح وزاد الاساقفة فى امانة
التي رتبها الثلثمائة وثمانية عشر ونؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الاب قلت تعالى

الله عما يقولون علوا كبيرا وحرموا أن يزاد فيها بعد ذلك شيء أو ينقص منها شيء وكان هذا المجمع بعد مجمع نيقية بثمان وخمسين سنة وفى أيامه بنيت عدة كنائس بالاسكندرية واستتيب جماعة كثيرة من مقالة اريوس وفى أيامه أطلق للاساقفة والرهبان أكل اللحم يوم الفسح ليخالفوا الطائفة المنانية فانهم كانوا يحرمون أكل اللحم مطلقا ورد الملك اغراديانوس كل من نفاه واليس من الاساقفة وأمر أن يلزم كل واحد دينه ماخلا المنانيـة ثم أقيم بكرسى الاسكندرية تاوفيلا فأقام سبعاً وعشرين سنة ومات في ثامن عشر بابه وفي أيامه ظهر الفتية أهل الـكهف وكان تاوداسيوس اذ ذاك ملكا على الروم فبنى عليهم كنيسة وجعل لهم عيدا في كل سنة واشتد الملك تاوداسيوس على الاريسيين وضيق عليهم وأمر فأخذت منهم كنائس النصارى بعد ماحكموها نحو أربعين سـنة وأسقط من جيشه من كان اريوسيا وطرد من كان فى ديوانه وخدمه منهم وقتل من الحنفاء كثيرا وهدم بيوت الاصنام بكل موضع وفي أيامه بنيت كنيسة مريم بالقـدس وفي أيام الملك ارغاديوس بني دير القصر المعروف الآن بدير البغل في جبل المقطم شرقي طرا خارج مدينة فسطاط مصر * ثم أقيم في بطركية الاسكندرية كرلص فأقام اثنتين وثلاثين سنة ومات في ثالث أبيب وهو أول من أقام القومة في كنائس الاسكندرية وأرض مصر * وفي أيامه كان المجمع الثالث من مجامع النصارى بسبب نسطورس بطرك قسطنطين فانه منع أن تكون مريم أم عيسى وقال انما ولدت مريم انسانا اتحد بمشيئة الاله يعنى عيسى فصار الاتحاد بالمشيئة خاصة لا بالذات وان اطـلاق الاله على عيسى ليس هو بالحقيقة بل بالموهبة والـكرامة وقال از المسيح حل فيه الابن الازلى واني أعبده لان الاله حل فيه وانه جوهران وأقنومان ومشيئة واحـدة وقال في خطبته يوم الميلاد ان مريم ولدت انسانا وأنا لا أعتقد في ابن شهرين وثلاثة الالهية ولا أسجد له سجودي للاله وكان هـذا هو اعتقاد تادروس وديوادارس الاسقفين وكان من قولهما أن المولود من مريم هو المسيح والمولود من الاب هو الابن الازلى وانه حل في المسيح فسمى ابن الله بالموهبة والـكرامة وان الاتحاد بالمشيئة والارادة وأثبتوا لله تعالى عن قولهم ولدين أحدهما بالجوهر والآخر بالنعمة فلما بلغ كرلص بطرك الاسكندرية مقالة نسطورس كتب اليه يرجعه عنها فلم يرجع فكتب الى اكليمس بطرك روميـة والى يوحنا بطرك انطاكية والى يوناليوس أسقف القـدس يعرفهم بذلك فكتبوا بأجمعهم الى نسطورس ليرجع عن مقالته فلم يرجع فتواعد البطاركة على الاجتماع بمدينة أفسس فاجتمع بها مائتا أسقف ولم يحضر يوحنا بطرك انطاكية وامتنع نسطورس من المجئ اليهم بعد ما كرروا الارسال في طلبه غير مرة فنظروا في مقالته وحرموه ونفوه فحضر بعد ذلك يوحنا فعز عليـه فصل الامر قبل قدومه وانتصر لنسطورس وقال قد حرموه بغير حق وتفرقوا من أفسس على

شر ثم اصطلحوا وكتب المشرقيون صحيفة بأمانتهم وبحرمان نسطورس وبعثوا بها الى كرلص فقبلها وكتب اليهم بأن أمانته على ما كتبوا فكان بين المجمع الثانى وبين هذا المجمع خمسون وقيل خمس وخمسون سنة وأما نسطورس فانه نفى الى صعيد مصر فنزل مدينة اخميم وأقام بها سبع سنين ومات فدفن بها وظهرت مقالته فقبلها برصوما أسقف نصيبين ودان بها نصارى أرض فارس والعراق والموصل والجزيرة الى الفرات وعرفوا الى اليوم بالنسطورية ثم قدم تاوداسيوس ملك الروم في الثانية من ملكه ديسقورس بطركاً بالاسكندرية فظهر في أيامه مذهب اوطاخي أحد القنوميين بالقسطنطينية وزعم أن جسد المسيح لطيف غير مساو لاجسادنا وأن الابن لم يأخذ من مريم شيئاً فاجتمع عليه مائة وثلاثون أسقفا وحرموه واجتمع بالاسكندرية كثير من اليهود في يوم الفسح وصلبوا صنما على مثال المسيح وعبثوا به فثار بينهم وبين النصارى شر قتل فيه بين الفريقين خلق كثير فبعث اليهم ملك الروم جيشا قتل اكثر يهود الاسكندرية وكان المجمع الرابع من مجامع النصارى بمدينة خلقدونية وسببه أن ديسقورس بطرك الاسكندرية قال ان المسيح جوهر من جوهرين وقنوم من قنومين وطبيعة من طبيعتين ومشيئة من مشيئتين وكان رأي مرقيانوس ملك الروم انه جسد وأهل مملكته انه جوهران وطبيعتان ومشيئتان وقنوم واحد فلما رأى الاساقفة أن هذا رأى الملك خافوه فوافقوه على رأيه ماخلا ديسقورس وستة أساقفة فانهم لم يوافقوا الملك وكتب من عداهم من الاساقفة خطوطهم بما اتفقوا عليه فبعث ديسقورس يطلب منهم الكتاب ليكتب فيه فلما وصل اليه كتابهم كتب فيه أمانته هو وحرمهم وكل من يخرج عنها فغضب الملك مرقيانوس وهم بقتله فأشير عليه باحضاره ومناظرته فأمر به فحضر وحضر ستمائة وأربعة وثلاثون أسقفا فأشار الاساقفة والبطاركة على ديسقورس بموافقة رأى الملك واستمراره على رياسته فدعا للملك وقال لهم الملك لايلزمه البحث فى هذه الامور الدقيقة بل ينبغي له أن يشتغل بأمور مملكته وتدبيرها ويدع الكهنة يبحثون عن الامانة المستقيمة فانهم يعرفون الكتب ولا يكون له هوي مع أحد ويتبع الحق فقالت باخارية زوجة الملك مرقيانوس وكانت جالسة بازائه ياديسقورس قد كان في زمان أمي انسان قوى الرأس مثلك وحرموه ونفوه عن كرسيه تعنى يوحنا فم الذهب بطرك قسطنطينية فقال لها قد علمت ماجرى لامك وكيف ابتليت بالمرض الذي تعرفينه الى أن مضت الى جسد يوحنا فم الذهب واستغفرت فعوفيت فحنقت من قوله ولكمته فانقلع له ضرسان وتناولته أيدى الرجال فنتفوا اكثر لحيته وأمر الملك بحرمانه ونفيه عن كرسيه فاجتمعوا عليه وحرموه ونفوه وأقيم عوضه برطاوس ومن هذا المجمع افترق النصارى وصاروا ملكية على مذهب مرقيانوس الملك ويعقوبية على رأى ديسقورس وذلك

في سنة ثلاث وتسعين ومائة لدقلطيانوس وكتب مرقيانوس الى جميع مملكته ان كل من لايقول بقوله يقتل فكان بين المجمع الثالث وبين هذا المجمع احدى وعشرون سنة وأما ديسقورس فانه أخذ ضرسيه وشعر لحيته وأرسلها الى الاسكندرية وقال هذه ثمرة تعبي على الامانة فتبعه أهل اسكندرية ومصر وتوجه فى نفيه فعبر على القدس وفلسطين وعرفهم مقالته فتبعوه وقالوا بقوله وقدم عدة أساقفة يعقوبية ومات وهو منفى في رابع توت فكانت مدة بطركيته أربع عشرة سنة وبقى كرسى المملكة بغير بطرك مدة مملكة مرقيانوس وقيل بل قدم برطاوس وقد اختلف في تسمية اليعقوبية بهذا فقيل ان ديسقورس كان يسمى قبل بطركيته يعقوب وأنه كان يكتب وهو منفى الى أصحابه بأن يثبتوا على أمانة المسكين المنفى يعقوب وقيل بل كان له تلميذ اسمه يعقوب وكان يرسله وهو منفى الى أصحابه فنسبوا اليه وقيل بل كان يعقوب تلميذ ساويرس بطرك انطاكية وكان على رأى ديسقورس فكان ساويرس يبعث يعقوب الى النصارى ويثبتهم على أمانة ديسقورس فنسبوا اليه وقيل بل كان يعقوب كثير العبادة والزهد يلبس خرق البراذع فسمى يعقوب البراذعي من أجل ذلك وانه كان يطوف البلاد ويرد الناس الى مقالة ديسقورس فنسب من اتبع رأيه اليه وسموا يعقوبية ويقال ليعقوب أيضاً يعقوب السروجي وفي أيام مرقيانوس كان سمعان الحبيس صاحب العمود وهو أول راهب سكن صومعة وكان مقامه بمغارة في جبل انطاكية ولما مات مرقيانوس وثب أهل الاسكندرية على برطاوس البطرك وقتلوه فى الكنيسة وحملوا جسده الى الملعب الذى بناه بطليموس وأحرقوه بالنار من أجل أنه ملكى الاعتقاد فكانت مدة بطركيته ست سنين وأقاموا عوضه طيماتاوس وكان يعقوبياً فاقام ثلاث سنين وقدم قائد من قسطنطينية فنفاه وأقام عوضه ساويرس وكان ملكياً فأقام اثنتين وعشرين سنة ومات في سابع مسرى فلما ملك زنبون بن لاون الروم أكرم اليعقوبية وأعزهم لانه كان يعقوبياً وكان يحمل الى دير يوقنا كل سنة مايحتاج اليه من القمح والزيت وهرب ساويرس من كرسى الاسكندرية الى وادى هبيب ورجع طيماتاوس من نفيه فأقام بطركاً سنتين ومات فأقيم بعده بطرس فأقام ثماني سنين وسبعة أشهر وستة أيام ومات فى رابع هتور فأقيم بعده اثناسيوس فأقام سبع سنين ومات في العشرين من توت وفي أيامه احترق الملعب الذى بناه بطليموس وأقيم يوحنا في بطركية الاسكندرية وكان يعقوبيا فأقام تسع سنين ومات في رابع بشنس فخلا الكرسى بعده سنة ثم أقيم يوحنا الحبيس فأقام احدى وعشرين سنة ومات في سابع عشرى بشنس فأقيم بعده ديسقورس الجديد فأقام سنتين وخمسة اشهر ومات في سابع عشر بابه وكتب ايليا بطرك القدس الى نسطاس ملك الروم بأن يرجع عن مقالة اليعقوبية الى مقالة الملكية وبعث اليه جماعة من الرهبان بهدية سنية فقبل هديته وأجاز الرهبان بجوائز جليلة وجهز له مالا

جزيلا لعمارة الكنائس والديارات والصدقات فتوجه ساويرس الى نسطاس وعرفه أن الحق
هو اعتقاد اليعقوبية فأمر أن يكتب الى جميع مماكته بقبول قول ديسقورس وترك المجمع
الخلقدونى فبعث اليه بطرك انطاكية بأن هذا الذى فعلته غير واجب وأن المجمع الخلقدوني
هو الحق فغضب الملك ونفاه وأقام بدله فأمر ايليا بطرك القدس بجمع الرهبان ورؤساء
الديارات فاجتمع له منهم عشرة آلاف نفس وحرموا نسطاس الملك ومن يقول بقوله
فأمر نسطاس بنفى ايليا الى مدينة ايلة فاجتمع بطاركة الملكية وأساقفتهم وحرموا
الملك نسطاس ومن يقول بقوله وفى أيام نسطايوس الملك ألزم الحنفاء أهل حران وهم
الصابئة بالتنصر فتنصر كثير منهم وقتل أكثرهم على امتناعهم من دين النصرانية ورد
جميع من نفاه نسطاس من الملكية فانه كان ملكيا وأقيم طيماتاوس في بطركية الاسكندرية
وكان يعقوبيا فأقام ثلاث سنين ونفى وأقيم بدله أبوليناريوس وكان ملكيا فجد فى رجوع
النصارى بأجمعهم الى رأى الملكية وبذل جهده فى ذلك وألزم نصارى مصر بقبول
الامانة المحدثة فوافقوه ووافقه رهبان ديارات بومقار بوادى هبيب هذا ويعقوب
البراذعي يدور في كل موضع ويثبت أصحابه على الامانة التي زعم انها مستقيمة وأمر الملك
جميع الاساقفة بعمل الميلاد فى خامس عشرى كانون الاول وبعمل الغطاس لست تخلو
من كانون الثاني وكان كثير منهم يعمل الميلاد والغطاس في يوم واحد وهو سادس
كانون الثانى وعلى هذا الرأى الارمن الى يومنا هذا وفي هذه الايام ظهر يوحنا النحوي
بالاسكندرية وزعم أن الاب والابن وروح القدس ثلاثة آلهة وثلاث طبائع وجوهر
واحد وظهر يوليان وزعم أن جسد المسيح نزل من السماء وانه لطيف روحانى لايقبل
الآلام الا عند مقارفة الخطيئة والمسيح لم يقارف خطيئة فلذلك لم يصلب حقيقة ولم يتألم
ولم يمت وانما ذلك كله خيال فأمر الملك البطرك طيماتاوس أن يرجع الى مذهب الملكية فلم
يفعل فأمر بقتله ثم شفع فيه ونفى وأقيم بدله بولص وكان ملكيا فأقام سنتين فلم يرضه
اليعاقبة وقيل أنهم قتلوه وصيروا عوضه بطركا ديلوس وكان ملكيا فأقام خمس سنين في شدة
من التعب وأرادوا قتله فهرب وأقام فى هربه خمس سنين ومات فبلغ ملك الروم يوسطيانوس
أن اليعقوبية قد غلبوا على الاسكندرية ومصر وأنهم لايقبلون بطاركته فبعث أبوليناريوس
أحد قواده وضم اليه عسكرا كبيرا الى الاسكندرية فلما قدمها ودخل الكنيسة نزع عنه
ثياب الجند ولبس ثياب البطاركة وقدس فهم ذلك الجمع برجمه فانصرف وجمع عسكره وأظهر
أنه قد أتاه كتاب الملك ليقرأه على الناس وضرب الجرس في الاسكندرية يوم الاحد فاجتمع
الناس الى الكنيسة حتى لم يبق أحد فطلع المنبر وقال يأهل الاسكندرية ان تركتم مقالة
اليعقوبية والا أخاف أن يرسل الملك فيقتلكم ويستبيح أموالكم وحريمكم فهموا برجمه

فأشار الى الجند فوضعوا السيف فيهم فقتل من الناس مالا يحصي عدده حتي خاض الجند في الدماء وقيل ان الذي قتل يومئذ مائتا ألف انسان وفر منهم خلق الى الديارات بوادى هيب وأخذ الملكية كنائس اليعاقبة ومن يومئذ صار كرسى اليعقوبية فى دير بومقار بوادي هيب وفي أيامه ثارت السامرة على أرض فلسطين وهدموا كنائس النصارى وأحرقوا ما فيها وقتلوا جماعـة من النصارى فبعث الملك جيشا قتلوا من السامرة خلقا كثيرا ووضع من خراج فلسطين جملة وجدد بناء الكنائس وأنشأمارستانا ببيت المقدس للمرضى ووسع فى بناء كنيسة بيت لحم وبني ديرا بطور سيناء وعمل عليـه حصنا حوله عدة قلالى ورتب فيها حرسا لحفظ الرهبان * وفى أيامه كان المجمع الخامس من مجامع النصاري وسببـه أن أريحانس أسقف مدينـة منبج قال بتناسخ الارواح وقال كل من أسقف أنقرة وأسقف المصيصة وأسقف الرها ان جسد المسيح خيال لاحقيقي فحملوا الى القسطنطينية وجمع بينهم وبين بطركها أوطس وناظرهم وأوقع عليهـم الحرمان فأمر الملك أن يجمع لهم مجمع وأمر باحضار البطاركة والاساقفة فاجتمع مائة وأربعون أسقفا وحرموا هؤلاء الاساقفـة ومن يقول بقولهم فكان بين المجمع الرابع الخلقدونى وبين هذا المجمع مائة وثلاث وستون سنة * ولما مات القائد الذى عمل بطرك الاسكندرية بعد سبع عشرة سنة أقيم بعده يوحناوكان منانيا فأقام ثلاث سنين ومات وقدم اليعاقبة بطركا اسمه تاوداسيوس أقام مدةاثنتين وثلاثين سنة وقدم الملكية بطركا اسمه داقوس فكتب الملك الى متولى الاسكندرية أن يعرض على بطرك اليعاقبةأمانة المجمع الخلقدونى فان لم يقبلها أخرجه فعرض عليه ذلك فلم يقبله فأخرجه وأقام بعده بولص التنيسى فلم يقبله أهل الاسكندرية ومات فغلقت كنائس القبط اليعاقبة وأصابهم من الملكية شدائد كثيرةواستجد اليعاقبة بالاسكندرية كنيستين فى سنة ثمان وأربعين ومائتين لدقلطيانوس ومات تاوداسيوس ثامن عشري بؤنة بعد اثنتين وثلاثين سنةمن بطركيته منها مدة أربع سنين مدة نفيه في صعيد مصر وأقيم بعده بطرس وكان يعقوبيا فى خفيةبدير الزجاج بالاسكندرية قدمه ثلاثة أساقفة فأقام سنتين ومات في خامس عشرى بؤنة (٣) من اليعاقبة سنة واحدة * وفي سنة احدى وثمانين وثمانمائة أقيم داميانو بطركابالاسكندرية وكان يعقوبيا فأقام ستا وثلاثين سنة ومات في ثامن عشرى بؤنة وفي أيامه خربت الديارات وأقام الملكية لهم بالاسكندرية بطركا ميانيا اسمه أثناس فأقام خمس سنين ومات فأقيم بعده يوحنا وكان ميانيا ولقب القائم بالحق فأقام خمسة أشهر ومات فأقيم بعده يوحنا القائم بالامر وكان ملكيا فأقام احدى عشرة سنة ومات وفى ايام الملك طيباريوس ملك الروم بنى النصارى بالمدائن مدائن كسرى هيكلا وبنوا أيضاً بمدينـة واسط هيـكلا آخر * وفي أيام الملك موريق قيصر زعم راهب اسمه مارون أن المسيح عليه السلام طبيعتان ومشيئة واحـدة

واقنوم واحد فتبعه على رأيه أهل حماه وقنسرين والعواصم وجماعة من الروم ودانوا بقوله فعرفوا بين النصارى بالمارونية فلما مات مارون بنوا على اسمه دير مارون بحماه * وفي أيام فوقا ملك الروم بعث كسرى ملك فارس جيوشه الى بلاد الشام ومصر فخربوا كنائس القدس وفلسطين وعامة بلاد الشام وقتلوا النصارى بأجمعهم وأتوا الى مصر في طلبهم فقتلوا منهم أمة كبيرة وسبوا منهم سبيا لا يدخل تحت حصر وساعدهم اليهود في محاربة النصارى وتخريب كنائسهم وأقبلوا نحو الفرس من طبرية وجبل الجليل وقرية الناصرة ومدينة صور وبلاد القدس فنالوا من النصاري كل منال وأعظموا النكاية فيهم وخربوا لهم كنيستين بالقدس وحرقوا أماكنهم وأخذوا قطعة من عود الصليب وأسروا بطرك القدس وكثيرا من أصحابه ثم مضى كسرى بنفسه من العراق لغزو قسطنطينية تخت ملك الروم فحاصرها أربع عشرة سنة وفي أيام فوقا اقيم يوحنا الرحوم بطرك الاسكندرية على الملكية فدبر أرض مصر كلها عشر سنين ومات بقبرس وهو فار من الفرس فخلا كرسى اسكندرية من البطركية سبع سنين لخلو أرض مصر والشام من الروم واختفى من بقى بها من النصارى خوفا من الفرس وقدم اليعاقبة نسطاسيوس بطركا فأقام ثنتى عشرة سنة ومات في ثاني عشرى كيهك سنة ثلاثين وثلثمائة لدقلطيانوس فاسترد ما كانت الملكية قد استولت عليه من كنائس اليعاقبة ورم ما شعثه الفرس منها وكانت اقامته بمدينة الاسكندرية فأرسل اليه انباسيوس بطرك انطاكية هدية صحبة عدة كثيرة من الاساقفة ثم قدم عليه زائرا فتلقاه وسر بقدومه وصارت أرض مصر في أيامه جميعها يعاقبة لخلوها من الروم فثارت اليهود في أثناء ذلك بمدينة صور وراسلوا بقيتهم في بلادهم وتواعدوا على الايقاع بالنصارى وقتلهم فكانت بينهم حرب اجتمع فيها من اليهود نحو عشرين ألفا وهدموا كنائس النصارى خارج صور فقوى النصارى عليهم وكاثروهم فانهزم اليهود هزيمة قبيحة وقتل منهم خلق كثير وكان هرقل قد ملك الروم بقسطنطينية وغلب الفرس بحيلة دبرها على كسري حتى رحل عنهم ثم سار من قسطنطينية ليمهد ممالك الشام ومصر ويجدد ما خربه الفرس منها فخرج اليه اليهود من طبرية وغيرها وقدموا له الهدايا الجليلة وطلبوا منه أن يؤمنهم ويحلف لهم على ذلك فأمنهم وحلف لهم ثم دخل القدس وقد تلقاه النصارى بالاناجيل والصلبان والبخور والشموع المشعلة فوجد المدينة وكنائسها وقمامتها خرابا فساءه ذلك وتوجع له وأعلمه النصارى بما كان من ثورة اليهود مع الفرس وايقاعهم بالنصاري وتخريبهم الكنائس وانهم كانوا أشد نكاية لهم من الفرس وقاموا قياما كبيرا في قتلهم عن آخرهم وحثوا هرقل على الوقيعة بهم وحسنوا له ذلك فاحتج عليهم بما كان من تأمينه لهم وحلفه فأفتاه رهبانهم وبطاركتهم وقسيسوهم بأنه لا حرج عليه في قتلهم فانهم عملوا عليه حيلة حتي أمنهم من غير أن يعلم بما كان منهم وانهم يقومون عنه بكفارة يمينه بأن يلتزموا

ويلزموا النصارى بصوم جمعة في كل سنة عنه على ممر الزمان والدهور فمال الى قولهم وأوقع باليهود وقيعة شنعاء أبادهم جميعهم فيها حتى لم يبق في ممالك الروم بمصر والشام منهم الا من فر واختفى فكتب البطارقة والاساقفة الى جميع البلاد بالزام النصارى بصوم أسبوع في السنة فالتزموا صومه الى اليوم وعرفت عندهم بجمعة هرقل وتقدم هرقل بعمارة الكنائس والديارات وأنفق فيها مالا كبيرا *وفي أيامه أقيم ادراسلون بطرك اليعاقبة بالاسكندرية فأقام ست سنين ومات في ثامن طوبه فخربت الديارات في مدة بطركيته وأقيم بعده على اليعاقبة بنيامين فعمر الدير الذي يقال له دير أبو بشاى ودير سيدة أبو بشاى وهما في وادى هبيب فأقام تسعا وثلاثين سنة ملك الفرس منها مصر عشر سنين ثم قدم هرقل فقتل الفرس بمصر وأقام فيرش بطرك الاسكندرية وكان منانيا وطلب بنيامين ليقتله فلم يقدر عليه لفراره منه وكان هرقل مارونيا فظفر بمينا أخى بنيامين فأحرقه بالنار عداوة لليعاقبة وعاد الى القسطنطينية فأظهر الله دين الاسلام فى أيامه وخرج ملك مصر والشام من يد النصارى وصار النصارى ذمة للمسلمين فكانت مدة النصارى منذ رفع المسيح الى أن فتحت مصر وصار النصارى من القبط ذمة للمسلمين (٣) منها مدة كونهم تحت أيدى الروم يقتلونهم أبرح قتل بالصليب والتحريق بالنار والرجم بالحجارة وتقطيع الاعضاء (٣) ومنها مدة استيلائهم بمصر الملوك

* ( ذكر دخول النصاري من قبط مصر فى طاعة المسلمين وأدائهم الجزية واتخاذهم ذمة لهم وما كان في ذلك من الحوادث والانباء ) *

اعلم أن أرض مصر لما دخلها المسلمون كانت بأجمعها مشحونة بالنصارى وهم على قسمين متباينين فى أجناسهم وعقائدهم أحدهما أهل الدولة وكلهم روم من جند صاحب القسطنطينية ملك الروم ورأيهم وديانتهم بأجمعهم ديانة الملكية وكانت عدتهم تزيد على ثلثمائة ألف رومى والقسم الآخر عامة أهل مصر ويقال لهم القبط وأنسابهم مختلطة لا يكاد يتميز منهم القبطي من الحبشي من النوبي من الاسرائيلى الاصل من غيره وكلهم يعاقبة فمنهم كتاب المملكة ومنهم التجار والباعة ومنهم الاساقفة والقسوس ونحوهم ومنهم أهل الفلاحة والزرع ومنهم أهل الخدمة والمهنة وبينهم وبين الملكية أهل الدولة من العداوة مايمنع مناكحتهم ويوجب قتل بعضهم بعضا ويبلغ عددهم عشرة آلاف كثيرة جدا فانهم في الحقيقة أهل أرض مصر أعلاها وأسفلها فلما قدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين معه الى مصر قاتلهم الروم حماية لملكهم ودفعا لهم عن بلادهم فقاتلهم المسلمون وغلبوهم على الحصن كما تقدم ذكره فطلب القبط من عمرو المصالحة على الجزية فصالحهم عليها وأقرهم على ما بأيديهم من الاراضى وغيرها وصاروا معه عونا للمسلمين على الروم حتى هزمهم الله تعالى وأخرجهم من أرض مصر وكتب عمرو لبنيامين بطرك اليعاقبة أمانا في سنة عشرين من الهجرة فسره ذلك وقدم على عمرو وجلس

على كرسى بطركيته بعد ماغاب عنه ثلاث عشرة سنة منها فى ملك فارس لمصر عشر سنين و باقيها بعد قدوم هرقل الى مصر فغلبت اليعاقبة على كنائس مصر ودياراتها كلها وانفردوا بها دون الملكية ويذكر علماء الاخبار من النصارى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح مدينة القدس كتب للنصارى أمانا على أنفسهم وأولادهم ونسائهم وأموالهم وجميع كنائسهم لاتهدم ولا تسكن وانه جلس فى وسط صحن كنيسة القمامة فلما حان وقت الصلاة خرج وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التي على بابها بمفرده ثم جلس وقال للبطرك لو صليت داخل الكنيسة لاخذها المسلمون من بعدى وقالوا ههنا صلى عمر وكتب كتابا يتضمن أنه لايصلى أحد من المسلمين على الدرجة الا واحد واحد ولايجتمع المسلمون بها للصلاة فيها ولا يؤذنون عليها وانه أشار عليه البطرك باتخاذ موضع الصخرة مسجدا وكان فوقها تراب كثير فتناول عمر رضى الله عنه من التراب في ثوبه فبادر المسلمون لرفعه حتى لم يبق منه شئ وعمر المسجد الاقصى امام الصخرة فلما كانت أيام عبد الملك بن مروان أدخل الصخرة في حرم الاقصى وذلك سنة خمس وستين من الهجرة ثم ان عمر رضى الله عنه أتى بيت لحم وصلى في كنيسته عند الخشبة التي ولد فيها المسيح وكتب سجلا بأيدى النصارى أن لايصلي فى هذا الموضع أحد من المسلمين الا رجل بعد رجل ولا يجتمعوا فيه للصلاة ولا يؤذنوا عليه ولما مات البطرك بنيامين فى سنة تسع وثلاثين من الهجرة بالاسكندرية في امارة عمرو الثانية قدم اليعاقبة بعده أغاثو فاقام سبع عشرة سنة ومات سنة ست وخمسين وهو الذى بنى كنيسة مرقص بالاسكندرية فلم تزل الى أن هدمت فى سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب وكان فى أيامه الغلاء مدة ثلاث سنين وكان يهتم بالضعفاء فأقيم بعده ايساك وكان يعقوبيا فأقام سنتين وأحد عشر شهرا ومات فقدم اليعاقبة بعده سيمون السريانى فأقام سبع سنين ونصفا ومات وفي أيامه قدم رسول أهل الهند في طلب أسقف يقيمه لهم فامتنع من ذلك حتى يأذن له السلطان وأقام غيره وخلا بعد موته كرسى الاسكندرية ثلاث سنين بغير بطرك ثم قدم اليعاقبة فى سنة احدى وثمانين الاسكندروس فأقام أربعا وعشرين سنة ونصفا وقيل خمسا وعشرين سنة ومات سنة ست ومائة ومرت به شدائد صودر فيها مرتين أخذ منه فيهما ستة آلاف دينار وفي أيامه أمر عبد العزيز بن مروان فأمر باحصاء الرهبان فأحصوا وأخذت منهم الجزية عن كل راهب دينار وهى أول جزية أخذت من الرهبان * ولما ولى مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان اشتد على النصاري واقتدى به قرة بن شريك أيضاً في ولايته على مصر وانزل بالنصارى شدائد لم يبتلوا قبلها بمثلها وكان عبد الله بن الحبحاب متولى الخراج قد زاد على القبط قيراطا في كل دينار فانتقض عليه عامة الحوف الشرقي من القبط فحاربهم المسلمون وقتلوا منهم عدة وافرة فى سنة سبع ومائة واشتد ايضاً أسامة بن

زيد التنوخي متولي الخراج على النصارى وأوقع بهم واخذ اموالهم ووسم ايدى الرهبان بحلقة حديد فيها اسم الراهب واسم ديره وتاريخه فكل من وجده بغير وسم قطع يده وكتب الى الاعمال بأن من وجد من النصارى وليس معه منشور أن يؤخذ منه عشرة دنانير ثم كبس الديارات وقبض على عدة من الرهبان بغير وسم فضرب أعناق بعضهم وضرب باقيهم حتي ماتوا تحت الضرب ثم هدمت الكنائس وكسرت الصلبان ومحيت التماثيل وكسرت الاصنام بأجمعها وكانت كثيرة في سنة اربع ومائة والخليفة يومئذ يزيد بن عبد الملك فلما قام هشام بن عبد الملك فى الخلافة كتب الى مصر بأن يجرى النصارى على عوايدهم ومابأيديهم من العهد فقدم حنظلة بن صفوان أميرا على مصر في ولايته الثانية فتشدد على النصارى وزاد فى الخراج وأحصى الناس والبهائم وجعل على كل نصرانى وسما صورة أسد وتتبعهم فمن وجده بغير وسم قطع يده ثم أقام اليعاقبة بعد موت الاسكندروس بطركا اسمه قسما فأقام خمسة عشر شهرا ومات فقدموا بعده تادرس في سنة تسع ومائة ومات بعد احدي عشرة سنة * وفى ايامه احدثت كنيسة يوقنا بخط الحمراء ظاهر مدينة مصر فى سنة سبع عشرة ومائة فقام جماعة من المسلمين على الوليد بن رفاعة امير مصر بسببها وفي سنة عشرين ومائة قدم اليعاقبة ميخائيل بطركا فأقام ثلاثا وعشرين سنة ومات * وفى ايامه انتقض القبط بالصعيد وحاربوا العمال في سنة احدى وعشرين فحوربوا وقتل كثير منهم ثم خرج بحنس بسمنود وحارب وقتل فى الحرب وقتل معه قبط كثير في سنة اثنتين وثلاثين ومات ثم خالفت القبط برشيد فبعث اليهم مروان بن محمد لما قدم مصر وهزمهم وقبض عبد الملك بن موسى ابن نصير أمير مصر على البطرك ميخائيل فاعتقله وألزمه بمال فسار بأساقفته فى أعمال مصر يسأل أهلها فوجدهم فى شدائد فعاد الى الفسطاط ودفع الى عبد الملك ما حصل له فأفرج عنه فنزل به بلاء كبير من مروان وبطش به وبالنصارى وأحرق مصر وغلاتها وأسر عدة من النساء المترهبات ببعض الديارات وراود واحدة منهن عن نفسها فاحتالت عليه ودفعته عنها بأن رغبته في دهن معها اذا ادهن به الانسان لايعمل فيه السلاح وأوثقته بأن مكنته من التجربة فى نفسها فتمت حيلتها عليه وأخرجت زيتا ادهنت به ثم مدت عنقها فضربها بسيفه أطار رأسها فعلم أنها اختارت الموت على الزنا وما زال البطرك والنصاري في الحديد مع مروان الى أن قتل ببوصير فأفرج عنهم وأما الملكية فان ملك الروم لاون أقام قسيما بطرك الملكية بالاسكندرية في سنة سبع ومائة فمضى ومعه هدية الى هشام بن عبد الملك فكتب له برد كنائس الملكية اليهم فأخذ من اليعاقبة كنيسة البشارة وكان الملكية أقاموا سبعا وسبعين سنة بغير بطرك فى مصر من عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى خلافة هشام بن عبد الملك فغلب اليعاقبة فى هذه المدة على جميع كنائس مصر وأقاموا بها منهم اساقفة وبعث اليهم أهل بلاد النوبة فى طلب اساقفة فبعثوا اليهم

من اساقفة اليعاقبة فصارت النوبة من ذلك العهد يعاقبة ثم لما مات ميخائيل قدم اليعاقبة في سنة ست وأربعين ومائة انبامسنا فأقام سبع سنين ومات * وفي أيامه خرج القبط بناحية سخا وأخرجوا العمال فى سنة خمسين ومائة وصاروا في جمع فبعث اليهم يزيد بن حاتم بن قبيصة أمير مصر عسكرا فأتاهم القبط ليلا وقتلوا عدة من المسلمين وهزموا باقيهم فاشتد البلاء على النصارى واحتاجوا الى أكل الجيف وهدمت الكنائس المحدثة بمصر فهدمت كنيسة مريم المجاورة لابى شنودة بمصر وهدمت كنائس محارس قسطنطين فبذل النصارى لسليمان بن على أمير مصر فى تركها خمسين ألف دينار فأبي فلما ولى بعده موسي بن عيسى أذن لهم في بنائها فبنيت كلها بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة قاضى مصر واحتجا بأن بناءها من عمارة البلاد وبأن الكنائس التي بمصر لم تبن الا في الاسلام في زمن الصحابة والتابعين فلما مات انبامسنا قدم اليعاقبة بعده يوحنا فأقام ثلاثا وعشرين سنة ومات * وفي أيامه خرج القبط ببلهيت سنة ست وخمسين فبعث اليهم موسى بن على أمير مصر وهزمهم وقدم بعده اليعاقبة مرقص الجديد فأقام عشرين سنة وسبعين يوما ومات * وفي أيامه كانت الفتنة بين الامين والمأمون فانتهبت النصارى بالاسكندرية وأحرقت لهم مواضع عديدة وأحرقت ديارات وادى هبيب ونهبت فلم يبق بها من رهبانها الانفر قليل * وفى أيامه مضي بطرك الملكية الى بغداد وعالج بعض حظايا أهل الخليفة فانه كان حاذقا بالطب فلما عوفيت كتب له برد كنائس الملكية التى تغلب عليها اليعاقبة بمصر فاستردها منهم وأقام في بطركية الملكية أربعين سنة ومات ثم قدم اليعاقبة بعد مرقص يعقوب في سنة احدى عشرة ومائتين فأقام عشر سنين وثمانية اشهر ومات * وفى أيامه عمرت الديارات وعاد الرهبان اليها وعمرت كنيسة بالقدس لمن يرد من نصارى مصر وقدم عليه ديونوسيس بطرك انطاكية فأكرمه حتى عاد الى كرسيه * وفي أيامه انتقض القبط في سنة ست عشرة ومائتين فأوقع بهم الافشين حتي نزلوا على حكم أمير المؤمنين عبد الله المأمون فحكم فيهم بقتل الرجال وبيع النساء والذرية فبيعوا وسبي أكثرهم ومن حينئذ ذلت القبط في جميع أرض مصر ولم يقدر أحد منهم بعد ذلك على الخروج على السلطان وغلبهم المسلمون على عامة القرى فرجعوا من المحاربة الى المكايدة واستعمال المكر والحيلة ومكايدة المسلمين وعملوا كتاب الخراج فكانت لهم وللمسلمين أخبار كثيرة يأتى ذكرها ان شاء الله تعالى ثم قدم اليعاقبة سيماون بطركا فى سنة اثنتين وعشرين ومائتين فأقام سنة ومات وقيل بل أقام سبعة اشهر وستة عشر يوما فخلا كرسى البطاركة بعده سنة وسبعة وعشرين يوما وقدم اليعاقبة يوساب فى دير بوقار بوداى هبيب في سنة سبع وعشرين ومائتين فأقام ثمانى عشرة سنة ومات * وفي أيامه قدم مصر يعقوب مطران الحبشة وقد نفته زوجة ملكهم وأقامت عوضه اسقفا فبعث ملك الحبشة يطلب اعادته من البطرك فبعث به اليه

وبعث أيضاً عدة اساقفة الى افريقية * وفي أيامه مات بطرك انطاكية الوارد الى مصر في السنة الخامسة عشرة من بطركيته * وفي أيامه أمر المتوكل على الله في سنة خمس وثلاثين ومائتين أهل الذمة بلبس الطيالسة العسلية وشد الزنانير وركوب السروج بالركب الخشب وعمل كرتين في مؤخر السرج وعمل رقعتين على لباس رجالهم تخالفان لون الثوب قدر كل واحدة منهما أربع أصابع ولون كل واحدة منهما غير لون الاخرى ومن خرج من نسائهم تلبس ازارا عسليا ومنعهم من لباس المناطق وأمر بهدم بيعهم المحدثة وبأخذ العشر من منازلهم وأن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب ونهى أن يستعان بهم في أعمال السلطان ولا يعلمهم مسلم ونهى أن يظهروا في شعانينهم صليبا وأن لا يشعلوا في الطريق نارا وأمر بتسوية قبورهم مع الارض وكتب بذلك الى الآفاق ثم أمر في سنة تسع وثلاثين أهل الذمة بلبس دراعتين عسليتين على الدراريع والاقبية وبالاقتصار في مراكبهم على ركوب البغال والحمير دون الخيل والبراذين فلما مات يوساب في سنة اثنتين وأربعين ومائتين خلا الكرسى بعده ثلاثين يوما وقدم اليعاقبة قسيسا بدير بحنس يدعي بميكائيل في البطركية فأقام سنة وخمسة اشهر ومات فدفن بدير بومقار وهو أول بطرك دفن فيه فخلا الكرسي بعده أحدا وثمانين يوما ثم قدم اليعاقبة فى سنة أربع وأربعين ومائتين شماسا بدير بومقار اسمه قسيما فأقام في البطركية سبع سنين وخمسة اشهر ومات فخلا الكرسى بعده أحدا وخمسين يوما * وفي أيامه أمر توفيل بن ميخائيل ملك الروم بمحو الصور من الكنائس وأن لا تبقى صورة في كنيسة وكان سبب ذلك أنه بلغه عن قيم كنيسة انه عمل في صورة مريم عليها السلام شبه ثدى يخرج منه لبن ينقط في يوم عيدها فكشف عن ذلك فاذا هو مصنوع ليأخذ به القيم المال فضرب عنقه وأبطل الصور من الكنائس فبعث اليه قسيما بطرك اليعاقبة وناظره حتى سمح باعادة الصور على ما كانت عليه ثم قدم اليعاقبة سانير بطركا فأقام تسع عشرة سنة ومات فأقيم يوسانيوس في أول خلافة المعتز فأقام احدى عشرة سنة ومات وعمل فى بطركيته مجارى تحت الارض بالاسكندرية يجري بها الماء من الخليج الى البيوت * وفي أيامه قدم أحمد بن طولون مصر أميرا عليها ثم قدم اليعاقبة ميخائيل فأقام خمسا وعشرين سنة ومات بعد ماالزمه أحمد بن طولون بحمل عشرين ألف دينار باع فيها رباع الكنائس الموقوفة عليها وأرض الحبش ظاهر فسطاط مصر وباع الكنيسة بجوار المعلقة من قصر الشمع لليهود وقرر الديارية على كل نصرانى قيراطا في السنة فقام بنصف المقرر عليه * وفى أيامه قتل الامير أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون فلما مات شغر كرسى الاسكندرية بعده من البطاركة أربع عشرة سنة * وفي يوم الاثنين ثالث شوال سنة ثلثمائة أحرقت الكنيسة الكبرى المعروفة بالقيامة في الاسكندرية وهى التي كانت هيكل زحل وكانت من بناء كلابطره * وفى سنة

احدى وثلثمائة قدم اليعاقبة غبريال بطركا فأقام احدى عشرة سنة ومات وأخذت في أيامـه الديارية على الرجال والنساء وقدم بعده اليعاقبة في سنة احـدى عشرة وثلثمائة قسما فأقام ثنتى عشرة سنة ومات * وفي يوم السبت النصف من شهر رجب سنة ثنتي عشرة وثلثمائة أحرق المسلمون كنيسة مريم بدمشق ونهبوا مافيهامن الآلات والاواني وقيمتها كثيرة جدا ونهبوا ديرا للنساء بجوارها وشعثوا كنائس النسطورية واليعقوبية * وفي سنة ثلاث عشرة وثلثمائة قدم الوزير علي بن عيسى بن الجراح الى مصر فكشف البلد وألزم الاساقفة والرهبان وضعفاء النصارى بأداء الجزية فأدوها ومضي طائفة منهم الى بغداد واستغاثوا بالمقتدر بالله فكتب الى مصر بأن لايؤخذ من الاساقفة والرهبان والضعفاء جزية وأن يجروا على العهد الذي بأيديهم * وفي سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة قدم اليعاقبة بطركا اسمه (٣) فأقام عشرين سنة ومات وفي أيامه ثار المسلمون بالقدس سنة خمس وعشرين وثلثمائة وحرقوا كنيسة القيامة ونهبوها وخربوا منها ماقدروا عليه * وفي يوم الاثنين آخر شهر رجب سنة ثمان وعشرين وثلثمائة مات سعيد بن بطريق بطرق الاسكندرية على الملكية بعد ماأقام في البطركية سبع سنين ونصفا في شرور متصلة مع طائفته فبعث الامير أبو بكر محمـد بن طفج الاخشيد ابا الحسين من قواده في طائفة من الجند الى مدينـة تنيس حتي ختم على كنائس الملكية وأحضر آلاتها الى الفسطاط وكانت كثيرة جدا فافتكها الاسقف بخمسة آلاف دينار باعوا فيها من وقف الكنائس ثم صالح طائفته وكان فاضلا وله تاريخ مفيد وثار المسلمون أيضاً بمدينة عسقلان وهدموا كنيسة مريم الخضراء ونهبوا مافيها وأعانهم اليهود حتي أحرقوها ففر أسقف عسقلان الى الرملة وأقام بها حتى مات وقدم اليعاقبة في سنة خمس وأربعين وثلثمائة ثاوفانيوس بطركا فأقام أربع سنين وستة أشهر ومات فأقيم بعده مينا فأقام احدى عشرة سنة ومات فخلا الكرسي بعده سنة ثم قدم اليعاقبة أفراهام بن زرعة في سنة ست وستين وثلثمائة فأقام ثلاث سنين وستة أشهر ومات مسموما من بعض كتاب النصارى وسببه أنه منعه من التسري فخلا الكرسي بعده ستة أشهر وأقيم فيلاياوس في سنة تسع وستين فأقام أربعا وعشرين سنة ومات وكان مترفا * وفي أيامه أخـذت الملكية كنيسة السيدة المعروفة بكنيسة البطرك تسلمها منهم بطرك الملكية ارسانيوس في أيام العزيز بالله نزار بن المعز وفي سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة قدم اليعاقبة زخريس بطركا فأقام ثماني وعشرين سنة منها في البلايا مع الحاكم بأمر الله أبي علي منصور بن العزيز بالله تسع سنين اعتقله فيها ثلاثة أشهر وأمر به فألقي للسباع هو وسوسنة النوبي فلم تضره فيما زعم النصارى ولما مات خلا الكرسي بعده أربعة وسبعين يوما وفي بطركيته نزل بالنصاري شـدائد لم يعهد وامثلها وذلك أن كثيرا منهم كان قد تمكن في أعمال الدولة حتى صاروا كالوزراء وتعاظموا لاتساع أحوالهم وكثرة أموالهم فاشتد بأسهم وتزايد ضررهم

ومكايدتهم للمسلمين فأغضب الحاكم بأمر الله ذلك وكان لايملك نفسه اذا غضب فقبض على عيسى بن نسطورس النصراني وهو اذ ذاك في رتبة تضاهي رتب الوزراء وضرب عنقه ثم قبض على فهد بن ابراهيم النصرانى كاتب الاستاذ برجوان وضرب عنقه وتشدد على النصارى وألزمهم بلبس ثياب الغيار وشد الزنار فى أوساطهم ومنعهم من عمل الشعانين وعيد الصليب والتظاهر بما كانت عادتهم فعله في أعيادهم من الاجتماع واللهو وقبض على جميع ماهو محبس على الكنائس والديارات وأدخله فى الديوان وكتب الى أعماله كلها بذلك وأحرق عدة صلبان كثيرة ومنع النصارى من شراء العبيد والاماء وهدم الكنائس التي بخط راشدة ظاهر مدينة مصر وأخرب كنائس المقس خارج القاهرة وأباح مافيها للناس فانتهبوا منها مايجل وصفه وهدم دير القصير وانهب العامة مافيه ومنع النصارى من عمل الغطاس على شاطئ النيل بمصر وأبطل ما كان يعمل فيه من الاجتماع للهو وألزم رجال النصارى بتعليق الصلبان الخشب التي زنة كل صليب منها خمسة أرطال فى أعناقهم ومنعهم من ركوب الخيل وجعل لهم أن يركبوا البغال والحمير بسروج ولجم غير محلاة بالذهب والفضة بل تكون من جلود سود وضرب بالجرس في القاهرة ومصر أن لايركب أحد من المكارية ذميا ولايحمل نوتى مسلم أحدا من أهل الذمة وأن تكون ثياب النصاري وعمائمهم شديدة السواد وركب سروجهم من خشب الجميز وأن يعلق اليهود في أعناقهم خشبا مدورا زنة الخشبة منها خمسة أرطال وهي ظاهرة فوق ثيابهم وأخذ فى هدم الكنائس كلها وأباح مافيها وما هو محبس عليها للناس نهبا واقطاعا فهدمت بأسرها ونهب جميع أمتعتها وأقطع أحباسها وبنى في مواضعها المساجد وأذن بالصلاة في كنيسة شنودة بمصر وأحيط بكنيسة المعلقة في قصر الشمع وأكثر الناس من رفع القصص بطلب كنائس أعمال مصر وديارتها فلم يرد قصة منها الا وقد وقع عليها باجابة رافعها لما سأل فأخذوا أمتعة الكنائس والديارات وباعوا باسواق مصر ما وجدوا من أوانى الذهب والفضة وغير ذلك وتصرفوا في أحباسها ووجد بكنيسة شنودة مال جليل ووجد فى المعلقة من المصاغ وثياب الديباج أمر كثير جدا الى الغاية وكتب الى ولاة الاعمال بتمكين المسلمين من هدم الكنائس والديارات فعم الهدم فيها من سنة ثلاث وأربعمائة حتى ذكر من يوثق به في ذلك أن الذى هدم الى آخر سنة خمس وأربعمائة بمصر والشام وأعمالهما من الهيا كل التي بناها الروم نيف وثلاثون ألف بيعة ونهب مافيها من آلات الذهب والفضة وقبض على أوقافها وكانت أوقافا جليلة على مبان عجيبة وألزم النصارى أن تكون الصلبان في أعناقهم اذا دخلوا الحمام وألزم اليهود أن يكون في أعناقهم الاجراس اذا دخلوا الحمام ثم ألزم اليهود والنصارى بخروجهم كلهم من أرض مصر الى بلاد الروم فاجتمعوا بأسرهم تحت القصر من القاهرة واستغاثوا ولاذوا بعفو أمير المؤمنين حتى أعفوا

من النفى وفي هـذه الحوادث أسلم كثير من النصارى * وفى سنة سبع وأربعمائة وثب بعض أكابر البلغر على ملكهم قمطورس فقتله وملك عوضه وكتب الى باسيل ملك قسطنطينية بطاعته فأقره ثم قتل بعد سنة فسار الملك باسيل اليهم في شوال سنة ثمان وأربعمائة واستولى على مملكة البلغر وأقام في قلاعها عدة من الروم وعاد الى قسطنطينية فاختلط الروم بالبلغر ونكحوا منهم وصاروا يدا واحدة بعد شدة العداوة وقدم اليعاقبة عليهم سانوتين بطركا بالاسكندرية فى سنة احدي وعشرين وأربعمائة في يوم الاحد ثالث عشري برمهات فأقام خمس عشرة سنة ونصفا ومات في طوبه وكان محبا للمال وأخذ الشرطونية فخلا الكرسى بعده سنة وخمسة اشهر ثم قدم اليعاقبة اخر سطوديس بطركا فى سنة تسع وثلاثين واربعمائة فأقام ثلاثين سنة ومات بالمعلقة من مصر وهو الذي جعل كنيسة بومرقوره بمصر وكنيسة السيدة بحارة الروم من القاهرة في ايام بطركيته فلم يقم بعده بطرك اثنين وسبعين يوما ثم اقام اليعاقبة كيرلص فأقام اربع عشرة سنة وثلاثة اشهر ونصفا ومات بكنيسة المختار من جزيرة مصر المعروفة بالروضة فى سلخ ربيع الآخر سـنة خمس وثمانين وأربعمائة وعمل بدلة للبطاركة من ديباج أزرق وبلارية ديباج أحمر بتصاوير ذهب وقطع الشرطونية فلم يول بعده بطرك مدة مائة وأربعة وعشرين يوما ثم أقيم ميخائيل الحبيس بسنجار في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة فأقام تسع سنين وثمانية أشهر ومات في المعلقة بمصر وكان المستنصر بالله لما نقص نيل مصر بعثه الى بلاد الحبشة بهدية سنية فتلقاه ملكها وسأله عن سبب قدومه فعرفه نقص النيل وضرر أهل مصر بسبب ذلك فأمر بفتح سد يجرى منه الماء الى أرض مصر ففتح وزاد النيل فى ليلة واحدة ثلاثة أذرع واستمرت الزيادة حتى رويت البلاد وزرعت ثم عاد البطرك فخلع عليه المستنصر وأحسن اليه * وفى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة قدم اليعاقبة مقارى بطركا بدير بومقار وكمل بالاسكندرية وعاد الى مصر ثم مضى الى دير بومقار فقدس به ثم جاء الى مصر فقدس بالمعلقة فأقام ستا وعشرين سنة وأحدا وأربعين يوما ومات فخلت مصر من بطرك اليعاقبة سنتين وشهرين وفى أيامه حدثت زلزلة عظيمة بمصر هدم فيها كنيسة المختار بالروضة واتهم الافضل بن أمير الجيوش بهدمها فانها كانت فى بستانه وفي ايامه ابطل عوايد كثيرة للنصارى فبطلت بعده ثم قدم اليعاقبة غبريال المكنى بأبى العلا صاعد ابن تريك الشماس بكنيسة مرقوريوس فى سنة خمس وعشرين وخمسمائة بالمعلقـة وكمل بالاسكندرية وقدس بالاديرة بوادى هبيب واقام اربع عشرة سنة ومات فخلا بعده كرسى اليعاقبة ثلاثة اشهر ثم قدم اليعاقبـة ميخائيل بن التقدوسي الراهب بقلاية دمشرى بطركا فأقام مدة سنة وسبعين يوما ثم اقيم يونس ابو الفتح بطركا بالمعلقة وكمل بالاسكندرية فأقام تسع عشرة سنة ومات فى سابع عشرى جمادى الآخرة سنة احدى وخمسين وخمسمائة

فخلا الكرسي بعده ثلاثة وأربعين يوما وقدم مرقص بن زرعة المكنى بأبي الفرج بطركا اليعاقبة بمصر وكمل بالاسكندرية فأقام اثنتين وعشرين سنة وستة اشهر وخمسة وعشرين يوما ومات وفى ايامه انتقل مرقص بن قنبر وجماعة من القنابرة الى رأى الملكية ثم عاد الى اليعقوبية فقبل ثم عاد الى الملكية ورجع فلم يقبل وكان هذا البطرك له همة ومروءة * وفي ايامه كان حريق شاور الوزير لمصر فى ثامن عشر هتور فاحترقت كنيسة بومرقورة وخلا بعده كرسى البطاركة سبعة وعشرين يوما ثم قدم اليعاقبة يونس بن أبى غالب بطركا فى يوم الاحد عاشر ذى الحجة سنة أربع وثمانين وخمسمائة وكمل بالاسكندرية فأقام ستا وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما ومات يوم الخميس رابع عشر شهر رمضان سنة ثنتى عشرة وستمائة بالمعلقة بمصر ودفن بالحبش وكان في ابتداء أمره تاجرا يتردد الى اليمن في البحر حتى كثر ماله وكان معه مال لاولاد الحباب فاتفق أنه غرق في بحر الملح وذهب ماله ونجا بنفسه الى القاهرة وقدايس أولاد الحباب من مالهم فلما لقيهم أعلمهم أن مالهم قد سلم فانه كان قد عمله فى نقائر خشب مسمرة في المركب فصار لهم به عناية فلما مات مرقص بن زرعة سمى يونس هذا للقس ابى ياسر فقال له أولاد الحباب خذ أنت البطركية ونحن نزكيك فوافقهم واقيم بطركا فشق ذلك على أبى ياسر وهجره بعد صحبة طويلة وكان معه لما استقر في البطركية سبعة عشر ألف دينار مصرية أنفقها على الفقراء وأبطل الديارية ومنع الشرطونية ولم يأكل لاحد من النصارى خبزا ولا قبل من أحد هدية فلما مات قام أبو الفتوح نشو الخليفة بن الميقاط كاتب الجيش مع السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب في ولاية القس داود بن يوحنا بن لقلق الفيومى فانه كان خصيصا به فأجابه وكتب توقيعه من غير أن يعلم الملك الكامل محمد ابن السلطان فشق ذلك على النصارى وقام منهم الاسعد بن صدقة كاتب دار التفاح بمصر ومعه جماعة وتوجهوا سحرا ومعهم الشموع الى تحت قلعة الجبل حيث كان سكن الملك الكامل واستغاثوا به ووقعوا في القس وقالوا لا يصلح وفى شريعتنا انه لا يقدم البطرك الا باتفاق الجمهور عليه فبعث الملك الكامل يطيب خواطرهم وكان القس قد ركب بكرة ومعه الاساقفة وعالم كثير من النصارى ليقدموه بالمعلقة بمصر وذلك يوم الاحد فركب الملك الكامل بشجو كبير من القلعة الى أبيه بدار الوزارة من القاهرة حيث سكنه وأوقف ولاية القس فبعث السلطان في طلب الاساقفة ليتحقق الامر منهم فوافقهم الرسل مع القس في الطريق فأخذوهم ودخل القس الى كنيسة بوجرج التى بالحمراء وبطلت بطركيته وأقامت مصر بغير بطرك تسع عشرة سنة ومائة وستين يوما ثم قدم هذا القس بطركا في يوم الاحد تاسع عشرى شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وستمائة فاقام سبع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام ومات يوم الثلاثاء سابع عشر شهر رمضان سنة

أربعين وستمائة ودفن بدير الشمع بالجيزة وكان عالماً بدينه محباً للرياسة وأخذ الشرطونية في بطركيته وكانت الديارات بأرض مصر قد خلت من الاساقفة فقدم جماعة أساقفة كثيرة بمال كثير أخذه منهم وقاسى شدائد ورافعه الراهب عماد المرشالي ووكل عليه وعلى أقاربه وألزامه وساعده الراهب السنى ابن الثعبان وأشاع مثالبه وقال لايصح له كهونية لانه يقدم بالرشوة وأخذ الشرطونية وجمع عليه طائفة كثيرة وعقد مجلسا عند الصاحب معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب وأثبت على البطرك قوادح فقام الكتاب النصارى في أمره مع الصاحب بمال يحمله الى السلطان حتي استمر على بطركيته وخلا كرسى البطاركة بعده بسبع سنين وستة أشهر وستة وعشرين يوما ثم قدم اليعاقبة ابناسيوس ابن القس أبي المكارم بن كليل بالمعلقة في يوم الاحد رابع شهر رجب سنة ثمان وأربعين وستمائة وكمل بالاسكندرية فأقام احدى عشرة سنة وخمسة وخمسين يوما ومات يوم الاحد ثالث المحرم سنة ستين وستمائة فخلت مصر من البطركية خمسة وثمانين يوما * وفي أيامه أخذ الوزير الاسعدشرف الدين هبةالله بن صاعد الفائزى الجوالى من النصارى مضاعفة وفي أيامه ثارت عوام دمشق وخربت كنيسة مريم بدمشق بعد احراقها ونهب مافيها وقتل جماعة من النصارى بدمشق ونهب دورهم وخرابهافي سنة ثمان وخمسين وستمائة بعد وقعة عين جالوت وهزيمة المغل فلما دخل السلطان الملك المظفر قطز الى دمشق قرر على النصارى بها مائة ألف وخمسين ألف درهم جمعوها من بينهم وحملوهااليه بسفارة الامير فارس الدين اقطاي المستعرب اتابك العسكر * وفي سنة اثنتين وثمانين وستمائة كانت واقعة النصارى ومن خبرها أن الامير سنجر الشجاعى كانت حرمته وافرة في أيام الملك المنصور قلاون فكان النصارى يركبون الحمير بزنانير في أوساطهم ولا يجسر نصراني يحدث مسلما وهو راكب واذا مشى فبذلة ولا يقدر أحد منهم يلبس ثوبا مصقولا فلمامات الملك المنصور وتسلطن من بعده ابنه الملك الاشرف خليل خدم الكتاب النصارى عند الامراء الخاصكية وقووا نفوسهم على المسلمين وترفعوا في ملابسهم وهيآتهم وكان منهم كاتب عند خاصكى يعرف بعين الغزال فصدف يوما في طريق مصر سمسار شونة مخدومه فنزل السمسار عن دابته وقبل رجل الكاتب فأخذ يسبه ويهدده على مال قد تأخر عليه من ثمن غلة الامير وهو يترفق له ويعتذر فلا يزيده ذلك عليه الا غلظة وأمر غلامه فنزل وكتف السمسار ومضى به والناس تجتمع عليه حتى صار الى صليبة جامع أحمد بن طولون ومعه عالم كبير وما منهم الا من يسأله أن يخلى عن السمسار وهو يمتنع عليهم فتكاثروا عليه وألقوه عن حماره وأطلقوا السمسار وكان قد قرب من بيت استاذه فبعث غلامه لينجده بمن فيه فأتاه بطائفة من غلمان الامير وأوجاقيته فخلصوه من الناس وشرعوا في القبض عليهم ليفتكوا بهم

فصاحوا عليهم مايحل ومروا مسرعين الى أن وقفوا تحت القلعة واستغاثوا نصر الله السلطان فأرسل يكشف الخبر فعرفوه ماكان من استطالة الكاتب النصرانى على السمسار وما جرى لهم فطلب عين الغزال ورسم للعامة باحضار النصارى اليه وطلب الامير بدر الدين بيدرا النائب والامير سنجر الشجاعي وتقدم اليهما باحضار جميع النصارى بين يديه ليقتلهم فما زالا به حتى استقر الحال على أن ينادى في القاهرة ومصر أن لايخدم أحد من النصارى واليهود عند أمير وأمر الامراء بأجمعهم أن يعرضوا على من عندهم من الكتاب النصارى الاسلام فمن امتنع من الاسلام ضربت عنقه ومن أسلم استخدموه عندهم ورسم للنائب بعرض جميع مباشرى ديوان السلطان ويفعل فيهم ذلك فنزل الطلب لهم وقد اختفوا فصارت العامة تسبق الى بيوتهم وتنهبها حتى عم النهب بيوت النصارى واليهود بأجمعهم وأخرجوا نساءهم مسبيات وقتلوا جماعة بأيديهم فقام الامير بيدرا النائب مع السلطان فى أمر العامة وتلطف به حتي ركب والى القاهرة ونادى من نهب بيت نصرانى شنق وقبض على طائفة من العامة وشهرهم بعد ماضربهم فانكفوا عن النهب بعد مانهبوا كنيسة المعلقة بمصر وقتلوا منها جماعة ثم جمع النائب كثيرا من النصارى كتاب السلطان والامراء وأوقفهم بين يدي السلطان عن بعد منه فرسم للشجاعي وأمير جاندار أن يأخذا عدة معهما وينزلوا الى سوق الخيل تحت القلعة ويحفروا حفيرة كبيرة ويلقوا فيها الكتاب الحاضرين ويضرموا عليهم الحطب نارا فتقدم الامير بيدرا وشفع فيهم فأبى أن يقبل شفاعته وقال ماأريد في دولتى ديوانا نصرانياً فلم يزل به حتى سمح بأن من أسلم منهم يستقر في خدمته ومن امتنع ضربت عنقه فأخرجهم الى دار النيابة وقال لهم ياجماعة ماوصلت قدرتى مع السلطان في أمركم الا على شرط وهو أن من اختار دينه قتل ومن اختار الاسلام خلع عليه وباشر فابتدره المكين بن السقاعى أحد المستوفين وقال ياخوند وأينا قواد يختار القتل على هذا الدين الخراء والله دين نقتل ونموت عليه يروح لاكتب الله عليه سلامة قولوا لنا الذى تختاروه حتي نروح اليه فغلب بيدرا الضحك وقال له ويلك أنحن نختار غير دين الاسلام فقال ياخوند مانعرف قولوا ونحن نتبعكم فأحضر العدول واستسلمهم وكتب بذلك شهادات عليهم ودخل بها على السلطان فالبسهم تشاريف وخرجوا الى مجلس الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس فبدأ بعض الحاضرين بالمكين بن السقاعي وناوله ورقة ليكتب عليها وقال يامولانا القاضى اكتب على هذه الورقة فقال يابني ما كان لنا هذا القضاء في خلدفلم يزالوا في مجلس الوزير الى العصر فجاءهم الحاجب وأخذهم الى مجلس النائب وقد جمع به القضاة فجددوا اسلامهم بحضرتهم فصار الذليل منهم باظهار الاسلام عزيزا يبدى من اذلال المسلمين والتسلط عليهم بالظلم ماكان يمنعه نصرانيته من اظهاره وما هو الا كما كتب به بعضهم الى الامير بيدرا النائب

أسلم الكافرون بالسيف قهرا * واذا ماخلوا فهم مجرمونا
سلموا من رواح مال وروح * فهم سالمون لامسلمونا

* وفي أخريات شهر رجب سنة سبعمائة قدم وزير متملك المغرب الى القاهرة حاجا وصار يركب الى الموكب السلطاني/وبيوت الامراء فبينا هو ذات يوم بسوق الخيل تحت القلعة اذا هو برجل راكب على فرس وعليه عمامة بيضاء وفرجية مصقولة وجماعة يمشون في ركابه وهم يسألونه ويتضرعون اليه ويقبلون رجليه وهو معرض عنهم وينهرهم ويصيح بغلمانه أن يطردوهم عنه فقال له بعضهم يامولاى الشيخ بحياة ولدك النشو تنظر في حالنا فلم يزده ذلك الا عتوا وتحامقاً فرق المغربي لهم وهم بمخاطبته في أمرهم فقيل له وانه مع ذلك نصرانى فغضب لذلك وكاد أن يبطش به ثم كف عنه وطلع الى القلعة وجلس مع الامير سلار نائب السلطان والامير بيبرس الجاشنكير وأخذ يحادثهم بما رآه وهو يبكى رحمة للمسلمين بما نالهم من قسوة النصارى ثم وعظ الامراء وحذرهم نقمة الله وتسليط عدوهم عليهم من تمكين النصاري من ركوب الخيل وتسلطهم على المسلمين واذلالهم اياهم وان الواجب الزامهم الصغار وحملهم على العهد الذى كتبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فمالوا الى قوله وطلبوا بطرك النصارى وكبراءهم وديان اليهود فجمعت نصاري كنيسة المعلقة ونصاري دير البغل ونحوهم وحضر كبراء اليهود والنصارى وقد حضر القضاة الاربعة وناظروا النصارى واليهود فأذعنوا الى التزام العهد العمري وألزم بطرك النصارى طائفته النصارى بلبس العمائم الزرق وشد الزنار في أوساطهم ومنعهم من ركوب الخيل والبغال والتزام الصغار وحرم عليهم مخالفة ذلك أو شئ منه وانه برئ من النصرانية ان خالف ثم اتبعه ديان اليهود بأن أوقع الكلمة على من خالف من اليهود ماشرط عليه من لبس العمائم الصفر والتزام العهد العمرى" وكتب بذلك عدة نسخ سيرت الى الاعمال فقام المغربي في هدم الكنائس فلم يمكنه قاضى القضاة تقى الدين محمد بن دقيق العيد من ذلك وكتب خطه بأنه لايجوز أن يهدم من الكنائس الا ما استجد بناؤه فغلقت عدة كنائس بالقاهرة ومصر مدة أيام فسعي بعض أعيان النصارى في فتح كنيسة حتى فتحها فثارت العامة ووقفوا للنائب والامراء واستغاثوا بان النصارى قد فتحوا الكنائس بغير اذن وفيهم جماعة تكبروا عن لبس العمائم الزرق واحتمي كثير منهم بالامراء فنودى في القاهرة ومصر أن يلبس النصارى بأجمعهم العمائم الزرق ويلبس اليهود بأسرهم العمائم الصفر ومن لم يفعل ذلك نهب ماله وحل دمه ومنعوا جميعا من الخدمة في ديوان السلطان ودواوين الامراء حتى يسلموا فتسلطت الغوغاء عليهم وتتبعوهم فمن رأوه بغير الزى الذى رسم به ضربوه بالنعال وصفعوا عنقه حتى يكاد يهلك ومن مر بهم وقد ركب ولا يثنى رجله ألقوه عن دابته وأوجعوه ضربا فاختفى كثير

منهم وألجأت الضرورة عدة من أعيانهم الى اظهار الاسلام أنفة من لبس الازرق وركوب الحمير وقد أكثر شعراء العصر فى ذكر تغيير زى أهل الذمة فقال علاء الدين علي بن مظفر الوداعى

لقد ألزم الكفار شاشات ذلة * تزيدهم من لعنة الله تشويشاً
فقلت لهم ما ألبسوكم عمائماً * ولكنهم قد ألزموكم براطيشا

وقال شمس الدين الطيبي

تعجبوا للنصارى واليهود معا * والسامريين لما عمموا الخرقا
كانما بات بالاصباغ منسهلا * نسر السماء فأضحى فوقهم زرقا

فبعث ملك برشلونة فى سنة ثلاث وسبعمائة هدية جليلة زائدة عن عادته عم بها جميع أرباب الوظائف من الامراء مع ماخص به السلطان وكتب يسأل فى فتح الكنائس فاتفق الرأى على فتح كنيسة حارة زويلة لليعاقبة وفتح كنيسة البندقانيين من القاهرة ثم لما كان يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وسبعمائة هدمت كنائس أرض مصر في ساعة واحدة كما ذكر في أخبار كنيسة الزهرى وفى سنة خمس وخمسين وسبعمائة رسم بتحرير ماهو موقوف على الكنائس من أراضى مصر فأناف على خمسة وعشرين ألف فدان وسبب الفحص عن ذلك كثرة تعاظم النصاري وتعديهم في الشر والاضرار بالمسلمين لتمكنهم من أمراء الدولة وتفاخرهم بالملابس الجليلة والمغالاة في أثمانها والتبسط في المآكل والمشارب وخروجهم عن الحد في الجراءة والسلاطة الى أن اتفق مرور بعض كتاب النصارى على الجامع الازهر من القاهرة وهو راكب بخف ومهماز وبقباء اسكندرى طرح على رأسه وقدامه طرادون يمنعون الناس من مزاحمته وخلفه عدة عبيد بثياب سرية على أكاديش فارهة فشق ذلك على جماعة من المسلمين وثاروا به وأنزلوه عن فرسه وقصدوا قتله وقد اجتمع عالم كبير ثم خلوا عنه وتحدث جماعة مع الامير طاز في أمر النصارى وما هم عليه فوعدهم بالانصاف منهم فرفعوا قصة على لسان المسلمين قرئت على السلطان الملك الصالح صالح بحضرة الامراء والقضاة وسائر أهل الدولة تتضمن الشكوى من النصارى وأن يعقد لهم مجلس ليلتزموا بما عليهم من الشروط فرسم بطلب بطرك النصارى وأعيان أهل ملتهم وبطلب رئيس اليهود وأعيانهم وحضر القضاة والامراء بين يدى السلطان وقرأ القاضي علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر العهد الذى كتب بين المسلمين وبين أهل الذمة وقد أحضروه معهم حتي فرغ منه فالتزم من حضر منهم بما فيه وأقروا به فعددت لهم أفعالهم التي جاهروا بها وهم عليها وانهم لايرجعون عنها غير قليل ثم يعودون اليها كما فعلوه غير مرة فيما سلف فاستقر الحال على أن يمنعوا من المباشرة بشئ من ديوان السلطان

ودواوين الامراء ولو أظهروا الاسلام وأن لايكره أحد منهم على اظهار الاسلام ويكتب بذلك الى الاعمال فتسلطت العامة عليهم وتتبعوا آثارهم وأخذوهم في الطرقات وقطعوا ما عليهم من الثياب وأوجعوهم ضربا ولم يتركوهم حتي يسلموا وصاروا يضرمون لهم النار ليلقوهم فيها فاختفوا في بيوتهم ولم يجاسروا على المشى بين الناس فنودى بالمنع من التعرض لاذاهم فأخذت العامة في تتبع عوراتهم وما علوه من دورهم على بناء المسلمين فهدموه واشتد الامر على النصارى باختفائهم حتى انهم فقدوا من الطرقات مدة فلم ير منهم ولا من اليهود أحد فرفع المسلمون قصة قرئت في دار العدل في يوم الاثنين رابع عشر شهر رجب تتضمن أن النصاري قد استجدوا عمارات فى كنائسهم ووسعوها هذا وقد اجتمع بالقلعة عالم عظيم واستغاثوا بالسلطان من النصارى فرسم بركوب والى القاهرة وكشفه على ذلك فلم تتمهل العامة ومرت بسرعة فخربت كنيسة بجوار قناطر السباع وكنيسة بطريق مصر للاسرى وكنيسة الفهادين بالجوانية من القاهرة ودير نهيامن الجيزة وكنيسة بناحية بولاق التكروري ونهبوا حواصل ماخربوه من ذلك وكانت كثيرة وأخذوا أخشابها ورخامها وهجموا كنائس مصر والقاهرة ولم يبق الا أن يخربوا كنيسة البندقانيين بالقاهرة فركب الوالى ومنعهم منها واشتدت العامة وعجز الحكام عن كفهم وكان قد كتب الى جميع أعمال مصر وبلاد الشام أن لايستخدم يهودى ولا نصراني ولو أسلم وأنه من أسلم منهم لايمكن من العبور الى بيته ولا من معاشرة أهله الا أن يسلموا وأن يلزم من أسلم منهم بملازمة المساجد والجوامع لشهود الصلوات الخمس والجمع وأن من مات من أهل الذمة يتولى المسلمون قسمة تركته على ورثته ان كان له وارث والا فهى لبيت المال وكان يلي ذلك البطرك وكتب بذلك مرسوم قرئ على الامراء ثم نزل به الحاجب فقرأه فى يوم الجمعة سادس عشري جمادى الآخرة بجوامع القاهرة ومصر وكان يوما مشهودا ثم أحضر في أخريات شهر رجب من كنيسة شبرا بعد ماهدمت أصبع الشهيد الذي كان يلقى في النيل حتى يزيد بزعمهم وهوفى صندوق فأحرق بين يدي السلطان بالميدان من قلعة الجبل وذرى رماده فى البحر خشية من أخذ النصارى له فقدمت الاخبار بكثرة دخول النصاري من أهل الصعيد والوجه البحرى في الاسلام وتعلمهم القرآن وأن أكثر كنائس الصعيد هدمت وبنيت مساجد وانه اسلم بمدينة قليوب فى يوم واحد أربعمائة وخمسون نصرانيا وكذلك بعامة الارياف مكرا منهم وخديعة حتى يستخدموا في المباشرات وينكحوا المسلمات فتم لهم مرادهم واختلطت بذلك الانساب حتى صار أكثر الناس من أولادهم ولا يخفى أمرهم على من نور الله قلبه فانه يظهر من آثارهم القبيحة اذا تمكنوا من الاسلام وأهله مايعرف به الفطن سوء أصلهم وقديم معاداة أسلافهم للدين وحملته

*( فصل )* النصارى فرق كثيرة الملكانية والنسطورية واليعقوبية والبوذعانية والمرقولية وهم الرهاويون الذين كانوا بنواحي حران وغير هؤلاء فمنهم من مذهبه مذهب الحرانية ومنهم من يقول بالنور والظلمة والثنوية كلهم يقرون بنبوة المسيح عليه السلام ومنهم من يعتقد مذهب ارسطاطاليس والملكانية واليعقوبية والنسطورية متفقون على أن معبودهم ثلاثة أقانيم وهذه الاقانيم الثلاثة شئ واحد وهو جوهر قديم ومعناه أب وابن وروح القدس اله واحد وان الابن نزل من السماء فتدرع جسدا من مريم وظهر للناس يحيي ويبرئ وينبئ ثم قتل وصلب وخرج من القبر لثلاث فظهر لقوم من أصحابه فعرفوه حق معرفته ثم صعد الى السماء فجلس عن يمين أبيه هذا الذى يجمعهم اعتقاده ثم انهم يختلفون فى العبارة عنه فمنهم من يزعم أن القديم جوهر واحد يجمعه ثلاثة اقانيم كل أقنوم منها جوهر خاص فأحد هذه الاقانيم أب واحد غير مولود والثالث روح فائضة منبثقة بين الاب والابن وأن الابن لم يزل مولودا من الاب وأن الاب لم يزل والدا للابن لا على جهة النكاح والتناسل لكن على جهـة تولد ضياء الشمس من ذات الشمس وتولد حر النار من ذات النار ومنهم من يزعم أن معني قولهم ان الاله ثلاثة أقانيم أنها ذات لها حياة ونطق فالحياة هي روح القدس والنطق هو العلم والحكمة (٣) والنطق والعلم والحكمة والكلمة عبارة عن الابن كما يقال الشمس وضياؤها والنار وحرها فهو عبارة عن ثلاثة اشياء ترجع الى أصل واحد ومنهم من يزعم انه لا يصح له أن يثبت الاله فاعلا حكيما الا انه يثبته حيا ناطقا ومعني الناطق عنـدهم العالم المميز لا الذى يخرج الصوت بالحروف المركبة ومعنى الحي عندهم من له حياة بها يكون حيا ومعنى العالم من له علم به يكون عالما قالوا فذاته وعلمه وحياته ثلاثة أشياء والاصل واحـد فالذات هي العلة للاثنين اللذين هما العلم والحياة والاثنان هما المعلولان للعلة ومنهم من يتنزه عن لفظ العلة والمعلول فى صفة القديم ويقول أب وابن ووالدة وروح وحياة وعلم وحكمة ونطق قالوا والابن اتحد بانسان مخلوق فصار هو وما اتحد به مسيحا واحدا وان المسيح هو اله العباد وربهم ثم اختلفوا في صفة الاتحاد فزعم بعضهم أنه وقع بين جوهر لاهوتي وجوهر ناسوتى اتحاد فصارا مسيحا واحدا ولم يخرج الاتحاد كل واحد منهما عن جوهريته وعنصره وأن المسيح اله معبود وأنه ابن مريم الذى حملته وولدته وأنه قتـل وصلب وزعم قوم أن المسيح بعد الاتحاد جوهر ان أحدهما لاهوتى والآخر ناسوتى وأن القتل والصلب وقعا به من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته وأن مريم حملت بالمسيح وولدته من جهة ناسوته وهذا قول النسطورية ثم يقولون ان المسيح بكماله اله معبود وانه ابن الله تعالى الله عن قولهم وزعم قوم أن الاتحاد وقع بين جوهرين لاهوتى وناسوتى فالجوهر اللاهوتى بسيط غـير منقسم ولا متجزئ وزعم قوم أن الاتحاد على جهة حلول الابن فى الجسد ومخالطته اياه ومنهم من زعم

أن الاتحاد على جهة الظهور كظهور كتابة الخاتم والنقش اذا وقع على طين أو شمع وكظهور صورة الانسان في المرآة الى غير ذلك من الاختلاف الذى لايوجد مثله فى غيرهم حتى لاتكاد تجد اثنين منهم على قول واحد والملكانية تنسب الى ملك الروم وهم يقولون ان الله اسم لثلاثة معان فهو واحد ثلاثة وثلاثة واحد واليعقوبية تقول انه واحد قديم وانه كان لاجسم ولا انسان ثم تجسم وتأنس والمرقولية قالوا الله واحدوعلمه غيره قديم معهوالمسيح ابنه على جهة الرحمة كما يقال ابراهيم خليل الله والمرقولية تزعم أن المسيح يطوف عليهم كل يوم وليلة والبوزغانية تزعم أن المسيح هو الذي يحشر الموتي من قبورهم ويحاسبهم

* ( فصل ) * وعندهم لابد من تنصير أولادهم وذلك أنهم يغمسون المولود في ماء قد اغلي بالرياحين وألوان الطيب فى اجانة جديدة ويقرؤن عليه من كتابهم فيزعمون أنه حينئذ ينزل عليه روح القدس ويسمون هذا الفعل المعمودية وطهارتهم انما هى غسل الوجه واليدين فقط ولا يختتن منهم الا اليعقوبية ولهم سبع صلوات يستقبلون فيها المشرق ويحجون الى بيت المقدس وزكاتهم العشر من أموالهم وصيامهم خمسون يوما فالثانى والاربعون منه عيد الشعانين وهو اليوم الذى نزل فيه المسيح من الجبل ودخل بيت المقدس وبعده بأربعة ايام عيد الفصح وهو اليوم الذى خرج فيه موسى وقومه من مصر وبعده بثلاثة أيام عيد القيامة وهو اليوم الذي خرج فيه المسيح من القبر بزعمهم وبعده بثمانية أيام عيد الجديد وهو اليوم الذى ظهر فيه المسيح لتلامذته بعد خروجه من القبر وبعده بثمانية وثلاثين يوما عيد السلاق وهو اليوم الذى صعد فيه المسيح الى السماء ولهم عيد الصليب وهو اليوم الذى وجدوا فيه خشبة الصليب وزعموا أنها وضعت على ميت فعاش ولهم أيضاً عيد الميلاد وعيد الذبح ولهم قرابين وكهنة فالشماس فوقه القس وفوق القس الاسقف وفوق الاسقف المطران وفوق المطران البطريق والسكر عندهم حرام ولا يحل لهم أكل اللحم ولا الجماع في الصوم وكل مايباع فى السوق ولم تعفه أنفسهم يباح أكله ولا يصح النكاح الا بحضور شماس وقس وعدول ومهر ويحرمون من النساء مايحرمه المسلمون ولا يحل الجمع بين امرأتين ولا التسرى بالاماء الا أن يعتقن ويتزوج بهن واذا خدم العبد سبع سنين عتق ولا يحل طلاق المرأة الا أن تأتى بفاحشة مبينة فتطلق ولا تحل للزوج أبدا وحد المحصن اذازني الرجم فانزنى غير محصن وحملت منه المرأة تزوج بها ومن قتل عمدا قتل ومن قتل خطأ يهرب ولا يحل طلبه وأكثر أحكامهم من التوراة وقد لعن منهم من لاط أوشهد بالزور أوقامر أوزنى أو سكر ( ٣ )

( ٣ ) وجد بهامش الاصل أن بعد قوله أو سكر وجد فى بعض النسخ بياض نحو ورقة اه مصححه

* ( ذكر ديارات النصارى ) *

قال ابن سيده الدير خان النصارى والجمع أديار وصاحبه ديار وديرانى * قلت الدير عند النصارى يختص بالنساك المقيمين به والكنيسة مجتمع عامتهم للصلاة

( القلاية بمصر ) * هذه القلاية بجانب المعلقة التي تعرف بقصر الشمع في مدينة مصر وهي مجمع أكابر الرهبان وعلماء النصارى وحكمها عندهم حكم الاديرة

* ( دير طرا ) * ويعرف بدير أبي جرج وهو على شاطئ النيل * وأبو جرج هذا هو جرجس وكان ممن عذبه الملك دقلطيانوس ليرجع على دين النصرانية ونوع له العقوبات من الضرب والتحريق بالنار فلم يرجع فضرب عنقه بالسيف في ثالث تشرين وسابع بابه

* ( دير شهران ) * هذا الدير في حدود ناحية طرا وهو مبني بالحجر واللبن وبه نخل وبه عدة رهبان ويقال انما هو دير شهران بالهاء وأن شهران كان من حكماء النصاري وقيل بل كان ملكا وكان هذا الدير يعرف قديما بمرقوريوس الذي يقال له مرقورة وأبو مرقورة ثم لماسكنه برصوما ابن التبان عرف بدير برصوما وله عيد يعمل في الجمعة الخامسة من الصوم الكبير فيحضره البطرك واكابر النصاري وينفقون فيه مالا كبيرا * ومرقوريوس هذا كان ممن قتله دقلطيانوس في تاسع عشر تموز وخامس عشرى ابيب وكان جنديا

* ( دير الرسل ) * هذا الدير خارج ناحية الصف والودى وهو دير قديم لطيف

* ( دير بطرس وبولص ) * هذا الدير خارج اطفيح من قبليها وهو دير لطيف وله عيد في خامس ابيب يعرف بعيد القصرية * وبطرس هذا هو أكبر الرسل الحواريين وكان دباغا وقيل صيادا قتله الملك نيرون في تاسع عشرى حزيران وخامس ابيب * وبولص هذا كان يهوديا فتنصر بعد رفع المسيح عليه السلام ودعا الى دينه فقتله الملك نيرون بعد قتله بطرس بسنة

* ( دير الجميزة ) * ويعرف بدير الجود ويسمي موضعه البحارة جزائر الدير وهو قبالة الميمون وهو عزبة لدير العزبة بنى على اسم انطونيوس ويقال انطونة وكان من أهل قمن فلما انقضت أيام الملك دقلطيانوس وفاتته الشهادة أحب أن يتعوض عنها بعبادة توصل ثوابها أو قريباً من ذلك فترهب وكان اول من أحدث الرهبانية للنصارى عوضا عن الشهادة وواصل أربعين يوما ليلا ونهارا طاويا لايتناول طعاما ولا شرابا مع قيام الليل وكان هكذا يفعل في الصيام الكبير كل سنة

( دير العزبة ) هذا الدير يسار اليه في الجبل الشرقي ثلاثة أيام بسير الابل وبينه وبين بحر القلزم مسافة يوم كامل وفيه غالب الفواكه مزدرعة وبه ثلاثة أعين تجرى وبناه أنطونيوس المقدم ذكره ورهبان هذا الدير لايزالون دهرهم صائمين لكن صومهم الى العصر فقط

ثم يفطرون ماخلا الصوم الكبير والبرمولات فان صومهم فى ذلك الى طلوع النجم والبرمولات هى الصوم كذلك بلغتهم

( دير أبابولا ) وكان يقال له أولا دير بولص ثم قيل له دير بولا ويعرف بدير النمورة أيضا وهذا الدير فى البر الغربى من الطور على عين ماء يردها المسافرون وعندهم أن هذه العين تطهرت منها مريم أخت موسى عليهما السلام عند نزول موسى ببنى اسرائيل في برية القلزم * وابابولا هذا كان من أهل الاسكندرية فلما مات أبوه ترك له ولاخيه مالا جما نخاصمه أخوه في ذلك وخرج مغاضبا له فرأى ميتا يقبر فاعتبر به ومر على وجهه سائحا حتي نزل على هذه العين فأقام هناك والله تعالي يرزقه فمر به انطونيوس وصحبه حتي مات فبنى هذا الدير على قبره وبين هذا الدير والبحر ثلاث ساعات وفيه بستان فيه نخل وعنب وبه عين ماء تجري أيضا

( دير القصير ) قال أبو الحسن على بن محمد الشابشتى في كتاب الديارات وهذا الدير في أعلى الجبل على سطح في قلته وهو دير حسن البناء محكم الصنعة نزه البقعة وفيه رهبان مقيمون به وله بئر منقورة في الحجر يستقى له منها الماء وفى هيكله صورة مريم عليها السلام في لوح والناس يقصدون الموضع للنظر الى هذه الصورة وفى أعلاه غرفة بناها أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون لها أربع طاقات الى أربع جهات وكان كثير الغشيان لهذا الدير معجبا بالصورة التي فيه يستحسنها ويشرب على النظر اليها وفى الطريق الى هذا الدير من جهة مصر صعوبة وأما من قبليه فسهل الصعود والنزول والى جانبه صومعة لاتخلو من حبيس يكون فيها وهو مطل على القرية المعروفة بشهران وعلى الصحراء والبحر وهي قرية كبيرة عامرة على شاطئ البحر ويذكرون أن موسى صلوات الله عليه ولد فيها ومنها ألقته أمه الى البحر فى التابوت وبه أيضا دير يعرف بدير شهران ودير القصير هذا أحد الديارات المقصودة والمتنزهات المطروقة لحسن موضعه واشرافه على مصر وأعمالها وقدقال فيه شعراء مصر ووصفوه فذكروا طيبه ونزهته ولابى هريرة بن أبي عاصم فيه من المنسرح

كم لى بدير القصير من قصف * مع كل ذى صبوة وذى ظرف
لهوت فيه بشادن غنج * تقصر عنه بدائع الوصف

وقال ابن عبد الحكم فى كتاب فتوح مصر وقد اختلف فى القصير فعن ابن لهيعة قال ليس بقصير موسى النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه موسى الساحر وعن المفضل بن فضالة عن أبيه قال دخلنا على كعب الاحبار فقال لنا ممن أنتم قلنا فتيان من أهل مصر فقال ما تقولون فى القصير قلنا قصير موسى فقال ليس بقصير موسى ولكنه قصير عزيز مصر كان اذا جرى النيل يترفع فيه وعلى ذلك انه لمقدس من الجبل الى البحر قال ويقال بل كان

موقدا يوقد فيه لفرعون اذا هو ركب من منف الى عين شمس وكان على المقطم موقد آخر فاذا رأوا النار علموا بركوبه فاعدوا له مايريد وكذلك اذا ركب منصرفا من عين شمس والله أعلم وما أحسن قول كشاجم

سلام على دير القصير وسفحه * بجنات حلوان الى النخلات
منازل كانت لى بهن مآرب * وكن مواخيرى ومنتزهاتى
اذا جئتها كان الجياد مراكبي * ومنصرفى فى السفن منحدرات
فاقبض بالاسحار وحشى عينها * وأقتنص الانسى في الظلمات
معي كل بسام أغر مهذب * على كل مايهوى النديم موانى
وخمان مما أمسكته كلابنا * علينا ومما صيد في الشبكات
وكأس وابريق وناى ومزهر * وساق غرير فاتر اللحظات
كأن قضيب البان عند اهتزازه * تعلم من أعطافه الحركات
هنالك تصفو لى مشارب لذتى * وتصحب أيام السرور حياتي

وقال علماء الاخبار من النصارى ان أرقاديوس ملك الروم طلب ارسانيوس ليعلم ولده فظن أنه يقتله ففر الى مصر وترهب فبعث اليه أمانا وأعلمه أن الطلب من أجل تعليم ولده فاستعفى وتحول الى الجبل المقطم شرقى طرا وأقام في مغارة ثلاث سنين ومات فبعث اليه أرقاديوس فاذا هو قد مات فأمر أن يبنى على قبره كنيسة وهو المكان المعروف بدير القصير ويعرف الآن بدير البغل من أجل انه كان به بغل يستقى عليه الماء فاذا خرج من الدير أتي الموردة وهناك من يملأ عليه فاذا فرغ من الماء تركه فعاد الى الدير * وفى رمضان سنة أربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم دير القصير فأقام الهدم والنهب فيه مدة أيام

( دير مرحنا ) قال الشابشتى دير مرحنا على شاطئ بركة الحبش وهو قريب من النيل والى جانبه بساتين أنشأ بعضها الامير تميم بن المعز ومجلس على عمد حسن البناء مليح الصنعة مسور أنشأه الامير تميم أيضا وبقرب الدير بئر تعرف ببئر مماتى عليها جميزة كبيرة يجتمع الناس اليها ويشربون تحتها وهذا الموضع من مغانى اللعب ومواطن القصف والطرب وهو نزه في أيام النيل وزيادة البحر وامتلاء البركة حسن المنظر في أيام الزرع والنواوير لايكاد حينئذ يخلو من المتنزهين والمتطربين وقد ذكرت الشعراء حسنه وطيبه وهذا الدير يعرف اليوم بدير الطين بالنون

( دير أبى النعناع ) هذا الدير خارج انصنا وهو من جملة عماراتها القديمة وكنيسته في قصره لافى أرضه وهو على اسم أبى يحنس القصير وعيده في العشرين من بابه وسيأتى ذكر أبى يحنس هذا

( دير مغارة شقلقيل ) هو دير لطيف معلق في الجبل وهو نقر فى الحجر على صخرة تحتها عقبة لايتوصل اليه من أعلاه ولا من أسفله ولا سلم له وانما جعلت له نقور في الجبل فاذا أراد أحد أن يصعد اليه ارخيت له سلبة فأمسكها بيده وجعل رجليه في تلك النقور وصعد وبه طاحونة يديرها حمار واحد ويطل هذا الدير على النيل تجاه منفلوط وتجاه ام القصور وتجاهه جزيرة يحيط بها الماء وهى التى يقال لها شقلقيل وبها قريتان احداها شقلقيل والاخرى بنى شقير ولهذا الدير عيد يجتمع فيه النصارى وهو على اسم يوميناوهو من الاجناد الذين عاقبهم ديقلطيانوس ليرجع عن النصرانية ويسجد للاصنام فثبت على دينه فقتله فى عاشر حزيران وسادس عشر بابه

( دير بقطر ) بحاجر أبنوب من شرقى بنى مر تحت الجبل على مائتى قصبة منه وهو دير كبير جدا وله عيد يجتمع فيه نصارى البلاد شرقا وغربا ويحضره الاسقف * وبقطر هذا هو ابن رومانوس كان أبوه من وزراء ديقلطيانوس وكان هو جيلا شجاعا له منزلة من الملك فلما تنصر وعده الملك ومناه ليرجع الى عبادة الاصنام فلم يفعل فقتله في ثانى عشري نيسان وسابع عشرى برمودة

( دير بقطر شق ) فى بحري أبنوب وهو دير لطيف خال وانما تأتيه النصارى مرة في كل سنة * وبقطر شق ممن عذبه ديقلطيانوس ليرجع عن النصرانية فلم يرجع فقتله في العشرين من هتور وكان جندياً

( دير بوجرج ) بنى على اسم بوجرج وهو خارج المعيصرة بناحية شرق بنى مر وتارة يخلو من الرهبان وتارة يعمر بهم وله وقت يعمل العيد فيه

( دير حماس ) وحماس اسم بلد هو بحريها وله عيدان في كل سنة وجموعات متعددة

( دير الطير ) هذا الدير قديم وهو مطل على النيل وله سلالم منحوتة في الجبل وهو قبالة سملوط * وقال الشابشتي وبنواحى اخميم دير كبير عامر يقصد من كل موضع وهو بقرب الجبل المعروف بجبل الكهف وفى موضع من الجبل شق فاذا كان يوم عيد هذا الدير لم يبق في البلد بوقير حتى يجيء الى هذا الموضع فيكون أمراً عظيماً بكثرتها واجتماعها وصياحها عند الشق ولا يزال الواحد بعد الواحد يدخل رأسه فى ذلك الشق ويصيح ويخرج ويجيء غيره الى أن يعلق رأس أحدها وينشب في الموضع فيضطرب حتي يموت وتتفرق حينئذ الباقية فلا يبقى منها طائر * وقال القاضى أبو جعفر القضاعى ومن عجائبها يعنى مصر شعب البوقيرات بناحية اشموم من أرض الصعيد وهو شعب في جبل فيه صدع تأتيه البوقيرات في يوم من السنة كان معروفا فتعرض أنفسها على الصدع فكلما أدخل بوقير منها منقاره في الصدع مضى لطيته فلا تزال تفعل ذلك حتى

يلتقى الصدع على بوقير منها فيحبسه وتمضى كلها ولا يزال ذلك الذى تحبسه معلقا حتى يتساقط * قال مؤلفه رحمه الله تعالى وقد بطل هذا فى جملة مابطل

( دير ابي هرمينة ) بحرى فاو الخراب وبحريه برباقاو وهى مملوءة كتبا وحكما وبين دير الطين وهذا الدير نحو يومين ونصف وأبو هرمينة هذا من قدماء الرهبان المشهورين عند النصارى

( دير السبعة جبال باخميم ) هذا الدير داخل سبعة أودية وهو دير عال بين جبال شامخة ولا تشرق عليه الشمس الا بعد ساعتين من الشروق لعلو الجبل الذى هو في لحفه واذا بقى للغروب نحو ساعتين خيل لمن فيه أن الشمس قد غابت وأقبل الليل فيشعلون حينئذ الضوء فيه وعلى هذا الدير من خارجه عين ماء تظلها صفصافة ويعرف هذا الموضع الذى فيه دير الصفصافة بوادي الملوك لان فيه نباتا يقال له الملوكة وهو شبه الفجل وماؤه أحمرقان يدخل في صناعة علم أهل الكيمياء ومن داخل هذا الدير ( دير القرقس ) وهو فى أعلى جبل قد نقر فيه ولا يعلم له طريق بل يصعد اليه في نقور في الجبل ولا يتوصل اليه الا كذلك وبين دير الصفصافة ودير القرقس ثلاث ساعات وتحت دير القرقس عين ماء عذب وأشجاربان

( دير صبرة ) في شرقي اخميم عرف بعرب يقال لهم بني صبرة وهو على اسم ميخائيل الملك وليس به غير راهب واحد

( دير أبي بشادة الاسقف ) قريب من ناحية انقه وهو بالحاجر وتجاهه في الغرب منشأة أخميم وكان أبو بشادة هذا من علماء النصارى

( دير بوهور الرهب ) ويعرف بدير سوادة وسوادة عرب تنزل هناك وهوقبالة منية بنى خصيب خربته العرب وهذه الاديرة كلها فى الشرق من النيل وجميعها لليعاقبة وليس فى الجانب الشرقى الآن سواها وأما الجانب الغربي من النيل فانه كثير الديارات لكثرة عمارته

( دير دموة بالجيزة ) وتعرف بدموة السباع وهو على اسم قزمان ودميان وهو دير لطيف وتزعم النصارى أن بعض الحكماء كان يقال له سبع اقام بدموة وأن كنيسة دموة التي بأيدى اليهود الآن كانت ديرا من ديارات النصارى فابتاعته منهم اليهود في ضائقة نزلت بهم وقد تقدم ذكر كنيسة دموة وقزمان ودميان من حكماء النصارى ورهبانهم العباد ولهما أخبار عندهم

( دير نهيا ) قال الشابشتي ونهيا بالجيزة وديرها هذا من أحسن ديارات مصر وأنزهها وأطيبها موضعا وأجلها موقعا عامر برهبانه وسكانه وله فى أيام النيل منظر عجيب لان الماء يحيط به من جميع جهاته فاذا انصرف الماء وزرعت الارض أظهرت أراضيه غرائب النواوير

وأصناف الزهر وهو من المتنزهات الموصوفة والبقاع المستحسنة وله خليج يجتمع فيه سائر الطير فهو أيضاً متصيد ممنع وقد وصفته الشعراء وذكرت حسنه وطيبه قلت وقد خرب هذا الدير

( دير طمويه ) قال ياقوت طمويه بفتح الطاء وسكون الميم وفتح الواو وياء ساكنة قريتان بمصر احداهما في كورة المرتاحية والاخرى بالجيزة قال الشابشتي وطمويه في الغرب بازاء حلوان والدير راكب البحر حوله الكروم والبساتين والنخل والشجر وهو نزه عامر آهل وله في النيل منظر حسن وحين تخضر الارض يكون في بساطين من البحر والزرع وهو أحد متنزهات أهل مصر المذكورة ومواضع لهوها المشهورة * ولابن أبي عاصم المصرى فيه من البسيط

واشرب بطمويه من صهباء صافية * تزرى بخمر قرى هيت وعانات
على رياض من النوار زاهرة * تجري الجداول فيها بين جنات
كان بنت الشقيق العصفرى بها * كاسات خمر بدت فى اثر كاسات
كأن نرجسها من حسنه حدق * فى خفية يتناجي بالاشارات
كأنما النيل في مر النسيم به * مستلئم فى دروع سابريات
منازل كنت مفتونا بها شغفا * وكن قدما مواخيرى وحاناتى
اذلا أزال ملما بالصبوح على * ضرب النواقيس صبا بالديارات

قلت هذا الدير عند النصارى على اسم بوجرج ويجتمع فيه النصارى من النواحي

( دير اقفاص ) وصوابها اقفهس وقد خرب

( دير خارج ناحية مهرى ) خامل الذكر لانهم لايطعمون فيه أحدا

( دير الخادم ) على جانب المنهى باعمال البهنسا على اسم غبريال الملك به بستان فيه نخل وزيتون

( دير اشنين ) عرف بناحية اشنين فانه فى بحريها وهو لطيف على اسم السيدة مريم وليس به سوى راهب واحد

( دير ايسوس ) ومعني ايسوس يسوع ويقال له دير أرجنوس وله عيد في في خامس عشرى بشنس فاذا كان ليلة هذا اليوم سدت بئر فيه تعرف ببئر ايسوس وقد اجتمع الناس الى الساعة السادسة من النهار ثم كشفوا الطابق عن البئر فاذا بها قد فاض ماؤها ثم ينزل فحيث وصل الماء قاسوا منه الى موضع استقر فيه الماء فما بلغ كانت زيادة النيل فى تلك السنة من الاذرع

( دير سدمنت ) على جانب المنهى بالحاجر بين الفيوم والريف على اسم بوجرج وقد ضعفت احواله عما كان عليه وقل ساكنه

( دير النقلون ) ويقال له دير الخشبة ودير غبريال الملك وهو تحت مغارة في الجبل الذي يقال له طارف الفيوم وهذه المغارة تعرف عندهم بمظلة يعقوب يزعمون أن يعقوب عليه السلام لما قدم مصر كان يستظل بها وهذا الجبل مطل على بلدين يقال لهما اطفيح شيلا وشلا ويملأ الماء لهذا الدير من بحر المنهى ومن تحت دير سدمنت ولهذا الدير عيد يجتمع فيه نصارى الفيوم وغيرهم وهو على السكة التي تنزل الى الفيوم ولا يسلكها الا القليل من المسافرين

( دير القلمون ) هذا الدير في برية تحت عقبة القلمون يتوصل المسافر منها الى الفيوم يقال لها عقبة الغريق وبني هذا الدير على اسم صمويل الراهب وكان فى زمن الفترة مابين عيسي ومحمد صلى الله عليهما وسلم ومات فى ثامن كيهك وفى هذا الدير نخل كثير يعمل من تمره العجوة وفيه أيضاً شجر اللبخ ولا يوجد الا فيه وتمره بقدر الليمون طعمه حلو في مثل طعم الرامخ ولنواه عدة منافع وقال أبو حنيفة فى كتاب النبات ولا ينبت اللبخ الا بأنصنا وهو عود تنشر منه ألواح السفن وربما أرعف ناشرها ويباع اللوح منها بخمسين دينارا ونحوها واذا شد لوح منها بلوح وطرحا في الماء سنة التأما وصارا لوحا واحدا وفي هـذا الدير قصران مبنيان بالحجارة وهما عاليان كبيران لبياضهما اشراق وفيه أيضاً عين ماء تجرى وفي خارجه عين أخرى وبهذا الوادي عدة معابد قديمة وثم واد يقال له الاميلح فيه عين ماء تجرى ونخيل مثمرة تأخذ العرب ثمرها وخارج هذا الدير ملاحة يبيع رهبان الدير ملحها فيم تلك الجهات

( دير السيدة مريم ) خارج طنبدى ليس فيه سوى راهب واحد وهو على غير الطريق المسلوك وكان بأعمال البهنسا عدة ديارات خربت

( دير برقانا ) بحرى بني خالد وهو مبني بالحجر وعمارته حسنة وهو من أعمال المنية وكان به في القديم ألف راهب وليس به الآن سوى راهبين وهو في الحاجر تحت الجبل

( دير بالوجه ) على جنب المنهى وهو لاهل دلجة وهو من الاديرة الكبار وقد خرب حتى لم يبق به سوى راهب أوراهبين وهو بازاء دلجة بينه وبينها نحو ساعتين

( دير مرقورة ) ويقال أبو مرقورة هذا الدير تحت دلجة بخارجها من شرقيها وليس به أحد

( دير صنبو ) في خارجها من بحريها على اسم السيدة مريم وليس به أحد

( دير تادرس ) قبلي صنبو وقد تلاشي أمره لاتضاع حال النصارى

( دير الريرمون ) فى شرقى ناحية الريرمون وهو شرقي ملوى وغربى أنصنا وهو على اسم الملك غبريال

( دير المحرق ) تزعم النصارى أن المسيح عليه السلام أقام في موضعه ستة أشهر وأياما وله عيد عظيم يعرف بعيد الزيتونة وعيد العنصرة يجتمع فيه عالم كثير

( دير بني كاب ) عرف بذلك لنزول بنى كاب حوله وهو على اسم غبريال وليس فيه أحد من الرهبان وانما هو كنيسة لنصارى منفلوط وهو غربيها

( دير الجاولية ) هذا الدير ناحية الجاوليـة من قبليها وهو على اسم الشهيد مرقورس الذي يقال له مرقورة وعليه رزق محبسة وتأتيه النذورات والعوايد وله عيدان في كل سنة

( دير السبعة جبال ) هذا الدير على رأس الجبل الذى غربى سيوط على شاطئ النيل ويعرف بدير يحنس القصير وله عدة أعياد وخرب فى سنة احدى وعشرين وثمانمائة من منسر طرقه ليلا * ( يحنس ) ويقال أبو يحنس القصير كان راهبا قصا له أخبار كثيرة منها أنه غرس خشبة يابسة فى الارض بأمر شيخه له وسقاها الماء مـدة فصارت شجرة مثمرة تأكل منها الرهبان وسميت شجرة الطاعة ودفن في ديره

( دير المطل ) هذا الدير على اسم السيدة مريم وهو على طرف الجبل تحت دير السبعة جبال قبالة سيوط وله عيد يحضره أهل النواحي وليس به أحد من الرهبان

* ( أديرة أدرنكة ) *

اعلم أن ناحية أدرنكة هي من قري النصارى الصعايدة ونصاراها أهـل علم فى دينهم وتفاسيرهم في اللسان القبطى ولهم اديرة كثيرة في خارج البلد من قبليها مع الجبل وقد خرب أكثرها وبقى منها

( دير بوجرج ) وهو عامر البناء وليس به أحد من الرهبان ويعمل فيه عيد في أوانه

( دير أرض الحاجر ودير ميكائيل ودير كرفونه ) على اسم السيدة مريم وكان يقال له ارافونه واغرافونا ومعناه النساخ فان نساخ علوم النصارى كانت في القديم تقيم به وهو على طرف الجبل وفيه مغاير كثيرة منها مايسير الماشى بجنبه نحو يومين

( دير أبي بغام ) تحت دير كرفونة بالحاجر وقد كان ابو بغام جنديا فى أيام ديقلطيانوس فتنصر وعذب ليرجع عن دينه ثم قتل فى ثامن عشرى كانون الاول وثانى كيهك

( دير بوساويرس ) بحاجر ادرنكة كان على اسم السيـدة مريم وكان ساويرس من عظماء الرهبان فعمل بطركا وظهرت آية عند موته وذلك أنه أنذرهم لمـا سار الى الصعيد بأنه اذا مات ينشق الجبل وتقع منه قطعة عظيمة على الـكنيسة فلا تضرها فلما كان في بعض الايام سقطت قطعة عظيمة من الجبل كما قال فعلم رهبان هذا الدير بأن ساويرس قـد مات فأرخوا ذلك فوجدوه وقت موته فسموا الدير حينئذ باسمه

( دير تادرس ) تحت دير بوساويرس وتادرس اثنان كانا من أجنـاد ديقلطيانوس

أحدهما يقال له قاتل التنين والآخر الاسفهسلار وقتلا كما قتل غيرهما

( دير منسى آك ) ويقال منساك وبنى ساك وايساآك ومعني ذلك اسحاق وكان على اسم السيدة ماريهام يعني مار مريم ثم عرف بمنساك وكان راهبا قديما له عندهم شهرة وبهذا الدير بئر تحته فى الحاجر منها شرب الرهبان فاذا زاد النيل شربوا من مائه

( دير الرسل ) تحت دير منساك ويعرف بدير الاثل وهو لاعمال بوتيج ودير منساك لاهل ربقة هو ودير ساويرس ودير كرفونة لاهل سيوط ودير بوجرج لاهل ادرنكة ودير الاثل كان في خراب فعمر بجانبه كفر لطيف عرف بمنشأة الشيخ لان الشيخ أبا بكر الشاذلى أنشاه وأنشأ بستانا كبيرا وقد وجد موضعه بئرا كبيرة وجد بها كنزا أخبرني من شاهد من ذهبه دنانير مربعة بأحد وجهيها صليب وزنة الدينار مثقال ونصف وأديرة أدرنكة المذكورة قريب بعضها من بعض وبينها مغاير عديدة منقوش على ألواح فيها نقوشات من كتابة القدماء كما على البرابى وهى مزخرفة بعدة أصباغ ملونة تشتمل على علوم شتى ودير السبعة جبال ودير المطل ودير النساخ خارج سيوط فى المقابر ويقال انه كان فى الحاجرين ثلثمائة وستون ديرا وان المسافر كان لايزال من البدرشين الى أصفون فى ظل البساتين وقد خرب ذلك وباد أهله

( دير موشه ) وموشه خارج سيوط من قبليها بني على اسم توما الرسول الهندي وهو بين الغيطان قريب من ربقة وفى أيام النيل لايوصل اليه الا في مركب وله أعياد والاغلب على نصارى هذه الاديرة معرفة القبطي الصعيدى وهو أصل اللغة القبطية وبعدها اللغة القبطية البحرية ونساء نصارى الصعيد وأولادهم لايكادون يتكلمون الا بالقبطية الصعيدية ولهم أيضاً معرفة تامة باللغة الرومية

( دير أبي مقروفة ) وأبو مقروفة اسم للبلدة التي بها هذا الدير وهو منقور في لحف الجبل وفيه عدة مغاير وهو على اسم السيدة مريم وبمقروفة نصارى كثيرة غنامة ورعاة أكثرهم همج وفيهم قليل من يقرأ ويكتب وهو دير معطش

( دير بومغام ) خارج طما وأهلها نصارى وكانوا قديما أهل علم

( دير بوشنوده ) ويعرف بالدير الابيض وهو غربي ناحية سوهاى وبناؤه بالحجر وقد خرب ولم يبق منه الا كنيسته ويقال ان مساحته أربعة فدادين ونصف وربع والباقي منه نحو فدان وهو دير قديم

( الدير الاحمر ) ويعرف بدير ابي بشاى وهو بحرى الدير الابيض بينهما نحو ثلاث ساعات وهو دير لطيف مبني بالطوب الاحمر وأبو بشاى هذا من الرهبان المعاصرين لشنوده وهو تلميذه وصار من تحت يده ثلاثة آلاف راهب وله دير آخر فى برية شيهات

( دير أبي ميساس ) ويقال أبو ميسيس واسمه موسى وهذا الدير تحت البلينا وهو دير كبير * وأبو ميسيس هذا كان راهباً من أهل البلينا وله عندهم شهرة وهم ينذرونه ويزعمون فيه مزاعم ولم يبق بعد هذا الدير الا اديرة بحاجر اسنا ونقادة قليلة العمارة وكان بأصفون دير كبير وكانت أصفون من أحسن بلاد مصر وأكثر نواحي الصعيد فواكه وكان رهبان ديرها معروفين بالعلم والمهارة فخربت أصفون وخرب ديرها وهذا آخر أديرة الصعيد وهي كلها متلاشية آئلة الى الدثور بعد كثرة عمارتها ووفور أعداد رهبانها وسعة أرزاقهم وكثرة ما كان يحمل اليهم * ( وأما الوجه البحرى ) * فكان فيه اديرة كثيرة خربت وبقي منها بقية فكان بالمقس خارج القاهرة من بحريها عدة كنائس هدمها الحاكم بأمر الله أبو علي منصور فى تاسع عشر ذى الحجة سنة تسع وتسعين وثلثمائة وأباح ما كان فيها فنهب منها شئ كثير جدا بعد ما أمر فى شهر ربيع الاول منها بهدم كنائس راشدة خارج مدينة مصر من شرقيها وجعل موضعها الجامع المعروف براشدة وهدم أيضاً فى سنة أربع وتسعين كنيستين هناك وألزم النصارى بلبس السواد وشد الزنار وقبض على الاملاك التى كانت محبسة على الكنائس والاديرة وجعلها فى ديوان السلطان وأحرق عدة كثيرة من الصلبان ومنع النصاري من اظهار زينة الكنائس فى عيد الشعانين وتشدد عليهم وضرب جماعة منهم وكانت بالروضة كنيسة بجوار المقياس فهدمها السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب في سنة ثمان وثلاثين وستمائة وكان فى ناحية أبي النمرس من الجيزة كنيسة قام فى هدمها رجل من الزيالعة لانه سمع أصوات النواقيس يجهر بها فى ليلة الجمعة بهذه الكنيسة فلم يتمكن من ذلك فى أيام الاشرف شعبان بن حسين لتمكن الاقباط فى الدولة فقام فى ذلك مع الامير الكبير برقوق وهو يومئذ القائم بتدبير الدولة حتى هدمها على يد القاضى جمال الدين محمود العجمى محتسب القاهرة فى ثامن عشر رمضان سنة ثمانين وسبعمائة وعملت مسجدا

( دير الخندق ) ظاهر القاهرة من بحريها عمره القائد جوهر عوضا عن دير هدمه فى القاهرة كان بالقرب من الجامع الاقمر حيث البئر التى تعرف الآن ببئر العظمة وكانت اذذاك تعرف ببئر العظام من أجل انه نقل عظاما كانت بالدير وجعلها بدير الخندق ثم هدم دير الخندق فى رابع عشرى شوال سنة ثمان وسبعين وستمائة في أيام المنصور قلاون ثم جدد هذا الدير الذى هناك بعد ذلك وعمل كنيستين يأتي ذكرها في الكنائس

( دير سرياقوس ) كان يعرف بأبي هور وله عيد يجتمع فيه الناس وكان فيه أعجوبة ذكرها الشابشتي وهو أن من كان به خنازير أخذه رئيس هذا الدير وأضجعه وجاءه بخنزير فلحس موضع الوجع ثم أكل الخنازير التى فيه فلا يتعدى ذلك الى الموضع الصحيح فاذا نظف الموضع ذر عليه رئيس الدير من رماد خنزير فعل مثل هذا الفعل من قبل ودهنه

بزيت قنديل البيعة فانه يبرأ ثم يؤخذ ذلك الخنزير الذى أكل خنازير العليل فيذبح ويحرق ويعد رماده لمثل هذه الحالة فكان لهذا الدير دخل عظيم ممن يبرأ من هذه العلة وفيه خلق من النصارى

( دير اتريب ) ويعرف بمارى مريم وعيده في حادى عشرى بؤنه وذكر الشابشتي أن حمامة بيضاء تأتي في ذلك العيد فتدخل المذبح لايدرون من اين جاءت ولا يرونها الى يوم مثله * وقد تلاشى أمر هذا الدير حتي لم يبق به الا ثلاثة من الرهبان لكنهم يجتمعون في عيده وهو على شاطئ النيل قريب من بنها العسل

( دير المغطس ) عند الملاحات قريب من بحيرة البرلس وتحج اليه النصارى من قبلى أرض مصر ومن بحريها مثل حجهم الى كنيسة القمامة وذلك يوم عيده وهو في بشنس ويسمونه عيد الظهور من أجل انهم يزعمون أن السيدة مريم تظهر لهم فيه ولهم فيه مزاعم كلها من أكاذيبهم المختلقة وليس بحذاء هذا الدير عمارة سوى منشأة صغيرة في قبليه بشرق وبقربه الملاحة التى يؤخذ منها الملح الرشيدى وقد هدم هذا الدير في شهر رمضان سنة احدى وأربعين وثمانمائة بقيام بعض الفقراء المعتقدين

( دير العسكر ) في أرض السباخ على يوم من دير المغطس على اسم الرسل وبقربه ملاحة الملح الرشيدى ولم يبق به سوى راهب واحد

( دير جميانة ) على اسم بوجرج قريب من دير العسكر على ثلاث ساعات منه وعيده عقب عيد دير المغطس وليس به الآن أحد

( دير الميمنة ) بالقرب من دير العسكر كانت له حالات جليلة ولم يكن في القديم دير بالوجه البحرى أكثر رهبانا منه الا انه تلاشى أمره وخرب فنزله الحبش وعمروه وليس في السباخ سوى هذه الاربعة الاديرة * وأما وادى هبيب وهو وادى النطرون ويعرف ببرية شيهات وببرية الاسقط وبميزان القلوب فانه كان بها في القديم مائة دير ثم صارت سبعة ممتدة غرباً على جانب البرية القاطعة بين بلاد البحيرة والفيوم وهى فى رمال منقطعة وسباخ مالحة وبرار منقطعة معطشة وقفار مهلكة وشراب أهلها من حفائر وتحمل النصارى اليهم النذور والقرابين وقد تلاشت فى هذا الوقت بعد ماذكر مورخو النصارى انه خرج الى عمرو بن العاص من هذه الاديرة سبعون ألف راهب بيد كل واحد عكاز فسلموا عليه وانه كتب لهم كتابا هو عندهم

( فمنها دير أبي مقار الكبير ) وهو دير جليل عندهم وبخارجه اديرة كثيرة خربت وكان دير النساك في القديم ولا يصح عندهم بطركية البطرك حتى يجلسوه فى هذا الدير بعد جلوسه بكرسى اسكندرية ويذكر أنه كان فيه من الرهبان ألف وخمسمائة لاتزال مقيمة به

وليس به الآن الا قليل منهم والمقارات ثلاثة أكبرهم صاحب هذا الدير ثم أبو مقار الاسكندراني ثم أبو مقار الاسقف وهؤلاء الثلاثة قد وضعت رممهم في ثلاث أنابيب من خشب وتزورها النصارى بهذا الدير وبه أيضا الكتاب الذى كتبه عمرو بن العاص لرهبان وادى هبيب بجرانة نواحي الوجه البحرى على ماأخبرني من أخبر برؤيته فيه * (أبو مقار الا كبر) هو مقاريوس أخذ الرهبانية عن انطونيوس وهو أول من لبس عندهم القلنسوة والاشكيم وهو سير من جلد فيه صليب يتوشح به الرهبان فقط ولقى انطونيوس بالجبل الشرقى من حيث دير العزبة وأقام عنده مدة ثم ألبسه لباس الرهبانية وأمره بالمسير الى وادى النطرون ليقيم هناك ففعل ذلك واجتمع عنده الرهبان الكثيرة العدد وله عندهم فضائل عديدة منها انه كان لايصوم الاربعين الا طاويا في جميعها لايتناول غذاء ولا شرابا البتة مع قيام ليلها وكان يعمل الخوص ويتقوت منه وما أكل خبزا طريا قط بل يأخذ القراقيش فيبلها في نقاعة الخوص ويتناول منها هو ورهبان الدير مايمسك الرمق من غير زيادة هذا قوتهم مدة حياتهم حتى مضوا لسبيلهم * وأما أبو مقار الاسكندرانى فانه ساح من الاسكندرية الى مقاريوس المذكور وترهب على يديه ثم كان أبو مقار الثالث وصار أسقفا

( دير أبي يحنس القصير ) يقال انه عمر في أيام قسطنطين بن هيلانة ولابي يحنس هذا فضائل مذكورة وهو من أجل الرهبان وكان لهذا الدير حالات شهيرة وبه طوائف من الرهبان ولم يبق به الآن الا ثلاثة رهبان

( دير الياس ) عليه السلام وهو دير للحبشة وقد خرب دير يحنس كما خرب دير الياس اكلت الارضة أخشابهما فسقطا وصار الحبشة الى دير سيدة بويحنس القصير وهو دير لطيف بجوار دير بويحنس القصير * وبالقرب من هذه الاديرة

( دير انبانوب ) وقد خرب هذا الدير أيضاً ( انبانوب ) هذا من أهل سمنود قتل في الاسلام ووضع جسده في بيت بسمنود

( دير الارمن ) قريب من هذه الاديرة وقد خرب * وبجوارها أيضا

( دير بوبشاى ) وهو دير عظيم عندهم من أجل أن بوبشاي هذا كان من الرهبان الذين في طبقة مقاريوس ويحنس القصير وهو دير كبير جدا

( دير بازاء دير بوبشاى ) كان بيد اليعاقبة ثم ملكته رهبان السريان من نحو ثلثمائة سنة وهو بيدهم الآن ومواضع هذه الاديرة يقال لها بركة الاديرة

( دير سيدة برموس ) على اسم السيدة مريم فيه بعض رهبان * وبازائه

( دير موسى ) ويقال أبو موسى الاسود ويقال برموس وهذا الدير لسيدة برموس

فبرموس اسم الدير وله قصة حاصلها أن مكسيموس ودوماديوس كانا ولدى ملك الروم وكان لهما معلم يقال له ارسانيوس فسار المعلم من بلاد الروم الى أرض مصر وعبر برية شيهات هذه وترهب وأقام بها حتي مات وكان فاضلا وأتاه فى حياته ابنا الملك المذكوران وترهبا على يديه فلما ماتا بعث أبوهما فبني على اسمهما كنيسة برموس وأبو موسى الاسود كان اصافاتيكا قتل مائة نفس ثم انه تنصر وترهب وصنف عدة كتب وكان ممن يطوى الاربعين في صومه وهو بربرى

( دير الزجاج ) هذا الدير خارج مدينة الاسكندرية ويقال له الهايطون وهو على اسم بوجرج الكبير ومن شرط البطرك أنه لابد أن يتوجه من المعلقة بمصر الى دير الزجاج هذا ثم انهم في هذا الزمان تركوا ذلك فهذه أديرة اليعاقبة

( وللنساء ديارات تختص بهن )* فنها ( دير الراهبات ) بحارة زويلة من القاهرة وهو دير عامر بالابكار المترهبات وغيرهن من نساء النصارى

( دير البنات ) بحارة الروم بالقاهرة عامر بالنساء المترهبات

( دير المعلقة ) بمدينة مصر وهو أشهر ديارات النساء عامر بهن

( دير بربارة ) بمصر بجوار كنيسة بربارة عامر بالبنات المترهبات ( بربارة ) كانت قديسة في زمان دقلطيانوس فعذبها لترجع عن ديانتها وتسجد للاصنام فثبتت على دينها وصبرت على عذاب شديد وهى بكر لم يمسها رجل فلما يئس منها ضرب عنقها وعنق عدة من النساء معها *( وللنصاري الملكية )* قلاية بطركهم بجوار كنيسة ميكائيل بالقرب من جسر الافرم خارج مصر وهى مجمع الرهبان الواردين من بلاد الروم

( دير بخنس القصير ) المعروف بالقصير وصوابه عندهم دير القصير على وزن شهيد وحرف فقيل دير القصير بضم القاف وفتح الصاد وتشديد الياء فسماه المسلمون دير القصير بضم القاف وفتح الصاد واسكان الياء آخر الحروف كأنه تصغير قصير وأصله كما عرفتك دير القصير الذي هو ضد الطويل وسمى أيضاً دير هرقل ودير البغل وقد تقدم ذكره وكان من أعظم ديارات النصارى وليس به الآن سوى واحد يحرسه وهو بيد الملكية

( دير الطور ) قال ابن سيده الطور الجبل وقد غلب على طور سيناء جبل بالشام وهو بالسريانية طورى والنسب اليه طوري وطواري * وقال ياقوت سبعة مواضع * الاول طور زيتا بلفظ الزيت من الادهان مقصور علم لجبل بقرب رأس عين * الثانى طورزيت أيضا جبل بالبيت المقدس وهو شرقى سلوان * الثالث الطور علم لجبل بعينه مطل على مدينة طبرية بالاردن * الرابع الطور علم لجبل كورة تشتمل على عدة قرى بأرض مصر من الجهة القبلية بين مصر وجبل فاران * الخامس طور سيناء اختلفوا فيه فقيل هو جبل

بقرب ايلة وقيل جبل بالشام وقيل سيناء حجازية وقيل سحرتية * السادس طور عبدين بفتح العين وسكون الباء الموحدة وكسر الدال المهملة وياء آخر الحروف ونون اسم لبلدة من نواحي نصيبين فى بطن الجبل المشرف عليها المتصل بجبل جودى * السابع طور هارون أخى موسى عليهما السلام * وقال الواحدى فى تفسيره وقال الكلبى وغيره والجبل في قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل اعظم جبل بمدين يقال له زبير وذكر الكلبي أن الطور سمى بيطور بن اسماعيل قال السهيلي فلعله محذوف الياء ان كان صح ماقاله وقال عمر بن شيبة أخبرنى عبد العزيز عن أبي معشر عن سعيد بن أبى سعيد عن أبيه عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أنهار (٣) فى الجنة وأربعة أجبل وأربع ملاحم في الجنة فأما الانهار فسيحان وجيحان والنيل والفرات وأما الاجبل فالطور ولبنان وأحد وورقان وسكت عن الملاحم * وعن كعب الاحبار معاقل المسلمين ثلاثة فمعقلهم من الروم دمشق ومعقلهم من الدجال الاردن ومعقلهم من يأجوج ومأجوج الطور * وقال شعبة عن ارطاة بن المنذر اذا خرج يأجوج ومأجوج أوحي الله تعالى الى عيسى ابن مريم عليه السلام انى قد أخرجت خلقا من خلقى لايطيقهم أحد غيري فمر بمن معك الى جبل الطور فيمر ومعه من الذرارى اثنا عشر ألفا وقال طلق بن حبيب عن زرعة أردت الخروج الى الطور فأتيت عبدالله بن عمر رضى الله عنهما فقلت له فقال انما تشد الرحال الى ثلاثة مساجد الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسجد الحرام والمسجد الاقصى فدع عنك الطور فلا تأته وقال القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى وقد ذكر كور أرض مصر ومن كور القبلة قرى الحجاز وهي كورة الطور وفاران وكورة راية والقلزم وكورة ايلة وحيزها ومدين وحيزها والعويند والحوراء وحيزهما ثم كورة بدا وشعيب * قلت لاخلاف بين علماء الاخبار من أهل الكتاب أن جبل الطور هذا هو الذى كلم الله تعالى نبيه موسي عليه السلام عليه أو عنده وبه الى الآن دير بيد الملكية وهو عامر وفيه بستان كبير به نخل وعنب وغير ذلك من الفواكه * وقال الشابشتي وطور سيناء هو الجبل الذى تجلى فيه النور لموسى بن عمران عليه السلام وفيه صعق والدير فى أعلى الجبل مبنى بحجر أسود عرض حصنه سبع أذرع وله ثلاثة أبواب حديد وفي غربيه باب لطيف وقدامه حجر اقيم اذا أرادوا رفعه رفعوه واذا قصدهم أحد أرسلوه فانطبق على الموضع فلم يعرف مكان الباب وداخل الدير عين ماء وخارجه عين أخرى وزعم النصارى أن به نارا من أنواع النار التى كانت ببيت المقدس يقدون منها فى كل عشية وهى بيضاء لطيفة ضعيفة الحر

(٣) (قوله أربعة أنهار الخ) هكذا لفظ الحديث فى النسخ التى بيدى والعهدة عليها فليراجع من مظانه اهـ مصححه

لاتحرق ثم تقوى اذا أوقد منها السراج وهو عامر بالرهبان والناس يقصدونه وهو من الديارات الموصوفة * قال ابن عامر فيه

ياراهب الدير ماذاالضوء والنور * فقد أضاء بما فى ديرك الطور
هل حلت الشمس فيه دون أبرجها * أو غيب البدر فيه وهو مستور
فقال ماحله شمس ولا قمر * لكن تقرب فيه اليوم قورير

قلت ذكر مؤرخو النصارى ان هذا الدير أمر بعمارته يوسطيانوس ملك الروم بقسطنطينية فعمل عليه حصن فوقه عدة قلالى وأقيم فيه الحرس لحفظ رهبانه من قوم يقال لهم بنو صالح من العرب وفى أيام هذا الملك كان المجمع الخامس من مجامع النصارى وبينه وبين القلزم وكانت مدينة طريقان احداهما فى البر والاخري في البحر وهما جميعا يؤديان الى مدينة فاران وهي من مدائن العمالقة ثم منها الى الطور مسيرة يومين ومن مدينة مصر الى القلزم ثلاثة أيام ويصعد الى جبل الطور بستة آلاف وستمائة وست وستين مرقاة وفي نصف الجبل كنيسة لايلياء النبي وفي قلته كنيسة على اسم موسى عليه السلام بأساطين من رخام وأبواب من صفر وهو الموضع الذى كلم الله تعالى فيه موسى وقطع منه الالواح ولا يكون فيها الا راهب واحد للخدمة ويزعمون أنه لايقدر أحد أن يبيت فيها بل يهيأ له موضع من خارج يبيت فيه ولم يبق لهاتين الكنيستين وجود

( دير البنات بقصر الشمع بمصر ) وهو على اسم بوجرج وكان مقياس النيل قبل الاسلام وبه آثار ذلك الى اليوم فهذا ماللنصارى اليعاقبة والملكية رجالهم ونسائهم من الديارات بأرض مصر قبليها وبحريها وعدتها ستة وثمانون ديرامنها لليعاقبة (٣) دير وللملكية

*( ذكر كنائس النصارى )*

قال الازهرى كنيسة اليهود جمعها كنائس وهي معربة أصلها كنشت انتهى وقد نطقت العرب بذكر الكنيسة قال العباس بن مرداس السلمي

يدورون بي في ظل كل كنيسة * وماكان قومي يبتنون الكنائسا

وقال ابن قيس الرقيات

كانها دمية مصورة * في بيعة من كنائس الروم

( كنيستا الخندق ) ظاهر القاهرة احداهما على اسم غبريال الملاك والاخرى على اسم مرقوريوس وعرفت برويس وكان راهبا مشهورا بعد سنة ثمانمائة وعند هاتين الكنيستين يقبر النصارى موتاهم وتعرف بمقبرة الخندق وعمرت هاتان الكنيستان عوضا عن كنائس المقس فى الايام الاسلامية

( كنيسة حارة زويلة بالقاهرة ) كنيسة عظيمة عند النصاري اليعاقبة وهي على اسم

السيدة وزعموا انها قديمة تعرف بالحكيم زايلون وكان قبل الملة الاسلامية بنحو مائتين وسبعين سنة وانه صاحب علوم شتي وان له كنزا عظيما يتوصل اليه من بئر هناك

( كنيسة تعرف بالمغيثة ) بحارة الروم من القاهرة على اسم السيدة مريم وليس لليعاقبة بالقاهرة سوى هاتين الكنيستين وكان بحارة الروم أيضاً كنيسة أخرى يقال لها كنيسة بربارة هدمت في سنة ثمان عشرة وسبعمائة وسبب ذلك أن النصارى رفعوا قصة للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاون يسألون الاذن في اعادة ماتهدم منها فأذن لهم فى ذلك فعمروها أحسن ماكانت فغضبت طائفة من المسلمين ورفعوا قصة للسلطان بأن النصارى أحدثوا بجانب هذه الكنيسة بناء لم يكن فيها فرسم للامير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة بهدم ماجددوه فركب وقداجتمع الخلائق فبادروا وهدموا الكنيسة كلها في اسرع وقت وأقاموا في موضعها محراباوأذنوا وصلوا وقرؤا القرآن كل ذلك بأيديهم فلم يمكن معارضتهم خشية الفتنة فاشتد الامر على النصارى وشكوا أمرهم للقاضى كريم الدين ناظر الخاص فقام وقعد غضبا لدين اسلافه وما زال بالسلطان حتى رسم بهدم المحراب فهدم وصار موضعه كوم تراب ومضى الحال على ذلك

( كنيسة بومنا ) هذه الكنيسة قريبة من السد فيما بين الكيمان بطريق مصر وهي ثلاث كنائس متجاورة احداها لليعاقبة والاخرى للسريان وأخري للارمن ولها عيد فى كل سنة تجتمع اليه النصارى

( كنيسة المعلقة ) بمدينة مصر فى خط قصر الشمع على اسم السيدة وهى جليلة القدر عندهم وهى غير القلاية التي تقدم ذكرها

( كنيسة شنودة ) بمصر نسبت لابى شنودة الراهب القديم وله أخبار منها انه كان ممن يطوى في الاربعين اذا صام وكان تحت يده ستة آلاف راهب يتقوت هو واياهم من عمل الخوص وله عدة مصنفات

( كنيسة مريم ) بجوار كنيسة شنودة هدمها على بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس أمير مصر لما ولى من قبل أمير المؤمنين الهادى موسى في سنة تسع وستين ومائة وهدم كنائس محرس قسطنطين وبذل له النصارى في تركها خمسين ألف دينار فامتنع فلما عزل بموسي بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس فى خلافة هارون الرشيد أذن موسى بن عيسى للنصارى فى بنيان الكنائس التي هدمها على بن سليمان فبنيت كلها بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة وقالا هو من عمارة البلاد واحتجا بأن الكنائس التي بمصر لم تبن الا فى الاسلام في زمن الصحابة والتابعين

( كنيسة بوجرج الثقة ) هذه الكنيسة في درب بخط قصر الشمع بمصر يقال له درب

الثقة ويجاورها كنيسة سيدة بوجرج

( كنيسة بربارة ) بمصر كبيرة جليلة عندهم وهي تنسب الى القديسة بربارة الراهبة وكان في زمانها راهبتان بكران وهما ايسي وتكلة ويعمل لهن عيد عظيم بهذه الكنيسة يحضره البطريق

( كنيسة بوسرجة ) بالقرب من بربارة بجوار زاوية ابن النعمان فيها مغارة يقال ان المسيح وأمه مريم عليهما السلام جلسا بها

( كنيسة بابليون ) في قبلي قصر الشمع بطريق جسر الافرم وهذه الكنيسة قديمة جدا وهي لطيفة ويذكر أن تحتها كنز بابليون وقد خرب ماحولها

( كنيسة تاودورس الشهيد ) بجوار بابليون نسبت للشهيد تاودورس الاسفهسلار

( كنيسة بومنا بجوار بابليون أيضاً ) وهاتان الكنيستان مغلوقتان لخراب ماحولهما

( كنيسة بومنا ) بالحمراء و تعرف الحمراء اليوم بخط قناطر السباع فيما بين القاهرة ومصر وأحدثت هذه الكنيسة في سنة سبع عشرة ومائة من سني الهجرة باذن الوليد ابن رفاعة أمير مصر فغضب وهيب اليحصبي وخرج على السلطان وجاء الى بن رفاعة ليفتك فأخذ وقتل وكان وهيب مدريا من اليمن قدم الى مصر فخرج القراء على الوليد بن رفاعة غضبا لوهيب وقاتلوه وصارت معونة امرأة وهيب تطوف ليلا على منازل القراء تحرضهم على الطلب بدمه وقد حلقت رأسها وكانت امرأة جزلة فأخذ ابن رفاعة أبا عيسى مروان ابن عبد الرحمن اليحصبي بالقراء فاعتذر وخلي ابن رفاعة عنهم فسكنت الفتنة بعد ماقتل جماعة ولم تزل هذه الكنيسة بالحمراء الى أن كانت واقعة هدم الكنائس فى ايام الناصر محمد بن قلاون على مايأتى ذكر ذلك والخبر عن هدم جميع كنائس أرض مصر وديارات النصارى فى وقت واحد

( كنيسة الزهري ) كانت فى الموضع الذى فيه اليوم البركة الناصرية بالقرب من قناطر السباع في بر الخليج الغربي غربي اللوق واتفق فى أمرها عدة حوادث وذلك أن الملك الناصر محمد بن قلاون لما أنشأ ميدان المهارى المجاور لقناطر السباع فى سنة عشرين وسبعمائة قصد بناء زريبة على النيل الاعظم بجوار الجامع الطيبرسى فأمر بنقل كوم تراب كان هناك وحفر ماتحته من الطين لاجل بناء الزريبة وأجرى الماء الى مكان الحفر فصار يعرف الى اليوم بالبركة الناصرية وكان الشروع في حفر هذه البركة من آخر شهر ربيع الاول سنة احدى وعشرين وسبعمائة فلما انتهى الحفر الى جانب كنيسة الزهرى وكان بها كثير من النصارى لايزالون فيها وبجانبها أيضاً عدة كنائس في الموضع الذى يعرف اليوم بحكر أقبغا مابين السبع سقايات وبين قنطرة السد خارج مدينة مصر أخذ الفعلة في الحفر حول كنيسة الزهرى حتى

بقيت قائمة في وسط الموضع الذى عينه السلطان ليحفر وهو اليوم بركة الناصرية وزاد الحفر حتى تعلقت الكنيسة وكان القصد من ذلك أن تسقط من غير قصد لخرابها وصارت العامة من غلمان الامراء العمالين في الحفر وغيرهم في كل وقت يصرخون على الامراء فى طلب هدمها وهم يتغافلون عنهم الى أن كان يوم الجمعة التاسع من شهر ربيع الآخر من هذه السنة وقت اشتغال الناس بصلاة الجمعة والعمل من الحفر بطال فتجمع عدة من غوغاء العامة بغير مرسوم السلطان وقالوا بصوت عال مرتفع الله اكبر ووضعوا أيديهم بالمساحي ونحوها فى كنيسة الزهرى وهدموها حتي بقيت كوما وقتلوا من كان فيها من النصاري وأخذوا جميع ما كان فيها وهدموا كنيسة بومنا التي كانت بالحمراء وكانت معظمة عند النصارى من قديم الزمان وبها عدة من النصارى قد انقطعوا فيها ويحمل اليهم نصاري مصر سائر ما يحتاج اليه ويبعث اليها بالنذور الجليلة والصدقات الكثيرة فوجد فيها مال كثير مابين نقد ومصاغ وغيره وتسلق العامة الى أعلاها وفتحوا أبوابها وأخذوا منها مالا وقماشا وجرار خمر فكان أمرا مهولا ثم مضوا من كنيسة الحمراء بعد ماهدموها الى كنيستين بجوار السبع سقايات تعرف احداهما بكنيسة البنات كان يسكنها بنات النصارى وعدة من الرهبان فكسروا أبواب الكنيستين وسبوا البنات وكن زيادة على ستين بنتا وأخذوا ماعليهن من الثياب ونهبوا سائر ماظفروا به وحرقوا وهدموا تلك الكنائس كلها هذا والناس في صلاة الجمعة فعندما خرج الناس من الجوامع شاهدوا هولا كبيرا من كثرة الغبار ودخان الحريق ومرج الناس وشدة حركاتهم ومعهم مانهبوه فما شبه الناس الحال لهوله الا بيوم القيامة وانتشر الخبر وطار الى الرميلة تحت قلعة الجبل فسمع السلطان ضجة عظيمة ورجة منكرة افزعته فبعث لكشف الخبر فلما بلغه ماوقع انزعج انزعاجا عظيما وغضب من تجرى العامة واقدامهم على ذلك بغير أمره وأمر الامير أيدغمش اميرا خور أن يركب بجماعة الاوشاقية ويتدارك هذا الخلل ويقبض علي من فعله فأخذ أيدغمش يتهيأ للركوب واذا بخبر قد ورد من القاهرة أن العامة ثارت في القاهرة وخربت كنيسة بحارة الروم وكنيسة بحارة زويلة وجاء الخبر من مدينة مصر أيضاً بأن العامة قامت بمصر في جمع كثير جدا وزحفت الى كنيسة المعلقة بقصر الشمع فاغلقها النصارى وهم محصورون بها وهي على أن تؤخذ فتزايد غضب السلطان وهم أن يركب بنفسه ويبطش بالعامة ثم تأخر لما راجعه الامير أيدغمش ونزل من القلعة فى أربعة من الامراء الى مصر وركب الامير بيبرس الحاجب والامير الماس الحاجب الى موضع الحفر وركب الامير طينال الى القاهرة وكل منهم في عدة وافرة وقد أمر السلطان بقتل من قدروا عليه من العامة بحيث لايعفو عن أحد فقامت القاهرة ومصر علي ساق وفرت النهابة فلم يظفر الامراء منهم الا بمن عجز عن الحركة بما غلبه من السكر بالخمر الذى نهبه من الكنائس ولحق

الامير أيدغمش بمصر وقد ركب الوالى الى المعلقة قبل وصوله ليخرج من زقاق المعلقة من حضر للنهب فأخذه الرجم حتى فر منهم ولم يبق الا ان يحرق باب الكنيسة فجرد أيدغمش ومن معه السيوف يريدون الفتك بالعامة فوجدوا عالما لايقع عليه حصر وخاف سوء العاقبة فأمسك عن القتل وأمر أصحابه بارجاف العامة من غير اهراق دم ونادى مناديه من وقف حل دمه ففر سائر من اجتمع من العامة وتفرقوا وصار أيدغمش واقفا الى أن أذن العصر خوفا من عود العامة ثم مضى وألزم والى مصر أن يبيت باعوانه هناك وترك معه خمسين من الاوشاقية وأما الامير الماس فانه وصل الى كنائس الحمراء وكنائس الزهري ليتداركها فاذا بها قد بقيت كيمانا ليس بها جدار قائم فعاد وعاد الامراء فرد الخبر على السلطان وهو لايزداد الا حنقا فما زالوا به حتى سكن غضبه وكان الامر فى هدم هذه الكنائس عجبا من العجب وهو أن الناس لما كانوا في صلاة الجمعة من هذا اليوم بجامع قلعة الجبل فعند ما فرغوا من الصلاة قام رجل موله وهو يصيح من وسط الجامع اهدموا الكنيسة التي في القلعة اهدموها وأكثر من الصياح المزعج حتى خرج عن الحد ثم اضطرب فتعجب السلطان والامراء من قوله ورسم لنقيب الجيوش والحاجب بالفحص عن ذلك فمضيا من الجامع الى خرائب التتر من القلعة فاذا فيها كنيسة قد بنيت فهدموها ولم يفرغوا من هدمها حتى وصل الخبر بواقعة كنائس الحمراء والقاهرة فكثر تعجب السلطان من شان ذلك الفقير وطلب فلم يوقف له على خبر واتفق أيضاً بالجامع الازهر ان الناس لما اجتمعوا في هذا اليوم لصلاة الجمعة أخذ شخصا من الفقراء مثل الرعدة ثم قام بعد ما أذن قبل أن يخرج الخطيب وقال اهدموا كنائس الطغيان والكفرة نعم الله أكبر فتح الله ونصر وصار يزعج نفسه ويصرخ من الاساس الى الاساس فحدق الناس بالنظر اليه ولم يدروا ماخبره وافترقوا فى أمره فقائل هذا مجنون وقائل هذه اشارة لشئ فلما خرج الخطيب أمسك عن الصياح وطلب بعد انقضاء الصلاة فلم يوجد وخرج الناس الى باب الجامع فرأوا النهابة ومعهم أخشاب الكنائس وثياب النصارى وغير ذلك من النهوب فسألوا عن الخبر فقيل قد نادى السلطان بخراب الكنائس فظن الناس الامر كما قيل حتى تبين بعد قليل أن هذا الامر انما كان من غير أمر السلطان وكان الذى هدم في هذا اليوم من الكنائس بالقاهرة كنيسة بحارة الروم وكنيسة بالبندقانيين وكنيستين بحارة زويلة * وفي يوم الاحد الثالث من يوم الجمعة الكائن فيه هدم كنائس القاهرة ومصر ورد الخبر من الامير بدر الدين بيلبك المحسنى والى الاسكندرية بأنه لما كان يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر بعد صلاة الجمعة وقع في الناس هرج وخرجوا من الجامع وقد وقع الصياح هدمت الكنائس فركب المملوك من فوره فوجد الكنائس قد صارت كوما وعدتها أربع كنائس

وان بطاقة وقت من والى البحيرة بأن كنيستين في مدينة دمنهور هدمتا والناس فى صلاة الجمعة من هذا اليوم فكثر التعجب من ذلك الى أن ورد في يوم الجمعة سادس عشره الخبر من مدينة قوص بأن الناس عند مافرغوا من صلاة الجمعة في اليوم التاسع من شهر ربيع الآخر قام رجل من الفقراء وقال يافقراء اخرجوا الى هدم الكنائس وخرج فى جمع من الناس فوجدوا الهدم قد وقع في الكنائس فهدمت ست كنائس كانت بقوص وما حولها في ساعة واحدة وتواتر الخبر من الوجه القبلي والوجه البحرى بكثرة ماهدم في هذا اليوم وقت صلاة الجمعة وما بعدها من الكنائس والاديرة في جميع أقليم مصر كله مابين قوص والاسكندرية ودمياط فاشتد حنق السلطان على العامة خوفا من فساد الحال وأخذ الامراء في تسكين غضبه وقالوا هذا الامر ليس من قدرة البشر فعله ولو أراد السلطان وقوع ذلك على هذه الصورة لما قدر عليه وما هذا الا بأمر الله سبحانه وبقدره لما علم من كثرة فساد النصارى وزيادة طغيانهم ليكون ماوقع نقمة وعذابا لهم هذا والعامة بالقاهرة ومصر قد اشتد خوفهم من السلطان لما كان يبلغهم عنه من التهديد لهم بالقتل ففر عدة من الاوباش والغوغاء وأخذ القاضى فخر الدين ناظر الجيش في ترجيع السلطان عن الفتك بالعامة وسياسة الحال معه وأخذ كريم الدين الكبير ناظر الخاص يغريه بهم الى أن أخرجه السلطان الى الاسكندرية بسبب تحصيل المال وكشف الكنائس التى خربت بها فلم يمض سوى شهر من يوم هدم الكنائس حتى وقع الحريق بالقاهرة ومصر فى عدة مواضع وحصل فيه من الشناعة أضعاف ما كان من هدم الكنائس فوقع الحريق في ربع بخط الشوايين من القاهرة فى يوم السبت عاشر جمادى الاولى وسرت النار الى ماحوله واستمرت الى آخر يوم الاحد فتلف في هذا الحريق شئ كثير وعند ماأطفئ وقع الحريق بحارة الديلم فى زقاق العريسة بالقرب من دور كريم الدين ناظر الخاص فى خامس عشرى جمادى الاولى وكانت ليلة شديدة الريح فسرت النار من كل ناحية حتى وصلت الى بيت كريم الدين وبلغ ذلك السلطان فانزعج انزعاجا عظيما لما كان هناك من الحواصل السلطانية وسير طائفة من الامراء لاطفائه فجمعوا الناس لاطفائه وتكاثروا عليه وقد عظم الخطب من ليلة الاثنين الى ليلة الثلاثاء فتزايد الحال في اشتعال النار وعجز الامراء والناس عن اطفائها لكثرة انتشارها في الاماكن وقوة الريح التي ألقت باسقات النخل وغرقت المراكب فلم يشك الناس في حريق القاهرة كلها وصعدوا المآذن وبرز الفقراء وأهل الخير والصلاح وضجوا بالتكبير والدعاء وجاروا وكثر صراخ الناس وبكاؤهم وصعد السلطان الى أعلى القصر فلم يتمالك الوقوف من شدة الريح واستمر الحريق والاستحثاث يرد على الامراء من السلطان في اطفائه الى يوم الثلاثاء فنزل نائب السلطان ومعه جميع الامراء وسائر السقائين ونزل الامير بكتمر الساقي فكان يوما عظيما

لم ير الناس أعظم منه ولا أشد هولا ووكل بأبواب القاهرة من يرد السقائين اذا خرجوا من القاهرة لاجل اطفاء النار فلم يبق أحد من سقائى الامراء وسقائي البلد الا وعمل وصاروا ينقلون الماء من المدارس والحمامات وأخذ جميع النجارين وسائر البنائين لهدم الدور فهدم في هذه النوبة ماشاء الله من الدور العظيمة والرباع الكبيرة وعمل فى هذا الحريق أربعة وعشرون أميرا من الامراء المقدمين سوى من عداهم من أمراء الطبلخانات والعشراوات والمماليك وعمل الامراء بأنفسهم فيه وصار الماء من باب زويلة الى حارة الديلم في الشارع بحرا من كثرة الرجال والجمال التى تحمل الماء ووقف الامير بكتمر الساقي والامير أرغون النائب على نقل الحواصل السلطانية من بيت كريم الدين الى بيت ولده بدرب الرصاصى وخربوا ستة عشر دارا من جوار الدار وقبالتها حتى تمكنوا من نقل الحواصل فما هو الا أن كمل اطفاء الحريق ونقل الحواصل واذا بالحريق قد وقع فى ربع الظاهر خارج باب زويلة وكان يشتمل على مائة وعشرين بيتا وتحته قيسارية تعرف بقيسارية الفقراء وهب مع الحريق ريح قوية فركب الحاجب والوالى لاطفائه وهدموا عدة دور من حوله حتي انطفأ فوقع فى ثانى يوم حريق بدار الامير سلار في خط بين القصرين ابتدأ من الباذهنج وكان ارتفاعه عن الارض مائة ذراع بالعمل فوقع الاجتهاد فيه حتى أطفئ فأمر السلطان الامير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة والامير ركن الدين بيبرس الحاجب بالاحتراز واليقظة ونودى بأن يعمل عند كل حانوت دنّ فيه ماء أو زير مملوء بالماء وأن يقام مثل ذلك في جميع الحارات والازقة والدروب فبلغ ثمن كل دن خمسة دراهم بعد درهم وثمن الزير ثمانية دراهم ووقع حريق بحارة الروم وعدة مواضع حتي انه لم يخل يوم من وقوع الحريق فى موضع فتنبه الناس لما نزل بهم وظنوا أنه من أفعال النصارى وذلك أن النار كانت ترى فى منابر الجوامع وحيطان المساجد والمدارس فاستعدوا للحريق وتتبعوا الاحوال حتي وجدوا هذا الحريق من نفط قد لف عليه خرق مبلولة بزيت وقطران * فلما كان ليلة الجمعة النصف من جمادى قبض على راهبين عند ماخرجا من المدرسة الكهارية بعد العشاء الآخرة وقد اشتعلت النار في المدرسة ورائحة الكبريت في أيديهما فحملا الى الامير علم الدين الخازن والى القاهرة فأعلم السلطان بذلك فأمر بعقوبتهما فما هو الا أن نزل من القلعة واذا بالعامة قد أمسكوا نصرانيا وجد فى جامع الظاهر ومعه خرق على هيئة الكعكة فى داخلها قطران ونفط وقد ألقى منها واحدة بجانب المنبر ومازال واقفا الى أن خرج الدخان فمشي يريد الخروج من الجامع وكان قد فطن به شخص وتأمله من حيث لم يشعر به النصرانى فقبض عليه وتكاثر الناس فجروه الى بيت الوالى وهو بهيئة المسلمين فعوقب عند الامير ركن الدين بيبرس الحاجب فاعترف بأن جماعة من النصارى

قد اجتمعوا على عمل نفط وتفريقه مع جماعة من أتباعهم وانه ممن اعطى ذلك وأمر بوضعه عند منبر جامع الظاهر ثم أمر بالراهبين فعوقبا فاعترفا انهما من سكان دير البغل وأنهما هما اللذان أحرقا المواضع التي تقدم ذكرها بالقاهرة غيرة وحنقا من المسلمين لما كان من هدمهم للكنائس وان طائفة النصارى تجمعوا وأخرجوا من بينهم مالا جزيلا لعمل هـذا النفط واتفق وصول كريم الدين ناظر الخاص من الاسكندرية فعرفه السلطان ماوقع من القبض على النصارى فقال النصاري لهم بطرك يرجعون اليه ويعرف أحوالهم فرسم السلطان بطلب البطرك عند كريم الدين ليتحدث معه في امر الحريق وماذكره النصارى من قيامهـم في ذلك فجاء في حماية والى القاهرة فى الليل خوفا من العامة فلما أن دخـل بيت كريم الدين بحارة الديلم وأحضر اليه الثلاثة النصارى من عند الوالى قالوا لكريم الدين بحضرة البطرك والوالى جميع مااعترفوا به قبل ذلك فبكى البطرك عند ماسمع كلامهم وقال هؤلاء سفهاء النصارى قصدوا مقابلة سفهاء المسلمين على تخريبهم الكنائس وانصرف من عنـد كريم الدين مبجلا مكرما فوجد كريم قد أقام له بغلة على بابه ليركبها فركبها وسار فعظم ذلك على الناس وقاموا عليه يدا واحدة فلولا أن الوالى كان يسايره والا هلك وأصبح كريم الدين يريد الركوب الى القلعة على العادة فلما خرج الى الشارع صاحت به العامة مايحل لك ياقاضى تحامى للنصارى وقد أحرقوا بيوت المسلمين وتركبهم بعد هـذا البغال فشق عليـه ماسمع وعظمت نكايته واجتمع بالسلطان فأخذ يهون أمر النصارى الممسوكين ويذكر أنهم سفهاء وجهال فرسم السلطان للوالى بتشديد عقوبتهم فنزل وعاقبهم عقوبة مؤلمـة فاعترفوا بأن أربعة عشر راهبا بدير البغل قد تحالفوا على احراق ديار المسلمين كلها وفيهم راهب يصنع النفط وانهم اقتسموا القاهرة ومصر فجعل للقاهرة ثمانية ولمصر ستة فكبس دير البغل وقبض على من فيه وأحرق من جماعته أربعة بشارع صليبة جامع ابن طولون فى يوم الجمعـة وقد اجتمع لمشاهدتهم عالم عظيم فضرى من حينئذ جمهور الناس على النصارى وفتكوابهم وصاروا يسلبون ماعليهم من الثياب حتي فحش الامر وتجاوزوا فيهم المقدار فغضب السلطان من ذلك وهم أن يوقع بالعامة واتفق انه ركب من القلعة يريد الميـدان الكبير فى يوم السبت فرأى من الناس أمما عظيمة قد ملأت الطرقات وهم يصيحون نصر الله الاسلام أنصر دين محمد بن عبد الله فخرج من ذلك وعند مانزل الميدان أحضر اليه الخازن نصرانيين قـد قبض عليهما وهما يحرقان الدور فأمر بتحريقهما فأخرجا وعمل لهما حفرة وأحرقا بمرأى من الناس وبينا هم في احراق النصرانيين اذا بديوان الامير بكتمر الساقى قد مر يريد بيت الامير بكتمر وكان نصرانيا فعند ماعاينه العامة ألقوه عن دابته الى الارض وجردوه من جميع ما عليه من الثياب وحملوه ليلقوه في النار فصاح بالشهادتين وأظهر الاسلام فاطلق

واتفق مع هذا مرور كريم الدين وقد لبس التشريف من الميدان فرجمه من هنالك رجما متتابعا وصاحوا به كم تحامى للنصارى وتشد معهم ولعنوه وسبوه فلم يجد بدا من العود الى السلطان وهو بالميدان وقد اشتد ضجيج العامة وصياحهم حتي سمعهم السلطان فلما دخل عليه واعلمه الخبر امتلأ غضبا واستشار الامراء وكان بحضرته منهم الامير جمال الدين نائب الكرك والامير سيف الدين البوبكرى والخطيرى وبكتمر الحاجب فى عدة أخرى فقال الابوبكرى العامة عمي والمصلحة أن يخرج اليهم الحاجب ويسألهم عن اختيارهم حتى يعلم فكره هذا من قوله السلطان وأعرض عنه فقال نائب الكرك كل هذا من أجل الكتاب النصارى فان الناس أبغضوهم والرأي أن السلطان لايعمل في العامة شيئاً وانما يعزل النصاري من الديوان فلم يعجبه هذا الرأي أيضا وقال للامير الماس الحاجب امض ومعك أربعة من الامراء وضع السيف في العامة من حين تخرج من باب الميدان الى أن تصل الى باب زويلة واضرب فيهم بالسيف من باب زويلة الى باب النصر بحيث لاترفع السيف عن أحد البتة وقال لوالى القاهرة ركب الى باب اللوق والى باب البحر ولا تدع أحدا حتى تقبض عليه وتطلع به الى القلعة ومتي لم تحضر الذين رجموا وكيلي يعنى كريم الدين والا وحياة رأسي شنقتك عوضا عنهم وعين معه عدة من المماليك السلطانية نخرج الامراء بعد ماتلكأوا فى المسير حتي اشتهر الخبر فلم يجدوا أحدا من الناس حتى ولا غلمان الامراء وحواشيهم ووقع القول بذلك فى القاهرة فغلقت الاسواق جميعها وحل بالناس أمر لم يسمع بأشد منه وسار الامراء فلم يجدوا في طول طريقهم أحداالى أن بلغوا باب النصر وقبض الوالى من باب اللوق وناحية بولاق وباب البحر كثيرا من الكلابزية والنواتية وأسقاط الناس فاشتد الخوف وعدي كثير من الناس الى البر الغربى بالجيزة وخرج السلطان من الميدان فلم يجد في طريقه الى أن صعد قلعة الجبل أحدا من العامة وعند ما استقر بالقلعة سير الى الوالى يستعجل حضوره فما غربت الشمس حتي أحضر ممن أمسك من العامة نحو مائتي رجل فعزل منهم طائفة أمر بشنقهم وجماعة رسم بتوسيطهم وجماعة رسم بقطع أيديهم فصاحوا بأجمعهم ياخوند مايحل لك مانحن الذين رجمنا فبكى الامير بكتمر الساقى ومن حضر من الامراء رحمة لهم وما زالوابالسلطان الى أن قال للوالى اعزل منهم جماعة وانصب الخشب من باب زويلة الى تحت القلعة بسوق الخيل وعلق هؤلاء بأيديهم فلما أصبح يوم الاحد علق الجميع من باب زويلة الى سوق الخيل وكان فيهم من له بزة وهيئة ومر الامراء بهم فتوجعوا لهم وبكوا عليهم ولم يفتح أحد من أرباب الحوانيت بالقاهرة ومصر في هذا اليوم حانوتا وخرج كريم الدين من داره يريد القلعة على العادة فلم يستطع المرور على المصلوبين وعدل عن طريق باب زويلة وجلس السلطان فى الشباك وقد أحضر بين يديه جماعة ممن

قبض عليهم الوالى فقطع أيدى وأرجل ثلاثة منهم والامراء لايقدرون على الكلام معه في أمرهم لشدة حنقه فتقدم كريم الدين وكشف رأسه وقبل الارض وهو يسأل العفو فقبل سؤاله وأمر بهم أن يعملوا في حفير الجيزة فأخرجوا وقد مات ممن قطع أيديهم اثنان وأنزل المعلقون من على الخشب وعند ماقام السلطان من الشباك وقع الصوت بالحريق في جهة جامع ابن طولون وفي قلعة الجبل وفي بيت الامير ركن الدين الاحمدى بحارة بهاء الدين وبالفندق خارج باب البحر من المقس وما فوقه من الربع وفي صبيحة يوم هذا الحريق قبض على ثلاثة من النصارى وجد معهم فتائل النفط فأحضروا الى السلطان واعترفوا بأن الحريق كان منهم واستمر الحريق فى الاماكن الى يوم السبت فلما ركب السلطان الى الميدان على عادته وجد نحو عشرين ألف نفس من العامة قد صبغوا خرقا بلون أزرق وعملوا فيها صلبانا بيضا وعند مارأوا السلطان صاحوا بصوت عال واحد لادين الادين الاسلام نصر الله دين محمد بن عبد الله ياملك الناصر ياسلطان الاسلام انصرنا على أهل الكفر ولا تنصر النصارى فارتجت الدنيا من هول أصواتهم وأوقع الله الرعب فى قلب السلطان وقلوب الامراء وسار وهو فى فكر زائد حتى نزل بالميدان وصراخ العامة لايبطل فرأى أن الرأى في استعمال المداراة وأمر الحاجب أن يخرج وينادي بين يديه من وجد نصرانيا فله ماله ودمه فخرج ونادي بذلك فصاحت العامة وصرخت نصرك الله وضجوا بالدعاء وكان النصارى يلبسون العمائم البيض فنودى في القاهرة ومصر من وجد نصرانيا بعمامة بيضاء حل له دمه وماله ومن وجد نصرانيا راكبا حل له دمه وماله وخرج مرسوم بلبس النصارى العمامة الزرقاء وأن لايركب أحد منهم فرسا ولا بغلا ومن ركب حمارا فليركبه مقلوبا ولا يدخل نصراني الحمام الا وفى عنقه جرس ولا يتزيا أحد منهم بزى المسلمين ومنع الامراء من استخدام النصارى وأخرجوا من ديوان السلطان وكتب لسائر الاعمال بصرف جميع المباشرين من النصارى وكثر ايقاع المسلمين بالنصاري حتى تركوا المشي في الطرقات وأسلم منهم جماعة كثيرة وكان اليهود قد سكت عنهم فى هذه المدة فكان النصرانى اذا أراد أن يخرج من منزله يستعير عمامة صفراء من أحد من اليهود ويلبسها حتى يسلم من العامة واتفق أن بعض دواوين النصارى كان له عند يهودى مبلغ أربعة آلاف درهم نقرة فصارى الى بيت اليهودى وهو متنكر فى الليل ليطالبه فامسكه اليهودى وقال أنا بالله وبالمسلمين وصاح فاجتمع الناس لاخذ النصراني ففر الى داخل بيت اليهودى واستجار بامرأته وأشهد عليه بابراء اليهودى حتي خلص منه وعثر على طائفة من النصارى بدير الخندق يعملون النفط لاحراق الاماكن فقبض عليهم وسمروا ونودى في الناس بالامان وأنهم يتفرجون على عادتهم عند ركوب السلطان الى الميدان وذلك انهم كانوا قد تخوفوا على أنفسهم لكثرة ماأوقعوا بالنصارى وزادوا

في الخروج عن الحد فاطمأنوا وخرجوا على العادة الى جهة الميدان ودعوا للسلطان وصاروا يقولون نصرك الله ياسلطان الارض اصطلحنا اصطلحنا وأعجب السلطان ذلك وتبسم من قولهم وفى تلك الليلة وقع حريق فى بيت الامير الماس الحاجب من القلعة وكان الريح شديدا فقويت النار وسرت الي بيت الامير ايتمش فانزعج أهل القلعة وأهل القاهرة وحسبوا أن القلعة جميعها احترقت ولم يسمع بأشنع من هذه الـكائنة فانه احترق على يد النصارى بالقاهرة ربع في سوق الشوايين وزقاق العريسة بحارة الديلم وستة عشر بيتا بجوار بيت كريم الدين وعدة أماكن بحارة الروم ودار بهادر بجوار المشهد الحسيني وأماكن باصطبل الطارمة وبدرب العسل وقصر أمـير سلاح وقصر سلار بخط بين القصرين وقصر بيسرى وخان الحجر والجملون وقيسارية الادم ودار بيبرس بحارة الصالحية ودار ابن المغربى بحارة زويلة وعدة أماكن بخط بئر الوطاويط وبالحـكر وفي قلعة الجبل وفي كثير من الجوامع والمساجد الى غير ذلك من الاماكن بمصر والقاهرة يطول عددهـا وخرب من الـكنائس كنيسة بخرائب التتر من قلعة الجبل وكنيسة الزهرى في الموضع الذى فيه الآن البركة الناصرية وكنيسة الحمراء وكنيسة بجوار السبع سقايات تعرف بكنيسة البنات وكنيسة أبي المنيا وكنيسة الفهادين بالقاهرة وكنيسة بحارة الروم وكنيسة بالبندقانيين وكنيستان بحارة زويلة وكنيسة بخزانة البنود وكنيسة بالخندق وأربع كنائس بثغر الاسكندرية وكنيستان بمدينة دمنهور الوحش وأربع كنائس بالغربية وثلاث كنائس بالشرقية وست كنائس بالبهنساوية وبسيوط ومنفلوط ومنية الخصيب ثمـان كنائس وبقوص واسوان احدى عشرة كنيسة وبالاطفيحية كنيسة وبسوق وردان من مدينة مصر وبالمصاصة وقصر الشمع من مصر ثمان كنائس وخرب من الديارات شئ كثير وأقام دير البغل ودير شهران مدة ليس فيهما أحد وكانت هذه الخطوب الجليلة فى مدة يسيرة قلما يقع مثلها في الازمان المتطاولة هلك فيها من الانفس وتلف فيها من الاموال وخرب من الاماكن مالا يمكن وصفه لـكثرته ولله عاقبـة الامور

( كنيسة ميكائيل ) هذه الـكنيسة كانت عند خليج بني وائل خارج مدينة مصر قبلى عقبة يحصب وهى الآن قريبة من جسر الافرم أحدثت في الاسلام وهى مليحة البناء

( كنيسة مريم ) في بساتين الوزير قبلي بركة الحبش خالية ليس بها أحد

( كنيسة مريم ) بناحية العدوية من قبليها قديمة وقد تلاشت

( كنيسة أنطونيوس ) بناحية بياض قبلى اطفيح وهي محدثة * وكان بناحية شرنوب عدة كنائس خربت وبقى بناحية اهريت الجبل قبلي بياض بيومين * ( كنيسة السيدة ) * بناحية أشكر وعلى بابها برج مبني بلبن كبار يذكر أنه موضع ولد موسى بن عمران عليه السلام

( كنيسة مريم ) بناحية الخصوص وهى بيت فعملوه كنيسة لا يعبا بها

( كنيسة مريم وكنيسة بخنس القصير وكنيسة غبريال ) هذه الكنائس الثلاث بناحية أبنوب
( كنيسة أسبوطير ومعناه المخلص ) هذه الكنيسة بمدينة أخميم وهي كنيسة معظمة عندهم وهى على اسم الشهداء وفيها بئر اذا جعل ماؤها فى القنديل صار أحمر قانيا كأنه الدم
( كنيسة ميكائيل ) بمدينة اخميم أيضاً ومن عادة النصارى بهاتين الكنيستين اذا عملوا عيد الزيتونة المعروف بعيد الشعانين أن يخرج القسوس والشمامسة بالمجامر والبخور والصلبان والاناجيل والشموع المشعلة ويقفوا على باب القاضى ثم أبواب الاعيان من المسلمين فيبخروا ويقرؤا فصلا من الانجيل ويطرحوا له طرحا يعنى يمدحونه
( كنيسة بو بخوم ) بناحية اتفه وهي آخر كنائس الجانب الشرقي وبخوم ويقال بخوميوس كان راهبا في زمن بوشنودة ويقال له أبو الشركة من أجل انه كان يربى الرهبان فيجعل لكل راهبين معلما وكان لايمكن من دخول الخمر ولا اللحم الى ديره ويأمر بالصوم الى آخر التاسعة من النهار ويطعم رهبانه الحمص المصلوق ويقال له عندهم حمص القلة وقد خرب ديره وبقيت كنيسته هذه باتفه قبلي اخميم
( كنيسة مرقص الانجيلي ) بالجيزة خربت بعد سنة ثمانمائة ثم عمرت * ومرقص هذا أحد الحواريين وهو صاحب كرسي مصر والحبشة
( كنيسة بوجرج ) بناحية ابى النمرس من الجيزة هدمت في سنة ثمانين وسبعمائة كما تقدم ذكره ثم أعيدت بعد ذلك
( كنيسة بوفار ) آخر أعمال الجيزة
( كنيسة شنودة ) بناحية هربشت
( كنيسة بوجرج ) بناحية ببا وهى جليلة عندهم يأتونها بالنذور ويحلفون بها ويحكون لها فضائل متعددة
( كنيسة ماروطا القديس ) بناحية شمسطا وهم يبالغون في ماروطا هذا وكان من عظماء رهبانهم وجسده في انبوبة بدير بوبشاى من برية شيهات يزورونه الى اليوم
( كنيسة مريم بالبهنسا ) ويقال انه كان بالبهنسا ثلثمائة وستون كنيسة خربت كلها ولم يبق بها الا هذه الكنيسة لاغير
( كنيسة صمويل ) الراهب بناحية شبرى
( كنيسة مريم ) بناحية طنبدي وهى قديمة
( كنيسة ميخائيل ) بناحية طنبدي وهي كبيرة قديمة وكان هناك كنائس كثيرة خربت وأكثر أهل طنبدى نصارى أصحاب صنائع
( كنيسة الايصطولى ) أعني الرسل بناحية أشنين وهى كبيرة جدا

( كنيسة مريم ) بناحية أشنين أيضاً وهي قديمة

( كنيسة ميخائيل وكنيسة غبريال ) بناحية أشنين أيضاً وكان بهذه الناحية مائة وستون كنيسة خربت كلها الا هذه الكنائس الاربع وأكثر أهل أشنين نصارى وعليهم الدرك في الخفارة وبظاهرها آثار كنائس يعملون فيها أعيادهم منها كنيسة بوجرج وكنيسة مريم وكنيسة ماروطا وكنيسة بربارة وكنيسة كفريل وهو جبريل عليه السلام

( وفي منية ابن خصيب ست كنائس ) كنيسة المعلقة وهي كنيسة السيدة وكنيسة بطرس وبولص وكنيسة ميكائيل وكنيسة بوجرج وكنيسة انبابولا الطموهي وكنيسة الثلاث فتية وهم حنانيا وعزاريا وميصائيل وكانوا أجنادا في أيام بخت نصر فعبدوا الله تعالى خفية فلما عثروا عليهم راودهم بخت نصر أن يرجعوا الى عبادة الاصنام فامتنعوا من ذلك فسجنهم مدة ليرجعوا فلم يرجعوا فأخرجهم وألقاهم فى النار فلم تحرقهم والنصارى تعظمهم وان كانوا قبل المسيح بدهر

( كنيسة بناحية طحا ) على اسم الحواريين الذين يقال عندهم الرسل

كنيسة مريم ) بناحية طحا أيضاً

( كنيسة الحكيمين ) بناحية منهرى لها عيد عظيم في بشنس يحضره الاسقف ويقام هناك سوق كبير فى العيد وهذان الحكيمان هما قزمان ودميان الراهبان

( كنيسة السيدة ) بناحية بقرقاس قديمة كبيرة

وبناحية ملوى كنيسة كنيسة الرسل وكنيستان خراب احداها على اسم بوجرج والاخرى على اسم الملك ميخائيل وبناحية دلجة كنائس كثيرة لم يبق منها الا ثلاث كنائس كنيسة السيدة وهى كبيرة وكنيسة شنودة وكنيسة مرقورة وقد تلاشت كلها وبناحية صنبو كنيسة انبابولا وكنيسة بوجرج وصنبو كثيرة النصارى وبناحية ببلاو وهى بحري صنبو كنيسة قديمة بجانبها الغربى على اسم جرجس وبها نصارى كثيرون فلاحون وبناحية دروط كنيسة وفى خارجها شبه الدير على اسم الراهب ساراماتون وكان في زمان شنودة وعمل أسقفا وله أخبار كثيرة وبناحية بوق بنى زيد كنيسة كبيرة على اسم الرسل ولها عيد وبالقوصية كنيسة مريم وكنيسة غبريال وبناحية دمشير كنيسة الشهيد مرقوريوس وهي قديمة وبها عدة نصارى وبناحية أم القصور كنيسة بويحنس القصير وهى قديمة وبناحية بلوط من ضواحى منفلوط كنيسة ميخائيل وهى صغيرة وبناحية البلاعزة من ضواحي منفلوط كنيسة صغيرة يقيم بها القسيس بأولاده وبناحية شقلقيل ثلاث كنائس كبار قديمة احداها على اسم الرسل وأخرى باسم ميخائيل وأخرى باسم بومنا وبناحية منشأة النصارى كنيسة ميخائيل وبمدينة سيوط كنيسة بوسدرة وكنيسة الرسل وبخارجها كنيسة بومينا

وبناحية درنكة كنيسة قديمة جدا على اسم الثلاثة فتية حنانيا وعزاريا وميصائيل وهي مورد لفقراء النصارى ودرنكة أهلها من النصارى يعرفون اللغة القبطية فيتحدث صغيرهم وكبيرهم بها ويفسرونها بالعربية وبناحية ريفة كنيسة بوقلتة الطبيب الراهب صاحب الاحوال العجيبة في مداواة الرمدى من الناس وله عيد يعمل بهذه الكنيسة * وبها كنيسة ميخائيل أيضاً وقد أكلت الارضة جانب ريفة الغربي وبناحية موشة كنيسة مركبة على حمام على اسم الشهيد بقطر وبنيت في أيام قسطنطين ابن هيلانة ولها رصيف عرضه عشرة أذرع ولها ثلاث قباب ارتفاع كل منها نحو الثمانين ذراعا مبنية بالحجر الابيض كلها وقد سقط نصفها الغربي ويقال ان هذه الكنيسة على كنز تحتها ويذكر انه كان من سيوط الى موشة هذه ممشاة تحت الارض وبناحية بقور من ضواحي بو تيج كنيسة قديمة للشهيد اكلوديس وهو يعدل عندهم مرقوريوس وجا أرجيوس وهو أبو جرج والاسفهسلارتا أدروس وميناوس وكان اكلوديوس أبوه من قواد دقلطيانوس وعرف هو بالشجاعة فتنصر فأخذه الملك وعذبه ليرجع الى عبادة الاصنام فثبت حتى قتل وله أخبار كثيرة وبناحية القطيعة كنيسة على اسم السيدة وكان بها أسقف يقال له الدوين بينه وبينهم منافرة فدفنوه حيا وهم من شرار النصارى معروفون بالشر وكان منهم نصراني يقال له جرجس ابن الراهبة تعدى طوره فضرب رقبته الامير جمال الدين يوسف الاستادار بالقاهرة في ايام الناصر فرج بن برقوق وبناحية بوتيج كنائس كثيرة قد خربت وصار النصارى يصلون في بيت لهم سرا فاذا طلع النهار خرجوا الى آثار كنيسة وعملوا لها سياجا من جريد شبه القفص وأقاموا هناك عباداتهم وبناحية بومقروفه كنيسة قديمة لميخائيل ولها عيد فى كل سنة وأهل هذه الناحية نصارى أكثرهم رعاة غنم وهم همج رعاع وبناحية دوينة كنيسة على اسم بو يحنس القصير وهى قبة عظيمة وكان بها رجل يقال له يونس عمل أسقفا واشتهر بمعرفة علوم عديدة فتعصبوا عليه حسدا منهم له على علمه ودفنوه حيا وقد توعك جسمه وبالمراغة التي بين طهطا وطما كنيسة وبناحية قلفاو كنيسة كبيرة وتعرف نصاري هذه البلدة بمعرفة السحر ونحوه وكان بها فى أيام الظاهر برقوق شماس يقال له ابصلطيس له في ذلك يد طولى ويحكى عنه مالا أحب حكايته لغرابته وبناحية فرشوط كنيسة ميخائيل وكنيسة السيدة مارت مريم وبمدينة هوّ كنيسة السيدة وكنيسة بومنا وبناحية بهجورة كنيسة الرسل وباسنا كنيسة مريم وكنيسة ميخائيل وكنيسة يوحنا المعمداني وهو يحي بن زكريا عليهما السلام وبنقادة كنيسة السيدة وكنيسة يوحنا المعمداني وكنيسة غبريال وكنيسة يوحنا الرحوم وهو من أهل انطاكية ذوي الاموال فزهد وفرق ماله كله على الفقراء وساح وهو على دين النصرانية فى البلاد فعمل أبواه عزاءه وظنوا انه مات ثم قدم انطاكية فى حالة لايعرف فيها وأقام في كوخ

على مزبلة وأقام رمقه بما يلقى على تلك المزبلة حتى مات فلما عملت جنازته كان ممن حضرها أبوه فعرف غلاف انجيله ففحص عنه حتى عرف انه ابنه فدفنه وبنى عليه كنيسة انطاكية * وبمدينة قفط كنيسة السيدة وكان بأصفون عدة كنائس خربت بخرابها وبمدينة قوص عدة أديرة وعدة كنائس خربت بخرابها وبقى بها كنيسة السيدة ولم يبق بالوجه القبلى من الكنائس سوى ما تقدم ذكرناله

* ( وأما الوجه البحرى ) *

ففى منية صرد من ضواحى القاهرة كنيسة السيدة مريم وهى جليلة عندهم وبناحية سندوة كنيسة محدثة على اسم بوجرج وبمرصفا كنيسة مستجدة على اسم بوجرج أيضاً وبسمنود كنيسة على اسم الرسل عملت في بيت وبسنباط كنيسة جليلة عندهم على اسم الرسل وبصندفة كنيسة معتبرة عندهم على اسم بوجرج وبالريدانية كنيسة السيدة ولها قدر جليل عندهم وفى دمياط أربع كنائس للسيدة ولميخائيل وليوحنا المعمدانى ولمارى جرجس ولها مجد عندهم وبناحية سبك العبيد كنيسة محدثة في بيت مخفى على اسم السيدة وبالنحراوية كنيسة محدثة في بيت مخفى وفي لقانة كنيسة بوبخنس القصير وبدمنهور كنيسة محدثة فى بيت مخفى على اسم ميخائيل وبالاسكندرية المعلقة على اسم السيدة وكنيسة بوجرج وكنيسة يوحنا المعمداني وكنيسة الرسل فهذه كنائس اليعاقبة بأرض مصر ولهم بغزة كنيسة مريم ولهم بالقدس القمامة وكنيسة صهيون وأما الملكية فلهم بالقاهرة كنيسة مارى نقولا بالبندقانيين وبمصر كنيسة غبريال الملاك بخط قصر الشمع وبها قلاية لبطركهم وكنيسة السيدة بقصر الشمع أيضاً وكنيسة الملاك ميخائيل بجوار بربارة بمصر وكنيسة ماريوحنا بخط دير الطين والله أعلم

وهذا آخر الجزء الرابع وبتمامه تم الكتاب والحمد لله وحده وصلى الله على من
لانبى بعده وسلم ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين وحسبنا
الله ونعم الوكيل ولا عدوان الا على الظالمين



﴿ قال مصحح هذا الكتاب . أجزل الله له الأجر والثواب ﴾

الحمد لله الذى هدى قوما الى اقتناص شوارد المعارف والعلوم . وشوقهم للتفنن فى مسارح التدبر والركض بميادين الفهوم . ووالى عليهم من مزيد آلائه منناً متظافرة متواترة وأسبغ عليهم نعماً باطنة وظاهرة . والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل من مضى وغبر الجامع لمحاسن الاخلاق والسير . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين . وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين (أما بعد) فقد تم بعون الملك الوهاب . طبع هذا الكتاب المستطاب المشتمل على ما بمدينة القاهرة . من آثار القصور الزاهية الزاهرة . وما اشتملت عليه من الخطط والاصقاع . وحوته من المبانى البديعة الاوضاع . ألا وهو تأليف الامام الهمام علامة الانام وقدوة الاعلام . الشيخ تقى الدين أحمد بن على المعروف بالمقريزى رحمه الله وجعل جنة عدن متقلبه ومثواه . وذلك على ذمة حضرة الاستاذ الفاضل . الذى لا يثبت امامه خصم اذا أخذ عن الدين يناضل . من هو للحق بالحق ظهير ونصير جناب الكامل الشيخ (أحمد على المليجى) الكتبى الشهير لا زال حاميا حمى ملة الاسلام . وسيفاً قاطعاً لأعناق الكفرة اللئام وكان هذا الطبع الجميل بمطبعة النيل . ذات الفضل الجليل والشرف الجزيل . وكان تمام طبعه وظهور ينعه . فى أواسط شهر ربيع الاول سنة ١٣٢٦ ألف وثلثمائة وستة وعشرين من هجرة النبى الصادق الامين . عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأزكى السلام ما لاح بدر تمام وفاح مسك ختام

{ فهرست }

الجزء الرابع من كتاب الخطط للعلامة المقريزى

تمت فهرست الجزء الرابع من كتاب الخطط للمقريزى



